

"هو أبركرومبي استثنائي"
-هورج ر.ر. مارتن-

Joe Abercrombie
هو أبركرومبي

The مكتبة

blade itself
النصل
نفسه



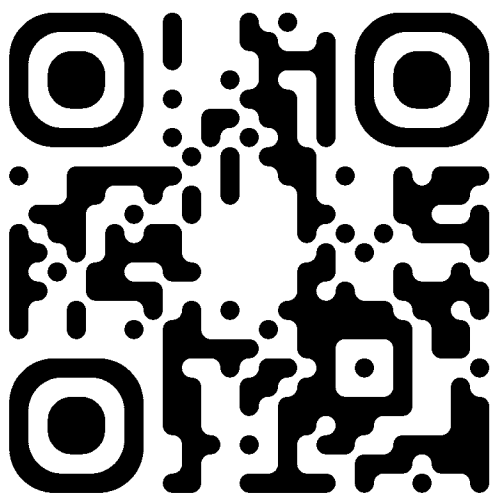
ترجمة: محمد فؤاد



إهداء لـ ..

فتاة لا تحتاج إلى بطل .. بل معرفة الحقيقة
مرها كانت مختلفة وعميقة أو هادة كالنصل

بتول



سجل في مكتبة

اضغط الصفحة

SCAN QR

النصل
نفسه



للنشر والتوزيع

إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email: P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

● تأليف: جو أبركرومبي

● ترجمة: محمد فؤاد

● تحرير: محمد المتيّم

● تدقيق لغوي: نهال جمال

● تنسيق داخلي: معتز حسنين علي

● رقم الإيداع: 2024/31292 م

● الترقيم الدولي: 9-477-992-977-978

● العنوان الأصلي: The Blade Itself

● العنوان العربي: النصل نفسه

● حقوق النشر:

Copyright © 2006 by Joe Abercrombie

● الطبعة الأولى: يناير / 2025 م

● حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

مكتبة

t.me/soramnqraa

77 2025

"چو آبرڪرومبى اسٽنائى
-هوريج ر.ر. مارتن

Joe Abercrombie

چو آبرڪرومبى

The مكتبة
t.me/soramnqraa

blade itself

النصل

نفسه

ترجمة: محمد فؤاد



اندفع لوچن بين الأشجار، وقدماه الحافيتان تنزلقان وتترحلان فوق الأرض المبللة والوحل وإبر الصنوبر الرطبة. تحشرجت أنفاسه في صدره، ودقّت الدماء في رأسه. تعثر وسقط على جانبه، وكاد صدره ينشق بفأسه التي بجواره. استلقى مكانه يلهث، ويحدق إلى الغابة المظلمة.

كان متأكدًا من وجود الكلبّي معه حتى آخر لحظة، لكن لا أثر له الآن. أما الآخرون، فلا يمكنه الجزم. يا له من زعيم، يفصل عن فتiane هكذا! عليه أن يحاول العودة، لكن الشانكا في كل مكان. يمكنه الشعور بتحركاتهم بين الأشجار، وأنفه امتلأ برائحهم. سمع صوتًا كالصراخ على يساره، أو ربما قتال. زحف لوچن ببطء حتى وقف على قدميه، يحاول البقاء هادئًا. انكسر غصن فالتفت بسرعة.

هناك رمح يندفع نحوه. رمحٌ شكله قاسٍ يندفع نحوه بسرعة، وفي نهايته يوجد شانكا.

قال لوچن: «اللعة». ألقى بنفسه إلى أحد الأجانب، فانزلق وسقط على وجهه، وتدحرج بعيدًا وهو يتخبّط بالأغصان، توقع اختراق الرمح لظهره في أي لحظة. اندفع واقفًا، يتنفس بصعوبة. رأى ذبابته اللامعة تندفع نحوه مرة أخرى، فتفادها وانزلق خلف جذع شجرة كبيرة. نظر من خلفها فرأى مسطح الرأس يَفْحُ بغضب ويطعن نحوه. أظهر نفسه في الجانب الآخر لحظة واحدة فقط، ثم انحنى، وقفز حول الشجرة وطوّح الفأس عليه، صارخًا بأعلى صوت يستطيعه. سمع قرقعة حيث دُفن النصل عميقًا في جمجمة الشانكا. كان ذلك لحسن حظه، لكن لوچن فكّر بعدها أنه استحق بعض الحظ.

وقف مسطح الرأس يرمش إليه، ثم بدأ يتأرجح من جانب لآخر، والدماء تسيل على وجهه. سقط كالحجر، صاحبًا الفأس من بين أصابع لوچن، وانقلب

بعنف عند قدميه على الأرض. حاول لوِجِن الإمساك بمقبض الفأس بإحكام، لكن بطريقة ما، ما زال الشانكا يمسك بالرمح وذبابة الرمح تتأرجح في الهواء.

صرخ لوِجِن عندما جرح الرمح ذراعه: «جاءه!». شعر بظل يمر أمام وجهه. مسطح رأس آخر، وكان ضخماً حقاً. كان بالفعل في الهواء، وأذرعه مفرودة. لا وقت لالتقاط الفأس. لا وقت للابتعاد عن طريقه. فتح لوِجِن فمه، لكن لا وقت لقول أي شيء. ما الذي يمكن قوله في وقت كهذا؟

اصطدما بالأرض الرطبة معاً، وتدحرجا معاً في التراب والأشواك والأغصان المكسورة، يمزقان ويلكمان ويزمجران على بعضهما بعضاً. ضرب جذر شجرة لوِجِن في رأسه، بقوة، فجعل أذنيه تصفران. كان لديه سكين في مكان ما، لكنه لم يتذكر أين. تدحرجا وتدحرجا على المنحدر، العالم يدور وينقلب، حاول لوِجِن إبعاد الضباب عن رأسه وخنق مسطح الرأس الكبير في الوقت نفسه. لا سبيل للتوقف.

بدت فكرة ذكية أن ينصبوا المخيم بالقرب من الوادي الضيق. فلا فرصة لتسلل أحد من خلفهم. أما الآن، وبعدما انزلق لوِجِن على بطنه من فوق حافة الجرف، فقدت الفكرة الكثير من جاذبيتها. خمش الأرض الرطبة بيديه. لا يوجد سوى التراب وإبر الصنوبر البنية. تشبثت أصابعه، وأمسكت بلا شيء. وبدأ السقوط. أفلت منه أنين قصير.

قبضت يده على شيء ما. جذر شجرة، يخرج من الأرض على نهاية حافة الوادي. تأرجح في الفضاء، يلهث، لكن قبضته ثابتة.

صرخ: «هاه! هاهاه!» لا يزال على قيد الحياة. سيحتاج الأمر إلى أكثر من بضعة مسطحي رأس لإنهاء لوِجِن الأصابع التسع. حاول سحب نفسه فوق الحافة، لكنه لم ينجح. هناك وزن كبير حول ساقيه. حلق إلى أسفل.

كان الوادي عميقاً، عميقاً للغاية، وحوافه صخرية حادة. نمت شجرة هنا وهناك تتشبث بصدع، تنمو في الهواء الطلق وتنتشر أوراقها في الفضاء. خرَّ النهر بعيداً بالأسفل، سريعاً وغازباً، وتناثر عليه الزبد الأبيض محاطاً بحجارة سوداء مسننة. كل هذا كان سيئاً بالطبع، لكن المشكلة الحقيقية كانت أقرب منه. لا يزال الشانكا كبير الحجم موجوداً معه، يتأرجح بلطف ذهاباً وإياباً ويداه المتسختان متشبثتان بإحكام حول كاحله الأيسر.

تمتم لوَجِن: «اللعة». إنها ورطة كبيرة التي أصبح فيها. مر بالعديد من الورطات السيئة من قبل وعاش ليتغنى بها، لكن من الصعب رؤية كيف يمكن أن يزداد هذا الوضع سوءًا. دفعه ذلك للتفكير في حياته. بدت له الآن مريرة بلا مغزى. لن يحسده أحد لحياة كهذه، ملأى بالعنف والألم، ليس بينهما سوى خيبة الأمل والمشقة. بدأت يدها تُتعبانه الآن، وساعدها يحرقانه. لم يبد أن مسطح الرأس الكبير سيسقط في أي وقت قريب. في الواقع، بطريقة ما جذب نفسه لأعلى ساقه ثم توقف مؤقتًا، وهدق إلى أعلى نحوه.

لو كان لَوْجِن هو المتشبه بقدم الشانكا، لكان على الأرجح فِكْر هكذا: حياتي تعتمد على تلك الساق التي أتدلى منها، الأفضل ألا أخاطر بشيء. سيفضل المرء إنقاذ حياته على قتل عدوه. المشكلة أن الشانكا لا يفكر بهذه الطريقة، ولَوْجِن عرف ذلك. لذا لم يتفاجأ كثيراً عندما فتح فمه الكبير وغرز أسنانه في رُبْلَة ساقه.

شهق لوجن: «اأررررجه!» وصرخ وركل بأقصى ما يمكنه بكعبه العاري،
وركل رأس الشانكا متسببًا في جرح دموي، لكنه لم يتوقف عن العض، وكلما
زادت قوة ركلته، انزلت يداها على الجذر الزلق أعلاه. لم يعد هناك الكثير من
الجذور المتبقية للتمسك بها، وما تبقى بدا وكأنه سينقطع في أي لحظة.
حاول أن يتناسى ألم يديه وذراعيه وأسنان مسطح الرأس التي في ساقه. كان
على وشك السقوط. الخيار الوحيد هو السقوط على الصخور أو السقوط في
الماء، وهذا الاختبار اتخذ نفسه نوعًا ما.

ما إن يصبح لديك عملٌ تفعله، فالأفضل أن تفعله بدلاً من العيش خوفاً منه. هذا ما كان سيقوله والد لوجن. لذلك وضع قدمه الحرة بقوة على مقدمة الصخرة، وأخذ نفساً عميقاً أخيراً، ودفع نفسه عليها بكل ما تبقى عنده من قوة في المساحة الفارغة خلفه. شعر بترك الأسنان التي كانت تعضه، ثم البدن، وللحظة كان حرّاً.

ثم بدأ في السقوط، بسرعة. مرت جوانب الوادي كأنها تومض بسرعة؛ صخور رمادية، طحالب خضراء، رقع من الثلج الأبيض، كل شيء يتساقط من حوله.

انقلب لوْجَن ببطء في الهواء، وأطرافه ترفرف بلا هدف، وخوفه يمنعه من الصراخ. ضربت عينيه الرياحُ المتسارعة، وضَيِّقَتْ ملابسه عليه، وانتزعت الأنفاس من فمه. رأى الشانكا الكبير يصطدم بمقدمة صخرة بجانبه. رآه

يتكسر ويرتد ويتخبط، لا بد أنه مات بالتأكيد. كان هذا مشهدًا ممتعًا، لكن رضا لوجن لم يدُم طويلاً.

ارتفع الماء لمقابلته. شعر بضربته في جنبه كثورٍ مندفعٍ يلکم الهواء خارج رئتيه، ثم أفقده الوعي، وامتصّه في ظلام بارد....

الجزء الأول

«النصل نفسه يُحرّض على أعمال العنف».

- هوميروس

الناجيان

خريـر المياـه في أذنيه. هذا هو أول ما سمعه. خريـر المياـه، وحفـيف الأشجار، ونقر وتغريد غريب لطائر.

فتح لوـجـن عينيه قليلاً. أتاه سطوع ضبابي فاتح عبر أوراق الشجر. أهذا هو الموت؟ إذن لماذا يؤلمه هكذا؟ جانبه الأيسر بالكامل ينبض. حاول أن يأخذ نفساً لاثقاً، فاختنق، وسعل ماءً، وبصق طيناً. تأوه، وتقلّب على يديه وركبتيه، وجرّ نفسه من النهر، ولهث عبر أسنانه المطبقة، وتدحرج على ظهره في الطحالب والطين والعصي المتعفّنة على حافة الماء.

استلقى هناك لوهلة، يحدّق إلى السماء الرمادية خلف الأغصان السوداء، وأنفاسه تصفر بصعوبة في حلقة المتهيج.

نعق لنفسه: «ما زلت حيّاً». لا يزال حيّاً، رغم أقصى جهود الطبيعة، والشانكا والرجال والوحوش. بدأ يقهقه وهو مبتل بالكامل ومستلق على ظهره بضحك مزماري ومتهدج. قلّ شيئاً واحداً عن لوـجـن الأصابع التسع، قل إنه ناج.

هبّت رياح باردة عبر ضفة النهر المتعفّنة، فماتت ضحكات لوـجـن ببطاء. قد يكون حيّاً، لكن أن يبقى حيّاً، هذا سؤال آخر. جلس يجفل من الألم. ترنّح واقفاً، مستنداً إلى أقرب جذع شجرة. كشط الأوساخ من أنفه وعينه وأذنيه. رفع قميصه المبلل ليرى الأضرار.

غطّى جانبه بالكدمات من السقوط. انتشرت بقع زرقاء وبنفسجية على أضلاعه. ألمته عندما لمسها بلا شك، ولكن لم يبدُ أن هناك أي كسور. كانت ساقه في حالة سيئة، ممزقة ونازفة بسبب أسنان الشانكا. ألمته بشدة، ولكن قدمه كانت تتحرك بشكل جيد إلى حد ما، وهذا هو المهم. سيحتاج إلى قدمه إذا أراد الخروج من هذا المأزق.

لا يزال يحتفظ بسكينه في غمده على حزامه، وسعدَ برؤيته جدًّا. من خبرة لوجن، لا يمكن أن تمتلك ما يكفي من السكاكين، وهذا كان سكينًا جيدًا، ولكن الوضع لا يزال مروّعًا. لقد كان بمفرده، في غابة ملأى بمسطحي الرأس. لم تكن لديه فكرة عن مكانه، لكن يمكنه تتبُّع النهر. تجري الأنهار كلها شمالًا، من الجبال إلى البحر البارد. عليه أن يتبع النهر جنوبًا، عكس التيار. يتبع النهر ويتسلق نحو الأماكن العالية حيث لا تستطيع الشانكا العثور عليه. تلك هي فرصته الوحيدة.

سيكون الجو باردًا هناك، في هذا الوقت من العام. برد قاتل. نظر إلى قدميه العاريتين. من سوء حظه أن الشانكا قد أتوا في أثناء خله حذاءه، وهو يقص بثوره، وبلا معطف أيضًا، فقد كان جالسًا بالقرب من النار. لن يستمر بهذه الهيئة يومًا واحدًا في الجبال. ستتحول يداه وقدماه إلى اللون الأسود في الليل، وسيموت ببطء قبل أن يصل إلى الممرات. هذا إذا لم يموت جوعًا قبلها. تمت: «تبًّا». عليه أن يعود إلى المعسكر. عليه أن يأمل أن مسطحي الرأس قد رحلوا، ويأمل أن يكونوا قد تركوا شيئًا خلفهم، شيئًا يمكنه استخدامه للبقاء على قيد الحياة. ذلك كان كثيرًا من الأمل، لكنه ليس لديه خيار آخر. لم تكن لديه أي خيارات قط.

حينما عثر لوجن على الموقع، كانت الأمطار بدأت تتساقط. ألصقت القطرات المتناثرة شعره بجمجمته وبللت ملابسه تمامًا. اتكأ على جذع شجرة مغطى بالطحالب ونظر نحو المعسكر، خفق قلبه بسرعة، وأطبق أصابع يده اليمنى بآلم حول قبضة السكين الزلقة.

رأى الدائرة السوداء حيث كانت النيران، وأعواد الحطب المحترقة جزئيًا والرماد المدهوس حولها. رأى الجذع الكبير الذي جلس عليه ثريتريز والضوُ وقتما هاجمهم مسطحو الرأس. رأى بقايا غريبة متناثرة من العتاد المكسور والممزق عبر الساحة. عدَّ ثلاثة من مسطحي الرأس الموتى ممددين على الأرض، أحدهم خرج سهم من صدره. ثلاثة قتلى، لكن لا أثر لأي حي. كان ذلك حظًا، حظًا يكاد يكفي ليبقى حيًّا، كالعادة. ومع ذلك، قد يعودون في أي لحظة. عليه أن يكون سريعًا.

خرج لوجن من الأشجار مسرعًا، يبحث على الأرض. ما زالت أحذيته هناك حيث تركها. اختطفها وانتعلها على قدميه المتجمدتين وهو يقفز مكانه وكاد يسقط من تسرُّعه. معطفه كان هناك أيضًا، محشور تحت الجذع، متهاك

ومتهتك بفعل عشر سنوات من الظروف الجوية والحروب، مُزَّقٌ وَخِيْطٌ، وفقد نصف كـمه. تمددت حقيـبته بشـكل غير منتظم في الأجمـة القريـبة، وتناثرت محتوياتها على المنحدر. انحنى، لاهئاً، يُعيد كل شيء إلى داخلها. قطعة من الحبل، غليونه الطيني القديم، بعض شرائح اللحم المجفَّف، إبرة وخيط، قنينة منبـعجة بها بعض شراب ما زال يتخضض داخلها. كلها جيدة. كلها مفيدة.

كانت هناك بطانية ممزقة عالقة على فرع، مبللة ومغطاة جزئياً بالأوساخ. سحبها لوجن وابتسم. تحتها كان قِدر الطَّبْخ المتهالك، مقلوباً على جانبـه، ربما ركله أحدهم عبر النيران خلال المعركة. أمسك به بكلتا يديه. شعر بأمانه، بألفته، منبـعجاً وأسود من سنوات الاستخدام الشاق. امتلك هذا القدر منذ فترة طويلة. رافقه خلال جميع الحروب، عَبَر معه الشمال وعاد مرة أخرى. كلهم طهوا فيه معاً، في الرحلات، وأكلوا منه. فورلي، والجَهم، والكلبي، جميعهم.

نظر لوجن مرة أخرى إلى موقع المعسكر. ثلاثة من الشانكا القتلى، ولكن لا أحد من رفاقه. ربما ما زالوا هناك. ربما إذا خاطر، وحاول البحث...

قال هامساً لنفسه بهدوء: «كلا». كان يعلم أفضل من ذلك. هناك أعداد كبيرة من ذوي الرؤوس المسطحة، أعداد لا تُحصى منهم. لم يدر كم من الوقت قضى على ضفة النهر. حتى وإن هرب بعض الفتية، فمؤكد أن الشانكا سيلاحقونهم، سيطاردونهم في الغابات. مؤكد أنهم أصبحوا جثثاً متناثرة في الوديان العالية الآن. كل ما يمكن للوجن فعله هو التوجه نحو الجبال ومحاولة إنقاذ حياته البائسة. عليه أن يصبح واقعياً، عليه ذلك، مهما ألمه.

قال لوجن وهو يحشو القدر في حقيـبته ويلقيها على كتفه: «لم يتبق سوى وأنت الآن». بدأ يعرج بأقصى سرعته، صاعداً التل، نحو النهر، نحو الجبال.

فقط هما الاثنان. هو والقدر.

كانا الناجيين الوحيديين.

أسئلة

لماذا أفعل هذا؟ سأل المحقق جلوكتا نفسه للمرة الألف وهو يعرج لنهاية الممر. غُطِّيت الجدران بطبقة أسمنتية مدهونة باللون الأبيض لم تبدُ حديثة. بدا المكان بائسًا تفوح منه الرطوبة. ليس هناك نوافذ، فالممر كان عميقًا تحت الأرض، وألقت المصابيح بظلال تنساب ببطء إلى كل ركن.

لماذا قد يرغب أي أحد في فعل هذا؟ خطت أقدام جلوكتا بإيقاع ثابت على بلاط الأرضية القذر. أولاً صوت نقر كعبه الأيمن الواثق، ثم طرقة عصاه، ثم زحفة قدمه اليسرى يصحبها ألم طاعن مألوف في كاحله وركبته ومؤخرته وظهره. نقر، طرق، ألم. هذا هو إيقاع مشيه.

أحيانًا يكسر تكرارية قذارة الممر باب ثقيل، مقيد ومُثَبَّت بحديد نقره التآكل. في إحدى المرات، اعتقد جلوكتا أنه سمع صرخة ألم مكتومة من خلف أحدهم. أتساءل من الأحق المسكين الذي يُستجوب بالداخل؟ ما الجريمة التي أدين بها، أو برّئ منها؟ ما الأسرار التي نُقِب عنها، والأكاذيب التي كُشفت، والخيانات التي فُضحت؟ لكنه لم يتساءل طويلًا. قاطعته الدرجات.

إذا مُنح جلوكتا فرصة تعذيب أي رجل يريد، أي رجل على الإطلاق، لاختار بالتأكيد مُبتكر الدرجات. عندما كان فتياً ومحبوبًا إلى درجة كبيرة، قبل أن تحدث نكباته، لم يكن يلحظها مطلقًا. كان يقفز بالدرجتين في المرة ويكمل طريقه بمرح. ليس أكثر. إنها في كل مكان. لا يمكنك الانتقال بين الأدوار من دونها. والنزول أسوأ من الصعود، هذا ما لا يدركه الناس أبدًا. لا يمكنك أن تسقط في أثناء الصعود.

كان يعرف هذه الدرجات جيدًا. ست عشرة درجة، منحوتة في حجر أملس، متآكلة بعض الشيء في منتصفها، ورطبة بعض الشيء، مثلها مثل كل شيء هنا بالأسفل. لم يكن هناك درابزين، لا شيء للتمسك به. ستة عشر

عَدُوًّا. يا له من تحدٍّ بالفعل. استغرق جلوكتا وقتًا طويلًا للوصول إلى أقل الطرق أَلَمًا في أثناء نزول الدرج. فكان ينزل جانبياً مثل السلطعون. العصا أولاً، ثم القدم اليسرى، ثم اليمنى، بمعاناة أكثر من المعتاد عندما تُحْمَل ساقه اليسرى بوزنه، مصحوبة بطعن مستمر في الرقبة. لماذا يؤلمني عنقي عند نزول الدرج؟ أليكون عنقي هو ما يحمل كامل وزني؟ أيفعل ذلك؟ ومع ذلك، لم يعد بإمكانه إنكار الألم.

توقف جلوكتا على بعد أربع درجات من النهاية. كاد يتغلب عليهم. كانت يده ترتعش على مقبض عصاه، وساقه اليسرى تؤلمه بشدة. مرَّ لسانه على لثته الخاوية حيث كانت أسنانه الأمامية موجودة، وأخذ نفسًا عميقًا وتقدم للأمام. انهار كاحله بالتواء مرعب وسقط في الفضاء، يتلوى ويترنح، وعقله يغلي بالرعب واليأس. تَعَثَّرَ على الدرجة التالية مثل سِكِّير، وخدشت أظفاره الجدار الأملس، وأطلق نحيبًا مرتعبًا. أيها الأحمق، أيها اللقيط الأحمق! تهاوت عصاه على الأرض، وتصارعت قدماه الخرقاء مع الحجارة ووجد نفسه في القاع، وبمعجزة ما، كان ما يزال واقفًا.

ها هي. تلك اللحظة المروعة الجميلة بين اصطدام إصبع قدمك والشعور بألمها. كم لذي من الوقت قبل أن يأتي الألم؟ ما مدى سوءه عندما يأتي؟ شعر جلوكتا بوخز الترقب فوقف يلهث فاغراً فاه عند نهاية الدرجات. ها هو آتٍ..

كانت المعاناة لا توصف، تشنج حارق في جانبه الأيسر من قدمه وحتى فكه. أغلق عينيه الدامعتين بشدة، وأغلق قبضته اليمنى أمام فمه بقوة حتى فرقعت مفاصلها. احتكت أسنانه المتبقية ببعضها بعضًا من شدة غلظه لفكّه، ومع ذلك صدر منه أنين حاد وخشن. هل أنا أصرخ أم أضحك؟ كيف أُفَرِّق بينهما؟ كان يتنفس بشهقات لاهثة عبر أنفه، وفقاعات المخاط تسيل على يده، وجسده الملتوي يرتعش من الجهد المبذول ليحافظ على وقوفه.

مرت التشنجات. حرك جلوكتا أطرافه بحذر، واحدًا تلو الآخر، يتفحص مدى ضرره. اشتعلت ساقه، وتحدّلت قدمه، وطقطقت رقبته مع كل حركة منه فأرسلت لسعات خبيثة صغيرة لعموده الفقري. نظرًا لحالته فلا بأس. انحنى جاهدًا وانتزع عصاه بإصبعين، وشد نفسه مرة أخرى، ومسح المخاط والدموع بظهر يده. يا للإثارة. هل استمتعت بها؟ بالنسبة إلى أغلب الناس، فالدرجات شيء عادي. أما لي، فهي مغامرة! عرج لنهاية الممر، وهو يضحك

على نفسه سِرًّا. كان ما يزال يبتسم بضعف عندما وصل عند بابهِ ودلف بداخله.

كانوا في صندوق أبيض وضع له بابان متقابلان. أضاءته مصابيح متوهجة بشدة وسقفه كان منخفضاً جداً فلا يمنح الشعور بالراحة. تسلت الرطوبة لإحدى الزوايا فاندلعت فيه بثور الجص المُتَقَشِّرَة وبَقَعته بعفن أسود. هناك بقعة دم طويلة حاول أحدهم إزالتها عن أحد الجدران، لكنه لم يُولِّها الجهد الكافي.

وقف المنفذ فروست في نهاية الغرفة، طاوياً أذرعهُ الضخمة أمام صدره الضخم. أوماً إلى جلوكتا بجمود كالحجر، فأجابه بإيماءة. كانت بينهما طاولة خشبية مشوهة وملطخة بالبقع، مُثَبَّتَة في الأرض ومحاطة بكرسيين، جلس على أحدهما رجل سمين عارٍ، قَيَّدَت يداهُ بإحكام خلفه وغطَّى رأسه بكيس قماشى بُني اللون. الصوت الوحيد المسموع هو صوت أنفاسه السريعة المكتومة. الجو هنا كان بارداً، لكن الرجل كان يتعرق. كما ينبغي له.

خرج جلوكتا حتى وصل عند الكرسي الآخر، واستند على عصاه برفق على حافة الطاولة وجلس ببطء وحذر وألم. مدد عنقه يساراً ويميناً، ثم ترك جسده ينزلق لوضع يكاد يقترب من الراحة. إذا مُنح جلوكتا فرصة مصافحة أي رجل يريد، أي رجل على الإطلاق، لاختار بالتأكيد مُبْتَكِر الكراسي. بالكاد جعل حياتي تُحتمل.

خرج فروست بهدوء من الزاوية وأمسك بطرف الكيس الحر بين إصبع سميكة شاحبة وإبهام أبيض ثقيل. أوماً له جلوكتا فانتزعه المنفذ كاشفاً سالم ريزوز يَرْمَش في الضوء الباهر.

وجهه خبيث، كوجه خنزير قبيح. ريزوز، أيها الخنزير القبيح اللئيم. أيها الخنزير المقزز. أراهن أنك مستعد للاعتراف الآن، مستعد للتحدث والتحدث دون توقف، حتى نسأم جميعاً من حديثك. كانت هناك كدمة داكنة كبيرة على خده وأخرى على فكه فوق ذقنه المزدوجة. وبعدما تكيفت عيناه الدامعتان مع السطوع، تعرف على جلوكتا الجالس أمامه، وامتلأ وجهه فجأة بالأمل. أمل في غير موضعه مع الأسف.

صرخ ومال للأمام بقدر ما سمحت له قيوده: «جلوكتا، يجب أن تساعدني! (وخرجت الكلمات منه باضطراب ويأس) أنا متهم ظلماً، أنت تعرف ذلك، أنا بريء! لقد جئت لمساعدتي، أليس كذلك؟ أنت صديقي! لديك سلطة هنا. نحن

أصدقاء، أصدقاء! يمكنك أن تقول شيئاً لأجلي! أنا رجل بريء، متهم ظلماً! أنا....».

رفع جلوكتا يده ليسكته. حدّق إلى وجه ريزو المألوف للحظة، كما لو أنه لم يره من قبل. ثم التفت إلى فروست: «أيفترض بي أن أعرف هذا الرجل؟». لم ينطق الأمهق. تغطى الجزء السفلي من وجهه بقناع المُنفَّذين، ولم يُعبّر النصف العلوي لديه عن شيء. حدّق إلى السجين على الكرسي دون أن ترمش عيناه الورديتان الميتتان كأعين الجثث. لم يرمش مرة واحدة منذ أن دخل جلوكتا للغرفة. كيف يمكنه فعل ذلك؟

هسهس الرجل السمين: «إنه أنا، ريزو! (وأخذ صوته يحدّد هلعاً) سالم روز، أنت تعرفني يا جلوكتا! كنت معك في الحرب، قبل.. أنت تعرف.. نحن أصدقاء! نحن....».

رفع جلوكتا يده مرة أخرى واتكأ للخلف ينقر بظفره على إحدى أسنانه القليلة المتبقية كما لو كان غارقاً في التفكير: «ريوز. الاسم مألوف. تاجر، عضو في نقابة البرّازين. رجل غني بكل المقاييس. أتذكر الآن.. (وانحنى جلوكتا للأمام، وتوقف ليترك تأثيراً عليه) إنه خائن! قَبَضَ عليه جهاز الاستجواب، وصودرت ممتلكاته. أترى، لقد تأمر ليتهرب من الضرائب الملكية».

انفتح فم روز على مصراعيه. صرخ جلوكتا: «الضرائب الملكية!» وضرب بيده على الطاولة بعنف. حدّق الرجل السمين، بعينين واسعتين، ولحق سنته. الجانب الأيمن العلوي، الثانية من الخلف.

سأل جلوكتا، لا يُوجّه حديثه لأحد بعينه: «لكن أين أخلاقنا؟ قد يكون سبق لنا التعارف أو لم يسبق، لكنني لا أعتقد أنك تعرفت إلى مساعدي بشكل لائق. أيها المنفذ فروست، رَحِّبْ بهذا الرجل السمين».

ضربه بيد مفتوحة لكنها كانت قوية بما يكفي لانتزاع ريزو من مقعده تماماً. اهتز الكرسي قليلاً لكن عدا ذلك لم يتحرك من مكانه. كيف يستطيع فعل ذلك؟ أن تطرح أحدهم أرضاً لكن تترك الكرسي منتصباً مكانه؟ تمدد ريزو يغرغر على الأرض، ووجهه مسطّح على البلاط.

قال جلوكتا بذهن شارد: «يُذَكِّرُنِي بحوتٍ عالق على الشاطئ». أمسك الأمهق ريزو من تحت ذراعه وسحبه لأعلى، وأعادته إلى الكرسي. تسرب الدم

من جرح في خده، لكن عينيه الخنزيريتين أصبحتا ثابتتين الآن. الضربات تُلين معظم الرجال، لكنها تُصلِّب البعض الآخر. لم أكن لأعتبر هذا الرجل صلبًا، لكن الحياة ملأى بالمفاجآت.

بصق ريوذ الدم فوق الطاولة.

- لقد تعديت حدودك هنا يا جلوكتا، هذا مؤكد! نقابة البرّازين نقابة مُشرّفة. ولدينا السلطة! لن يغفروا هذا! أنا رجل معروف! ولا بد أن زوجتي تتقدم الآن بالتماس للملك للاستماع إلى قضيتي!

ابتسم جلوكتا بحزن: «آه، زوجتك. زوجتك امرأة جميلة جدًا. جميلة، وشابة. أخشى أنها ربما تكون شابة أكثر من اللازم بالنسبة إليك. أخشى أنها انتهزت الفرصة لتتخلص منك. أخشى أنها قدمت دفاترك. كل الدفاتر. (بُهِتَ وجه ريوذ) لقد فَحصنا كل تلك الدفاتر، (وأشار جلوكتا إلى كومة وهمية من الأوراق على يساره)، وفحصنا دفاتر خزانة الدولة (مشيرًا إلى كومة أخرى على يمينه)، تخيل دهشتنا عند اكتشافنا عدم التوافق بينها. هذا غير زيارات موظفيك الليلية إلى المستودعات في الحي القديم، والقوارب الصغيرة غير المسجلة، والرشاوى للمسؤولين، والوثائق المزورة. هل أستمروا؟». سأله جلوكتا وهو يهز رأسه في استنكار بالغ.

ابتلع الرجل السمين ريقه ولعق شفثيه.

كان أمام السجين قلم وحبر وورقة مدوّنة عليها، بخط فروست المنمق والمتأنّي، اعتراف مفصل ينتظر التوقيع فحسب. سأحصل عليه هنا والآن.

همس جلوكتا بهدوء: «اعترف، يا ريوذ. ضع نهاية غير مؤلمة لهذه الأعمال المؤسفة. اعترف واكتب أسماء شركائك. نحن نعرفهم بالفعل. سيكون الأمر أسهل علينا جميعًا. لا أريد إيذاءك، صدقني، لن يسعدني ذلك. لا شيء سيفعل. اعترف.. وستنجو. المنفى في أنجلاند ليس سيئًا كما تعتقد. لا يزال هناك لذة في الحياة هناك، والرضا عن يوم عمل شريف في خدمة ملكك. اعترف!».

حدّق ريوذ إلى الأرض يلحق سنّته. تراجع جلوكتا في مقعده وتنهّد: «أو لا تعترف، وسأعود ومعني أدواتي».

تقدم فروست، فسقط ظلّه الهائل على وجه الرجل السمين. قال جلوكتا بعمق: «العثور على جثة عائمة بجوار الميناء، منتفخة بمياه البحر ومشوهة

بشكل رهيب... لا يمكن التعرف عليها نهائياً. إنه مستعد للحدث. إنه سمين وناضج ومستعد للانفجار. هل كانت الإصابات قبل الموت أم بعده؟ (سأل باتجاه السقف مرحاً) هل كان المتوفى رجلاً أم امرأة؟ (هز جلوكتا كتفيه) من يمكنه الجزم؟».

سُمع طرق حاد على الباب. انتفض وجه ريزو، ممتلئاً بالأمل مرة أخرى. ليس الآن، اللعنة! ذهب فروست إلى الباب وفتحه قليلاً. قيل شيء ما. أغلق الباب، وانحنى فروست ليهمس في أذن جلوكتا: «هو ثيفغاغ».

تمتمة متلعثمة فهم منها جلوكتا أن سيفيرارد عند الباب: «فعلًا؟».

ابتسم جلوكتا وأوماً برأسه، كما لو أنها أخبار جيدة. انخفض وجه ريزو قليلاً. كيف يمكن لرجل عمله الكتمان أن يستحيل عليه إخفاء مشاعره في هذه الغرفة؟ لكن جلوكتا عرف السبب. من الصعب أن تظل هادئاً عندما تكون مرتعباً، عاجزاً، وحيداً، تحت رحمة رجال بلا رحمة على الإطلاق. من يعرف ذلك أفضل مني؟ تنهد، وسأل بأكثر الأصوات إنهاكاً في العالم: «هل ترغب في الاعتراف؟».

- لا!

عاد التحدي إلى عيني السجين الخنزيريتين. بادلُ التحديق، وهو صامت، يقظ، وبدأ بمص شيء ما. مدهش. مدهش جداً. ولكننا ما زلنا في البداية: «هل ترعجك هذه السنّة، يا ريزو؟ (لا يوجد شيء لا يعرفه جلوكتا عن الأسنان. فقد عمل الأفضل على فمه. أو الأسوأ، على حسب رؤيتك للأمر) يبدو أنه عليّ تركك الآن، لكن في أثناء غيابي، سأفكر في هذه السنّة. سأفكر بعناية شديدة فيما سأفعله بها (وأمسك بعصاه)، أريدك أن تفكر بي، وتفكر في سنتك. وأريدك أيضاً أن تفكر، بعناية شديدة، في التوقيع على اعترافك. (وقف جلوكتا على قدميه بشكل غريب، يهز ساقه التي تؤلمه) أعتقد أنك ستستجيب للضرب المباشر بشكل جيد، لذا سأتركك بصحبة المنفذ فروست لنصف ساعة. (تحول فم ريزو إلى دائرة صامته من الدهشة. التقط الأمهق الكرسي بالرجل السمين فوقه، ولفه ببطء) إنه الأفضل بالتأكيد في هذه الأشياء. (أخرج فروست زوجين من القفازات الجلدية البالية وبدأ في ارتدائهما بعناية على يديه البيضاء الكبيرة، الإصبع تلو الأخرى) تحب الحصول دائماً على الأفضل في كل شيء، هاه يا ريزو؟».

وصل جلوكتا إلى الباب. صرخ ريز من فوق كتفه: «انتظر! جلوكتا! انتظر أنا سأ...».

وضع المنفذ فروست يده المرتدية القفاز على فم الرجل السمين ووضع إصبعًا على قناعه، قائلاً: «ثثث». انغلق الباب بصوت خافت.

اتكأ سيفيرارد على الحائط في الممر، واضعًا قدمه على الجص خلفه، يصفر بلا لحن تحت قناعه يمرر يده عبر شعره الطويل الخفيف. عندما خرج جلوكتا من الباب، وقف وانحنى انحناء خفيفة، من الواضح على عينيه أنه كان يبتسم. إنه يبتسم دائماً. قال بلكنته الشائعة: «الرئيس كيلين يريد رؤيتك، وأعتقد أنني لم أره أكثر غضبًا قط».

- سيفيرارد، أيها المسكين، لا بد أنك مرعوب. هل معك الصندوق؟

- معي.

- واحتفظت بشيء منه لأجل فروست؟

- فعلت.

- وشيء لزوجتك أيضًا، كما أمل؟

قال سيفيرارد وعيناه تبتسمان أكثر من أي وقت مضى: «نعم، فعلت. سيعتني بزوجتي جيدًا. هذا إذا ما حصلت على واحدة».

- جيد. سأهرع لتلبية استدعاء الرئيس. بعد خمس دقائق من دخولي عنده، ادخل أنت ومعك الصندوق.

- أأقتحم مكتبه هكذا؟

- اقتحم مكتبه أو اطعنه في وجهه، لا أهتم.

- اعتبر أن ذلك حدث، أيها المحقق.

أوماً جلوكتا برأسه، وتحرك مبتعدًا، ثم استدار.

- لا تطعنه حقًا، هاه يا سيفيرارد؟

ابتسم المنفذ بعينه وأغمد سكينه المخيف. أدار جلوكتا عينيه إلى السقف، ثم رحل وهو يعرج، وعصاه تطرق على البلاط، وساقه تنبض. نقر، طرق، ألم. هذا كان إيقاع مشيه.

كان مكتب الرئيس عبارة عن غرفة كبيرة مجهزة بشكل فاخر في طابق علوي من دار الأسئلة، وهي غرفة كان كل شيء فيها كبيرًا جدًا وفارهاً جدًا. هيمنت نافذة ضخمة ومتداخلة على أحد الجدران المكسوة بالألواح الخشبية، فوفرت إطلالة على الحداثق المشذبة بعناية في الفناء أدناه. انتصب مكتب ضخم ومزخرف وسط سجادة غنية بالألوان تبدو قادمة من مكان ما دافئ وعجيب. هناك رأس حيوان شرس يبدو من مكان ما بارد وعجيب معلقًا فوق المدفأة الحجرية الرائعة التي أوشكت ناراها الصغيرة الخبيثة على الانطفاء.

ما جعل المكتب يبدو صغيرًا ورتيبًا هو الرئيس كيلاين نفسه. كان رجلًا ضخماً متورّد البشرة في أواخر الخمسينات من عمره، وقد عوّض تساقط شعره بسوالف بيضاء فخمة. كان وجوده مهيبًا حتى داخل جهاز الاستجواب، لكن جلوكتا كان قد تجاوز مرحلة الخوف، وكلاهما علم ذلك.

هناك كرسي فاخر كبير خلف المكتب، لكن الرئيس كان يتجول ذهابًا وإيابًا وهو يصرخ ويلوح بذراعيه. جلس جلوكتا على شيء رغم أنه بدا ثمينًا بلا شك إلا أنه صُمّم لجعل من يجلس عليه غير مرتاح البتة. لا يزعجني ذلك كثيرًا، فعدم الراحة هو أفضل ما سأحصل عليه.

استمتع بفكرة تعليق رأس كيلاين فوق المدفأة بدلًا من رأس ذلك الحيوان الشرس، في أثناء صراخ الرئيس في وجهه. إنه يشبه مدفأته تمامًا، الأبله الكبير. يبدو مثيرًا للإعجاب، لكن لا شيء يحدث بالداخل. أتساءل كيف سيستجيب إذا حققت معه؟ سأبدأ بتلك السوالف الجانبية السخيفة. لكن كان وجه جلوكتا قناعًا من الانتباه والاحترام.

- حسنًا، لقد تفوقت على نفسك هذه المرة، يا جلوكتا، أيها الأعرج المجنون! عندما يكتشف البرّازون ما يحدث فسيسلخونك!

- لقد جربت السلخ من قبل، إنه يدغدغ.

اللجنة، أبقى فمك مغلقًا وابتسم. أين ذلك الأحقق المُصَفّر سيفيرارد؟ سأسلخه عندما أخرج من هنا.

- آه نعم، هذا جيد، هذا جيد جدًا يا جلوكتا، انظر إليّ وأنا أضحك! والتهرب من الضرائب الملكية؟ (تَجَهَّم الرئيس، وانتفشت شواربه) الضرائب الملكية؟ (صرخ، ناثرًا رذاذ بصقه على جلوكتا) كلهم يفعلون ذلك! البرّازون، العطارون، كلهم! كل أحقق يمتلك قاربًا!

- لكن هذا كان مكشوفًا للغاية، أيها الرئيس. لقد كانت إهانة لنا. شعرت أنه علينا...

- شعرت؟ (احمرَّ وجه كيلين وارتعد من الغضب) قيل لك صراحة أن تبتعد عن البزازين، أن تبتعد عن العطَّارين، أن تبتعد عن جميع النقابات الكبيرة! (أخذ يروح ويحيى بسرعة أكبر من قبل. ستهرئ سجادتك بهذه الطريقة وستضطر النقابات الكبيرة إلى شراء واحدة جديدة لك) شعرت، أليس كذلك؟ حسنًا، سيتحتم عليك أن تعود وتطلق سراحه وسيتحتم عليك أن تلتمس سبيلًا لاعتذار مذل! يا له من عار! جعلتني أبدو سخيًّا! أين هو الآن؟

- تركته بصحبة المنفذ فروست.

- مع هذا الحيوان المتلعثم؟ (شد شعره من اليأس) انتهى الأمر إذن، أليس كذلك؟ لا بد أنه الآن في حال يرثى لها! لا يمكننا إعادته في هذه الحالة! لقد انتهى أمرك هنا يا جلوكتا! انتهى! سأذهب مباشرة إلى المقرئ الأعلى! مباشرة إلى المقرئ الأعلى! (رُكل الباب الضخم ودخل سيفيرارد يتسكع وهو يحمل صندوقًا خشبيًّا. ولم يصل مبكرًا لحظة واحدة. حدق الرئيس، عاجزًا عن الكلام، وفمه مفتوح من الغضب، وألقاه سيفيرارد على المكتب بصوت ارتطام مجلجل) ماذا يعني هذا بحق؟!

فتح سيفيرارد الغطاء، ورأى كيلين المال. كل هذا المال الجميل. توقفت جعجعته في منتصفها، وتجمد فمه عن النطق بالحرف التالي. بدا متفاجئًا، ثم بدا محتارًا، ثم بدا حذرًا. زَمَّ شفتيه وجلس ببطء. قال جلوكتا: «أشكر، أيها المنفذ سيفيرارد. يمكنك الذهاب. (كان الرئيس يمسد سوافه الجانبية بعناية وسيفيرارد يتجول للخارج، وعاد وجهه تدريجيًّا إلى لونه الوردى المعتاد) لقد صُوِّدَ من آل ريوز. بالطبع أصبح الآن ملكية العرش الملكي. فكرت أنه عليَّ إعطاؤك إياه، بصفتك رئيسي المباشر، حتى ترسله لخزانة الدولة. (أو تشتري مكتبًا أكبر، أيها العلقمة. انحنى جلوكتا للأمام ويداه على ركبتيه) يمكنك القول إن ريوز تجاوز حدوده بشكل مبالغ فيه، مما أثار العديد من التساؤلات وأصبح من الضرورة تقديم عبرة. في النهاية، يجب ألا نظهر بمظهر اللامبالين. هكذا ستقلق النقابات الكبرى، وتبقى تحت السيطرة.

سيوترهم حتى يمكنك نهب المزيد منهم. أو يمكنك دائماً القول إنني أعرج مجنون، وتلومني على ذلك».

استطاع جلوكتا رؤية أن الرئيس بدأ يُعجب بالأمر. حاول عدم إظهار ذلك، لكن سوالفه كانت ترتعش عند رؤية كل هذا المال.

- حسنًا، جلوكتا. حسنًا. جيد جدًا. (مد يده وأغلق غطاء الصندوق برفق) ولكن إذا فكرت في فعل شيء كهذا مرة أخرى... تحدث معي أولاً، هلا فعلت؟ أنا لا أحب المفاجآت. (كافح جلوكتا للوقوف على قدميه، وهو يعرج نحو الباب) وشيء آخر! (استدار بصعوبة للخلف. كان كيلاين يحدق إليه بشدة من تحت حواجه الكبيرة الفارحة) عندما أذهب لرؤية البرّازين، سأحتاج إلى اعتراف ريزوز معي.

ابتسم جلوكتا ابتسامة واسعة أظهرت الفجوة المتثابثة في أسنانه الأمامية. - لن تكون هذه مشكلة، أيها الرئيس.

كان كيلاين على حق. من المستحيل أن يعود ريزوز بهذه الحالة. كانت شفتاه مشقوقتين ومُدمتين، وأجنابه مغطاة بكدمات داكنة، وتدلّى رأسه لأحد الأجانب، وانتفخ وجهه حتى أصبح لا يمكن التعرف عليه. باختصار، بدا كرجل مستعد للاعتراف: «لا أتخيل أنك استمتعت بنصف الساعة الماضية يا ريزوز، لا أتخيل أنك استمتعت بها على الإطلاق. ربما كانت أسوأ نصف ساعة في حياتك، لا أستطيع الجزم حقًا. أفكر بما لديك هنا، والحقيقة المحزنة هي... أن هذا هو أفضل ما ستحصل عليه. هذه هي الحياة المترفة. (انحنى جلوكتا للأمم، وأصبح وجهه على بعد بوصات قليلة من كتلة أنف ريزوز الدموية. وهمس له) المنفذ فروست يعتبر فتاة صغيرة مقارنة بي. إنه قطيط. بمجرد أن أبدأ معك يا ريزوز، ستنظر إلى تلك اللحظات بنوع من الحنين. ستتوسل إليّ حتى أمنحك نصف ساعة مع المنفذ. هل تفهم؟ (كان ريزوز صامتًا، باستثناء صفير أنفاسه عبر أنفه المكسور. همس جلوكتا) أره المعدات».

تقدم فروست وفتح الصندوق اللامع بحماس درامي. كان قطعة فنية متقنة باحتراف. عندما فتح الغطاء، ارتفعت الصواني العديدة داخله وانفتحت كالمروحة فظهرت أدوات جلوكتا بكل عَظَمَتِها البشعة. كانت هناك شفرات من كل حجم وشكل، إبر منحنية ومستقيمة، وزجاجات زيوت وأحماض،

ومسامير وبراغ، ومشابك وكماشات، ومناشير، وشواكيش، وأزاميل. تألق المعدن والخشب والزجاج في ضوء المصباح الساطع، وكلها مصقولة لدرجة السطوع كالمرآة وشُحِذَت لدرجة الحِدَّة المميّنة. أغلق عين ريزو اليسرى تمامًا تورم أرجواني كبير تحتها، لكن مسحت الأخرى المعدات برعب وانبهار. كانت وظيفة بعضها واضحة بشكل رهيب، وأخرى وظيفتها غامضة بشكل رهيب. أتساءل ما أكثرها إخافة له؟

غمغم جلوكتا: « كنا نتحدث عن سنتك، على ما أعتقد. (انتفضت عين ريزو لتنظر إليه) أم أنك تريد الاعتراف؟ ».

حصلت عليه، ها هو آتٍ. اعترف، اعترف، اعترف، اعترف.. طرق حاد على الباب. اللعنة مرة أخرى! فتح فروست الباب قليلًا وكان هناك همس وجيز. لعق ريزو شفته المنتفخة. أغلق الباب، وانحنى الأمهق يهمس في أذن جلوكتا: « هو المقي لا لاه ».

تجمد جلوكتا. لم يكن المال كافيًا. أبلغ عني اللقيط العجوز كيلاين المُقرئ الأعلى، وأنا عائد من مكتبه. هل انتهى أمري إذن؟ شعر بالإثارة من الفكرة. حسنًا، سأنتهي من أمر هذا الخنزير السمين أولاً.

- أخبر سيفيرارد أنني قادم.

عاد جلوكتا للتحدث مع سجينه، لكن فروست وضع يده البيضاء الكبيرة على كتفه، وأشار نحو الباب.

- هو المقي لا لاه. هو هاك.

هنا؟ شعر جلوكتا بجفنه يرتعش. لماذا؟ دفع بنفسه على حافة الطاولة ليقف. هل سيجدون جثتي في القناة غدًا؟ ميتة ومنتفخة، مشوهة بشكل.. لا يمكن التعرف عليها نهائيًا؟ العاطفة الوحيدة التي شعر بها في الفكرة كانت نوعًا من الراحة الخفيفة. لا مزيد من الدرج.

وقف المُقرئ الأعلى لجهاز استجواب الملك بالخارج في الممر. بدت الجدران المتسخة خلفه كأنها بنية اللون، كان معطفه الأبيض الطويل وقفازاته البيضاء وخصلات شعره الأبيض نظيفة بشكل متألق. كان قد تجاوز الستين من عمره، لكنه لم يُظهر أيًا من علامات التقدم في العمر. ظهرت أناقته بلا شائبة في كل شبر من طوله، ووجهه الحليق، وعظامه الدقيقة. يبدو كرجل لم يتفاجأ بشيء في حياته مطلقًا.

كانا قد التقيا قبل ست سنوات عندما انضمّ جلوكتا إلى جهاز الاستجواب، وبدأ أنه بالكاد تغير. المُقرئ الأعلى سولت. واحد من أقوى الرجال في الاتحاد. واحد من أقوى الرجال في العالم. لاح خلفه مُنْقَذان صامتان كظلال ضخمة متشحة بأقنعة سوداء.

ظهرت ابتسامة نحيلة على وجه المُقرئ الأعلى عندما رأى جلوكتا يخرج من بابه. قالت الكثير، تلك الابتسامة. بعض الازدراء، بعض الشفقة، قدر بسيط من الوعيد. قد تعني أي شيء عدا الإعجاب. قال: «المحقق جلوكتا»، مد يداً ترتدي قفازاً أبيض براحتها لأسفل، ولمع على إصبعها خاتم بحجر أرجواني ضخم.

- في الخدمة والطاعة، سماحتك.

لم يستطع جلوكتا منع تجهمه وهو ينحني ببطء لتلمس شفاته الخاتم. مناورة صعبة ومؤلمة، بدا أنها ستستغرق الأبد. بعدما تمكن أخيراً من رفع نفسه في وضع مستقيم، كان سولت يحدق إليه بهدوء بعينين زرقاوين باردتين. نظرة تشير أنه فهم جلوكتا تماماً، ولم يكن مبهوراً.

- تعال معي.

استدار المُقرئ الأعلى واتجه لنهاية الممر. عرج جلوكتا خلفه، والصامتون يسرون خلفهم. تحرك سولت بثقة هادئة وسلسة، وأطراف معطفه ترفرف خلفه في أناقة. اللقيط. سرعان ما وصلا إلى باب مشابه تماماً لبابه، فتحه المُقرئ الأعلى ودلف للداخل، ووقف المنفذون على جانبي المدخل، وأذرعهم مطوية. مقابلة خاصة إنزن. مقابلة ربما لن أغادرها أبداً. عبر جلوكتا العتبة.

صندوق من الجص الأبيض القذر مضاء بشكل ساطع وسقفه منخفض جداً فلا يمنح الراحة. به صدع كبير بدلاً من رقعة الرطوبة، عدا ذلك كان مطابقاً لغرفته الخاصة. كان به الطاولة المشوّهة، والكراسي الرخيصة، حتى إنه احتوى على بقعة الدم سيئة التنظيف. أتساءل إن كانت تُرسم عن قصد لترك تأثير؟ أغلق أحد المنفذين الباب فجأة بضجة عالية. كان يفترض بجلوكتا أن يقفز، ولكنه لم يكثرث.

جلس المُقرئ الأعلى سولت برشاقة على أحد المقاعد، ووضع رزمة سميكة من الأوراق المصفرة على الطاولة أمامه. أشار بيده إلى الكرسي الآخر، الكرسي الذي يستخدمه السجين. لم يغب عن جلوكتا دلالات ما يحدث.

- أفضل أن أقف، سماحتك.

ابتسم سولت له. كانت لديه أسنان جميلة مدببة، كلها بيضاء لامعة.

- لا، أنت لا تفضّل ذلك.

إنه محق في ذلك. بينما جلس جلوكتا بلا رشاقة على كرسي السجين كان المُقرئ الأعلى يقلب الصفحة الأولى من رزمة الوثائق، عبس وهز رأسه بلطف كما لو كان محبطاً بشكل رهيب مما رآه. ربما كانت تفاصيل مسيرتي المرموقة؟

- لقد زارني الرئيس كيلين منذ وقت ليس ببعيد. كان مستاءً للغاية. (خرجت عينا سولت الزرقاوان الجامدتان من أوراقه) مستاء منك يا جلوكتا. كان صريحاً جداً في هذا الموضوع. أخبرني أنك بلاء لا يمكن السيطرة عليه، وأنت تتصرف دون التفكير في العواقب، وأنت أعرج مجنون. وطالب بإقالتك من إدارته. (ابتسم المُقرئ الأعلى، ابتسامة باردة بغیضة، من النوع الذي يستخدمه جلوكتا على سجنائه. ولكن بمزيد من الأسنان) أعتقد أن ما قصده أن تُزال.. كلياً.

حدقوا إلى بعضهم عبر الطاولة.

هل حان وقت التوسل للرحمة؟ أهو الوقت الذي أزحف فيه على الأرض وأقبل قدميك؟ حسناً، لا أهتم ما يكفي للتوسل، وجسدي متخشب فلا يمكنني الزحف. على منفذيك أن يقتلوني وأنا جالس مكاني. ينحروا عنقي. أو يهشموا رأسي. أيّاً كان ما داموا سينهون الأمر سريعاً.

لكن سولت لم يكن في عجلة من أمره. تحركت يداه في القفازات البيضاء بعناية، ودقة، تَفَقَّعت الصفحات في أثناء تقليبيها: «لدينا القليل من الرجال مثلك في جهاز الاستجواب يا جلوكتا. رجل نبيل، من عائلة متميزة. بطل مبارز، أحد رجال الخيالة الجسورين. رجل هُيئ من قبل ليكون في القمة».

نظر سولت إليه من أعلاه لأسفله كما لو أنه بالكاد يصدق ذلك.

- كان ذلك قبل الحرب، أيها المُقرئ الأعلى.

- هذا واضح. تأسى الكثير بعد القبض عليك، وأمل القليل في عودتك حيًّا. مع استمرار الحرب ومرور الشهور، تضاعل الأمل إلى لا شيء، ولكن بعدما وَقَّعت الاتفاقية، كنت من بين هؤلاء الأسرى العائدين إلى الاتحاد. (نظر إلى جلوكتا بعينين ضيقتين وسأله) هل اعترفت؟

لم يستطع جلوكتا منع نفسه من الضحك الصاخب. تردد صده بشكل غريب في الغرفة الباردة. لم يكن صوتًا تسمعه هنا عادةً.

- هل اعترفت؟! لقد اعترفت حتى جف حلقي تمامًا. أخبرتهم بكل ما يمكنني التفكير فيه. صرخت بكل سر سمعته، ثرثرت كالأحمق. عندما نفدت مني الأشياء التي يمكنني الاعتراف بها، اختلقت أشياء. تبولت على نفسي وبكيت كالفتاة. الجميع يفعل ذلك.

- لكن ليس الجميع من ينجو. سنتان في سجون الإمبراطور. لم ينجُ أي أحد آخر لنصف هذه المدة. تيقن الأطباء من عدم مغادرتك لسريرك مرة أخرى، ولكنك بعدها بعام تقدمت بطلب للانضمام إلى جهاز الاستجواب. (كلانا يعرف ذلك. كنا معًا تلك اللحظة. ماذا تريد مني، ولماذا لا تنتهي من الأمر؟ أعتقد أن بعض الرجال يحبون سماع أصواتهم) قيل لي إنك أصبحت أعرج، وإنك مُحطَّم، ولا يُرجى إصلاحك أبدًا، ولا يُمكن الوثوق بك أبدًا. لكنني كنت أُميل لإعطائك فرصة. بعض الحمقى يفوزون بالمسابقات كل عام، وتنتج الحروب العديد من الجنود الواعدين، لكن إنجازك في البقاء على قيد الحياة هذين العامين كان فريدًا. لذلك أرسلت إلى الشمال، وأصبحت مسؤولًا عن أحد مناجمنا هناك. ما رأيك في أنجلاند؟

حوض قذر من العنف والفساد. سجن استعبدنا فيه الأبرياء والمذنبين على حد سواء تحت مسمى الحرية. جُحر قذر نرسل إليه من نكرهم ومن نخجل منهم ليموتوا بالجوع والمرض والأشغال الشاقة. قال جلوكتا: «كانت باردة».

- وأنت أيضًا كنت كذلك. كَوَّنت القليل من الصداقات في أنجلاند. قلة ثمينة من جهاز الاستجواب، ولا أحد من المنفيين. (انتزع رسالة مهترئة من بين الأوراق وألقى نظرة ناقدة عليها) أخبرني الرئيس جويل أنك جامد المشاعر، ليس لديك شعور مطلقًا. اعتقد أنك لن تحقق شيئًا، وأنه لا يمكن الاستفادة منك. (جويل. ذلك الوغد. ذلك الجزار.

أَفْضَلُ أَلَا أَمْلِكُ مَشَاعِرَ عَلَيَّ أَلَا أَمْلِكُ عَقْلًا) لَكِنْ بَعْدَ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ، ارْتَفَعَ الْإِنْتِاجُ. لَقَدْ تَضَاعَفَ فِي الْوَاقِعِ. لِذَلِكَ أُعِدَّتْ إِلَى أَدْوَاءٍ لِلْعَمَلِ تَحْتَ قِيَادَةِ الرَّئِيسِ كَيْلَايْنِ. اعْتَقَدْتَ أَنَّكَ رُبَّمَا سَتَكْتَسِبُ الْإِنْضِبَاطَ مَعَهُ، لَكِنْ يَبْدُو أَنَّي كُنْتُ مَخْطِئًا. أَنْتَ تَصْرُحُ عَلَيَّ الْمَاضِي بِطَرِيقَتِكَ الْخَاصَّةِ. (عَبَسَ الْمُقَرَّرُ الْأَعْلَى إِلَيْهِ) لَاكُونُ صَرِيحًا، أَعْتَقَدُ أَنَّ كَيْلَايْنِ يَخَافُ مِنْكَ. أَعْتَقَدُ أَنَّهُمْ جَمِيعًا كَذَلِكَ. إِنَّهُمْ لَا يَحْبُونَ غَطْرَسَتَكَ، وَلَا يَحْبُونَ أَسَالِيْبِكَ، وَلَا يَحْبُونَ.. رُؤْيَتَكَ الْخَاصَّةَ لَعْمَلِنَا.

- وَمَا رَأَيْكَ أَنْتَ، أَيُّهَا الْمُقَرَّرُ الْأَعْلَى؟

- بَصْرَاحَةً؟ لَسْتُ مَتَأَكَّدًا أَنَّي أَحِبُّ أَسَالِيْبَكَ كَثِيرًا أَيْضًا، وَأَشْكُ فِي اسْتِحْقَاقِكَ لَغَطْرَسَتِكَ. لَكِنِّي أَحِبُّ نَتَائِجَكَ. أَحِبُّ نَتَائِجَكَ كَثِيرًا.

صَفَعَ رِزْمَةَ الْأَوْرَاقِ فَأَغْلَقَهَا وَوَضَعَ إِحْدَى يَدَيْهِ فَوْقَهَا، وَمَالَ فَوْقَ الطَّائِلَةِ نَحْوَ جُلُوكْتَا (كَمَا أَمِيلُ نَحْوَ سَجْنَائِي عِنْدَمَا أَطْلُبُ مِنْهُمْ الْاعْتِرَافَ): «عِنْدِي مَهْمَةٌ لَكَ. مَهْمَةٌ سَتَسْتَغْلُ مَوَاهِبَكَ بِشَكْلِ أَفْضَلِ مِنْ مَطَارِدَةِ الْمُهَرَّبِينَ الصَّغَارِ. مَهْمَةٌ قَدْ تَسْمَحُ لَكَ بِاسْتِرْدَادِ سَمْعَتِكَ فِي أَعْيُنِ جِهَازِ الْاسْتِجْوَابِ. (تَوَقَّفَ الْمُقَرَّرُ الْأَعْلَى لِلْحِظَّةِ طَوِيلَةٍ) أَرِيدُكَ أَنْ تَعْتَثَلَ سَيْبُ دَانِ تَوَيْفَلٍ».

عَبَسَ جُلُوكْتَا، تَوَيْفَلٌ؟

- سَيِّدُ دَارِ سَكِّ الْعَمَلَةِ، سَمَاحَتِكَ؟

- هُوَ نَفْسُهُ.

سَيِّدُ دَارِ سَكِّ الْعَمَلَةِ الْمَلِكِيَّةِ. رَجُلٌ مَهْمٌ مِنْ عَائِلَةٍ مَهْمَةٍ. سَمَكَةٌ كَبِيرَةٌ جَدًّا عَلَى الصَّيْدِ فِي حَوْضِي الصَّغِيرِ. سَمَكَةٌ لَهَا أَصْدِقَاءُ ذَوُو نَفُوزٍ. قَدْ يَكُونُ الْأَمْرُ خَطِيرًا، اعْتَقَالُ رَجُلٍ مِثْلِ هَذَا. قَدْ يَكُونُ قَاتِلًا.

- أَتَسْمَحُ لِي أَنْ أَسْأَلَ لِمَاذَا؟

- لَنْ أَسْمَحَ. دَعْنِي أَقْلِقُ بِشَأْنِ السَّبَبِ. أَنْتَ رَكِزْتَ فِي الْحَصُولِ عَلَى اعْتِرَافٍ.

- اعْتِرَافٍ بِمَاذَا، أَيُّهَا الْمُقَرَّرُ الْأَعْلَى؟

- بِمَاذَا، بِالْفَسَادِ وَالْخِيَانَةِ الْعَظْمَى! يَبْدُو أَنَّ صَدِيقَنَا سَيِّدَ سَكِّ الْعَمَلَةِ كَانَ طَائِشًا لِلْغَايَةِ فِي بَعْضِ تَعَامُلَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ. يَبْدُو أَنَّهُ تَلَقَّى الرِّشَاوَى، وَتَأَمَّرَ مَعَ نَقَابَةِ الْبَرَازِينِ لِلْإِحْتِيَالِ عَلَى الْمَلِكِ. وَبِالتَّالِي سَيَكُونُ مَفِيدًا جَدًّا أَنْ يَعْتَرِفَ عَلَيْهِ أَحَدُ أَعْضَاءِ نَقَابَةِ الْبَرَازِينِ رَفِيعِي الْمَسْتَوَى بِعِلَاقَتِهِ الْمَوْسُفَةِ.

لا يمكن أن يكون وجود أحد أعضاء البَرَّازين رفيعي المستوى عندي في غرفة الاستجواب في أثناء حديثنا مصادفة.

هز جلوكتا كتفيه: «بمجرد أن يبدأ الناس بالتحدث، فالأسماء التي تخرج ستكون صادمة».

- جيد. (لوح المُقرئ الأعلى بيده) يمكنك أن تذهب أيها المحقق. سأحضر غداً في هذ التوقيت لأخذ اعتراف توفيل. يستحسن أن تكون حصلت عليه حينئذ.

تنفس جلوكتا ببطء وهو يتحرك جاهداً في الممر. شهيق، زفير. اهدأ. لم يكن يتوقع مغادرة تلك الغرفة حياً. «والآن أجد نفسي أتحرك بين دوائر قوية. مهمة من المُقرئ الأعلى شخصياً، الضغط للحصول على اعتراف بالخيانة العظمى من أحد أكثر مسؤولي الاتحاد ثقة. داخل أقوى الدوائر، لكن إلى متى؟ ولماذا أنا؟ أبسبب نتائجي؟ أو لأنه لن يفتقدني أحد؟».

- أعتذر عن كل هذه المقاطعات اليوم، حقاً أعتذر، أصبح المكان كالماخور بكل من يأتي ويذهب. (لوى ريزوز شفثيه المشقوقتين والمتورمتين ليُظهر ابتسامة حزينة. يبتسم في وقت كهذا، إنه أعجوبة. لكن كل الأشياء يجب أن تنتهي) لنكن صادقين يا ريزوز. لن يأتي أحد لمساعدتك، لا اليوم ولا غداً ولا أبداً. سوف تعترف. الخيار الوحيد لديك هو متى ستعترف، وما الحال الذي ستكون عليه عندما تفعل. ولا يوجد ما يمكن كسبه حقاً من تأجيلك الاعتراف. باستثناء الألم، لدينا الكثير منه لأجلك.

من الصعب قراءة التعبير على وجه روز المدمم، لكن تدلت كتفاه. غمس القلم في الحبر بيد مرتجفة، وكتب اسمه، مائلاً قليلاً، على الجزء السفلي من ورقة الاعتراف. فزت مرة أخرى. هل قلُّ ألم ساقي؟ هل استعدت أسناني؟ هل ساعدني تدمير هذا الرجل، الذي دعوته ذات مرة صديقاً؟ إذن لماذا أفعل هذا؟ الرد الوحيد الذي أتاها هو خمش السن على الورقة.

قال جلوكتا: «ممتاز (قلب المنفذ فروست الوثيقة) وهذه هي قائمة شركائك؟ (فحص الأسماء بعينه في كسل. حفنة من صغار البَرَّازين، وثلاثة من قباطنة السفن، وضابط من حراس المدينة، واثنان من مسؤولي الجمارك

الصغار. وصفة مملة فعلاً. لنرَ إن كان بإمكاننا إضافة بعض التوابل. قلبها جلوكتا وأرجعها له عبر الطاولة) أضف اسم سيب دان تويفل إلى القائمة يا ريزو».

بدا الرجل السمين مرتبكاً، وتمتم عبر شفثيه المتورمتين: «سيد دار سك العملة؟».

- هذا هو من أقصد.
- لكنني لم أقابل الرجل قط.
- و...؟ (انفجر جلوكتا) افعل ما أقوله لك. (توقف ريزو، وفمه مفتوح قليلاً) اكتب، أيها الخنزير السمين.
- طقطق المنفذ فروست مفاصل أصابعه.
- لعق ريزو شفثيه وتمتم لنفسه وهو يكتب.
- سيب... دان... تويفل.
- ممتاز. (أغلق جلوكتا الغطاء بعناية على معداته المخيفة والجميلة) أنا سعيد أننا لن نحتاج إليها اليوم.
- أغلق فروست السلاسل على معصمي السجين وجذبه واقفاً على قدميه، وبدأ يسير نحو الباب في نهاية الغرفة. صرخ ريزو من فوق كتفه...
- ماذا الآن؟
- أنجلاند يا ريزو، أنجلاند. لا تنسَ أن تحزم شيئاً للتدفئة.
- أغلق الباب خلفه مصدراً صوت تصدُّع. نظر جلوكتا إلى قائمة الأسماء بين يديه التي انتهت باسم سيب دان تويفل. اسم واحد. يبدو في ظاهره مثل الآخرين. تويفل. فقط اسم واحد زائد. لكنه محفوف بالمخاطر.
- كان سيفيرارد ينتظر بالخارج في الممر، مبتسماً كما هو الحال دائماً.
- هل أضع السمين في القناة؟
- لا يا سيفيرارد. ضعه على أول قارب إلى أنجلاند.
- أنت في مزاج رحيم اليوم، أيها المحقق.
- شخر جلوكتا: «الرحمة ستكون القناة. هذا الخنزير لن يتحمل ستة أسابيع في الشمال. انسّه. علينا إلقاء القبض على سيب دان تويفل الليلة».

ارتفع حاجبا سيفيرارد.

- ليس سيد دار العملة؟

- لا أحد غيره. بناء على أوامر صريحة من سماحة المُقرئ الأعلى. يبدو أنه كان يرتشي من البَرَازين.

- أوه، يا للعار!

- سنغادر بمجرد حلول الظلام. أخبر فروست أن يكون مستعدًا.

أوماً المنفذ النحيل، وشعره الطويل يتأرجح. استدار جلوكتا وعرج في الممر، وعصاه تطرق على البلاط المتسخ، وساقه اليسرى تحرقه.
لماذا أفعل هذا؟ سأل نفسه مرة أخرى.

لماذا أفعل هذا؟

لا خيار مطلقًا

استيقظ لوچن برجة مؤلمة. كان مستلقياً بشكل غريب، رأسه ملتو على شيء صلب، وركبته مضمومتان على صدره. فتح عينيه قليلاً بصعوبة. كان المكان مظلمًا، لكن هناك وهجًا خافتًا قادمًا من مكان ما. ضوء خلال الثلج.

طعنه الهلع فقد أدرك أين هو الآن. كان قد گدّس بعض الثلج عند مدخل الكهف الصغير ليحافظ على الدفء قدر ما يستطيع. لا بد أن الثلج تساقط في أثناء نومه، وأغلق عليه المدخل. إذا كان التساقط كثيفًا، فقد يكون هناك الكثير من الثلج في الخارج، أكوام عميقة تتجاوز طول الإنسان. قد لا يتمكن أبدًا من الخروج. ربما تسلق كل الطريق للخروج من الوديان العالية ليلقى حتفه في حفرة صخرية ضيقة لا يستطيع حتى أن يمد ساقيه فيها.

دار لوچن حول نفسه في المساحة الضيقة قدر المستطاع، وبدأ يحفر في الثلج بيديه الخدلتين، يتعثّر فيه، يتصارع معه، يشق طريقه من خلاله، يتمتم باللعنات لنفسه بصوت مكتوم. وفجأة، انساب ضوء ساطع مشرق للغاية. دفع آخر الثلج جانبًا وخرج إلى الهواء الطلق.

كانت السماء زرقاء لامعة، والشمس متوهجة فوقه. رفع وجهه نحوها، أغلق عينيه اللتين تحرقهما الأشعة، وسمح للضوء أن يغمره. الهواء كان باردًا في حلقه لدرجة الألم، باردًا كالسكين. كان فمه جافًا كالتراب، وشعر بلسانه كقطعة من الخشب سيئة النحت. التقط بعض الثلج ودفعه إلى فمه. ذاب، فابتلعه. كان باردًا لدرجة ألمت رأسه.

هناك رائحة مقبرة تنبعث من مكان ما. لم تكن رائحة عرقه الرطب واللاذع، رغم أنها كانت سيئة بما يكفي. كانت رائحة البطانية، التي بدأت تتعفن. لف قطعتين منها حول يديه كقفازات، وربطها على معصميه بخيوط، وأخرى حول رأسه كقلنسوة متسخة وكرهية الرائحة. كما حشا بها حذاءه. والباقي

كان ملفوفًا حول جسده تحت معطفه. كانت رائحتها سيئة، لكنها أنقذت حياته الليلة الماضية، وهذه كانت مقايضة جيدة في رأي لوچن. وستزداد الرائحة سوءًا قبل أن يستطيع التخلص منها.

تخبط لوچن حتى وقف على قدميه ونظر حوله. وإِ ضيق، جوانبه شديدة الانحدار ومختنق بالثلج. أحاطت به ثلاث قمم عظيمة، وأكوام من الحجر الرمادي الداكن والثلج الأبيض تحت السماء الزرقاء. تعرف عليهم. هم أصدقاء قدامى في الواقع. الأصدقاء الوحيدون المتبقون لديه. لقد كان في البقاع العالية. سقف العالم. لقد كان آمنًا.

نطق لنفسه: "آمن"، لكن بلا سرور. آمن من الطعام بالتأكد. آمن من الدفء، بلا شك. لن يزعجه أيُّ من هذين الأمرين هنا. لقد هرب من الشانكا، ربما، لكن كان هذا مكانًا للموتى، وإذا بقي فسوف ينضم إليهم.

كان جائعًا بوحشية. تحول بطنه إلى ثقب عظيم ومؤلم يناديه بصرخات طاعنة. تحسس داخل حقيبته بحثًا عن آخر شريحة من اللحم. شيء قديم بُني دهني مثل غصين جاف. هذه لن تملأ الفجوة داخله، لكنها كل ما يملك. مزقتها بأسنانه، صلبة كجلد حذاء قديم، وابتلعها ببعض الثلج.

غطى لوچن عينيه بذراعه ونظر شمالًا نحو نهاية الوادي، باتجاه الطريق الذي جاء منه في اليوم السابق. انحدرت الأرض تدريجيًا، ففسحت الثلوج والصخور المجال لمرتفعات تغطت بأشجار الصنوبر في الأودية العالية. ثم فسحت الأشجار المجال لشريط متعرج من المراعي، وفسحت التلال العشبية المجال للبحر، ذلك الخط اللامع على الأفق البعيد. الوطن. التفكير فيه جعل لوچن يشعر بالغثيان.

الوطن. هذا المكان الذي كانت فيه عائلته. والده الحكيم والقوي، رجل صالح، قائد جيد لشعبه. زوجته وأطفاله. كانوا عائلة جيدة. لقد استحقوا ابنًا أفضل، وزوجًا أفضل، وأبًا أفضل. كان أصدقاؤه هناك أيضًا، القدامى والجدد معًا. سيكون من الجيد رؤيتهم جميعًا مرة أخرى، جيد جدًا. أن يتحدث مع والده في الردهة الطويلة. أن يلعب مع أطفاله، ويجلس مع زوجته بجانب النهر. أن يناقش التكتيكات مع ثريتريز. أن يصطاد مع الكلب في الوديان العالية، ويقتحما الغابة بالرماح، ويضحكا كالحمقى.

شعر لوچن بتوق مفاجئ ومؤلم. كاد يختنق من ألمه. المشكلة، أنهم ماتوا جميعًا. الردهة أصبحت حلقة من الشظايا السوداء، والنهر أصبح

مصرفًا. لن ينسى أبدًا وقوفه فوق التل، ورؤيته الأطلال المحترقة في الوادي بالأسفل. زحفه عبر الرماد، والتحسس بحثًا عن علامات لهروب أي شخص، جذبه الكلبى من كتفه وطلب منه التخلي عن البحث. ليس هناك سوى الجثث المتعفنة لدرجة عدم التعرف عليها. اكتفى من البحث عن علامات. لقد ماتوا جميعًا بقدر استطاعة الشانكا، وهذا يعني أنهم أصبحوا موتى بالتأكيد. بصق في الثلج بصاقًا بنيًا من اللحم الجاف. موتى باردون ومتعفنون، أو محترقون حتى الرماد. فقد عادوا إلى الوحل.

عدّل لوچن فكه وضم قبضتيه تحت أشلاء البطانية المتعفنة. يمكنه أن يعود إلى أنقاض القرية بجانب البحر، مرة أخرى أخيرة. يمكنه الاندفاع وهدير القتال في حلقه، كما فعل في كارليون، عندما فقد إصبعه واكتسب سمعته. يمكنه إخراج حفنة من الشانكا من العالم. ويشقهم كما شقّ شاما عديم القلب، من كتفه إلى بطنه حتى تساقطت منه أحشاؤه. يمكنه الانتقام لوالده وزوجته وأطفاله وأصدقائه. ستكون هذه نهاية مناسبة لمن أطلقوا عليه اسم التسع الدموية. أن يموت وهو يقتل. هذه أغنية تستحق التغني بها. لكن في كارليون كان شابًا وقويًا، ومعه أصدقاؤه في ظهره. أما الآن فهو ضعيف وجائع ووحيد كل الوحدة. لقد قتل شاما عديم القلب بسيف طويل، وحاد أكثر من أي شيء آخر. نظر إلى سكينه. قد يكون جيدًا، لكنه لن يمنحه سوى انتقام قليل. ومن سيتغنى به على أي حال؟! لم يمتلك الشانكا صوتًا غنائيًا جيدًا وخيالهم كان ضحلًا، هذا لو تعرفوا على المتسول كرية الرائحة الملتحف بالبطانية بعد أن يملؤوا جسده بالسهام. ربما يجب على الانتقام أن ينتظر، على الأقل حتى يملك نصلًا أكبر يمكنه استخدامه. عليك أن تكون واقعيًا، رغم كل شيء.

إلى الجنوب إذن، وليصبح جوّالًا. هناك عمل دائمًا لرجل بمثل مهاراته. عمل شاق ربما، ومظلم، لكنه عمل على أي حال. عليه أن يعترف أن هناك جاذبية في الأمر. ألا يكون لديك من يعتمد عليك سوى نفسك، ألا تكون قراراتك ذات أهمية، ألا تقع حياة أحد أو موته بين يديك. كان لديه أعداء في الجنوب، هذه حقيقة. لكن التسع الدموية تعامل مع الأعداء من قبل.

بصق مرة أخرى. الآن بعد أن أصبح لديه بعض البصاق اعتقد أنه قد يستفيد منه إلى أقصى حد. فكل ما لديه هو البصاق، والقدر القديم، وبعض

بقايا بطانية متعفنة. يموت في الشمال أو يعيش في الجنوب. إلى هذا انتهى أمره، ولم يكن لديه خيار مطلقاً.

فالتواصل. هذا ما فعله دائماً. هذه هي المهمة التي تأتي مع النجاة، سواء كنت تستحق العيش أم لا. تحاول تذكُّر الموتى بأفضل ما تستطيع. تذكُّرهم ببعض الكلمات. ثم تواصل، وتأمل في الأفضل.

أخذ لوِجن نفساً طويلاً وبارداً، وأخرجه بقوة. تمت: «الوداع يا أصدقائي. الوداع». ثم ألقى بحقيبتة على كتفه، واستدار، وبدأ يتخبط عبر الثلج العميق. لأسفل، جنوباً، خارج الجبال.

ما زالت تمطر. مطر خفيف غطى كل شيء بندى بارد، تجمّع على الأغصان، على الأوراق، على الإبر، ونزل في قطرات سميكة كبيرة أغرقت ملابس لوِجن الرطبة وبشرته الرطبة.

تقرّص ساكناً وصامتاً في الدَّغْل الرطب، والماء ينهمر على وجهه، ونصل سكينه البراق يلتصق من البلل. شعر بتحركات الغابة العظيمة وسمع لها ألف صوت. زحف الحشرات اللانهائي، وهرولة الخلد الكفيفة، وحفيف الغزلان الخجل، ونبض النسغ البطيء داخل جذوع الأشجار القديمة. كل كائن حي في الغابة يبحث عن طعامه الخاص، وهو أيضاً كذلك. سمح لذهنه أن يستقر على حيوان قريب منه، يتحرك بحذر في الدغل على يمينه. لذيد. نما الصمت بالغابة إلا من صوت تقاطر المياه من الأغصان الذي لا ينتهي. تقلص العالم فلم يبق فيه سوى لوِجن ووجوبته التالية.

عندما اقترب الحيوان ما يكفي، انقضّ عليه وأسقطه على الأرض المبللة. غزال صغير. ركل وكافح لكنه كان قوياً وسريعاً، قطعنه في عنقه بسكينه ونحر حلقومه. اندفع الدم الحار من الجرح، وانسكب على يدي لوِجن وعلى الأرض الرطبة.

التقط الجثة ودلّاهما على كتفيه. هذه ستكون جيدة في يخنة، ربما مع بعض الفطر. جيدة جداً. وبعد أن يأكل سيطلب من الأرواح الهداية. كانت هداياتهم منعقدة الفائدة، لكن الصحبة ستكون مرحباً بها.

عندما وصل إلى مخيمه كانت الشمس توشك على الغروب. كان مأوى مناسباً لبطل بمنزلة لوِجن، عصّوان تحملان حزمة من الأغصان الرطبة فوق

فجوة في التراب. ومع ذلك، كانت شبه جافة بالداخل، والمطر قد توقف. سيشعل نارًا الليلة. مر وقت طويل منذ أن حصل على وليمة كهذه. نار، كلها له.

لاحقًا، أكل لوِجِن جيدًا واستراح، ودس بفص من فطر التشاجا في غليونه. وجد منه أقرصًا صفراء رطبة كبيرة تنمو قبل عدة أيام عند قاعدة شجرة. كسر جِزلة كبيرة لنفسه، لكنها لم تكن قد جفت بما يكفي للتدخين حتى اليوم. ثم أخذ أفنوناً محترقًا من النيران وحشره في التجويف، وأخذ ينفخ بقوة حتى اشتعل الفطر وبدأ في الاحتراق، فأعطى الرائحة الترابية الحلوة المألوفة.

سعل لوِجِن، ونفث دخانًا بُنيًّا وهدق إلى ألسنة اللهب المتغيرة. عاد عقله إلى أوقات أخرى وحرائق مخيمات أخرى. كان الكلبُ هناك، يبتسم، والضوء يلتصق على أسنانه المدببة. وتولدورو يجلس مقابله، ضخمًا كالجبل، يضحك كالرعد. فورلي الأضعف كان يضحك أيضًا، بتلك العينين المتوترتين اللتين تتحركان بسرعة، دائمًا خائفتان قليلًا. رود ثريتريز كان هناك، وهاردينج الجَهم، لا يقول شيئًا. في الواقع لم يقل شيئًا مطلقًا. لهذا أطلقوا عليه اسم الجَهم.

كانوا جميعًا هناك. لكنهم ليسوا كذلك. لقد ماتوا جميعًا، وعادوا إلى الوحل. طرق لوِجِن الغليون فوق النار ودفعه بعيدًا. لم يعد يتذوقه الآن. كان والده على حق. يجب ألا تدخن وحدك أبدًا.

فك غطاء القنينة المنبجعة، وملأ فمه منها، ونفث رذاذ قطرات صغيرة. ارتفع لهب النيران في الهواء البارد. مسح لوِجِن شفتيه، يتلذذ بالطعم المر والحر. ثم جلس مستندًا إلى جذع الصنوبر الممتلئ بالعُقد، وانتظر.

مر بعض الوقت قبل مجيئهن. ثلاثة. جئن في صمت عبر الظلال الراقصة بين الأشجار وتوجَّهن ببطء نحو النار، أخذن هِيئتهن وهن يتحركن نحو الضوء.

قالت الأولى: «الأصابع التسع».

الثانية: «الأصابع التسع».

الثالثة: «الأصابع التسع»، أصواتهن كألف صوت للغابة.

قال لوجن: «مرحبًا بكم في نيراني (جلست الأرواح تحقق إليه دون تعبير) ثلاث فقط الليلة؟».

تحدثت التي على اليمين أولاً: «كل عام يستيقظ من الشتاء عدد أقل منا. نحن كل ما تبقى. ستمر بضعة شتاءات أخرى، وسننام أيضًا. لن تبقى من تجيب نداءك».

أوما لوجن بحزن: «أي أخبار من العالم؟».

- سمعنا أن رجلًا سقط عن منحدر لكنه انجرف حيًا، ثم عبر الأماكن العالية في بداية الربيع، ملتحفًا ببطانية متعفنة، لكننا لا نثق في مثل هذه الشائعات.

- أنتن حكيما للغاية.

قالت الروح في المنتصف: «شنّ بيثود حربًا».

عبس لوجن: «دائمًا ما يشن بيثود حربًا. هذا ما تعود عليه».

- نعم. انتصر في الكثير من المعارك، بمساعدتك، منح نفسه قبعة ذهبية.

قال لوجن وهو يبصق في النار: «تبًا لذلك اللقيط. وماذا بعد؟».

- في شمال الجبال، يركض الشانكا ويحرقون الأشياء.

قالت الروح في المنتصف: «إنهم يحبون النار».

قالت التي على اليسار: «إنهم يحبونها فعلًا، حتى أكثر من نوعك، يا ذا الأصابع التسع. إنهم يحبونها ويهابونها. (انحنى الروح إلى الأمام) سمعنا أن هناك رجلًا يبحث عنك في المستنقعات إلى الجنوب».

قالت التي في المنتصف: «رجل ذو نفوذ».

قالت التي على اليسار: «مَجُوسِيٌّ من الزمن القديم».

عبس لوجن. سمع عن هؤلاء المجوس. التقى ساحرًا ذات مرة، لكن كان قتله سهلًا. لم يكن لديه قوى خارقة بالضبط، على الأقل لم يلحظها لوجن. لكن مَجُوسِيًّا، فهذا شيء آخر.

قالت الروح في المنتصف: «سمعنا أن المجوس حكيمون وأقوياء، وأن أحدهم يقدر على أخذ الرجل بعيدًا ويريه أشياء كثيرة. لكنهم ماكرون أيضًا، ولهم مقاصدهم الخاصة».

- ماذا يريد؟

- اسأله.

لم تهتم الأرواح كثيرًا بشؤون البشر، كانت ضعيفة دائمًا بشأن التفاصيل. ومع ذلك، كان هذا أفضل من الحديث المعتقد عن الأشجار.

- ماذا ستفعل يا ذا الأصابع التسع؟

استغرق لوچن لحظة للتفكير.

- سأذهب جنوبًا وأجد هذا المَجُوسِيَّ، وأسأله عما يريد مني.

أومأت الأرواح. لم يُظهرن ما إذا كانت الفكرة جيدة أم سيئة. لم يهتمن.

قالت الروح على اليمين: «وداعًا إذن، يا ذا الأصابع التسع، ربما للمرة الأخيرة».

- سأحاول الاستمرار بالنضال دونكن.

أُهدِرت مزحة لوچن عليهن. قمن وابتعدن عن النار، وتلاشين تدريجيًا في الظلام. سرعان ما اختفين، لكن على لوچن أن يعترف بأنهن كن أكثر فائدة مما أمل. لقد أعطينه هدفًا.

سيتجه جنوبًا في الصباح، سيتجه جنوبًا ويجد هذا المَجُوسِيَّ. من يعلم؟ قد يكون متحدثًا جيدًا. على الأقل أفضل من أن يطلق عليه السهام بلا هدف. نظر لوچن إلى النيران، وأومأ ببطء لنفسه.

تذكّر أوقاتًا أخرى وحرائق مخيمات أخرى، عندما لم يكن وحيدًا.

اللعب بالسكاكين

كان يومًا ربيعياً جميلاً في أدوا، أشرقت فيه الشمس بصفاء عبر أغصان أشجار الأرز العطرية، فألقت بظلال مبقعة على اللاعبين بالأسفل. رفر نسيم لطيف عبر الفناء، فأمسكت أوراق اللعب بإحكام وثُبَّتْ بأكواب أو بعملات معدنية. زقزقت الطيور من بين الأشجار، وارتفعت قصقصات البستاني على الجانب البعيد من العشب، محدثة أصداء خافتة مرضية على المباني البيضاء المرتفعة في الساحة المربعة. وبالطبع اعتمد استمتاع اللاعبين بوجود مبلغ كبير من المال في وسط الطاولة على جودة الأوراق بأيديهم.

مؤكد أن النقيب چيزال دان لوثار استمتع بها. لقد اكتشف موهبته الباهرة في اللعبة منذ تكليفه في حرس الملك، وهي موهبة استغلها في كسب مبالغ كبيرة من رفاقه. بالطبع لم يكن في حاجة إلى المال، فهو من عائلة ثرية، لكنه أشعره بوهم التوفير في أثناء الإنفاق بلا حساب. كلما عاد چيزال إلى المنزل، أشعرهم والده جميعاً بالملل من الحديث عن التخطيط المالي الجيد، وكان قد كافأه بشراء شارة النقيب قبل ستة أشهر فقط. لم يكن إخوته سعداء. نعم، كان المال مفيداً بالتأكيد، فلا يوجد شيء أكثر متعة من إذلال الأصدقاء المقربين.

اتكأ چيزال جالساً جزئياً، ومستلقياً جزئياً على مقعد فارداً ساقاً واحدة، تجوّل عيناه على اللاعبين الآخرين. مال الرائد ويست للخلف على قدمي الكرسي الخلفيتين مسافة كبيرة حتى بدا أنه أوشك على الانقلاب تماماً. رفع كأسه باتجاه الشمس، معجباً بالطريقة التي تسلك بها الضوء عبر المشروب الروحي ذي اللون العنبري داخله. بدت ابتسامة خافتة وغامضة وكأنها تقول: أنا لست نبيلاً، وربما أكون أقل شأناً منكم اجتماعياً، لكنني فزت بمسابقة وبتفضيل الملك في ساحة المعركة، وهذا يجعلني الرجل الأفضل، لذا

ستفعلون كما أمركم أيها الصغار. لم يكن الورق لديه جيداً، وفي رأي چيزال، كان حذرًا على أمواله أكثر من اللازم.

جلس الملازم كاسبا للأمام، عابسًا يحك لحيته الشعثة، ويحذر باهتمام إلى أوراقه وكأن بها عمليات حسابية لا يقدر على فهمها. كان شابًا يتمتع بروح الدعابة ولكنه أبله فيما يتعلق بلعب الورق، وقدّر دائمًا ابتياع چيزال المشروبات له من ماله الخاص. ومع ذلك، كان بإمكانه تحمل الخسارة: فقد كان والده واحدًا من أكبر ملاك الأراضي في الاتحاد.

لاحظ چيزال في كثير من الأحيان أن الأغبياء قليلًا يزدادون غباءً مع الصحبة الذكية. بعد أن يفقدوا المكانة العليا، فإنهم يتدافعون بلهفة على مكانة الأحمق المحبوب، ويبتعدون عن أي جدالات خاسرة، حتى يمكنهم أن يصبحوا أصدقاء الجميع. بدت نظرة كاسبا المرتبكة وكأنها تقول: «أنا لست ذكيًا، ولكنني صادق ومحبوب، وهذا أهم بكثير. الذكاء مبالغ فيه. أوه، وأنا غني جدًا جدًا، لذلك يحبني الجميع بغض النظر عن أي شيء».

قال كاسبا: «أعتقد أنني سأستمر معك»، وألقى كومة صغيرة من العملات الفضية على الطاولة فتناثرت وتلاأت في الشمس بصوت جلجلة مبهجة. جَمَعَ چيزال إجمالهم في رأسه بذهن شارد. بزة جديدة ربما؟ دائمًا ما يرتجف كاسبا إذا حمل أوراقًا جيدة، لكنه لم يهتز الآن. أن تقول إنه يخادع يعني الإغلاء مما يفعل، الأرجح أنه شعر بالملل من البقاء حتى نهاية الدور. لم يكن لدى چيزال أدنى شك في أنه سينهار كخيمة رخيصة في الدور التالي من الرهان.

عبس الملازم چالينهورم وألقى أوراقه على الطاولة متذمرًا: «لم أنل اليوم سوى الهراء! (جلس على كرسيه وأحنى كتفيه العريضتين بتعبير متجهم يقول) أنا ذكوري ضخم سريع الغضب، لذا على الجميع معاملتي باحترام». الاحترام هو بالضبط ما لم يقدمه له چيزال قط على طاولة اللعب. قد يكون المزاج السيئ مفيدًا في القتال، لكنه يمثل عبئًا إذا تعلق الأمر بالمال. من المؤسف أن ورقه لم يكن أفضل قليلًا، وإلا لتمكن چيزال من استفرازه وحرمانه نصف راتبه. اجترع چالينهورم كأسه ومد يده إلى الزجاجة.

الأخير هو برنت، الأصغر والأفقر في المجموعة. لعق شفثيه بتعبير حذر ويائس بعض الشيء، تعبیر بدا أنه يقول: «أنا لست صغيرًا أو فقيرًا. أستطيع خسارة هذا المال. أنا لست أقل أهمية من بقيتكم». كان لديه الكثير من المال

اليوم، ربما قبض راتبه للتو. وربما هذا هو كل ما لديه ليعيش عليه لشهرين مقبلين. خطط چيزال لأخذ هذا المال منه وإهداره كله على النساء والشراب. كان عليه أن يمنع نفسه من الضحك على الفكرة. يمكنه الضحك عندما يفوز بهذه الجولة. جلس برنت ونظر بعناية. ربما سيستغرق بعض الوقت حتى يتخذ قراره، لذا أخذ چيزال غليونته عن الطاولة.

أشعله على المصباح المُجهز خصيصاً لهذا الغرض، ثم نفخ حلقات غير منتظمة من الدخان في أغصان شجرة الأرز. لم تكن مهارته في التدخين نصف تلك في لعب الورق، لسوء الحظ، أغلب تلك الحلقات لم تكن أكثر من نفثات قبيحة من بخار بني مصفر. إذا كان صادقاً تماماً، فهو لم يستمتع حقاً بالتدخين. جعله يشعر بالغثيان بعض الشيء، لكنه كان عصرياً للغاية ومكلفاً للغاية، وسيلعن چيزال قبل أن يفوت شيئاً عصرياً لمجرد أنه لم يعجبه. إلى جانب أن والده قد اشترى له غليوناً عاجياً جميلاً آخر مرة كان فيها في المدينة، وبدا شكله جيداً جداً عليه. لم يسعد إخوته بذلك كذلك، إذا فكرت في الأمر.

قال برنت: «سأشارك».

أرجح چيزال ساقه عن المقعد: «إذن سأزيدك مئة مارك تقريباً». ودفع بكومة عملات كاملة إلى وسط الطاولة. استنشق ويست الهواء عبر أسنانه. سقطت عملة معدنية من أعلى الكومة على حافتها وتدحرجت على الخشب ثم سقطت على البلاط بالأسفل مصدرةً رنيناً معدنيّاً معروفاً. قفز رأس البستاني على الطرف الآخر غريزياً، قبل أن يعود إلى قص العشب.

دفع كاسبا أوراقه بعيداً كما لو أنها تحرق أصابعه وهز رأسه. قال نادباً حظه: «تباً يا لي من لاعب ورق أحمق!» ومال للخلف بظهره على جذع الشجرة البني الخشن.

حدق چيزال مباشرة إلى الملازم برينت، وعلى وجهه ابتسامة طفيفة لا تدل على شيء. قال چالينهورم: «إنه يخادع، لا تدعه يتلاعب بك يا برنت».

قال ويست: «لا تفعل أيها الملازم»، لكن علم چيزال أنه سيفعل. يريد أن يبدو وكأنه يستطيع تحمل الخسارة. لم يتردد برنت، دفع كل عملاته المعدنية بتباهٍ طائش.

- هذه مئة، تقريباً.

بذل برينت قصارى جهده ليبذو بارعًا أمام الضباط الأكبر، لكن صوته حمل نبرة هلع جذابة.

قال چيزال: «لا بأس، نحن جميعًا أصدقاء هنا. ماذا لديك أيها الملازم؟» - لدي أرض.

كانت عينا برينت محمومتين نوعًا ما وهو يُظهر أوراقه للمجموعة.

تلذذ چيزال بالجو المتوتر. عبس، ثم هز كتفيه، ثم رفع حاجبيه. حك رأسه كأنه يفكر. شاهد تعبير برنت يتغير مع كل تعبير يقوم به. الأمل، اليأس، الأمل، اليأس. أخيرًا فرد چيزال أوراقه على الطاولة: «انظر. لدي شمس مرة أخرى».

أصبح وجه برنت كالصورة. تنهد ويست وهز رأسه. عبس چالينهورم وقال: «كنت متأكدًا أنه يخادع».

سأل كاسبا وهو ينقر قطعة نقدية تائهة على الطاولة: «كيف يفعل ذلك؟». هز چيزال كتفيه: «الأمر يتعلق باللاعبين، لا بالورق». وبدأ في جرف كومة الفضة وبرنت ينظر إليه شاحب الوجه، ويصر على أسنانه. رن المال في الحقيقية بصوت سار، سار لچيزال، على أي حال. سقطت عملة معدنية من الطاولة بجوار حذاء برنت. سأل چيزال بابتسامة حلوة: «ألا يمكنك أن تحضرها لي أيها الملازم؟».

وقف برنت سريعًا، وطرق على الطاولة فجعل العملات المعدنية والأكواب تتقاذف وتهتز. قال بصوت أحش: «لدي أشياء أقوم بها»، ثم أزاح بكتفه چيزال بخشونة، فدفعه نحو جذع الشجرة، وسار بخطى واسعة لنهاية الفناء ودلف خافضًا رأسه لمبيت الضباط.

- رأيتم ذلك؟ (وزاد استياء چيزال مع كل لحظة) يصطدم بي هكذا، هذا غير لائق! وأنا ضابطه الأعلى كذلك! سأكتب تقريرًا بهذا! (ردت عليه أصوات جماعية مستنكرة عند ذكره للتقارير) حسنًا، إنه خاسر سيئ على أي حال!

نظر إليه چالينهورم بصرامة من تحت حاجبيه: «لا ينبغي أن تزدرية بشدة هكذا. إنه ليس غنيًا. لا يمكنه تحمل الخسارة».

انفجر چيزال: «حسنًا، إن لم يكن قادرًا على تحمل الخسارة، فيجب ألا يلعب! ثم من أخبره أنني كنت أخادع؟ عليك أن تُبقي فمك الكبير مغلقًا!».

قال ويست: «إنه مستجد هنا ويريد التأقلم فحسب. ألم تكن مستجدًا ذات يوم؟».

تذكر چيزال عندما كان مستجدًا بوضوح مؤلم أشعره ببعض الخجل: «من تكون؟ أنت والدي؟!».

لوح كاسبا بيده: «سأقرضه بعض المال، لا تقلق».

قال چالينهورم: «لن يأخذه».

- هذا شأنه إذن. (أغمض كاسبا عينيه وأدار وجهه نحو الشمس) حارة. لقد انتهى الشتاء بالفعل. لا بد وأنها تجاوزت منتصف النهار.

صاح چيزال وهو ينهض ويجمع أغراضه: «تبًا!».

توقف البستاني عن تقليم العشب ونظر إليهم: «لماذا لم تقل شيئًا يا ويست؟».

رد الرائد: «من أكون، أنا والدك؟!» فضحك كاسبا.

قال چالينهورم وهو ينفخ خديه: «تأخرت مرة أخرى. اللورد مارشال لن يكون سعيدًا!».

اختطف چيزال أسلحة المبارزة وركض نحو الجانب البعيد من العشب. سار الرائد ويست خلفه بتمهل. صاح چيزال: «هيا بنا!».

قال: «أنا خلفك مباشرة يا نقيب. خلفك تمامًا».

- اطعن، اطعن، يا چيزال، اطعن، اطعن!

صرخ به اللورد مارشال فاروز وضرب ذراعه بعصاه.

صرخ چيزال: «آه» ورفع القضيب المعدني مرة أخرى.

- أريد رؤية ذراعك اليمنى تتحرك، أيها النقيب، تندفع كالثعبان! أريدها أن تعميني من فرط سرعتها!

طعن چيزال طعنيتين طائشتين بكتلة حديد بدائية. كان تعذيبًا مطلقًا. أحرقته أصابعه ومعصمه وساعده وكتفه من الجهد. تبلل جسده كاملاً بالعرق حتى تطايرت قطرات كبيرة من وجهه. تجاهل المارشال فاروز محاولاته الضعيفة: «والآن، اقطع! اقطع باليسرى!».

أرجح چيزال مطرقة الحداد الضخمة نحو رأس العجوز بكل قوة ذراعاً اليسرى. بالكاد كان يقدر على رفع الشيء اللعين وهو في يوم جيد. تنحى المارشال فاروز جانباً دون عناء وضربه على وجهه بالعصا.

ناح چيزال: «آوو!» وهو يتعثّر للخلف. تعثّر في المطرقة فسقطت على قدمه: «آآر!». علق القضيب الحديدي بالأرض وهو ينحني ليمسك أصابع قدميه التي تصرخ. شعر بألم لاسع بعدما وجّه فاروز لمؤخرته ضربة تردد صداها الحاد عبر الفناء، وتمدد على وجهه. صاح العجوز: «هذا مؤسف! أنت تخرجني أمام الرائد ويست!».

كان الرائد يؤرجح كرسيه إلى الخلف ويرتعث من الضحك المكتوم. حدّق چيزال إلى حذاء المارشال الملّمع بشدة، ولم يجد أي حاجة ملحّة للنهوض. صاح فاروز: «انهض أيها النقيب لوثر! فوقتي أنا على الأقل ثمين!». - حسناً! حسناً!

تسلق چيزال ليقف على قدميه بصعوبة، ووقف يتمايل في الشمس الحارقة، ويلهث بحثاً عن الهواء، ويتصبّب بالعرق. اقترب منه فاروز وتشمّم أنفاسه، انتفشت شواربه الرمادية وسأله: «أبدأت بالفعل في الشرب اليوم؟ والبارحة كذلك بلا شك!». لم يكن لدى چيزال أي رد.

- اللعنة عليك إذن! لدينا عمل نقوم به أيها النقيب لوثر، ولن أستطيع القيام به وحدي! أربعة أشهر حتى المسابقة، أربعة أشهر لنجعل منك مبارزاً محترفاً!

انتظر فاروز الرد، لكن چيزال لم يستطع التفكير في رد. كان يقوم بذلك فقط لإسعاد والده، لكنه لم يعتقد أن هذا هو ما أراد سماعه الجندي العجوز، وهو لا يريد التعرض للضرب مرة أخرى. صرخ فاروز في وجه چيزال، واستدار بعيداً: «باه!»، والعصا مشدودة بقوة خلفه بكلتا يديه.

نطق چيزال: أيها «المارشال فاروز...»، لكن قبل أن يتمكن من الانتهاء، استدار الجندي العجوز وطعنه في بطنه.

قالها چيزال وهو يغرق على ركبتيه: «غارغ». وقف فاروز فوقه: «ستذهب في جولة ركض قصيرة لأجلي أيها النقيب».

- آآرج.

- ستركض من هنا إلى برج السلاسل. وستصعد لأعلى البرج وتخرج من الدروة. سنعرف عندما تصل، لأنني والرائد سنستمتع بلعبة المربعات في استرخاء أعلى السطح. (وأشار إلى المبنى المكون من ستة طوابق خلفه) حيث سيمكننا رؤية أعلى البرج بوضوح. وسأكون قادرًا على رؤيتك بمنظاري المُقَرَّب، لذا لن يمكنك الغش هذه المرة!

وضرب چيزال على رأسه. قال چيزال وهو يفرك فروة رأسه: «آه».

- بعد أن تُظهر نفسك على السطح، ستعود جريًا بأسرع ما يمكنك، وأنا أعلم أن هذا ما ستفعله، لأنك إذا لم تعد قبل أن نُنهي لعبتنا، فستعيد الجولة مرة أخرى. (جفل چيزال، وأكمل) الرائد ويست ممتاز في لعبة المربعات، لذا سيستغرق مني نصف ساعة للتغلب عليه. أقترح أن تبدأ على الفور.

وقف چيزال يترنح حتى وقف على قدميه وركض نحو الممر في الجانب البعيد من الفناء، وهو يتمتم بالشئائم. صاح فاروز خلفه: «ستحتاج إلى التحرك أسرع من ذلك، أيها النقيب!».

كانت ساقا چيزال عبارة عن كتلتين من الرصاص، لكنه دفعهما للتحرك. صاح الرائد ويست بمرح: «لا تنسَ رفع ركبتيك!».

انطلق چيزال يجر جر قدميه عبر الممر، متجاوزًا الحارس المبتسم بتكلف بجوار الباب، ثم خرج إلى الطريق المُشَجَّر العريض. ركض متجاوزًا جدران الجامعة المغطاة باللباب يلعن فاروز ويست بأنفاسه المنقطعة، ثم بالقرب من كتلة دار الأسئلة الخالية من النوافذ تقريبًا، وجد بوابته الأمامية الثقيلة مغلقة بإحكام. مر ببضعة موظفين عديمي الملامح يسرعون في هذا الاتجاه وذاك، لكن الأجيرونات كانت هادئة ذلك الوقت بعد الظهر، ولم ير چيزال أحدًا مثيرًا للاهتمام حتى وصل إلى الحديقة.

جلست ثلاث شابات متأنقات تحت ظل شجرة صفصاف على جانب البحيرة، ترافقهن وصيفة مسنة. زاد چيزال من سرعته على الفور، واستبدل بالوجه المُعَذَّب ابتسامة غير مكتنئة.

حياهنَّ وهو يمر سريعًا: «سيداتي». سمعن يضحك مع بعضهن بعضًا خلفه، فهنأ نفسه بصمت، لكنه أبطأ لنصف سرعته بمجرد أن غاب عن الأنظار.

تمتم لنفسه: «اللعنة عليك يا فاروز» وهو يكاد يتمشى عندما وصل إلى طريق الملوك، لكن كان عليه أن يزيد سرعته فوراً. فلم يكن ولي العهد لاديسلا يبعد أكثر من عشرين خطوة، يخاطب حاشيته الضخمة مبهرجة الألوان.

صاح سموه: «أيها النقيب لوثار! اركض بكل ما تستحقه! راهنت عليك بألف مارك لتفوز بالمسابقة!» لمعت أزواره الذهبية بشدة تحت أشعة الشمس. كان چيزال متأكداً بما لا يدع مجالاً للشك أن الأمير يدعم بريمر دان جورست بما يصل إلى ألفي مارك، لكنه انحنى على أي حال بأقصى ما يستطيع في أثناء الركض. هلت وصاحت حاشية الأمير المتأنقة بالتشجيع الفاتر ناحيته وهو يبتعد. هسهس چيزال من تحت أنفاسه: «يا للحمقى الملاعين»، لكنه ود أن يكون واحداً منهم.

مر على يمينه ستمائة عام من تماثيل الملوك الأعلى الحجرية الضخمة، وعلى يساره تماثيل أتباعهم المخلصين، لكنها أصغر حجماً بعض الشيء. أوماً برأسه إلى المَجُوسِيَّ العظيم باياز قبل أن يصل إلى ميدان المارشالات، لكن الساحر كان عابساً باستهجان كالمعتاد، لم تُنْقَص شيئاً من هيبة تعبير وجهه بقعة فضلات الحمام البيضاء على خذه الحجري.

مع انعقاد المجلس المفتوح، كادت تكون ساحة الميدان فارغة، ووصل چيزال إلى بوابة القاعات العرفية بسهولة. أوماً إليه رقيب ضخم في أثناء مروره، فتساءل چيزال داخله إذا كان أحد أفراد سريته، فالجنود عادة كلهم متشابهون. تجاهل الرجل وركض بين المباني البيضاء الشاهقة.

غمغم چيزال: «هذا رائع». كان چالينهورم وكاسبا جالسين عند مدخل برج السلاسل، يدخان الغليون ويضحكان. لا بد أن الأوغاد خمنوا أنه سيأتي من هذا الطريق.

صرخ كاسبا، وهو يهز سيفه في غمده في أثناء مرور چيزال جواره: «من أجل الشرف والمجد! (ثم صرخ من ورائه) لا تجعل اللورد مارشال ينتظرك!». وسمع چيزال الرجل الضخم يزأر مستمتعاً.

قال چيزال لاهناً: «يا للحمقى الملاعين» وهو يفتح الباب الثقيل بكتفه، ويلهث في أثناء صعوده السلم الحلزوني الحاد. كان واحداً من أعلى الأبراج في الأجرىوننت بإجمالي متئين وإحدى وتسعين درجة. لعن سراً: «يا للدرجات الملعونة!». عند وصوله إلى الدرجة المئة كانت ساقاه تحرقانه وصدره

منتفخًا. وعندما وصل إلى المئتين أصبح حطامًا. مشى بقية الطريق، وكل وقّع لقدمه يعذبه، وأخيرًا خرج مندفعًا من البرج إلى السطح وانحنى على الدروة، وعيناه ترمشان من السطوع المفاجئ.

باتجاه الجنوب، امتدت المدينة تحته، سجادة لا نهاية لها من المنازل البيضاء الممتدة حول الخليج المتلائي. وفي الاتجاه الآخر، كان المشهد المطل على الأجيوننت أكثر إثارة للإعجاب. خليط مربك من المباني الرائعة المكسدة الواحدة تلو الأخرى تتخللها مروج خضراء وأشجار كبيرة، ويحيطها خندق عريض وجدار باسق مرصع بمئة برج شاهق. شق طريق الملوك منتصفها حتى مجلس اللورد الذي لمعت قبته البرونزية في ضوء الشمس. انتصبت أبراج الجامعة الشاهقة خلفه، ومن بعدها لاح دار الصانع بضخامته القائمة يرتفع عاليًا فوق كل شيء كجبل مظلم، ويلقي بظلاله الطويلة على المباني بالأسفل.

بدا لچيزال أنه رأى الشمس تنعكس على عدسة منظار المارشال فاروز من بعيد. لعن مرة أخرى وتوجه إلى الدرج.

شعر چيزال بارتياح كبير عندما وصل أخيرًا إلى السطح ورأى أنه ما زال هناك بعض القطع البيضاء على اللوح.

عبس المارشال فاروز في وجهه: «أنت محظوظ جدًا. لقد أقام الرائد دفاعًا حازمًا بشكل غير متوقع. (ارتسمت ابتسامة على وجه ويست) لا بد أنك اكتسبت احترامه بطريقة ما، حتى لو لم تحظَ باحترامي بعد».

انحنى چيزال وأسند يديه على ركبتيه، يتنفس بصعوبة ويقطر عرقًا على الأرض. أخذ فاروز الحقيبة الطويلة عن الطاولة، ومشى نحو چيزال وفتحها: «أرنا حركاتك».

أخذ چيزال السيف القصير في يده اليسرى والسيف الطويل في يده اليمنى. شعر بوزنهما الخفيف كالريش مقارنةً بالحديد الثقيل. تراجع المارشال فاروز خطوة: «فلتبدأ».

اتخذ الحركة الأولى، الذراع اليمنى ممتدة، واليسرى قريبة من جسده. كانت النصال تصل وتترز في الهواء، وتلتمع في شمس الظهيرة في أثناء

انتقال چيزال من وقفة مألوفة إلى الأخرى بسلسلة متقنة. وأخيرًا انتهى وترك السيوف تسقط على جانبيه.

أوماً فاروز برأسه: «النقيب يده خاطفة، أليس كذلك؟».

رد الرائد ويست بابتسامة عريضة: «بالفعل ممتاز. أفضل بكثير من أي وقت مضى».

ثم قل انبهار اللورد المارشال: «انثناء ركبتيك كانت مبالغة في الحركة الثالثة، وعليك أن تجتهد لفرد ذراعك اليسرى أكثر من ذلك في الحركة الرابعة، لكن بخلاف ذلك (وسكت لبرهة) مقبول».

تنفس چيزال الصعداء. كان ذلك بالفعل ثناءً كبيراً عليه.

صاح العجوز: «هاه!» وضربه في ضلوعه بنهاية الحقيبة فسقط چيزال على الأرض، بالكاد يقدر على التنفس.

- تحتاج إلى العمل على ردود أفعالك أيها النقيب. عليك أن تكون مستعداً دائماً. دائماً. إذا أمسكت يداك السيوف، فيجب أن تبقىها مرفوعة.

نعق چيزال: «نعم سيدي».

- وقدرتك على التحمل فضيحة، أنت تلهث كسمكة شُبُوط. لدي معلومات موثوقة بأن بريمر دان جورست يركض عشرة أميال في اليوم، ولا يكاد يتعرق. (انحنى المارشال فاروز عليه) من الآن ستفعل الشيء نفسه بالطبع. جولة حول جدار الأجيرونت كل صباح في الساعة السادسة، تليها ساعة من المبارزة مع الرائد ويست، الذي تكرم بالموافقة على أن يصبح شريكك. أنا واثق أنه سيظهر كل نقاط الضعف الصغيرة في أسلوبك. (جفل چيزال وذلك ضلوعه التي تؤلمه) أما بالنسبة إلى عربدتك، فأريد وضع حد لها. أنا أؤيد الاحتفالات في مكانها الصحيح، ولكن سيكون هناك وقت للاحتفال بعد المسابقة، بشرط أن تكون عملت بجد بما يكفي للفوز. وحتى ذلك الحين، ما نحتاج إليه هو الحياة النظيفة. أتفهمني أيها النقيب لوثر؟ (انحنى أكثر، ونطق كل كلمة بتوكيد شديد) حياة. نظيفة. أيها النقيب.

تمتم چيزال: «نعم، أيها المارشال فاروز».

مكتبة

t.me/soramnqraa

بعدها بست ساعات كان مخمورًا حتى الثمالة. خرج إلى الشارع يضحك كالمجنون ورأسه يدور. ضربه الهواء البارد على وجهه بقوة، وراحت المباني الصغيرة الحقيمة تتمايل وتتأرجح، والطريق سيئ الإضاءة يتمايل كسفينة تغرق. صارع چيزال برجولة رغبته في التقيؤ، واستدار باتجاه الباب وأخذ خطوة مترنحة باتجاه الشارع. غمرته أضواء ساطعة وأصوات ضحك وصراخ عالية. طارت من الحانة هيئة شعناء ضربته في صدره. صارعها چيزال بيأس ثم سقط على الأرض باصطدام محطّم للعظام.

أظلم العالم للحظة، ثم وجد نفسه مسحولًا بالتراب وكاسبا فوقه. قال مغرغًا بلسان منتفخ وتائه في فمه: «عليك اللعنة!». دفع عنه الملازم المقهقه بمرفقه، ثم انقلب ووقف يترنح ويتعثر والشارع يتمايل حوله كالأرجوحة. استلقى كاسبا على ظهره في التراب، يكاد يختنق من الضحك، تفوح منه الرائحة الحامضة للخمر الرخيص والدخان. حاول چيزال إزالة الأوساخ عن زيه العسكري لكنه فشل. هناك بقعة مبللة كبيرة على صدره تفوح منها رائحة البيرة. تتمم مرة أخرى: «عليك اللعنة!». متى حدث ذلك؟

أدرك وجود صياح على جانب الطريق الآخر. رجلان يشتبكان أمام أحد المداخل. أغلق چيزال عينيه جزئيًا بشدة، يجاهد للرؤية عبر الظلام. هناك رجل كبير يمسك بشخص متأنق، ويبدو أنه يربط يديه خلف ظهره. والآن يضع كيسًا ما فوق رأسه. رمش چيزال غير مصدق. لم تكن المنطقة ذات سمعة طيبة، لكن هذا يبدو بطشًا من نوع ما.

فُتح باب الحانة وخرج ويست وچالينهورم، منخرطين في حديث ثمل، يقولان شيئًا ما عن أخت أحد ما. قطع الضوء الساطع الطريق فأضاء الرجلين المشتبكين بشكل واضح. الرجل الكبير يرتدي ملابس سوداء بالكامل، مع قناع على الجزء السفلي من وجهه. لديه شعر أبيض، وحواجب بيضاء، وبشرة بيضاء كالجليب. حلق چيزال إلى الشيطان الأبيض عبر الطريق، فبادله النظر بعينين ورديتين ضيقتين. صاح الرجل الذي على رأسه الكيس، بصوت حاد من الخوف: «النجدة! النجدة، أنا...» وجّه له الرجل الأبيض ضربة قاسية على حجاب الحاجز فانطوى على نفسه متنهدًا.

صاح ويست: «أنت هناك!».

كان چالينهورم يندفع بالفعل عابرًا للطريق.

قال كاسبا: «ماذا؟» مستندًا على مرفقيه على الطريق.

امتلاً عقل چيزال بالطين، لكن يبدو أن قدميه تبعتا چالينهورم، فتحرك معهم متعثراً، وهو يشعر بالإعياء الشديد. جاء ويست خلفه. قام الشبح الأبيض واستدار ليقف بينهم وبين سجينه. خرج رجل آخر بخفة من الظل، طويل القامة ونحيف، يرتدي قناعاً وملابسه كلها سوداء، ولكن شعره طويل ودهني. رفع يداً مرتدية قفازاً.

قال بصوت حاد مكتوماً بقناعه: «أيها السادة، أيها السادة من فضلكم، نحن في عمل خاص بالملك!».

زمجر چالينهورم: «الملك يدير أعماله بالنهار».

اختلج قناع الوافد الجديد قليلاً عندما ابتسم: «ولهذا فهو يحتاج إلينا في الأعمال الليلية، أليس كذلك يا صديقي؟».

أشار ويست إلى الرجل الذي على رأسه الكيس: «من هذا الرجل؟».

قاوم السجين مرة أخرى: «أنا سيب دان-أوه!». أسكته الوحش الأبيض بقبضة ثقيلة على وجهه، فسقط على قدم واحدة على الطريق.

وضع چالينهورم يده على مقبض سيفه، وأطبق فكه، فتقدم الشبح الأبيض للأمام بسرعة رهيبية. عندما اقترب، كان أكثر ضخامة وغبابة ورعباً. أخذ چالينهورم خطوة لا إرادية للخلف، فتعثّر على سطح الطريق الوعر وسقط على ظهره مصطدماً بالأرض. كان رأس چيزال ينبض بعنف.

صرخ ويست: «تراجع!»، وأخرج سيفه من غمده بصوت خافت.

هسهس الوحش: «ثااا!»، وأغلق قبضتيه كصخرتين كبيرتين بيضاوين.

قرقع الرجل الذي على رأسه الكيس: «آآآ».

صعد قلب چيزال لغمه. نظر نحو الرجل النحيف. وجد عيني الرجل النحيف تردان عليه مبتسمتين. كيف يمكن لأحد أن يبتسم في وقت كهذا؟ فوجئ چيزال بسكين طويل وقبيح موجود في يده. من أين جاء هذا؟ تحسس بحثاً عن سيفه في اضطراب بسبب سُكره. صدر صوت من الظلال في نهاية الطريق: «أيها الرائد ويست!».

توقف چيزال، متردداً، سيفه بمنتصف طريق خروجه من غمده. سارع چالينهورم للوقوف على قدميه، وتغطى زيه الرسمي بطبقة من الطين، وسحب سيفه. وقف الوحش الشاحب يحدق إليهم دون أن يرمش، ولم يتراجع قيد أنملة.

- أيها الرائد ويست!

جاء الصوت مرة أخرى، مصحوبًا الآن بنقر وزحف. شحب وجه ويست. خرج شخص من الظل، يعرج بشدة، وعصاه تنقر على الأرض. غطت قبعته ذات الحواف العريضة الجزء العلوي من وجهه، لكن التوى فمه بابتسامة غريبة. لاحظ چيزال شاعرًا بموجة من الغثيان المفاجئ أن أسنانه الأربع الأمامية مفقودة. تحرك نحوهم، متجاهلاً كل السيوف المشهورة، ومد يده إلى ويست.

غمد الرائد سيفه ببطء، وأخذ يده وصافحها بتراخٍ وهو يسأله بصوت أجش: «العقيد جلوكتا؟».

- خادمك المتواضع، مع أنني لم أعد أخدم بالجيش. أنا أعمل الآن في جهاز استجواب الملك.

مد يده ببطء ورفع قبعته. كان وجهه شاحبًا كالموتى، تَحُطُّ التجاعيد العميقة، وتناثرت البقع الرمادية على شعره القصير. حدقت عيناه بالتماع محموم عبر هالات داكنة عميقة. العين اليسرى أضيق من اليمنى بشكل ملحوظ، تلتمع بالبلل وتحيطها دائرة وردية: «وهذان هما مساعداي، المنفذ سيفيرارد، (انحنى النحيل بسخرية) والمنفذ فروست».

انتزع الوحش الأبيض السجين بيد واحدة ليوقفه على قدميه. قال چالينهورم وهو يتقدم خطوة: «انتظر»، لكن المحقق وضع يده بلطف على ذراعه قائلاً: «هذا الرجل سجين جهاز استجواب جلالته، أيها الملازم چالينهورم. (توقف الرجل الضخم، متفاجئاً أنه نودي باسمه) أعرف أن نواياك خيرة، لكنه مجرم وخائن. لدي مذكرة اعتقال باسمه، موقعة من المُقرئ الأعلى سولت بنفسه. إنه لا يستحق عونكم، صدقني».

عبس چالينهورم وحقق ببغض إلى المنفذ فروست. بدا الشيطان الشاحب فزعًا. فزعًا كما يفزع الحجر. ألقى السجين فوق كتفه دون أي جهد واضح وتوجه للشارع. ابتسم الذي يُدعى سيفيرارد بعينيه، وغمد سكينه، وانحنى مرة أخرى وتبع رفيقه، وهو يصفر بلا صوت وهو يسير مبتعدًا.

بدأ جفن المحقق الأيسر يرتعش وإنسابت الدموع على خده الشاحب. مسحها بعناية بظهر يده: «عذرًا. حقًا، كيف يصل الحال إلى درجة ألا يستطيع المرء التحكم في عينيه، هاه؟ تلك الهلامية البكاءة. أحيانًا أفكر

باقتلاعها والاكتفاء برقعة عين. (تقلصت معدة چيزال) كم مضى من الوقت يا ويست؟ سبع سنوات؟ ثمان؟».

تقلصت عضلة في جانب رأس الرائد: «تسع».

- تخيل ذلك. تسع سنوات. يمكنك تصديق ذلك؟ يبدو وكأنه بالأمس فقط. كنا على حافة الجرف، أليس كذلك، حيث افترقنا؟

- على الجرف، بلى.

- لا تقلق يا ويست، أنا لا ألوّمك مطلقًا. (لطم جلوكتا الرائد بحرارة على ذراعه) ليس على هذا على أي حال. لقد حاولت إقناعي بالعدول عن الأمر، على ما أذكر. كان لدي الوقت الكافي للتفكير في الأمر في جوركول، في النّهاية. الكثير من الوقت للتفكير. كنت دائمًا صديقًا جيدًا لي. والآن أصبحت الشاب كوليم ويست، الرائد في حرس الملك، تخيل ذلك.

لم يكن لدى چيزال أدنى فكرة عما يتحدثان عنه. فقط أراد التقيؤ، ثم الذهاب إلى السرير.

استدار المحقق جلوكتا نحوه مبتسمًا، وكشف مرة أخرى عن الفجوة البشعة في أسنانه: «لا بد أن هذا هو النقيب لوثار، الذي يعلق عليه الجميع أمالًا كبيرة في المسابقة القادمة. المارشال فاروز معلم صعب، أليس كذلك؟ (ولوح عصاه بضعف أمام چيزال) اطعن، اطعن، هاه أيها النقيب؟ اطعن، اطعن».

شعر چيزال بفيضان غضبه. فسعل ونظر إلى قدميه، يتمنى لو يتوقف العالم عن الحراك. نظر المحقق بترقب لكل واحد منهم. بدا ويست شاحبًا. چالينهورم ملطخ بالطين وعابس. لا يزال كاسبًا جالسًا على الطريق. ولم يكن لدى أيٍّ منهم أي شيء ليقوله.

تنحنج جلوكتا وانحنى بتصنع: «حسنًا، الواجب ينادي، ولكنني أمل أن أراكم جميعًا مرة أخرى. قريبًا جدًا».

وجد چيزال نفسه يأمل ألا يرى الرجل مرة أخرى.

تمتم الرائد ويست: «ربما يمكننا التبارز مرة أخرى في وقت ما؟».

ضحك جلوكتا ضحكة مهذبة: «أوه، سأستمتع بذلك يا ويست، لكنني مصاب بعرج بسيط هذه الأيام. إذا كنت تريد قتالًا، فأنا متأكد أن المنفذ

فروست سيجيب طلبك (نظر إلى چالينهورم) لكن يجب أن أحذرك، فهو لا يقاتل بنبل. أتمنى لكم جميعًا أمسية ممتعة».

أعاد قبعته إلى رأسه ثم استدار ببطء ومشى حتى نهاية الشارع المتهالك. شاهده الضباط الثلاثة وهو يعرج مبتعدًا في صمت غريب لا نهاية له. وأخيرًا جاء كاسبا متعثراً: «لَمْ كل هذا؟».

قال ويست عبر أسنانه: «لا شيء. الأفضل أن ننسى ما حدث تمامًا».

أسنان وأصابع

الوقت قصير. علينا العمل بسرعة. أوماً جلوكتا إلى سيفيرارد، الذي ابتسم ونزع الكيس عن رأس سييب دان تويفل.

كان سيد دار سك العملة رجلاً قوياً ونبيلاً المظهر. بدأت الكدمات تظهر بالفعل على وجهه. صاح زائراً، بكل الصخب والتبجح: «ما معنى هذا؟ أتعرف من أنا؟».

شخر جلوكتا: «بالطبع نعرف من أنت. أعتقد أننا اعتدنا اختطاف الناس من الشارع عشوائياً؟».

صاح السجين وهو يكافح لفك قيوده: «أنا سيد دار سك العملة الملكية! (بدا المنفذ فروسيت بلا عواطف، وذراعه مطويتان. كان الحديد يتوهج بلون برتقالي في الموقد) كيف تجرؤ...؟».

صاح جلوكتا: «لا يمكن أن تحمل كل هذه المقاطعات المستمرة! (ركل فروسيت تويفل بوحشية في قصبة ساقه فصرخ من الألم) كيف يمكن لسجيننا أن يوقع على ورقة اعترافه ويدها مقيدتان؟ من فضلكم فكوا قيوده».

بينما حدق تويفل مرتاباً كان الأمهق يفك معصميه. ثم رأى الساطور. التمتع نصله المصقول كالمرآة تحت ضوء المصباح الحاد. حقاً إنه قطعة من الجمال. أنت تريد أخذه، أليس كذلك يا تويفل؟ أراهن أنك ستحب قطع رأسي به. كاد جلوكتا يأمل أن يقوم بذلك، وبدا أن يده اليمنى امتدت إليه، لكنه دفع بها ورقة الاعتراف بعيداً.

قال جلوكتا: «آه، سيد دار سك العملة رجل نبيل أيمن».

همس سيفيرارد في أذن السجين: «رجل نبيل أيمن».

حديق توفيل عبر الطاولة بعينين ضيقتين: «أنا أعرفك! جلوكتا، أليس كذلك؟ الذي أُسر في جوركول والذي عُذّب هناك. ساند دان جلوكتا، هل أنا على حق؟ حسنًا، لقد تعديت حدودك هذه المرة، يمكنني إخبارك ذلك! تعديت حدودك! عندما يسمع القاضي العالي ماروفيا عن هذا...».

قفز جلوكتا واقفًا على قدميه، وكرسيه يَصِرُّ على البلاط. أَلَمته ساقه اليسرى بشدة، لكنه تجاهلها. هسهس: «انظر إلى هذه! (وفتح فمه على آخره، ليعطي السجين المذعور رؤية واضحة على أسنانه. أو ما تبقى منها) أتري؟ أتري ذلك؟ حيثما كسروا الأسنان في الأعلى، تركوها في الأسفل، وحيث انتزعوها من أسفل، تركوها في الأعلى، كلها حتى آخر الفك. أتراها؟ (وشد جلوكتا خديه للخلف بأصابعه حتى يتمكن توفيل من الرؤية بشكل أفضل) فعلوا ذلك بإزميل صغير. سنة تلو الأخرى، كل يوم. لقد استغرق الأمر شهرًا. (جلس جلوكتا متخشبًا، ثم ابتسم ابتسامة عريضة) يا له من عمل ممتاز، هاه؟ شيء ساخر! أن يُترك لك نصف أسنانك، لكن لا فائدة من أي منها! معظم الأيام أتناول الحساء. (ابتلع سيد دار العملة ريقه بصعوبة. استطاع جلوكتا رؤية قطرة من العرق تسيل على رقبته) والأسنان هي مجرد البداية. أتعرف؟ عليّ أن أتبول جالسًا كالنساء. عمري خمسة وثلاثون عامًا، وأحتاج إلى المساعدة في النهوض من السرير. (مال للخلف مرة أخرى وجفل وهو يمد ساقه) كل يوم هو جحيم صغيرة خاصة بالنسبة إليّ. كل يوم. لذا أخبرني، أتصدق جدًّا أن أي شيء قد تقوله يمكنه إخافتي؟».

أخذ جلوكتا وقته في دراسة سجينه. لم يعد يمتلك نصف ثقته بنفسه. همس: «اعترف. حتى يمكننا شحنك إلى آنجلاند ونحصل الليلة على قسط من النوم».

شحب وجه توفيل حتى كاد يشبه وجه المنفذ فروست، لكنه لم يقل شيئًا. سيصل المقرئ الأعلى قريبًا. على الأرجح هو في الطريق. إذا لم يكن لدي الاعتراف عند وصوله... فسنُشحن جميعًا إلى آنجلاند. في أفضل الأحوال. أمسك جلوكتا بعصاه ووقف على قدميه: «أحب أن أعتبر نفسي فنانيًا، لكن الفن يستغرق وقتًا، وقد أضعنا نصف المساء في البحث عنك في كل ماخور في المدينة. لحسن الحظ، يمتلك المنفذ فروست أنفًا حادًا وإحساسًا ممتازًا بالاتجاه. يمكنه شم الجرد في بيت من القذارة».

ردد سيفيرارد، وعينه تتلألأ في الوهج البرتقالي المنبعث من الموقد:
«الجرذ في بيت من القذارة».

- نحن نسير على جدول زمني ضيق لذا سأكون صريحًا معك. ستعترف لي في غضون عشر دقائق.
نخر تويفل وطوى ذراعيه: «أبدًا».

- ثَبَّتْهُ!

أمسك فروست بالسجين من الخلف وطبق عليه كفَّيَّ المنجل مثبتًا ذراعه اليمنى إلى جانبه. أمسك سيفيرارد بمعصمه الأيسر وفرد أصابعه على سطح الطاولة المشوه. لف جلوكتا قبضته حول قبضة الساطور الناعمة، والنصل يكشط الخشب وهو يسحبه ببطء نحوه. كان يحدق إلى يد تويفل. كم هي جميلة أظفاره. طويلة ولامعة. لا يمكن أن تعمل في منجم بأظفار كهذه. رفع جلوكتا الساطور عاليًا.

صرخ السجين: «انتظرا!».

بانج! انغرز النصل الثقيل عميقًا في سطح الطاولة، باترًا ظفر إصبع تويفل الوسطى بدقة. تسارعت أنفاسه الآن، وهناك لمعان من العرق على جبهته. سئرى الآن أي نوع من الرجال أنت حقًا.

قال جلوكتا: «أعتقد أنه باستطاعتك الآن رؤية إلى أين سيتجه هذا الأمر. أتعلم، لقد فعلوا ذلك بعريف كان أسيرًا معي، كل يوم قَطَعُ واحد. كان رجلًا قاسيًا، قاسيًا جدًا. وصلوا إلى مرفقه قبل أن يموت (رفع جلوكتا الساطور مرة أخرى) اعترف».

- لن تجرؤ...

بانج! اقتلع الساطور طرف إصبع تويفل الوسطى. أخذ الدم يتدفق على سطح الطاولة. كانت عينا سيفيرارد تبتسمان في ضوء المصباح. تدلَّى فك تويفل. سيمر بعض الوقت قبل أن يأتي الألم فعليًا. صرخ جلوكتا: «اعترف!».

بانج! بتر الساطور الجزء العلوي من خنصر تويفل، وقرصًا صغيرًا من إصبعه الوسطى، الذي تدحرج وسقط على الأرض. كان وجه فروست كأنه منحوت من رخام: «اعترف!».

بانج! قفز طرف سبابة تويفل في الهواء. كل ما تبقى من إصبعه الوسطى هو أول عقلة فقط. توقف جلوكتا ليمسح العرق عن جبهته بظهر يده. كانت

ساقه تنبض من الإجهاد والدم يقطر على البلاط بنقر ثابت، نقر، نقر. حدق
تويفل بعينين واسعتين إلى أصابعه المبتورة.
هز سيفيرارد رأسه: «عمل ممتاز أيها المحقق. (قَلْبُ أحد أقراص اللحم
على الطاولة) يا للدقة... أنا مبهور».
صرخ سيد دار السك: «آآررر! الآن قد حل الألم.
رفع جلوكتا الساطور مرة أخرى. صرخ تويفل: «سأعترف! سأعترف!».
قال جلوكتا ببهاء: «ممتاز».
قال سيفيرارد: «ممتاز».
قال المنفذ فروست: «مومَّاز».

الشمال الواسع القاحل

المجوس جماعة عريقة وغامضة، تعلمت أسرار العالم، وضلعت في طرق السحر، حكيمة وقوية بما يفوق أحلام البشر. كانت تلك هي الإشاعة. أحد أعضاء تلك الجماعة ينبغي أن تكون لديه الوسيلة للعثور على رجل، حتى لو كان وحيداً في الشمال الواسع القاحل. إذا كان كذلك، فقد أخذ وقته لذلك. حك لوجن لحيته المتشابكة وتساءل ما الذي أحرَّ العظيم. ربما كان تائهاً. سأل نفسه مرة أخرى أكان عليه البقاء في الغابات، على الأقل الطعام متوفر هناك. ولكن الأرواح قالت جنوباً، وإذا توجَّهت جنوباً من التلال فستصل إلى تلك القفار اليابسة. وهكذا انتظر في الأشواك والوحل، وفي طقس سيئ، وعانى الجوع أغلب الوقت.

كانت أحذيته قد تهالكت على أي حال، لذا أقام معسكره البائس بالقرب من الطريق، حتى يتمكن من رؤية ذلك الساحر وهو قادم. منذ أيام الحروب، امتلأ الشمال بالأوباش الخطيرين؛ مقاتلون هاربون من الخدمة تحولوا إلى قطاع طرق، وفلاحون فروا من أراضيهم المحترقة، ورجال يائسون بلا قيادة لم يعد لديهم ما يخسرونه، وغيرهم. ومع ذلك، لم يكن لوجن قلقاً. لم يكن هناك سبب لأحد للمجيء لمزبلة العالم تلك. لا أحد غيره والمجوسيّ.

وهكذا جلس وانتظر، وبحث عن الطعام، فلم يجد، وجلس وانتظر أكثر. في هذا الوقت من العام، غالباً ما تكون الأرض مغمورة بالأمطار المفاجئة الغزيرة، وكان لديه نيران صغيرة ومدخنة وشائكة ليلاً إذا أمكنه إشعالها، على الأقل للحفاظ على معنوياته المتدهورة ولجذب أي سحرة عابرين. أمطرت سماء هذه الأمسية، لكنها توقفت لبعض الوقت فكان الجو جافاً بما يكفي لإشعال نار. والآن وضع قدره فوقها، وطها الحساء بآخر قطعة

لحم أحضرها معه من الغابة. سيتحتم عليه الانتقال في الصباح للبحث عن الطعام. يمكن للمَجُوسِيِّ اللّحاق به لاحقًا، إذا كان لا يزال مهتمًا.

كان يقلب وجبته الهزيلة ويتساءل هل يعود غدًا للشمال أم يتجه جنوبًا، عندما سمع صوت حوافر على الطريق. حصان واحد يتحرك ببطء. جلس على معطفه وانتظر. هناك سهيل، وصوت لجام. ظهر راكب على المرتفع، لم يتمكن لوِجِن من رؤيته بوضوح بسبب غروب الشمس في الأفق خلفه، لكنه جلس متخشبًا على سرجه بعدم راحة كما لو كان غير معتاد الطريق. دفع فرسه بلطف في اتجاه النار ولجمه على مسافة أمتار قليلة.

قال: «مساء الخير».

لم يكن ما توقعه لوِجِن البتة. شاب هزيل، شاحب، يبدو مريضًا، لديه هالات داكنة حول عينيه، والتصق شعره الطويل برأسه بسبب الرطوبة، وابتسم بعصبية. بدا مبتلًا أكثر منه حكيمًا، ومؤكد أنه لم يكن قويًا بما يفوق أحلام البشر. في الغالب بدا جائعًا وبردان ومريضًا. في الواقع، بدا كما شعر لوِجِن.

- ألا ينبغي أن يكون لديك عصا؟

اندesh الشاب: «ليس لدي... أنا أعني... آآه... أنا لست مَجُوسِيًّا».

تهدج ولعق شفثيه بعصبية: «أخبرتني الأرواح أن أتوقع مَجُوسِيًّا، لكنهم غالبًا ما يخطئون».

- آآه... حسنًا، أنا متدرب. لكن سيدي باياز العظيم (وأحنى رأسه بوقار) وهو أول المجوس، العظيم في الفن الأعلى والمتعلم في الحكمة العميقة أرسلني للعثور عليك (بدا متشككًا فجأة) وأن أحضرك إليه.. هل أنت لوِجِن الأصابع التسع؟

رفع لوِجِن يده اليسرى ونظر إلى الشاب الشاحب عبر فراغ إصبعه الوسطى الناقص.

- آآه، هذا جيد. (تنفس المتدرب الصعداء، ثم أوقف نفسه فجأة) آآه، أنا أعني... آه... آسف بشأن الإصبع.

ضحك لوِجِن لأول مرة منذ أن جر نفسه من النهر. لم يكن الموقف مضحكًا لكنه ضحك بصوت عالٍ أشعره بالراحة. ابتسم الشاب ونزل متألمًا عن السرج.

- أنا مالاكوس كواي.

- مالاكوس ماذا؟

قال وهو يتجه نحو النار: «كواي».

- ما أصل ذلك الاسم؟

- أنا من الإمبراطورية القديمة.

لم يسمع لوچن قط عن مكان بهذا الاسم: «الإمبراطورية، فعلاً؟».

- حسناً، كانت كذلك يوماً ما. أقوى دولة في حلقة العالم. (جلس الشاب

بصعوبة جوار النار) لكن أمجاد الماضي تلاشت منذ زمن طويل. الآن

هي ليست أكثر من ساحة قتال ضخمة. (أوماً لوچن. كان يعرف جيداً

كيف يبدو ذلك المشهد) إنها بعيدة. في غرب العالم.

ولوح المتدرب بيده بشكل غامض. ضحك لوچن مرة أخرى: «هذا اتجاه

الشرق».

ابتسم كاي بحزن: «مع أنني لا أبدو كذلك إلا أنني عَرَّاف، عَرَّاف جيد جداً.

أرسلني السيد باياز لأجدك، لكن النجوم لم تكن ميمونة، وتهدت في الطقس

السيئ. (أبعد شعره عن عينيه وبسط يديه) كان لدي حصان نُقَالَ، محمل

بالطعام والمؤمن، وحصان آخر لك، لكنني فقدتهما في عاصفة. أخشى أنني

لست من النوع المغامر».

- لا يبدو أنك كذلك.

أخذ كواي قارورة من جيبه ومال نحوه بها. أخذها لوچن منه وفتحها

وأخذ رشفة. نزل المشروب الساخن في حلقه، ودفأه حتى جذور شعره:

«حسناً، مالاكوس كواي، لقد فقدت طعامك ولكنك احتفظت بما هو مهم حقاً.

يتطلب الأمر جهداً لأبتسم هذه الأيام. مرحباً بك أمام نيراني».

- شكراً لك. (صمت المتدرب لبرهة ورفع راحتيه أمام النيران الهزيلة) لم

أكل منذ يومين. (هز رأسه فتمايل شعره) لقد كان.. وقتاً عصيباً.

لعق شفتيه ونظر إلى الوعاء.

ناوله لوچن الملعقة. حلق مالاكوس كواي إليه بعينين مستديرتين

كبيرتين: «هل أكلت؟».

أوماً لوِجِن. لم يكن قد أكل، لكن المتدرب البائس بدا جائعًا ولم يكن الطعام يكفي إلا لأحدهم بالكاد. أخذ رشفة أخرى من القارورة. هذا سيكفيه في الوقت الراهن. هجم كواي على الحساء بتلذذ. بعدما انتهى منه، كشط الإناء، ولعق الملعقة، ثم لعق حافة الإناء كتأكيد. جلس على صخرة كبيرة: «أنا مدين لك إلى الأبد، يا لوِجِن الأصابع التسع، لقد أنقذت حياتي. لم أرجُ حتى بالأمل أن تكون مضيافًا كريمًا هكذا».

- أنت لست كما توقعتُ تمامًا أيضًا، لأكون صادقًا. (ارتشف لوِجِن من القارورة مرة أخرى ولعق شفثيه) من هو هذا البياز؟

- أول المجوس، العظيم في الفن الأعلى والمتعلم في الحكمة العميقة. أخشى أنه سيكون مستاءً مني للغاية.

- هل ينبغي التخوف منه إذن؟

أجاب المتدرب بصوت ضعيف: «في الواقع، هو عصبي بعض الشيء». أخذ لوِجِن رشفة أخرى. كان الدفء ينتشر في جسده الآن، وهي المرة الأولى التي يشعر فيها بالدفء منذ أسابيع. كان هناك صمت ثم سأله: «ماذا يريد مني يا كواي؟».

لم يَرُد. جاءه صوت شخير ناعم عبر النار. ابتسم لوِجِن ولف نفسه بمعطفه واستلقى لينام أيضًا.

استيقظ المتدرب بنوبة سعال مفاجئة. كان الوقت مبكرًا وامتلأ العالم القذر بالضباب. وربما كان المشهد أفضل هكذا، فلم يكن هناك ما يمكن رؤيته سوى أميال من الطين والصخور ونباتات الجولق البنية البائسة. كل شيء تغطى بالندى البارد، لكن لوِجِن تمكن من إشعال لسان يائس من اللهب. التصق شعر كواي بوجهه الشاحب. تدرج على جانبه وسعل باصقًا المخاط على الأرض.

نعق: «آررر». سعل وبصق مرة أخرى.

أمَّن لوِجِن آخر معدَّاته الضئيلة على الحصان البائس. قال وهو ينظر إلى السماء البيضاء: «عمت صباحًا، رغم أنه لا يبدو صباحًا جيدًا».

- سأموت. سأموت، ثم لن أضطر وقتها إلى التنقل.

- ليس لدينا طعام، إذا بقينا هنا ستموت. ثم سيمكنني أكلك والعودة إلى الجبال.
- ابتسم المتدرب بضعف: «ماذا سنفعل؟ أين يمكننا أن نجد هذا الباياز؟».
- في المكتبة الشمالية العظمى.
- لم يسمع لوجن عنها من قبل، لكنه لم يكن مهتمًا بالكتب قط.
- التي أين؟
- إنها جنوبًا من هنا، على بعد قرابة أربعة أيام ركوبًا، بجوار بحيرة كبيرة.
- أتعرف الطريق؟
- ترنح المتدرب حتى وقف على قدميه، تمايل قليلًا، وأنفاسه سريعة وقصيرة. كان شاحبًا كالأشباح، ووجهه يلمع من العرق. تمت: «أعتقد ذلك».
- لكنه لم يبدُ متأكدًا.
- لن يتمكن كواي أو حصانه من البقاء لأربعة أيام دون طعام، حتى لو لم يضيعا الطريق. يجب أن يصبح الطعام الأولوية الأولى. كان التحرك جنوبًا عبر الغابة هو الخيار الأفضل، على الرغم من مخاطره الأكبر. قد يتعرضون للقتل على يد قطاع الطرق، لكن الكلاً أفضل هناك، ومن المرجح أن يقتلهم الجوع من دونه.
- قال لوجن: «الأفضل أن تركب أنت».
- أنا من فقد الخيول، ويجب أن أكون من يمشي.
- وضع لوجن يده على جبين كواي. كان ساخنًا ومبللًا: «لديك حمى. الأفضل أن تركب».
- لم يحاول المتدرب الجدل. نظر إلى أحذية لوجن الممزقة: «أيمكنك أن تأخذ حذائي؟».
- هز لوجن رأسه: «ضيق جدًا».
- ركع على بقايا النار المشتعلة وزم شفثيه.
- ماذا تفعل؟
- النار لها أرواح. سأحتفظ بهذه تحت لساني، ليمكننا استخدامها لإشعال النار لاحقًا.

بدا كواي مريضاً جداً لدرجة منعته من التفاجؤ. أخذ لوچن الروح في فمه، وسعل من الدخان، وارتجف من الطعم المر: «أنت مستعد للمغادرة؟». رفع المتدرب ذراعيه في حركة يائسة: «أنا جاهز».

كان مالاكوس كواي يحب التحدث. أخذ يتحدث وهم يشقون طريقهم جنوباً عبر المستنقعات، والشمس تتسلق فوق السماء المعتمة، حتى دخلوا الغابة مع المساء. لم يمنعه مرضه من الثثرة، لكن لوچن لم يمانع. مر وقت طويل منذ أن تحدث معه أحد، وساعد ذلك على إبعاد تفكيره عن قدميه. كان متعباً ويتضور جوعاً، لكن قدميه كانتا المشكلة الرئيسية. فحذاؤه كان من الجلد القديم المهترئ، وأصابع قدميه كانت مجروحة ومدهوسة، وساقه ما زالت تحرقه من أسنان الشانكا. وكل خطوة كانت بلاءً عليه. ذات مرة حمل لقب الرجل الأكثر رعباً في الشمال. والآن أصبح يخاف من أصغر العصي والحجارة في الطريق. هناك ما يستحق السخرية في ذلك. جفل عندما اصطدمت قدمه بحصاة.

- ... لذلك قضيت سبع سنوات أدرس عند المعلم زكاروس. إنه عظيم بين المجوس، الخامس بين تلاميذ جوفين الاثني عشر، رجل عظيم. (يبدو أن كل شيء مرتبط بالمجوس كان رائعاً في عيني كواي) لقد شعر أنني على استعداد للمجيء إلى المكتبة الشمالية العظمى والدراسة مع السيد باياز، لأستحق عصاي. لكن لم تكن الأمور سهلة لي هنا. السيد باياز هو الأكثر تطلباً و...

توقف الحصان ووصل، وحجم وخطا للخلف بتردد. استنشق لوچن الهواء وعبس. هناك رجال بالقرب، رجال لم يغتسلوا البتة بشكل جيد. كان ينبغي أن يلاحظ ذلك مبكراً ولكن انتباهه كان منصّباً على قدميه. نظر كواي إلى الأسفل عليه: «ماذا هناك؟».

وكما لو كان ردّاً عليه خرج رجل من خلف شجرة أمامهما على ما يقرب من عشر خطوات، وآخر بعده بقليل على الطريق. كانوا أوباشاً بلا أدنى شك، قذرين، ملتحمين، يرتدون بقايا رثة من الفراء والجلد غير المتناسق. في المطلق لا يختلفون عن لوچن كثيراً. النحيف على اليسار حمل رمحاً برأس شائك. الضخم على اليمين حمل سيفاً ثقيلاً مبقعاً بالصدأ، وخوذة قديمة

منبجعة بها حربة في قمتهأ. تقدموا نحوهم، مبتسمين. هناك صوت خلفهم، نظر لوجن من فوق كتفه، وسقط قلبه. رجل ثالث، على وجهه ثؤلؤل كبير، يشق طريقه نحوهم بحذر، وفي يديه فأس خشبية ثقيلة.

انحنى كواي فوق سرجه وعيناه تتسعان من الخوف: «أهم قطاع طرق؟». هسهس لوجن عبر أسنانه المطبقة: «بحق الجحيم أنت هو العراف». توقفوا أمامهم على مسافة خطوة أو اثنتين. يبدو أن الشخص الذي يعتمر الخوذة هو المسؤول، زمجر قائلاً: «حصان جميل. أيمكنكم إقراضه لنا؟». ابتسم ذو الرمح وهو يمسك باللجام.

أخذت الأمور منعطفًا نحو الأسوأ بالفعل. منذ لحظة ماضية لم يكن ذلك متوقعًا، لكن القدر وجد وسيلة. تشكك لوجن في وجود أي فائدة لكواي تذكر في القتال. وهذا سيتركه وحيدًا ضد ثلاثة أو أكثر، وكل ما معه سكين فحسب. إذا لم يفعل شيئًا، فسينتهي الأمر بسرقة هو ومالاكوس، وعلى الأرجح سيقتلان. عليك أن تكون واقعياً بشأن هذه الأشياء.

نظر إلى قُطَاع الطرق الثلاثة مرة أخرى. لم يتوقعوا قتالًا، ليس من رجلين غير مسلحين؛ الرمح كان جانبًا، والسيف موجه نحو الأرض. لم يعرف شيئًا عن موقف الفأس، لذلك كان عليه أن يثق في حظه بشأنه. حقيقة مؤسفة أن من يضرب أولًا هو عادةً من يضرب أخيرًا، لذا التفت لوجن للذي يعتمر الخوذة وبصق الروح في وجهه.

اشتعلت في الهواء وانقضت عليه جائعة. انفجر رأسه مضرماً باللهب، ووقع السيف على الأرض. خمش وجهه بشدة فاشتعلت النيران في ذراعيه أيضًا. ترنح وسقط صارخًا.

فزع حصان كواي من النيران ووقف على قدميه الخلفيتين صاهلاً. تعثر الرجل النحيف عائدًا للخلف وهو يشهق فقفز عليه لوجن وأمسك عصا الرمح بيد واحدة ونطحه في وجهه. اصطدم أنفه بجبهة لوجن وتأرجح مبتعدًا والدّم يتدفق على ذقنه. دفعه لوجن إلى الخلف بالرمح، وأرجح ذراعه اليمنى في قوس عريض ولكمه في رقبتة. سقط يغرغر وانتزع لوجن الرمح من يديه. شعر بحركة خلفه فارتمى على الأرض، متدحرجًا إلى يساره. صفرت الفأس في الهواء فوق رأسه وقطعت شقًا طويلًا في جانب الحصان، فتناثرت قطرات من الدم على الأرض وتمزق مشبك حزام السرج. ترنح صاحب الثؤلؤل

مبتعدًا، وهو يلف متجهاً لفأسه. قفز لوچن نحوه لكن كاحله التوى على حجر فترنح كالسكّير، يصرخ من الألم. مرق سهم أمام وجهه من مكان بالأشجار خلفه، ثم اختفى في الدغل على الجانب الآخر من الطريق. سهل الحصان ورفض، ودارت عيناه في جنون، ثم انطلق على الطريق بسرعة جنونية. ناح مالاكوس كواي عندما انزلق السرج عن ظهره فطار نحو الدغل.

لم يكن هناك وقت للتفكير فيه. هاجم لوچن صاحب الفأس مزمجراً، موجّهاً الرمح نحو قلبه. رفع فأسه في الوقت المناسب لإبعاد ذبابته، ولكن ليس بما يكفي فقد انبثق الرمح من كتفه، ولف مكانه فانكسرت عصاه مصدرة صوت قرقعة حادة، وفقد لوچن توازنه مندفعاً للأمام حاملاً وجهه الثؤلؤل نحو الطريق. جرحت ذبابة الرمح البارزة من ظهره فروة رأس لوچن عندما سقط فوقه. أمسك لوچن بشعر صاحب الفأس الشعث بكلتا يديه، وجذب رأسه للخلف وهشّم وجهه على صخرة.

قفز واقفاً على قدميه، رأسه يدور، وما إن مسح الدم عن عينيه حتى رأى سهماً يخرج من الأشجار ويرشق بجذع على بعد خطوة أو اثنتين منه. اندفع لوچن نحو النشاب. الآن يراه، صبي لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، يحاول الوصول إلى سهم آخر. أخرج لوچن سكينه. كان الصبي يلقم السهم في قوسه، لكن عينيه اتسعتا بالذعر. ارتبك في مسكته للوتر فدفع السهم بيده، وبدا مدهوشاً للغاية.

وصل لوچن إليه. أرجح الصبي القوس نحوه، لكنه تفاداه منحنياً وقافراً للأمام وهو يدفع السكين لأعلى بكلتا يديه. انغرز النصل تحت ذقن الصبي ورفع في الهواء فانكسر داخل عنقه. سقط فوق لوچن، فأصابه حد السكين المكسور بجرح بالغ في ذراعه. وتناثرت الدماء في كل مكان، من جرح رأس لوچن، ومن جرح ذراعه، ومن جرح حلق الصبي الغائر.

دفع بالجنّة بعيداً، وترنح أمام شجرة، ولهث ملتقطاً أنفاسه. كان قلبه ينبض، والدماء تزار في أذنيه، ومعدته تتقلب. همس قائلاً: «ما زلت حيّاً.. أنا حي». بدأت الجروح في رأسه وذراعه تنبض. ندبتان أخريان. كان يمكن أن يصبح الأمر أسوأ بكثير. مسح الدم عن عينيه وعاد عارجاً على الطريق.

وقف مالاكوس كواي يحدق بوجه كالرماد إلى الجثث الثلاث. أخذه لوچن من كتفيه، وتفحصه من أعلى لأسفل: «هل تأذيت؟».

حدق كواي إلى الجثث فحسب: «هل ماتوا؟».

كانت جثة الضخم صاحب الخوذة ما زالت تدخن مصدرة رائحة شهية بشكل يثير الاشمئزاز. لاحظ لوچن أنه ينتعل حذاءً برقبة أفضل بكثير من حذائه. التوت رقبة ذي الثؤلؤل بشكل لا يسمح له بالبقاء على قيد الحياة، بالإضافة للرمح المكسور الذي يخترقه. دحرج لوچن الرجل النحيف بقدمه. ما زال يحمل نظرة متفاجئة على وجهه الملطخ بالدماء، عيناه تحدقان إلى السماء، وفمه مفتوح.

تمتم لوچن: «لا بد أنني سحقت قصبته الهوائية». تغطت يداه بالدماء. أمسك إحداهن بالأخرى ليوقف ارتعاشها.

- وماذا عن الذي في الأشجار؟

أوماً لوچن: «ماذا حدث للحصان؟».

تمتم كواي بيأس: «لقد ذهب.. ماذا سنفعل؟».

- سنرى إن كان لديهم أي طعام. (أشار لوچن إلى الجثة المدخنة) وأنت ساعدني في خلع حذائه.

تدريب المبارزة

- اضغط عليه يا چيزال اضغط عليه! لا تكن خجولاً!

لم يكن أمام چيزال سوى الانصياع. قفز للأمام، مندفعاً يمينه. لم يكن ويست مرتكزاً بشكل جيد ففقد توازنه، بالكاد صد هجومه بسيفه القصير. استخدماً اليوم سيوفاً بحواف فردية، لإضافة بعض الخطر إلى التدريب. لا يمكنك طعن أحدهم باستخدامه لكن يمكنك التسبب بخدش مؤلم أو اثنين، إذا بذلت جهداً كافياً. انتوى چيزال خدش الرائد ردّاً على إذلاله بالأمس.

- نعم هكذا، أعطه جحيماً! اطعن، اطعن، أيها النقيب! اطعن، اطعن!

وجه له ويست ضربة خرقاء، لكن چيزال رآها وصفعها بسيفه جانباً، ضغط مندفعاً عليه، وطعن بكل ما يستطيع. ضرب باليسرى، وكرر. صد ويست يائساً، متراجعاً بظهره نحو الجدار. نال منه چيزال أخيراً. قهقهه مبتهجاً وهو يندفع للأمام مرة أخرى بالسيف الطويل، لكن فجأة وبشكل مدهش عاد خصمه إلى الحياة. انزلق ويست مبتعداً ودفع اندفاعته جانباً بثبات خيب آماله. تعثر چيزال في اندفاعته للأمام، وفقد توازنه وأطلق شهقة مصدومة واتجهت ذبابة سيفه لفجوة بين حجرين فانتزع السيف من يده المخدلة، واستقر متأرجحاً في الحائط.

وثب ويست للأمام، متخطياً ما تبقى من دفاع چيزال وصدمه بكتفه. صاح چيزال: «أوف» وهو يترنح ويسقط للخلف على الأرض، متحسساً سيفه القصير الذي انزلق على الحجارة فثبته اللورد مارشال فاروز تحت قدمه بمهارة. كان طرف سيف ويست الخشن يحوم فوق حلق چيزال. سب چيزال عندما امتدت له يد الرائد المبتسم: «اللعة!».

تمتم فاروز وهو يتنهد بعمق: «نعم، اللعة حقاً. أداء أكثر بغضاً من أمس، إذا كان ذلك ممكناً! لقد تركت الرائد ويست يخدعك مرة أخرى! (صفع چيزال

يد ويست بعيدًا عابسًا ووقف على قدميه) لم يفقد سيطرته على تلك المباراة لحظة واحدة! سمحت له باستدراجك ثم انتزاع سلاحك! انتزاع السلاح! لم يكن حفيدي ليرتكب مثل هذا الخطأ، وهو في الثامنة من عمره! (ضرب فاروز الأرض بعصاه) اشرح لي من فضلك، أيها النقيب لوثر، كيف ستفوز بالمبارزة من وضعية الانبطاح، ومن دون سيفك؟ (عبس چيزال وفرك مؤخرة رأسه) لا تعرف؟ في المستقبل، إذا سقطت من فوق منحدر حاملًا سيوفك، أريد رؤيتك مهشمًا في القاع لأشلاء صغيرة وأصابعك الميتة تمسكها بإحكام، أتسمعني؟».

تمتم چيزال بتجههم: «نعم، أيها المارشال فاروز».

وتمنى أن يسقط اللقيط العجوز من فوق منحدر. أو ربما من فوق برج السلاسل. ذلك سيكون لائقًا. وربما يمكن للرائد ويست أن ينضم إليه.

- الثقة الزائدة هي لعنة المبارز! عليك أن تتعامل مع كل خصم كما لو كان الأخير. أما بالنسبة إلى حركة أقدامك.. (وزم فاروز شفته باشمئزاز) حركتها للأمام جيدة وأنيقة، لكن ارتكازك على القدم الخلفية يذبلك تمامًا. لم يكن على الرائد سوى الضغط عليك فسقطت كتلميذة فقدت الوعي.

ابتسم له ويست. يبدو أنه أحب ما يحدث. أحبه فعلًا، عليه اللعنة.

- يقال إن بريمر دان جورست لديه ساق خلفية كعمود من الفولاذ. عمود من فولاذ يقولون! سيكون هدم دار الصانع أسهل منه. (أشار اللورد مارشال إلى محيط البرج الضخم، الذي يلوح فوق المباني في الساحة. وصرخ باشمئزاز) دار الصانع!

استنشق چيزال، وركل الأرض بحذائه. للمرة المئة، فكر في الاستسلام وعدم الإمساك بسيوف مرة أخرى. ولكن ماذا سيقول الناس؟ كان والده فخورًا به إلى حد سخي، وتباهى بمهارته دائمًا أمام أي أحد استمع إليه. تعلق قلبه برؤية ابنه يقاتل في ساحة المارشالات أمام حشد صارخ. إذا تخلى عنه چيزال الآن، فسيشعر والده بالخزي، ويمكنه توديع تكليفه، وتوديع مصروفه، وتوديع طموحاته. لا شك أن إخوته سيحبون ذلك.

استكمل فاروز توبيخه: «المفتاح هو التوازن. قوتك تصعد عبر ساقيك! من الآن فصاعدًا، سنضيف إلى تدريبك ساعة من الوقوف فوق العارضة. كل يوم.

(جفل چيزال) هكذا لديك: الجري، والتمارين بالقضيب الثقيل، والحركات، وساعة من التبارز، والحركات مرة أخرى، وساعة فوق العارضة. (أوما اللورد المارشال برضا) هذا سيكون في الوقت الحالي. أراك في السادسة من صباح الغد، وأنت يقظ تمامًا. (عبس فاروز) يقظ وواعٍ تمامًا.

قال چيزال وهو يعرج بخطوات متيبسة نحو عنبره: «أتعلم، لن أقدر على تحمل ذلك للأبد. كم من هذا الهراء الشنيع عليّ أن أتحمّل؟».

ابتسم ويست: «هذا لا شيء. لم يسبق لي أن رأيت اللقيط العجوز لطيفًا هكذا مع أحد. لا بد أنه يحبك حقًا. لم يكن نصف هذا الود لي». لم يكن چيزال متأكدًا من أنه يصدق ذلك: «أسوأ من هذا؟».

- لم يكن لدي نصف خلفيتك. كان يجعلني أحمل القضيب الثقيل فوق رأسي طوال فترة ما بعد الظهر حتى سقط فوقي. (جفل الرائد قليلًا، كما لو أن الذكرى آلمته) جعلني أصعد وأهبط برج السلاسل ركضًا وأنا أرتمي الدرع كاملة. لقد جعلني أتبارز أربع ساعات في اليوم، كل يوم.

- كيف تحملت ذلك؟

- لم يكن لدي خيار. لست من النبلاء. المبارزة هي الطريق الوحيد لجذب الانتباه إليّ. لكنها آتت أكلها في النهاية. كم من العوام تعرفهم لديهم تكليف في حرس الملك؟ (هز چيزال كتفيه) إذا فكرت في الأمر، عدد قليل جدًا. (كون چيزال أحد النبلاء، فكر أنه ينبغي ألا يوجد أي منهم هناك) لكنك من عائلة جيدة، وأصبحت نقيبًا بالفعل. إذا فزت بالمسابقة، فلا يوجد حد لما يمكنك الوصول إليه. كبير أمناء البلاط هوف، والقاضي الأعلى ماروفيا، وحتى فاروز نفسه، كلهم كانوا أبطال عصرهم في المبارزة. الأبطال ذوو النسب الصحيح يذهبون دائمًا إلى أماكن عظيمة.

شخر چيزال: «مثل صديقك ساند دان جلوكتا؟».

وسقط الاسم بينهما مثل الحجر.

- حسنًا... ربما أغلب الوقت.

جاء صوت خشن من ورائهم: «أيها الرائد ويست!».

جاء رقيب ضخم له ندبة على خده يتقدم نحوهم مسرعًا.

- الرقيب فورست، كيف حالك؟

سأل ويست الجندي وهو يضربه على ظهره بحرارة. كان لديه لمستة مع الفلاحين، لكن على چیزال تذكير نفسه أن ويست نفسه لم يكن أفضل بكثير من الفلاح. قد يكون متعلمًا، وضابطًا، وما إلى ذلك، لكن ما زال يتشارك مع الرقيب أكثر من چیزال، إذا فكرت في الأمر.

ابتسم الرقيب: «جيد جدًا، شكرًا لك يا سيدي. (أومًا برأسه باحترام إلى چیزال) صباح الخير أيها النقيب».

أومًا له چیزال مقتضبًا واستدار لينظر بعيدًا نحو الممر. لم يستطع التفكير في سبب منطقي قد يجعل ضابطًا يستأنس مع الجنود العاديين. علاوة على ذلك، كان الرجل مشوهًا وقبيحًا. لم يكن لدى چیزال أي استفادة مطلقًا من القبيحين.

سأله ويست: «ماذا يمكنني أن أفعل لأجلك؟».

- المارشال بور يودُ رؤيتك، سيدي، لإحاطة عاجلة. وقد أمر جميع كبار الضباط بالحضور.

اكفهر وجه ويست: «سأكون هناك في أسرع وقت».

أدى الرقيب التحية وخرج. سأل چیزال بلا مبالاة، وهو يشاهد أحد الكتبة يطارد ورقة أسقطها: «لِمَ كل هذا؟».

- أنجلاند. ملك الشماليون هذا، بيثود. (نطق ويست الاسم عابسًا، كما لو أنه أشعره بالمرارة) يقولون إنه هزم جميع أعدائه في الشمال، والآن يستعد لقتال مع الاتحاد.

قال چیزال بمرح: «حسنًا، إن كانت معركة هي ما تريد».

في رأيه، كانت الحروب شيئًا جيدًا وفرصة ممتازة للمجد والتقدم. دفع نسيم خفيف بالورقة جوار حذائه، وخلفها الموظف مباشرة. ابتسم چیزال وهو يمر مسرعًا، وانحنى ضعف المسافة تقريبًا في محاولة خرقاء للإمساك بها.

التقط الرائد الوثيقة القذرة وأعطاه إياها. قال الموظف بامتنان، بوجه متعرق يرثى له: «شكرًا لك يا سيدي، شكرًا جزيلاً لك!».

تمتم ويست: «لا تفكر في الأمر».

وانحنى الموظف انحناؤه متملقة خفيفة وأسرع مبتعدًا. أصيب چيزال بخيبة أمل لاستمتاعه بالمطاردة.

- قد تكون هناك حرب، ولكن هذه هي أقل مشكلاتي الآن. (تنهد ويست بتثاقل) أختي في أدوا.
- لم أكن أعلم أن لديك أختًا.
- حسنًا لدي وهي هنا الآن.
- و...؟

لم يتحمس چيزال كثيرًا بخبر أخت الرائد. ربما ارتقى ويست بعض الشيء، لكن مؤكد أن بقية أفراد عائلته دون مستوى چيزال. اهتم فقط بمقابلة الفتيات الفقيرات العوام اللاتي يمكن له استغلالهن، أو الغنيات والنبيلات اللاتي قد يفكر في الزواج منهن. أي شيء بينهما لم يكن ذا أهمية لديه.

- حسنًا، يمكن أن تكون أختي أسرة لكنها أيضًا... غير تقليدية بعض الشيء. في المزاج الخاطئ قد يكون التعامل معها صعبًا. الحقيقة أنني أفضل قتال مجموعة من الشماليين على مواجهتها.

قال چيزال شاردًا، دون أن ينتبه لما كان يقوله: «تريث يا ويست، أنا متأكد أنها لا يمكن أن تكون بتلك الصعوبة».

أشرق وجه الرائد: «حسنًا، شعرت بالارتياح لسماع ذلك منك. كانت متحمسة دائمًا لرؤية الأجيوننت بعينيهما، وكنت أخبرها لسنوات أنني سأمنحها جولة إذا جاءت إلى هنا. لقد رتبنا لذلك اليوم في الواقع. (شعر چيزال بالغرق) والآن، مع هذا الاجتماع...».

تذمر چيزال: «لكن وقتي ضيق هذه الأيام!».

- أعدك أنني سأعوضك. سنلتقيك في عنبري خلال ساعة.

- انتظر...

لكن ويست كان قد ابتعد بالفعل.

لا تدعها تكون قبيحة للغاية، فكر چيزال وهو يقترب ببطء من الباب المؤدي لعنبر الرائد ويست ورفع قبضته غير الراغبة في الطرق. فقط لا تدعها تكون قبيحة للغاية. ولا غيبة كذلك. فلم يتبق سوى ضياع فترة ما بعد الظهر على فتاة غبية. كانت يده في منتصف الطريق إلى الباب عندما سمع الأصوات المرتفعة على الجانب الآخر من الباب. وقف في الممر شاعراً بالذنب، وأذنه تقترب أكثر فأكثر من الخشب، آملاً أن يسمع شيئاً مجاملاً عنه.

جاء صوت الرائد ويست مكتوماً، ويبدو أنه كان منزعاً للغاية: «... وماذا عن خادمك؟».

- اضطرتت إلى تركها في المنزل، هناك الكثير مما يحتاج إلى القيام به. لم يذهب أحد إلى هناك منذ أشهر.

صوت أخت ويست. سقط قلب چيزال. صوتها عميق، يبدو أنها سمينية. لم يكن چيزال ليتحمل رؤيته يتجول في الأجيوننت وعلى ذراعه فتاة سمينية. ستُطخ سمعته.

- لكن لا يمكن أن تتجولي في المدينة بمفردك!

- لقد وصلت إلى هنا بخير، أليس كذلك؟ أنسيت من نحن يا كوليم. أستطيع الاستغناء عن خادمة. أنا لست أفضل من خادمة على أي حال لأغلب الناس هنا. علاوة على ذلك، سيكون لدي صديق النقيب لوثار لرعايتي.

- وهذا أسوأ من ذاك، كما تعلمين جيداً!

- حسناً، لم أعلم أنك ستكون منشغلاً. اعتقدت أنك ستخصص الوقت لأختك. (لم تبدُ حمقاء، وذلك كان جيداً، لكنها سمينية، والآن عنيدة) ألسنتُ آمنة مع صديقك؟

- إنه جيد بما يكفي، ولكن أهو آمن معك؟ (لم يكن چيزال متأكداً مما يعنيه الرائد بهذا التعليق الصغير) وتجولك في الأجيوننت بمفردك مع رجل بالكاد تعرفينه؟ لا تمثلي الحمق، أنا أعرفك أفضل من ذلك! كيف سيفكر الناس؟

- إلى الجحيم ما سيفكر فيه الناس.

ابتعد چيزال عن الباب. لم يعتد سماع استخدام السيدات لهذه اللغة. سمينية، وعنيدة، وخشنة، اللعنة. قد تكون أسوأ مما خشي. نظر إلى نهاية

الممر، فكر في الركض إليه، وبدأ يفكر في عذر بالفعل. اللعنة على حظه السيئ، هناك شخص يصعد الدرج الآن. لن يتمكن من المغادرة دون رؤيته. عليه أن يطرق وينتهي من الأمر. صر على أسنانه وضرب الباب بامتصاص. توقفت الأصوات فجأة، وارتدى چيزال ابتسامة ودية واهية. فليبدأ التعذيب. انفتح الباب.

لسبب ما، توقع نسخة أقصر وأكثر بدانة من الرائد ويست ترتدي فستانًا. وكان مخطئًا للغاية. ربما كانت ممثلة قليلًا عمًا كان رائجًا، لأن الفتيات النحيفات هنّ الموضة الرائجة، لكن لا يمكن القول عنها إنها سمينية، فليست سمينية على الإطلاق. لديها شعر داكن، وبشرة داكنة، أغمق قليلًا مما قد يُوصَف بالمثالية. علم أنه على السيدة أن تبقى بعيدة عن الشمس كلما أمكن، ولكن ما إن نظر إليها، لم يعد يتذكر سببًا لذلك. كانت عيناها داكنتين للغاية، تكادان تكونان سوداوين، وكانت الأعين الزرقاء هي الالفة للأنظار هذا الموسم، لكن عينيها أشرقتا في ضوء المدخل الخافت بشكل ساحر نوعًا ما.

ابتسمت له. ابتسامة من نوع غريب، عالية من أحد الجانبين. أشعرته بنوع من عدم الارتياح، كما لو أنها تعرف شيئًا مضحكًا لا يعرفه. ومع ذلك، أسنانها ممتازة، بيضاء ولامعة. اختفى غضب چيزال بسرعة. كلما أطال نظره إليها أعجبته أكثر، وخلا رأسه من التفكير المقنع.

قالت: «مرحبًا».

فتح فمه قليلًا، كأنها عادته، ولكن لم يخرج شيء. عقله كان صفحة فارغة.

- لا بد أنك النقيب لوثار؟

- الاله....

- أنا آردي، أخت كوليم. (ثم ضربت جبهتها) أنا حمقاء للغاية، لا بد أن كوليم أخبرك عني بكل شيء. أعلم أنكما صديقان مقربان.

نظر چيزال بغرابة إلى الرائد، الذي عبس نحوه وبدا منهكًا نوعًا ما، فلا يستبعد القول إنه لم يعلم بوجودها أصلًا حتى ذلك الصباح. كافح لصياغة أي رد ولو كان مسليًا قليلًا، لكن لم يتبادر لذهنه أي شيء.

أمسكته آردي من مرفقه وسحبته داخل الغرفة ولم تتوقف عن التحدث: «أعلم أنك مبارز عظيم، ولكن قيل لي إن ذكائك أكثر حدة من سيفك. في الواقع، أنت لا تستخدم مع أصدقائك إلا سيفك، لأن ذكائك مميت للغاية».

نظرت إليه بترقب. صمت. تمت: «حسنًا، أنا أبارز قليلًا».

مثير للشفقة. شنيع تمامًا.

- أهذا هو الرجل الصحيح، أم أن البستاني هو الواقف هنا؟

نظرت إليه بتعبير غريب يصعب تفسيره، ربما كما ينظر جيزال إلى حصان يتفحصه وهو يفكر في شرائه: حذرة، باحثة، ذات مقصد، ومزدرية نوعًا ما.

- حتى البستانيون لديهم أزياء رائعة، على ما يبدو.

كان جيزال شبه متأكد أن ذلك كان نوعًا من الإهانة، لكنه انشغل جدًا في محاولته لقول شيء ذكي فلم يهتم به كثيرًا. علم أنه عليه التحدث الآن أو أنه سيقضي اليوم بأكمله في صمت محرج، لذا فتح فمه ووضع ثقته في حظه: «أعتذر إن بدوت مذهولًا، لكن الرائد ويست غير جذاب البتة. كيف أتوقع أن له أختًا جميلة هكذا؟».

شخر ويست من الضحك. رفعت أخته حاجبها، وأخذت تعد النقاط على أصابعها: «إهانة طفيفة لأخي، وهو شيء جيد. مسلٌ إلى حد ما، وهو جيد أيضًا. صادق، وهو أمر منعش، ومجامل جدًا لي، وهو أمر ممتاز بالطبع. تأخر بعض الشيء، لكنه في المجمل يستحق الانتظار. (حدقت إلى عين جيزال) ربما لن تكون فترة بعد الظهر مضيعة كاملة للوقت».

لم يكن جيزال متأكدًا أن هذا التعليق الأخير قد أعجبه، ولم يكن متأكدًا من إعجابه بالطريقة التي تنظر بها إليه، لكنه استمتع بالنظر إليها، لذا كان مستعدًا للتسامح كثيرًا. ونادرًا ما تحدثت النساء اللاتي يعرفهن بأي شيء ذكي، وبخاصة الجميلات منهن. لقد افترض أنهم يتدربن على الابتسام والإيماء والاستماع والرجال يتحدثون. على العموم، اعتاد الطريقة التي كانت عليها الأمور، لكن الذكاء كان لائقًا تمامًا مع أخت ويست، واستحوذت على ما هو أكثر من فضوله. السمعة والعند خارج القائمة إذن، بلا شك في ذلك. أما بالنسبة إلى الخشونة، فالناس الجميلة لا يمكن أن يكونوا خشنين أبدًا، أليس

كذلك؟ هي فقط... غير تقليدية. بدأ يفكر أن فترة ما بعد الظهر، كما قالت هي، ربما لن تكون مضيعة كاملة للوقت.

اتجه ويست للباب: «يبدو أنني مضطر إلى ترككما تجعلان من أنفسكما أحمقين. اللورد مارشال بور ينتظرنني. لا تفعلني شيئاً لن أفعله، هاه؟» بدا التعليق موجهاً لچيزال، لكن ويست كان ينظر إلى أخته.

قالت وهي تلفت انتباه چيزال: «هذا يعني السماح بكل شيء تقريباً». اندهش عندما شعر بنفسه يحمر خجلاً كفتاة صغيرة، فسعل ونظر إلى حدائه.

أبعد ويست عينيه ممتعصاً وهو يغلق الباب: «الرحمة».

سألته آردي: «أتريد شراباً؟».

وبدأت تصب النبيذ في كوب. وحيداً مع امرأة شابة جميلة. أخبر چيزال نفسه أنها لم تكن تجربة جديدة عليه، لكنه افتقد ثقته المعتادة.

- نعم، أشكرك، هذا لطف منك.

نعم، شراب، شراب هو ما يحتاج إليه لتهدئة أعصابه. مدت له الكوب وسكبت لنفسها كوباً آخر. وتساءل هل يليق بالفتاة أن تشرب في هذا الوقت من النهار، ولكن بدا قول أي شيء غير مجدٍ، في النهاية، هي لم تكن أخته.

- أخبرني أيها النقيب، كيف تعرف أخي؟

- حسناً، إنه قائدي المباشر، ونحن نتبارز معاً.

بدأ دماغه يعمل مرة أخرى: «ولكنك.. تعلمين ذلك بالفعل».

ابتسمت له: «بالتأكيد، لكن مربيتي أكدت عليّ دائماً بضرورة إعطاء الشباب فرصتهم في التحدث».

أصيب چيزال بسعال مزعج وهو يبتلع وسكب بعض النبيذ على سترته قائلاً: «يا إلهي».

- هاك، أمسك بهذه لحظة.

ناولته كأسها فأخذها دون تفكير، ووجد نفسه بلا يد شاغرة. عندما بدأت تمسح صدره بمنديل أبيض، لم يسعه الاعتراض، رغم أن ذلك بدا جرأة منها بعض الشيء. بصراحة، لربما اعترض إن لم تكن شديدة الحُسن. تساءل إن كانت تدرك مدى روعة المنظر الذي منحه إياه من واجهة فستانها، لكن مؤكد

لا، كيف ستدرك؟ ببساطة هي جديدة هنا، لم تتعود على السلوكيات المهذبة، بطبيعتها البسيطة كفتاة قروية أو ما شابه. لكن المنظر جميل، لا يمكن إنكار ذلك.

قالت: «هكذا أفضل».

على الرغم من أن تجفيفها لم يحدث فرقاً واضحاً لزيّه العسكري على الأقل. أخذت منه الكوب، وأفرغته سريعاً بهزة متمرسة من رأسها وقذفت به على الطاولة.

- هلا نذهب؟

- نعم بالطبع. أوه (ومد لها ذراعه).

قادته عبر الردهة لأسفل الدرج، متحدثة بحرية. كان وابلًا من الضربات الكلامية، وكما أشار المارشال فاروز في وقت سابق، كان دفاعه ضعيفاً. تصدى لها بياس وهم يشقون طريقهم عبر ساحة المارشالات الواسعة، لكنه بالكاد نطق بكلمة واحدة. بدا كما لو أن آردي هي التي عاشت هناك لسنوات وچيزال هو القروي القادم من الأقاليم.

أومأت برأسها نحو الجدار الملوح في الأفق الذي يفصل مقر جيوش الاتحاد عن بقية أجريونت.

- القاعات العسكرية هناك في الخلف؟

- بالفعل إنها هناك. وهناك أيضاً مكاتب اللورد مارشالات، وما إلى ذلك. وكذلك الثكنات، ومستودعات للأسلحة، و...

وسرح بعيداً فلم يجد ما يقوله، لكن جاءت آردي للمساعدة: «إذاً لا بد أن أخي هناك بمكان ما. أعتقد أنه جندي مشهور. في البداية بسبب اقتحام أولريوخ، وما إلى ذلك».

- نعم، بالفعل الرائد ويست يحظى باحترام كبير هنا.

- لكنه قد يكون مملاً أحياناً، أليس كذلك؟ يحب أن يكون غامضاً ومشغولاً.

ارتسمت على وجهها ابتسامة باهتة وبعيدة، وحكت ذقنها وهي تفكر، تماماً كما يفعل شقيقها أحياناً. قلدت الرجل تماماً، فضحك چيزال رغماً عنه، لكنه بدأ يتساءل إن كان ينبغي لها أن تسير قريبة منه لهذا الحد، تتأبط

ذراعه بحميمية. ليس لأن لديه مانعاً بل على النقيض تماماً، ولكن كان الناس ينظرون إليهم.

- آردي.

- لا بد أن هذا هو طريق الملوك.

- آه، صحيح، آردي...

كانت تحقق إلى تمثال هارود العظيم المهيب بعينيه الصارمتين مثبتتين على مسافة متوسطة. سألت: «هارود العظيم؟».

- اه، نعم. في العصور المظلمة، قبل وجود الاتحاد، حارب لتوحيد الممالك الثلاث معاً. وأصبح أول ملك أعلى.

فكر چيزال، أيها الغبي، لا بد أنها تعرف ذلك، الجميع يعرف ذلك.

- آردي، أعتقد أن أخاك لن...

- وهذا هو باياز أول المجوس؟

- نعم، كان أكثر مستشاري هارود ثقة. آردي...

- أصبح أنهم يحتفظون بمقعد شاغر له في المجلس المغلق؟

تفاجأ چيزال: «سمعت بوجود كرسي شاغر بالفعل، لكنني لم أعرف أنه...».

- يبدون جميعاً جادين جداً، أليس كذلك؟

قال بابتسامة باهتة: «آه... أفترض أنها كانت عصوراً جادة».

انْدَفَعَ أحد نُدُر الملك في الطريق ممتطياً حصاناً ضخماً كثيف اللعاب، تتلأأ أشعة الشمس على أجنحة خوذته الذهبية. تفرق الأمناء ليسمحوا له بالمرور، وحاول چيزال إبعاد آردي بلطف عن الطريق لكنها رفضت التحرك مما أثار امتعاضه. مرق الحصان على بُعد بضع بوصات منها فنفضت الرياح القادمة منه شعرها في وجه چيزال. التفتت إليه والإثارة ظاهرة في احمرار وجهها، عدا ذلك فقربها الشديد من إصابة جسيمة لم يقلقها البتة. سألتها، متأبطة ذراعه ثانية وهي تقوده نحو طريق الملوك: «نذير الملك؟».

رد چيزال بصوت حاد في محاولة يائسة للسيطرة عليه: «نعم، عهد لنُدُر الملك بمسؤولية خطيرة، وهي حمل رسائل الملك لكل أنحاء الاتحاد. (هدأ تسارع قلبه وأكمل) حتى لما بعد البحر الدائري في آنجلاند، وداجوسكا،

وويستبورت. فهم مؤتمنون للتحدث باسم الملك، ولذلك يُحَرَّم عليهم الحديث إلا في شؤون الملك».

- فيدور دان هادن كان معنا على متن القارب إلى هنا، وهو نذير الملك. تحدثنا لساعات. (حاول چیزال احتواء مفاجأته دون جدوى) تحدثنا عن أدوا وعن الاتحاد وعن عائلته. كما ذُكر اسمك أيضًا. (فشل چیزال في أن يبدو غير مبالي مرة أخرى) فيما يتعلق بالمسابقة القادمة. (انحنى آردي مقتربة منه) رأى فيدور أن برimmer دان جورست سيقطعك إربًا. أصيب چیزال بسعال خائق، لكنه استعاد رباطه سريعًا: «مع الأسف، يبدو أن كثيرين لديهم هذا الرأي».

- لكنك لا ترى ذلك، كما أرجو؟

- الر...

توقفت وأمسكت بيده ونظرت إلى عينيه بجدية: «أنا متأكدة من تفوقك عليه، بغض النظر عما يقال. أخي يثني عليك كثيرًا، وهو شحيح في مديحه».

- الر...

شعر چیزال بوخز لذيذ في أصابعه. عيناها كبيرتان حالكتان، ووجد نفسه مفتقدًا لأي كلمة يقولها. كانت تعض شفتها السفلى بطريقة تجعله شارد الذهن. شفة ناعمة وممتلئة. لم يكن ليمنع مضغة صغيرة لنفسه. رد بابتسامة بلهاء: «حسنًا، شكرًا لك».

قالت آردي مبتعدة لتبدي إعجابها بالمساحات الخضراء: «إذًا فهذه هي الحقيقة، إنها أجمل مما كنت أتخيل».

- الر... نعم.

- كم هو رائع أن تكون في قلب الأحداث. قضيت الكثير من حياتي على الحافة. لا بد أن هناك العديد من القرارات المهمة التي تُتخذ هنا، والعديد من الأشخاص المهمين. (مررت آردي يدها على خوص شجرة صفصاف على الطريق) يشعر كوليم بالقلق من احتمال نشوب حرب في الشمال. كان قلقًا على سلامتي. أعتقد أنه لهذا أرادني أن آتي إلى هنا. أعتقد أنه يقلق أكثر من اللازم. ما رأيك أيها النقيب لوثر؟

نَعَمْ بجهله بالوضع السياسي حتى بضع ساعات مضت، لكن لم يكن ذلك ليتناسب مطلقاً كرد عليها فبدأ يرد: «حسناً، (حاول تذكر الاسم، وأكمل بارتياح) يستحق بيثود القرع على مفاصل أصابعه».

- يقولون إن لديه عشرين ألفاً من الشماليين تحت حكمه. (ومالت نحوه متممة) من البرابرة. (همست) المتوحشون.. سمعت أنه يسلم أسراه أحياء.

فكر چيزال أن هذه المحادثة لا تتناسب مع فتاة شابة. فبدأ يقول: «آردي...».

- لكنني متأكدة أنه بوجود رجال مثلك ومثل أخي لحمايتنا، فنحن النساء ليس لدينا ما يدعو للقلق.

واستدارت لتنتقل على الطريق. أسرع چيزال للحاق بها.

أشارت آردي للحدود القاتمة للبرج الضخم: «أهذا هو دار الصانع؟».

- ماذا؟ نعم هذا هو.

- ألا يدخله أحد؟

- لا أحد. ليس خلال حياتي على أية حال. الجسر مغلق بالقفل.

عبس وهو ينظر إلى البرج. بدا غريباً عليه أنه لم يفكر في أمره قط. منذ عاش في الأجيوننت، كان دائماً هناك. اعتاده بشكل أو بآخر.

- المكان مقفل، كما أعتقد.

- مقفل؟

اقتربت منه آردي. نظر چيزال حوله بتوتر ولكن لم يكن أحد ينظر إليهما.

- أليس غريباً أنه لم يدخله أحد؟ أليس هذا لغزاً؟ (كاد يشعر بأنفاسها على رقبتة) أقصد لماذا لا نفتح الباب فحسب؟

وجد چيزال صعوبة بالغة في التركيز وهي قريبة منه هكذا. تساءل للحظة بشكل أخافه وأثاره معاً، أكانت تغازله؟ لا، لا، بالطبع لا! هي فقط لم تعُد المدينة فهي بطبيعتها البسيطة كفتاة قروية... لكنها كانت قريبة جداً. فقط لو لم تكن جذابة هكذا أو واثقة هكذا. فقط لو لم تكن... أخت ويست هكذا.

سعل ونظر إلى نهاية الطريق، آملاً دون جدوى فيما قد يشئت الانتباه. هناك قليلون يتحركون عليه، لكنه لم يتعرف على أحد، إلا إذا... وفجأة انفكَّ

سحر أردي، وشعر چيزال بجلده يزداد برودة. شخص أحذب، يرتدي ملابس ثقيلة في يوم مشمس كهذا، يعرج مقترباً، متكئاً بثقله على عصاه. ينحني ويتألم مع كل خطوة، والمشاة الذين يتحركون أسرع منه يفسحون له. حاولت چيزال توجيه أردي بعيداً قبل أن يراهم، لكنها قاومت بلباقة وتوجهت مباشرة نحو المحقق المتهالك.

رفع رأسه عندما اقتربا وتألفت عيناه متعرفاً عليهما. غاص قلب چيزال فلم يعد بإمكانه تجنبه الآن.

قال جلوكتا بحرارة، وهو يقترب قليلاً ليصافحه: «يا للمفاجأة، النقيب لوثر، يا له من شرف! أنا مدهوش أن فاروز تركك مبكراً هكذا. لا بد أن الرجل أصبح ليناً في شيخوخته».

انفجر چيزال: «ما زال اللورد مارشال كثير التكلّف».

- أمل أن منفضي لم يزعجوك تلك الليلة. (هز المحقق رأسه بحزن) ليس لديهم أخلاق. لا أخلاق على الإطلاق. لكنهم الأفضل فيما يفعلونه! أقسم إن الملك ليس لديه خدم أكثر فائدة منهم.

- أعتقد أن جميعنا يخدم الملك بطريقته الخاصة.

ظهر بعض العداء في صوت چيزال أكثر مما أراد. إذا شعر جلوكتا بالإهانة فلم يكن يظهر عليه: «إلى حد كبير. لا أعتقد أنني أعرف صديقتك».

- لا. هذه هي...

قالت أردي وهي تمد يدها إلى المحقق مثيرة دهشة چيزال: «في الواقع، التقينا من قبل. أردي ويست».

رفع جلوكتا حاجبيه: «لا» وانحنى بصعوبة لتقبيل ظهر يدها. رأى چيزال أن فمه يلتوي في أثناء وقوفه مستقيماً مرة أخرى، ولكن سرعان ما عادت الابتسامة الخالية من الأسنان: «أخت كوليم ويست! تغيرت كثيراً».

ضحكت قائلة: «آمل أن يكون للأفضل».

شعر چيزال بعدم ارتياح شديد. قال جلوكتا: «ماذا، نعم بالتأكيد».

- أنت أيضاً تغيرت يا ساند. (فجأة بدت أردي حزينة جداً) عاظتني كلها كانت قلقة للغاية. أملنا وتمنينا عودتك سالمًا. (رأى چيزال تشنّجاً على وجه جلوكتا) ثم عندما سمعنا أنك تأذيت... كيف حالك؟

نظر المحقق إلى چيزال، وعينه باردتان كالموت البطيء. حدق چيزال إلى حدائه، وتكتل الخوف في حلقه. لم يكن بحاجة إلى الخوف من هذا الأعرج، أليس كذلك؟ ولكن يبدو أنه تمنى لو أنه كان في تدريب المبارزة. حدق جلوكتا إلى آردي، وعينه اليسرى ترتعش قليلاً، ونظرت إليه بلا خوف، بعينين امتلأتا بقلق صادق: «أنا بخير. بخير كما هو متوقع. (أصبح تعبيره غريباً جداً. شعر چيزال بعدم ارتياح أكثر) شكراً لسؤالك. حقاً. لا أحد يفعل ذلك مطلقاً».

هناك صمت محرج. مدَّ المحقق رقبتَه لأحد الأجناب فصدرت طرقعة عالية: «آه! ها هي. سررت لرؤيتكما مرة أخرى، لكن الواجب ينادي». أعطاهما ابتسامة منقّرة أخرى، ثم ابتعد وهو يعرج، وقدمه اليسرى تزحف في الحصى.

عbst آردي وهي تنظر إلى ظهره الملتوي وهو يعرج ببطء بعيداً. وقالت بصوت منخفض: «أمره محزن للغاية».

تمتم چيزال: «ماذا؟» كان يفكر في ذلك اللقيط الأبيض الضخم في الشارع ذي العينين الورديتين الضيقتين. والسجين بالكيس على رأسه. جميعنا يخدم الملك بطريقته الخاصة. هذا حقيقي. ارتعد لا إرادياً.

- كان هو وأخي قريبين جداً. جاء ليقيم معنا في صيف إحدى السنوات. افتخرت عائلتي بوجوده جداً لدرجة أن الأمر بدا محرجاً. تبارز مع أخي كل يوم، وفاز كل مرة. الطريقة التي تحرك بها، استحققت المشاهدة فعلاً. ساند دان جلوكتا. كان ألمع نجم في السماء. (أظهرت ابتسامتها الجزئية المعهودة مرة أخرى) والآن سمعت أنك من يحمل ذاك اللقب.

رد چيزال: «هاه...». غير متأكد إن كانت تمدح أم تسخر. لم يستطع التخلص من شعور أنه غُلبَ مرتين ذلك اليوم، مرة من كل شقيق.

واعتقد أن الأخت هي التي وجهت له الهزيمة الأقسى.

طقوس الصباح

كان يومًا صيفيًا مشرقًا امتلأت فيه الحديقة بالمحتفلين الملونين. سار العقيد جلوكتا ببسالة متجهًا لاجتماع ذي أهمية شديدة، والمارة ينحنون له ويتزاحمون بكل احترام لإفساح الطريق له. تجاهل معظمهم، وبادل أكثرهم أهمية بابتسامة لامعة. تلك القلة المحظوظة أشرقت وجوههم، كانوا سعداء أنه لاحظهم.

- أفترض أن جميعنا يخدم الملك بطريقته الخاصة.

تذمر النقيب لوثر وحاول الوصول إلى سيفه، لكن جلوكتا كان أسرع منه بكثير. مرق نصله كالبرق صائدًا الأحمق المتهم من عنقه.

تناثرت الدماء على وجه آردي ويست التي صفقت بيديها فرحًا، ونظرت إلى جلوكتا بعينين مشرقتين.

اندهش لوثر أنه قُتل. قال جلوكتا مبتسمًا: «هاه. صحيح تمامًا». سقط النقيب على وجهه، والدماء تتدفق من حلقومه المثقوب. هتفت الجماهير تقديرًا لهم، ودللهم جلوكتا بانحناء عميقة ورشيقة فتضاعف الهتاف. تمتمت آردي وجلوكتا يلحق الدم عن خدها: «أوه، أيها العقيد، لا ينبغي أن تفعل ذلك».

- لا ينبغي ماذا؟

زمجر وأمالها بين ذراعيه وقَبَّلَهَا بشدة. دخل الحشد في حالة من الجنون. شهقت عندما أبعدھا، ونظرت بإعجاب إلى عينيها الداكنتين الكبيرتين، وبشفتين مفتوحتين قليلًا. قالت بابتسامة مَليحة: «أُمُورِيء الآلا يبيدك».

- ماذا؟

صمت الحشد، اللعنة عليهم، وشعر بخذل جانبه الأيسر. لمست أردي خده
بحنان وصرخت: «أُمُورِيء الآلا!».

طَرَّقُ قوي على الباب. فتح جلوكتا عينيه: «أين أنا؟ من أنا؟ أوه لا.. أوه نعم».

أدرك فوراً أنه كان نائماً في وضع سيئ، جسده ملتوٍ تحت البطاطين،
ووجهه مدفون في الوسادة. وجانبه الأيسر كله ميت.

أصبح الضرب على الباب أقوى من ذي قبل. جاء خوار فروست عديم
اللسان من الجانب الآخر: «أُمُورِيء الآلا!».

انطلق الألم في رقبة جلوكتا وهو يحاول رفع رأسه عن الوسادة. آه، لا
يوجد مثل تشنجات بداية اليوم لتنشيط العقل. نعق رداً عليه: «حسناً! أعطني
دقيقة، اللعنة!».

ابتعدت خطوات الأمهق الثقيلة عبر الممر. استلقى جلوكتا ساكناً للحظة،
ثم حرك ذراعه اليمنى بحذر، ببطء شديد، وأنفاسه تخرج متحشجة من
الجهود المبذول، وحاول لف جسده ليستدير على ظهره. أطبق قبضته بشدة
عندما بدأ الوخز في ساقه اليسرى. فقط لو بقي الشيء اللعين مجرد خدلة.
لكن الألم أتى بسرعة. ثم أدرك وجود الرائحة الكريهة. اللعنة لقد تغوطت على
نفسي مرة أخرى.

عوى جلوكتا: «بارنام!» ثم انتظر، وهو يلهث، وجانبه الأيسر ينبض
بانتيقاص. أين ذلك الأحمق العجوز؟ صرخ ملء أنفاسه: «بارنام!».

جاء صوت الخادم من وراء الباب: «هل أنت بخير يا سيدي؟».

بخير؟ بخير أيها الأحمق العجوز؟ متى بالضبط آخر مرة ظننت فيها أنني
كنت بخير؟ رد عليه: «لا، اللعنة! لقد لوثت السرير!».

- غليت ماء الاستحمام يا سيدي. هل تستطيع النهوض؟

اضطر فروست إلى كسر الباب ذات مرة. ربما عليّ تركه مفتوحاً طوال
الليل، لكن كيف سيمكنني النوم؟ هسهس جلوكتا: «سأتدبر الأمر»، وضغط
بلسانه على لثته الفارغة، وذراعه ترتجفان وهو يسحب نفسه من السرير
على الكرسي بجانبه.

ارتعشت ساقه اليسرى المشوهة التي بلا أصابع، بلا تحكم منه فيها. نظر إليها بكراهية شديدة. الشيء الفظيع اللعين. قطعة لحم مقرزة وعديمة الفائدة. لماذا لم يبتروك فحسب؟ لما لا أفعل أنا؟ لكنه عرف لماذا. فعلى الأقل بوجود ساقه يمكنه التظاهر أنه نصف رجل. لَكُمْ فخذة الذابلة وندم على ذلك فوراً. غبي غبي. بدأ الألم بالزحف نحو ظهره، أشد قليلاً من ذي قبل، ويزيد بمرور كل ثانية. هيا الآن، هيا الآن، دعينا لا نتقاتل. بدأ بدعك قطعة اللحم عديمة الفائدة بلطف. نحن عالقون مع بعضنا بعضاً، فلماذا تعذبنيني؟

- هل يمكنك الوصول إلى الباب يا سيدي؟

جعد جلوكتا أنفه بسبب الرائحة، ثم أمسك بعصاه ودفع نفسه ببطء وبألم على قدميه. عرج في الغرفة، كاد ينزلق بمنتصف الطريق، لكنه عدل نفسه بوخزة لاذعة. أدار المفتاح في القفل، واستند إلى الحائط ليتوازن، ثم فتح الباب.

وقف بارنام على الجانب الآخر بذراعين ممدودتين مستعداً للإمساك به. يا للخزي. مجرد التفكير أنني، ساند دان جلوكتا، أعظم مبارز شهده الاتحاد على الإطلاق، أحتاج إلى رجل عجوز ليحملني إلى حمامي حتى أتمكن من غسل تغوطي. لا بد أنهم يضحكون بصوت عالٍ الآن، كل هؤلاء الحمقى الذين هزمتهم، إذا كانوا ما زالوا يتذكرونني. سأضحك أنا أيضاً، إن لم يكن الأمر مؤلماً جداً. لكنه نقل ثقله عن ساقه اليسرى ووضع ذراعه حول كتفي بارنام دون شكوى. بم سيفيد أي شيء؟ لربما من الأفضل أن أجعل الأمر سهلاً على نفسي. سهلاً قدر ما يمكنني.

أخذ جلوكتا نفساً عميقاً وقال له: «تحرك برفق، فالساق لم تستيقظ بعد». وثبا وتعثرا في الممر الذي كان ضيقاً عليهما معاً بعض الشيء. بدا الحمام وكأنه على بعد ميل. او ربما أكثر. أفضل المشي مئة ميل كما كنت، عن الذهاب إلى الحمام كما أنا الآن. لكن هذا حظي السيئ، أليس كذلك؟ لا يمكن العودة أبداً.

شعر جلوكتا بدفء البخار اللذيذ على بشرته الدبقة. بينما رفع ساقه اليمنى ببطء ووضعها بحذر شديد في الماء، كان بارنام يمسكه من تحت ذراعيه. اللعنة، إنها ساخنة. ساعده الخادم العجوز بإنزال ساقه الأخرى، ثم أخذه من تحت إبطيه وأنزله في الماء كطفل حتى رقبتة.

اهها. أظهر جلوكتا ابتسامة عديمة الأسنان: «ساخنة كمَصْهَر الصانع يا بارنام.. تمامًا كما أحبها». بدأت الحرارة تدخل للساق الآن، والألم ينحسر. لم يذهب تمامًا. لا يذهب تمامًا أبدًا. لكنه أفضل. أفضل كثيرًا. بدأ جلوكتا يشعر وكأنه يستطيع مواجهة يوم جديد. عليك أن تتعلم حب الأشياء الصغيرة في الحياة، مثل الحمام الساخن. عليك أن تحب الأشياء الصغيرة، عندما لا تمتلك أي شيء آخر.

كان المنفذ فروست ينتظره في الطابق السفلي في غرفة الطعام الضئيلة وجسده الضخم محشور في كرسيٍّ منخفض مقابل الحائط. تدلى جلوكتا حتى جلس على الكرسي الآخر واستنشَق نفحة من وعاء العصيدة الذي يتصاعد منه البخار، والملعقة الخشبية بارزة بزاوية دون أن تلمس جانب الوعاء. قرقعت معدته وبدأ لعبه يسيل بغزارة. في الواقع هي جميع أعراض الغثيان الشديد.

صاح جلوكتا: «يا هلا! عصيدة مرة أخرى! (نظر إلى المنفذ الجالس بلا حراك) عصيدة بعسل خفيف خير من مال كثيف، كل شيء لطيف، بعصيدة وعسل خفيف! (لم ترمش العين الوردية) إنها قافية للأطفال. غنتها والدتي لي. رغم أنها لم تجعلني أكل هذا الوحل أبدًا. لكني الآن، (وغرز الملعقة داخلها) لا يمكنني الاكتفاء منها. (حرق فروست إلى وجهه مرة أخرى) صحية (وملاً فمه بجرعة من المهروس الحلو وعرَف ملعقة أخرى) لذيذة (واختنق أكثر) وهنا الفاصل الحقيقي (قال وهو يختنق قليلاً في البلعة التالية) لا تحتاج إلى المضغ (دفع الوعاء شبه الممتلئ بعيداً وألقى الملعقة خلفه) هممم، الإفطار الجيد يصنع يومًا جيدًا، ألا تعتقد ذلك؟».

كان أشبه بالتحديق إلى جدار مطلي باللون الأبيض، لكن دون مشاعر، سأله: «إذا فالمقرئ الأعلى يريدني مرة أخرى، أليس كذلك؟ (أوماً الأمهق) وما الذي قد يرغب فيه قائدنا المرموق من أمثالنا، في رأيك؟ (هز كتفيه) مم. (لعق جلوكتا بقايا العصيدة من لثته الخاوية) أتعلم إن كان يبدو في مزاج جيد؟ (هز كتفيه مرة أخرى) مهلاً، مهلاً أيها المنفذ فروست، لا تخبرني بكل شيء دفعة واحدة، لا أستطيع استيعاب ذلك».

صمت. دخل بارنام الغرفة وأزال الوعاء: «هل تريد أي شيء آخر يا سيدي؟».

- بالتأكيد. شريحة كبيرة من اللحم نصف النيء وتفاحة مقرمشة لطيفة.

(نظر إلى المنفذ فروست) كنت أحب التفاح وأنا طفل.

كم مرة ألقىت تلك النكتة؟ نظر فروست إليه بلا أي تفاعل، لا يوجد ضحك هناك. التفت جلوكتا إلى بارنام، فأعطاه العجوز ابتسامة متعبة. تنهد جلوكتا: «حسنًا، على الرجل أن يكون لديه بعض الأمل، أليس كذلك؟».

تمتم الخادم وهو متجه نحو الباب: «بالطبع يا سيدي».

ألديه فعلاً؟

كان مكتب المقرئ الأعلى في أعلى دور بدار الأسئلة، والطريق إليه كان طويلًا. الأسوأ من ذلك أن الممرات ازدحمت بالكثيرين. مُنْقَذُونَ، كُتَبَةٌ، محققون، يزحفون كالنمل في تل من الروث المتآكل. كلما شعر بأعين تنظر إليه، عرج جلوكتا مبتسمًا ورافعًا رأسه. كلما شعر أنه وحيد، توقف ولهث، وتَعَرَّقَ، ولعن، ودَلَّك ساقه وضربها لتعود إليها الحياة الهشة مرة أخرى.

سأل نفسه: لماذا يجب أن يكون عاليًا هكذا؟ وهو يتنقل بين القاعات المعتمدة والسلالم المتعرجة للمبنى المشابه للمتاهة. عندما وصل إلى غرفة الانتظار، كان مرهقًا ويزفر بقوة، ويده اليسرى محتقنة على مقبض عصاه.

تفحصه سكرتير المقرئ الأعلى برؤية من خلف مكتب كبير غامق شغل نصف الغرفة. هناك بعض الكراسي الموضوعة في المقابل حتى يتوتر المنتظرون عليها، وهناك مُنْقَذَان ضخما الجثة تقدما الأبواب المزدوجة الكبيرة المؤدية للمكتب، كانا ساكنين وكئيبيين فبدوا وكأنهما جزء من الأثاث. سأله السكرتير بصوت حاد: «هل لديك موعد؟»، أنت تعرف من أنا، أيها اللعين الصغير المعتد بنفسه.

قال جلوكتا غاضبًا: «بالطبع، أظن أنني عرجت صاعدًا إلى هنا لأبدي إعجابي بمكتبك؟».

نظر السكرتير إليه آنفًا. كان شابًا شاحبًا ووسيمًا له شعر مكتنز أصفر. ابن خامس مغرور لأحد النبلاء الصغار ذوي الأعضاء التناسلية مفرطة النشاط، ويعتقد أنه يستطيع التعالي علي؟ سأله باستهزاء: «واسمك هو؟».

نفذ صبر جلوكتا من الصعود فحطّم عصاه فوق المكتب وكاد السكرتير يقفز من كرسيه: «ماذا تكون؟ أنت أحمق لعين؟ كم عدد المحققين العرجى لديكم هنا؟».

قال السكرتير، وفمه يتحرك بعصبية: «آرر».

- آرر؟ آرر؟ أهذا رقم؟ تكلم!

- حسنًا أنا...

- أنا جلوكتا، أيها الأحمق! المحقق جلوكتا!

- نعم سيدي، أنا...

- أخرج مؤخرتك السمينة من ذلك الكرسي أيها الأحمق! لا تجعلني أنتظر!

نهض السكرتير، وأسرع نحو الأبواب، وفتح أحدهم، ووقف جانبًا باحترام. زمجر جلوكتا وهو يمشي خلفه: «هكذا أفضل». نظر إلى أحد المنفذين وهو يعرج جانبه. كاد يكون متأكدًا أن أحدهم أبدى ابتسامة طفيفة على وجهه.

لم تتغير الغرفة كثيرًا منذ أن كان هناك آخر مرة، قبل ست سنوات. كانت كهفية مستديرة، وسقفها مقبب ومنحوت بأوجه الغراغيل، وفُرت نافذته الوحيدة الضخمة إطلالة رائعة على أبراج الجامعة، وجزء كبير من جدار الأجيوننت الخارجي، وحدود دار الصانع الذي لاح في الأفق.

اصطف بأغلب الغرفة من الداخل، أرفف وخزائن تكدست لأعلى بالملفات والأوراق المرتبة بعناية. أطلّت بعض الصور الداكنة من الجدران البيضاء المتناثرة، منها صورة ضخمة لملك الاتحاد الحالي وهو شاب، ويبدو حكيماً وصارماً. لا شك أنه رسم قبل أن يصبح أضحوكة خَرَفًا. سلطانه أقل بقليل واللعب الشارد منه أكثر بعض الشيء. توجد طاولة مستديرة ثقيلة في وسط الغرفة، رسم على سطحها خريطة الاتحاد بتفاصيل بدیعة. وضع حجرًا كريمًا على كل مدينة بها إحدى إدارات جهاز الاستجواب، وظهر مجسم مطابق فضي صغير لأدوا في مركز الطاولة.

جلس المقرئ الأعلى على كرسي مرتفع عريق إلى هذه الطاولة، يخوض محادثة عميقة مع رجل آخر: عجوز، هزيل، أصلع، متجهّم الوجه يرتدي عباءة داكنة. انتصب سولت وجلوكتا يتجه نحوهم، لم يتغير تعبير الرجل الآخر تقريبًا.

- يا للمفاجأة، المحقق جلوكتا، سعيد بانضمامك إلينا. هل تعرف كبير المسّاحين هاليك؟

قال جلوكتا: «لم أثل الشرف». ولا أعتقد أنه شرف كبير. وقف البيروقراطي العجوز وصافح جلوكتا دون حماس.

- هذا أحد محققيّ، ساند دان جلوكتا.

تمتم هاليك: «نعم بالفعل. أعتقد أنك كنت في الجيش. أعتقد أنني رأيتك تبارز ذات مرة».

نقر جلوكتا على ساقه بعصاه: «لا بد أن ذلك لم يكن في الآونة الأخيرة».

- لا.

ران بعض الصمت ثم قال سولت: «من المرجح أن ينال كبير المسّاحين قريباً أكثر الترقيات أهمية. كرسي في المجلس المغلق نفسه». المجلس المغلق؟ حقاً؟ أكثر الترقيات أهمية فعلاً.

لكن هاليك بدا أقل سعادة: «سأعتبر الأمر قد تم عندما يسعد جلالته بدعوتي (وانفعل) وليس قبل ذلك».

تخطى سولت ذلك الجدل الوعر بسلاسة: «أنا متأكد أن المجلس يراك المرشح الوحيد الذي يستحق التوصية، بعد استبعاد سيب دان توفيل من الاعتبار».

صديقنا القديم توفيل؟ استبعد أخذه في الاعتبار من ماذا؟

عبس هاليك وهز رأسه: «توفيل. عملت مع الرجل لعشر سنوات. لم أحبه قط. أو أي أحد آخر، بالنظر إلى مظهره. لكنني لم أعتبره خائناً قط».

هز سولت رأسه بحزن: «جميعنا يشعر بذلك بالضبط، ولكن ها هو اعترافه بالحبر علي الورق. (رفع الورقة المطوية بتجهم عابس) أخشى أنه يمكن للفساد التجذر بعمق مع الأسف. ومن يعرف ذلك أفضل مني، من عمله المؤسف هو إزالة الأعشاب الضارة من الحديقة؟».

تمتم هاليك وهو يومئ برأسه متجهماً: «بالفعل، بالفعل. أنت تستحق كل شكرنا على ذلك. وأنت أيضاً أيها المحقق».

قال جلوكتا بتواضع: «ااه لا، لست أنا من يستحق...».

نظر ثلاثتهم إلى بعضهم بعضاً في تمثيلية من الاحترام المتبادل.

دفع هاليك كرسية إلى الخلف: «حسنًا، الضرائب لا تجمع نفسها. يجب أن أعود إلى عملي».

قال سولت: «استمتع بأيامك القليلة الأخيرة في العمل. أعطيك كلمتي أن الملك سوف يرسل لك قريبًا!».

سمح هاليك لنفسه بابتسامة دقيقة، ثم أومأ لهم بصعوبة ورحل. أخرجهم السكرتير وأغلق الباب الثقيل. صمت. لكن ملعون أنا إن كنت من يكسره.

- أتوقع أنك تتساءل عن سبب كل هذا، أليس كذلك، جلوكتا؟

- فكرت في ذلك، سماحتك.

- أراهن أنك فعلت.

نهض سولت من كرسية وسار نحو النافذة، وشَبَّك يديه في قفازيهما الأبيضين خلف ظهره: «العالم يتغير يا جلوكتا، العالم يتغير. النظام القديم ينهار. الولاء، الواجب، الكرامة، الشرف. مبادئ أصبحت عتيقة. وما الذي استبدلها؟ (وألقى نظرة من فوق كتفه للحظة، وزم شفثيه) الجشع. أصبح التجار هم القوة الجديدة على الأرض. المصرفيون وأصحاب المتاجر والباعة. رجال صغار، عقولهم ضئيلة وطموحاتهم قليلة. رجال ولاؤهم الوحيد لأنفسهم، وواجبهم الوحيد الحفاظ على امتلاء أكياس نقودهم، وفخرهم الوحيد في خداع سادتهم، وشرفهم الوحيد في ميزان عملاتهم الفضية. لا حاجة إلى السؤال عن موقفك من طبقة التجار. (قَطَّبَ سولت جَبِينَهُ نحو المشهد أمامه، ثم عاد إلى الغرفة) يبدو الآن أنه يمكن لابن أي شخص الحصول على التعليم وإقامة عمل، ويصبح ثريًا. النقابات التجارية: البَزَّازون، العَطَّارون وأمثالهم، نمت ثروتهم ونفوذهم بانتظام. قفزوا لأعلى، ونُصِّب العامة حتى أصبحوا يملون أوامرهم على سادتهم الطبيعيين، وتلاعبت أصابعهم السمينية الجشعة بمفاتيح السلطة. وصل الوضع إلى حدٍّ لا يمكن تحمُّله. (ارتجف وهو يخطو عبر الغرفة) سأحدث معك بصراحة أيها المحقق. (لَوَّحَ المقرئ الأعلى بيده برشاقة، وكأن صراحته هدية لا تُقَدَّر بثمن) قوة الاتحاد الآن أعلى من أي وقت مضى، فلم يسيطر قط على أراضٍ أكثر من الآن، لكن تحت الواجهة نحن ضعفاء. وليس سرًّا أن الملك فقد القدرة على اتخاذ قراراته بنفسه تمامًا. ولي العهد لاديسلا الشابُّ المُتَبَخِّر، محاط بالمتملقين والحمقى، لا يهتم إلا بالمقامرة والأزياء. الأمير رينو أجدر منه بالحكم، لكنه الأخ الأصغر. المجلس المغلق، الذي ينبغي أن تكون مهمته توجيه هذه السفينة المثقوبة، ممثلي

بالمحتالين والمتآمرين. بعضهم قد يكون مخلصًا، والبعض الآخر مؤكد ليس كذلك، وكلهم عازمون على اجتذاب الملك لمصلحتهم الخاصة. يا له من أمر مثير للغضب، أفترض أن عليهم جذبه لمصلحتك؟ وفي الوقت نفسه، فالاتحاد يحيطه الأعداء والمخاطر خارج حدودنا، وداخلها. أصبح لجوركول إمبراطور جديد وقوي، يعد بلاده لحرب أخرى. الشماليون متمردون أيضًا، ويحومون على حدود أنجلاند. ويطالب النبلاء في المجلس المفتوح بالقوانين القديمة، ويطالب الفلاحون في القرى بقوانين جديدة. (تنهد بعمق) نعم، النظام القديم يتداعى، ولا أحد يملك الشجاعة أو القدرة على دعمه».

توقف سولت، وحدق إلى إحدى الصور، رجل ضخم أصلع يرتدي ملابس بيضاء بالكامل. تعرف عليه جلوكتا على الفور. زولر، أعظم المقرئين الأعلى. بطل جهاز الاستجواب الذي لا يكل، أشوس المعذبين، وبلاء الخائنين. كان يحرق من الجدار بيبغض، كما لو أنه حتى بعد الموت يمكنه أن يحرق الخونة بنظرة واحدة.

زمجر سولت: «زولر.. اختلفت الأوضاع في عصره، يمكنني أن أشهد بهذا. فلا فلاحون يثنون، ولا تجار محتالون، ولا نبلاء عابسون. إذا نسي أحد مكانه، يُذَكَّر بالحديد والنار، ولم يكن هناك قاضٍ يجروء على التذمر وإلا فهي الأخيرة له. كان جهاز الاستجواب مؤسسة نبيلة، عامرة بالأميز والألمع. هدفه الوحيد هو خدمة ملكهم والقضاء على الخيانة، ومكافأتهم الوحيدة أيضًا».

اه، كانت الأمور عظيمة في الأيام الخوالي.

جلس المقرئ الأعلى على مقعده ومال نحوه فوق الطاولة: «والآن أصبحنا مكانًا يمكن لثالث جيل من أبناء نبلاء معدمين ملء جيوبهم بالرشاوى، أو لحثالة شبه إجرامية إشباع شغفها في التعذيب. أخذ نفوذنا يتضاءل عند الملك، وخُفِّضت ميزانيتنا باستمرار. ذات يوم كنا ذوي هيبة واحترام يا جلوكتا، لكن الآن.. أصبحنا وصمة عار. (عبس سولت) ربما، أقل نوعًا ما. الدسائس والخيانة تحيطنا، وأخشى أن جهاز الاستجواب لم يعد قادرًا على القيام بمهمته. لم تعد الثقة بالعديد من الرؤساء مضمونة. فلم يعودوا مهتمين بمصالح الملك أو الدولة أو أي مصالح خارج نطاق مصالحهم الخاصة. الرؤساء؟ لا يمكن الوثوق فيهم؟ سيغمى عليّ من الصدمة. (زاد عبوس سولت) والآن مات فيكت».

نظرت جلوكتا إلى الأعلى، أخيرًا خبر له قيمة: «اللورد المستشار؟».

- سَيُعَلَّن الخبر صباح الغد. مات فجأة منذ عدة ليالٍ، وأنت مشغول مع صديقك ريبوز. ما تزال هناك بعض التساؤلات حول وفاته، لكن الرجل كان على مشارف التسعين، والمفاجأة هي بقاؤه حتى هذا العمر. صاحب لقب المستشار الذهبي، أعظم سياسي في عصره. والآن ينحتون صورته على الحجر لأجل تمثال على طريق الملوك. (شخر سولت لنفسه) أعظم هدية يمكن لأي منا أن يأمل فيها.

ضاقَت عينا المقرئ الأعلى حتى لم يعد يُظهِر سوى الشقوق الزرقاء: «إن راودتك أوهام ساذجة أن الاتحاد يخضع لسيطرة ملكه، أو لأولئك الذين يثرثرون بالحقق في المجلس المفتوح، فحان الوقت لتركها تذبذب الآن. المجلس المغلق هو الذي تكمن فيه القوة. أكثر من أي وقت مضى منذ مرض الملك. اثنا عشر رجلًا، على اثني عشر مقعدًا كبيرًا وغير مريح، وأنا بينهم. اثنا عشر رجلًا لديهم أفكار مختلفة تمامًا، وعلى مدار عشرين عامًا، في ظل الحرب والسلام، نجح فيكت في حفظ التوازن. استخدم جهاز الاستجواب أمام القضاة، والمصرفيين أمام الجيش. كان العمود الفقري للمملكة، والركيزة التي استقرت عليها، وموته ترك فراغًا لا يمكن ملؤه. فراغًا من شتى الأنواع الممكنة، وسيهرع الجميع لملئها. لدي شعور بأن ماروفيا الأناني اللعين، القاضي الأعلى صاحب القلب المتباكي، المتعاطف الزائف مع العامة، سيكون أول من يتصدر الطابور. إنه وضع متذبذب وخطير. (وضع المقرئ الأعلى قبضتيه بقوة على الطاولة أمامه) يجب أن نتأكد من عدم استغلال الأشخاص الخطأ لذلك».

أوماً جلوكتا. أعتقد أنني أفهمك أيها المقرئ الأعلى. فيجب أن نتأكد أن نكون نحن من يستغل الوضع، وليس أحدًا آخر.

- لا داعي للقول إن منصب اللورد المستشار هو أحد أقوى المناصب في المملكة. جباية الضرائب، والخزانة، وسك العملة الملكية، كلها تحت كنفه. المال، يا جلوكتا، المال. والمال هو القوة، ولا أحتاج إلى إخبارك بذلك. سَيُعَلَّن مستشار جديد غدًا. وكان المرشح الأول هو سيد دار سك العملة السابق لدينا، سيب دان تويفل. فهمت. لدي إحساس أنه لن يؤخذ بعين الاعتبار الآن.

زم سولت شفتيه: «تويفل كان له علاقات قوية بالنقابات التجارية، وبالأخص البزازون. (انقلبت سخريته لتجهم) بالإضافة لكونه مقربًا من

القاضي الأعلى ماروفيا. لذا، كما ترى، لم يكن ليتناسب معه لقب اللورد المستشار أبدًا. كلا بالفعل. لن يتناسب مطلقًا. كبير المسّاحين هاليك هو الخيار الأفضل، في رأيي».

نظر جلوكتا نحو الباب: «هذا؟ لورد مستشار؟».

نهض سولت وهو يبتسم، وانتقل إلى خزانة مواجهة للحائط: «في الحقيقة لا يوجد غيره. الجميع يكرهونه، وهو يكره الجميع، عداي. علاوة على ذلك، فهو محافظ عنيد، يحتقر طبقة التجار وكل ما يمثلونه. (فتح الخزانة وأخرج منها كأسين ودورقًا مزخرفًا) وإذا لم يكن ودودًا تمامًا في المجلس، فعلى الأقل سيكون متعاطفًا ومعاديًا لأي أحد آخر. لا أستطيع أن أفكر في مرشح أكثر تلاءمًا منه».

أومأ جلوكتا: «يبدو أمينًا». لكن ليس أمينًا لدرجة أن أثق به ليأخذني إلى الحمام حتى. ألا توافقني الرأي، سماحتك؟

قال سولت: «نعم، سيكون ذا قيمة كبيرة لنا. (سكب كأسين من النبيذ الأحمر الغني) وكإضافة أيضًا، فقد رتبت أيضًا لتعيين سيد جديد لدار سك العملة أيضًا. سمعت أن البزازين يكادون يقطعون ألسنتهم من شدة الغيظ. اللقيط ماروفيا ليس سعيدًا أيضًا. (ضحك سولت لنفسه) كل الأخبار جيدة، وأنت من يستحق الشكر عليها». وأمسك بإحدى الكأسين.

سُم؟ سأموت ببطء وأنا أرتعش وأتقيأ على أرضية المقرئ الأعلى الفسيفسائية الجميلة؟ أم سيرتطم وجهي على طاولته فحسب؟ لكن لم يكن هناك خيار سوى الإمساك بالكأس وتناول رشفة سخية. كان النبيذ غير مألوف ولكنه شهّي. على الأرجح من مكان جميل وبعيد جدًا. على الأقل إذا مت هنا، فلن أضطر إلى نزول كل تلك الدرجات. لكن المقرئ الأعلى كان يشرب أيضًا، مبتسمًا ومتلاطفًا. يبدو أنني سأعيش لما بعد الظهر، رغم كل شيء.

- نعم، أخذنا الخطوة الأولى بشكل جيد. هذه أوقات خطيرة فعلاً، لكن عادة ما يسير الخطر والفرص معًا. (شعر جلوكتا بإحساس غريب يتسلل لظهره. أهذا خوف أم طموح أم كلاهما؟) أحتاج إلى من يساعدني في ترتيب الأمور. من لا يخاف الرؤساء ولا التجار ولا حتى المجلس المغلق. شخص يمكن الاعتماد عليه ليتصرف ببراعة وحذر وقسوة. شخص لا شك في ولائه للاتحاد، ولكن لا أصدقاء لديه داخل الحكومة. شخص مكروه من الجميع؟ شخص ليتلقى اللوم كله إذا ما

ساعات الأمور؟ شخص لن يكون لديه معزون كثيرون في جنازته؟ أنا بحاجة إلى محقق ممتاز، يا جلوكتا. شخص يعمل فوق نطاق الرؤساء، ولكن تحت سلطاني الكامل. شخص مطيع لي أنا فقط. (رفع المقرئ الأعلى حاجبه، كما لو أن الفكرة جاءتة للتو) يذهلني أنك مناسب بشكل استثنائي لهذه المهمة. ما رأيك؟

رأيتي أن صاحب هذا المنصب سيكون له أعداء كثيرون وصديق واحد فقط. أطل جلوكتا على المقرئ الأعلى. وهذا الصديق قد لا يكون أهلاً للثقة تمامًا. أعتقد أن صاحب هذا المنصب قد لا يبقى طويلًا.

- هل تسمح لي ببعض الوقت لأفكر في الأمر؟

- لا.

عادةً ما يسير الخطر والفرص معًا..

- إذن سأقبل.

- عظيم. أعتقد أن هذه ستكون بداية علاقة طويلة ومثمرة. (ابتسم له سولت من فوق حافة كأسه) كما تعلم يا جلوكتا، من بين التجار الذين ينهبون هنا، فالبرّازون هم أكثر من لا أستسيغهم. ساعد نفوذهم لحد كبير في دخول ويستبورت للاتحاد، وبفضل أموال ويستبورت انتصرنا في الحرب الجوركولية. بالطبع، كافأهم الملك بحقوق تجارية لا تقدر بثمن، لكن منذ ذلك الحين أصبحت غطرتهم لا تطاق. سيظن أي أحد أنهم خاضوا المعارك بأنفسهم، بالنظر إلى تصرفاتهم المتعجرفة والحرية التي تماردوا فيها. نقابة البرّازين الموقرة. (وأكمل باستهزاء) خطر لي الآن بعد أن قدم لنا صديقك ريوز وسيلة تقييدهم بإحكام، سيكون من المخجل تركهم يفلتون.

تفاجأ جلوكتا، رغم أنه ظن أنه أخفى شعوره جيدًا. نمضي قدمًا؟ لماذا؟ إذا تركنا البرّازين يفلتون فسيستمرون في الدفع، مما يُبقي الجميع سعداء. وحاليًا هم خائفون وضعفاء، يتساءلون عن ذكر ريوز اسمه، ومن سيأتي دوره تاليًا. إذا أكملنا عليهم، فقد يتأذون، أو قد ينتهي أمرهم تمامًا. ومن ثم سيتوقفون عن الدفع، وسيصبح كثيرون غير سعداء. منهم من يوجد في هذا المبنى.

- يمكنني مواصلة تحقيقاتي بسهولة، سماحتك، إذا كنت ترغب في ذلك.

أخذ جلوكتا رشفة أخرى. حقًا كان نبيرًا ممتازًا.

- علينا أن نتحلى بالحذر. الحذر والحرص الشديد. تتدفق أموال البزازين كالحليب، ولديهم العديد من الأصدقاء، حتى وسط أعلى دوائر النبلاء. بروك وهيوجين وإيشر وكثيرون غيرهم. بعض من أعظم الرجال في البلاد. كلهم عُرفوا في وقت ما أنهم رضعوا من ذلك الثدي، والأطفال سيكون حين يُنتزع الحليب منهم. (ظهرت ابتسامة قاسية على وجه سولت) ومع ذلك، إذا كان على الأطفال تعلم الانضباط، فلا بد من دفعهم للبقاء أحياناً.. من الذي ذكره ذلك الدودة ريزوز في اعترافه؟

انحنى جلوكتا للأمام متألماً، ودفع ورقة اعتراف ريزوز نحوه، وفتحها وفحص قائمة الأسماء من الأسفل إلى الأعلى.

- سيب دان توفيل، نعرفه جميعاً.

قال سولت مبتسماً: «أوه، نعرفه ونحبه أيها المحقق، ولكنني أشعر أنه بإمكاننا حذفه من القائمة بأمان. من غيره؟».

- حسناً لنرَ. (ألقى جلوكتا نظرة متأنية على الورقة) هناك هارود بولست، من البزازين. شخص نكرة.

لوح سولت بيده بفارغ الصبر: «إنه نكرة».

- سوليمو سكاندي، بزاز من ويستبورت. أيضاً نكرة.

- لا، لا يا جلوكتا، يمكننا القيام بمن هو أفضل من سوليمو...، ما اسمه، أليس كذلك؟ هؤلاء البزازون الصغار ليس لهم أي أهمية حقيقية. اقتلع الجذر، وستموت الأوراق وحدها.

- بالفعل أيها المقرئ الأعلى. لدينا فيليم دان روب، وهو من النبلاء الصغار، ويشغل منصباً جمر كياً صغيراً. (بدا سولت مستغرقاً في التفكير، وهز رأسه) ثم لدينا...

- انتظر! فيليم دان روب.. (فرق المقرئ الأعلى أصابعه) شقيق كيرال من حاشية الملكة، تعتمد تجاهلي في إحدى المناسبات الاجتماعية. (ابتسم سولت) نعم، فيليم دان روب، اقبط عليه.

- وهكذا نتوغل أكثر. سمعاً وطاعة سماحتك. أهنأك اسم معين يجب ذكره؟

وضع جلوكتا كأسه الفارغة. واستدار المقرئ الأعلى بعيداً ولوح بيده مرة أخرى: «لا. أي منهم، كلهم. لا يهم».

أول المجوس

امتدت البحيرة لمسافة بعيدة، تحدُّها صخور شاهقة وخُضرة متدلّية، ويتناثر المطر مخترقًا سطحها المنبسط والرمادي على مدى البصر. لا بد من الاعتراف أن عين لوجن تقدر على الرؤية لمسافة بعيدة في هذا الطقس. من الممكن أن يكون الشاطئ المقابل على بعد مئة خطوة، لكن المياه الساكنة بدت عميقة. عميقة للغاية.

تخلي لوجن منذ زمن بعيد عن أي محاولة للبقاء جافًا، فالماء يتدفق خلال شعره لأسفل وجهه، ويقطر من أنفه وأصابه وذقنه. وأصبح البلل والتعب والجوع جزءًا من الحياة. كانوا كذلك معظم الوقت، إذا فكرت في الأمر. أغلق عينيه وشعر بقطرات المطر تتناثر على جلده، وسمع الماء يتلاطم مع الحصى. جثا بجانب البحيرة، نزع الغطاء عن قارورته وغمرها تحت السطح، مراقبًا الفقاعات تنفجر في أثناء امتلائها.

خرج مالاكوس كواي من الأدغال متعثراً، أنفاسه سريعة وضعيفة. ركع على ركبتيه، وزحف على جذور شجرة، وسعل بلغماً على الحصى. ساء سُعاله جدًّا، فقد خرج من أحشائه مباشرة وجعل قفصه الصدري كله يهتز. كان أكثر شحوبًا مما التقيا أول مرة، وأكثر نحافة بكثير. لوجن أيضًا كان أكثر نحافة نوعًا ما. تلك كانت أوقاتًا هزيلة، في المجل. مشى إلى المتدرب المنهك وقرّص بجانبه.

أغلق كواي عينيه الغائرتين وأمال رأسه إلى الخلف: «فقط أعطني لحظة. لحظة واحدة». كان فوه مفتوحًا، وأوتار رقبتة الهزيلة بارزة. بدا وكأنه أصبح جثة بالفعل.

- لا ترتح كثيرًا. فربما لن تستيقظ أبدًا.

مد لوجن يده بالقارورة. لم يقدر كواي على رفع ذراعه حتى ليأخذها، لذا وضعها لوجن على شفثيه ورفعها قليلاً. ابتلع متألماً، وسعل، ثم سقط رأسه على الشجرة كالحجر. سأله لوجن: «هل تعرف أين نحن؟».

رمش المتدرب ناظرًا إلى الماء كما لو أنه رآه للتو: «يبدو أن هذا هو طرف البحيرة الشمالي.. لا بد أن هناك دربًا. (وانخفض صوته حتى الهمس) في الطرف الجنوبي هناك درب به حجران. (وسعل فجأة بعنف، وابتلع بصعوبة ثم قال بصوت متشائم) تتبع الدرب فوق الجسر وستصل هناك».

نظر لوجن على طول الضفة إلى الأشجار المتقاطرة: «كم يبعد؟»، لا إجابة. أمسك بكتف الرجل المريض العظمية وهزه. ارتعشت جفون كواي وهي تفتتح، وحدق إلى أعلى محاولاً التركيز.

- كم يبعد؟

- أربعون ميلًا.

امتصّ لوجن أسنانه. لن يقدر كواي على مشي أربعين ميلًا. سيكون محظوظًا إذا قطع أربعين خطوة بمفرده. تيقن من ذلك، واستطاع رؤيته في عينيه. رأى لوجن أنه سيموت قريبًا، بعد أيام قليلة على الأكثر. رأى رجالًا أقوى منه يموتون من الحمى.

فكر لوجن بعناية، أربعون ميلًا. وفرك ذقنه بإبهامه. أربعون ميلًا. همس: «اللعة».

سحب حقيبته فوق رأسه وفتحها. تبقى لديهم بعض الطعام، لكن ليس الكثير. بضع شرائح من اللحم المجفف الصلب، وكسرة خبز أسود متعفن. نظر إلى البحيرة المسالمة للغاية، لن تنفذ منهم مياه الشرب قريبًا على الأقل. أخرج قدر الطبخ الثقيل من حقيبته ووضعه على الحصى. كانا معًا لفترة طويلة، ولكن لم يعد هناك ما يمكن طهيّه. يجب ألا تتعلق بالأشياء، ليس في البرية. ألقى بالحبل في الشجيرات، ثم حمل الحقيبة المخففة على كتفه.

أُغْلِقَتْ عينا كواي مرة أخرى، بالكاد كان يتنفس. تذكر أول مرة اضطر فيها إلى ترك شخص ما وراءه، وتذكرها كما لو كانت بالأمس. غريب أن ينسى اسم الصبي لكن وجهه بقي أمامه.

قضم الشانكا جذلة من فخذ. جذلة كبيرة. وأخذ يئنُّ طوال الطريق، ولم يستطع المشي. ساء جرحه، وكان سيموت على أي حال، فاضطروا إلى تركه.

لم يلم أحد لوّجن على ذلك. كان الصبي صغيراً جدّاً، ولم يكن ينبغي له الذهاب قط. حظه سيئ فحسب، يمكن أن يحدث لأي شخص. ناح خلف المجموعة الصامته المتجهمة التي شقت طريقها لأسفل التل، حانية رؤوسها. يبدو أن لوّجن سمع بكاءه حتى بعدما ابتعدوا عنه. ما زال بإمكانه سماعه الآن.

اختلف الوضع في الحروب. فداثماً ما تساقط الرجال من الصفوف في المسيرات الطويلة خلال الشهور الباردة. في البداية يتراجعون للمؤخرة، بعدها يتخلفون عن الصف، وأخيراً ينهارون. منهم البردانون، والمرضى، والجرحى. ارتجف لوّجن وأحنى كتفيه. في البداية حاول مساعدتهم. ثم امتنّ أنه لم يكن منهم. ثم تخطى الجثث وبالكاد لاحظها. تعلّم معرفة متى لن ينهض أحدهم مرة أخرى. نظر إلى مالاكوس كواي. موت أحد آخر في البرية لم يكن شيئاً يستحق التعليق عليه. فعليك أن تكون واقعياً، رغم كل شيء.

فزع المتدرب من نومه المتقطع وحاول دفع نفسه لأعلى. كانت يده ترتجفان بشدة. نظر إلى لوّجن، وعيناه تتلألآن بشدة ونعق: «لا أستطيع النهوض».

- أعرف. أنا مذهوش أنك واصلت إلى هذا الحد.

لم يعد يهم كثيراً الآن. عرف لوّجن الطريق الآن. إذا تمكّن من العثور على هذا الدرب، فقد يقطع مسافة عشرين ميلاً في اليوم.

- إذا تركت لي بعض الطعام... ربما... بعد أن تصل إلى المكتبة... يمكن لأحد ما...

قال لوّجن وهو يعدّل من فكّه: «لا. أنا بحاجة إلى الطعام».

أصدر كاي صوتاً غريباً، صوتاً بين السعال والنحيب.

انحنى لوّجن ووضع كتفه اليمنى في بطن كواي، ودفع ذراعه تحت ظهره: «لن أستطيع أن أحملك أربعين ميلاً من دون طعام»، وانتصب واقفاً وهو يحمل المتدرب على كتفه. انطلق بجانب الضفة، مُتّبِئاً كواي من سترته، وحذاؤه يكحت في الحصى المُبلّل. لم يتحرك المتدرب، فقط تدلّى عليه ككيس من الخرق المبللة، وذراعه المتدليتان تصطدمان بظهر ساقَي لوّجن.

بعدما قطع ثلاثين خطوة أو نحو ذلك، استدار لوّجن ونظر إلى الورا. هُجِرَ القدر جوار البحيرة، وكان قد امتلأ بالفعل من مياه الأمطار. مرّاً بالكثير معاً، هو وهذا القدر.

- الوداع أيها الصديق القديم.

لم يرد الوداع عليه.

أَنْزَلَ لَوْجِنَ حُمُولَتِهِ الْمُرتَجِفَةَ بلطف على جانب الطريق ومدد ظهره الذي أَلَمَهُ، وحكَّ الضمادة القذرة على ذراعه، وأخذ شربة ماء من قارورته. كان الماء هو الشيء الوحيد الذي عبر شفثيه المتقرحتين ذلك اليوم، وكان الجوع ينخر في أحشائه. على الأقل توقف المطر. عليك أن تتعلم حب الأشياء الصغيرة في الحياة، مثل الأحذية الجافة. عليك أن تحب الأشياء الصغيرة، عندما لا تمتلك أي شيء آخر.

بصق لَوْجِنَ في التراب وفرك أصابعه لتعود إلى الحياة. لا يمكن أن تُخطئ المكان هذا مؤكد. ارتفع الحجران فوق الطريق، قديمان وممتلئان بالحفر، انتشرت الطحالب الخضراء عند قاعدتهما والأشنيات الرمادية في أعلاهما. كانا مغطين بنقوشات منحوتة باهتة، وأسطر من حروف بخط لم يستطع لَوْجِنَ فهمه، ولم يتعرف عليه حتى. ومع ذلك، شعر أنها ذات مغزى تحذيري، أكثر من ترحيبي.

- القانون الأول...

قال لَوْجِنَ متفاجئاً: «ماذا؟».

كان كواي في مكان بَغِيض بين النوم والاستيقاظ منذ أن تركا القدر وراءهما قبل يومين. من الممكن للقدر أن يُصدر أصواتاً ذات معنى أكثر من ذلك. في ذلك الصباح، استيقظ لَوْجِنَ ووجده يتنفس بصعوبة. في البداية تأكد أنه مات، لكن الرجل تمسك بالحياة واهناً. لم يستسلم بسهولة، عليك الاعتراف له بذلك.

ركع لَوْجِنَ وأبعد الشعر المبلل عن وجه كواي. فجأة أمسك المتدرب معصمه وانتفض للأمام. همس وهو يحدق إلى لَوْجِنَ بعينين واسعتين: «يُحظر لمس الجانب الآخر!».

- هاه؟

صرخ وهو يمسك بمعطف لَوْجِنَ الممزق: «التحدث مع الشياطين، خُلِقَتْ مخلوقات العالم السفلي من الأكاذيب! يجب ألا تفعل ذلك!».

تمتم لوچن، متسائلاً إن كان سيعرف يوماً ما الذي يتحدث عنه المتدرب: «لن أفعل. لن أفعل. على أي حال».

لم يكن ذلك يعني شيئاً. عاد كواي إلى نصف نومه المرتعش. عضّ لوچن شفته. كان يأمل أن يستيقظ المتدرب مرة أخرى، لكنه لم يعتقد أن ذلك محتمل. ومع ذلك، ربما يقدر هذا البياض على فعل شيء ما، فهو أول المجوس على كل حال، العظيم في الحكمة العالية وما إلى ذلك. وهكذا رفع لوچن كواي على كتفه مرة أخرى ومشى بين الحجارة القديمة.

صعد الطريق بحذر على الصخور التي فوق البحيرة، تارةً كان الطريق معبداً، وتارةً محفوراً بعمق في الأرض الصخرية، ومهترئاً من الزمن وممتلئاً بالحفر، وتناثرت عليه الأعشاب الضارة، والتف حول نفسه المرة تلو الأخرى، وسرعان ما أصبح لوچن يلهث ويتصبّب عرقاً، وساقاه تحترقان من الجهد. ثم بدأت خطواته تتباطأ.

الحقيقة أنه أصبح متعباً. ليس متعباً فحسب من التسلق، أو من جهد المشي الشاق ذلك اليوم وهو يحمل المتدرب شبه الميت على كتفه، أو من عناء اليوم السابق، أو حتى من القتال في الغابة. لقد تعب من كل شيء. من الشانكا، من الحروب، من حياته كلها.

- لا أستطيع المشي للأبد يا مالاكوس، ولا أستطيع القتال للأبد. كم من هذا الهراء المريع على الرجل أن يتحمل؟ أحتاج أن أجلس لدقيقة. على كرسي حقيقي بحق الجحيم! هل هذا كثير لأطلبه؟ أهو كذلك؟

وهو في هذه الحالة المزاجية، يلعن ويتذمر مع كل خطوة، ومع اصطدام رأس كواي بمؤخرته وصل لوچن إلى الجسر.

كان الجسر قديماً مثل الطريق، مغطى بالنباتات المتسلقة، وكان بسيطاً وضيئاً، امتد ربما عشرين خطوة فوق هوة سحيقة تبعث على الدوار، وبعيداً في الأسفل تدفق نهرٌ فوق صخور ذات أطراف مدببة، ملأ الهواء بالضجيج والرداذ اللامع. على الجانب البعيد، بُني جدار عالٍ بين أجانب حجر شاهقة مغطاة بالطحالب، نُحِتَ بعناية بحيث صُعِبَ التمييز أين ينتهي الجرف الطبيعي وأين يبدأ الجدار المنحوت. وُضع فيه بابٌ قديم واحد، مكسو بنحاس مطروق، تحول إلى اللون الأخضر الملتخ بفعل الرطوبة ومرور السنوات.

في أثناء ما كان لوچن يشق طريقه بعناية فوق الحجر الزلق، وجد نفسه يتساءل، لا إرادياً بسبب التعود، كيف يمكن اقتحام مكان كهذا. لا يمكن ذلك. ليس حتى باستخدام ألف رجل منتقين بعناية. فلم يوجد سوى رف صخري ضيق أمام الباب، لا مساحة لوَضع سلم أو للضرب بمدق كبش. علا الجدار عشر خطوات على الأقل، وكان شكل البوابة صلباً مخيفاً. وإذا أسقط المدافعون الجسر، أطل لوچن من فوق الحافة وابتلع ريقه... لقد كان الطريق لأسفل طويلاً.

أخذ نفساً عميقاً وطرق على النحاس الأخضر الرطب بقبضته. أربع ضربات قوية وعالية. كان يطرق بوابات مدينة كارليون هكذا عقب المعركة، فيهرع أهلها للاستسلام. لم يهرع أحد لفعل أي شيء الآن.

انتظر. طرق مرة أخرى، وانتظر. أصبح أكثر بللاً فأكثر من رذاذ النهر. جزً على أسنانه. رفع ذراعه ليطرق مرة أخرى. انفتحت في الباب فتحة ضيقة، ونظرت إليه عينان دامعتان ببرود من بين القضبان السمكة. صاح صوت أجش: «من هنا الآن؟».

- اسمي لوچن الأصابع التسع. لدي...
- لم أسمع عنك قط.
- بالكاد كان الترحيب الذي أمله لوچن.
- جئت لرؤية باياز. (لم يرد) أول المج...
- نعم. إنه هنا. (لكن الباب لم يفتح) إنه لا يستقبل الزوار. قلت ذلك للمبعوث الأخير.
- أنا لست مبعوثاً، معي مالاكوس كواي.
- مالاكا ماذا؟
- كواي، المتدرب.
- المتدرب؟
- قال لوچن ببطء: «إنه مريض جداً. قد يموت».
- أقلت إنه مريض؟ سيموت، أليس كذلك؟
- بلى.
- وما اسمك مرة أخرى؟

- فقط افتح الباب اللعين! (هز لوچن قبضته بلا هدف أمام الفتحة) لو سمحت.

- نحن لا نسمح لأي شخص بالدخول.. انتظر. أرني يديك.

- ماذا؟

- يديك.

رفع لوچن يديه. مسحت العينان الدامعتان أصابعه ببطء.

- هناك تسع. هناك واحدة مفقودة، أترى؟ (وضع الإصبع الناقصة أمام الفتحة).

- تسع، أليس كذلك؟ كان عليك أن تقول ذلك.

قعقعت المزاليج وفتَح الباب ببطء. كان عجوزًا انحنى ظهره تحت درع قديم الطراز، حدق إليه بريية من الجانب الآخر. كان يحمل سيفًا طويلًا ثقيلًا جدًا عليه. تمايلت ذبابته بعنف وهو يحاول إبقائه مستقيمًا.
رفع لوچن يديه: «أنا أستسلم».

لم يستمتع حارس البوابة الهَرَم. شخر بشدة عندما تجاوزه لوچن، ثم أغلق الباب وعبث بالمزلاج، واستدار ومشى مبتعدًا دون كلمة أخرى. تبعه لوچن لأعلى وإِ ضيق اصطفت على جنباته منازل غريبة، متآكلة ومغطاة بالطحالب، نصفها محفور في الصخور شديدة الانحدار، فاندمجت بسفح الجبل.

وقفت امرأة قاسية الوجه تعمل على عجلة غزل أمام عتبة باب، عبست في وجه لوچن وهو يمشي بالمتدرب فاقد الوعي على كتفه. بادلها لوچن الابتسام. لم تكن جميلة، أمر مؤكد، لكن مر وقت طويل جدًا. دخلت المرأة إلى منزلها وأغلقت الباب وتركت العجلة تدور. تنهد لوچن. ما زال فاتنًا كعادته.

كان المنزل المجاور عبارة عن مخبز به مدخنة مكتنزة تصاعد منها الدخان. رائحة الخبز جعلت معدة لوچن الفارغة تقرقع. علاوة على ذلك، كان هناك طفلان ذوا شعر داكن يضحكان ويلعبان، ويركضان حول شجرة قديمة قدرة. دُكِّرا لوچن بأطفاله. لم يشبهاهم في أي شيء، لكنه كان في حالة ذهنية مكتئبة.

كان عليه أن يعترف أنه كان محببًا بعض الشيء. فقد توقع رؤية أشياء أكثر المَعِيَّة، ومزيد من اللحى. لا يبدو أن هؤلاء القوم حكماء جدًا. بدوا مثل أي فلاحين آخرين. لم يختلفوا كثيرًا عن قريته قبل مجيء الشانكا. وتساءل عما إذا كان في المكان الصحيح. ثم داروا حول منعطف في الطريق.

رأى أمامه ثلاثة أبراج عظيمة مخروطية الشكل مبنية على جانب الجبل، متصلة عند قواعدهما لكن متباعدة بالأعلى، ومغطاة باللبلاب الداكن. بدت أقدم بكثير حتى من الجسر والطريق القديمين، قديمة كالجبل نفسه. احتشدت فوضى من المباني الأخرى حول قواعدهما، وامتدت حول جوانب ساحة واسعة كان الناس فيها منشغلين بالأعمال اليومية. امرأة نحيلة تخض الحليب على عتبة الباب. حدّاد قصير ممتلئ يحاول وضع حدوة لفرس لا يهدأ. جزار عجوز أصلع يرتدي منظرًا ملطخًا انتهى للتو من تقطيع حيوان وكان يغسل ساعديه الملطخين بالدماء في حوض.

وعلى مجموعة من الدرجات الواسعة أمام أطول الأبراج الثلاثة، جلس رجل عجوز مهيب. كان يرتدي ملابس بيضاء بالكامل، وله لحية طويلة، وأنف معقوف، وشعر أبيض يتدلى تحت قلنسوة بيضاء. انبهر لوجن، أخيرًا. بدا أول المجوس فعلًا كلقبه. عندما تحرك لوجن نحوه، قام عن الدرجات وأسرع إليه، ومعطفه الأبيض يرفرف خلفه.

تمتم، مشيرًا إلى رقعة من العشب بجوار البئر: «ضعه هنا»، وركع لوجن وأنزل كواي على الأرض برفق قدر ما سمح له ألم ظهره الشديد. انحنى الرجل العجوز فوقه، ووضع يده المتجعدة على جبهته.

تمتم لوجن بلا هدف: «لقد أعدت متدربك إليك».

- متدربي؟

- أأست باياز؟

ضحك الرجل العجوز: «أوه لا، أنا ويلز، رئيس الخدم هنا في المكتبة».

- أنا باياز.

جاء الصوت من الخلف. سار الجزار نحوهم ببطء، يمسح يديه بقطعة قماش. كان يبدو في الستين من عمره، لكنه قوي البنية، ذو وجه قوي، محدد بعمق، ولحية رمادية قصيرة حول فمه. كان أصلع تمامًا فانعكست أشعة شمس الظهيرة على قمة رأسه. لم يكن وسيماً ولا مهيباً، ولكن مع اقترابه

بدا به شيء ما. طُمَأْنِينَةً، هالة قيادية. كان رجلًا اعتاد إصدار الأوامر واعتاد طاعتها.

تناول أول المجوس يد لوجن اليسرى بكلتا يديه وضغط عليها بحرارة. ثم قلبها وفحص قاعدة إصبعه المفقودة.

- إذن أنت لوجن الأصابع التسع. الذي يسمونه التسع الدموية. سمعت قصصًا عنك، حتى إن بعضها موجود هنا في مكتبتني.

جَفَل لوجن. كان بإمكانه تخمين نوع القصص التي ربما سمعها الرجل العجوز: «هذا كان قبل زمن طويل».

- بالطبع. كلنا لدينا ماضٍ، أليس كذلك؟ أنا لا أحكم على الإشاعات. وابتسم باياز، ابتسامة واسعة وبيضاء ومشرقة، أضاءت وجهه بتجاعيده اللطيفة، لكن ظلت الصلابة باقية حول عينيه، عميقة وخضراء متلألئة. صلابة حجرية. بادله لوجن الابتسام، فقد أدرك أنه لا يريد أن يجعل من هذا الرجل عددًا.

- وأعدت حَمَلْنَا الضائع إلى الحظيرة. (عبس باياز نحو مالاكوس كواي، الذي كان بلا حراك على العشب) كيف حاله؟

قال ويلز: «أعتقد أنه سيعيش يا سيدي، ولكن يجب أن نخرجه من البرد». فرقع أول المجوس أصابعه فتردد صدى صوت حاد من المباني: «ساعدوه». أسرع الحداد وأمسك بقدمي كواي، وحمل المتدرب مع ويلز عبر الباب الطويل إلى المكتبة.

- الآن، أيها السيد الأصابع التسع، أرسلت إليك وأنت أجبت، وهذا يدل على حسن الخلق. قد تكون الأخلاق مهجورة في الشمال، لكن أريدك أن تعلم أنني أقدرها. فالإحسان يجب أن يرد عليه بالإحسان هذا ما أراه دائمًا. لكن ما هذا الآن؟ (كان حارس البوابة العجوز يقترب مسرعًا عبر الفناء، وهو يلهث للغاية) زائران في يوم واحد؟ ماذا سيحدث بعد؟

- السيد باياز! (شهق حارس البوابة) هناك فرسان عند البوابة، مسلحون جيدًا وأحصنتهم قوية! يقولون إن لديهم رسالة عاجلة من ملك الشماليين!

بيثود. لا بد أنه هو. قالت الأرواح إنه منح نفسه قبعة ذهبية، ومن غيره كان يجرؤ على تسمية نفسه ملك الشماليين؟ ابتلع لوجن ريقه. أفلت من

لقائهما الأخير بحياته ولا شيء آخر، ومع ذلك كان أفضل مما حصل عليه كثيرون، أفضل بكثير.

سأل حارس البوابة: «حسنًا، سيدي؟ هل أخبرهم أن يرحلوا؟».

- من يقودهم؟

- فتى مبهرج بوجه فظّ. قال إنه ابن هذا الملك أو شيء من هذا القبيل.

- أهو كالدرا أم سكيل؟ فكلاهما فظّ.

- الأصغر، على ما أعتقد.

كالدرا إذن، هذا جيد. أي منهما كان سيئًا، لكن سكيل كان أسوأ بكثير. كلاهما معًا كانا تجربة يجب تجنبها. يبدو أن باياز كان يفكر لبعض الوقت: «يمكن للأمير كالدرا أن يدخل، لكن على رجاله الانتظار وراء الجسر».

صرخ حارس البوابة مبتعدًا: «نعم يا سيدي، وراء الجسر». سيحب ذلك، هل سيفعل كالدرا؟ دغدغت لوجن فكرة صراخ الأمير المزعوم بلا فائدة من تلك الفتحة الصغيرة.

- أصبح هناك ملك للشماليين الآن، يمكنك تخيل ذلك؟ (حقق باياز شاردًا باتجاه الوادي) عرفت بيثود وهو ليس مهيبًا هكذا. وأنت أيضًا، يا سيد تسع أصابع، أليس كذلك؟

عبس لوجن. عرف بيثود منذ أن كان لا شيء تقريبًا، زعيم قبيلة صغير مثل كثيرين آخرين. جاء لوجن للمساعدة ضد الشانكا، وقدمها بيثود كذلك، مقابل الثمن. في ذلك الوقت، بدا الثمن زهيدًا، ويستحق الدفع. فقط مقابل القتال. لقتل بعض الرجال. وجد لوجن القتل سهلًا، وبدا بيثود رجلًا يستحق القتال لأجله؛ جريء ومُتَرَفِّع وشرس وطموح بشكل سام. كل الصفات التي أُعجب بها لوجن في ذلك الوقت، كل الصفات التي اعتقد أنه هو امتلاكها. لكن الزمن غيرهما، وارتفع السعر.

قال باياز متأملًا: «كان رجلًا أفضل، لكن التيجان تنسد بعض من تستقر على رؤوسهم. هل تعرف أبناءه؟».

- أفضل مما أُرغب.

أوماً باياز: «إنهم قدرون فعلاً، أليس كذلك؟ وأخشى الآن أنهم لن يتحسنوا أبداً. تخيل أن رأس دبوس مثل سكيل أصبح ملكاً. آآ! (واقشع الساحر) الفكرة تجعلك تكاد تتمنى لوالده حياة طويلة. تكاد، لكن ليس تمامًا».

جاءت نحوهم الفتاة الصغيرة التي رآها لوچن تلعب مسرعة. حملت في يديها طوقاً من الزهور الصفراء، ورفعتها إلى الساحر العجوز. قالت: «لقد صنعت لك هذا». سمع لوچن ارتطام الحوافر السريع يقترب على الطريق.

- لي أنا؟ كم هو جميل للغاية (أخذ باياز منها الزهور) عمل ممتاز يا عزيزتي. لم يكن الصانع الأعظم نفسه ليصنعه أفضل من ذلك.

قرقع الفارس في الفناء، ولجم حصانه بوحشية وتأرجح من سرجه. كالدرد. كانت السنوات ألطف معه منها عن لوچن، كان ذلك واضحاً جداً. ارتدى ملابس سوداء ناعمة مزينة بفراء داكن. لمعت جوهرة حمراء كبيرة على إصبعه، ورصع مقبض سيفه بالذهب. كبر وامتلاً، كان نصف حجم أخيه سكيل، لكنه لا يزال رجلاً كبيراً. كان وجهه الشاحب والمتكبر تماماً كما تذكره لوچن، كشفته الرفيعتين الملتويتين في استهزاء دائم.

ألقي بزمame نحو المرأة التي تخض الحليب، ثم سار بخطى سريعة عبر الساحة، وهو يحملق حوله بتجهم، وشعره الطويل يتطاير مع النسيم. عندما أصبح على بعد قرابة عشر خطوات رأى لوچن فسقط فكه. أخذ كالدرد نصف خطوة للخلف مصدوماً وارتعشت يده نحو سيفه. ثم ابتسم ابتسامة باردة صغيرة: «إذن، فقد اتخذت هواية تربية الكلاب يا باياز؟ أنصحك بالحد من هذا. فهو معروف بعض يد سيدة. (التوت شفته أكثر) يمكنني أن أقتله لك إذا رغبت».

هز لوچن كتفيه. الكلمات الثقيلة للحمقى والجبناء. ربما كان كالدرد كليهما، لكن لوچن لم يكن أيّاً منها. إذا كنت تنتوي القتل، فالأفضل أن تفعل بدلاً من أن تتحدث عنه. كل ما يفعله الحديث هو أن يجعل الرجل الآخر مستعداً، وهذا هو آخر ما تريده. لذلك لم يقل لوچن شيئاً. يمكن لكالدرد أن يعتبر ذلك ضعفاً منه إذا أراد، وهذا أفضل بكثير. قد تكون المعارك شقت طريقها إلى لوچن كثيراً، لكنه توقف عن البحث عنها منذ زمن طويل جداً.

وجّه ابن بيثود الثاني ازدرائه نحو أول المجوس: «سيكون والدي مستاءً يا باياز! انتظار رجالي خارج البوابة يُظهر القليل من الاحترام!».

قال الساحر بهدوء: «ولكن ما لدي هو القليل جداً أيها الأمير كالدِر. لكن لا تحزن، من فضلك. فأخِر مبعوث لم يسمح له بعبور الجسر، لذا ترى أننا نحرز تقدماً».

عبس كالدِر: «لماذا لم تستجب لاستدعاءات والدي؟».

- لدي الكثير من المسؤوليات على عاتقي. (ورفع باياز طوق الزهور) فهذا لا يصنع نفسه، كما تعلم.

لم يعجب الأمير برده فصاح قائلاً: «إن أبي، بيثود، ملك الشماليين، يأمر بالذهاب إليه في كارليون! (تنحنح) وهو لن... (وأخذ يسعل)».

رد باياز: «ماذا؟.. تكلم يا بني!».

- إنه يأمر..

سعل الأمير مرة أخرى، وهمهم، واختنق. وضع يده على حنجرته. بدا الهواء ساكناً جداً. عبس باياز وهو يقول: «يأمرني، أليس كذلك؟ فلتُجِّ جوفن من أرض الموتى. هو من يمكنه أن يأمرني. هو وحده لا أحد غيره. (ازداد عبوسه، وقاوم لوجن رغبة غريبة في الابتعاد) أما أنت فلا يسمح لك. ولا لأبيك أيّاً كان اللقب الذي يطلقه على نفسه. (سقط كالدِر ببطء على ركبتيه، والتوى وجهه، ودمعت عيناه. نظر إليه باياز من أعلاه لأسفله) ما الداعي للملابس الرسمية، هل مات أحدهم؟ هاك. (وألقى بطوق الزهور على رأس الأمير) قليل من الألوان قد تخفف مزاجك. أخبر والدك أنه عليه المجيء بنفسه. أنا لا أضيع وقتي مع الحمقى والأبناء الصغار. أنا من الطراز القديم هكذا. أحب أن أحدث إلى رأس الحصان، وليس مؤخرته. هل تفهمني يا فتى؟ (تدلى كالدِر جانباً واحمرت عيناه وانتفختا. لوح أول المجوس بيده) يمكنك الذهاب».

شهق الأمير بأنفاس خشنة، وسعل وترنّح حتى وقف على قدميه، وتعثّر حتى وصل إلى حصانه وسحب نفسه على السرج برشاقة أقل بكثير مما نزل بها. ألقى بنظرة قاتلة من فوق كتفه وهو يتجه نحو البوابة، لكن لم يكن لها التأثير نفسه بوجهه الأحمر مثل مؤخرة مصفوعة. أدرك لوجن وجود ابتسامة عريضة على وجهه. مر وقت طويل منذ أن استمتع بهذا القدر.

- عرفت أنك تستطيع التحدث مع الأرواح.

أخذ لوجن على حين غرة: «هاه؟».

- تتحدث مع الأرواح. (هز باياز رأسه) إنها هدية نادرة في هذه الأوقات. كيف حالهم؟
- ماذا، الأرواح؟
- نعم.
- إنها تتضاءل.
- قريباً سينامون جميعاً، هاه؟ السحر يتسرب من العالم. هذا هو المصير المرسوم للأشياء. على مر السنين، كانت معرفتي تزداد، ومع ذلك تضاءلت قوتي.
- يبدو أنها أدهشت كالدر.
- باه. (ولوح باياز بيده) هذا لا شيء. خدعة صغيرة بالهواء واللحم، سهلة التنفيذ. لا، صدقني، السحر ينحسر. إنها حقيقة. قانون الطبيعة. ومع ذلك، هناك طرق عديدة لكسر البيضة، أليس كذلك يا صديقي؟ إذا فشلت إحداها، فيجب علينا تجربة الأخرى. (لم يعد لوجن متأكداً تماماً مما يتحدثان عنه، لكنه كان متعباً جداً بحيث لم يتمكن من طرح السؤال. غمغم أول المجوس) نعم، بالفعل، هناك طرق عديدة لكسر البيضة. بالحديث عن هذا، تبدو جائعاً.
- امتلاً فم لوجن بالبصاق لمجرد ذكر الطعام. تمتم: «نعم، نعم.. أستطيع أن أكل».
- لكزه باياز بحرارة في كتفه: «بالطبع. وربما تأخذ حماماً بعد ذلك؟ بالطبع ذلك لا يعني أننا نشعر بالإهانة، لكنني لا أجد أكثر تهدئة من الماء الساخن بعد المشي طويلاً، وأظن أنك قمت بالفعل بمسيرة طويلة جداً. تعال معي، سيد الأصابع التسع، أنت آمن هنا».
- طعام. حمام. أمان. كان على لوجن أن يمنع نفسه من البكاء وهو يتبع العجوز إلى المكتبة.

الرجل الطيب

كان يومًا قائظًا سطعت فيه الشمس عبر النوافذ ذات الألواح المتعددة، فألقت أنماطًا متقاطعة على الأرضية الخشبية لغرفة استماع الجمهور. كان الوقت بعد الظهر، وكانت الغرفة دافئة وخانقة كمطبخ.

كان اللورد فورتييس دان هوف، كبير أمناء البلاط الملكي، محمر الوجه ومتعرقًا في ردائه الرسمي المُطَعَّم بالفراء، وكان مزاجه يزداد بذاءة طوال فترة ما بعد الظهر. بدا هارلين مورو، وكيله لشؤون الجماهير، أكثر انزعاجًا، ولكن بالإضافة للحرارة كان عليه مقاومة رهابه من هوف. بدا الرجلان منزعجين للغاية كلٌّ لأسبابه الخاصة، لكن على الأقل أتيح لهما الجلوس.

وقف الرائد ويست بثبات يتصيب عرقًا وهو يرتدي زيه المطرز. وقف بالوضع نفسه، يده خلف ظهره، وأسنانه مطبقة، لساعتين تقريبًا في أثناء ما كان اللورد هوف يتأفف ويتذمر ويصيح على المتقدمين أو أي أحد آخر في مجال رؤيته. تمنى ويست بشدة، وليس للمرة الأولى بعد ظهر ذلك اليوم، لو كان مستلقيًا تحت شجرة في الحديقة، يتناول مشروبًا قويًا، أو حتى مدفونًا تحت نهر جليدي. أي مكان آخر لكن ليس هنا.

لم تكن حراسة الجماهير الشنيعة أحد واجبات ويست المميزة، ولكن كان بإمكانها أن تكون أسوأ. عليه التفكير في الجنود الثمانية الذين وقفوا حول الجدران: يرتدون دروعًا كاملة. توقع ويست أن يفقد أحدهم وعيه ويصطدم بالأرض كخزانة ممثلة بالطنانجر، مما بلا شك سيثير اشمئزاز كبير أمناء البلاط بشدة، لكنهم حتى الآن وقفوا جميعًا قائمين بطريقة ما.

- لماذا تكون حرارة هذه الغرفة اللعينة غير مناسبة دائمًا؟ (أراد هوف إجابة، كما لو أن الحرارة كانت إهانة موجهة إليه وحده) الجو حار جدًا نصف العام، وبارد جدًا في النصف الآخر! لا يوجد هواء هنا، لا هواء

على الإطلاق! لماذا لا تُفتح هذه النوافذ؟ لماذا لا يمكننا الحصول على غرفة أكبر؟

- ارر.. (تمتم وكيله المنزعج، وهو يدفع نظارته لأعلى أنفه المتعرق) تُقدِّم طلبات الجماهير هنا دائماً، يا سيدي لورد البلاط. (توقف بسبب نظرة رئيسه المخيفة) إنه.. الوضع.. المعتاد!

- أنا أعلم ذلك أيها الأبله! (دوى صوت هوف، بوجه قرمزي من الحرارة والغضب) من طلب رأيك الأحمق على أي حال؟
تمتم مورو: «نعم، أقصد لا، بالضبط، تمام يا سيدي».

هز هوف رأسه عابساً بشدة، وحدث إلى جميع أنحاء الغرفة بحثاً عن شيء آخر لا يرضيه: «كم من الآخرين علينا تحملهم اليوم؟»
- إيه... أربعة آخرون، سموك.

هدر كبير أمناء البلاط الملكي: «اللعنة! هذا لا يطاق!».

وتحرك في كرسيه الضخم يهز ياقته المكسوة بالفراء ليدع بعض الهواء يدخل إليه. كان ويست متفقاً معه في صمت. اختطف هوف كأساً فضية من الطاولة وأخذ رشفة صاخبة من النبيذ. كان معروفاً بميله للشرب، وبالفعل كان يشرب طوال فترة ما بعد الظهر. ولم يُحسِّن ذلك من مزاجه. سأل: «من الأحق التالي؟».

- ارر.. (حدث مورو بعينه إلى وثيقة كبيرة من خلال نظارته، وتتبع الكتابة السيئة بإصبع ملطخة بالحبر) جودمان هيث هو التالي، فلاح من...

- فلاح؟ أقلت فلاحاً؟ إذاً سنجلس في هذا الحر السخيف، نستمع لشكوى أحد العامة من تأثير الطقس على أغنامهم؟

تمتم مورو: «حسناً يا سيدي، يبدو أن جودمان هيث لديه مَظْلَمَة مشروعة ضد مالك أرضه و...».

- اللعنة عليهم جميعاً! سئمت مظالم الآخرين! (ارتجع كبير أمناء البلاط مرة أخرى من النبيذ) أدخلوا الأحمق!

فُتحت الأبواب وسُمِحَ لجودمان هيث بالدخول أمامهم. تأكيداً على هيمنة السلطة في المكان، وُضِعَت مائدة كبير أمناء البلاط على منصة مرتفعة،

بحيث يُجبرَ الفقير على النظر لأعلى إليهم حتى وهو واقف. ملامحه صادقة، لكن وجهه كان نحيفاً للغاية. وقف ممسكاً بقبعته المهترئة أمامه بيدين مرتجفتين. هزّ ويست كتفيه بعدم ارتياح وهو يشعر بقطرة عرق تنساب على ظهره.

- أنت جودمان هيث، أليس كذلك؟

تمتم الفلاح بلهجة محلية واضحة: «بلى يا سيدي، أتيت من...».

قاطعه هوف بوقاحة تامة: «وأنت أتيت أماننا سعيًا للقاء جلالته، الملك الأعلى للاتحاد؟».

بلل جودمان هيث شفتيه. تساءل ويست عن المسافة التي قطعها ليصبح موضع سخرية. على الأرجح جاء من بعيد جدًا.

- طُرِدَت عائلتي من أرضنا. قال المالك إننا لم ندفع الإيجار ولكن...

لوح كبير أمناء البلاط بيده: «من الواضح أن هذا أمر يخص لجنة الأراضي والزراعة. إن جلالة الملك المعظم مَعْنِي بجميع رعاياه، مهما حقر شأنهم. (كاد ويست يجفل من هذه الإهانة) لكن لا يمكن أن نتوقع منه أن يُولي اهتمامه الشخصي لكل أمر تافه. إن وقته ثمين، وكذلك وقتي. يومك سعيد». وهكذا انتهى الأمر. فتح اثنان من الجنود الأبواب المزدوجة لمغادرة جودمان هيث.

شحب وجه الفلاح جدًا، وأصابه تعتصر حافة قبعته. تلعثم قائلًا: «سيدي الطيب، لقد ذهبت بالفعل إلى لجنة...».

نظر هوف إلى أعلى بحدة، مما جعل المزارع يتلعثم حتى توقف: «قلت لك، يومك سعيد!».

سقطت كتفا الفلاح. ألقي نظرة أخيرة حول الغرفة. كان مورو يتفحص شيئاً على الجدار البعيد باهتمام بالغ، ورفض أن تلتقي أعينهما. حذق إليه كبير أمناء البلاط بغضب، مستشيطاً من هذا الإهدار الفاضح لوقته. شعر ويست بالغثيان لكونه جزءاً مما يحدث. استدار الفلاح ومضى بخطى متثاقلة ورأس مُنكَّس. انغلقت الأبواب وراءه.

ضرب هوف الطاولة بقبعته: «هل رأيتم ذلك؟ (حذق بشدة إلى التجمع المتعرق أمامه) يا لجرأته المفرطة! هل رأيتم ذلك أيها الرائد ويست؟».

قال ويست بتصنع: «نعم يا سيدي كبير أُمْناء البلاط، رأيت كل شيء. إنها وصمة عار».

ولحسن الحظ، لم يلتقط هوف المعنى الكامل: «وصمة عار بالفعل أيها الرائد ويست، أنت على حق تمامًا! لماذا يذهب الشباب الواعدون إلى الجيش بحق الجحيم؟ أريد أن أعرف من المسؤول عن السماح لهؤلاء المتسولين بالدخول هنا! (نظر إلى وكيله الذي ابتلع ريقه وحدق إلى مستنداته) من التالي؟».

تمتم مورو: «ارر، كوستر دان كولت، قِيم نقابة البرّازين».

- اللعنة! أعرف من هو. (مسح لمعان العرق الجديد عن وجهه) إذا لم يكن الفلاحون اللعينون فَهُم التجار اللعينون! (وزمجر على الجنود الواقفين عند الباب بصوت يمكن أن يسمعه من يقف بالخارج) فليدخل المحتال العجوز المتذمر!

لم يكن من الممكن أن يظهر القِيم كولت بمظهر أكثر اختلافًا عن الملتمس السابق. فقد كان رجلًا ضخماً ممتلئاً، بوجه ناعم وعينين لا تقلان قسوة. كان يرتدي رداءً أرجوانياً مزخرفاً بأمتار من الخيوط الذهبية، بشكل مبالغ فيه لدرجة أن إمبراطور جوركول نفسه ربما لشعر بالخرج من ارتدائه. رافقه اثنان من تجار نقابة البرّازين الرفيعين، وأزيائهم لا تقل فخامة عنه كثيرًا. تساءل ويست إن كان بمقدرة جودمان هيث أن يكتسب خلال عشر سنوات من عمله ما يكفي لشراء واحد فقط من تلك الأثواب، وخُلص أنه لن يستطيع، حتى لو لم يُطرد من أرضه.

ردد كولت بانحناءة مدروسة: «سيدي كبير أُمْناء البلاط». أقرَّ هوف وجود سيد نقابة البرّازين بشكل خافت قدر الإمكان، رفعة من حاجبه والتواءة غير ظاهرة من شفته. انتظر كولت تحية تليق بمكانته أكثر، لكن لم يتلق شيئًا. تنحّج بصوت عالٍ: «جئت ألتمس لقاء صاحب الجلالة المعظم...».

شخر كبير أُمْناء البلاط: «الغرض من هذه الجلسة هو تحديد من يستحق انتباه جلالته. إذا كنت لا تريد لقاء جلالته، فقد أتيت إلى المكان الخاطئ». كان واضحًا أن نجاح هذه المقابلة سيكون كسابقتها. رأى ويست أنه نوع من العدالة الشنيعة. فقد تُعومَل مع الكبير والصغير على حد سواء تمامًا.

ضاقَت عينا القيِّم كَولت قليلاً، لكنهُ استدرك: «نقابة البزازين الموقرة، التي أنا ممثِّلهم المتواضع... (رشف هوف من النبيذ بصوت عالٍ فاضطر كَولت إلى التوقف للحظة) وقعت ضحية لهجوم خبيث وماكر...».

- املأ هذه، هلا فعلت؟

صاح كبير أمناء البلاط وهو يلوح بكأسه الفارغة في وجه مورو. انسل وكيله بلهفة من كرسيه وأمسك بالدورق. اضطر كَولت إلى الانتظار، يصِر على أسنانه، والنبيذ يخرخر. قال هوف متذمراً وهو يلوح بيده: «أكمل! ليس لدينا اليوم بأكمله!».

- الهجوم خبيث وماكر.

نظر كبير أمناء البلاط إلى أسفل بتمعن: «أتقول هجوماً؟ الاعتداءات العادية هو أمر يخص حرس المدينة!».

تجهم القيِّم كَولت وبدأ يتعرق هو ورفاقه: «ليس هجوماً من هذا النوع، يا سيدي كبير أمناء البلاط، ولكنه هجوم خبيث ومخادع، يهدف لتشويه سمعة نقابتنا المشرقة، والإضرار بمصالحها التجارية في المدن الحرة في ستيريا، وفي جميع أنحاء الاتحاد. هجوم ارتكبه بعض العناصر المخادعة في جهاز استجواب جلالته، و...».

- لقد سمعت ما يكفي! (رفع كبير أمناء البلاط يده الكبيرة مطالباً بالصمت) إذا كانت هذه مسألة تجارية، فيجب التعامل معها من قِبَل لجنة التجارة والتبادل الاقتصادي المعينة من جلالته. (تحدث هوف ببطء ودقة، بطريقة مدير مدرسة يخاطب أكثر تلاميذه فشلاً) إذا كانت هذه مسألة قانونية، فيجب التعامل معها من قِبَل القاضي العالي ماروفيا. إذا كان الأمر يتعلق بأعمال جهاز الاستجواب الملكي الداخلية، فعليك ترتيب موعد مع المقرر الأعلى سولت.. في جميع الأحوال، فالأمر لا يستحق اهتمام جلالته.

فتح مرشد نقابة البزازين فمه لكن كبير أمناء البلاط تحدث مقاطعاً إياه بصوت أعلى من أي وقت مضى: «جلالة الملك يوظف لجنة، ويختار قاضياً أعلى، ويعين مقررًا أعلى، حتى لا يضطر إلى التعامل مع كل قضية بسيطة بنفسه! وبالمناسبة، فللسبب نفسه أيضاً يُمنح التراخيص لبعض النقابات

التجارية، وليس ليتيح (وزم شفته في تهكم مشمئز) لطبقة التجار أن تملأ جيوبها! يومك سعيد».

وفتحت الأبواب.

شحب وجه كولت من الغضب بسبب هذا التعليق الأخير. قال ببرود: «كبير أمناء البلاط، تأكد أننا سنطالب بالتعويض في مكان آخر، وبأقصى قدر من المثابرة».

نظر هوف إليه لفترة طويلة جداً. زمجر: «اطلبها حيثما تحب، وبقدر ما تريد من المثابرة. ولكن ليس هنا. يومك.. سعيد!». إذا كان بإمكان طعن شخص ما في وجهه بعبارة «يومك سعيد»، لارتضى قيّم نقابة البزازين ميتاً على الأرض.

رمش كولت عدة مرات، ثم استدار غاضباً وخرج بأكبر قدر تمكن من استجماعه من كرامته. ووراؤه مرافقوه قريباً جداً منه، خفقت أثوابهما الرائعة خلفهما. أغلقت الأبواب.

ضرب هوف الطاولة بقبضته مرة أخرى وغمغم: «يا للفضيحة! أولئك الخنازير المتغطرسة! هل يظنون جدياً أنهم سينتهكون القوانين الملكية ثم يلتمسون مساعدة الملك عندما تسوء الأمور؟».

قال مورو: «حسنًا، لا، بالطبع...».

تجاهل كبير أمناء البلاط وكيله والتفت إلى ويست بابتسامة متهمكة: «ومع ذلك، فأرى النسور قد بدأت تحوم حولهم، على الرغم من السقف المنخفض، أليس كذلك، أيها الرائد ويست؟».

- بالفعل، يا سيدي كبير أمناء البلاط.

تمتم ويست غير مرتاح البتة وتمنى انتهاء هذا التعذيب. ليتمكن من العودة إلى شقيقته. شعر بانقباض قلبه. كانت أكثر صعوبة مما يتذكر. نعم، كانت ذكية بلا شك، لكنه خشي أنها أكثر ذكاءً مما ينبغي. لو أنها فقط تزوجت رجلًا نزيهاً وعاشت بسعادة. موقفه هنا كان هشاً بما يكفي، دون أن تزيد هي من تعقيد الأمور بمغامراتها الطائشة.

تمتم هوف لنفسه: «النسور، النسور. طيور بشعة المظهر، لكن لها فائدتها. ماذا بعد؟».

بدا الوكيل المتصعب عرقاً أكثر تضايقاً من أي وقت وهو يتخبط في نطق الكلمات الصحيحة: «لدينا مجموعة من... الدبلوماسيين؟».

توقف كبير أمناء البلاط والكأس في منتصف طريقها إلى فمه: «دبلوماسيون؟ ممن؟».

- إرر... من هذا الملقب بملك الشماليين، بيثود؟

انفجر هوف في الضحك: «دبلوماسيون؟ (قهقهه وهو يمسح وجهه بكمه) تقصد همجيين!».

ضحك الوكيل بعدم اقتناع: «اه نعم يا سيدي، ها، ها! متوحشون بالطبع!».
صرخ كبير أمناء البلاط: «لكنهم خطرون، هاه، يا مارو؟ (وتبخرت روح الدعابة لديه على الفور. وتوقفت وكيله عن القهقهة) خطرون جداً. علينا أن نكون حذرين. أدخلهم!».

كانوا أربعة. أصغر رجلين كانا ضخمين، قويي المظهر وذوي لحى، وملأتهما الندوب، يرتديان دروعاً ثقيلة. بالطبع صودرت أسلحتهم منهم عند بوابة الأجريونت، لكن تبقى الشعور بالخطر تجاههم، وكان لدى ويست شعور أنهم تركوا الكثير من الأسلحة الكبيرة المهترئة. هؤلاء هم نوعية الرجال التي تزاхمت على حدود أنجلاند، متعطشين للحرب، ولم يكونوا بعيدين عن موطن ويست.

جاء معهم رجل كبير السن، يرتدي أيضاً درعاً منقرأ، وله شعر طويل ولحية بيضاء كبيرة. كانت هناك ندبة شاحبة على وجهه وعلى عينه البيضاء العمياء. ومع ذلك، كانت على شفثيه ابتسامة عريضة، وتعارض سلوكه اللطيف بشكل كبير مع سلوك رفيقيه الصارمين والرابع الذي جاء خلفهم.

اضطر إلى الانحناء ليمر تحت عتبة المدخل العلوية، التي ارتفعت عن الأرض بسبعة أقدام. كان ملتفًا بعباءة بنية خشنة ومرتدياً قلنسوة لم تجعل ملامحه مرئية. وما إن اعتدل واقفاً وارتفع عن الجميع، حتى بدا المكان مزدحمًا بصورة غير طبيعية. كان له كتلة هائلة مروعة، لكن كان هناك ما هو أكثر من ذلك، انبعث منه شيء كموجات مؤثرة. شعر به الجنود المنتشرون بجانب الجدران، فبدؤوا يتحركون بعدم ارتياح. شعر به وكيل شؤون الجماهير، فتعرق وارتبك وعبث بأوراقه. الرائد ويست بالتأكيد شعر به أيضاً،

فقد أصبح جلده باردًا رغم حرارة الجو، واستطاع الشعور بكل شعرة في جسده تنتصب تحت زِيَّه المبلل.

فقط هوف من بدا غير متأثر. نظر إلى الشماليين الأربعة لأعلى ولأسفل بعبوس عميق على وجهه، لم ينبهر بالعملاق المقنع أكثر من انبهاره بوجودمان هيث: «إِذَا فأنتم مبعوثون من بيثود. (مرر الكلمات في فمه، ثم نطق بها باصقًا) ملك الشماليين».

قال الرجل العجوز المبتسم، وهو ينحني بإجلال عظيم: «نحن كذلك، أنا هانسول ذو العين البيضاء».

كان صوته غنيًا، دافئًا وعذبًا، خاليًا من أي لهجة، لم يكن ما توقعه ويست مطلقًا. سأله هوف بلا مبالاة، وهو يرتشف جرعة نبيذ أخرى من كأسه: «وأنت مبعوث بيثود؟».

لأول مرة على الإطلاق، سُرَّ ويست لوجود كبير أمناء البلاط معه في الغرفة، لكنه نظر إلى الرجل المقنع بعدها فعاد الشعور بعدم الارتياح. رد العين البيضاء: «أوه لا، أنا هنا مترجم فقط. هذا هو مبعوث ملك الشماليين. (وتحركات عينه السليمة بعصبية نحو الهيئة الداكنة التي ترتدي العباءة، كما لو أنه أيضًا كان خائفًا منه) فينريس (ومدَّ في نطق حرف «س» في نهاية الاسم بحيث كان كصوت هسهسة في الهواء) فينريس المخيف».

اسم مناسب فعلاً. تذكر الرائد ويست أغاني الطفولة، وقصص العمالقة المتعطشين للدماء في جبال الشمال البعيد. صمتت الغرفة للحظة.

قال كبير أمناء البلاط، لا يبدو أنه تأثر: «همف، وأنت تسعى للقاء جلالته، الملك الأعلى للاتحاد؟».

قال المحارب العجوز: «نحن نسعى لذلك بالفعل يا سيدي كبير أمناء البلاط. سيدنا بيثود، يأسف بشدة على العداء بين أمتينا. فهو لا يتمنى إلا أفضل العلاقات مع جيرانه الجنوبيين. نحن نحمل عرضًا للسلام من ملكي لملككم، وهدية لإظهار حسن نيتنا. لا شيء أكثر».

قال هوف وهو يتكى للخلف في كرسيه المرتفع بابتسامة عريضة: «حسنًا، حسنًا. طلب كريم، قُدِّمَ بكَرَم. يمكنكم رؤية الملك في المجلس المفتوح غدًا، لتقدموا عرضكم وهديتكم أمام الأقران الأوائل في المملكة».

انحنى العين البيضاء باحترام: «أنت كريم للغاية يا سيدي كبير أمناء البلاط».

استدار نحو الباب، وتبعه المحاربان الصارمان. ظل الشخص المتشح بالعباءة للحظة، ثم استدار ببطء شديد وانحنى عبر المدخل. لم يتمكن ويست من التنفس بسهولة مرة أخرى إلا بعد إغلاق الأبواب. هز رأسه وهز كتفيه المتعرقتين. أغاني عن العمالقة فعلاً. كان رجلاً كبيراً عظيماً في عباءة. ولكن نظر مرة أخرى، وجد مدخل الغرفة مرتفعاً جداً حقاً.

بدا هوف سعيداً جداً بنفسه: «هل ترى يا سيد مورو؟ بالكاد متوحشون كما دفعتمني للظن! أشعر أننا قريبون من حل مشكلاتنا الشمالية، أليس كذلك؟».

ولم يبدُ الوكيل مقتنعاً على الإطلاق: «ارر... نعم يا سيدي بالطبع».

- نعم بالفعل. كثير من الضجة على لا شيء. هناك الكثير من الهراء المتشائم والانهمزامي من مواطنينا الثائرين في الشمال، أليس كذلك؟ حرب؟ باه! (ضرب هوف بيده على الطاولة مرة أخرى، مما جعل النبيذ يخرج من كأسه ويتناثر على الخشب) هؤلاء الشماليون لن يجرؤوا! قريباً سترى أنهم سيتقدمون إلينا بطلب للانضمام إلى الاتحاد! انظر إذا لم أكن محقاً، هاه أيها الرائد ويست؟

- ارر.

- جيد! ممتاز! أنجزنا شيئاً ما اليوم على الأقل! واحد آخر ويمكننا الخروج من هذا القرن اللعين! من لدينا يا مورو؟

عبس وكيل الوزارة ورفع نظارته إلى أنفه.

- ارر... لدينا أحد يسمى يورو سالفور (تصارع مع الاسم غير المؤلف).
- لدينا من؟

- ارر... سالفير، أو سالفور، شيء من هذا القبيل.

همهم كبير أمناء البلاط: «لم أسمع عنه قط، أي نوع من الرجال هو؟ أهو من الجنوبيين؟ ليس فلاحاً آخر من فضلك!».

فحص الوكيل مذكراته، وابتلع: «مبعوث؟».

- نعم، نعم، ولكن ممّن؟

تخرج مورو كطفل يتوقع صفة، ثم نطق: «من جماعة المجوس العظيمة!».

كانت هناك لحظة صمت مدهوش. ارتفع حاجبا ويست وانفتح فكه، وخمن أن الشيء نفسه كان يحدث، بشكل غير مرئي، خلف أقنعة الجنود. جفل بشكل غريزي وهو يتوقع رد كبير أمناء البلاط، لكن هوف فاجأهم جميعاً بانفجار في الضحك: «ممتاز! أخيراً بعض الترفيه. مرت سنوات منذ أن كان لدينا مجوسي هنا! أدخلوا الساحر! يجب ألا نبقيه ينتظر!».

خبب يورو سالفور آمالهم. كان يرتدي ملابس بسيطة مُبَقَّعة من السفر، في الواقع بالكاد كانت ملابسه أفضل من ملابس جودمان هيث. لم تغطَّ عصاه بالذهب، ولم يكن بها كتلة من الكريستال اللامع في نهايتها. لم تومض عينه بنار غامضة. إلى حد ما، بدا رجلاً عادياً في منتصف الثلاثينات من عمره، متعباً بعض الشيء، كما هو متوقع بعد رحلة طويلة، لكن بخلاف ذلك كان في حالة من الارتياح أمام كبير أمناء البلاط.

وقال وهو يتكئ على عصاه: «يومكم سعيد أيها السادة».

واجه ويست بعض الصعوبة في تحديد المكان الذي ينتمي إليه. ليس الاتحاد لأن بشرته كانت داكنة جداً، وليس جوركول أو أقصى الجنوب لأن بشرته كانت فاتحة جداً. ليس من الشمال أو من ستيريا كذلك، ولكن من أين؟ والآن بعد أن نظر ويست إليه من كثب، لاحظ أن عينيه كانت لهما ألوان مختلفة: واحدة زرقاء والأخرى خضراء.

قال هوف مبتسماً كما لو أنه عنى ذلك حقاً: «ويوم سعيد لك يا سيدي. بابي مفتوح دائماً أمام جماعة المجوس العظيمة. أخبرني، هل أسعد بمخاطبة باياز العظيم بنفسه؟».

بدا سالفور في حيرة: «لا، هل أعلن عني بشكل خاطئ؟ أنا يورو سالفور. السيد باياز أصلع. (ومسح بيده على رأسه ذي الشعر البني المجعد) يوجد تمثال له في الخارج بالمرمر. لكنني حزت شرف التعلم تحت يده لعدة سنوات. إنه سيد قوي ومُطَّلَع».

- بالطبع! بالطبع هو كذلك! وكيف يمكننا أن نكون في الخدمة؟

تنحنح يورو سولفور، كما لو كان سيروي حكاية: «ب وفاة الملك هارود العظيم، ترك باياز، أول المجوس، الاتحاد. ولكنه أقسم على العودة».

- نعم، نعم، هذا صحيح، (وضحك هوف) صحيح جدًا، كل تلميذ مدرسة يعرف ذلك.

- وأعلن أنه عند عودته، سيبشر أحدهم بمجيئه.

- صحيح أيضًا.

قال سالفور بابتسامة عريضة: «حسنًا، ها أنا ذا».

هدرت ضحكة كبير أمناء البلاط وهو يصيح ضاربًا الطاولة بيده: «ها أنت ذا! (سمح هارلين مورو لنفسه بضحكة خافتة، لكنه صمت على الفور عندما بدأت ابتسامة هوف تتلاشى) خلال فترة عملي كبير أمناء البلاط، جاء إليّ ثلاثة أعضاء من جماعة المجوس العظيمة لمقابلة الملك. اثنان منهم كان واضحا عليهم الجنون، وآخر كان محتالًا جريئًا بشكل استثنائي. (انحنى للأمام، ووضع مرفقيه على الطاولة، وفرد أصابعه نحوه) أخبرني يا سيد سالفور، أي نوع من المجوس أنت؟».

- أنا لست من هؤلاء.

- أرى. إذن فلديك وثائق تثبت ذلك.

- بالطبع.

وصل سالفور إلى معطفه وأخرج منه رسالة صغيرة، مغلقة بختم أبيض مدْمُوغ برمز غريب. ووضعها بلا مبالاة على الطاولة أمام كبير أمناء البلاط. عبس هوف. التقط الرسالة وقَلَّبَهَا بين يديه. تفحص الختم بعناية ولمس وجهه بكمه، وفتح الشمع، وفرد الورقة السميكة وبدأ في القراءة.

لم يظهر على يورو سالفور أي علامة للتوتر. لم يبدُ منزعجًا من الحرارة. تجول في الغرفة، وأومأ إلى الجنود المدرعين، ولم ينزعج من عدم استجابتهم. استدار فجأة إلى ويست: «الجو حار جدًا هنا، أليس كذلك؟ من العجيب أن هؤلاء المساكين لم يفقدوا وعيهم، ويصطدموا بالأرض كخزانة ممثلة بالطناجر». رمش ويست. كان يفكر في الشيء نفسه بالضبط.

وضع كبير أمناء البلاط الرسالة بعناية على الطاولة، ولم يعد يبدو مستمتعًا على الإطلاق: «يخطر لي أن المجلس المفتوح لن يكون مناسبًا لنقاش مسألة كهذه».

- أتفق. كنت أرجو لقاءً خاصًا مع اللورد المستشار فيكت.

- أخشى أن ذلك لن يكون ممكناً. (بلل هوف شفتيه) لقد مات اللورد فيكت.

عبس سالفور: «هذا أمر مؤسف للغاية».

- بالفعل، بالفعل. نحن جميعاً نشعر بخسارته بشدة. ربما سيمكنني أنا وبعض الأعضاء الآخرين في المجلس المغلق مساعدتك.

أحنى سالفور رأسه: «أنا أتبع إرشادك يا سيدي كبير أمناء البلاط».

- سأحاول ترتيب شيء ما لوقت لاحق هذا المساء. وحتى ذلك الحين، سنجد لك مكاناً للإقامة داخل الأجيوننت.. يناسب مركزك.

وأشار إلى الحراس، ففتحت الأبواب.

- شكراً جزيلاً لك يا لورد هوف. سيد مورو. الرائد ويست.

أوماً لهم سالفور بلطف، كل واحد على حدة، ثم استدار وغادر. أُغْلِقَت الأبواب مرة أخرى، وتساءل ويست كيف عرف الرجل اسمه.

التفت هوف إلى وكيله لشؤون الجمهور: «اذهب على الفور إلى المقرئ الأعلى سولت، وأخبره أنه علينا أن نلتقي على الفور. ثم أحضر القاضي العالي ماروفيا واللورد مارشال فاروز. أخبرهم أن هذه مسألة ذات أهمية قصوى، ولا تتفوه بكلمة واحدة عن هذا لأي أحد غير هؤلاء الثلاثة. (وهز إصبعه في وجه مورو المتعرق) ولا كلمة!».

حدّق الوكيل إليه، بنظارته المعوجة.

زأر هوف: «الآن!». فقفز مورو واقفاً على قدميه، وتعثّر في حاشية رداءه، وأسرع خارجاً عبر باب جانبي. ابتلع ويست، وفمه جاف جداً.

حدق هوف طويلاً وبشدة إلى كل رجل في الغرفة: «أما بالنسبة إلى بقيتكم، فلا كلمة لأحد عن أي من هذا، وإلا فالعواقب ستكون وخيمة عليكم جميعاً! هيا الآن اخرجوا، اخرجوا جميعاً!».

وخرج الجنود من الغرفة على الفور. لم يكن ويست بحاجة إلى مزيد من التشجيع، فأسرع وراءهم، تاركاً كبير أمناء البلاط المكتئب وحده في كرسيه المرتفع.

أظلمت أفكار ويست وارتبك عندما أغلق الباب خلفه. بقايا قصص المجوس القديمة، ومخاوف من الحرب في الشمال، وصور عملاق مقنع شاهق يقترب

من السقف. جاء بعض الزوار الغربيين والمسؤولين إلى الأجيوننت هذا اليوم، وشعر أنه مُثَقَّل بالمخاوف. حاول التفاوضي عن ذلك، وقال لنفسه إن ذلك كله كان حماقة، ولكن بعد ذلك كل ما فكر فيه هو أخته، التي كانت تمرح كالحمقاء حول الأجيوننت.

تنهد لنفسه. على الأرجح هي مع لوثر الآن. لماذا بحق الجحيم قدمهما لبعض؟ لسبب ما توقع الفتاة الغربية الضعيفة ذات اللسان الحاد نفسها التي تذكرها منذ سنوات مضت. أصيب بصدمة كبيرة عندما ظهرت هذه المرأة في مسكنه. بالكاد تعرف عليها. أصبحت امرأة بلا شك، وحسنة المظهر أيضًا. وفي المقابل، كان لوثر متعجرفًا وغنيًا ووسيمًا، وتمتع بقوة ضبط نفس كطفل في السادسة من عمره. كان يعلم أنهم التقوا أكثر من مرة منذ ذلك الحين. كأصدقاء بالطبع. لم يكن لدى آردي أصدقاء آخرون هنا. إنهم مجرد أصدقاء.

لعن: «تبًا!». كان الأمر أشبه بوضع قطعة بالقرب من القشدة والثقة بأنها لن تدفس لسانها فيها. لماذا بحق الجحيم لم يفكر مليًا في الأمر؟ كانت كارثة في طور التكوين! ولكن ماذا يمكنه أن يفعل حيال ذلك الآن؟ حدق بشكل بائس إلى الردهة.

لا يوجد ما يُضاهي رؤية بؤس أحد آخر لتُنسيك بؤسك، وكان مشهد جودمان هيث بائسًا فعلاً. جلس بمفرده على مقعد طويل، وجهه شاحب للغاية، يحدق إلى الفضاء. لا بد أنه بينما كان جالسًا هناك طوال هذا الوقت، كان البرزازون والشماليون والمجوس يأتون ويذهبون، في انتظار لا شيء ولا مكان يذهب إليه. نظر ويست إلى بداية ونهاية الردهة. لم يكن هناك أحد آخر في مكان قريب. كان هيث غافلاً عن وجوده، مفتوح الفم، عيناه زجاجيتان، والقبة المهترئة منسية على ركبتيه.

لم يستطع ويست أن يترك الرجل هكذا، ببساطة لم يقدر.

قال وهو يقترب: «جودمان هيث»، نظر إليه الفلاح متفاجئًا. تخط في قبعته ثم قام وهو يتمتم بالاعتذارات.

جلس ويست على المقعد: «لا، من فضلك، لا تنهض. (حدق إلى قدميه، غير قادر على النظر في عين الرجل. كان هناك صمت محرج) لديّ صديق يعمل عضوًا في لجنة الأراضي والزراعة. قد يكون هناك ما يمكنه فعله لك...».

وتلاشى صوته محرّجاً وهو يحدق إلى الممر. ابتسم المزارع ابتسامة
حزينة: «سأكون ممتناً بحق لأي شيء يمكنك القيام به».

- نعم، نعم، بالطبع، سأفعل ما بوسعي.

لن يكون ذا فائدة مطلقاً، وكلاهما عرف ذلك. تجهّم ويست وعض شفته:
«من الأفضل أن تأخذ هذه».

ووضع حافظلة أمواله في أصابع الفلاح المتصلبة. نظر هيث إليه، وفمه
مفتوح قليلاً. أعطاه ويست ابتسامة سريعة ومحرّجة ثم وقف على قدميه.
وسارع بالخروج. ناداه جودمان هيث: «سيدي!».

لكن ويست كان قد انطلق مسرعاً في الممر ولم يلتفت وراءه.

مكتبة

t.me/soramnqraa

على القائمة

لماذا أفعل هذا؟

ظهر إطار منزل قليم دان روب باللون الأسود وخلفه السماء الليلية الصافية. كان مبنى عاديًا، مسكنًا من طابقين بجدار منخفض وبوابة أمامية، تمامًا كمئة مبنى آخر في هذا الشارع. كان صديقنا القديم ريوز يقطن في فيلا فخمة كبيرة بالقرب من السوق. كان ينبغي لروب أن يطمح في رشاوى أكبر من ذلك. ومع ذلك فمن حسن حظنا أنه لم يفعل. في أماكن أخرى من المدينة، ستكون الطرق الأنيقة مضاعة بشدة وستزدحم بالمحتفلين السكارى حتى الفجر. لكن هذا الشارع الجانبي المنعزل كان بعيدًا عن الأضواء الساطعة وأعين المتطفلين.

يمكننا العمل دون إزعاج.

هناك نافذة ضيقة في الطابق العلوي على جانب المبنى، مضاعة بمصباح داخلها. هذا جيد. صديقنا في المنزل. وما زال مستيقظًا، علينا التحرك بهدوء. التفت إلى المُنقذ فروست وأشار إلى جانب المنزل. أوماً الأمهق برأسه وانسل مبتعدًا في صمت نحو الشارع.

انتظره جلوكتا حتى وصل إلى الحائط واختفى في الظلال بجانب المبنى، ثم التفت إلى سيفيرارد وأشار إلى الباب الأمامي. ابتسمت له عينا المُنقذ النحيف للحظة، ثم انطلق مبتعدًا بسرعة، وحافظ على انحناءته، ثم تسلق فوق الجدار المنخفض ونزل على الجانب الآخر دون إصدار صوت.

ممتاز حتى الآن، لكن الآن عليّ أن أتحرّك. تساءل جلوكتا عن سبب قدومه. كان فروست وسيفيرارد أكثر من قادرين على التعامل مع روب بمفردهما، ولن يؤدي وجوده إلا لإبطائهما. وربما قد أسقط على مؤخرتي وأنبه الأحمق

إلى وجودنا. فلماذا أتيت؟ لكن جلوكتا عرف السبب. تصاعد الشعور بالإثارة في حلقه. كاد يشعر بنفسه على قيد الحياة.

كان قد لف نهاية عصاه بقطعة من القماش، فخرج إلى الحائط، برقة شديدة، دون إحداث كثير من الضوضاء. عندما وصل، كان سيفيرارد قد فتح البوابة، ممسكاً بمفصلته بيده المرتدية قفازاً حتى لا تصدر أي صوت. هكذا أدخل بهدوء وأناقة، ففرصتي لتسلق هذا الجدار المنخفض لن تقل كثيراً إذا ما أصبح ارتفاعه مئة قدم.

ركع سيفيرارد على الدرج المواجه للباب الأمامي، يُطْفَش القفل. قَرَّب أذنه من خشب الباب، وَحَدَّقَتْ عيناه بتركيز، وتحركت يدايه المرتديتان القفاز ببراعة. كان قلب جلوكتا ينبض بسرعة، ووخزته بشرته بسبب التوتر. آه، يا لتشويق الصيد.

صدرت طقة ناعمة، ثم أخرى. وضع سيفيرارد طَفَاشته اللامعة في جيبه، ثم مد يده وأدار مقبض الباب ببطء. انفتح الباب بصمت. يا له من رفيق مفيد. من دونه هو وفروست فأنا مجرد أعرج. إنهما يداي وذراعاي وساقاي. لكن أنا عقلمهما. انسل سيفيرارد إلى الداخل وتبعه جلوكتا، يجفل من الألم في كل مرة وضع فيها ثقله على ساقه اليسرى.

كانت الردهة مظلمة، لكن انسكب شعاع ضوء على الدرج من أعلى، فألقى الدرابزين بظلال غريبة مشوهة على الأرضية الخشبية. أشار جلوكتا نحو الدرج، أوماً سيفيرارد وبدأ يسير على أطراف أصابعه في اتجاهها، محافظاً على أقدامه قريبة من الحائط. أخذ وقتاً طويلاً ليصل إليها.

أصدرت الدرجة الثالثة صوت صرير هادئ عندما وضع وزنه عليها. جفل جلوكتا، وتجمد سيفيرارد في مكانه. وانتظرا، ساكنين كالتمثيل. لم يكن هناك صوت من الطابق العلوي. بدأ جلوكتا يتنفس مرة أخرى. صعد سيفيرارد ببطء شديد، خطوة بخطوة. وعندما وصل إلى القمة، أطل بحذر حول الزاوية، وظهره مستند إلى الحائط، ثم خطا الخطوة الأخيرة واختفى عن الأنظار دون صوت.

ظهر المُنْفَذُ فروست من الظلال في أقصى نهاية الممر. رفع جلوكتا حاجبه نحوه لكنه هز رأسه. لا أحد في الطابق السفلي. التفت نحو الباب الأمامي وبدأ في إغلاقه بلطف شديد. فقط عندما أتمَّ إغلاقه، حرر مقبض الباب ببطء، وانزلق المزلاج بصمت في مكانه.

- سترغب في رؤية هذا.

انتفض جلوكتا من الصوت المفاجئ، واستدار بسرعة تسببت في ألم شديد في ظهره. وقف سيفيرارد، واضعاً يديه أسفل خصره، عند قمة الدرج. استدار وانطلق نحو الضوء، وقفز فروست الدرجات وراءه، ولم يعودا يتظاهران بالتخفي.

لماذا لا يستطيع أحد البقاء في الطابق الأرضي؟ دائماً في الطابق العلوي. على الأقل لم يضطر إلى الالتزام بالهدوء وهو يكافح لصعود الدرج خلف المنفذين، فكانت قدمه اليمنى تصر، واليسرى تحتك بالألواح. تدفق ضوء المصباح الساطع إلى ممر الطابق العلوي من باب مفتوح في نهايته، فخرج جلوكتا نحوه. توقف مؤقتاً عندما عبر العتبة، ليلتقط أنفاسه بعد التسلق.

يا للأسف، يا لها من فوضى. انتزعت مكتبة كبيرة من الحائط، وتناثرت الكتب على الأرض، منها المفتوح ومنها المغلق. أحدهم أسقط كأس نبيذ على المكتب، فترك خرقاً حمراء مبللة كانت أوراقاً مجمدة متناثرة عليه. كان السرير في حالة من الفوضى، أغطيته منزوعة لمنتصفها، والوسائد والمراتب ممزقة وريشها متناثر. كانت ضلّف خزانة الملابس مفتوحة، وتدلّت إحداها جزئياً. علّقت بعض الملابس الممزقة داخلها، لكن معظمها كان ممزقاً ومتكوماً في الأسفل.

استلقى شاب وسيم على ظهره تحت النافذة، محدقاً إلى السقف، شاحب الوجه ومفتوح الفم. سيكون تهويناً إن قلنا إن حنجرته مقطوعة. لقد اخترقت بوحشية لدرجة أن رأسه كاد يكون ملتصقاً بصعوبة. تناثرت الدماء في كل مكان، على الملابس الممزقة، وعلى الفراش الممزق، على جسده هو بالكامل. تلتطخ الحائط بآثار راحة يد مدماة، وهناك بركة كبيرة من الدماء ملأت مساحة كبيرة من الأرض، ما زالت سائلة. لقد قُتل الليلة. ربما قبل ساعات قليلة فقط. ربما قبل بضع دقائق فقط.

قال سيفيرارد: «لا أعتقد أنه سيجيب عن أسئلتنا».

جالت عينا جلوكتا فوق الحطام: «لا. أعتقد أنه قد يكون قد مات. ولكن كيف حدث ذلك؟».

أوقفه فروست بعين وردية مرفوع فوقها حاجب أبيض: «بيثم؟».

أطلق سيفيرارد ضحكة حادة تحت قناعه. حتى جلوكتا سمح لنفسه بضحكة خافتة: «هذا واضح. ولكن كيف دخل سُمْنَا إلى هنا؟».

تمتم فروست مشيرًا إلى الطابق السفلي: «شَبَّاه مَهتوه».

عرج جلوكتا داخل الغرفة، حريصًا ألا يدع قدميه أو عصاه تلمس بقعة الدم اللزجة والريش: «إِذَا، فقد رأى سُمْنَا المصباح مضاءً، تمامًا كما رأيناه. دخل عبر نافذة الطابق السفلي. وصعد في صمت على الدرج».

قَلَبَ جلوكتا يَدَي الجثة بطرف عصاه. بضع قطرات دم من الرقبة، ولكن لا يوجد تلف على المفاصل أو الأصابع. لم يصارعه. أخذه على حين غرة. انحنى للأمام ونظر إلى الجرح الكبير: «جرح واحد قوي. ربما بسكين».

قال سيفيرارد: «وأصاب فيليم دان روب بتسريب جسيم».

قال جلوكتا متأملًا: «ونحن نقصنا مخبر». ولم يكن هناك دماء في الممر. بذل رجلنا قصارى جهده حتى لا يبلل قدميه في أثناء تفتيش الغرفة، مهما بدت فوضوية. فلم يكن غاضبًا أو خائفًا. كان ذلك مجرد عمل.

تمتم جلوكتا: «القاتل يبدو محترفًا، جاء إلى هنا منتويًا القتل. إذن فربما بذل هذا الجهد البسيط ليظهر الأمر كعملية سطو، من يمكنه الجزم؟ وفي الحالتين، لن يكون المقرئ الأعلى راضيًا بوجود جثة. (نظر نحو مُنْفِذِيهِ) من التالي على القائمة؟».

هذه المرة كان هناك صراع، بلا شك. وإن بدا من جانب واحد. كان سوليمو سكاندي مستلقيًا على جنبه، يواجه الحائط، كما لو كان مُحرجًا من قميص نومه المُقَطَّع والمُمَرَّق. وكانت هناك جروح عميقة في ساعديه. حيث حاول بها عبثًا صدَّ ضربات النصل. لقد زحف على الأرض، تاركًا وراءه أثرًا دمويًا فوق الخشب المصقول للغاية. حيث حاول عبثًا الهرب. لقد فشل. كانت جروح السكين الأربعة في ظهره هي نهايته.

شعر جلوكتا بوجهه يرتعش وهو ينظر إلى الجثة الدامية. جثة واحدة قد تكون مجرد صدفة. اثنتان تصنعان مؤامرة. ارتعش جفنه. أيا كان من فعل هذا، فهو يعلم أننا قادمون، ومتى، ولمن بالتحديد. إنهم متقدمون علينا بخطوة. وعلى الأرجح، فقائمة المتواطئين التي معنا قد أصبحت بالفعل

قائمة جثث. هناك صوت صرير خلف جلوكتا فالتفت رأسه بسرعة، متسببة بالآلام شديدة أسفل رقبته المتيبسة. لا شيء سوى نافذة مفتوحة تتأرجح في النسيم. اهدأ، الآن. اهدأ، وفكر في الأمر.

- يبدو أن نقابة البزازين الموقرة قامت ببعض أعمال التنظيف.

تمتم سيفيرارد: «كيف تمكنوا من معرفتهم؟».

- كيف بالفعل؟ لا بد أنهم رأوا قائمة ريوز، أو أخبرهم أحد بمن كان عليها. وهذا يعني... (لعق جلوكتا لثته الفارغة) أحد ما قد تحدث داخل جهاز الاستجواب.

للمرة الأولى، لم تكن عينا سيفيرارد تبتسمان: «إذا عرفوا من على القائمة، فهم يعرفون من كتبها، ويعرفونها».

ولربما أضافوا ثلاثة أسماء على القائمة؟ في نهايتها؟ (ابتسم جلوكتا. كم هذا مثير للغاية): «أأنت خائف؟».

- لست سعيدًا، دعني أخبرك ذلك. (أوماً برأسه نحو الجثة) سكين في الظهر ليس جزءًا من مخططي.

- ولا أنا يا سيفيرارد، صدقني.

لا فعلًا. إذا مت، فلن أعرف أبدًا من خاننا. وأنا أريد أن أعرف.

كان يومًا ربيعياً مشرقاً صافياً، واكتظت الحديقة بأناس وكسالى من كل صنف. جلس جلوكتا ساكناً على مقعده، في الظل الرحيم لشجرة مترامية الأطراف، وهدق إلى المساحات الخضراء اللامعة، والمياه المتلألئة، والسعداء، والسكرارى، والمحتفلين الملونين. كان هناك أناس يتزاحمون على المقاعد المحيطة بالبحيرة، أزواجاً ومجموعات منتشرة حول العشب، يشربون ويتحدثون ويستمتعون بأشعة الشمس. فبدا أنه لم يعد هناك مساحة لأحد آخر.

لكن لم يأت أحد ليجلس جانب جلوكتا. أحياناً يقترب أحدهم مسرعاً، لا يكاد يصدق حظه في العثور على مثل هذا المكان، ثم يرونه جالساً هناك. فتتظر وجوههم إلى أسفل وينحرفون مبتعدين، أو يمرون من جانبه كما لو

أنهم لم يقصدوا الجلوس قط. ينفرون مني كالطاعون، لكن ربما ذلك كان للأفضل، فلن أتحمل صحبتهم.

كان يراقب مجموعة من الجنود الشبان يجذفون بقارب في البحيرة. نهض أحدهم متميلاً، يلوح بزجاجة في يده، فاهتز القارب بشكل خطير، وصاح به رفاقه كي يجلس. تهادى عبر الهواء صدى ضحكات خافتة ملأتها البراءة، وقد أبطأتها المسافة قليلاً. الصغار. كيف يبدو يافعين، وما أنقاهم. وكذلك كنت أنا، منذ زمن ليس ببعيد. لكنه يبدو وكأنه ألف عام مضى. بل أطول. وكأنها كانت حياة أخرى، في عالم آخر.

- جلوكتا.

نظر إلى أعلى وظل عيني به. كان المقرئ الأعلى سولت، الذي وصل أخيراً، طويل القامة داكن الشكل أمام السماء الزرقاء. ظن جلوكتا أنه يبدو أكثر تعباً، وتجعداً، وشحوباً من المعتاد وهو يحدق إلى أسفل ببرود.

- الأفضل أن يكون هذا مثيراً للاهتمام. (نفض سولت ذيل معطفه الأبيض الطويل وجلس برشاقة على المقعد) العامة يثورون مرة أخرى بالقرب من كيلن. أحد مُلاك الأراضي الأغنياء شق حفنة من الفلاحين والآن أصبح هناك فوضى علينا التعامل معها! ما مدى صعوبة إدارة حقل ممتلئ بالتراب وبعض المزارعين؟ ليس عليك أن تعاملهم جيداً، فقط لا تشنقهم! (كان فمه خطأً مستقيماً ومتشدداً وهو يحدق عبر المروج) الأفضل أن يكون هذا مثيراً للاهتمام.

- إنن سأحاول ألا أخيب ظنك. لقد مات فيليم دان روب. (وكما لو كان تأكيداً على بيان جلوكتا، انزلق الجندي المخمور وسقط عن جانب القارب مُطَرِّطُشاً الماء. وصلت صرخات ضحك أصدقائه إلى جلوكتا بعد لحظة) لقد قُتل.

- هاه. هذا يحدث. النقط التالي على القائمة. (وقف سولت عابساً) لم أعتقد أنك ستحتاج إلى موافقتي على كل شيء صغير، فلماذا اخترتك لهذه الوظيفة. فقط استمر في العمل! (وغضب مبتعداً).

لا داعي للاندفاع، أيها المقرئ الأعلى. هذه هي مشكلة الأرجل الجيدة، تجعلك تميل للاندفاع. أما إذا كانت لديك مشكلة في الحركة، فمن ناحية أخرى، لن تتحرك حتى تتأكد أن الوقت قد حان للذهاب.

- التالي على القائمة تعرض لحادث مؤسف أيضاً.

استدار سولت، ورفع أحد حاجبيه قليلاً: «مات؟».

- لقد ماتوا جميعاً.

زم المقرئ الأعلى شفتيه، ثم جلس على المقعد: «كلهم؟».

- كلهم.

قال سولت متأملاً: «هممم. هذا مثير للاهتمام. البزازون ينظفون، أليس كذلك؟ لم أتوقع منهم مثل هذه القسوة. لقد تغير الزمن، حسناً، لقد تغير الزمن بالتأكيد... (تراجع ببطء، وبدأ يعبس ببطء) تعتقد أن شخصاً ما قد أعطاهم قائمة ريزوز، أليس كذلك؟ تعتقد أن أحداً لدينا تحدث. لهذا طلبت مني أن آتي إلى هنا، أليس كذلك؟».

- أعتقد أنني كنت أتجنب الدرج فحسب؟ كل واحد منهم قتل؟ كل الأسماء على قائمتنا؟ في الليلة نفسها التي نذهب فيها لإلقاء القبض عليهم؟ أنا لست مؤمناً كبيراً بالمصادفات. هل تؤمن أنت أيها المقرئ الأعلى؟ ومن الواضح أنه لم يكن كذلك. لقد أصبح وجهه قاتمًا للغاية: «من رأى الاعتراف؟».

- أنا ومُنْفَّذاي الاثنان بالطبع.

- أليديك ثقة مطلقة بهم؟

- مطلقة.

كان هناك صمت. بينما انجرف القارب بلا دفة، كان الجنود يتدافعون، والمجاديف ترتفع لأعلى، والرجل الموجود في الماء يطرطش ويضحك، وهو يرش الماء على أصدقائه.

تمتم المقرئ الأعلى: «الاعتراف كان في مكتبي لبعض الوقت. يُحتمل أن يكون رآه أحد من طاقمي. يُحتمل....».

- هل لديك ثقة مطلقة بهم، سماحتكم؟

حدق سولت إلى جلوكتا للحظة طويلة جليدية: «لن يجروا. إنهم يعرفونني أفضل من ذلك».

قال جلوكتا بهدوء: «هذا يترك الرئيس كيلاين».

بالكاد تحركت شفتا المقرئ الأعلى في أثناء حديثه: «عليك أن تخطو بحذر أيها المحقق، بحذر شديد. فالأرض التي تمشي عليها ليست آمنة على الإطلاق. الحمقى لا يصبحون رؤساء في جهاز الاستجواب، على الرغم من مظهرهم. لدى كيلاين العديد من الأصدقاء، سواء داخل دار الأسئلة أو خارجها. أصدقاء أقوياء. وأي اتهام ضده يجب أن يكون مدعوماً بأقوى الأدلة. (توقف سولت فجأة، ينتظر ابتعاد مجموعة صغيرة من السيدات عن مرمى السمع، وهسهس بمجرد رحيلهم) أقوى الأدلة. عليك أن تجد هذا القاتل».

- القول أسهل من الفعل. بالطبع سماحتكم، لكن تحقيقاتي قد وصلت إلى طريق مسدود.

- ليس تمامًا. ما زالت لدينا بطاقة لعب واحدة. ريزوز نفسه.

- ريزوز؟ لكن أيها المقرئ الأعلى، لا بد أنه في إنجلترا الآن. يتعرق في منجم ما أو شيء من هذا القبيل. هذا إذا استطاع البقاء طوال هذه المدة.

- لا. إنه هنا في الأجيرونت، سجيناً وراء القضبان. اعتقدت أنه من الأفضل الاحتفاظ به. (بذل جلوكتا قصارى جهده لاحتواء مفاجأته. ماكر. ماكر جداً. يبدو أن الحمقى لا يصبحون مقرئين أعليين كذلك) سيكون ريزوز هو الطعم. سأطلب من سكرتيري أن يحمل رسالة إلى كيلاين، لإعلامه أنني رضخت، وأنتي سأسمح للبرّازين بمواصلة عملهم، لكن تحت رقابة أكثر صرامة. وكبادرة حسن نية، سأفرج عن ريزوز. إذا كان كيلاين هو مصدر التسريب لدينا، فأرجّح أنه سيُعلم البرّازين أن ريزوز أصبح حرّاً. وأرجح أنهم سيُرسلون هذا القاتل لمعاقبته على لسانه الطليق. وأرجح أنه سيكون بإمكانك القبض عليه وهو يحاول. وإذا لم يأتِ القاتل، حسناً، سنضطر إلى البحث عن خائننا في مكان آخر، ولن نخسر شيئاً.

- خطة ممتازة، سماحتكم.

كان سولت يحدق إليه ببرود: «بالطبع. ستحتاج إلى مكان ما للعمل، مكان بعيد عن دار الأسئلة. سأوفر لك المال، وسأرسل ريزوز لموقع مُنفَّذيك، وأخبرك عندما يحصل كيلاين على المعلومة. ابحث لي عن هذا القاتل، يا جلوكتا، واضغط عليه. اضغط عليه حتى يصرخ بأعلى صوته. (تمايل القارب بعنف في أثناء محاولة الجنود سحب رفيقهم المبتل، ثم انقلب فجأة، وألقى بهم

جميعاً في الماء) أريد أسماء (همس سولت، وهو يحدق إلى الجنود المتناثرين) أريد أسماء، وأدلة، ووثائق، وأشخاصاً يقفون في المجلس المفتوح ويشيرون بأصابع الاتهام. (نهض بسلاسة عن المقعد) أيقني على اطلاع.

انطلق بخطوات واسعة نحو دار الأسئلة، وقدماه تدهسان الحصى على الطريق، وراقبه جلوكتا يمضي. خطة ممتازة. أنا سعيد أنك بجانب، أيها المقرئ الأعلى. أنت بجانب، أليس كذلك؟

نجح الجنود في سحب القارب المقلوب إلى الضفة، ووقفوا مبليين يصرخون على بعضهم بعضاً، ولم يعودوا يتمتعون بروح الدعابة. كان أحد المجاديف لا يزال عائماً، متروكاً في الماء، ينجرف ببطء نحو نقطة تدفق النهر من البحيرة، سرعان ما سيمر تحت الجسر ثم تحت أسوار الأجيرونات العظيمة إلى الخندق. راقبه جلوكتا وهو يدور ببطء في الماء. خطأ. ينبغي للمرء أن يهتم بالتفاصيل. من السهل نسيان الأشياء الصغيرة، لكن من دون المجداف سيصبح القارب عديم الفائدة.

جال بنظره على بعض الوجوه الأخرى في الحديقة. وقعت عينه على زوجين وسيمين يجلسان على مقعد بجانب البحيرة. كان الشاب يتحدث بهدوء إلى الفتاة، وعلى وجهه تعبير حزين وصادق. نهضت بسرعة وابتعدت عنه واضعة يديها على وجهها. آه من ألم العاشق المهجور. الخسارة، الغضب، العار. يبدو كما لو أنك لن تتعافى أبداً. من هو الشاعر الذي كتب ليس هناك ألم أسوأ من ألم القلب المكسور؟ يا للهراء العاطفي. عليه أن يقضي بعض الوقت في سجون الإمبراطور. ابتسم وفتح فمه ولحق لثته الفارغة موضع أسنانه الأمامية. القلوب المكسورة تشفى مع الوقت، لكن الأسنان المكسورة لا تشفى أبداً.

نظر جلوكتا إلى الشاب. كان لديه تعبير استمتاع خفيف على وجهه وهو يشاهد الفتاة الباكية تبتعد. اللقيط الشاب. أتساءل إن كان قد كسر الكثير من القلوب كما فعلت في شبابي؟ بالكاد يبدو الأمر ممكناً الآن. أحتاج إلى نصف ساعة كاملة لأستجمع الشجاعة للوقوف فحسب. النساء الوحيديات اللاتي أبكيتهن مؤخراً هن زوجات أولئك الذين نفيتهم إلى آنجلاند.

- ساند.

استدار جلوكتا: «اللورد مارشال فاروز، يا له من شرف».

قال الجندي العجوز وهو يجلس على المقعد بحركة سريعة ودقيقة تليق بمعلم المبارزة: «أوه، لا، لا (قال دون أن ينظر حقاً) تبدو في حالة جيدة. تقصد أنني أبدؤ أعرج. كيف حالك يا صديقي القديم؟».

أنا معاق، أيها الحمار العجوز المتغطرس. صديقك، هاه؟ كل تلك السنوات منذ عودتي، ولم تبحث عني قط، ولا مرة واحدة. هل هذه صداقة؟

- جيد بما يكفي، شكرًا لك، أيها اللورد مارشال.

بدا فاروز غير مرتاح في جلسته على المقعد: «آخر طلابي، النقيب لوثر... ربما تعرفه؟».

- لقد تقابلنا من قبل.

- عليك أن ترى حركاته. (هز فاروز رأسه بحزن) إنه يمتلك الموهبة، بالفعل، على الرغم من أنه لن يكون في مستواك أبدًا يا ساند. لا أعرف. أمل أن يكون يومًا من الأيام أعرج مثلي تمامًا. لكنه يمتلك الكثير من الموهبة، بما يكفي للفوز. لكنه يضيعها، يهدرها بنفسه. يا للمأساة. أنا مستاء جدًا لدرجة أنني سأتقيأ. هذا إذا كنت أكلت شيئًا هذا الصباح. إنه كسول يا ساند وعنيد. يفتقر إلى الشجاعة. يفتقر إلى التفاني. قلبه ليس فيها، والوقت ينفد. كنت أتساءل، إن كان لديك الوقت بالطبع، (ونظر فاروز إلى عيني جلوكتا للحظة واحدة فقط) إن كنت تستطيع التحدث معه.

أنا لا أستطيع الانتظار! إن محاضرة ذلك الحمار المتدمر ستكون بمنزلة تحقق كل أحلامي. أيها العجوز المتغطرس، كيف تجرؤ؟ لقد بنيت سمعتك على نجاحاتي، ثم عندما احتجت إلى مساعدتك تخليت عني. والآن تأتي إلي وتطلب مساعدتي وتدعوني صديقك؟

- بالطبع، أيها المارشال فاروز، سأكون سعيدًا بالتحدث معه. أي شيء من أجل صديق قديم.

- ممتاز، ممتاز! أنا متأكد أنك ستحدث كل الفرق! انا أدريه كل صباح، في ذلك الفناء القريب من دار الصانع، حيث اعتدت تدريبك..

وسرح المارشال العجوز حرجًا.

- سأتي بمجرد أن تسمح لي مسؤولياتي.

- بالطبع، مسؤولياتك...

كان فاروز قد نهض بالفعل، واضح تعجُّله للذهاب. مد جلوكتا يده، ما جعل الجندي العجوز يتوقف لحظة. لا داعي للقلق أيها اللورد مارشال، فأنا لست معدّيًا. صافحه فاروز سريعًا بارتخاء، كما لو أنه خشي أن تنكسر في يده، ثم تتمم بالأعذار وانطلق مبتعدًا، رافعًا رأسه. انحنى له الجنود المبللون وحيّوه وهو يمشي جوارهم، وكانوا مُحَرَجِينَ إلى حدٍّ ما.

مد جلوكتا ساقه متسائلًا إن كان عليه النهوض. وأذهب إلى أين؟ لن ينتهي العالم إذا جلست هنا للحظة أطول. ليس هناك استعجال. لا استعجال.

عرض وهديّة

صرخ المارشال فاروز: «و... إلى الأمام!».

ترنح چيزال نحوه، واحتضنت أصابع أقدامه حواف العارضة، يحاول يائساً الحفاظ على توازنه، وقام بقفزة خرقاء أو اثنتين فقط لإعطاء انطباع أن قلبه فيها. أربع ساعات من التدريب يومياً أرهقته كثيراً، وشعر بما هو أكثر من مجرد الإرهاق.

عبس فاروز وأبعد سلاح چيزال بضربة خفيفة، وتحرك دون جهد على العارضة كما لو كان يتنزه في الحديقة: «وللخلف!».

تعثر چيزال على كعبيه، ولوحت ذراعه اليسرى بغباء حوله في محاولة للحفاظ على توازنه. كل شيء فوق ركبتيه ألمه بشدة من المجهود. أمّا ما تحت الركبتين فكان أسوأ بكثير. فاروز الذي تجاوز الستين، لم تظهر عليه أي علامات التعب. لم يتعرق حتى وهو يتراقص متقدماً على العارضة، ويلوح بسيفه حوله. أمّا چيزال نفسه فكان يلهث وهو يتصدى يائساً بيده اليسرى، وقدمه اليمنى تحاول إيجاد مساحة آمنة خلفه على العارضة لاستعادة توازنه. «وللأمام!» كانت ريلة ساق چيزال تتعذب عندما تعثر ليُغيّر اتجاهه ويوجه ضربة للرجل العجوز الغاضب، لكن فاروز لم يتحرك للخلف. وبدلاً من ذلك، انحنى تحت ضربته اليائسة وبظهر ذراعه دفع قدّمَي چيزال من تحته.

بينما أطلق چيزال عواءً كان الفناء ينقلب من حوله. اصطدمت ساقه بحافة العارضة بشكل مؤلم، ثم تمدد على العشب على وجهه، وارتطمت ذقنه بالأرض ففرقت أسنانه. تدرج مسافة قصيرة ثم استلقى على ظهره، يلهث كسمكة انتزعت فجأة من الماء، ونبضت ساقه حيث اصطدمت بالعارضة وهو يسقط. ستصبح كدمة قبيحة أخرى في الصباح.

- بشع يا چيزال، بشع! (صاح الجندي العجوز وهو يقفز برشاقة إلى العشب) أنت تتأرجح على العارضة وكأنها حبل مشدود! (انقلب چيزال، وهو يلعن، وبدأ ينهض بصعوبة على قدميه) إنها قطعة صلبة من خشب البلوط، عريضة بما يكفي لتتوه عليها!

أوضح اللورد مارشال وجهة نظره بضرب العارضة بسيفه القصير، مما جعل شظاياها تتطاير. تأوه چيزال: «اعتقدت أنك قلت للأمام».

ارتفع حاجبا فاروز بشكل حاد: «هل تفترض جدًّا، أيها النقيب لوثر، أن بريمر دان جورست سيعطي لخصومه معلومات موثوقة عن نواياه؟».

- بريمر دان جورست سيحاول هزيمتي أيها العجوز اللعين! أنت من يفترض أن يساعدني في التغلب عليه!

هذا هو ما فكر فيه چيزال، لكنه كان أذكى من أن يقوله. فقط هز رأسه بغباء.

- لا! لا بالطبع لا! سيبذل قصارى جهده لخداع خصومه وإرباكهم، كما يفعل كل المبارزين العظماء!

سار اللورد مارشال بسرعة تزيد وتقل، وهو يهز رأسه. فكر چيزال مرة أخرى فيما إذا كان سيتخلّى عن كل شيء. لقد سئم من الاستلقاء على السرير منهكًا كل ليلة، في الوقت الذي كان ينبغي فيه أن يبدأ في الشرب. لقد سئم من الاستيقاظ كل صباح، مصابًا بكدمات وألم، ليواجه أربع ساعات أخرى لا نهاية لها من الجري، والعارضة، والقضيب، والحركات. لقد سئم من وقوعه على مؤخرته من قبل الرائد ويست. الأهم من ذلك كله أنه سئم من تعرضه للتنمر من قبل هذا الأحمق العجوز.

- ... عرض محبط، أيها النقيب، محبط للغاية. أعتقد أنك في الواقع تزداد سوءًا...

لن يفوز چيزال بالمسابقة أبدًا. لم يتوقع منه أحد أن يفعل ذلك، على الأقل هو نفسه. فلماذا لا يتخلّى عنه ويعود إلى لعب الورق والسهرات المتأخرة؟ ألم يكن هذا هو كل ما يريده حقًا من الحياة؟ لكن بعد ذلك ما الذي سيُميّزه عن آلاف أبناء النبلاء الأصغر سنًا؟ لقد قرر منذ فترة طويلة أنه يريد أن يكون شيئًا مميزًا. ربما يكون لورد مارشال، ثم كبير أمناء البلاط، شيء كبير ومهم على أي حال. أراد كرسيًا كبيرًا في المجلس المغلق، وأن يتخذ قرارات كبيرة.

أراد أن يتودد له الناس ويبتسموا حوله ويُعَلِّقوا على كل كلمة قالها. أراد أن يهمس الناس: «ها هو اللورد لوثر!»، وهو يمر جوارهم. هل يمكنه أن يكتفي بكونه نسخة أكثر ثراءً وذكاءً وأفضل مظهرًا من الملازم برينت إلى الأبد؟ أه! لم يكن الأمر يستحق التفكير فيه.

- ... أما منا طريق طويل جدًا لنقطعه، وليس هناك وقت كافٍ للوصول إلى هناك، إلا إذا غيرت موقفك. تبارزك مؤسف، وقدرتك على التحمل ما زالت ضعيفة، وأما توازنك، فكلما قل الحديث عنه كان أفضل!

وماذا سيعتقد الجميع إذا استسلم؟ ماذا سيفعل والده؟ ماذا سيقول إخوته؟ وماذا عن الضباط الآخرين؟ سيبدو جبانًا. وبعد ذلك كانت هناك آردى ويست. يبدو أنها كانت في ذهنه كثيرًا خلال اليومين الماضيين. هل ستتمايل بالقرب منه هكذا إذا لم يكن يتبارز؟ هل ستحدث معه بهذه اللهجة الناعمة؟ هل ستضحك على نكاته؟ هل ستنظر إليه بتلكما العينين الكبيرتين الداكنتين، حتى يكاد يشعر بأنفاسها على وجهه...

- هل تستمع إليّ يا فتى؟

جاء صوت فاروز كالرعد. أحسّ چيزال بأنفاسه على وجهه، وبقدر من البصاق أيضًا.

- نعم يا سيدي! مبارزتي مؤسفة، وقدرتي على التحمل ضعيفة! (چيزال ابتلع بعصبية) وقلة الحديث عن توازني أفضل.

- هذا صحيح! لقد بدأت أعتقد، على الرغم من عدم تصديقي لذلك بعد كل المتاعب التي تكبدتها لأجلك، أن قلبك ليس في هذا الأمر حقًا. (حدّق إلى عينيّ چيزال) ما رأيك أيها الرائد؟

لم يكن هناك رد. كان ويست متكئًا على كرسيه، وذراعه مطويتين، عابسًا متجهماً ويحدق إلى الفضاء. انفجر اللورد المارشال: «أيها الرائد ويست؟». نظر إلى أعلى فجأة، كما لو أنه أدرك وجودهم للتو: «آسف يا سيدي، كنت مشتتًا قليلًا».

- أرى ذلك. (امتص فاروز أنفاسه) يبدو أن الجميع فقد تركيزه هذا الصباح. (شعر چيزال بارتياح كبير لأن بعضًا من غضب العجوز قد تحول إلى مكان آخر، لكن سعادته لم تدم طويلًا. صرخ المارشال العجوز) هذا جيد جدًا، إذا كانت هذه هي الطريقة التي تريدها. بدءًا من

الغد، سنبداً كل جلسة بالسباحة في الخندق. ميل أو ميلان سيكفيان. (ضغط چيزال على أسنانه حتى لا يصرخ) لدى الماء البارد قدرة رائعة في شحذ الحواس. وربما سنحتاج أن نبدأ مبكرًا قليلًا، حتى تكون في حالة ذهنية أكثر تقبلاً. وهذا يعني أننا سنبداً في الخامسة. في هذه الأثناء، أيها النقيب لوثر، أقترح عليك أن تفكر فيما إذا كنت هنا من أجل الفوز بالمسابقة، أو ببساطة من أجل متعة مشاركتي الوقت. ودار على عقبيه وذهب.

انتظر چيزال حتى غادر فاروز الفناء قبل أن يفقد أعصابه، ولكن بمجرد أن تأكد من أن الرجل العجوز كان بعيدًا عن مرمى السمع، ألقى سيوفه على الحائط بغضب.

- اللعنة! (صرخ والسيوف تصلصل على الأرض) تبًا! (نظر حوله بحثًا عن شيء يركله لن يؤذيه كثيرًا. وسقطت عيناه على ساق العارضة، لكنه أخطأ في تقدير قوة الركلة بشكل سيئ واضطر إلى منع نفسه عن الإمساك بقدمه المصابة المكدومة والقفز كالأحمق وصرخ بعنف) اللعنة، اللعنة!

أحبط ويست بشكل كبير. فنهض عابسًا، وتبع المارشال فاروز. سأل چيزال: «إلى أين أنت ذاهب؟».

قال ويست من فوق كتفه: «بعيدًا، لقد رأيت ما يكفي».

- ماذا يعني ذلك؟

توقف ويست واستدار لمواجهته: «على الرغم من أن هذا قد يبدو مدهشًا، فإن هناك مشكلات في العالم أكبر منك».

بينما وقف چيزال هناك مفتوح الفم كان ويست يغادر الفناء. صرخ خلفه بمجرد أن تأكد من رحيله: «من تظن نفسك بالضبط؟ اللعنة، اللعنة!». لقد فكر في إعطاء العارضة ركلة أخرى، لكنه تراجع في النهاية.

كان مزاج چيزال متعكرًا في طريق عودته إلى مسكنه، لذلك بقي بعيدًا عن الأجزاء الأكثر ازدحامًا في الأجيوننت، ملتزمًا بالممرات والحدائق الأكثر هدوءًا

بجانب طريق الملوك. كان يحرق إلى قدميه وهو يمشي، لتثبيط أي مواجهة اجتماعية. لكن الحظ لم يكن في صفه.

- چيزال!

ذلك كان كاسبا، خرج يتنزه مع فتاة شقراء ترتدي ملابس باهظة. كانت معها امرأة قاسية المظهر في منتصف العمر، لا شك أنها مربية الفتاة أو شيء من هذا القبيل. توقفوا لإبداء إعجابهم بتمثال صغير في ساحة لا يزورها سوى القليل.

- چيزال!

صاح كاسبا مرة أخرى وهو يلوح بقبعته فوق رأسه. لم يكن هناك سبيل لتجنبهم. وضع ابتسامة غير مقنعة على وجهه وذهب نحوهم. ابتسمت له الفتاة الشاحبة وهو يقترب، ولكن إذا كان يفترض أنها ستفتنه فهو لم يشعر بذلك. سأل كاسبا بلا هدف: «هل كنت تتبارز مرة أخرى يا لوثر؟».

كان چيزال يتصبب عرقاً ويمسك بزوجين من سيوف التبارز. وكان معروفاً أنه يتبارز كل صباح. لا يحتاج الأمر إلى عقل ذكي لمعرفة ما كان يفعله، لكنه أمر متوقع، لأن كاسبا لم يكن لديه أحدهم بالتأكد.

- بالفعل. كيف خمنت ذلك؟

لم يقصد چيزال إنهاء المحادثة تماماً، لكنه أنهى الأمر بضحكة مكتومة زائفة، وسرعان ما عادت ابتسامات السيدتين. ضحك كاسبا، غير محبذ أن يكون موضع النكتة: «هاها. چيزال، هل لي أن أقدم ابنة عمي، الليدي آريس دان كاسبا؟ هذا هو ضابطي الأعلى، النقيب لوثر».

إذن فهذه هي ابنة العم الشهيرة. واحدة من أغنى وريثات الاتحاد وسليلة عائلة ممتازة. كان كاسبا يثرثر دائماً عن جمالها، لكنها بدت لچيزال شاحبة، نحيفة، مريضة المظهر. ابتسمت بضعف ومدت يدها البيضاء الرخوة. قَبَلَهَا بلا مبالاة قدر إمكانه وتمتم دون استساعة: «فُتِنْتُ برويتك. أعذر عن مظهري، فقد كنت أتبارز قبل قليل».

- فعلاً، (صرخت بصوت حاد، بمجرد أن تأكدت من انتهائه من التحدث) سمعتُ أنك مبارز عظيم. (صمتت لفترة لتستجمع شيئاً لتقوله، ثم أضاعت عينها) أخبرني أيها النقيب، هل حقاً المبارزة خطيرة جداً؟
يا للهراء الممل.

- أوه لا سيدتي، نحن نستخدم السيوف الثلثة فقط في الحلبة.

كان بإمكانه أن يقول المزيد، لكن فليُعلن إن كان سيبذل جهدًا. بادلها بابتسامة رقيقة. كما فعلت هي. كانت المحادثة تحوم فوق هاوية.

أوشك چيزال على الاعتذار، حيث إن موضوع المبارزة اسنُهلك بشكل واضح، لكن قاطعته أريس لتصادمه بموضوع آخر: «أخبرني أيها النقيب، هل يحتمل حقًا أن تكون هناك حرب في الشمال؟».

تلاشى صوتها تقريبًا مع نهاية الجملة، لكن المرافقة حدقت إليها باستحسان، بلا شك سُرَّت بمهارات المحادثة لديها.

أغيثونا. بدأ چيزال يرد: «حسنًا، يبدو لي.. (حدقت إليه عينا اليدي أريس الشاحبتان والزرقاوان بترقب. ظنَّ أن الأعين الزرقاء كانت هراءً مطلقًا. وتساءل عن الموضوع الذي كانت تجهله أكثر؛ المبارزة أم السياسة؟) ماذا تعتقدين؟».

جعدت المرافقة جبينها قليلًا. بدت السيدة أريس متفاجئة إلى حد ما، واحمرت خجلًا قليلًا وهي تتلمس الكلمات: «حسنًا، إيه... هذا يعني... أنا متأكدة من أن كل شيء سوف... يسير على ما يرام؟».

فكر چيزال، فلنشكر الأقدار، فقد نلنا الخلاص! كان عليه أن يرحل من هنا: «بالطبع كل شيء سوف يسير على ما يرام. (أجبر نفسه على الابتسام مرة أخرى) كان من دواعي سروري أن أتعرف إليك، ولكن أخشى أنه سيكون عليَّ الذهاب للخدمة خلال وقت قصير، لذلك عليَّ أن أترككم. (انحنى برسمية فاترة) الملازم كاسبا، السيدة أريس».

لكزه كاسبا في ذراعه، بحميمية كما أمكن له. ابتسمت ابنة عمه المُشردة الجاهلة. عبست المربية في وجهه وهو يرحل، لكن چيزال لم ينتب.

وصل إلى مجلس اللوردات تمامًا مع عودة أعضاء المجلس من استراحة الغداء. أوما برأسه للحراس في البهو باقتضاب، ثم خطا عبر البوابة الضخمة وخلال الممر الرئيسي. كان خلفه مباشرة طابور متأخر من أعظم نبلاء المملكة، فيما امتلأت المساحة الفارغة بأصوات خطوات متعثرة وتمتمات

وهمسات، وشق چيزال طريقه حول الجدار المقوس ليصل إلى مكانه خلف الطاولة الرئيسية.

- چيزال، كيف كانت المباراة؟

وصل چالينهورم مبكرًا لمرة واحدة، وانتهاز لفرصة للتحدث قبل وصول كبير أمناء البلاط.

- حظيت بصباحات أفضل. وأنت؟

- أوه، لقد أمضيت وقتًا ممتعًا. لقد قابلت ابنة عم كاسبا هذه، اسمها...

بحث عن الاسم. تنهد چيزال قائلاً: «الليدي أريس».

- نعم، هذا هو اسمها! هل رأيتها؟

- أسعدني الحظ بمقابلتهم الآن.

- أوه! (صاح چالينهورم وهو يزم شفتيه) أليست مذهلة؟

- همم.

نظر چيزال بعيدًا، وهو يشعر بالملل، وشاهد الرجال المرتدين الأرواب والمزينين بالفراء وهم يتقدمون ببطء إلى أماكنهم. على الأقل شهد عينة من أبنائهم الأقل تفضيلاً والممثلين الذين يتقاضون أجورًا. عدد قليل جدًا من رجال الأعمال من كان يحضر شخصيًا إلى المجلس المفتوح هذه الأيام، إلا إذا كان لديهم شيء مهم يشكون منه. الكثير منهم لم يكلفوا أنفسهم عناء إرسال شخص ما بدلًا منهم.

- أقسم لك، إنها واحدة من أجمل الفتيات اللاتي رأيتهن على الإطلاق. أعلم

أن كاسبا يهذي بها دائمًا، لكنه لم ينصفها.

- همم.

بدأ المستشارون بالانتشار، كل رجل يتجه إلى مقعده. صُمِّمَ مجلس اللوردات على هيئة مسرح، حيث يجلس النبلاء البارزون في الاتحاد على مقاعد تشبه مدرجات المسرح في شكل نصف دائري، مع ممر يقسمها من المنتصف.

وكما هي الحال في المسرح، كانت هناك مقاعد أفضل من غيرها. فبينما الأقل أهمية جلس بالأعلى في الخلف، ازدادت أهمية الجالسين كلما اقتربت من الأمام. أما الصف الأول، فقد كان مخصصًا لرؤساء أعظم العائلات أو من

ينوب عنهم. جلس ممثلو الجنوب، من داجوسكا وويستبورز على الجهة اليسرى، الأقرب إلى چيزال. وعلى أقصى اليمين، بينما جلس ممثلو الشمال والغرب، من أنجلاند وستاريكلاند، كانت غالبية المقاعد في الوسط مخصصة للنبلاء القدامى من ميديرلاند، قلب الاتحاد. الاتحاد الحقيقي، كما كانوا يرونه. وكما كان يراه چيزال أيضًا، في الواقع.

كان چالينهورم يتغنى بحماس: «يا لوقارها، ويا لرشاقتها، ويا لذلك الشعر الأشقر الرائع، وتلك البشرة البيضاء الحليبية، وتلكما العينين الزرقاوين الرائعتين».

- وكل ذلك المال.

ابتسم الرجل الضخم: «حسنًا، نعم، هذا أيضًا، يقول كاسبًا إن عمه أغنى من والده. تخيل ذلك! وكل ما لديه ابنة واحدة فقط. سوف ترث كل مارك منه. كل مارك! (بالكاد استطاع چالينهورم احتواء حماسه) رجل محظوظ من سيصيدها! ما هو اسمها مرة أخرى؟».

رد چيزال بحدّة: «آريس».

تفرق اللوردات، أو وكلاؤهم، وتذمروا في طريقهم لمقاعدهم. كان الحضور ضعيفًا: المقاعد كانت نصف ممتلئة أو أقل. وذلك كان ممتلئًا بقدر ما كان دائمًا. لو كان مجلس اللوردات مسرّحًا حقًا، لبحث أصحابه عن مسرحية جديدة.

لعق چالينهورم شفثيه كأن الاسم خلّف مذاقًا حلواً: «آريس. آريس. رجل محظوظ من سيحصل عليها».

- نعم بالفعل. رجل محظوظ.

بشرط أنه يفضل المال على التحدث. فكر چيزال أنه ربما يُفضّل الزواج بالمربية. على الأقل بدت قادرة على صلب طولها.

دخل كبير أمناء البلاط، واتجه نحو المنصة التي عليها الطاولة العالية، حيث كان من الممكن أن يصبح المسرح، لو كان المجلس مسرحًا. تبعه مجموعة من السكرتارية والموظفين ذوي عباات سوداء، وكل منهم يحمل كومة من الكتب الثقيلة وحزم الأوراق ذات المظهر الرسمي. بدا اللورد هوف، بثوبه القرمزي الذي رفرفت حاشيته خلفه، كطائر نادر وفخم يلاحقه قطيع من الغربان المزعجة.

همس چالينهورم وهو يبتعد لمكانه على الجانب الآخر من الطاولة: «ها قد أتى العجوز». وضع چیزال يديه خلف ظهره واتخذ وضعيته المعتادة، قدماه متباعدتان قليلاً، وذقنه عالية في الهواء. راقب الجنود، الذين تَوَزَّعوا بانتظام حول الجدار المنحني، لكن كل رجل كان بلا حراك وشكله مثالي بدرعه الكامل، كما هو الحال دائماً. أخذ نفساً عميقاً واستعد لبضع ساعات من الملل الشديد.

ألقي كبير أمناء البلاط نفسه على كرسيه الطويل وطلب النبيذ. اتخذ السكرتارية أماكنهم حوله، وتركوا مكان الملك شاغراً في المنتصف الذي غاب كعادته. حَفَّتْ بهم الوثائق، وفُتِحَت الدفاتر الكبيرة، وشُجِدَت الأقلام وغطَّست في قِنان الحبر. مشى المُعلِنُ لنهاية الطاولة وضرب عصاه الرسمية على الأرض للبدء. تلاشت تدريجياً همسات النبلاء ووكلائهم، والحاضرون القلائل في الشرفة العامة فوقهم، وصمتت القاعة الفسيحة.

نفخ المُعلِنُ صدره. قال بنبرة بطيئة ورنانة، كما لو كان يلقي تأبيناً في جنازة: «أدعو هذا الاجتماع.. لمجلس الاتحاد المفتوح.. (وتوقف لفترة طويلة وذات مغزى بلا داع. تحركت عينا كبير أمناء البلاط نحوه بغضب، لكن المُعلِن لم يكن لِيُسَلَبَ مِنْ لحظة مجده. جعل الجميع ينتظرون لحظة أخرى قبل إنهاء جملة)..
للبدء!».

قال هوف بغضب: «شكراً لك. أعتقد أننا كنا على وشك الاستماع إلى اللورد حاكم داجوسكا قبل أن تقطعنا استراحة الغداء». رافق صوته احتكاك أطراف ريشات الكتابة، لتسجيل اثنين من الموظفين كل كلمة يقولها. اندمجت أصدااء الأقلام الخافتة مع أصدااء كلماته في الفضاء الكبير أعلاه.

كافح رجل مسن للوقوف على قدميه في الصف الأمامي بالقرب من چیزال، واحتضنت يداها المرتعشتان بعض الأوراق.

صرخ المُعلِنُ بأقصى بطاء سُمِحَ له: «المجلس المفتوح.. يَتَعَرَّفُ على راش دان ثويل، وكيل مقبول للورد ساند دان فورمس، حاكم داجوسكا!». - شكراً لك يا سيدي.

كان صوت ثويل المتكسر والضعيف خافتاً للغاية في المساحة الشاسعة. بالكاد وصل إلى چیزال، ولم يكن يبعد عنه بأكثر من عشر خطوات. بدأ: «أيها اللوردات... (نادى أحد من الخلف: «ارفع صوتك!»). كانت هناك موجة من

الضحك. تنحنح العجوز وحاول مرة أخرى) أيها اللوردات، أنا هنا أمامكم برسالة عاجلة من اللورد حاكم داجوسكا. (عاد صوته إلى مستواه الأصلي، الذي بالكاد كان يمكن سماعه، وكانت كل كلمة تصحبها خدش الريشات المستمر. بدأت الهمسات تعلو من مقاعد عامة بالأعلى، مما جعل سماعه أكثر صعوبة) إن تهديد إمبراطور جوركول للمدينة العظيمة يتزايد بمرور كل يوم. (بدأت تطفو أصوات رفض مبهمة من جانب الغرفة البعيد، حيث جلس ممثلو أنجلاند، لكن أغلب أعضاء المجلس بدا عليهم الملل) هجمات على السفن، ومضايقات للتجار، ومظاهرات خارج أسوارنا، أجبرت اللورد الحاكم على إرساله...».

صاح أحد ما: «يا لنا من محظوظين!».

كانت هناك موجة أخرى من الضحك، بصوت أعلى قليلاً هذه المرة. أكمل العجوز، وهو يجاهد بصوته وسط الضجيج المتزايد: «المدينة مبنية على شبه جزيرة ضيقة.. متصلة بأرض يسيطر عليها أعداؤنا اللدودون الجوركوليون بالكامل، ويفصلها عن ميدرلاند فراسخ واسعة من المياه المالحة! دفاعاتنا ليست بالقدر المنشود البتة! إن الحاكم اللورد في حاجة ماسة إلى مزيد من الدعم المالي...».

أثار ذكر الأموال صخباً فوراً في المجلس. كان فم ثويل لا يزال يتحرك، ولكن لم تكن هناك فرصة لسماعه الآن. عبس لورد البلاط وتجرّع من كأسه. وضع الموظف الأبعد عن چيزال ريشته وأخذ يفرك عينيه بإبهامه وسبابته. وانتهى الموظف الأقرب للتو من كتابة سطر. مال چيزال للأمام ليرى ما كتبه. فقط كُتِبَ:

بعض الصباح هنا.

ضرب المعلن عصاه على البلاط وبدأ عليه شعور عظيم بالرضا الذاتي. تلاشى الضجيج في النهاية ولكن ثويل أُصيب الآن بنوبة سعال. حاول أن يتكلم لكنه لم يتمكن، وفي النهاية لَوَّح بيده وجلس، محمراً الوجه للغاية، فضربه الجالس بجانبه على ظهره.

صاح شاب أنيق في الصف الأمامي على الجانب الآخر من القاعة، وقفز على قدميه. بدأ خدش الريشات مرة أخرى: «إذا سمحتم لي، سيدي اللورد كبير أمناء البلاط؟ يبدو لي...».

قاطعه المُعلِن: «المجلس المفتوح يتعرف على هيرسيل دان ميد، الابن الثالث والوكيل المقبول للورد فيدور دان ميد، حاكم أنجلاند!».

- يبدو لي (تابع الشاب الوسيم، الذي انزعج قليلاً من المقاطعة) أن أصدقاءنا في الجنوب يتوقعون دائماً هجوماً شاملاً من قبل الإمبراطور! (ارتفعت الآن الأصوات المعارضة على الجانب الآخر من الغرفة) هجوم لم يحدث قط! ألم نهزم الجوركوليين منذ سنوات قليلة أم أن ذاكرتي تخدعني؟ (ازداد علو صياح الاستهجان) هذا الترويج للإشاعات يمثل استنزافاً غير مقبول لموارد الاتحاد! (كان يصرخ ليسمعه) في أنجلاند لدينا حدود تمتد لعدة أميال وعدد قليل جداً من الجنود، في حين أن التهديد من بيثود ورجاله الشماليين حقيقي جداً! إذا كان هناك من يحتاج إلى الدعم المالي...

ارتفع ضجيج الصياح على الفور. يمكن تمييز بعض الصرخات الغامضة مثل: «اسمع، اسمع!»، «هراء!»، «صحيح!» و «أكاذيب!» وسط الصياح. ووقف كثير من الممثلين على أقدامهم وهم يصرخون. أوما البعض بقوة بموافقتهم، وهز البعض رؤوسهم بعنف معارضين. تتأهب آخرون وحدقوا حولهم. تمكن چيزال من رؤية أحدهم، قريباً من المؤخرة في المنتصف، نائماً بالتأكيد، وواجه خطر السقوط على جِبرِ الجالس بجواره.

جال بعينه على الوجوه الملتفة حول حاجز شرفة الجمهور. شعر بانجذاب غريب في صدره. كانت آردي ويست هناك في الأعلى، تنظر إليه مباشرة. عندما التقت أعينهما ابتسمت ولوحت. كان يبتسم هو الآخر، ورفع ذراعه لمنتصف الطريق ليلوح لها، لكنه تذكر أين هو، فدس ذراعه خلف ظهره ونظر حوله بقلق، شعر بالارتياح أنه لم يلحظ أحد مهم ما كان سيفعل. لكن الابتسامة لم تفارق وجهه.

زمجر كبير أمناء البلاط، محطماً كأسه الفارغة على الطاولة المرتفعة: «أيها اللوردات».

كان لديه أعلى صوت سمعه چيزال على الإطلاق. حتى إن المارشال فاروز يمكنه أن يتعلم شيئاً عن الصراخ من هوف. فزع النائم بالقرب من المؤخرة وتشمم ورمش. تلاشت الضوضاء على الفور. هؤلاء الممثلون الذين وقفوا نظروا حولهم شاعرين بالذنب، مثل أطفال أشقياء نُودوا لعقابهم، وجلسوا تدريجياً. استمرت الهمسات عند حاجز الجمهور. ثم عاد النظام.

- أيها اللوردات! يمكنني أن أؤكد لكم أن الملك ليس لديه شاغل أهم من سلامة رعاياه، أينما كانوا! إن الاتحاد لا يسمح بالاعتداء على شعبه أو ممتلكاته! (أنهى هوف كل جملة بضربة من قبضته أمامه على الطاولة) بداية بإمبراطور جوركول، أو من هؤلاء المتوحشين في الشمال، أو من أي أحد آخر! (ضرب الطاولة بقوة شديدة بعد آخر تعليق، حتى إن الحبر تناثر من قنينة على إحدى أوراق الكتب الموضوعة بعناية. وقبل العرض الوطني الذي قَدَّمه كبير أمناء البلاط بصيحات الموافقة والدعم) أما بالنسبة إلى ظروف داجوسكا الخاصة! (نظر ثويل إلى الأعلى في أمل، وصدره يهتز من السعال المكثوم) ألا تمتلك تلك المدينة بعضاً من أقوى وأوسع التحصينات في العالم؟ ألم تصمد أمام حصار الجوركوليين منذ أقل من عقد من الزمن لأكثر من عام؟ ماذا حدث للجدران يا سيدي، الجدران؟

ساد الغرفة الكبيرة الهدوء حيث ترقب الجميع لسماع الرد. أَرَّ صوت ثويل، وكاد يختفي عندما قلب أحد الموظفين صفحة كتابه الضخم وبدأ يخمش على الصفحة التالية: «سيدي كبير أمناء البلاط لقد أصبحت الدفاعات في حالة سيئة، ونحن نفتقر إلى الجنود التي تقف لحراستها. (وهمس بصوت غير مسموع تقريباً) الإمبراطور ليس جاهلاً بهذا، أتوسل إليك....».

وغرق في نوبة سعال أخرى، وسقط جالساً في مقعده، مصحوباً ببعض السخرية الخفيفة من وفد أنجلاند. عبس هوف أكثر: «ما أعرفه أن دفاعات المدينة تُصان بالجهود الذاتية بالرسوم التجارية المفروضة على نقابة العطارين الموقرة، التي تعمل في داجوسكا بموجب رخصة حصرية ومربحة للغاية خلال السنوات السبع الماضية. إذا لم تتوفر الموارد حتى لصيانة الجدران.. (ومسح المجلس بنظرة قاتمة) فربما حان الوقت لطرح هذه الرخصة للمناقصة. (كان هناك وابل من الغمغمات الغاضبة حول حاجز الجمهور) على أية حال، لا يمكن للتاج الملكي توفير أي أموال إضافية في الوقت الحالي! (وجاءت صيحات الاستياء من جانب داجوسكا في الغرفة، وصيحات الموافقة من جانب أنجلاند) أما بالنسبة إلى الظروف الخاصة بأنجلاند! (هدر صوت كبير أمناء البلاط باتجاه ميد) فأعتقد أننا قد نسمع بعض الأخبار الجيدة قريباً، لكي تحملها إلى والدك اللورد الحاكم».

ارتفعت سحابة من الهمسات المتحمسة إلى القبة المذهبة أعلامهم. بدا الشاب الوسيم متفاجئاً بسرور قدر إمكانه. فقد كان من النادر حقاً أن يأخذ أي أحد أخباراً جيدة من المجلس المفتوح، أو أخباراً من أي نوع عموماً.

سيطر ثويل على رثتيه مرة أخرى، وفتح فمه ليتحدث، لكن قاطعه ضرب قوي على الباب الضخم خلف الطاولة العالية. نظر اللوردات إلى أعلى، مدهوشين، مترقبين. ابتسم كبير أمناء البلاط بطريقة الساحر الذي قام للتو بخدعة صعبة للغاية. وأشار إلى الحراس، فسحبت القضبان الحديدية الثقيلة للخلف، وانفتحت الأبواب الكبيرة المُطعّمة ببطاء.

دخل ثمانية من فرسان حرس الملك الخاص، يرتدون دروعاً لامعة، أخفيت وجوههم خلف خوذاتهم العالية المصقولة، تدلت عن أكتافهم عباءات أرجوانية مزينة بشمس ذهبية على ظهورها، يخطون بخطى متناسقة على الدرج واتخذوا أماكنهم على جانبي الطاولة الكبرى. تبعهم من كُتب أربعة من عازفي الأبواق، تقدموا بخفة، ورفعوا ألاتهم البراقة إلى شفاههم، ونفخوا نغمة احتفالية مدوية. صرَّ چیزال على أسنانه المرتعشة وضيق عينيه، حتى تلاشت أصداء الرنين في النهاية. استدار كبير أمناء البلاط بغضب نحو المُعلن، الذي حدّق إلى الوافدين الجدد وفمه مفتوح. هسهس هوف: «وإذن؟».

استعاد المُعلن يقظته: «آه... نعم بالطبع! أيها اللوردات والسيدات، يشرفني أن أقدم.. (توقف وأخذ نفساً عميقاً) صاحب السمو الإمبراطوري، ملك آنجلاند، وستاريكلاند، وميدرلاند، حامي ويستبورت وداجوسكا، صاحب الجلالة، جوسلاف الخامس، الملك الأعلى للاتحاد!».

كان هناك صوت حفيف عالٍ في أثناء تحرك كل رجل وامرأة في القاعة من مقاعدهم لينزلوا على ركبة واحدة.

دخلت الحَمالة الملكية ببطاء عبر الأبواب، محمولة على أكتاف ستة فرسان آخرين مغطّي الوجوه. كان الملك يجلس على كرسي مذهب في الأعلى، مستنداً على وسائل فاخرة ويتمايل بلطف من جانب إلى آخر. كان يحدق حوله بتعبير مذهول كرجل نام ثملاً واستيقظ في غرفة غير مألوفة.

بدا في غاية البشاعة، سميناً بشكل هائل، مسترخياً كتلة عظيمة ملفوفة بفرو وحرير أحمر، غرق رأسه بين كتفيه تحت ثقل التاج اللامع الكبير. وجحظت عيناه الزجاجيتان، تتدلى تحتها جيوب داكنة ضخمة، وتلامس طرف لسانه الوردي بشفتيه الشاحبتين بعصبية. كانت له وجنتان مترهلتان

وثنية من الدهن تحيط بعنقه، وبدت ملامح وجهه بأكملها وكأنها بدأت في الذوبان والانسلاخ عن مجتمه. كان هذا هو الملك الأعلى للاتحاد، لكن چيزال أحنى رأسه إلى الأسفل قليلاً عندما اقتربت الحَمَّالَة، على أي حال.

تمتم جلالتة، كما لو أنه نسي شيئاً ما: «اه، تفضلوا بالنهوض».

ملأ القاعة الضجيج مرة أخرى حيث نهض الجميع وعادوا إلى مقاعدهم. استدار الملك نحو هوف، عابساً حاجبيه، وسمعه چيزال يقول: «لماذا أنا هنا؟».

- الشماليون، يا صاحب الجلالة.

- أوه نعم! (أضاءت عينا الملك. وتوقف) ماذا عنهم؟

- ار...

لكن نجا كبير أمناء البلاط من الرد بفتح الأبواب على الجانب المقابل من القاعة، تلك التي دخل منها چيزال في البداية. دخل منها رجلان غريبان وتقدما في الممر.

كان أحدهم محارباً عجوزاً أشيب وله ندبة وعين عمياء، يحمل صندوقاً خشبياً مسطحاً. أما الآخر فتغطى كاملاً بعباءة وقلنسوة، وكانت كل سماته مخفية، وكان كبيراً جداً لدرجة أنه جعل القاعة بأكملها تبدو غير طبيعية. المقاعد، والطاولات، وحتى الحراس، بدوا فجأة وكأنهم نسخ صغيرة مصممة لاستخدام الأطفال. في أثناء مروره، ارتعد اثنان من الممثلين الأقرب إلى الممر وتحركا بعيداً. عبس چيزال لنفسه. لم يكن لهذا العملاق المقنع مظهر يوحي بأخبار سارة، أياً كان ما سيقوله اللورد هوف. بينما ملأت غمغات غاضبة ومريبة تردد صداها تحت القبة، اتخذ الرجلان الشماليان مكانهما على الأرضية المبلطة أمام الطاولة العالية.

تكلم المُعلن، وهو ينحني بشكل مفرط لدرجة أنه اضطر إلى الاستناد على عصاه: «يا صاحب الجلالة، يتعرف المجلس المفتوح على فينريس المخيف، مبعوث بيتود، ملك الشماليين، ومترجمه، هانسول العين البيضاء!».

كان الملك يحدق بسعادة إلى إحدى النوافذ الكبيرة في الجدار المقوس، غافلاً تماماً، ربما معجب بالطريقة التي يسطع بها الضوء عبر الزجاج الملون الجميل، لكنه نظر حوله فجأة، وخداه يهتزان، عندما حدثه المحارب العجوز نصف الأعمى: «يا صاحب الجلالة. أحمل إليكم تحية أخوية من سيدي بيتود

ملك الشمال. (توقف المجلس تمامًا، وعلا خدش الكتبة بشكل سخي. أوماً المحارب القديم إلى الشكل الكبير المغطى بجانبه بابتسامة غريبة) يحمل إليكم فينريش المخيف عرضاً من بيثود. من ملك إلى ملك. من الشمال إلى الاتحاد. عرض وهدية».

ورفع الصندوق الخشبي. منحه كبير أمناء البلاط ابتسامة متكلفة، وقال: «تحدث بعرضك أولاً».

- إنه عرض بالسلام. سلام بلا نهاية بين دولتي العظيمنتين.

انحنى العين البيضاء مرة أخرى. كانت أخلاقه لا تشوبها شائبة، على جيزال أن يعترف بذلك. ليس ما قد يتوقعه المرء من همجي الشمال البارد والبعيد. كاد يكون خطابه اللطيف كافياً لإضفاء الطمأنينة على الغرفة، لولا المقنع الواقف بجانبه، الذي لاح في الأفق مثل ظل داكن. ارتعد وجه الملك بابتسامة ضعيفة عند ذكر السلام. وتمتم: «جيد. ممتاز. سلام. عاصمة. السلام جيد».

قال العين البيضاء: «إنه لا يطلب سوى شيء صغير في المقابل».

تحول وجه كبير أمناء البلاط فجأة إلى الصرامة، ولكن فات الأوان فقد قال الملك مبتسماً بمودة: «ما عليه إلا أن يطلبه».

تقدم الرجل المقنع للأمام وهسهس: «آنجلاند».

كانت هناك لحظة من السكون، ثم انفجرت القاعة بالضجيج. كانت هناك عاصفة من الضحك غير المصدق من شرفة الجمهور. وقف ميد، محمر الوجه يصرخ. ترنح ثويل عن مقعده، ثم سقط على ظهره وهو يسعل. وانضم إلى الخوار الغاضبة صيحات سخرية. كان الملك يحدق بوقار أرنب مذهول.

تثبتت عينا جيزال على الرجل المقنع. رأى يداً ضخمة تخرج من كمه وتصل إلى مشبك عباءته. رمش متفاجئاً. هل كانت اليد زرقاء؟ أم أنها مجرد خداع بصري بسبب الضوء المار من الزجاج الملون؟ سقطت العبادة على الأرض.

ابتلع جيزال ريقه وخفق قلبه بصوت مسموع في أذنيه. كان الأمر أشبه بالتحديق إلى جرح مروع: كلما زاد اشمئزازه، قلَّت قدرته على صرف نظره. تلاشى الضحك، خفتت الصيحات، وعاد الصمت الرهيب ليسود الفضاء الشاسع.

بدا فينريُس المخيف أكبر حجمًا مع أنه من دون عباءته، عاليًا فوق مترجمه المنكمش. بلا أدنى شك، كان أضخم رجل رآه چيزال في حياته، إن كان رجلًا أصلًا. كان وجهه في حركة دائمة، ملتوية وساخرة. عيناها الجاحظتان ترتعشان وتطرفان وتتنقلان بجنون بين الحاضرين. أما شفثاه الرفيعتان فكانتا تبتسمان وتعبسان وتتجهمان تباعًا، لا تستقران أبدًا. لكن كل هذا بدا عاديًا مقارنةً بأغرب سماته.

تغطى جانبه الأيسر بالكامل، من رأسه لأخمص قدميه بالكتابة.

كانت هناك أحرف قديمة نذيرة محفورة على النصف الأيسر من رأسه الحليق، وعلى جفنه، وشفثيه، وفروة رأسه، وأذنه. ووشَم ذراعه اليسرى الضخمة بكتابة زرقاء صغيرة من كتفه المنتفخة إلى أطراف أصابعه الطويلة. حتى قدمه اليسرى العارية تغطت بأحرف غريبة. وقف وحش هائل، غير بشري، موشوم في قلب حكومة الاتحاد. فتح چيزال فاه دهشةً.

كان هناك حول الطاولة العالية، أربعة عشر فارسًا من حرس الملك الخاص، كل منهم مقاتل مدرب باحتراف ومن سلالة نبيلة. وكان هناك نحو أربعين حارسًا من سرية چيزال واقفين حول الجدران، كلهم جنود مخضرمون. كان عددهم يفوق هذين الشماليين بأكثر من عشرين لواحد، مسلحين بأفضل الأسلحة التي يمكن أن توفرها ترسانة الملك. لم يحمل فينريُس المخيف أي سلاح. وعلى الرغم من حجمه وغرابته، لم يكن ليشكل أي تهديد لهم.

لكن چيزال لم يشعر بالأمان. شعر بأنه وحيد، وضعيف، وعاجز، وخائف بشدة. كان جلده يرتعش، وفمه جافًا. شعر برغبة مفاجئة في الهروب، والاختباء، وعدم الظهور مجددًا.

ولم يكن هذا التأثير الغريب عليه وحده، ولا حتى على الجالسين حول الطاولة العالية. تحولت الضحكات الغاضبة إلى غرغرة مذعورة بعدما استدار الوحش المطلي ببطء في وسط الساحة الدائرية، وعيناها المتلاثلتان تمران على الحشد. انكمش ميد على مقعده وقد تلاشى غضبه تمامًا. وفي الصف الأول، تسلق بعض النبلاء ظهور مقاعدهم إلى الصفوف الخلفية. وأدار آخرون وجوههم، أو غطوها بأيديهم. وأسقط أحد الجنود رمحه، فارتطم بالأرض بقوة.

استدار فينريُس المخيف ببطء نحو الطاولة العالية، رافعًا قبضته الضخمة الموشومة، فاتحًا فمه الشبيه بالهاوية، وجحظت ملامحه بتشنج

مخيف. صرخ بصوت مربع هائل: «آنجلاند!»، كان صوته أعلى وأشد رهبة من صوت لورد البلاط أكثر من أي وقت مضى. ارتدت أصدااء صرخته عن السقف المقبب عاليًا، وترددت على الجدران المنحنية، حتى امتلأت فسحة المكان بصوت يخترق الآذان.

تراجع أحد فرسان حرس الملك الخاص فتعثر وانزلقت ساقه المدرعة لتضطدم بحافة الطاولة العالية بصوت معدني مرتفع.

انكمش الملك للخلف، وغطى وجهه بيده، يحدق بعين واحدة مذعورة من بين أصابعه، وتمايل تاجه فوق رأسه.

سقطت ريشة أحد الكتبة من بين أصابعه المرتخية، وتحركت يد آخر فوق الورق بتلقائية، وقد انفتح فمه في ذهول، يخط كلمة غير واضحة بزاوية حادة عبر السطور المنمقة فوقها.

آنجلاند.

تحول وجه كبير أمناء البلاط إلى شكل شاحب شمعي. مد يده ببطء إلى كأسه، ورفعها إلى شفثيه. لقد كانت فارغة. أعادها بعناية إلى الطاولة، لكن يده كانت ترتعش، فاهتزت قاعدته على الخشب. توقف للحظة، وأخذ نفسًا عميقًا عبر أنفه: «من الواضح أن هذا العرض غير مقبول».

رد هانسول العين البيضاء: «هذا مؤسف، ولكن لا تزال هناك الهدية. (اتجهت كل الأعين إليه) في الشمال لدينا تقليد. في بعض الأحيان، عندما يكون هناك ضغينة بين عشيرتين، أو تهديد بالحرب، يتقدم الأبطال من كل جانب، للقتال من أجل جميع شعوبهم، حتى يُبَت في القضية... بموتة واحدة فقط. (فتح غطاء الصندوق الخشبي ببطء. كان بداخله سكين طويل، نصله مصقول كالمرآة) أرسل صاحب العظمة، بيثود، المخيف ليس فقط كمبعوث له، بل كبطله أيضًا. سيقا تل من أجل آنجلاند، إذا واجهه أي أحد هنا، سيوفر عليكم حربًا لن تفوزوا بها. (رفع الصندوق إلى الوحش المطلي) هذه هدية سيدي لكم، فلا يمكن أن يكون هناك أغلى... من حياتكم».

انطلقت يد فينريسي اليمنى وانتزع السكين من الصندوق. رفعه عاليًا، وكان النصل يومض في الضوء الملون المنبعث من النوافذ الكبيرة. كان ينبغي للفرسان أن يقفوزوا للأمام. كان ينبغي لـجيزال أن يستل سيفه. كان

ينبغي للجميع أن يهرعوا للدفاع عن الملك، لكن لم يتحرك أحد. كانت كل الأفواه مفتوحة، وكل عين مثبتة على ذلك السن الفولاذي اللامع.

هوى النصل ملتصقاً وهو يخترق الجلد واللحم بسهولة حتى غاص إلى المقبض. ظهرت مقدمته مضرجة بالدم من أسفل ذراع فينريش اليسرى الموشومة. ارتعش وجهه، لكن ليس أكثر من المعتاد. تحرك النصل بشكل مشوه وهو يبسط أصابعه ويرفع ذراعه اليسرى عاليًا ليراها الجميع. تساقطت قطرات الدم بإيقاع ثابت على أرضية مجلس اللوردات.

صرخ بصوت يكاد يؤلم الأذان، وبرزت عروق ضخمة في عنقه: «من سيتحدثني؟».

صمت مطبق. فقد المعلم وعيه، الذي كان الأقرب إلى المخيف، وسقط على وجهه وركبتيه.

التفت فينريش بعينين جاحظتين نحو أكبر الفرسان قبل الطاولة، وكان أقصر منه برأس كامل وهسهس إليه: «أنت؟»، فتراجع الرجل المسكين خطوة، متمنياً لو وُلِدَ قزماً.

بدأت بركة الدم الداكن تتسع على الأرض تحت مرفق فينريش، الذي زمجر في وجه فيدور دان ميد: «أنت؟». شحب وجه الشاب قليلاً، واصطكت أسنانه معاً، متمنياً لو كان ابن رجل آخر.

اجتاحت تلك الأعين اللامعة الوجوه الشاحبة عند الطاولة العليا. انقبض حلق جيزال عندما التقت عيناه عيني فينريش: «أنت؟».

- حسناً، كنت لأفعل، لكنني مشغول جداً هذا المساء. ربما غداً؟

بالكاد بدا الصوت كصوته. لم يكن يقصد قول أي شيء من هذا القبيل بالتأكيد. ولكن من غيره قد قاله؟ الكلمات انطلقت بثقة وخفة نحو القبة المذهبة فوقهم.

تعالَت ضحكات متناثرة، وصاح أحدهم من الخلف: «برافوا!»، لكن عيني المخيف لم تفارقا عيني جيزال لحظة. انتظر حتى خفتت الأصوات، ثم تحولت شفتاه إلى ابتسامة شنيعة وهمس: «غداً إذن».

شعر جيزال بتقلص مؤلم في أمعائه. أدرك جسامته الموقف فضغطت عليه كجبل من الصخر. هو؟ يقاتل هذا؟

- لا.

كان المتحدث هو كبير أمناء البلاط. كان ما يزال شاحبًا، لكن صوته استعاد الكثير من حيويته. استجمع جيزال شجاعته وحاول جاهدًا السيطرة على أمعائه. صاح هوف مجددًا: «لا! لن يكون نزال هنا! لا توجد قضية لتُحسم! أنجلاند هي جزء من الاتحاد وفقًا للقانون القديم!».

ضحك هانسول العين البيضاء بهدوء: «القانون القديم؟ أنجلاند هي جزء من الشمال. قبل مئتي عام كان الشماليون يعيشون أحرارًا. أردتم الحديد، فعبرتم البحر وذبحتموهم وسرقتهم أرضهم! لا بد إذن أن أقدم القوانين هو أن يأخذ الأقوياء ما يريدون من الضعفاء؟ (وضاقت عيناه) ولدينا هذا القانون أيضًا!».

انتزع فينريسُ السكين من ذراعه. تناثرت بضع قطرات دم أخيرة على البلاط، وانتهى الأمر. لم يكن هناك جرح على الجلد الموشوم، ولا أي علامة. سقط السكين على البلاط وأخذ مكانه في بركة الدم عند قدميه. مسح فينريسُ الحشد بنظراته الواسعة، اللامعة، المجنونة للمرة الأخيرة، ثم استدار ومشى عبر القاعة وصعد الممر، فيما كان اللوردات والوكلاء يتدافعون مبتعدين عن مقاعدهم مع اقترابه.

انحنى هانسول العين البيضاء منخفضًا: «ربما سيأتي الوقت الذي تتمنون فيه أنكم قبلتم عرضنا أو هديتنا. سوف تسمعون مِنَّا (تحدث بهدوء، ثم رفع ثلاث أصابع لكبير أمناء البلاط) عندما يحين الوقت، سوف نرسل ثلاث... علامات».

صاح هوف: «أرسل ثلاثئة إذا أردت، لكن هذه المسرحية الإيمائية قد انتهت!».

أوما هانسول ذو العين البيضاء بسرور: «سوف تسمعون مِنَّا». واستدار وتبع فينريسُ المخيف خارج مجلس اللوردات. أغلقت الأبواب العظيمة. خدشت ريشة أقرب كاتب على الورقة بشكل ضعيف. سوف تسمعون مِنَّا.

استدار فيدور دان ميد نحو كبير أمناء البلاط، وكان فك. مغلقًا بشدة، وتَشَوَّهت ملامحه الوسيمة بالغضب وصرخ: «وهذه هي الأخبار الجيدة التي تريدني أن أنقلها إلى والدي؟». انفجر المجلس المفتوح. صياح وصراخ وإهانات موجهة للجميع دون استثناء، فوضى من أسوأ الأنواع.

قفز هوف من مكانه، سقط كرسيه خلفه، وهو يطلق كلمات غاضبة، لكن حتى صوته هو ضاع وسط الضجيج. استدار ميد وخرج غاضبًا. وقفت الوفود الأخرى من جانب أنجلاند بوجوه متجهمة وتبعت ابن حاكمها. حدق هوف خلفهم، غاضبًا، وفمه يتحرك بصمت.

شاهد چيزال الملك وهو يرفع يده ببطء عن وجهه وينحني نحو لورد البلاط وهمس له: «متى سيصل الشماليون؟».

ملك الشماليين

أخذ لوِجَن نفسًا عميقًا، مستمتعًا بإحساس النسيم البارد غير المألوف على فكه الحليق حديثًا، واستمتع بالمنظر. كانت بداية يوم صافٍ. بالكاد تلاشى ضباب الفجر، وكان بإمكانه رؤية الأفق يمتد لأميال من الشرفة خارج غرفته، المرتفعة على جانب أحد أبراج المكتبة. انبسط الوادي العظيم أمامه، وقُسِّمَ لطبقات متباينة. أعلاها سماء رمادية ملبدة بغيوم بيضاء منتفخة. وأحاطت البحيرة قمم سوداء وعرة، وألمح اللون البني بوجود قمم أخرى خلفها. تلتها منحدرات مشجرة لونها أخضر داكن، ثم خط رقيق ومتعرج من الحصى الرمادي على الشاطئ. وتكرر كل شيء منعكسًا في صفحة البحيرة الساكنة بالأسفل، عالم آخر، مظلم وظليل، منقلب من الأصل.

نظر لوِجَن إلى يديه، وأصابه مفرودة على حجر حافة السور المتآكل. لم يكن هناك تراب ولا دم مجفف تحت أظفاره المتشققة. بدت شاحبة، وناعمة، ووردية، وغريبة. حتى قشور الجلطات والجروح على مفاصله كادت تكون قد شُفيت تمامًا. مر وقت طويل منذ أن كان لوِجَن نظيفًا، حتى إنه كاد ينسى الشعور. ثيابه الجديدة كانت خشنة على جلده، مفتقدة تلك الطبقة المعتادة من الأوساخ والشحم والعرق الجاف.

تطلع إلى البحيرة الهادئة، نظيفًا وشبعان، شاعرًا أنه رجل مختلف. للحظة تساءل كيف سيكون هذا اللوِجَن الجديد، لكنه لم يجد سوى حجر الحاجز تحت يده حيث كانت إصبعه المبتورة ذات يوم. ذلك لن يلتئم أبدًا. لا يزال هو نفسه «الأصابع التسع»، «التسع الدموية»، وسيظل كذلك دائمًا. إلا إذا فقد المزيد من أصابعه. لكن رائحته كانت أفضل، لا بد من الاعتراف بذلك. وقف ويلز عند مدخل الشرفة: «هل نمت جيدًا يا سيد الأصابع التسع؟».

- مثل طفل.

لم يجرؤ لوِجِن على إخبار الخادم العجوز أنه نام في الخارج. في الليلة الأولى جرب السرير، وأخذ يتدحرج ويتلوى، غير قادر على التأقلم مع الراحة الغريبة التي وفرتها المرتبة، والدفع غير المألوف للبطانيات. بعدها جَرَّب الأرض. كان ذلك أفضل له، لكن الهواء كان خانقًا، وثقيلًا، وراكدًا. تَعَلَّق السقف فوقه، وبدا وكأنه يزحف ببطء للأسفل، مهددًا بسحقه تحت وطأة حجارته. ولم تأتِه غفوة إلا عندما تمَدَّد على أرضية الشرفة الصلبة، واضعًا معطفه القديم فوقه، وفوقه الغيوم والنجوم. بعض العادات يصعب التخلص منها.

قال ويلز: «لديك زائر».

- أنا؟

ظهر رأس ملاكوس كواي عند إطار الباب. تحسنت عيناه الغائرتان قليلًا، وأصبحت الأكياس الموجودة تحتها أقل قتامة. ظهر بعض اللون على جلده، وبعض اللحم على عظامه. لم يعد يبدو كجثة، فقط كان هزيلًا ومريضًا، كما كان عندما التقى لوِجِن أول مرة. خمن أن هذه هي أكثر حالات كواي صحة على الإطلاق.

ضحك لوِجِن: «هاه! لقد نجوت!».

أوما المتدرب برأسه عدة مرات وهو يترنح متثاقلاً عبر الغرفة. كان ملفوفًا في بطانية سميكة تتدلى على الأرض، مما صَعَّب عليه المشي السليم. جر قدميه عبر الباب وخرج إلى الشرفة، واقفًا هناك يتشمم ويرمش بعينه في هواء الصباح الباكر البارد.

سَعِدَ لوِجِن لرؤيته أكثر مما توقع. ضربه على ظهره كصديق قديم، وربما بحرارة زائدة بعض الشيء. كاد المتدرب أن يتعثّر، وقد تشابكت البطانية حول قدميه، لولا أن لوِجِن مد ذراعه ليسنده.

تمتم كواي بابتسامة ضعيفة: «لم أصبح في هيئة قتالية بعد».

- تبدو أفضل كثيرًا عن آخر مرة رأيتك فيها.

- وأنت كذلك. أرى أنك فقدت اللحية، والرائحة أيضًا. بضع ندوب أقل وستكاد تبدو متحضرًا.

رفع لوِجِن يديه: «أي شيء عدا ذلك».

انحنى ويلز ليعبر المدخل إلى ضوء الصباح الساطع. وكان يحمل في يده لفافة من القماش وسكينًا: «هل يمكنني رؤية ذراعك، يا سيد الأصابع التسع؟».

كاد لوچن ينسى أمر الجرح. لم يعد هناك دماء جديدة على الضمادة، وعندما فكّها ظهرت قشرة طويلة بنية حمراء تحتها، تكاد تمتد بين معصمه ومرفقه، محاطة بجلد وردي جديد. بالكاد شعر بالألم، فقط بحكة. تقاطعت مع ندبتين قديميتين. إحداهما كانت رمادية ومتعرجة، قريبة من معصمه. تذكر أنه ربما قد حصل عليها خلال مبارزته مع ثريتريز منذ عدة سنوات. قطب «لوچن» جبينه وهو يتذكر الضرب الذي تبادلاه. أما الندبة الثانية، باهتة لأعلى قليلًا، فلم يكن متأكدًا من مصدرها. ربما جاءت من أي شيء.

بينما انحنى ويلز ليتحسس الجلد حول الجرح، كان كواي يراقب بحذر من خلفه: «إنه يلتئم بشكل جيد. يبدو أنك تشفى سريعًا».

- الكثير من المران.

نظر ويلز إلى وجه لوچن، حيث تلاشى الجرح الموجود على جبهته بالفعل إلى خط وردي آخر: «أستطيع رؤية ذلك. هل ستكون حماقة منّا أن ننصحك بتجنب الأدوات الحادة في المستقبل؟».

ضحك لوچن: «صدق أو لا تصدق، بذلت قصارى جهدي دائمًا لتجنبها. لكن يبدو أنها هي من تبحث عني، رغم جهودي».

قال الخادم العجوز وهو يقطع قطعة قماش جديدة ويلفها بعناية حول ساعد لوچن: «حسنًا، أمل أن تكون هذه هي آخر ضمادة تحتاج إليها».

- وأنا كذلك.

رد لوچن وهو يمدد أصابعه، لكنه لم يعتقد أنها ستكون كذلك.

- الإفطار سيكون جاهزًا قريبًا.

وتركهما ويلز بمفردهما في الشرفة.

وقفا صامتين للحظة، ثم هبت ريح باردة من الوادي. ارتجف كواي وجذب بطانيته حوله بإحكام: «هناك... بجوار البحيرة. كان بإمكانك أن تتركني. أنا كنت سأتركني».

عبس لوجن. كانت هناك أوقات سيفعل فيها ذلك ولن يفكر في الأمر أبدًا مرة أخرى، لكن الأمور تغيرت: «تركت الكثيرين من قبل. أعتقد أنني سئمت هذا الشعور».

زَمَّ المتدرب شفثيه ونظر إلى الوادي والغابات والجبال البعيدة: «لم أرَ أحدًا يُقتل من قبل».

- أنت محظوظ.

- رأيت كثيرًا من الموت إذن؟

جفل لوجن. في شبابه، كان سيحب الإجابة عن هذا السؤال بالذات. كان بإمكانه أن يتفاخر، ويتباهى، ويسرد ما قام به، وسيذكر الرجال المُسمَّين الذين قتلهم. لا يعرف متى جفت كبرياؤه بالضبط. حدث ذلك ببطء. كلما أصبحت الحروب أكثر دموية، تحولت الأسباب إلى أعذار، ودُفِنَ أصدقاؤه في الوحل، الواحد تلو الآخر. حك لوجن أذنه، وشعر بالشق الكبير الذي أحدثه سيف تال دورو، منذ وقت بعيد. كان بإمكانه أن يبقى صامتًا. لكن لسبب ما، شعر بحاجته إلى الصدق. بدأ قائلاً: «قاتلت في ثلاث حملات. في سبع معارك ضارية. في غارات واشتباكات لا حصر لها ودفاعات يائسة وأعمال دموية من كل نوع. حاربت في الثلوج الكثيفة، والرياح العاتية، وفي منتصف الليل. كنت أقاتل طوال حياتي، عدوًا أو آخر، صديقًا أو آخر. لم أعرف أي شيء مختلف سوى القليل. رأيت رجالًا يُقتلون بسبب كلمة، بسبب نظرة، أو بلا أسباب مطلقًا. حاولت امرأة طعني ذات مرة لأنني قتلت زوجها، فألقيتها في بئر. وهذا أبعد ما يكون عن أسوأ ما فعلت. كانت الأرواح رخيصة كالتراب بالنسبة لي. بل أرخص. خضت عشر معارك فردية وفزت بها جميعًا، وقاتلت على الجانب الخطأ ولكل الأسباب الخاطئة. كنت قاسيًا ووحشيًا وجبانًا. طعنت رجالًا في ظهورهم، وأحرقتهم، وأغرقتهم، وسحقتهم بالحجارة، وقتلتهم وهم نائمون، أو عُزَّل، أو وهم يهربون. أنا نفسي هربت عدة مرات. وتبولت على نفسي من الخوف. توسلت من أجل حياتي. جُرحت كثيرًا وبشدة، وصرخت وبكيت كطفل أخذت أمه ثديها منه. ليس لدي أدنى شك أن العالم سيكون مكانًا أفضل لو كنت قد قُتلت منذ سنوات، لكنني لم أُقتل، ولا أعرف السبب. (نظر إلى يديه على الحجر، ورديتان ونظيفتان) ليس هناك كثير ممن تلطخت أيديهم بدماء أكثر مني. لا أعرف أيًا منهم. أعدائي يسمونني التسع الدموية، وهم كثيرون. دائمًا أعداء أكثر وأصدقاء أقل. الدم لا يجلب سوى مزيد من الدم. إنه يتبعني الآن،

دائمًا، كظلي، ومثل الظل لا أستطيع التخلص منه أبدًا. ولا ينبغي أن أحرر منه أبدًا. لقد اكتسبته. لقد استحقته. لقد بحثت عنه. وهذا هو عقابي».

وهذا كان كل شيء. تنهد لوجن تنهيدة عميقة وخشنة وحقق إلى البحيرة. لم يستطع النظر إلى الرجل بجانبه، ولم يرغب في رؤية التعبير على وجهه. من يريد أن يعرف أنه برفقة التسع الدموية؟ رجل تسبب في موت رجال أكثر من الطاعون، ولم يندم مثله. لا يمكن أن يكونا صديقين أبدًا الآن، ليس بكل تلك الجثث الموجودة بينهما.

ثم شعر بيد كواي تصفق على كتفه. قال وهو يبتسم من الأذن إلى الأذن: «حسنًا، ها أنت أخرجت كل شيء، لكنك أنقذتني، وأنا ممتن لذلك!».

- هذا العام أنقذت رجلًا، وقتلت أربعة فقط. لقد وُلدت من جديد.

وضحك كلاهما لبعض الوقت، وكان شعورهما جيدًا.

- أرى أنك عدت إلينا يا مالاكوس.

استدارا، وتعثر كواي على بطانيته وبدا مريضًا بعض الشيء. وقف أول المجوس عند المدخل، مرتديًا قميصًا أبيض طويلًا بأكمام مرفوعة حتى المرفق. لا يزال يبدو جزارًا أكثر منه ساحرًا بالنسبة إلى لوجن. تمتم كواي: «السيد باياز... إيه... كنت سأتي لرؤيتك للتو».

- فعلًا؟ إذن فهو من حسن حظنا أنني أتيت إليك. (خرج المَجُوسُ إلى الشرفة) يخطر لي أن من يتمتع بصحة تكفي للحدث والضحك وعبور الأبواب، فهو بلا شك يستطيع القراءة والدراسة وتوسيع عقله الصغير. ما رأيك بذلك؟

- بلا شك...

- بلا شك، نعم! أخبرني، كيف تسير دراستك؟

بدا المتدرب البائس مرتبًا تمامًا: «متقطعة.. نوعًا ما؟».

- ألم تحرز أي تقدم مع مبادئ الفن لجوئين وأنت تائه في التلال وسط الطقس السيئ؟

- ارر... لا تقدم... لا.

- ومعرفتك بالتاريخ. ألم تتطور كثيرًا، في أثناء ما كان السيد الأصابع التسع يحملك إلى المكتبة؟

- ارر... عليّ أن أعترف... لم تفعل.
- لكن مؤكد أنك مارست تمارينك وتأملاتك، وأنت فاقد للوعي ذلك الأسبوع الماضي؟
- حسنًا، ارر... لا، ففقدان الوعي كان... ارر...
- إذًا أخبرني، هل تقول إنك متقدم في اللعبة، إذا جاز التعبير؟ أم إنك متأخر في دراستك؟
- حدّق كواي إلى الأرض: «كانت متأخرة قبل أن أغادر».
- إذن ربما يمكنك أن تخبرني أين تخطط لقضاء اليوم؟
- نظر المتدرب إلى أعلى بأمل: «على مكتبي؟».
- ممتاز! (ابتسم باياز ابتسامة عريضة) كنت على وشك أن أقترح ذلك، لكنك سبقتني! حرصك على التعلم يُحسب لك كثيرًا!
- أومًا كواي برأسه بعنف وأسرع نحو الباب، وحافة بطانيته تُجرّ خلفه على الأرضية الحجرية.
- تتمم باياز: «بيثود قادم، سيصل إلى هنا اليوم».
- اختفت ابتسامة لوچن، وشعر بضيق في حلقه فجأة. لقد تذكر آخر لقاء بينهما جيدًا بما يكفي. ممدّدًا على وجهه على أرضية قاعة بيثود في كارليون، مهزومًا ومنكسرًا ومقيّدًا بالأغلال، يسيل الدم على القش من فمه ويتمنى ألا تكون النهاية بعيدة. ثم، وبلا أي سبب، أطلق سراحه. ألقي به خارج البوابات مع الكلبّي، وثريريز، والأضعف والبقية، وأمره ألا يعود أبدًا. أبدًا. كانت تلك المرة الأولى التي يُظهِر فيها بيثود ذرة من الرحمة، والأخيرة، ولم يشك لوچن في ذلك.
- سأل يحاول الحفاظ على صوته متزنًا: «اليوم؟».
- نعم، وقريبًا. ملك الشماليون، هاه! يا لغطرسته! (ألقي باياز نظرة جانبية على لوچن) إنه قادم ليطلب مني خدمة، وأود منك أن تكون موجودًا.
- لن يعجبه ذلك.
- بالضبط.

شعر بالرياح أكثر برودة من قبل. إذا لم ير لوچن بيثود مطلقاً، فسيكون ذلك مبكراً جداً. ولكن بعض الأشياء لا بد من القيام بها. الأفضل أن تقوم بها خير من العيش مع خوف منها. هذا ما كان سيقوله والد لوچن. لذلك أخذ نفساً عميقاً واستعدل كتفيه، وقال: «سأكون هناك».

- ممتاز. إذن لا ينقص إلا شيء واحد.

- ماذا؟

ابتسم باياز: «أنت بحاجة إلى سلاح».

كان الجو جافاً في الأقبية تحت المكتبة. جافاً ومظلماً ومربكاً جداً. صعدا وهبطا درجات، والتفا حول زوايا، ومرّاً بأبواب، وأخذاً منعطفاً يساراً هنا أو يميناً هناك. كان المكان كالمناهة. أَمَلْ لوچن ألا يفقد أثرِ مشعل الساحر المتراقص، وإلا فقد يجد نفسه عالقاً تحت المكتبة إلى الأبد.

تمتم باياز لنفسه: «المكان هنا جاف بالأسفل، جاف بشكل جيد (تردد صوته في الممر ممتزجاً بوقع خطواتهم المتسارعة) لا يوجد ما هو أسوأ على الكتب من الرطوبة. (توقف فجأة أمام باب ثقيل) أو على الأسلحة. (دفع الباب برفق فانفتح دون صوت) انظر إلى هذا! لم يُفتح منذ أعوام، ومع ذلك فالمفصلات تتحرك بسلاسة كالزبد! هذه هي الحِرَفِيَّة! لماذا لم يعد أحد يهتم بالحرفية الآن؟».

عبر باياز العتبة دون انتظار إجابة، وتبعه لوچن عن قرب.

أضاء مشعل الساحر قاعة طويلة منخفضة السقف، جدرانها من كتل حجرية خشنة، وطرफها البعيد كان غارقاً في الظلال. اصطفت الغرفة بالحوامل والأرفف، وتغطت أرضيتها بالصناديق والقواعد، وتكدس أو امتلأ كل شيء عن آخره بتشكيلة مهووسة من الأسلحة والدروع. انعكس ضوء المشعل المرتعش على النصال والأسنة والأسطح المصقولة للخشب والمعادن، في أثناء سير باياز ببطء على الأرضية الحجرية، يتنقل بين الأسلحة، يلتفت حوله.

تمتم لوچن وهو يتبع المجوسيّ عبر الجلبة: «يا لها من مجموعة».

- معظمها خردة قديمة، ولكن لا بد أن هناك ما يستحق الاكتشاف (تناول باياز خوذة من درع مصفح مُذهَّب قديم ونظر إليه عابسًا) ما رأيك في هذه؟

- لست ممن يهتمون بالدروع.

- لا، لم أعتقد أنك كذلك. أعتقد أنه لا بأس به عند ركوب الخيل، لكنه مزعج جدًا إذا كنت ستسافر سيرًا على الأقدام. (ألقي الخوذة على حاملها، ثم وقف يتأمل الدرع غارقًا في التفكير) كيف يمكن لمن يرتديه أن يتبول؟ قطب لوچن حاجبيه وقال: «أمم...»، ولكن باياز كان قد بدأ بالتحرك مبتعدًا في الغرفة، أخذًا الضوء معه.

- لا بد أنك استخدمت الكثير من الأسلحة في حياتك، يا سيد تسع أصابع. فما الذي تفضله منها؟

قال لوچن وهو ينحني متفاديًا فأسًا صدئة بارزة من رف: «ليس لدي تفضيل حقًا. فالبطل لا يعرف أبدًا ما السلاح الذي سيقا تل به».

- بالطبع، بالطبع. (تناول باياز رمحًا طويلًا برأس مسنن خبيث، ولوَّح به قليلًا. تراجع لوچن بحذر) كافٍ للقتل. يمكنك بهذا أن تُبقي أحدهم بعيدًا. لكن من يحمل الرمح يحتاج إلى كثير من الأصدقاء، وكلهم يحتاجون إلى رماح أيضًا.

أعاده باياز إلى الرف وتابع سيره.

- هذا يبدو مرعبًا. (وأمسك الساحر بمقبض فأس متعرجة ضخمة لها نصل مزدوج) تبا! (قال وهو يرفعه، والعروق تنتفخ في رقبته) ثقل جدًا! (وأنزله بقوة، مما جعل الحامل يهتز) يمكنك قتل رجل بهذا! بل يمكن شطره نصفين إذا وقف بلا حراك.

- هذا أفضل.

قال لوچن مشيرًا إلى سيف بسيط متين المظهر، في غمد جلدي مهترئ لونه بُني.

- أوه، نعم، بلا شك. هذا أفضل بكثير. هذه النصل من صنَّع كانيدياس، الصانع الأعظم نفسه.

ناول باياز المشعل إلى لوجن وأخذ السيف الطويل من الحامل: «هل خطر ببالك يومًا، يا سيد تسع أصابع، أن السيف يختلف عن غيره من الأسلحة؟ الفؤوس والهراوات وما شابهها قاتلة جدًّا، لكنها تتدلى على الحزام كوحوش صماء. (وجالت عيناه على المقبض من معدن بارد بسيط حُفرت عليه خطوط باهتة تساعد على الإمساك به، يلتمع في ضوء المشعل) أما السيف... فالسيف له صوت».

- هاه؟

- مؤكد وهو في غمده ليس لديه الكثير ليقوله، لكن ما عليك سوى وضع يدك على المقبض وسيبدأ بالهمس في أذن عدوك. (ولف أصابعه بإحكام حول المقبض) تحذير خافت. كلمة لجذب الانتباه. هل تسمعه؟ أومًا لوجن ببطء. تمتم باياز: «والآن، قارنه بالسيف وهو نصف مسلول. (انبتق مقدار قدم من النصل من غمده بصوت حاد، وتلألأت حروف فضية بالقرب من المقبض. كان النصل نفسه أكمد، لكن حافته التمتعت ببرودة صقيعية) بدأ يتحدث بصوت أعلى، أليس كذلك؟ إنه يهسهس بتهديد خطير. ويقيم وعدًا مميّثًا. هل تسمعه؟ (أومًا لوجن برأسه مرة أخرى، وثبت عينه على تلك الحافة اللامعة) والآن قارنه وهو مسلول بالكامل. (وأخرج باياز النصل الطويل من غمده بصوت رنين خافت، ورفع بحيث حامت ذبابته على بعد بوصات من وجه لوجن) إنه يصيح الآن، أليس كذلك؟ إنه يصرخ بالمُواجهَة! يزار بالتحدي! هل تسمعه؟».

- ممم

ومال للخلف واحولّت عيناه قليلًا وهو يحدق إلى ذبابة السيف اللامعة. أنزله باياز ثم أدخله بلطف في غمده مرة أخرى، وهو ما أراح لوجن: «نعم، للسيف صوت. الفؤوس والهراوات وما إلى ذلك قاتلة بما يكفي، لكن السيف سلاح غامض، ويناسب الرجل الغامض. أعتقد أيها السيد الأصابع التسع أنك غامض أكثر مما تبدو عليه. (عبس لوجن وباياز يمد السيف إليه. لقد اتهم بأشياء كثيرة في حياته، لكنه لم يُتهم بالغموض قط) اعتبره هدية. كشكر لك على حسن أخلاقك».

فكر لوجن في الأمر للحظة. لم يمتلك سلاحًا مناسبًا منذ ما قبل عبوره الجبال، ولم يرغب في الحصول على سلاح مرة أخرى. لكن بيثود كان قادمًا،

وقريبًا. الأفضل أن تمتلكه ولا تحتاج إليه، من أن تحتاج إليه ولا تمتلكه. أفضل، أفضل بكثير. عليك أن تكون واقعياً بشأن هذه الأشياء. قال لوجن: «شكرًا لك»، وأخذ السيف من باياز وأعاد له المشعل.

تأججت نار صغيرة في الموقد، وكانت الغرفة دافئة، وحميمية، ومريحة. لكن لوجن لم يشعر بالراحة. وقف بجانب النافذة، يحدق إلى الفناء بالأسفل، متوترًا ومذعورًا، مثلما كان دائمًا قبل المعارك. كان بيثود قادمًا. في مكان ما هناك. على الطريق في الغابة، أو بين الصخور، أو فوق الجسر، أو قد عبر من البوابة.

أما أول المجوس فلم يبدُ عليه التوتر. جلس بارتياح على كرسيه، قدماء مرفوعتان على الطاولة بجانبه غليونه الخشبي الطويل، يقلب صفحات كتاب صغير غلافه أبيض ولديه ابتسامة خفيفة على وجهه. لم يبدُ أحد أكثر هدوءًا منه قط، وكان ذلك يزيد من سوء شعور لوجن. سأل لوجن: «هل هو جيد؟».

- هل ماذا جيد؟

- الكتاب.

- أوه نعم. هو أفضل الكتب. هذا هو مبادئ الفن لچوڤين، حجر الأساس لدى جماعتي. (لوح باياز بيده الحرة نحو الأرفف التي غطت جدارين، ومئات الكتب المتطابقة الأخرى المصطفة عليها بشكل أنيق) كلها مثله. كتاب واحد.

- واحد؟ (طافت عينا لوجن على الكعوب البيضاء السمكية) هذا كتاب طويل جدًا. هل قرأتها كلها؟

ضحك باياز: «أوه نعم، عدة مرات. على كل فرد من جماعتي أن يقرأه، وفي النهاية يكتب نسخته الخاصة. (أدار الكتاب حتى يتمكن لوجن من رؤيته. كانت الصفحات مغطاة برموز أنيقة لكن غير مفهومة له) لقد كتبت هذه النسخة منذ فترة طويلة. يجب عليك قراءته أيضًا».

- لست قارئًا كبيرًا.

- حقًا؟ خسارة.

وقلب الصفحة وأكمل قراءته.

- ماذا عن هذا؟ (كان هناك كتاب آخر، يستلقي وحيداً على جانبه في أعلى رف من الرفوف، كتاب كبير أسود، تظهر عليه ندوب وآثار الاهتراء) أكتبه هذا الجوفين أيضاً؟

عبس باياز نحوه: «لا. بل أخوه هو من كتبه. (وقام عن كرسيه، ومدد جسده وأنزل الكتاب) هذا به معرفة من نوع مختلف. (فتح درج مكتبته، ودس فيه الكتاب الأسود وأغلقه بعنف. تمتم وهو يجلس) الأفضل أن نبتعد عنه». وعاد إلى مبادئ الفن مرة أخرى.

أخذ لوچن نفساً عميقاً، ووضع يده اليسرى على مقبض السيف، شاعراً بالمعدن البارد يضغط على راحة يده. الشعور الذي شعر به كان أي شيء سوى الاطمئنان. تركه وعاد إلى النافذة، عابساً نحو الفناء. شعر بأنفاسه تتوقف في حلقة.

- بيتود. إنه هنا.

تمتم باياز شارد الذهن: «جيد، جيد، ومن معه؟».

أطل لوچن على الشخصيات الثلاث في الفناء: «سكيل، (قال متجهماً) وامرأة، لا أعرفها. إنهم ينزلون. (لحق لوچن شفّيته الجافتين) إنهم قادمون». تمتم باياز: «نعم، نعم، هذه هي الطريقة التي يصل بها المرء إلى اجتماع. حاول أن تهدي من روعك يا صديقي. تنفس».

مال لوچن للخلف مستنداً على الجص الأبيض، وذراعه مطويتان، وأخذ نفساً عميقاً. لم يساعده ذلك. عقدة القلق الثقيلة ضغطت على صدره بقوة أكبر. سمع الخطوات الثقيلة في الممر بالخارج. دار مقبض الباب.

أول من دخل الغرفة هو سكيل. كان الابن الأكبر دائماً قوي البنية، حتى منذ طفولته، لكنه نما حتى أصبح وحشاً منذ آخر مرة رآه لوچن فيها. بدا رأسه الصخري كشيء ثانوي فوق كل ذلك الجسد الضخم، فجمجمته كانت أضيق قُطرًا من رقبتة بكثير. بدا فكُّه كتلة ضخمة، وأنفه مسطحاً كأرومة شجرة، وعيناه جاحظتين، غاضبتين، ومتعجرفتين. كانت شفّاته الرفيعتان ملتويتين بابتسامة ساخرة دائمة، شبيهة بتلك التي تعلو وجه شقيقه الأصغر كالد، لكن هنا كان الدهاء أقل بكثير، والعنف أكثر بكثير. كان يحمل سيفاً عريضاً وثقيلًا على خصره، ويده الضخمة لا تبتعد عنه كثيرًا وهو يحدق بغضب إلى لوچن، وكل ذرة من جسده مشبعة بالكراهية.

ثم جاءت المرأة. كانت طويلة جدًا، نحيلة وشاحبة، تكاد تبدو مريضة. كانت عيناها المائلتان ضيقتين وباردتين بقدر ما كانت عينا سكيل جاحظتين وغاضبتين، تحيط بهما طبقة كثيفة من الطلاء الداكن، مما جعلهما تبدوان أكثر ضيقًا وبرودة. زينت خواتم ذهبية أصابعها الطويلة، والتفت أساور ذهبية حول ذراعيها النحيلتين، وسلاسل ذهبية حول عنقها الأبيض. جالت في الغرفة بعينيها الزرقاوين الجليديتين، وكل شيء تلاحظه بدا أنه ينقلها لمستوى جديد من الاشمئزاز والاحتقار. أولًا الأثاث، ثم الكتب، ولوَجِن بالطبع، لكن أكثرها كان باياز.

وأخيرًا دخل من يُلَقَّب نفسه بملك الشماليين، كان أكثر عظمة من أي وقت مضى، مرتديًا ثيابًا فاخرة ملونة ومطعمة بفرو أبيض نادر. تدلت سلسلة ثقيلة من الذهب عن كتفيه، وجلس على رأسه طوق ذهبي تَرَصَّع بماسة كبيرة بحجم بيضة طائر. كان وجهه المبتسم أكثر تجعدًا مما يتذكر لوَجِن، واشتعل رأسه ولحيته شيئًا، لكنه لم يكن أقل طولًا، ولا قوة، ولا وسامة، بل ازداد وقارًا وحكمة، وحتى مهابة. بدا كل شبر منه عظيمًا، وحكيماً، وعادلاً. بدا ملكًا في كل شبر منه. لكن لوَجِن كان يعلم الحقيقة.

قال باياز بحرارة وهو يغلق كتابه: «بيثود! صديقي القديم! لا يمكنك أن تتخيل فرحة رؤيتك مرة أخرى. (أنزل قدميه عن الطاولة، وأشار إلى السلسلة الذهبية، والماسة الوامضة) وأراك تقدمت كثيرًا في العالم! أتذكر وقتًا كنت تسعد فيه بزيارتي وحدك. لكنني أعتقد أن الرجال العظماء يحتاجون إلى من يخدمهم، وأرى أنك أحضرت بعض.. الآخرين. أعرف ابنك الوسيم بالطبع. أرى أنك كنت تأكل جيدًا على الأقل، أليس كذلك يا سكيل؟».

هدر ابن بيثود الوحشي، وبرزت عيناه أكثر: «الأمير سكيل».

قال باياز بحاجب مرفوع: «هممم، لم أحظَّ بشرف مقابلة رفيقتك الأخرى من قبل».

- أنا كُوريب. (رمش لوَجِن. كان صوت المرأة أجمل ما سمعه على الإطلاق. مهدئ، مريح، مُسَكِّر. غَنَّت وهي تهز رأسها بابتسامة ازدراء) أنا ساحرة، ساحرة من أقصى الشمال.

تجمد لوَجِن مكانه، بقم نصف مفتوح. تسربت كراهيته بعيدًا. كانوا جميعًا أصدقاء هنا. بل أكثر من مجرد أصدقاء. لم يستطع أن يرفع عينيه عنها، بل لا

يريد ذلك. اختفى كل الآخرين في الغرفة. كانت كما لو أنها تتحدث إليه فقط، وكانت أعز أمنيات قلبه هي ألا تتوقف أبدًا...

لكن باياز ضحك فقط: «ساحرة حقيقية، وتملكين الصوت الذهبي! كم هو رائع! مر وقت طويل منذ أن سمعته، لكنه لن يجديك نفعًا هنا. (هز لوّج رأسه مستفيعًا واندفعت كراهيته إليه مرة أخرى، حارة ومطمئنة) أخبريني، هل يجب على المرء أن يدرس ليصبح ساحرة؟ أم أن التزين بالجواهر ووضع بعض الطلاء على الوجه يكفي؟ (ضاقت عينا كوريب حتى أصبحتا فتحتين زرقاوين ضيقتين وقاثلتين، لكن أول المجوس لم يمنحها الوقت للتحدث) ومن أقصى الشمال، تخيل ذلك! (ارتعش قليلًا) لا بد أن الجو بارد هناك هذا الوقت من العام. قاس على الحلمات، أليس كذلك؟ هل أتيت إلينا للطقس الدافئ أم أن هناك سببًا آخر؟».

هسهست رافعة ذقنها المدبب لأعلى قليلًا: «أذهب حيث يأمرني ملكي». سأل باياز وهو يحدق حوله في الغرفة كما لو أن هناك من يختبئ في أحد الأركان: «ملكك؟».

زمجر سكيل: «والدي هو ملك الشماليين الآن! (نظر نحو لوّج ساخرًا) عليك الركوع له، أيها التسع الدموية! (ونظر نحو باياز ساخرًا) وكذلك ينبغي لك أيها العجوز!».

فبسط أول المجوس يديه معتذرًا: «أوه، أخشى أنني لا أركع لأحد. عجوز جدًا على ذلك. تصلب المفاصل، كما ترى».

ارتطم حذاء سكيل بقوة على الأرض عندما بدأ يتحرك متقدمًا للأمام، وكادت تخرج من فمه لعنة، لكن وضع والده يده بلطف على ذراعه: «اهدأ الآن يا بني، ليس لنا حاجة إلى الركوع هنا. (كان صوته باردًا ومتزنًا كتلج حديث السقوط) ليس من اللائق أن نتجادل. أليس هدفنا واحدًا؟ السلام؟ السلام في الشمال؟ جئت فقط طلبًا لحكمتك، يا باياز، كما كنت أفعل في الأيام الماضية. هل من الخطأ أن أطلب مساعدة صديق قديم؟».

لم يبد أحد أكثر صدقًا أو عقلانية أو جديرًا بالثقة منه. لكن لوّج كان يعلم الحقيقة.

- لكن أليس لدينا بالفعل سلام في الشمال؟ (رجع باياز إلى الخلف في كرسيه، وشبك يديه أمامه) ألم تنته النزاعات كلها؟ ألم تكن منتصرًا؟

أليس لديك كل ما تريد، وأكثر؟ ملك الشماليين، أليس كذلك؟ ما هي المساعدة التي يمكنني تقديمها لك؟

- أنا لا أشارك المشورة إلا مع الأصدقاء، يا باياز، وأنت مؤخرًا لم تكن صديقًا لي. تصرف رُسلي، وحتى ابني. وتستضيف أعدائي اللدودين. (وعبس نحو لوچن، والتوت شفتاه) هل تعرف ما هو نوع هذا الشيء؟ التسع الدموية؟ حيوان! جبان! حانث للقسم! هل هذه هي الرفقة التي تفضلها؟ (عادت ابتسامة بيثود الودية عندما نظر إلى باياز، ولكن التهديد في كلماته كان واضحًا لا لبس فيه) أخشى أن الوقت قد حان لتقرر ما إذا كنت معي أم ضدي. ولا يوجد حل وسط في هذا. إما أن تكون جزءًا من مستقبلي، وإما من بقايا الماضي. الخيار لك يا صديقي. كان لوچن قد رأى بيثود يعطي مثل هذه الخيارات من قبل. بعض الرجال استسلموا. أما البقية فقد عادوا إلى الوحل.

لكن لم يبد أن باياز كان في عجلة من أمره: «ماذا سيكون الاختيار؟ (مال ببطء للأمام وأخذ غليونته عن الطاولة) المستقبل أم الماضي؟ (مشى نحو النار وجلس القرفصاء، والتفت إلى ضيوفه الثلاثة، وأخذ عصا من الموقد، ووضعها في وعاء الغليون، ونفخ ببطء. استغرق طويلًا حتى أشعل الشيء اللعين) مع أم ضد؟».

كان يفكر عندما عاد إلى كرسيه. قال بيثود يحثه على الرد: «ماذا إذن؟». حدق باياز إلى السقف ونفخ خيطًا رقيقًا من الدخان الأصفر. نظرت كوريب إلى المجوسيَّ العجوز من أعلى لأسفل بازدراء جليدي، وارتعش سكيل من نفاد صبره، وانتظر بيثود وضاعت عيناه قليلًا. وأخيرًا، أخرج باياز تنهيدة ثقيلة: «حسنًا إذن. أنا معك».

ظهرت على بيثود ابتسامة عريضة، وشعر لوچن بخيبة أمل رهيبة. وكان أمله في أول المجوس أفضل من ذلك. الأحمق، كيف لم يتعلم قط أن يتوقف عن الأمل.

غمغم ملك الشماليين: «جيد، كنت أعلم أنك ستري طريقة تفكيري في النهاية. (لحق شفتيه ببطء، مثل رجل جائع يراقب طعامًا جيدًا يُجلب له) أنوي غزو أنجلاند».

رفع باياز حاجبه، ثم بدأ بالضحك، ثم ضرب الطاولة بقبضته: «أوه هذا جيد، هذا جيد جدًا! لم تجد أن السلام يناسب مملكتك، هاه يا بيثود؟ لم تعد العشائر أن يكونوا أصدقاء، أليس كذلك؟ يكرهون بعضهم بعضًا ويكرهونك، هل أنا على حق؟».

ابتسم بيثود: «حسنًا، إنهم مضطربون إلى حدٍّ ما».

- أراهن أنهم كذلك! لكن إن أرسلتهم للحرب مع الاتحاد، فسيتحدون، أليس كذلك؟ يتحدون ضد العدو المشترك، بالتأكيد. وإذا فزت؟ ستكون الرجل الذي فعل المستحيل! الرجل الذي طرد الجنوبيين اللعينين من الشمال! ستكون محبوبًا، أو على أي حال، مُهابًا أكثر من أي وقت مضى. وإذا خسرت، حسنًا، على الأقل ستُبقي العشائر منشغلة لبعض الوقت، وستستنزف قوتهم في هذه الأثناء. أتذكر الآن لماذا كنت أحبك! خطة ممتازة!

رد بيثود باغترار: «بالطبع. ونحن لن نخسر. الاتحاد ضعيف ومتعطرس وغير مستعد. وبمساعدتك...».

قاطعه باياز: «مساعدي؟ أنت تفترض الكثير».

- لكن أنت...

هز المجوسى كتفيه: «أوه، هذا.. أنا كاذب».

رفع باياز غليونه إلى فمه. كانت هناك لحظة صمت مذهول. ثم ضاقت عينا بيثود. واتسعت عينا كوريب. تجعد حاجب سكيل الثقيل من الارتباك. وعادت ابتسامة لوجن ببطء.

هسهست الساحرة: «كاذب؟ بل أقول إنك أكثر من ذلك! (كان صوتها لا يزال يحمل نغمة غنائية، لكنها أغنية مختلفة الآن - قاسية وحادة وقاتلة) أيها الدودة العجوز! تخبئ هنا خلف أسوارك وخدمك وكتبك! لقد مضى وقتك طويلًا أيها الأحمق! ما أنت إلا كلام وغبار! (زم أول المجوس شفتيه بهدوء ونفخ الدخان) كلام وغبار، أيها الدودة العجوز! حسنًا، سوف نرى. سوف نأتي إلى مكتبك! (وضع الساحر غليونه بعناية على الطاولة، وكان هناك القليل من الدخان يتطاير من الوعاء) سوف نأتي إلى مكتبك، ونهْدُ جدرانك بالمطرقة، ونقتل خدمك بالسيف، ونضع كتبك في النار! في النار...».

- صمًا. (عبس باياز أكثر حتى مما كان عليه مع كالدور قبل أيام في الفناء بالخارج. ومرة أخرى، شعر لوجن برغبة في الابتعاد، لكنها أقوى بكثير. وجد نفسه يبحث في الغرفة عن مكان يختبئ فيه. ظلت شفتا كوريب تتحركان، لكن لم يخرج منهما سوى نعيق لا معنى له) تَهْدُونَ جدرانني، أليس كذلك؟ (غمغم باياز. انعقد حاجباه الرماديان للداخل فكؤنا أخايد عميقة وقاسية فوق أنفه) ستقتلون خدمني، أليس كذلك؟ (أصبحت الغرفة باردة جدًا، على الرغم من جذوع الأشجار المشتعلة) ستحرقون كتبتي، تقولين ذلك؟ (هدر صوت باياز) أنتِ تتحدثين كثيرًا أيتها الساحرة! (خارت ركبتا كوريب. امتدت يدها البيضاء تتشبث بإطار الباب، ورنت أساورها وسلاسلها معًا وهي تتراجع بقوة على الجدار) كلام وغبار، ألسنت كذلك؟ (رفع باياز أربع أصابع) حصلت مني على أربع هدايا يا بيتود؛ الشمس في الشتاء، والعاصفة في الصيف، وشيئين لم يكن من الممكن أن تعرفهما أبدًا لولا فنِّي. وماذا قدمت لي في المقابل، هاه؟ هذه البحيرة وهذا الوادي، اللذين كانا ملكي بالفعل، وشيئًا واحدًا آخر. (مرت عينا بيتود على لوجن بسرعة، ثم عادت إليه) أنت ما زلت مدينًا لي، ومع ذلك تبعث إليّ برسلك، وترسل بمطالبيك، وتفترض أنك أمر عليّ؟ هذه ليست فكرتي عن الأخلاق.

بدأ سكيل يدرك الأمر، وكادت عيناه تخرجان من محجريهما: «أخلاق؟ ما حاجة الملك بالأخلاق؟ الملك يأخذ ما يريد! وأخذ خطوة ثقيلة نحو الطاولة». مؤكداً أن سكيل كان ضخمًا بما يكفي وقاسيًا بما يكفي. على الأرجح لن تجد أفضل منه لركل من يسقط أرضًا. لكن لوجن لم يسقط، ليس بعد، وكان قد سئم تمامًا من سماع هذا الأحق المتضخم. تقدم خطوة ليعترض طريق سكيل، ووضع يده على مقبض سيفه: «هذا يكفي».

نظر الأمير إلى لوجن بعينه البارزتين، ورفع قبضته الضخمة، واعتصر أصابعه الكبيرة حتى ابيضت مفاصل أصابعه: «لا تُغرني أيها الأصابع التسع، أيها النذل المكسور! مضت أيامك منذ وقت بعيد! أستطيع أن أسحقك مثل البيضة!».

- يمكنك المحاولة، وليس لدي مانع في السماح لك بذلك. أنت تعرف عملي. خطوة واحدة أخرى وسأبدأ في العمل عليك، أيها الخنزير المتورم اللعين.

قاطعه بيثود: «سكيل! ليس لنا شيء هنا، هذا واضح. سنرحل».

أغلق الأمير الضخم فكه العريض، وأخذ يفتح ويغلق قبضتيه الهائلتين جانبه، يرمق لوچن بنظرة كراهية ووحشية لا مثيل لها. ثم ابتسم بازدراء وتراجع ببطء.

انحنى باياز إلى الأمام وقال: «قلت إنك ستجلب السلام للشمال يا بيثود، وماذا فعلت؟ كدست الحرب فوق الأخرى! أنهكت الأرض بكبريائك وقسوتك! ملك الشماليين؟ ها! أنت لا تستحق المساعدة! ومن المحزن أنني وضعت آمالاً كبيرة عليك!».

لم يظهر على بيثود سوى العبوس، وكانت عيناه باردتين كالألماصة التي على جبهته: «لقد جعلت مني عدوًّا يا باياز، وأنا عدو سيئ لمن يُعادي، الأسوأ على الإطلاق. ستندم على عملك هذا يومًا ما. (ثم التفت بازدراء نحو لوچن) أما أنت يا تسع أصابع، فلن ترى رحمة مني بعد الآن! سيكون كل رجل في الشمال عدوًّا لك! ستكره وتطارد وتُلعن أينما ذهبت! وسأتأكد من ذلك!». هز لوچن كتفيه. لم يكن هناك جديد. قام باياز من كرسيه: «لقد قلت مقطوعتك، والآن خذ ساحرتك وارجل!».

تعثرت كوريب وهي تخرج في البداية، ما زالت تلهث للهواء. عبس سكيل نحو لوچن مرة أخيرة، ثم استدار وابتعد. كان الملقب بملك الشماليين آخر من غادر، يهز رأسه ببطء ويجوب الغرفة بنظرة قاتلة. ومع تلاشي خطواته في الممر، أخذ لوچن نفسًا عميقًا، واستجمع قواه، ثم أسدل يده عن مقبض سيفه.

قال باياز ببهجة: «إذًا، هذا سار بشكل جيد».

طريق بين طبيبي أسنان

بعد منتصف الليل، لف الظلام الطريق الأوسط. الظلام والرائحة الكريهة. كانت الرائحة دائمًا سيئة قرب الأرصفة: ماء مالح قديم، وأسمك متعفنة، وقطران، وعرق وروث خيول. بعد بضع ساعات، ستعجُ هذه الشوارع بالضجيج والحركة. باعة يصرخون، وعمال يسبُون تحت أحمالهم، وتجار يهرعون جيئة وذهابًا، مئات من العربات والعجلات تندفع فوق الحجارة القذرة. سيكون هناك سيلٌ لا ينتهي من الناس، ينزلون من السفن ويصعدون إليها، أشخاص من كل بقاع الأرض، كلمات تتطاير بلغات شتى تحت الشمس. لكن كان هادئًا في المساء. هادئًا وصامتًا. صامتًا كالقبر، ورائحته أشد سوءًا. قال سيفيرارد وهو يتهادى نحو مدخل الزقاق الضيق المظلم والمحصور بين مستودعين شامخين: «إنها هنا».

سأل جلوكتا وهو يمشي متألمًا وراءه: «هل تسبب لكم بالكثير من المتاعب؟».

- ليس كثيرًا. (عدّل المنفذ قناعه، ليسمح لبعض الهواء بالدخول. لا بد أن الجو رطب جدًا تحته، كل هذا التنفس والعرق. لا عجب أن المنفذين يميلون لامتلاك مزاج سيئ) تسبب ببعض المتاعب لمرتبة ريوز، ملأها بالطعنات. ثم ضربه فروست على رأسه. شيء مضحك. عندما يضرب ذلك الولد رجلًا على رأسه، تخرج منه كل المشكلات.

- ماذا عن ريوز؟

- ما زال على قيد الحياة.

مرَّ الضوء المنبعث من مصباح سيفيرارد على كومة من القمامة المتعفنة. سمع جلوكتا صرير الفئران في الظلام وهي تبتعد عنهم: «تعرف أفضل الأحياء، هاه يا سيفيرارد؟».

- هذا ما تدفع لي من أجله أيها المحقق. (غاص حذاؤه الأسود القذر، بلا مبالاة، في هريسة نتنة. عرج جلوكتا حولها بحذر شديد، ممسكًا بحاشية معطفه بيده الحرة) كبرت هنا. الناس هنا لا تطرح الأسئلة. - إلا نحن.

لدينا أسئلة دائمًا.

- أكيد. (أصدر سيفيرارد ضحكة مكتومة) فنحن جهاز الاستجواب. (التَمَعَ ضوء مصباحه على بوابة حديدية منبعجة، تغطي الجدار أعلاها بمسامير صدئة) ها هو.

يا له من موقع مبشِّر فعلاً. كان واضحًا أن البوابة لم تُستخدم كثيرًا؛ صرَّت مفاصلها البنيَّة احتجاجًا في أثناء فتح المنفذ قفلها ودفعها بعناء. خطا جلوكتا بشكل محرج فوق بركة تجمعت في مجرى على الأرض، ولعن لتدلي طرف معطفه في الماء الأسن.

بينما عاودت المفصلات الصراخ كان سيفيرارد يصارع لإغلاق البوابة الثقيلة قاطبًا جبينه من الجهد، ثم رفع غطاء فانوسه ليضيء فناءً فسيحًا مزخرفًا، تخنقه الأنقاض والأعشاب الضارة والخشب المحطم. قال سيفيرارد: «وها نحن هنا».

لا بد أن هذا المبنى كان رائعًا يومًا ما بطريقته الخاصة. كم كُلفت كل تلك النوافذ؟ وكل تلك الزخارف الحجرية؟ لا شك أن الزائرين انبهروا بثروة صاحبه، حتى ولو لم ينبهروا بذوقه. لكن ذلك لم يدم. أما الآن، فقد غُطيت النوافذ بألواح متعفنة، واختنقت الزخارف المعمارية بالطحالب وتزينت بفضلات الطيور. تشققت وتقرشت ألواح الرخام الأخضر الرقيق على الأعمدة، كاشفة الجص المتعفن تحته. كل شيء كان منهيارًا، ومكسورًا ومتآكلًا. تناثرت كتل الواجهة المتداعية في كل مكان، ملقاة بظلال طويلة على جدران الفناء العالية. حذق إلى جلوكتا، نصف رأس مكسور لطفل ملائكي حزين وهو يعرج بجانبه. كان يتوقع مخزنًا قذرًا، أو قبوًا رطبًا بالقرب من الماء.

سأل وهو يحدق إلى القصر المتعفن: «ما هذا المكان؟».

- بناه أحد التجار منذ سنوات. (ركل سيفيرارد كتلة من تمثال مكسور بعيدًا عن طريقه فتبعثر في الظلام) رجل ثري، ثري جدًا. أراد أن يعيش بالقرب من مستودعاته وأرصفت السفن، وأن يراقب أعماله. (صعد الدرجات المتشققة والمكتسية بالطحالب إلى الباب الأمامي الضخم المتقشر) اعتقد أن فكرته قد يتبناها آخرون، ولكن من سيفعل ذلك؟ من سيرغب في العيش هنا إن لم يكن مضطربًا؟ ثم خسر أمواله كلها كما يحدث للتجار. وواجه دائنوه صعوبة في العثور على مشترٍ. حرق جلوكتا إلى نافورة مدمرة، ومائلة بزاوية، نصفها ممتلئ بمياه راكدة: «ليس مستغربًا».

بالكاد تمكن مصباح سيفيرارد من إضاءة الفضاء الشاسع في بهو المدخل. برز في الظلام أمامهما سُلَّمان ضخمان منحنيان ومتداعيان. ودارت شرفة واسعة بطول الجدران في الطابق الأول، لكن انهار جزء كبير منها وسقط عبر الألواح الخشبية الرطبة أدناه، بحيث انتهى أحد السلمين مبتورًا ومعلقًا في الهواء. تبعثرت على الأرضية الرطبة كتل الجص المحطم، وألواح السقف المتساقطة، وأخشاب محطمة، وبقع فضلات طيور رمادية. أطلت السماء الليلية من عدة فتحات واسعة في السقف. سمع جلوكتا هديل الحمام يتردد بين العوارض المظلمة، وصوت تساقط ماء خافت في مكان ما.

يا له من مكان. كتم جلوكتا ابتسامة. يذكرني بنفسى نوعًا ما. كلانا كان عظيمًا يومًا ما، وكلانا وُلِّت أفضل أيامه.

سأل سيفيرارد، وهو يشق طريقه بين الركام نحو مدخل مقوس متثائب تحت الدرج المكسور، وكان مصباحه يلقي ظلًا غريبة ومائلة في أثناء تحركه: «إنه كبير بما يكفي، ألا ترى ذلك؟».

- أوه، كنت أفكر في ذلك، إلا إذا كان لدينا أكثر من ألف سجين معًا. عرج جلوكتا خلفه، كان يتكى بثقله على عصاه، قلقًا بشأن موطئ قدمه على الأرضية الزلقة. سأنزلق وأسقط على مؤخرتي، هنا بالضبط وسط هذا الروث. سيكون ذلك مثاليًا.

انتهى المدخل في قاعة متداعية، تتساقط فيها ألواح الجص المتعفن، كاشفة الطوب الرطب تحتها. انتشرت أبواب معتمة على جانبي الممر. مكان كهذا قد يجعل المرء متوترًا، إذا كان عرضة للتوتر. قد يتخيل أشياء

بغیضة فی هذه الغرف، بعيداً عن ضوء المصباح، وأفعالاً مروعة تحدث فی الظلام. نظر إلى سيفیرارد الذی تهادى أمامه، یصدر صغیراً بلا لحن بشكل خافت من خلف قناعه، وعبس. لكننا لسنا عرضة للتوتر. ربما نحن الأشياء البغیضة. وربما تلك الأفعال هی أفعالنا. سأل جلوكتا وهو یعرج: «ما حجم هذا المكان؟».

- خمس وثلاثون غرفة، غیر غرفة الخدم.
- قصر. کیف وجدته بحق الجحیم؟
- كنت أنام هنا أحياناً، بعد وفاة أمی. وجدت طریقاً للدخول. كان السقف حینها لا یزال سلیماً إلى حد کبیر، وكان مکاناً جافاً للنوم. جافاً وأمناً، نوعاً ما.
- آه، یا للحياة قاسية. کونک بلطجياً ومعدباً هو فی الواقع ارتقاء بالنسبة إلیک، ألیس كذلك؟ لكل رجل أعداره، وكلما ازداد شر الرجل، یجب أن یزداد تأثیر قصته. ما هی قصتی الآن، یا ترى؟
- أنت واسع الحيلة دائماً، هاه یا سيفیرارد؟
- هذا ما تدفع لی من أجله أيها المحقق.
- دخلاً إلى مساحة واسعة: غرفة جلوس، أو غرفة دراسة، أو حتی قاعة رقص، كانت واسعة بما یكفی. تدلّت على الجدران ألواح كانت جمیلة ذات یوم، مغطاة بالعفن وبطلاء ذهبی متقشر. تقدم سيفیرارد نحو إحداها التی ما زالت مثبتة، وضغط علیها بقوة من أحد أجنابها. صدر صوت ناعم وهی تنفتح، كاشفة عن ممرٍ مقوس مظلم خلفها. باب مخفی؟ یا للمتعة. یا للرعب. ویا لتلاؤمه معنا.
- قال جلوكتا وهو یعرج متألماً نحو الفتحة: «هذا المكان ممتلئ بالمفاجآت مثلك تماماً».

- ولن تصدق السعر الذی حصلت علیه مقابله.
- اشترينا هذا؟
- أوه لا. أنا اشتريته. بأموال ریوز. والآن أنا أوجره لكم. (تألقت عینا سيفیرارد فی ضوء المصباح) إنه منجم ذهب!

ضحك جلوكتا وهو ينزل بحرص على الدرج. مع كل ما يقوم به ولديه العقلية لإدارة الأعمال أيضًا. ربما سأعمل لدى المقرئ الأعلى سيفيرارد في أحد الأيام. أغرب من ذلك قد حدث من قبل. لاح ظل جلوكتا أمامه في الظلام وهو يتحرك بجانبه مثل السلطعون على الدرج، يده اليمنى تستشعر الفجوات بين الكتل الحجرية الخشنة ليستند عليها.

تمتم سيفيرارد من الخلف: «تمتد الأقبية لأميال. لدينا مدخل خاص إلى القنوات، وإلى المجاري أيضًا، إذا كنت تهتم بالمجاري. (مرًا بفتحة مظلمة على يسارهما، ثم أخرى على يمينهما، وكانا دائمًا يتجهان ببطء لأسفل) أخبرني فروست أنه بإمكانك الذهاب من هنا حتى الأجيوننت دون أن تخرج لحظة فوق الأرض».

- قد يكون ذلك مفيدًا.

- سأقول ذلك، إن كنت ستتحمل الرائحة.

أضاء مصباح سيفيرارد بابًا ثقيلًا به فتحة صغيرة ذات قضبان. قال: «إلى المنزل مرة أخرى»، ثم طرده أربع طرقات سريعة. بعد لحظة ظهر وجه المنفذ فروست المثلث فجأة من الظلام في النافذة الصغيرة: «إنه نحن فقط». لم تظهر عينا الأمهق أي علامة على الدفء أو التمييز. لكنهما لا يظهران ذلك أبدًا. انزلقت مزاليج ثقيلة على جانب الباب الآخر، وفُتِحَ بسلاسة.

كانت هناك طاولة وكروسي، ومشاعل موضوعة حديثًا على الجدران، لكنها لم تكن مُشعلة. لا بد أن المكان كان مظلمًا هنا حتى وصل مصباحنا الصغير. نظر جلوكتا إلى الأمهق: «هل كنت تجلس هنا في الظلام؟ (هز المنفذ الضخم كتفيه، وهز جلوكتا رأسه) أحيانًا أقلق عليك، أيها المنفذ فروست، أقلق حقًا». قال سيفيرارد وهو يسير عبر القاعة، وكعباه يُصدِران أصداً خطواته على البلاطات الحجرية على الأرض: «إنه هنا». لا بد أن هذا كان قبو نبيل في الماضي: كانت هناك عدة قاعات ذات أقبية مقوسة تمتد على الجانبين، مغلقة بشبكات ثقيلة.

أمسكت أصابع سالم ريزوز القضبان بإحكام، وضغط وجهه بينهم: «جلوكتا!».

توقف جلوكتا أمام الزنزانة وأراح ساقه النابضة: «ريوز، كيف حالك؟ لم أتوقع رؤيتك مرة أخرى قريبًا».

كان قد فقد كثيرًا من وزنه بالفعل، وأصبحت بشرته مترهلة وشاحبة، لا يزال عليها آثار كدمات باهتة. إنه لا يبدو بخير، ليس بخير على الإطلاق.

- ماذا يحدث يا جلوكتا؟ من فضلك، لماذا أنا هنا؟

- حسنًا ما الضرر؟ يبدو أن المقرئ الأعلى لا يزال بحاجة إليك. يريدك أن تقدم الأدلة. (انحنى جلوكتا نحو القضبان، همس قائلًا) أمام المجلس المفتوح.

شحب ريزو أكثر: «ثم ماذا؟».

- سنرى. أنجلاند، يا ريزو، أنجلاند.

- ماذا لو رفضت؟

- ترفض المقرئ الأعلى؟ (ضحك جلوكتا) لا، لا، لا، يا ريزو. لن تريد أن تفعل شيئًا كهذا.

استدار بعيدًا وجرّ قدميه خلف سيفيرارد.

- أرجوك! المكان مظلم هنا!

- ستعتاده!

صاح جلوكتا من فوق كتفه. سيذهلك ما يمكن للمرء أن يعتاده.

احتضنت آخر الغرف سجينهم الجديد. قُيد بالأغلال في حلقة مثبتة على الجدار، عاريًا ومغطى الرأس، كما هو مُتَوَقَّع. كان قصير القامة، ممتلئ الجسد يميل إلى السمنة قليلًا، وعلى ركبتيه خدوش حديثة، بلا شك نتيجة إلقاءه في الزنزانة الحجرية الخشنة.

- إذن فهذا هو قاتلنا، هاه؟

اعتدل الرجل على ركبتيه حينما سمع صوت جلوكتا، وحاول التقدم رغم قيوده. تبلل الغطاء ببعض الدم من الأمام وجفّ عليه، تاركًا بقعة بنية على القماش.

قال سيفرارد: «إنه شخصية بغیضة للغاية بلا شك، لكنه لا يبدو مخيفًا الآن، أليس كذلك؟».

- لا يبدو كذلك أبدًا بعد أن يصلوا إلى هذا الحال. أين سنعمل؟

ابتسمت عينا سيفرارد أكثر: «أوه، سيعجبك هذا، أيها المحقق».

قال جلوكتا: «يحمل لمسة مسرحية، لكن لا بأس في ذلك».

كانت الغرفة كبيرة ودائرية ذات سقف مقبب، وقد زُيّنت بجدارية غريبة امتدت على الجدران المقوسة. الجدارية عبارة عن جسد رجلٍ ملقى على العشب، ينزف من جروحٍ عدة، وخلفه غابة. يوجد أحد عشر آخرون يسرون مبتعدين، ستة على جانبٍ وخمسة على الآخر، مرسومون بملامح واضحة، يقفون في وضعيات غير مريحة، يرتدون الأبيض وملامحهم غير مميزة. كانوا يواجهون رجلًا آخر، ذراعاه ممدودتان، ملابسه كلها سوداء وخلفه بحر من النار الملونة. لم تُحسّن الإضاءة الشديدة المنبعثة من ستة مصابيح من شكل العمل. ليست أجود الأعمال، تبدو زخرفة أكثر منها فنًا، لكن التأثير كان لافتًا رغم ذلك.

قال سيفيرارد: «ليس لدي أي فكرة عما يفترض بذلك أن يكون».

تمتم المنفذ فروست: «الثاني لاضّام».

قال جلوكتا وهو يحدق إلى الشكل الداكن على الجدار والنيران خلفه: «بالتأكيد، عليك أن تدرس التاريخ يا سيفيرارد. هذا هو الصانع الأعظم، كانيدياس. (ثم استدار وأشار إلى الرجل المحتضر على الجدار المقابل) وهذا هو جوفينز العظيم، الذي قتله. (ثم لوح بيده نحو الشخصيات البيضاء) وهؤلاء هم المجوس، تلاميذ جوفينز، ذاهبون للانتقام له. حكايات أشباح، مناسبة لتخويف الأطفال».

سأل سيفيرارد وهو يهز رأسه: «أي نوع من الرجال يدفع مقابل وجود هراء كهذا على جدران قبو منزله؟».

- أوه، هذه الأشياء كانت شائعة جدًا في وقت ما. يوجد غرفة في القصر مرسومة كهذه. هذه نسخة ونسخة رخيصة. (نظرت جلوكتا إلى وجه كانيدياس المظلل، وهو يحدق بتجهم إلى الغرفة، والجنّة النازفة على الجدار المقابل) ومع ذلك، هناك شيء مقلق للغاية عن هذه، أليس كذلك؟ أو سيكون هناك، إنّا ما كنت أهتم. الدم، النار، الموت، الانتقام. ليس لدي فكرة لمَ سترغب في وجودها في القبو. ربما كان هناك جانب مظلم بشأن صديقنا التاجر.

قال سيفيرارد: «هناك دائمًا جانب مظلم بشأن من يمتلك المال. من يكون هذان؟».

عبس جلوكتا، وحدث أمامه. يمكنه رؤية شخصيتين صغيرتين وغامضتين تحت ذراعي الصانع، واحد على كل جانب: «من يعرف؟ ربما يكونون منقذيه». ضحك سيفيرارد. خرج زفير أنفاس غامض من خلف قناع فروست، على الرغم من أن عينيه لم تظهر أي علامة على التسلية. يا إلهي، لا بد أنك دُعِغْتَ بقوة.

جرَّ جلوكتا قدميه نحو الطاولة في وسط الغرفة. كان هناك كرسيان يواجهان بعضهما بعضًا فوق الأرض الملساء المصقولة. بينما أحدهما كان بسيطًا وقاسيًا من النوع الذي تجده في أقبية دار الأسئلة، كان الآخر أكثر فخامة، أشبه بالعرش، له ذراعان عريضتان ومسند ظهر مرتفع، ومغطى بجلد بني.

وضع «جلوكتا» عصاه بجانب الطاولة، ألمه ظهره وهو يهبط ببطء. تنفس بارتياح وقال: «آه، هذا كرسي ممتاز»، غرق ببطء في الجلد الناعم، ومدَّ ساقه التي كانت تنبض من طول المسافة التي مشاها، شعر بشيء يصدُّها. نظر تحت الطاولة، فوجد مسند قدمين مُكَمَّلًا للكرسي.

أمال رأسه إلى الخلف وضحك: «آه، هذا رائع! لم يكن عليكما ذلك!» ثم وضع ساقه على المسند بتنهيدة راحة.

قال سيفيرارد، وهو يطوي ذراعيه ويتكى على الجدار بجوار جسد چوفينز النازف: «هذا أقل ما يمكننا فعله. استفدنا كثيرًا من صديقك ريوز، كثيرًا جدًا. وأنت تقف جانبنا دائمًا، ونحن لا ننسى ذلك».

قال فروست وهو يومئ برأسه: «آه».

- أنتما تدلانني.

مسح جلوكتا بيده خشب ذراع الكرسي المصقول. أولادي. أين سأكون دونكما؟ أفترض أنني سأكون بالمنزل في السرير مع والدتي التي - كما أعتقد - ستقلق كثيرًا بشأنني، وتتساءل كيف ستجد فتاة لطيفة لتتزوجني الآن. ألقى نظرة خاطفة على الأدوات الموجودة على الطاولة. كانت حقيبتة موجودة بالطبع، بالإضافة لبعض الأشياء الأخرى، التي استخدمت كثيرًا، لكنها ما زالت صالحة للاستعمال. لفت انتباهه كماشة ذات مقبض طويل. نظر إلى سيفيرارد: «أسنان؟».

- يبدو مكانًا جيدًا لنبدأ به.

- هذا منصف. (لعلق جلوكتا لثته الفارغة ثم فرقع مفاصل أصابعه واحدة تلو الأخرى) الأسنان إذاً.

ما إن أزيلت الكمامة عن فم القاتل حتى بدأ بالصراخ عليهم بلغة ستيريا، يبصق ويلعن، ويتلوى عبثاً في قيوده. لم يفهم جلوكتا كلمة مما قال. لكنني أعتقد أنني فهمت ما يقصده، إلى حد ما. شيء مهين للغاية، كما أتخيل. ربما يتعلق بأمهاتنا أو ما شابه. لكنني لا أشعر بالإهانة بسهولة. كان يبدو رجلاً خشناً، وجهه يمتلئ بندوب حب الشباب، وأنفه مكسور أكثر من مرة ومائل عن موضعه. يا لخيبة الأمل. كنت آمل أن ينتقي البزازون أحداً من مستوى أعلى هذه المرة، لكن هذا هو دين التجار، في سعي دائم للصفقة.

أوقف المنفذُ فروست سيل الإهانات غير المفهومة بلكمة قوية في بطن الرجل. هذا كفيلاً لأن يسلبه أنفاسه بعض الوقت. وقت كافٍ للبدء في التحدث معه. قال جلوكتا: «اهدأ الآن، لن نسمح بهذا الهراء هنا. نحن نعلم أنك محترف، وأرسلت للاندماج والقيام بمهمة ما. لن تقدر على الاندماج جيداً إلا إذا كنت تتحدث جيداً بلغتنا، أليس كذلك؟».

استعاد السجين أنفاسه، قال لاهثاً: «فلتصابوا بالطاعون جميعاً أيها اللقطاء!».

- ممتاز! اللغة العامية ستكون مفيدة جداً لمحادثاتنا الصغيرة. لدي شعور بأننا سنتبادل الكثير منها الليلة. هل هناك أي شيء تريد معرفته عنا قبل أن نبدأ؟ أم ندخل في الموضوع مباشرة؟

حدق السجين بريبة إلى صورة الصانع الأعظم المرسومة، التي لاحت فوق رأس جلوكتا: «أين أنا؟».

- نحن تحت الأرض بالقرب من الطريق الأوسط، بالقرب من الماء. (جفل جلوكتا من الألم عندما انقبضت عضلات ساقه فجأة. مدَّ ساقه بحذر، وانتظر حتى سمع صوت فرقة ركبته قبل أن يتابع حديثه) أنت تعرف أن الطريق الأوسط هو أحد طرق المدينة الرئيسية، يمتد عبر قلبها تماماً، من الأجيوننت وإلى البحر. يمر بعدد من الأحياء المختلفة، ويحتوي على الكثير من المباني البارزة. بعض أكثر الأماكن أناقة في المدينة تقع على مقربة منه. لكن بالنسبة إليّ، هو ليس سوى طريق

بين طبيبيَّ أسنان. (ضَيَّقَ السجين عينيه، ثم نظر سريعًا إلى الأدوات الموضوعة على الطاولة. لكنه لم يعد يلعن. يبدو أن ذكر طب الأسنان قد لفت انتباهه) في نهاية الشارع الآخر، (وأشار جلوكتا بيده تجاه الشمال تقريبًا) في أحد أغلى أحياء المدينة، مقابل الحدائق العامة، في بيت أبيض جميل تحت ظلال الأجرىونت، يقع مقر السيد فَارَاد. قد تكون سمعت عنه؟

- فليضاعبك أحدهم!

رفع جلوكتا حاجبيه. يا ليت: «يقولون إن السيد فَارَاد هو أفضل طبيب أسنان في العالم. أعتقد أنه جاء من جوركول في الأصل، لكنه هرب من طغيان الإمبراطور لينضم إلينا في الاتحاد ويصنع لنفسه حياة أفضل، وينقذ أغنى مواطنينا من أهوال الأسنان السيئة. بعد عودتي من رحلتي القصيرة إلى الجنوب، أرسلتني عائلتي إليه ليروا إن كان يستطيع فعل شيء في حالتي. (ابتسم جلوكتا ابتسامة عريضة كاشفًا طبيعة المشكلة للقاتل) بالطبع لم يكن هناك ما يمكن فعله. فقد تأكد معذبو الإمبراطور من ذلك. لكنه مع ذلك طبيب أسنان ممتاز، والجميع يشهد له بذلك».

- وماذا في ذلك؟

تلاشت ابتسامة جلوكتا ببطء: «في الطرف الآخر للطريق الأوسط، قرب البحر، بين القذارة والحثالة وطين الأرصفة، ستجدني. ربما تكون الإيجارات هنا أرخص، لكنني أثق أنك، بعد أن نُمضي بعض الوقت معًا، لن ترى أنني أقل موهبة من السيد فَارَاد المرموق. الفارق ببساطة أن مواهبي موجّهة في اتجاه مختلف. السيد فَارَاد يخفف آلام مرضاه، أما أنا، فأنا طبيب أسنان.. (واقترَب جلوكتا ببطء).. من نوع آخر».

ضحك القاتل في وجهه: «هل تظن أنكم تستطيعون إخافتي بكيس قماشى على رأسي ولوحة بغیضة؟ (ثم نظر إلى فروست وسيفيرارد) أيها الحفنة من المسوخ؟».

- هل أعتقد أننا نخيفك؟ ثلاثتنا؟ (سمح جلوكتا لنفسه بضحكة خافتة على ذلك) أنت تجلس هنا وحيدًا، أعزل ومقيّدًا تمامًا. من يعرف أين أنت غيرنا، أو سيهتم لمعرفة ذلك؟ ليس لديك أمل في النجاة أو الهرب. نحن جميعًا محترفون هنا. أعتقد أنه بإمكانك تخمين ما سيأتي، أكثر أو أقل. (ابتسم جلوكتا ابتسامة مريضة) بالطبع نحن نخيفك، لا تُمثِّل

دور الأحقق. أنت تخفي الأمر جيدًا، سأعترف لك بذلك، لكن هذا لن يدوم. سيأتي الوقت، قريبًا بما يكفي، عندما تتوسل للعودة إلى الكيس. زمجر القاتل وهو يحدق إلى عينيه مباشرة: «لن تحصل مني على شيء، أي شيء».

قوي. رجل قوي. ولكن من السهل التصرف بقوة قبل بدء العمل. أنا أفضل من يعرف. ذلك جلوكتا ساقه بلطف. كان الدم يتدفق جيدًا الآن، وكاد الألم أن يختفي: «سنبقي الأمر بسيطًا في البداية. الأسماء، هذا كل ما أريده الآن. مجرد أسماء. لماذا لا نبدأ بك؟ على الأقل حتى لا يكون بإمكانك القول إنك لا تعرف الإجابة».

وانتظروا. كان سيفيرارد وفروست يحدقان إلى السجين، وكانت الأعين الخضراء تبتسم، لكن الأعين الوردية لا تبتسم. صمت.

تنهد جلوكتا: «حسنًا إذن». وضع فروست قبضتيه على جانبي فك القاتل، وبدأ في الضغط حتى انفجرت أسنانه. دفع سيفيرارد طرفي الكماشة بينهما وأجبر فكيه على الفتح، انفتح عن آخره بشكل لا يُشعر بالراحة. جحظت عينا القاتل. مؤلم، أليس كذلك؟ ولكن هذا لا شيء، صدقني.

قال جلوكتا: «انتبه للسانه، نريده أن يتحدث».

تمتم سيفيرارد وهو ينظر إلى فم القاتل: «لا تقلق. (تراجع فجأة) آه! رائحة أنفاسه تشبه الروث!».

مؤسف لكنني لم أتفاجأ. نادرًا ما تكون الحياة النظيفة أولوية عند القتلة المأجورين. وقف جلوكتا ببطء على قدميه، وراح يعرج حول الطاولة. تتمم وهو يحرك يده فوق أدواته: «الآن إذن، أين أبدأ؟»، التقط إبرة لها مقبض وانحنى للأمام، وقبضت يده الأخرى بقوة على الجزء العلوي من عصاه، وهو يتفحص أسنان القاتل بعناية. ليس طاقمًا جميلًا، بالتأكيد. أعتقد أنني أفضل أسناني عن أسنانه.

- عزيزي، هؤلاء في حالة رهيبة. تسوّست بالكامل. ولهذا فرائحة أنفاسك كريهة للغاية. ليس لديك عذرٌ لذلك، رجل في مثل عمرك.

- هااه!

صرخ السجين عندما لمس جلوكتا عصبًا حساسًا. حاول أن يتكلم، ولكن بوجود الكماشة، لم يكن كلامه مفهومًا أكثر من كلام المنفذ فروست.

- اهدأ الآن، لقد أتاحت لك الفرصة للتحدث. ربما ستحصل على أخرى لاحقاً، لم أقرر بعد. (أعاد جلوسكنا الإبرة على الطاولة، وهزَّ رأسه بحزن) أسنانك فضيحة لعينة. مقززة. أنا أعلن أنهم على وشك السقوط من تلقاء أنفسهم. (قال وهو يأخذ مطرقة وإزميلاً صغيراً عن الطاولة) هل تعلم؟ أعتقد أنك ستكون أفضل حالاً من دونهم.

مسطحو الرأس

في صباح رمادي، في الغابات الباردة المبتلة، جلس الكلبُ يفكر كيف أن الأمور كانت أفضل فيما مضى. جالسًا يراقب سيخ اللحم، يديره بين الحين والآخر، يحاول ألا يفقد أعصابه من طول الانتظار. لم يساعده تال دورو فيما يفعل قط. كان يسير ذهابًا وإيابًا على العشب، حول الأحجار القديمة، ينتعل حذائه الضخم، نافد الصبر كذئب شَبِق. راقبه الكلبُ وهو يدهس الأرض بخطواته؛ دَب، دَب، دَب. تعلم منذ زمن بعيد أن المقاتلين العظماء يجيدون شيئًا واحدًا فقط: القتال. أما أي شيء آخر، وبخاصة الانتظار، فهم عديمو الفائدة تمامًا.

تمتم الكلبُ: «لِمَ لا تجلس يا تال؟ هناك ما يكفي من الحجارة للجلوس. الجو هنا أدفأ قرب النار وكل شيء على ما يرام. أرح تلكما القدمين المتعبتين، فأنت توترني».

زمجر العملاق وهو يقترب، مهيبًا كبيت ضخم مضرَّج بالدماء، يطل على الكلبُ: «أجلس؟ كيف لي أن أجلس، أو تجلس أنت كذلك؟ (عبس وهو ينظر إلى الأنقاض والأشجار بعدها من تحت حاجبيه الثقيلين) أنت متأكد أن هذا هو المكان؟».

- هذا هو المكان. (ونظر الكلبُ حوله إلى الحجارة المحطمة، متمنيًا بشدة أن يكون كذلك. لم يستطع إنكار أنه لم يظهر عليهم أي أثر حتى الآن) سيأتون، لا تقلق.

فكَّر، هذا إن لم يكونوا قد قُتلوا جميعًا، لكنه كان حكيماً بما يكفي ليحتفظ بها لنفسه. قضى وقتًا كافيًا في السير مع تال دورو الرأس العاصف ليعرف أنه يجب عدم إثارة هذا الرجل. إلا إذا أراد تحطيم رأسه بالطبع.

- الأفضل لهم أن يكونوا هنا قريبًا. (كُور تال يديه المدممتين الضخمتين والمناسبتين لتكسير الصخور) ليس لي أي ميل للجلوس هنا مكتوف اليدين، مكشوف الظهر للرياح!

قال الكلبِيُّ وهو يُظهر كفيه ويبدل قصارى جهده لإبقاء كل شيء لطيفًا: «ولا أنا أيضًا، لكن لا تقلق أيها الفتى الكبير. سيصلان قريبًا جدًّا، تمامًا كما خططنا. هذا هو المكان».

كان يراقب الخنزير المشوي، تتساقط منه المرقعة الشهية في النار. سال اللعاب من فمه الآن، وامتلأ أنفه برائحة اللحم... وشيء آخر بجانبه. مجرد نفحة. رفع رأسه، يشم الهواء.

سأل تال، وهو يتفحص الغابة: «هل تشم شيئًا؟».

انحنى الكلبِيُّ وأمسك قوسه: «شيئًا ما، ربما».

- ما هو؟ شانكا؟

- لست متأكدًا، من الممكن.

شم الهواء مرة أخرى. كانت رائحة رجل، رجل كرية الرائحة وبشدة.

- كان بإمكانني قتلكما، أيها اللعينان!

استدار الكلبِيُّ بسرعة، كاد يسقط وهو يحاول الإمساك بقوسه. كان الضَّوُّ الأسود خلفه على بعد عشر خطوات، يقف عكس اتجاه الريح، يتسلل نحو النار بابتسامة خبيثة. وقف الجَهْم وراءه، وجهه خالٍ من أي تعبير كالجدار كالمعتاد.

صاح تال: «أيها الأوغاد! كدتُ أتغوَّط على نفسي من تسلككما هذا!».

قال الضَّوُّ بسخرية: «هذا جيد، يمكنك أن تخسر البعض من الشحم اللعين».

أخذ الكلبِيُّ نفسًا طويلًا وألقى قوسه أرضًا. شعر ببعض الراحة لكونهم في المكان الصحيح رغم كل شيء، لكنه كان سيكتفي بذلك دون إخافته. كان مضطربًا منذ أن رأى لوِجَن يسقط من حافة الجرف. تدرج وسقط ولم يكن بإمكان أحد فعل شيء له. الموت يمكن أن يحدث لأي شخص في أي لحظة، وهذه حقيقة.

صعد الجَهَم بصعوبة على الحجارة المهشمة وجلس بجوار الكلبِيّ، وأوماً له بأقل حركة. صاح الضُّو: «أهذا لحم؟»، وأزاح تال جانباً وألقى بجسده جوار النار، ومزق ساقاً من الذبيحة غرز فيها أسنانه.

وهكذا كان كل شيء. هذه كانت كل التحية بعد شهر أو أكثر من الغياب عن بعضهم بعضاً. تمتم الكلبِيّ من زاوية فمه: «رجل لديه أصدقاء هو رجل غني حقاً».

- ماذا قلت؟

بصق الضُّو، وحقق إليه بعينين باردتين، وفم ممتلئ بلحم الخنزير، وذقنه القذرة تلتمع بالدهن المتساقط.

أظهر الكلبِيّ كفيه مرة أخرى: «لا يوجد ما يدعو للإهانة». قضى ما يكفي من الوقت في السير مع الضُّو الأسود ليعرف أنه من الأفضل أن تقطع رقبتك عن أن تُغضب ذلك الوغد الشرير. سأل وهو يتطلع إلى تغيير الموضوع: «هل حدثت أي مشكلة في أثناء انفصالنا؟».

أوماً الجَهَم: «البعض».

زمجر الضُّو: «مسطحو الرؤوس اللعينون! (وتناثرت قطع اللحم على وجه الكلبِيّ) إنهم منتشرون في كل مكان! (وأشار بساق الخنزير عبر النار وكأنها نصل) لقد اكتفيت من هذا الهراء! سأعود إلى الجنوب. على الأقل البارد اللعين هناك أقل النصف، ومسطحو الرؤوس اللعناء في كل مكان! اللقطاء! أنا ذاهب جنوباً!».

سأل تال: «أأنت خائف؟».

استدار الضُّو لينظر إليه بابتسامة صفراء كبيرة، وجفّل الكلبِيّ. كان ذلك سؤالاً أحمق. لم يشعر الضُّو الأسود بالخوف قط طوال حياته. لم يكن يعرف الشعور بالخوف.

- خائف من بعض الشانكا؟ أنا؟ (أصدر ضحكة بغیضة) قمنا ببعض العمل عليهم، وأنتما تغطان. وضعنا بعضهم في أسرة دافئة ليناموا فيها.

تمتم الجَهَم: «أشعلنا بهم النيران». كان ذلك ما سيقوله ليوم كامل. هسهس الضُّو مبتسماً وكأنه لم يعجبه أي من النكات مثل نكتة عن الجثث المشتعلة: «لقد أحرقنا كومة كاملة منها، إنهم لا يخيفونني أيها الفتى الكبير،

ليس الأمر كذلك، لكنني لا أنتوي الجلوس هنا في انتظارهم كذلك، فقط حتى يتمكن ثريتريز من إيقاظ مؤخرته العجوز المترهلة من السرير. أنا ذاهب إلى الجنوب! (ونهش اللحم ليملاً فمه مرة أخرى)».

- من هذا الذي يمتلك مؤخرة مترهلة؟

ابتسم الكلبُ عندما رأى ثريتريز يتجه نحو النار، فنهض وأمسك بيد الصبي الكبير. كان فورلي الأضعف معه، صَفَّق الكلبُ على ظهر الرجل الصغير عند مروره فكاد يطرحه أرضاً، وكان سعيداً جداً برؤيتهم جميعاً على قيد الحياة وقد نجوا شهراً آخر. ولم يؤلم وجود بعض القيادة حول النار أيضاً. بدا الجميع سعداء لمرة أخيرة، وهم يبتسمون ويتصافحون أو ما شابه. الجميع عدا الضَّوُّ بالطبع. جلس هناك، يحدق إلى النار، ويمتص عظمته، ووجهه عابس كالحليب الفاسد.

- من الجيد رؤيتكم سالمين مرة أخرى يا رفاق. (رفع ثريتريز درعه المستديرة الكبيرة عن كتفه واستند إلى جدار قديم متهدم) كيف حالكم؟

قال الضَّوُّ دون أن يرفع عينيه حتى: «البرد شديد. سنتجه جنوباً».

تنهد الكلبُ. فقد بدأت المشاحنات ولم تمر حتى عشر ثوانٍ. وسيكون الحشد صعباً الآن، من دون وجود لوجن لإبقاء الأمور مستقرة. حشد صعب فعلاً وقابل لسفك الدماء. ومع ذلك، لم يكن ثريتريز متعجلاً لشيء. استغرق لحظة للتفكير في الأمر، كما اعتاد دائماً. لقد أحب أن يأخذ وقته. وهذا ما جعله خطراً جداً. قال ثريتريز، بعد أن هضم الجملة جيداً: «سنذهب جنوباً، هاه؟ ومنذ متى تَقَرَّر هذا؟».

قال الكلبُ وهو يُظهر كفيه مرة أخرى: «لم يتقرر شيء». أدرك أنه ربما سيفعل ذلك كثيراً من الآن فصاعداً.

عبس تال دورو نحو الضَّوُّ من الخلف وتمتم منزعجاً بشدة من اتخاذ قراره لأجله: «لم يتقرر شيء على الإطلاق».

قال ثريتريز، ببطء وثبات كعشب ينمو: «لا شيء فعلاً، لا أتذكر أن هذه أصبحت فرقة للتصويت».

ولم يستغرق الضَّوُّ أي وقت على الإطلاق للتفكير. لم يستغرق وقتاً مطلقاً، وهذا ما جعله خطراً جداً. قفز واقفاً، وألقى العظمة على الأرض، ووقف

أمام ثريتريز بنظرة قتالية وزمجر، بعينين جاحظتين كفقاعات على سطح الحساء: «أنا... أقول... جنوبًا!».

لم يتراجع ثريتريز خطوة. لم يكن هذا أسلوبه على الإطلاق. استغرق لحظة للتفكير بالطبع، ثم أخذ خطوة للأمام هو الآخر، حتى كاد أنفه وأنف الضوّ يتلامسان. زمجر قائلًا: «إذا أردت أن يكون لك رأي، كان ينبغي لك أن تهزم الأصابع التسع، بدلًا من الخسارة مثلنا».

تحول وجه الضوّ الأسود إلى لون داكن كالقطران عندما ذكر هذا. لم يكن يحب أن يُذكَر بالخسارة وزمجر: «لقد عاد التسع الدموية إلى الوحل! لقد رآه الكلبّي، أليس كذلك؟».

كان على الكلبّي أن يومئ برأسه ويتمتم: «بلى».

- وهذه هي نهاية الأمر! ليس هناك سبب يجعلنا نبقي للتبول هنا، شمال الجبال، حيث ينتشر مسطحو الرؤوس! أنا أقول جنوبًا!

قالت ثريتريز في وجه الضوّ: «قد يكون الأصابع التسع قد انتهى، لكن دَيْنُكَ لم ينتهِ. لا أرى لماذا أبقى على رجل بلا قيمة مثلك، هذا لن أعرفه أبدًا، لكنه جعلني الرجل الثاني بعده، (ونقر على صدره الكبير) وهذا يعني أنني صاحب الكلمة! أنا ولا أحد غيري!».

اتخذ الكلبّي خطوة حذرة إلى الوراء. بدا الاثنان يستعدان لتبادل الضربات، ولم يرغب في الحصول على أنف مكسور وسط كل هذا الارتباك. فلن تكون المرة الأولى. غامر فورلي بمحاولة للحفاظ على السلام. قال بصوت لطيف وناعم: «هيا يا شباب، ليس هناك داع لهذا. (ربما لم يكن فورلي بارعًا في القتل، لكنه كان جيدًا في منع أولئك من قتل بعضهم بعضًا. وتمنى الكلبّي له كل التوفيق في ذلك) هيا، لماذا لا...».

زمجر الضوّ، وأشار بإصبعه القذرة في وجه فورلي بوحشية: «أغلق فمك اللعينة، يا أنت! ماذا يساوي رأيك اللعين، أيها الأضعف؟».

زمجر تال وهو يضع قبضته الكبيرة تحت ذقن الضوّ: «دعه وشأنه! وإلا سأعطيك شيئًا تصرخ لأجله!».

بالكاد تمكن الكلبّي من النظر. كان الضوّ وثريتريز يفتعلان المشكلات مع بعضهما بعضًا. ثارا بسرعة وهذا بسرعة. أما الرأس العاصف فكان حيوانًا مختلفًا. بمجرد أن يثور هذا الثور الكبير، فلم يكن هناك ما يهدئه. ولا

حتى بعشرة رجال أقوىاء وكثير من الحبال. حاول الكلبى أن يفكر فيما كان سيفعله لو جن. كان سيعرف كيف يمنعهم من القتال، لو لم يكن ميتاً.

صاح الكلبى، وهو يقفز من النار فجأة: «تباً! الشانكا اللعينة تزحف في كل مكان حولنا! وإذا انتهينا منهم، فبيثود دائماً موجود للتفكير في أمره! لدينا عالم ممتلئ بالنزاعات التي تحتاج إلى تسويتها دون الحاجة إلى خلق المزيد بأنفسنا! لقد ذهب لو جن وثريتريز هو الثاني بعده، وهذا هو آخر ما سأسمعه هنا!».

وأخذ يطعن بإصبعه في الهواء، دون أن يشير به لأحد على وجه الخصوص، ثم انتظر، أملاً أن يكون قد أتم المهمة.

شخر الجهم: «نعم».

أوما فورلي مثل نقار الخشب: «الكلبى على حق! نحن في غنى عن قتال بعضنا بعضاً! ثريتريز هو الثاني. هو الزعيم الآن».

ساد الهدوء للحظة، وثبتت الضو نظره على الكلبى بنظرة باردة وقاتلة، مثل قط بين كفوفه فأر. ابتلع الكلبى. الكثير من الرجال، بل معظم الرجال، لن يجرؤوا على النظر هكذا إلى الضو الأسود. فقد اكتسب هذا الاسم من كونه صاحب السمعة الأكثر سواداً في الشمال، فكان يأتي فجأة في سواد الليل، ويترك القرى خلفه سوداء من النار. كانت تلك هي الإشاعة. كانت تلك هي الحقيقة.

احتاج الكلبى إلى كل ذرة في جسده حتى لا يحدق إلى حذائه. وكان سيفعل ذلك عندما أشاح الضو بنظره نحو الآخرين، واحداً تلو الآخر. معظم الرجال لن يقابلوا تلك النظرة، لكن هؤلاء هنا لم يكونوا معظم الرجال. لم يكن هناك حشد أكثر دموية منهم، ليس في أي مكان تحت الشمس. ولم يتراجع أحد منهم، أو حتى بدا أنه يفكر في ذلك. وبصرف النظر عن فورلي الأضعف، بالطبع، كان يحدق إلى العشب قبل أن يأتي دوره.

وبمجرد أن رأى الضو أنهم جميعاً ضده، رسم ابتسامة سعيدة، تماماً كما لو لم تكن هناك مشكلة على الإطلاق، وقال لثريتريز، وبدا أن الغضب كله تلاشى في لحظة: «هذا عادل بما يكفي، ماذا سنفعل إذن أيها الرئيس؟».

نظرت ثريتريز إلى الغابة. استنشقت وامتنص أسنانه. حَكَّ لحيته، وأخذ وقته للتفكير في الأمر. نظر إلى كل واحد منهم وهو يفكر. قال: «سنتوجه جنوبًا».

استطاع شمهم قبل أن يراهم، ولكن هذا هو المعتاد منه. كان ذا أنف حاد، ولهذا سُمِّي الكلبِيَّ، وهكذا حصل على الاسم على أي حال. لكن صراحةً، بإمكان أي شخص أن يشمَّهم. فرائحتهم كانت كريهة للغاية.

كان هناك اثنا عشر منهم في تلك الفسحة. جالسين، يأكلون، يتذمرون فيما بينهم بلغتهم القذرة البغيضة، أسنانهم الصفراء الكبيرة بارزة من كل مكان، يرتدون كتلاً من الفراء النتن والجلود العفنة، وأجزاء عشوائية من الدروع الصدئة. الشانكا.

تمتم الكلبِيُّ لنفسه: «مسطحو الرأس اللعناء». سمع صوت هسهسة خفيفة خلفه، فاستدار ليرى الجَهم يطل من خلف شجيرة. مدَّ يده ليشير إليه بالتوقف، ثم نقر أعلى جمجمته ليقول مسطحي الرأس، ورفع قبضته ثم إصبعين ليشير إلى «اثني عشر»، وأشار بيده نحو الطريق المؤدي إلى الآخرين. أوما الجَهم برأسه واختفى في الدغل.

ألقي الكلبِيُّ نظرة أخيرة على الشانكا، ليتأكد أنهم ما زالوا غافلين. كانوا كذلك، فانزلق بهدوء عن الشجرة وغادر.

- إنهم يخيمون حول الطريق، عدت اثني عشر منهم، وربما أكثر.

سأل ثريتريز: «هل يبحثون عنا؟».

- ربما، لكنهم لا يبحثون بجدية كبيرة.

سأل فورلي الذي رغب دائماً في الهروب من القتال: «هل يمكننا الالتفاف حولهم؟».

بصق الضَّوُّ على الأرض، الذي سعى دائماً للدخول في القتال: «اثنا عشر لا شيء! يمكننا القضاء عليهم بسهولة!».

نظر الكلبِيُّ إلى ثريتريز، وهو يفكر في الأمر، ويأخذ وقته. اثنا عشر ليسوا لا شيء، وكلهم يعرفون ذلك، ولكن قد يكون الأفضل التعامل معهم بدلاً من تركهم أحراراً خلفهم.

سأل تال: «ماذا سنفعل يا زعيم؟».

استعد ثريتريز فگه: «أعدوا الأسلحة».

المقاتل الأحمق هو من لا يحافظ على أسلحته نظيفة وجاهزة. كان الكلبى قد أنهى تفحص أسلحته قبل أقل من ساعة. ومع ذلك، لن يقتلك إن فحصتها مرة أخرى، لكن قد يقتلك عدم فعل ذلك.

كان هناك صوت فحيح الفولاذ بالجلد، وصوت نقر الخشب الخافت، وقرقرة المعدن. راقب الكلبى الجهم وهو يشد وتر قوسه، ويتفحص ريش سهامه. ثم راقب تال دورو وهو يمرر إبهامه على حافة سيفه الثقيل الكبير، الذي كاد يبلغ طول فورلي، يتذمر كالدجاجة بسبب بقعة صدأ. شاهد الضو الأسود وهو يدعك رأس فأسه بقطعة قماش، ينظر إلى النصل بأعين مُحِبِّ. وتابع ثريتريز وهو يشد أبازيم درعه، ويتلاعب بسيفه في الهواء، ملتعمًا في ضوء الشمس.

تنهد الكلبى وشدَّ أحزمة درعه حول معصمه الأيسر، ثم تفحص خشب قوسه بحثًا عن أي تشققات. تأكد أن كل سكاكينه في أماكنها. قال له لوچن ذات مرة: «لا يمكن أن تمتلك سكاكين أكثر من اللازم»، وقد ترسخ ذلك في قلبه. شاهد فورلي وهو يتفحص سيفه القصير بأيدي مرتبكة، وهو يمضغ شفتيه، وعيناه مبللتان من الخوف. هذا جعل أعصاب الكلبى تتوتر، فألقى نظرة على البقية. كانوا جميعًا متسخين، ذوي ندوب، وجوههم عابسة ولحاهم كثيفة. لم يكن هناك خوف في أعينهم، ولا ذرة خوف واحدة، لكن ذلك لم يكن شيئًا يدعو للخلج. قال له لوچن ذات مرة: «لتمتلك الشجاعة لا بد أن تمتلك الخوف»، وقد ترسخ ذلك في قلب الكلبى أيضًا.

اقترب من فورلي وربت على كتفه قائلاً: «لتمتلك الشجاعة لا بد أن تمتلك الخوف».

- هل هذا صحيح؟

- هكذا يقولون، وهذا أمر جيد أيضًا. (انحنى الكلبى بالقرب حتى لا يتمكن أحد من سماعه) لأنني على وشك التغوط على نفسي.

اعتقد أن هذا ما كان سيفعله لو جن، والآن بعد أن عاد لو جن إلى الوحل فهذا الدور قد سقط عليه. ابتسم فورلي نصف ابتسامة، لكنها تلاشت بسرعة، وبدا خائفًا أكثر من أي وقت مضى. ليس بوسعك سوى ما تقدر عليه.

قال ثريتريز، بمجرد انتهائهم من فحص جميع المعدات وحزمها في أماكنها: «حسنًا يا أولاد، إليكم كيف سننجز الأمر. الجهم والكلبي، ستكونان على الأجناب المتقابلة من معسكرهم، داخل الأشجار. انتظرا الإشارة، ثم أطلقا أسهمكما على أي مسطح رأس يمسك بقوس. إذا فشل ذلك، فأيا كان الأقرب». قال الكلبي: «حسنًا أيها الزعيم». وأوما الجهم.

- تال، أنت وأنا سنأخذ المقدمة، لكن انتظر الإشارة، حسنًا؟
هدر العملاق: «حسنًا».

- الضو، أنت وفورلي في الخلف. ستتقدمان عندما تروننا نتحرك. (وهسهس ثريتريز، وهو يطعن بإصبعه الغليظة) لكن انتظرانا بعد أن نذهب!

هز الضو كتفيه، وكأنه يفعل دائمًا ما يُؤمر به: «بالطبع، أيها الزعيم». - إذا، هكذا سنقوم بالأمر، هل ما زال أحدكم في حيرة من أمره؟ هل ثمة عقول خاوية حول النار؟ (تمتم الكلبي وهز رأسه كما فعلوا جميعًا) هذا جيد بما يكفي إذن. شيء آخر أخير. (انحنى الولد العجوز للأمام، ونظر إلى كل منهم الواحد تلو الآخر) انتظروا... الإشارة... اللعينة!

لم يدرك الكلبي إلا بعد أن اختبأ خلف شجيرة وقوسه في يده ورمحه جاهز أنه ليس لديه أي فكرة عن ماهية الإشارة. نظر إلى أسفل على الشانكا، ما زالوا جالسين لا يدرون شيئًا، ينخرون ويصرخون ويضربون بعضهم. وجد نفسه يحتاج إلى التبول. دائمًا بحاجة إلى التبول قبل القتال. هل قال أحدهم ما هي الإشارة؟ لم يستطع التذكر.

همس قائلًا: «اللعنة»، عندها خرج الضو مندفعًا من بين الأشجار، حاملًا فأسًا في يد، وسيفًا في اليد الأخرى. وصرخ: «مسطحو الرأس اللعناء!».

وجه ضربة مروعة لأقربهم على رأسه، فتناثرت الدماء في الفسحة. وبقدر ما يمكن تخمين ما يفكر فيه الشانكا، بدا هؤلاء مدهوشين للغاية. رأى الكلبي أن هذا سيكون كافيًا كإشارة.

أطلق سهمه نحو أقرب مسطح رأس كان يمد يده نحو هراوة كبيرة، ورأى السهم يصيبه تحت إبطه بصوت ارتطام عميق ومرض. صاح: «هاه!» ورأى الضَّوُّ يغرز سيفه في ظهر آخر، لكن كان هناك شانكا ضخمة يحمل رمحًا كان على وشك إلقائه. انطلق سهم من بين الأشجار واخترق عنق الشانكا، فصرخ وسقط للخلف مترنخًا. كان الجَهم راميًا ماهرًا بحق.

ثم انطلق ثريتريز هادرًا من بين الشجيرات على الجانب الآخر من الفسحة، مباغتهم على حين غرة. صدم أحد الرؤوس المسطحة بدرعه من الخلف، فسقط بوجهه في النار، ثم اخترق آخر بسيفه. أطلق الكلبِيُّ سهمًا آخر فأصاب أحد الشانكا في بطنه. سقط على ركبتيه، فأطاح تال برأسه بضربة قوية من سيفه.

اشتعلت المعركة بسرعة؛ ضربة، تنهيدة، حكة، قرقة. دماء تتطاير، أسلحة تتأرجح، جثث تتساقط بسرعة لم تُمكن الكلبِيُّ من إطلاق سهم آخر. حاصر الثلاثة بقيتهم، يتخبطون ويصيحون. كان تال دورو يُلَوِّح بسيفه الضخم، مُبقيهم مكانهم، وانقض ثريتريز باترًا ساق أحدهم، ثم جاء الضَّوُّ وقطع آخر وهو يلتفت.

صرخ آخرهم وهرب نحو الأشجار. أطلق الكلبِيُّ سهمًا نحوه، لكنه تعجَّل فأخطأ هدفه. كاد السهم يصيب الضَّوُّ في ساقه، لكن لحسن الحظ لم يلحظ ذلك. كاد الهارب يصل إلى الشجيرات، لكنه أطلق صرخة وسقط للوراء وهو يتخبط. طعنه فورلي وهو مختبئ في الشجيرات. صاح: «قتلت أحدهم!».

بينما ساد الهدوء للحظة، اندفع الكلبِيُّ نحو الفَسْحَةِ الخالية وبحثوا جميعهم عن أي شيء متبقٍّ للقتال، ثم أطلق الضَّوُّ الأسود خوارًا عظيمًا، وهز أسلحته المضرجة الدموية فوق رأسه: «لقد قتلناهم!».

صاح ثلاثتهم: «كدت تقتلنا جميعًا أيها الأحمق اللعين!».

- إيه؟

- ماذا عن الإشارة للعينة؟

- اعتقدت أنني سمعتك تصرخ!

- لم أفعل قط!

- أهذا صحيح؟ (سأل الضَّوُّ يبدو في حيرة كبيرة) ما هي الإشارة على أية حال؟

تنهد ثريتريز ووضع رأسه بين يديه.

كان فورلي ما زال يحدق إلى سيفه وقال مرة أخرى: «قتلت أحدهم!». الآن بعد أن انتهى القتال، كان الكلبى على وشك الانفجار، لذلك استدار وتبول على شجرة.

صاح تال وهو يصفق على ظهره: «لقد قتلناهم!».

صاح الكلبى: «انتبه!» وبال على ساقه. ضحكوا جميعاً عليه لذلك. حتى الجَهم كان يضحك قليلاً.

مسك تال كتف ثريتريز وهزه: «لقد قتلناهم أيها الزعيم!».

قال وقد بدا عابساً: «قتلنا هؤلاء، نعم، ولكن سيأتي الكثيرون. الآلاف. ولن يكتفوا بالبقاء هنا أيضاً، هنا خلف الجبال. عاجلاً أم آجلاً سيتجهون جنوباً. ربما في الصيف، عندما تنفتح الممرات، ربما لاحقاً. لكن لن يطول الأمر».

نظر الكلبى إلى الآخرين، الذين أصبحوا مُراوغين وقلقين بعد هذا الخطاب القصير. لم تَدُم حلاوة الانتصار طويلاً. لم تفعل قط. نظر حوله إلى قتلى مسطحي الرأس على الأرض، منهم المُقَطَّع والمُلَطَّخ بالدماء، والمُمَدَّد والمُكَوَّم. بدا ما حققوه الآن وكأنه انتصار صغير أجوف. سأل: «أليس علينا إخبارهم يا ثريتريز؟ أليس علينا تحذير أحد ما؟».

ابتسم ثريتريز قليلاً بحزن: «نعم. ولكن من؟».

طريق الحب الحقيقي

شَقَّ چيزال طريقه بائسًا عبر ساحة الأجيوننت الرمادية، حاملاً سيوف المبارزة في يده: يتتأهب ويتعثّر ويتذمر، ما زال يعاني آلامًا شديدة جراء الركض الطويل في اليوم السابق. بالكاد استطاع رؤية أحد وهو يجر قدميه إلى حصة التنمر اليومية التي يتلقاها من اللورد مارشال فاروز. باستثناء زقزقة بعض الطيور المبكرة فوق الجملونات، والصوت المتردد لاحتكاك حذائه بالأرض، كان الصمت يسود المكان. لم يكن هناك أحد مستيقظ في هذه الساعة. ولا ينبغي لأحد أن يكون مستيقظًا في هذه الساعة. هو أقل الناس استحقاتًا لذلك.

جرَّ ساقيه المتعبتين خلال المدخل المقوس وعبر النفق. بالكاد كانت الشمس قد ظهرت فوق الأفق، وكانت الساحة التي تلت النفق غارقة في ظلال كثيفة. وهو يحدق إلى الظلام، استطاع أن يرى فاروز جالسًا إلى الطاولة ينتظره. تبًا. كان يأمل أن يصل مبكرًا هذه المرة. هل ينام هذا العجوز أصلًا؟ صاح چيزال وهو يركض فاترًا: «اللورد المارشال!».

- لا. ليس اليوم.

تسللت قشعريرة إلى رقبة چيزال. لم يكن ذلك صوت معلمه في المبارزة، ولكن كان به شيء مألوف وغير سار.

- المارشال فاروز مشغول بأمور أكثر أهمية هذا الصباح.

جلس المحقق جلوكتا في الظلال بجوار الطاولة وأظهر ابتسامته المقرزة ذات الفلجيات الواسعة. اقشعرت بشرة چيزال بلاشمتزاز. بالكاد ما يحتاج إليه المرء في بداية الصباح.

تباطأ في سيره على مضض وتوقف بجوار الطاولة. قال الأعرج: «لا شك أنك ستسعد عندما تعلم أنه لن يكون هناك جري، أو سباحة، أو عارضة، أو قضيب ثقيل اليوم. لن تحتاج حتى إلى تلك. (ولوح بعصاه باتجاه سيوف تبارزه) سنُجري محادثة قصيرة فحسب. هذا كل شيء».

بدت فجأة فكرة قضاء خمس ساعات من عقاب فاروز جذابة للغاية، لكن جيزال لم يُظهر انزعاجه. ألقى سيوفه على الطاولة بصوت عالٍ وجلس بلا مبالاة على الكرسي الآخر، وكان جلوكتا ينظر إليه من الظل طوال الوقت. أراد جيزال التحديق إليه حتى يُخضعه، لكن ذلك كان تفكيرًا عبثيًا منه. بعد بضع ثوانٍ من النظر إلى ذلك الوجه الضائع، وتلك الابتسامة الفارغة، وتلك الأعين الغائرة المتوهجة بالحمى، وجد سطح الطاولة أكثر إثارة للاهتمام.

- أخبرني أيها النقيب، لماذا تمارس المبارزة؟

هذه لعبة إذن. دور من الورق بلاعبين فقط. وكل ما سيقال سيُنقل إلى فاروز بالطبع. سيتحتم على جيزال أن يلعب دوره بحذر، وأن يُبقي أوراقه قريبة ويستحضر ذكاءه معه. قال ببرود: «من أجل شرفي، وشرف عائلتي، وشرف ملكي».

فليحاول الأعرج أن يجد خطأ في هذه الإجابة.

- آه، إذن فأنت قد وضعت نفسك في كل هذا لمنفعة وطنك. يا لك من مواطن صالح. يا للإيثار. يا لك من مثل أعلى لنا جميعًا. (شخر جلوكتا) من فضلك! إذا كنت ستكذب، فاختر كذبة تصدقها أنت على الأقل. هذه الإجابة إهانة لكينا.

كيف يجرؤ هذا الأذرد على محادثته بهذه النبوة؟ ارتعشت ساقا جيزال. كان على وشك النهوض والابتعاد، اللعنة على فاروز وعميله القبيح. لكن لفت نظره الأعرج وهو يضع يديه على ذراعي الكرسي ليدفع نفسه للأعلى. كان جلوكتا يبتسم له ابتسامة ساخرة. مغادرته ستعني الاعتراف بالهزيمة بشكل ما. لماذا أخذ المبارزة على أي حال؟!

- أرادني والدي أن أقوم بذلك.

- لذلك إذًا. قلبي يفيض بالتعاطف. ابن مخلص، ملتزم بشعوره القوي بالواجب، ومُضطر إلى تحقيق طموحات والده. حكاية مألوفة، كالكرسي

القديم المريح الذي نحب الجلوس عليه جميعًا. أخبره بما يريد سماعه، أليس كذلك؟ إجابة أفضل، لكنها بعيدة كل البعد عن الحقيقة.

قال چيزال عابسًا: «لَمْ لا تخبرني إذن؟ ما دمت تبدو عارفًا بالكثير عنها!». - حسنًا، سأفعل. الرجال لا يبارزون من أجل ملكهم، أو من أجل عائلاتهم، أو من أجل التدريب أيضًا، قبل أن تُجَرَّب تلك الإجابة معي. إنهم يبارزون من أجل التَمَيُّز والمجد. إنهم يبارزون ليرتقوا. إنهم يبارزون لأنفسهم. أنا أفضل من يعرف.

شخر چيزال: «أفضل من يعرف؟ يبدو أن ذلك لم ينجح معك». ندم على ذلك على الفور. اللعنة على لسانه، أوقعه في كل أنواع المشكلات. لكن جلوكتا أظهر ابتسامته المثيرة للاشمئزاز مرة أخرى: «نجح بشكل جيد، حتى وجدت طريقي لسجون الإمبراطور. ما عذرك أنت أيها الكاذب؟». لم يعجب چيزال بالطريقة التي جرت بها هذه المحادثة. كان معتادًا الانتصارات السهلة على طاولة الورق واللاعبين الضعفاء. لكن مهاراته ضَعُفَتْ. الأفضل له أن يراقب حتى يتمكن من قياس قدرات خصمه الجديد. أغلق فمه ولم يقل شيئًا.

- الأمر يتطلب عملاً شاقًا، بالطبع، الفوز بالمسابقة. كان يجب أن ترى صديقنا المشترك كوليم ويست وهو يعمل. كان يتصيب عرقًا من أجل ذلك لعدة أشهر، وبينما كان هو يركض، كنا نضحك عليه. هذا العاميُّ الأحمق الذي يتنافس مع من يفوقونه، هذا ما اعتقدناه جميعًا. يتخبط في حركاته، ويتعثّر على العارضة، وتتنمر عليه، مرارًا وتكرارًا، يوميًا بعد يوم. لكن انظر إليه الآن. (نقر جلوكتا على عصاه بإصبعه) وانظر إليّ. يبدو أنه من ضحك أخيرًا، هاه، أيها النقيب؟ هذا يُظهر ما يمكنك تحقيقه بقليل من العمل الشاق. أنت تمتلك ضعف موهبته، ولديك الدم المناسب. ليس عليك أن تعمل حتى عُشر ما عمله، لكنك ترفض أن تعمل مطلقًا.

لم يكن چيزال ليترك ذلك يمر: «لا أعمل على الإطلاق؟ ألا أُعَرِّض نفسي لهذا التعذيب كل يوم...».

سأل جلوكتا بحدة: «تعذيب؟».

أدرك جيزال بعد فوات الأوان اختياره المؤسف للكلمات. تمت: «حسنًا، أقصد...».

- أعرف أكثر من قليل عن المبارزة وعن التعذيب. وصدقني عندما أقول، (واتسعت ابتسامة المحقق البشعة) إنهما شيئان مختلفان تمامًا.

قال جيزال، وهو لا يزال غير متوازن: «ارر...».

- لديك الطموح والوسيلة لتحقيقه. بقليل من الجهد ستصل إليه. وبعد بضعة أشهر من العمل الشاق، ربما لن تحتاج أبدًا إلى عمل أي شيء آخر في حياتك، إذا كان هذا ما تريد. بضعة أشهر قصيرة، وستكون جاهزًا. (لعق جلوكتا لثته الفارغة) باستثناء الحوادث بالطبع. هذه فرصة عظيمة عُرضت عليك. سأغتنمها، لو كنت مكانك، لكن لا أعرف، لربما أنت أحمق مثلما أنت كاذب.

قال جيزال ببرود: «أنا لست أحمق». كان هذا أفضل ما أمكنه الرد به.

رفع جلوكتا حاجبه، ثم جفل وهو يتكئ بشدة على عصاه ويدفع نفسه ببطء على قدميه: «تخلّ عن الأمر إن شئت، بالطبع. اجلس لبقية أيامك تشرب وتتحدث لغواً مع باقي الضباط الصغار. هناك الكثيرون ممن سيسعدون للغاية بتلك الحياة، الكثيرون ممن لم تتح لهم الفرص التي أُتيحت لك. تخلّ عن الأمر. سيكون اللورد مارشال فاروز خائب الأمل، وكذلك الرائد ويست، ووالدك، وغيرهم، لكن صدقني حين أقول لك (وانحنى مبتسمًا ابتسامته المروعة) إنني لا أبالي مطلقًا. يومك سعيد أيها النقيب لوثر».

وعرج جلوكتا باتجاه الممر.

بعد تلك المقابلة غير المبهجة، وجد جيزال أن لديه بضع ساعات من الفراغ غير المتوقع، لكنه بالكاد كان في مزاج مناسب للاستمتاع بها. تجول في الشوارع والساحات والحدائق الخاوية في الأجيوننت، يفكر عابثًا فيما قاله له ذلك الأعرج، يلعن اسم جلوكتا، لكنه لم يستطع طرد الحديث من عقله تمامًا. ظل يُقلِّبه مرارًا وتكرارًا، مسترجعًا كل عبارة، ويجد ردودًا كان يمكنه أن يقولها. لو فقط خطر بباله ذلك في حينه.

- آه، النقيب لوثر!

انتفض چیزال ونظر إلى أعلى. كان هناك رجل لا يعرفه يجلس على العشب الندي تحت شجرة، ويبتسم له وفي يده تفاحة نصف مأكولة. قال مبتسمًا: «أجد الصباح الباكر وقتًا مثاليًا للتنزه. هادئ ورماذي ونظيف وخالٍ من الناس. لا يشبه شيئًا ذاك الوردى المبهرج فى المساء، بكل تلك الفوضى، وكل هؤلاء يأتون ويذهبون. كيف للمرء أن يفكر وسط كل تلك الضوضاء؟ الآن أراك تشاركنى الرأي نفسه. كم هو رائع».

ثم أخذ قضمة كبيرة من التفاحة.

- هل أعرفك؟

قال الغربى وهو يقف على قدميه ويزيل بعض الأوساخ عن مقعدته على بنطاله: «أوه، لا، لا، ليس بعد. اسمى سالفور، يورو سالفور».

- حقًا؟ وما الذى أتى بك إلى الأجيونت؟

- يمكنك القول إننى أتيت فى مهمة دبلوماسية.

نظر إليه چیزال محاولاً تحديد أصله: «مهمة ممّن؟».

قالها سالفور بشكل غير مفيد: «من سيدى، بالطبع».

لاحظ چیزال أن عينيه كانتا بلونين مختلفين. رأى أنها سمة قبيحة ومنفرة.

- وسيدك هو؟

- رجل حكيم وقوى للغاية. (قضم اللب بأسنانه وألقاه فى الشجيرات،

ومسح يديه بمقدمة قميصه) أرى أنك كنت تبارز.

نظر چیزال إلى سيوفه. وقال: «نعم (ثم أدرك أنه وصل إلى قرار أخيرًا)

لكنها المرة الأخيرة. سأتخلى عنها».

- عزيزى، لا! (أمسك الغربى چیزال من كتفه) يا عزيزى، يجب ألا تفعل

ذلك!

- ماذا؟

- لا، لا! سيفزع سيدى إذا عرف ذلك. سيفزع! تخليك عن المبارزة يعنى

تخليك عن أكثر من ذلك! هذه هى الطريقة التى يلتفت بها انتباه

الجمهور إليك، أتدرك ذلك؟ فهم من يقررون فى النهاية. لا نبلى من

دون العوام، لا نبلى على الإطلاق! هم من يقررون!

- ماذا؟

نظر چيزال حوله بالحديقة، على أمل أن يرى حارسًا ليخبره أن هناك رجلًا مجنونًا خطيرًا كان طليقًا في الأجيوننت.

- لا، يجب ألا تتخلى عنها! لن أسمح بذلك! لا بالفعل! أنا متأكد أنك ستلتزم بها رغم كل شيء! عليك ذلك!

دفع چيزال يد سالفور عن كتفه: «من أنت؟».

- سالفور، يورو سالفور، في خدمتك. أراك مرة أخرى، أيها النقيب، في المسابقة، إن لم يكن قبل ذلك!

ولوح من فوق كتفه وهو يرحل.

حرق چيزال في إثره وفمه مفتوح قليلًا. صرخ غاضبًا: «تبًا!» وألقى بسيفيه على العشب. يبدو أن الجميع يريد التدخل في شؤونه اليوم، حتى الغرباء المجانين في الحديقة.

بمجرد أن ظن أن الوقت أصبح مناسبًا، ذهب چيزال لزيارة الرائد ويست. كان متأكدًا أنه سيجد تعاطفًا لديه، وكان يأمل بالتلاعب بصديقه ليجعله من يوصل الأخبار السيئة إلى اللورد مارشال فاروز بدلًا منه. تلك كانت مواجهة لا يرغب في خوضها إذا أمكنه تفاديها. طرق الباب وانتظر، ثم طرق مرة أخرى. فُتح الباب.

- النقيب لوثار! يا له من شرف لا يكاد يُحتمل!

تمتم چيزال: «أردى، (متفاجئًا بعض الشيء من وجودها) من الجيد رؤيتك مرة أخرى».

ولأول مرة، كان يعني ذلك حقًا. كانت مثيرة للاهتمام، وكان أمرًا جديدًا ومنعشًا أن يجد نفسه يهتم لما تقوله امرأة. وكانت جميلة جدًا أيضًا، لم يكن بإمكانه إنكار ذلك، ويبدو أنها تزدد جمالًا في كل مرة يراها. بالطبع، لم يكن بالإمكان حدوث شيء بينهما، بحكم صداقته مع ويست، ولكن لا ضرر من النظر، أليس كذلك؟

- أمم... هل شقيقك موجود؟

ألقت نفسها بلا مبالاة على المقعد جوار الجدار، ومدت ساقها، وبدا عليها الكآبة: «لقد خرج. دائمًا منشغل. منشغل جدًا عني».

كان احمرار وجنتيها واضحًا. لفتت انتباه جيزال زجاجة الخمر؛ كانت السدادة غائبة والنيبذ بمنتصفها: «هل أنت ثملة؟».

- إلى حد ما، (حدقت إلى كأس النيبذ نصف الملائنة عند مرفقها) ولكن في الغالب أشعر بالملل.

- الساعة لم تصل العاشرة بعد.

- ألا يمكنني الشعور بالملل قبل العاشرة؟

- تعرفين ما أعنيه.

- اترك الوعظ لأخي. يناسبه أفضل. وتناول مشروبًا. (ولوحت بيدها نحو الزجاجة) يبدو أنك تحتاج إلى واحد.

حسنًا، كان ذلك صحيحًا. صب كأسًا لنفسه وجلس على كرسي مقابل آردي، التي كانت تنظر إليه بعينين نصف مغمضتين. أخذت كأسها عن الطاولة. كان هناك كتاب سميك ملقى جانبه، مقلوب على وجهه. سأل جيزال: «ما رأيك بالكتاب؟».

- سقوط الصانع الأعظم، في ثلاثة مجلدات. يقولون إنه من أعظم الكلاسيكيات التاريخية. الكثير من الهراء الممل. (ضحكت ساخرة) يمتلئ بمجوس حكماء، وفرسان قساة بسيوف ضخمة، وسيدات بأثداء أكثر ضخامة. سحر، وعنف، ورومانسية بنسب متساوية. هراء مطلق. ألقت الكتاب عن الطاولة، فانقلب على السجادة وصفحاته تُفْقَع.

- لا بد أن هناك شيئًا يمكنك الانشغال به؟

- حقًا؟ ماذا تقترح؟

- بنات عمي يقمن بكثير من التطريز.

- اللعنة عليك.

قال جيزال مبتسمًا: «همم (لم تعد الشتائم تهينه مثل أول لقاء لهما) ماذا كنتِ تفعلين في منزلك بأنجلاند؟».

- أوه، المنزل (سقط رأسها على المسند الخلفي للمقعد) اعتقدت أنني كنت أشعر بالملل هناك. لم أستطع الانتظار حتى آتي هنا لمركز الأشياء المشرقة. الآن لا يمكنني الانتظار حتى أعود. وأتزوج بمزارع ما. وأنجب عشرة من الأشقياء. على الأقل سيصبح لدي من أتحادث

إليه في هذه الحياة. (أغلقت عينيها وتنهدت) لكن كوليم لن يسمح لي بذلك. إنه يشعر الآن بالمسؤولية تجاهي بعد أن مات والدنا. يعتقد أن ذلك خطر للغاية. يفضل ألا أتعرض للذبح على يد الشماليين، لكن هنا ينتهي إحساسه بالمسؤولية. بالتأكيد لا يمتد ذلك لقضاء عشر دقائق معي. لذلك يبدو أنني عالقة هنا، معكم أيها المتكبرون المتغطرسون. عدّل چيزال من جلسته بشكل غير مريح: «يبدو أنه يُحسن تدبير أمره».

- أوه نعم، (شخرت آردي) كوليم ويست، رجل جيد للغاية! فاز بمسابقة، ألا تعرف؟ وكان من أوائل من اقتحموا أولريوخ، أليس كذلك؟ لا نسب لديه، ولن يكون واحدًا منا أبدًا، لكنه رجل طيب للغاية بالنسبة إلى عامي. يا للأسف بشأن أخته المتعجرفة، ذكية أكثر مما ينبغي. يقولون إنها تشرب، (وهمست) لا تعرف قدرها. عارٌ كامل. الأفضل تجاهلها. (تنهدت مجددًا) نعم، كلما عدت إلى البيت أسرع، كان الجميع أكثر سعادة.

- لن أكون سعيدًا.

اللعنة، هل قال ذلك بصوت عالٍ؟ ضحكت «آردي» بطريقة غير مريحة.
- حسنًا، هذا نبل كبير منك أن تقول ذلك. لماذا لست في تدريب المبارزة إذًا؟

- المارشال فاروز كان مشغولاً اليوم. (توقف لبرهة) في الحقيقة، كان صديقك ساند دان جلوكتا هو مدرب المبارزة لي هذا الصباح.

- حقًا؟ ماذا قال لك؟

- أمور متنوعة. نعتني بالأحمق.

- تخيل ذلك.

قطّب چيزال جبينه: «نعم، حسنًا. أنا مللت من المبارزة كما أنتِ مللت من الكتاب. هذا ما أردت التحدث إلى أخيك عنه. أفكر في التخلي عنها».

انفجرت ضاحكة. قهقهتها كانت مصحوبة بشخير وارتعاش جسدها كله. طرطش النبيذ من كأسها وانسكب على الأرض. سأل بغضب: «ما الذي يُضحكك هكذا؟».

- فقط.. (مسحت دمعة من عينها) كان لدي رهان مع كوليم. كان متأكدًا أنك ستواصل. والآن أصبحت أغنى بعشرة ماركات.
- قال چيزال بحدة: «لست متأكدًا من أنني أحب أن أكون موضع رهانك».
- لست متأكدة من أنني أهتم البتة.
- هذا أمر جدي.

- لا إنه ليس كذلك! (انفجرت به) كان الأمر جدًّا بالنسبة إلى أخي، كان مضطرًّا إلى ذلك! لن يلحظك أحد إن لم يكن في اسمك «دان»، ومن يعرف ذلك أفضل مني؟ أنت الوحيد الذي أعطاني بعضًا من وقته منذ أن وصلت إلى هنا، وحتى هذا لأن كوليم أجبرك على ذلك. لدي مال قليل جدًّا ولا أملك أي نسب، وهذا يجعلني أقل من لا شيء بالنسبة إلى أمثالك. الرجال يتجاهلونني والنساء يُشحن بأوجههن عني. ليس لدي أي شيء هنا، لا شيء ولا أحد، وأنت تظن أنك تعاني؟ رجاء! ربما أبدأ بتعلم المبارزة، (قالت بمرارة) أسأل المارشال إن كان لديه مكان لتلميذ، على الأقل سيكون لدي من أتحدث إليه!

رمش «چيزال». لم يكن ذلك مثيرًا للاهتمام. كان وقحًا: «انتظري، ليس لديك أي فكرة عن ماذا يعني أن...».

- أوه، كُفَّ عن التذمر! كم عمرك؟ خمس سنوات؟ لماذا لا تعود للرضاعة من ثدي أمك، أيها الرضيع؟

لم يستطع تصديق ما يسمعه. كيف تجرؤ؟ قال: «أمي ماتت» ها! هذا سيجعلها تشعر بالذنب، ويدفعها للاعتذار. لكنه لم يفعل.

- ماتت؟ يا لها من محظوظة! على الأقل لن تضطر إلى سماع تذمرك اللعين! أنتم يا أبناء الأثرياء المدللين جميعكم متشابهون. تحصلون على كل ما تحلمون به، ثم تصابون بنوبة غضب لأنكم مضطرون إلى التقاطه بأنفسكم! أنتم مثيرون للشفقة! تجلبون لي الغثيان!

حدَّق چيزال مذهولًا. كان وجهه يحرقه ويلسهه وكأنه تلقَّى صفعًا. بل كان سيفضل لو أنه صُفِع. لم يُخاطبه أحد هكذا في حياته. أبدًا! كان الأمر أسوأ من جلوكتا. أسوأ بكثير، وأكثر مفاجأة. أدرك أن فمه كان مفتوحًا لنصفه. أغلقه فجأة، وهو يجز على أسنانه، ووضع كأسه على الطاولة بقوة،

ثم نهض مغتاظاً. كان يتجه نحو الباب عندما انفتح فجأة، فوجد نفسه أمام الرائد ويست.

قال ويست: «چيزال، (وبدا متفاجئاً في البداية، وبعد ذلك، وبعدما نظر إلى أخته المترامية على المقعد، تشكك بعض الشيء) ما الذي تفعله هنا؟».

- ارر... جئت لرؤيتك في الواقع.

- أوه فعلاً؟

- نعم. ولكن هذا يمكنه الانتظار. لدي أشياء أقوم بها.

ودلف چيزال بجانب صديقه وخرج إلى الممر. سمع ويست يقول وهو يخرج من الغرفة: «عمّ كان ذلك؟ هل أنت ثملة؟».

مع كل خطوة كان غضب چيزال يتصاعد حتى وصل إلى منتصف الطريق حتى اختنق به. لقد كان ضحية اعتداء! هجوم وحشي لا يستحقه! توقف في الممر، يرتجف من الغضب، وأنفاسه تتحشرج في صدره كما لو كان يركض مسافة عشرة أميال، وقبضاته مقبوضة بشدة حتى آلمته. ومن امرأة أيضاً! امرأة! وعامية لعينة! كيف تجرؤ؟ أضاع الوقت عليها، وضحك على نكاتها، ووجدها جذابة! كان ينبغي أن تتشرف أنه لاحظها!

زمجر لنفسه: «تلك العاهرة اللعينة!» تردد في العودة ليقول لها ذلك في وجهها، ولكن الأوان قد فات. تلفت حوله بحثاً عن شيء يضربه. كيف سيعيد لها ما فعلته؟ كيف؟ ثم جاءت الفكرة إليه.

يثبت أنها مخطئة.

هذا سيكون لذلك. يثبت خطأها، وهذا اللقيط جلوكتا أيضاً. سيظهر لهما كيف أنه يستطيع العمل بجد. سيُظهر لهما أنه ليس أحمق، ولا كاذباً، ولا طفلاً مدلاً. كلما فكر أكثر في الأمر، كان منطقياً أكثر. سيفوز بهذه المسابقة اللعينة، هذا ما سيفعله! هذا من شأنه أن يمحو البسمة عن وجوههم! انطلق بخفة عبر الممر، وقد انتعش في صدره شعور جديد وغريب.

شعور بالهدف. هذا هو ما كان عليه. ربما لم يتأخر الوقت بعد للركض.

كيف تُدَرِّب الكلاب

وقف المنفذ فروست بجانب الجدار، بلا حراك تمامًا، صامتًا تمامًا، بالكاد يمكن رؤيته في الظلال الحالكة، كجزء من المبنى. لم يتحرك الأمهق بوصة واحدة خلال ساعة أو أكثر، ولم يحرك قدميه، ولم يرمش، ولم يتنفس، وهو ما لاحظته جلوكتا، وعيناه مثبتتان على الشارع أمامهما.

جلوكتا نفسه أخذ يلعن، ثم يتحرك بعدم ارتياح، ثم يتأوه، ثم يحك وجهه، ويمتص لثته الفارغة. ما الذي أخرهم؟ دقائق قليلة أخرى وقد أغفو، وأسقط في تلك القناة النتنه وأغرق. يا لها من نهاية ملائمة. راقب المياه الزيتية المتعفنة أسفل الجسر وهي تتماوج وتضطرب. العثور على جثة عائمة بجوار الميناء، منتفخة بمياه البحر ومشوهة بشكل رهيب، لا يمكن التعرف عليها نهائيًا.

لمس فروست ذراعه في الظلام وأشار بإصبعه البيضاء الكبيرة نحو الشارع. تقدم ثلاثة رجال نحوهم ببطء، يسرون بخطوات متباعدة قليلًا كرجال اعتادوا قضاء وقت طويل على متن السفن، يحافظون على توازنهم على سطح متمایل. إذن، فهذه نصف جماعتنا الصغيرة. تأخروا، لكن أفضل من ألا يأتوا. توقف البحارة الثلاثة في منتصف الجسر فوق القناة، لا يبعدون أكثر من عشرين خطوة. استطاع جلوكتا أن يسمع لهجة حديثهم: متبجحة، واثقة، لكنة عامية. جر جلوكتا قدميه قليلًا إلى الظلال المتشعبة بالجدار.

ثم سمع خطوات أخرى من الاتجاه المعاكس، خطوات متعجلة. ظهر رجلان آخران، يسيران بسرعة عبر الشارع. كان أحدهما رجلًا طويلًا ونحيفًا يرتدي معطفًا من الفرو يبدو باهظ الثمن، ينظر حوله بريية. لا بد أنه جوفريد هورنلاك، بَرَّاز رفيع. هذا هو رجلنا. أما رفيقه، فكان يحمل على خصرته سيفًا، ويكافح لحمل صندوق خشبي كبير على كتفه. خادم، أو حارس

شخصي، أو كلاهما. لا أهمية له. شعر جلوكتا بوخز في مؤخرة عنقه مع اقترابهما من الجسر. تبادل هورنلاك بضع كلمات سريعة مع أحد البحارة، رجل بلحية بنية كثيفة.

همس لفروست: «أنت جاهز؟»، أوما المنفذ.

صاح جلوكتا بأعلى صوته: «اثبت مكانك! باسم جلالته!» دار خادم هورنلاك فجأة وأسقط الصندوق على الجسر بصوت مدوّ، وبينما كانت يده تتحرك نحو سيفه، صدر صوت خافت من الظلال على الجانب الآخر من الطريق. بدا الخادم مذهولاً، ثم أصدر شخيراً قصيراً وسقط على وجهه. خرج فروست بخفة من الظلال، وقدماه تتحركان بهدوء.

تجمد هورنلاك مكانه، محدّقاً بعينين مفتوحتين إلى جثة حارسه الشخصي، ثم نحو الرجل الضخم الأمهق. التفت إلى البحارة مذعوراً، وصرخ: «ساعدوني! أوقفوه!».

ابتسم قائدهم وقال: «لا أظن ذلك». وتحرك رفيقاه ببطء ليسداً الطريق على الجسر. تراجع البرّاز متعثراً، واتجه بخطوة مترددة نحو الظلال بجوار القناة. ظهر سيفيرارد من مدخل قريب، يسند قوسه المسطحة على كتفه. لو استبدل بالقوس باقة من الزهور لظننت أنه في طريقه إلى حفل زفاف. من الصعب أن تصدق أنه قتل رجلاً للتو.

بعد أن أحيط من كل جانب، لم يملك هورنلاك سوى النظر حوله ببلاهة، عيناها تتسعان من الخوف والدهشة، وتقدم المنفذان نحوه، وجلوكتا يعرج خلفهما. صرخ هورنلاك بيأس نحو البحارة: «لكنني دفعت لكم!».

قال قبطانهم: «دفعت مقابل مكان على السفينة، الولاء له ثمن إضافي». وضع المنفذ فروست يده البيضاء الكبيرة على كتف التاجر، مجبراً إياه على الركوع على ركبتيه. تقدم سيفيرارد بخطوات متراخية نحو جثة الحارس، وأدخل طرف حذائه القذر تحت الجثة وقلبها. حدقت الجثة نحو السماء الليلية، عيناها زجاجيتان، وريشة السهم بارزة من عنقها. كان الدم حول فمه يبدو أسود تحت ضوء القمر.

تمتم سيفيرارد دون داعٍ: «مات».

قال جلوكتا: «سهم خلال العنق سيفعل ذلك، نظّف المكان، من فضلك».

- كما تأمر.

أمسك سيفيرارد بقدمي الحارس وسحب الجثة نحو حافة الجسر، ثم رفعها من تحت الإبط وألقى بالجثة من فوق الحافة بنخرة منه. بسلاسة ودقة واحتراف. يمكن الجزم إنه فعل ذلك من قبل. سُمع صوت ارتطام الجثة بالماء الموحد أسفل الجسر. كان فروست قد ربط يدي هورنلاك بإحكام خلف ظهره الآن، ووضع الكيس على رأسه. أطلق السجين صرخات مكتومة من خلال القماش وهو يُجَرّ على قدميه. تحرك جلوكتا ببطء نحو البحارة الثلاثة، فساقاه متدخلتان بعد الوقوف طويلاً في الزقاق.

قال وهو يُخْرِجَ محفظة ثقيلة من جيب معطفه الداخلي: «وها نحن أولاء. (أمسك بها وهي تتأرجح فوق كف القبطان المنتظر) أخبرني ماذا حدث الليلة؟».

ابتسم البحار العجوز، وتجعد وجهه المهترئ كجلد الحذاء: «كانت حمولتي ستعطب وكان علينا التحرك مع المد الأول، أخبرته بذلك. انتظرنا وانتظرنا، لنصف الليل جوار تلك القناة النتنة، لكن هل تصدق؟ لم يظهر اللقيط مطلقاً».

- جيد جداً. هذه هي القصة التي كنت سأرويها في ويستبورت، إذا سألني أحدهم.

بدا القبطان متأذياً: «هذا ما حدث أيها المحقق. هل هناك قصة أخرى؟». تركت جلوكتا المحفظة تسقط ورَنَّ المال داخلها: «مع تحيات صاحب الجلالة».

وزن القبطان كيس المال في يده: «يسعدني دائماً تقديم الخدمة لجلالته!»، واستدار هو ورفيقاه، وعلى وجوههم ابتسامات صفراء، وانطلقوا نحو الرصيف.

قال جلوكتا: «حسناً إذن، فلنبداً».

صاح هورنلاك وهو يتلوى على كرسيه: «أين ملابسي؟».

- أعتذر فعلاً عن ذلك. أعلم أن الوضع غير مريح تماماً، لكن الملابس يمكنها أن تخفي أشياء. إن تركت للرجل ملابسه فستترك له كبرياءه

وكرامته وكل الأشياء التي لا أفضل وجودها هنا. أنا لا أستجوب سجيناً يرتدي ملابسه أبداً. هل تتذكر سالم ريوز؟

- من؟

- سالم ريوز. أحد قومك. بزاز. قبضنا عليه وهو يتهرب من ضرائب الملك. لقد أدلى باعترافه، وأعطى أسماء عدد قليل من الأشخاص. أردت التحدث معهم، لكنهم ماتوا جميعاً.

نظرت عين التاجر يساراً ويميناً بسرعة خاطفة. يفكر في خياراته، يحاول تخمين ما قد نعرفه.

- الناس يموتون في كل وقت.

حدّق جلوكتا إلى جثة چوفينز المرسومة خلف سجينه، تنزف بطلاء أحمر على جميع أنحاء الجدار. الناس يموتون في كل وقت.

- بالتأكيد، لكن ليس بهذا العنف. لدي فكرة أن هناك من أراد موتهم، وأن شخصاً ما أمر بقتلهم. لدي فكرة أنه أنت.

- ليس لديك أي دليل! لا دليل! لن تفلت من هذا!

- الدليل لا يعني شيئاً يا هورنلاك، لكنني سأساعدك. لقد نجا ريوز. وهو في نهاية الممر، وكما هو الحال، فلم يتبقَّ له أي أصدقاء، وهو يصرخ وأخبرنا بأسماء كل بزاز يمكنه تذكُّره، أو يمكننا تذكره. (ضاقت عيناه، ولكن لا رد) لقد ساعدنا في القبض على كاربي.

سأل التاجر محاولاً أن يبدو غير مبالي: «كاربي؟».

- مؤكد أنك تتذكر قاتلك المأجور؟ المترهل قليلاً من ستيريا؟ لديه ندوب حب شباب؟ يلعن كثيراً؟ هو أيضاً لدينا. وأخبرنا بالقصة كاملة. كيف استأجرته، وكم دفعت له، وماذا طلبت منه أن يفعل. القصة كلها. (ابتسم جلوكتا) لديه ذاكرة ممتازة، بالنسبة إلى قاتل، مفصلة للغاية.

بدأ الخوف يظهر الآن، مجرد شبح بسيط، لكن هورنلاك استجمع نفسه بشكل جيد: «هذه إهانة لنقابتي! (صاح بكل ما استطاع من سلطة، وهو عارٍ ومقيد إلى كرسي) سيدي، كوستر دان كولت، لن يسمح بهذا أبداً، وهو صديق مقرب للرئيس كيلاين!».

- تَبَّاً لكيلاين، لقد انتهى أمره. علاوة على ذلك، يعتقد كولت أنك اختبأت بأمان على متن تلك السفينة، المتجهة إلى ويستبورت بعيداً عن متناولنا. لا أعتقد أن أحداً سيفتقدك لعدة أسابيع. (خمد وجه التاجر) يمكن للكثير أن يحدث في ذلك الوقت... الكثير جداً.

بلل هورنلاك شفتيه بلسانه بسرعة. ألقى بنظرة خاطفة على فروست وسيفيرارد، وانحنى قليلاً إلى الأمام. *إنذا والآن سيبدأ التفاوض.* قال بنبرة متملقة: «أيها المحقق، إذا كنت قد تعلمت شيئاً واحداً من الحياة، فهو أن كل رجل يريد شيئاً ما. كل رجل له ثمنه، أليس كذلك؟ ولدينا جيوب عميقة. فقط هو أن تطلبه. اطلبه فقط! ماذا تريد؟».

اقترب جلوكتا لمسافة تأمرية وسأله: «ماذا أريد؟».

- نعم. ما هو كل ذلك؟ ماذا تريد؟

كان هورنلاك يبتسم الآن، ابتسامة صغيرة متحفظة وذكية. كم هذا ساحر، لكنك لن ترشو أحداً لتخرج من هذا.

- أريد استعادة أسناني. (بدأت ابتسامة التاجر تتلاشى) أريد استعادة ساقي. (ابتلع هورنلاك ريقه) أريد استعادة حياتي. (شحب السجين جداً) لا؟ إذن ربما سأكتفي بك على الخازوق. ليس لديك أي شيء آخر أريده، بغض النظر عن مدى عمق جيوبك.

كان هورنلاك يرتجف بعض الشيء الآن. لا مزيد من التهديدات؟ لا مزيد من الصفقات؟ إذن يمكننا أن نبدأ. التقط جلوكتا الورقة التي أمامه، وقرأ السؤال الأول.

- ما اسمك؟

- انظر أيها المحقق، أنا..

ضرب فروست الطاولة بعنف بقبضته، وانكمش هورنلاك في كرسيه. صرخ سيفيرارد في وجهه: «أجب عن السؤال اللعين!».

صرخ التاجر قائلاً: «جوفريد هورنلاك».

أوماً جلوكتا: «جيد. هل أنت عضو رفيع في نقابة البزازين؟».

- نعم، نعم!

- في الواقع، أنت أحد نواب القيم كولت؟

- أنت تعلم أنني كذلك!

- هل تأمرت مع بَرَّازين آخرين للاحتيال على جلالة الملك؟ هل استأجرت قاتلاً لقتل عشرة من رعايا جلالته مع سبق الإصرار؟ هل أمرك القَيِّم كوستر دان كولت، رئيس نقابة البَرَّازين، بالقيام بذلك؟

صرخ هورنلاك مذعوراً: «لا!».

هذه ليست الإجابة التي نحتاج إليها. نظر جلوكتا إلى المُنَفَّذ فروست. غرقت القبضة البيضاء الكبيرة في أحشاء التاجر، فأطلق تنهيدة لطيفة وانزلق جانباً.

قال جلوكتا: «أتعلم، والدتي تربي الكلاب».

هسهس سيفيرارد في أذن التاجر اللاهث، وهو يدفعه مرة أخرى إلى الكرسي: «الكلاب».

زم جلوكتا شفتيه: «إنها تحبهم. تدربهم على القيام بكل أنواع الحيل. هل تعرف كيف تُدَرِّب الكلاب؟».

كان هورنلاك ما زال يلهث، مستلقياً في كرسیه وعيناه تدمعان، غير قادر على الكلام بعد. وكأنه يشبه سمكة أُخْرِجَت فجأة من الماء، فمها ينفث ويغلق دون صوت.

قال جلوكتا: «بالتكرار، كرر، كرر، كرر. يجب أن تجعل الكلب يؤدي حيله مئة مرة بالطريقة نفسها، ثم يعيد الأمر كله من جديد. الأمر كله يتعلق بالتكرار. وإذا أردت أن ينبح الكلب عند الإشارة، فلا تخل من استخدام السوط. أنت ستنبح لأجلي يا هورنلاك، أمام المجلس المفتوح».

صرخ البَرَّاز، متطلعاً حوله: «أنتم مجانين، أنتم جميعاً مجانين!».

أظهر جلوكتا ابتسامته الخاوية: «إذا كان هذا يعجبك أو سيساعدك. فلا بأس. (نظر مرة أخرى إلى الورقة في يده) ما اسمك؟».

ابتلع السجين: «جوفريد هورنلاك».

- هل أنت عضو رفيع في نقابة البَرَّازين؟

- نعم.

- في الواقع، أنت أحد نواب القَيِّم كولت؟

- نعم!

- هل تأمرت مع بَرَازين آخرين للاحتيال على جلالة الملك؟ هل استأجرت قاتلاً لقتل عشرة من رعايا جلالته مع سبق الإصرار؟ هل أمرك القَيِّم كوستردان كولت، رئيس نقابة البَرَازين، بالقيام بذلك؟
- نظر هورنلاك حوله بيأس. حدق فروست إليه، وحدق سيفيرارد إليه. طالب جلوكتا: «ماذا إذن؟».
- أغمض التاجر عينيه وتمتم: «نعم».
- ماذا قلت؟
- نعم!
- ابتسم جلوكتا: «ممتاز. الآن أخبرني. ما اسمك؟».

شاي وانتقام

سأل باياز وهو يحدق إلى المنحدرات الوعرة على جانبي الطريق: «إنه بلد جميل، أليس كذلك؟».

خبطت حوافر خيولهم ببطء على الطريق، وكان وقع الصوت الثابت متناقضًا مع قلق لوجن: «أهو كذلك؟».

- حسنًا، إنها بلاد قاسية، بالطبع، لأولئك الذين لا يعرفون سبل الحياة فيها. بلاد صعبة ولا ترحم. لكن هناك شيئًا نبيلًا فيها أيضًا. (لَوْحَ أول المجوس بيده نحو المشهد، واستنشق الهواء البارد بشغف) فيها صدق ونزاهة. فليس كل ما يلمع ذهبًا كما تعرف.

وألقي إليه نظرة جانبية وهو يتمايل بخفة على سرجه.

- لا أستطيع أن أقول إنني أرى جمالها.

- حقًا؟ وماذا ترى إذن؟

تجوّلت عينا لوجن فوق المنحدرات الحادة العشبية، التي تناثرت عليها نباتات السُعدِيَّة والجَوْلَق البنية، وزينتها نتوءات صخرية رمادية ومجموعات من الأشجار.

- أرى أرضًا صالحة للمعركة، بشرط أن تصل إليها أولًا.

- حقًا؟ وكيف ذلك؟

أشار لوجن إلى قمة تلة وعرة: «الرماة على ذلك المنحدر لن يمكن رؤيتهم من الطريق، ويمكنك إخفاء معظم المشاة بين هذه الصخور. تترك القليل من ذوي الدروع الخفيفة على المنحدرات فقط لجذب العدو نحو أشد الأراضي اندحارًا هناك. (وأشار إلى شجيرات شائكة تغطي السفوح السفلية) تدعهم يتقدمون قليلًا، وعندما يكافحون لاختراق تلك الشجيرات، تضربهم بالسهم.

سقوط السهام عليك من أعلى، ليس بالأمر الممتع. فهي تسقط أسرع وأبعد، وتتفرز أعمق. ذلك سيكسر صفوفهم. وبحلول الوقت الذي يصلون فيه إلى الصخور، سيكونون قد أنهكوا وفقدوا انضباطهم. وذلك سيكون الوقت المناسب للهجوم. بضعة رجال عاديين، يقفزون من خلف تلك الصخور، يهاجمون من الأعلى، نشيطين ومتحمسين ويصرخون كالشياطين، هذا سيحطمهم مباشرة. (ضيق لوجن عينيه نحو التل. كان قد سبق له الوجود في كلا الجانبين في هذا النوع من المفاجآت، وفي كلتا الحالتين لم تكن ذكريات لطيفة) لكن إن تماسكوا في أماكنهم، فحفنة من الفرسان بتلك الأشجار ستكون كافية لحسم الأمر. عدد قليل من الرجال المُسمّين، مقاتلون أشداء، ينقضُّون عليهم من مكان لم يتوقعه قط، وهذا أمر مرعب. سيجعلهم يفرون، لكن بما أنهم متعبون، فلن يفروا بسرعة كبيرة. وهذا يعني أسرى، والأسرى قد يعنون فدية، أو على الأقل أعداء يُقتلون بثمن زهيد. أرى مجزرة، أو انتصارًا يستحق التغني به، حسب موقع وجودك. هذا هو ما أراه».

ابتسم باياز، وهز رأسه بالتزامن مع حركة حصانه البطيئة: «هل كان ستوليكوس هو من قال إن الأرض يجب أن تكون أعز أصدقاء الجنرال، وإلا ستصبح ألد أعدائه؟».

- لم أسمع به قط، لكنه محق. هذه أرض كافية لجيش، بشرط أن تصل إليها أولاً. الوصول أولاً هو السر.

- بالفعل. لكننا لا نملك جيشاً، مع ذلك.

- هذه الأشجار قد تخفي بضعة فرسان أفضل من كثيرين.

ألقي لوجن نظرة جانبية على الساحر. كان جالساً على سرجه كأنه يستمتع بجولة مريحة في الريف: «لا أعتقد أن بيثود سيقدر مشورتك، وأنا لدي معه حسابات قديمة بما يكفي. لقد جرح في أكثر الأماكن حساسية لديه، في كبريائه. سيرغب في الانتقام. سيرغب فيه بشدة».

- آه نعم، الانتقام، أكثر الهوايات شيوعاً عند الشماليين. لا يبدو أن شعبيته تتراجع أبداً.

نظر لوجن عابساً إلى الأشجار، والصخور، وثنيات جوانب الوادي، والأماكن العديدة التي يمكن الاختباء فيها: «سيكون هناك رجال في هذه التلال، يبحثون عنا. مجموعات صغيرة من الرجال المهرة والمتمرسين في المعارك،

على خيول جيدة، ومدججين بالسلاح، على دراية بالأرض. الآن بعد أن قضى بيثود على جميع أعدائه، لم يعد هناك مكان في الشمال خارج متناوله. قد يكونون منتظرين هناك، (وأشار نحو بعض الصخور بجانب الطريق) أو في تلك الأشجار، أو تلك. (نظر مالاكوس كواي حوله بقلق، كان يمتطي الفرس الحامل متقدمًا أمامهم) قد يكونون في أي مكان».

سأل باياز: «هل هذا يخيفك؟».

- كل شيء يخيفني، وهذا جيد أن يحدث. الخوف صديق جيد للمُطَارِد، أبقاني حيًا طويلًا. الموتى لا يخافون، ولا أرغب في الانضمام إليهم. وسيرسل رجاله إلى المكتبة أيضًا.

- آه نعم، لحرق كتبتي وما إلى ذلك.

- هل هذا يخيفك؟

- ليس كثيرًا. الحجارة الموجودة عند البوابة عليها كلمة چوئين، وذلك لا يمكن إلغاؤه، حتى في هذه اللحظة. لن يستطيع أحد ينوي العنف أن يقترب. أتخيل أن رجال بيثود سوف يتجولون حول البحيرة تحت المطر حتى ينفذ طعامهم، وهم يفكرون طوال الوقت كم هو غريب أنهم لا يستطيعون العثور على شيء كبير مثل المكتبة، لذا لا (قال الساحر بسعادة وهو يخدش لحيته) سأركز على مأزقنا الخاص. ماذا سيحدث، في رأيك، إذا قبض علينا؟

- سيقتلنا بيثود، وبأسوأ طريقة يمكن أن يفكر فيها. إلا إذا امتلك بعض الرحمة، وتركنا نذهب بتحذير.

- هذا لا يبدو مرجحًا.

- كنت أفكر في الشيء نفسه. أفضل فرصة لدينا هي الوصول إلى وايتفلو، ونحاول عبور النهر إلى آنجلاند، ونثق في حظنا بعدم رؤيتنا من أحد. (لم يكن لوجن يحب الثقة في الحظ، فالكلمة ذاتها تركت طعمًا مرًا. ونظر إلى أعلى نحو السماء الملبدة بالغيوم) يمكننا أن نستفيد من بعض الطقس السيئ. بضعة أمطار غزيرة ستخففنا بشكل جيد.

كانت السماء تبول عليه لأسابيع، لكن الآن وهو يحتاج إلى المطر رفضت أن تسقط قطرة واحدة.

نظر مالاكوس كواي إليهم من فوق كفته، واتسعت عيناه واستدارت من القلق: «ألا ينبغي لنا أن نتحرك بشكل أسرع؟».

قال لوجن وهو يربت على رقبة حصانه: «ربما، لكن هذا سيرهق الخيل، وقد نحتاج إلى كل السرعة التي يمكننا الحصول عليها لاحقًا. يمكننا أن نختبئ في النهار ونتحرك في الليل، لكن ذلك سيعني المخاطرة بفقدان الطريق. نحن أفضل كما نحن. نتحرك ببطء ونأمل ألا يرانا أحد. (عبس نحو قمة التل) أملٌ ألا يكون قد رأنا أحد بالفعل».

قال باياز: «حسنًا، قد يكون هذا هو أفضل وقت لإخبارك أن تلك الساحرة كوريب ليست بنصف الحماقة التي تظاهرت بأنها عليها».

شعر لوجن بإحساس غرق: «لا؟».

- لا، على الرغم من كل الطلاء والذهب والأحاديث حول أقصى الشمال، فهي تعرف ما تقدر عليه. يسمونها العين الطويلة. خدعة قديمة ولكنها فعالة. لقد كانت تراقبنا.

- هل تعرف أين نحن؟

- الأرجح أنها تعرف متى غادرنا، وفي أي اتجاه نتجه.

- هذا لا يقلل من فرص العثور علينا.

- عليّ أن أقول لا.

- تَبًّا. (التقط لوجن بعض الحركة في الأشجار على يسارهم، فهَبَّت يده نحو مقبض سيفه. حَلَّق زوجان من الطيور إلى السماء. انتظر وقلبه في فمه. لا شيء. ترك يده تتراجع) كان ينبغي أن نقتلهم وقتما أتيح لنا. ثلاثتهم.

- لكننا لم نفعل ذلك، وهذا هو الحال الآن. (نظر باياز إلى لوجن) إذا لحقوا بنا، فما هي خطتك؟

- نفر. ونأمل أن تكون خيولنا هي الأسرع.

سأل باياز: «وهذا؟».

هبّت الرياح بقوة عبر الوادي رغم وجود الأشجار، مما جعل السنة لهب نار مخيمهم تتراقص وتتأرجح. انكمش مالاكوس كواي وشد بطانيته أكثر

حول كتفيه. حلق إلى الساق القصيرة التي رفعها باياز إليه، وجبهته معقودة من التأمل.

- اررم.. (كان هذا هو النبات الخامس، ولم يستطع المتدرب البائس أن يعرف حتى واحدًا منهم) هل هذا... إيه... إيلث؟
- إيلث؟

ردد الساحر، ولم يظهر وجهه أي علامة إن كانت إجابته صحيحة أم لا. كان عديم الرحمة مثل بيثود عندما تعلق الأمر بمتدربه: «ربما؟».
- ولا حتى قريب منه.

أغمض المتدرب عينيه وتنهد للمرة الخامسة في ذلك المساء. شعر لوجن بالشفقة تجاهه، شعر بها فعلاً، لكن لم يكن هناك ما يمكن القيام به.
- اسمه أورسيليوم باللغة القديمة، ذو الورق المستدير.

- نعم، نعم، أورسيليوم بالطبع، كان على طرف لساني طوال الوقت.
- إذا كان الاسم على طرف لسانك، فمؤكد أن فوائده وراءه مباشرة، هاه؟
ضيق المتدرب عينيه ونظر بأمل نحو سماء الليل، كما لو أن الإجابة قد تكون مكتوبة في النجوم: «هل هو.. لآلام المفاصل؟».

- لا، بالتأكيد لا. أخشى أن آلام مفاصلك ستظل تزعجك. (أدار باياز الساق ببطء بين أصابعه) ليس للأورسيليوم أي فوائد، على الأقل لا أعرف أيًا منها. إنه مجرد نبات.

وألقى بالنبات بعيدًا في الأدغال. ردد كواي وهو يهز رأسه: «مجرد نبات».
تنهد لوجن وفرك عينيه المتعبتين.

- معذرة أيها السيد تسع أصابع، هل نُشِعِرْك بالملل؟
- ماذا يهم؟ (ورفع يديه في الهواء) من يهتم لاسم نبات لا فائدة منه؟
ابتسم باياز: «وجهة نظر عادلة. أخبرنا يا مالاكوس، ما الذي يهم في الأمر؟».

- إذا كان الإنسان يسعى لتغيير العالم، فعليه أن يفهمه أولاً. (سرد المتدرب الكلمات كما لو كان يحفظها عن ظهر قلب، وواضح أنه ارتاح لطرح سؤال يعرف إجابته) يجب على الحَدَّاد أن يفهم المعادن، والنجار الخشب، وإلا فلن يكون عملهما ذا قيمة تُذكر. السحر البدائي جامع

وخطير، لأنه يأتي من الجانب الآخر، واستخراجه من العالم السفلي محفوف بالمخاطر. يمزج المجوسيُّ السحر بالمعرفة، وبالتالي ينتج الفن العالي، ولكن مثل الحداد أو النجار، يجب عليه فقط أن يسعى لتغيير ما يفهمه. ومع كل شيء يتعلمه، تزداد قوته. لذلك يجب على المجوسي أن يسعى جاهداً لتعلم كل شيء لفهم العالم بأكمله. قوة الشجرة تكمن في قوة جذورها، والمعرفة هي جذر القوة.

- لا تخبرني، مبادئ الفن لجوثين؟

قال باياز: «السطور الأولى منه».

- سامحني على قول ذلك، لكنني موجود في هذا العالم منذ أكثر من ثلاثين عاماً، ولم أفهم شيئاً واحداً مما يحدث بعد. تعرف العالم كله؟ وتفهم كل شيء؟ هذه مهمة كبيرة.

ضحك المجوسي: «أمر مستحيل بالتأكيد. أن تعرف وتفهم حقاً حتى ورقة من العشب هي دراسة قد تمتد لعمر كامل، والعالم يتغير باستمرار. ولهذا السبب نميل إلى التخصص».

- وماذا اخترت إذن؟

- النار، (قال باياز وهو يحدق بسعادة إلى النيران، والضوء يتراقص على رأسه الأصلع) النار والقوة والإرادة. لكن حتى في المجالات التي اخترتها، وبعد سنوات طويلة لا حصر لها من الدراسة، ما زلت مبتدئاً. كلما تتعلم أكثر، تدرك مدى قلة ما تعرفه. ومع ذلك، فالكفاح في حد ذاته يستحق العناء. المعرفة هي جذر القوة، رغم كل شيء.

- إذا بالمعرفة الكافية، يمكنكم أيها المجوس أن تفعلوا أي شيء؟

عبس باياز: «هناك حدود. وهناك قوانين».

- مثل القانون الأول؟ (نظر السيد والمتدرب إلى لوجن في وقت واحد) يُحرّم التحدث مع الشياطين، هل أنا على حق؟

كان من الواضح أن كواي لم يتذكر فورة غضبه المحمومة، وكان فمه مفتوحاً من المفاجأة. ضاقت عيناً باياز قليلاً، مع أثر خافت من الشك. قال أول المجوس: «نعم، أنت محق. يُحرّم لمس الجانب الآخر مباشرة. ويجب أن يُطبّق القانون الأول على الجميع دون استثناء. كما يجب على الثاني».

- ما هو؟

- يُحَرِّمُ أَكْلَ لَحُومِ الْبَشَرِ.

رفع لوچن حاجبه: «أنتم أيها السحرة، تنخرطون في أشياء غريبة».

ابتسم باياز: «أوه، أنت لا تعرف نصفها. (التفت إلى تلميذه، ممسكًا بجذر بُنِّي متكتل) والآن، سيد كواي، هلّا تخبرني باسم هذا؟ (لم يستطع لوچن إلا أن يبتسم لنفسه. كان يعرف هذا) هلم، هلم يا سيد كواي، ليس لدينا الليل كله».

لم يكن لوچن قادرًا على تحمل بؤس المتدرب أطول من ذلك. انحنى نحوه، متظاهرًا بنكز النار بالعصا، وسعل ليخفي كلماته وهمس سرًا: «قدم الغراب». كان باياز يبعد عنهم بمسافة جيدة، والرياح لا تزال تعصف بالأشجار. لم يكن من الممكن أن يسمعه الساحر.

لعب كواي دوره بشكل جيد. واصل التحديق إلى الجذر، وحاجباه منعقدان من التفكير وغامرًا بالقول: «هل هو قدم الغراب؟».

رفع باياز حاجبه: «نعم، بالفعل هو كذلك. أحسنت يا مالاكوس. وهل يمكنك أن تخبرني باستخداماته؟».

سعل لوچن مرة أخرى وهمس: «الجروح»، وهو ينظر بلا مبالاة إلى الشجيرات، ويغطي فمه بإحدى يديه. ربما لم يكن يعرف الكثير عن النباتات، لكنه يتمتع بخبرة كبيرة فيما يتعلق بالجروح. قال كواي ببطء: «أعتقد أنه جيد للجروح».

- ممتاز، سيد كواي. قدم الغراب صحيح. وهو مفيد للجروح. يسعدني أن أرى أننا نحرز بعض التقدم رغم كل شيء. (وتنحنج) لكن من الغريب أنك استخدمت هذا الاسم. إنهم يستخدمون اسم قدم الغراب شمال الجبال. ومؤكد أنني لم أعلمك هذا الاسم. أتساءل من الذي تعرفه من هذا الجزء من العالم؟ (ألقي نظرة خاطفة على لوچن) هل سبق لك أن فكرت بالعمل في فنون السحر، سيد تسع أصابع؟ (وحدّق إلى كواي مرة أخرى) قد أكون متفرغًا لمتدرب جديد.

علق مالاكوس رأسه: «أسف يا سيد باياز».

- يجب أن تأسف بالفعل. ربما يمكنك تنظيف الأواني لنا. قد تكون هذه المهمة أكثر ملاءمة لمواهبك.

تخلص كواي من بطانيته على مضض، وجمع الأوعية المتسخة وجرّ قدميه عبر الأعشاب نحو النهر. انحنى باياز فوق القدر على النار، وأضاف بعض الأوراق المجففة إلى الماء المغلي. أثار ضوء اللهب المرتعش أسفل وجهه، والتف البخار حول رأسه الأصلع. وبشكل عام، بدا كهيته تمامًا.

سأل لوچن وهو يصل إلى غليونه: «ما هذا؟ تعويذة ما؟ مشروب سحري؟ بعض أعمال عظيمة من الفن العالي؟».

- شاي.

- هاه؟

- أوراق نبات معين، مغلية في الماء. إنه يعتبر رفاهية كبيرة في جوركول. (صب بعض المشروب في كوب) هل ترغب في تجربته؟

استنشق لوچن مرتبًا: «رائحته مثل الأقدام».

- كما يحلو لك. (هز باياز رأسه وجلس بجانب النار، ولف كلتا يديه حول الكوب الذي يتصاعد منه البخار) لكنك تفوّت واحدة من أعظم هدايا الطبيعة للإنسان. (أخذ رشفة وأصدر صوت استمتاع بشفتيه) مهدئ للعقل، منعش للجسم. قليل من الأمراض التي لا يقدر كوب جيد من الشاي أن يعالجها.

كبس لوچن جذلة من الشاجا في وعاء غليونه: «ماذا عن فأس في الرأس؟».

- هذا أحدهم، (اعترف باياز مبتسمًا) أخبرني، يا سيد تسع أصابع، لماذا كل هذا الدم بينك وبين بيثود؟ ألم تقاتل من أجله عدة مرات؟ لماذا تكرهون بعضكم بعضًا هكذا؟

توقف لوچن مؤقتًا ليمتص الدخان من الأنبوب، ثم زفر أنفاسه. قال بصلاية: «هناك أسباب». كانت جراح تلك الفترة لا تزال حية. لم يحب أن ينكرها أحد.

- آه، أسباب. (نظر باياز إلى كوب الشاي الخاص به) وما هي أسبابك؟ ألا تمتد هذه العداوة في كلا الاتجاهين؟

- ربما.

- لكن أنت على استعداد للانتظار؟

- يجب أن أكون كذلك.

- هم. أنت صبور جدًا بالنسبة إلى رجل شمالي.

فكّر لوّجن في بيثود وأبنائه المقيتين، وفي العديد من الرجال الطيبين الذين قتلوهم من أجل طموحهم. الرجال الذين قتلهم هو من أجل طموحهم. فكّر في الشانكا، وعائلته، وأطلال القرية قرب البحر. فكّر في جميع أصدقائه الراحلين. امتص أسنانه وحدّق إلى النار.

- سوّيت بعض الحسابات في حياتي، لكن ذلك لم يؤدّ إلا المزيد. الانتقام قد يكون جميلًا، لكنه رفاهية. لا يملأ البطن، ولا يقي من المطر. لكي أقاتل أعدائي، أحتاج إلى أصدقاء خلفي، وأنا بلا أصدقاء. عليك أن تكون واقعياً. مضى وقت طويل منذ أن تجاوزت طموحاتي مجرد النجاة في كل يوم. (ضحك باياز، وعيناه تلمعان في ضوء النار، فسأله لوّجن وهو يناوله الغليون) ما الأمر؟

- لا أقصد الإساءة، لكنك مصدر لا ينتهي من المفاجآت. لست ما توقعت على الإطلاق. أنت لغز حقيقي.

- أنا؟

- أوه نعم! (وهمس) التسع الدموية، (وفتح عينيه على آخرهما) إنه اسم لعين الذي تحمله، يا صديقي. القصص التي يروونها! اسم لعنة بحق! الأمهات تخيف أطفالهن به!

لم يقل لوّجن شيئاً. لم يكن ثمة مجال للإنكار. أخذ باياز نفساً طويلاً من الغليون، ثم نفث سحابة طويلة من الدخان: «كنت أفكر في اليوم الذي زارنا فيه الأمير كالدور».

قهقه لوّجن: «أحاول ألا أفكر فيه كثيرًا».

- ولا أنا، لكن ما لفت انتباهي لم يكن سلوكه، بل سلوكك أنت.

- أنا؟ لا أذكر أنني فعلت شيئاً.

أشار باياز بساق الغليون إلى لوّجن عبر النار: «آه، هذا هو ما أعنيه تمامًا. عرفت الكثير من الرجال المقاتلين، جنودًا وقادة وأبطالًا وما إلى ذلك. المقاتل العظيم يجب أن يتصرف بسرعة وحسم، سواء بذراعه أو بجنوده، لأن من يضرب أولاً فغالبًا هو من يضرب أخيرًا. لذا يعتمد المقاتلون على غرائزهم البدائية، فيستجيبون دائمًا بالعنف، ويصبحون متغطرسين ووحشيين.

(ناول باياز الغليون إلى لوجن مرة أخرى) لكن، مهما كانت القصص، فأنت لست واحدًا منهم».

- أعرف الكثيرين ممن قد يختلفون معك.

- ربما، لكن يتبقى أن كالدرا أساء إليك، ولم تفعل شيئًا. هذا يعني أنك تعرف متى يجب أن تتحرك، ومتى يجب ألا تتحرك. وهذا يدل على ضبط للنفس، وعقل مدبر.

- ربما كنت خائفًا فحسب.

- منه هو؟ هيا. أنت لم تبدُ خائفًا من سكيل وهو أكثر إثارة للقلق. كما أنك قطعت أربعين ميلاً وأنت تحمل تلميذي على ظهرك، وهذا يُظهر الشجاعة، والرفقة أيضًا. مزيج نادر بالفعل. العنف وضبط النفس، حسن التدبير والرفقة... وتحدث إلى الأرواح أيضًا.

رفع لوجن حاجبه: «ليس كثيرًا، وفقط عندما لا يكون هناك أحد حولي. حديثهم ممل، ولا يمتدحونني بنصف ما تفعل أنت».

- هاه. هذا صحيح. الأرواح ليس لديها الكثير لتقوله للبشر، كما أفهم، رغم أنني لم أتحدث معها قط؛ ليس لدي هذه الموهبة. قليلون يمتلكونها في هذه الأيام. (تناول رشفة أخرى من كوبه، ونظر إلى لوجن من فوق الحافة) أكاد لا أذكر أحدًا آخر حيًا يمتلكها.

خرج مالاكوس مترنخًا من بين الأشجار، مرتجفًا، ووضع الأوعية المبللة. أمسك ببطانيته ولفها حوله بإحكام، ثم نظر بلهفة إلى القدر المتصاعد منه البخار فوق النار: «هل هذا شاي؟».

تجاهله باياز: «أخبرني، سيد تسع أصابع، طوال الوقت منذ وصولك إلى مكتبتني، لم تسألني قط لماذا أرسلت في طلبك، أو لماذا نحن نتجول الآن في الشمال مخاطرين بحياتنا. أجد ذلك غريبًا».

- ليس حقًا. لا أريد أن أعرف.

- لا تريد أن تعرف؟

- قضيت حياتي أبحث عن المعرفة. ماذا يوجد خلف الجبال؟ بماذا يفكر أعدائي؟ ما الأسلحة التي قد يستخدمونها ضدي؟ أي من أصدقائي يمكنني أن أثق به؟ (هز لوجن كتفيه) قد تكون المعرفة جذر القوة، لكن كل شيء جديد أتعلمه جعلني أسوأ حالًا. (أخذ نفسًا آخر من الغليون،

لكنه كان قد انتهى. نفّض الرماد على الأرض) أيًا كان ما تريده مني، سأحاول فعله، لكني لا أريد أن أعرف حتى يحين الوقت. لقد سئمت من اتخاذ قراراتتي بنفسني. لم تكن قط صحيحة. الجهل هو أحلى دواء، كما كان يقول والدي. لا أريد أن أعرف.

حقوق إليه باياز. كانت هذه أول مرة يرى فيها لوجن الدهشة على وجه أول المجوس. تنحنح مالاكوس كواي بصوت خافت. قال بصوت صغير، ناظرًا إلى سيده بأمل: «أنا أود أن أعرف».

تمتم باياز: «نعم، لكن لا يحق لك السؤال».

كان النهار قد انتصف عندما بدأت الأمور تسوء. بدأ لوجن يفكر في أنهم قد يصلون إلى وايتفلو، وربما حتى يعيشون أسبوعًا آخر. يبدو أنه فقد تركيزه للحظة واحدة فقط، وللأسف، كانت تلك اللحظة التي لها كل الأثر.

ومع ذلك، كان الأمر مدبرًا بإتقان، لا بد من الاعتراف بذلك. لقد اختاروا مكانهم بعناية، وربطوا الخرق حول حوافر خيولهم لتكتم صوتها. ربما كان ثريتريز سيتوقع ما سيحدث لو كان معهم، فهو يملك عينًا لا مثيل لها للأرض. وربما كان الكلبي سيشم رائحتهم لو كان حاضرًا، فهو يملك حاسة شم لا تخطئ. لكن الحقيقة أن أيًا منهما لم يكن هناك. الموتى لا يقدمون المساعدة.

كان هناك ثلاثة فرسان ينتظرونهم عند منعطف خفي، مسلحون ومُدروعون جيدًا، وجوههم متسخة ولكن أسلحتهم نظيفة، كل منهم محارب قديم. كان الذي على اليمين ضخماً وقويًا، بالكاد امتلك عنقًا. أما الذي على اليسار، فكان طويلًا وهزيلًا، وعيناه صغيرتان وقاسيتان. كلاهما ارتدى خوذات مستديرة ومعاطف من دروع مهترئة، يحملان رماحًا طويلة جاهزة. أما قائدهما، فقد جلس على حصانه كشوال من اللفت، مضطجعًا في سرجه متراخيًا كفارس متمرس. أومأ برأسه نحو لوجن: «تسع أصابع! سليل عشيرة برين! التسع الدموية! من الجيد حقًا أن أراك مجددًا».

تمتم لوجن بابتسامة مصطنعة: «الإصبع السوداء. كان ليسعد قلبي برؤيتك أيضًا، لو في ظروف مختلفة».

- لكنها كما هي.

تجولت عين المحارب العجوز ببطء بين باياز وكواي ولوچن وهو يتحدث، يتفحص أسلحتهم أو الغائب منها، واضعاً خطته. لو كان خصماً أغبى، لكان من الممكن أن تتساوى الكفة، لكن الإصبع السوداء كان رجلاً مُسمًى، فلم يكن أحق. توقفت عيناه عند يد لوچن التي زحفت ببطء عبر جسده نحو مقبض سيفه، فhez رأسه ببطء: «لا حيل منك، يا تسع دموية. يمكنك رؤية أننا نحيط بكم». وأوماً برأسه نحو الأشجار خلفهم.

هوى قلب لوچن أكثر. ظهر فارسان آخران يتقدمان ببطء لإغلاق الفخ عليهم، بالكاد أصدرت حوافر خيولهم الملفوفة بالخرق صوتاً على الأرض الناعمة على جانب الطريق. عض لوچن شفتيه. كان الإصبع السوداء محقاً، تباطأ له. اقترب الفرسان الأربعة، رؤوس رماحهم منخفضة ومتأرجحة، وجوههم باردة، وعقولهم عازمة على المهمة. كان مالاكوس كواي يحدق إليهم بعينين ممتلئتين بالخوف، فيما أخذ حصانه في التراجع. أما «باياز»، فقد ابتسم ابتسامة ودية وكأنهم أصدقاؤه القدامى. تمنى لوچن لو كان لديه جزء من تماسك الساحر، فقلبه كان يدق بعنف، وفمه ممتلئاً بالمرارة.

نكز الإصبع السوداء حصانه للتقدم، ممسكاً فأسه في يد، والأخرى تستريح على ركبته دون أن يستخدم اللجام. كان فارساً بارعاً، واشتهر بذلك. هذا ما يحدث عندما يفقد المرء كل أصابع قدميه بسبب الصقيع. الركوب أسرع من المشي، لا شك في ذلك، لكن حينما يتعلق الأمر بالقتال، كان لوچن يفضل أن تبقى قدماه ثابتتين على الأرض. قال المحارب العجوز: «عليك أن تأتي معنا الآن، هذا أفضل لمصلحة الجميع».

لم يستطع لوچن أن يتفق معه، لكن الكفة كانت مائلة بشدة ضده. قد يكون للسيف صوت كما قال باياز، لكن الرمح كان فعّالاً في طعن رجل على ظهر حصانه، وهناك أربعة يقتربون منه من كل جانب. لقد وقع في الفخ، محاصراً، ومفاجأً، ومسلحاً بما لا يتناسب مع المهمة. لكن مع ذلك الأفضل أن يحاول اكتساب الوقت، أملاً أن تلوح له فرصة. تنحى لوچن، محاولاً قدر الإمكان إخفاء الخوف من صوته: «لم أكن لأفكر أنك ستتصالح مع بيثود، أيها الإصبع السوداء، ليس أنت».

حك المحارب العجوز لحيته الطويلة المتشابكة: «في الواقع كنت من أواخر من فعل ذلك، لكنني ركعت في النهاية، مثلما فعل الجميع. لا أستطيع

القول إنني أحببت الأمر، لكن هكذا هو الحال. الأفضل أن تسلمني السيف يا تسع أصابع».

- ماذا عن العجوز ياول؟ هل تحاول إقناعي أنه انحنى لبيثود؟ أم أنك فقط وجدت سيدًا يناسبك أكثر؟

لم يتأثر الإصبع السوداء بالسخرية، على العكس، بدا حزينًا ومتعبًا. قال: «ياول مات، وكأنك لا تعلم. معظمهم ماتوا. بيثود لا يناسبني كثيرًا كسيد، ولا أبناؤه. فلا أحد يحب أن يلحق مؤخرة سكيل السمينية أو كالدر الهزيلة، أنت أفضل من يعرف ذلك. والآن، سلم السيف، فاليوم ينقد، ولدينا طريق طويل لنقطعه. يمكننا التحدث وأنت أعزل».

- مات ياول؟

قال الإصبع السوداء مرتبًا: «نعم، عرض المبارزة على بيثود. ألم تسمع؟ بارز المخيف من أجله».

مكتبة

t.me/soramnqraa

- المخيف؟

- أين كنت، تحت جبل؟

- نوعًا ما. ما هو هذا المخيف؟

- أنا لا أعرف ما هو. (انحنى الإصبع السوداء من سرجه وبصق في العشب) سمعت أنه ليس آدميًا على الإطلاق. يقولون إن العاهرة كوريب أخرجه من تحت تل. من يعرف؟ على أي حال، فهو بطل بيثود الجديد، وأكثر شراً بكثير حتى من الأخير، من دون إساءة.

قال لوجن: «مطلقًا». اقترب الرجل الذي بلا رقبة. ربما أقرب من اللازم، حيث كانت ذبابة رمحه تحوم على بعد قدم أو اثنتين منه. قريبًا بما يكفي للوجن لاختطافه. ربما.

- العجوز ياول كان يملك يدًا قوية.

- نعم. ولهذا تبعناه. لكنها لم تنفعه. هذا المخيف كسره. كسره بشدة، وكأنه لم يكن سوى كلب. لقد تركه على قيد الحياة، إذا أمكن تسميته كذلك، حتى نتعلم من خطئه، لكنه لم يعيش طويلًا. ركع معظمنا حينها، أولئك الذين لديهم زوجات وأبناء يفكرون فيهم، فلا معنى لتأجيل الأمر. لا يزال هناك عدد قليل في الجبال ممن يرفضون الانصياع لبيثود. ذلك المجنون العابد للقمر كراموك-آي-فايل ورجاله، وعدد آخر لكنهم قلة.

وأما من تبقى منهم، فقد أعد بيثود خططاً لهم. (مد الإصبع السوداء يده الكبيرة الخشنة) الأفضل أن تعطيني النصل، يا تسع دموية. باليد اليسرى فقط إذا سمحت، وببطء شديد ودون حيلك المعتادة. هذا أفضل لمصلحة الجميع.

وهكذا كان الأمر. انتهى وقته. التقط لوجن مقبض سيفه بأصابع يده اليسرى الثلاث، وأمسك المعدن البارد براحة يده. اقتربت منه ذبابة رمح الرجل الكبير بعض الشيء. وكان الرجل الطويل قد استرخى قليلاً، واثقاً أنهم قد تمكنوا منه، فرمحه أشار لأعلى، غير جاهز. ولم يكن هناك سبيل لمعرفة ما يفعل الاثنان وراءه. الرغبة في النظر من فوق كتفه تكاد لا تقاوم، لكن لوجن أجبر نفسه على النظر أمامه.

- كنت أكنُّ لك الاحترام دائماً يا تسع أصابع، حتى ولو كنا على أجناب متضادة دائماً. لا أملك أي عدااء تجاهك. لكن بيثود يريد الانتقام، وهو ثمل عليه، وأقسمت له بالطاعة. (نظر إليه الإصبع السوداء بحزن في عينيه) أعتذر لكوني من سيفعل ذلك. مع أن ذلك لن ينفع كثيراً.

تمتم لوجن: «وأنا كذلك، أعتذر لكونك من سيفعل ذلك» (أخرج لوجن سيفه ببطء من غمده) مع أن ذلك لن ينفع كثيراً» ثم مدّ ذراعه بمقبض السيف ورطمه بغم الإصبع السوداء. أطلق المحارب العجوز صرخة حادة عندما ارتطم المعدن بأسنانه، وسقط للخلف من فوق السرج، فطارت فأسه من يده مرتطمةً بالطريق. أمسك لوجن بنهاية رمح الرجل الضخم، من بعد النصل مباشرة.

صاح في كواي: «اهرب!»، لكن المتدرب لم يفعل سوى النظر إليه، رمشاً بعينه. جذب الرجل عديم الرقبة الرمح بقوة، فكاد يطيح بلوحن من فوق السرج، لكنه تشبث بقوة. رفع لوحن نفسه بالحصان على قدميه الخلفيتين، ورفع سيفه عالياً فوق رأسه. ترك عديم الرقبة إحدى يديه عن الرمح، وعيناه متسعتان، رافعاً يده غريزياً لحماية وجهه، وهوى لوحن بالسيف بكل قوته.

ذهل لحدة النصل الذي بتر ذراع الرجل الضخمة من تحت مرفقه مباشرةً ماراً بكتفه عبر الفرو والدرع قاسماً الرجل لنصفين حتى معدته. انهمرت الدماء على أرض الطريق، وأغرقت وجه حصان لوحن. كان الحصان مُدرباً على الركوب وليس على الحرب، فوقف على قائمته الخلفيتين ودار حول نفسه، وأخذ يركل ويقفز في زعر. بالكاد استطاع لوحن التمسك به. رأى

بإياز بزاوية عينه يصفع حصان كواي على مؤخرته، فانطلق المتدرب مسرعاً، يتقاذف فوق السرج، وتبعهم حصان الحَمَل في عدو سريع.

ثم تحول كل شيء إلى فوضى من حيوانات مذعورة وصهيل، وتصادم المعادن وصرخات ولعنات. المعركة. مكان مألوف، لكنه لا يقل رعباً عن كل مرة. بينما أمسك لوَجِن اللجام بيده اليمنى كان حصانه يقفز ويهيج، ملوحاً بالسيف بجنون حول رأسه، أكثر لإخافة أعدائه. في كل لحظة كان يتوقع ضربة ثم الألم الحارق لاختراق جسده برمح، ثم تسارع الأرض للارتطام بوجهه.

رأى كواي وبإياز يهربان على الطريق، يطاردهما حثيثاً الرجل الطويل، ورمحه مدجج تحت ذراعه. رأى الإصبع السوداء ينهض، يبصق دمًا، ويهرول لالتقاط فأسه. رأى الرجلين اللذين جاءا من خلفه يحاولان السيطرة على خيولهما الهائجة، ورماحهما تتأرجح في أيديهما. رأى جثة الرجل الذي قسمه نصفين للتو تتدلى وتنزلق ببطء عن السرج، ودمائها تتدفق على الأرض الموحلة.

صرخ لوَجِن بحدة عندما شعر برأس رمح ينغرز في مؤخرة كتفه، ودُفع للأمام حتى كاد ينقلب من فوق رأس حصانه. ثم أدرك فجأة أنه ما زال على قيد الحياة، ويقف باتجاه الطريق، فغرز كعبيه في جانبي الحصان فانطلق بسرعة، ناثراً الطين بحوافره على وجوه الرجال خلفه. نقل السيف ليده اليمنى بصعوبة كاد فيها يسقط اللجام ويفقد توازنه. هَزَّ كتفه، لكن الجرح لم يبدُ سيئًا، بإمكانه تحريك ذراعه بشكل جيد.

«ما زلت حيًّا.. ما زلت حيًّا». ومض الطريق تحته بسرعة، ولسعت الرياح عينيه. كان يدنو حثيثاً من الرجل الطويل، فالخِرق على أقدام حصانه أبطأته، وأزلقت حوافره على الأرض الموحلة. أمسك لوَجِن بمقبض السيف بأقوى ما يمكنه، ورفع خلفه. استدار رأس عدوه، ولكن بعد فوات الأوان. ارتطم السيف بخوذته بقرع أجوف، تاركًا انبعاجاً عميقاً مطيحاً بالرجل الطويل. ارتطم رأسه مرة على الطريق، وقدمه ما تزال عالقة في الرُّكاب، ثم أخذ يتقلَّب على العشب، وأطرافه تتلاطم بلا حول. واصل حصانه العدو بلا راكب، وقابلت عيناه تدوران نحو لوَجِن عندما مرَّ بجانبه.

«ما زلت حيًّا». نظر لوَجِن من فوق كتفه. عاد الإصبع السوداء إلى السرج وكان يعدو خلفه، فأسه مرفوعة فوق رأسه، والشعر المتشابك يتطاير خلفه.

والرّمّاحان الآخران كانا معه، يحثان خيولهما للتسارع، ولكن لا تزال هناك مسافة بينهما. ضحك لوجن. لربما ينجو هذه المرة أيضًا. لوح بسيفه نحو الإصبع السوداء عندما دخل الطريق إلى غابة في قاع الوادي.

«ما زلت حيًّا!»، صرخ بأعلى صوته، ثم توقف حصانه فجأة لدرجة أن لوجن كاد يُلقى من فوق رأسه. فلم يتمكن من الحفاظ على جلسته إلا عندما لف ذراعه حول رقبة الحصان. وما إن استقر في السرج حتى رأى المشكلة، وكانت مشكلة سيئة.

أحدهم جرّ عدة جذوع أشجار لمنتصف الطريق، وقد قُطعت أغصانها وبُرِدَت أطرافها حتى أصبحت حادة وخطيرة، تبرز في كل الاتجاهات. وقف أمامها اثنان من المحاربين المدرعين، يحملان رماحهما بتأهب. حتى أمهر الفرسان لم يكن ليتجاوز ذلك الحاجز، ولوجن لم يكن أمهر الفرسان. بدا أن باياز وتلميذه قد وصلا إلى القرار نفسه، إذ جلس كلاهما على جواديهما أمام الحاجز، العجوز حائر، والشاب مرتعب.

قبض لوجن على مقبض سيفه وراح ينظر حوله بياس، يتفحص الأشجار بحثًا عن مخرج، فرأى المزيد من الرجال. رماة أسهم. واحد، ثم ثان، ثم ثالث، يزحفون ببطء من كلا جانبي الطريق، سهامهم جاهزة وأوتار أقواسهم مشدودة.

دار لوجن فوق سرجه، لكن الإصبع السوداء ورفيقه كانوا قد اقتربوا مسرعين، ولم يكن هناك مفر في ذلك الاتجاه. توقفوا بعيدًا على مسافة عدة خطوات، بعيدًا عن نطاق سيف لوجن. سقطت كتفه. انتهت المطاردة. انحنى الإصبع السوداء وبصق بعض الدم على الأرض: «حسنًا، أيها التسع الدموية، هذا هو آخر ما ستذهب عنده».

تمتم لوجن: «شيء مضحك، ونظر إلى أسفل على نصل السيف الرمادي الطويل، المخطط والمتناثر عليه اللون الأحمر) كنت أقاتلك من أجل بيثود طوال الوقت، والآن أنت تقاتلني من أجله. يبدو أننا لسنا على الجانب نفسه أبدًا، وهو الفائز الوحيد. شيء مضحك».

تمتم الإصبع السوداء بشفتين ملطختين بالدماء: «نعم.. مضحك». لكن لم يكن هناك من يضحك. كانت أوجه الإصبع السوداء ورجاله جامدة كالموت، وبدا كواي على وشك البكاء. فقط باياز، ولأسباب غير مفهومة، هو الذي لا يزال يتمتع بروح دعابته الطيبة المعتادة: «حسنًا أيها الأصابع التسع، انزل

عن الحصان. بيثود يريدك حيًا، لكنه سيرضى بك ميتًا إذا اضطر إلى ذلك.
انزل! الآن!».

بدأت أفكار لوچن تنحو نحو كيفية الهروب، بعد أن استسلم للأمر. فلم يتوقع من الإصبع السوداء أن يرتكب أي خطأ بعد القبض عليهم. على الأرجح سيتعرض للركل حتى يقترب من الموت، بسبب المقاومة التي أبدأها، هذا إن لم يحطما رُكبتيه. سيُقيدونهم بإحكام كدجاج معد للذبح. تخيل نفسه ملقى على الحجارة، ملفوفًا بنصف ميل من السلاسل، وبيثود يبتسم فوق عرشه، وكالدردوسكيل يضحكان، وربما يطعناناه بشيء حاد.

نظر لوچن حوله. نظر إلى رؤوس السهام الباردة، ورؤوس الرماح الباردة، وأعين الرجال الباردة الموجهة إليه. لم يكن هناك أي مخرج من هذا المكان الضيق.

«حسنًا، أنت تفوز». ألقى لوچن سيفه على الأرض، طرفه لأسفل. اعتقد أنه سينغرز في الأرض مستقيمًا، يتمايل على الجانبين، لكنه انقلب وقرقع على التراب. كان يومًا من تلك الأيام الصعبة. أرجح إحدى ساقيه ببطء وانزلق فوق السرج إلى الطريق.

- هذا أفضل. والآن بقيتكم.

انزلق كواي على الفور عن حصانه ووقف ينظر بعصبية إلى باياز، لكن المجوسي لم يتحرك. عبس الإصبع السوداء ورفع فأسه: «أنت أيضًا أيها العجوز».

- أنا أفضل الركوب.

جفل لوچن. لم تكن هذه هي الإجابة الصحيحة. وفي أي لحظة الآن سيعطي الإصبع السوداء الأمر. وستغني الأوتار ويسقط أول المجوس على الطريق، بجسد ممتلئ بالسهام، وربما تبقى على وجهه الميت تلك الابتسامة المثيرة للغضب.

ولكن الأمر لم يصدر. لم تكن هناك كلمة أمر، ولا تعويذة غريبة، ولا إيماءات غامضة. بدا الهواء حول كتفي باياز كأنه يتلألأ، مثل الهواء فوق الأرض في يوم حار، وشعر لوچن بشد غريب في أحشائه.

ثم انفجرت الأشجار في جدار من اللهب الأبيض الحارق الباهر. تفتتت الجذوع وتكسرت الأغصان بصوت فرقعة يصم الآذان، وانبعثت أعمدة من

النار المتوهجة والبخار الحارق. اندفع سهم مشتعل عاليًا فوق رأس لوّجن، ثم اختفى الرماة، تلاشت أجسادهم في لهيب الفرن.

اختنق لوّجن وشهق عائدًا إلى الخلف من الصدمة والرعب، ورفع ذراعه ليحمي وجهه من الحرارة اللافة. قذف الحاجز شلالات ضخمة من النار والشرر الباهر، تدحرج الرجلان الواقفان جانبه وتلويًا ملتفين بالسنة اللهب الجائعة، فيما ضاعت صرخاتهما في هدير النيران المدوي.

اندفعت الخيول مفزوعة تصهل وكأنّ مسًا من الرعب أصابها. طُرح الإصبع السوداء أرضًا للمرة الثانية، وطارت فأسه المشتعلة من يديه، وتعثّر حصانه فوقه. لاقى أحد رفاقه حطًا أسوأ بكثير، إذ ارتمى في السنة اللهب على جانب الطريق، فأخمدت صرخاته اليائسة سريعًا. واحد فقط من بقي واقفًا، كان محظوظًا لارتداء قفازات. وبمعجزة ما، تمكن من الإمساك برمحه المشتعل.

كيف امتلك رباطة الجأش ليشن هجومه وسط هذا العالم المشتعل من حوله، لن يعرف لوّجن أبدًا. أشياء غريبة يمكن أن تحدث وسط القتال. اختار «كواي» هدفًا له، وانقضّ عليه مزمرًا يوجّه الرمح المشتعل نحو صدره. وقف التلميذ الأخرق عاجزًا، متسمّرًا في مكانه. تدحرج لوّجن نحوه وانتزع سيفه دافعًا «كواي» ليتدحرج عبر الطريق وهو يغطي رأسه بيديه، ثم ضرب أرجل الحصان بلا تركيز وهو يمرق بجانبه.

انتزع السيف من يديّ لوّجن وتطاير بعيدًا، ثم ضربه أحد حوافر الحصان في كتفه المصابة، ملقيًا به على الأرض. انقطعت أنفاسه ودار العالم المشتعل حوله بجنون. لكن ضربته أصابت هدفها مع ذلك. بعده بعدة خطوات قليلة، انهارت ساقا الحصان الأماميتان الممزقتان وسقط عاجزًا، متدحرجًا للأمام، مندفعًا هو وفارسه إلى النيران، ليختفيا معًا في السنة اللهب.

مسح لوّجن الأرض بحثًا عن سيفه. تطايرت أوراق مشتعلة فوق الطريق، فلسعت وجهه ويديه. ضغطت الحرارة عليه كثقل هائل يجذب العرق من جسده. وجد مقبض السيف الملطخ بالدماء، فأمسك به بأصابعه الممزقة. نهض مترنحًا، واستدار، يصرخ بصيحات غضب لا معنى لها، لكن لم يعد هناك من يقاّله. اختفت النيران كما ظهرت فجأة، تاركةً لوّجن يسعل ويحرق إلى الدخان المتصاعد.

ثم عمّ صمتٌ كاملٌ بعد الضجيج الهادر، وأصبح النسيم الخفيف باردًا كالجليد. تحولت دائرة واسعة من الأشجار المحيطة بهم لجذوع متفحمة

ومهشمة، وكأنها كانت تحترق لساعات. أما الحاجز فأصبح كومة رخوة من رماد رمادي وشظايا سوداء. ارتمت جثتان عن قرب، بالكاد يمكن التعرف عليهما أنهما لرجلين فقد احترقتا حتى العظام. بينما أُلقيَت نصال الرماح السوداء على الطريق، اختفت أيديها الخشبية تمامًا. أما رماة الأسهم أنفسهم فلم يبقَ لهم أثر على الإطلاق، أصبحوا سخامًا تطايرتها الريح. تمدد كواي بلا حراك على وجهه، ويداه فوق رأسه، وبعده على مقربة كان حصان الإصبع السوداء ملقى على جانبه، وإحدى قوائمه ترتعش بصمت، والبقية ساكنة.

قال باياز بصوت مكتوم: «حسنًا. ها قد انتهى الأمر». انتفض لوِجَن فقد كان يتوقع بطريقة ما ألا يكون هناك أي صوت آخر أبدًا. قفز أول المجوس عن سرجه ونزل إلى الطريق. وقف حصانه، هادئًا ومطيعًا. لم يتحرك طوال الوقت.

- ها قد رأيت، يا سيد كواي، ما يمكن فعله بالفهم الجيد للنباتات؟
كان صوت باياز هادئًا، لكن يديه كانتا ترتجفان بشدة. بدا مرهقًا، ومريضًا، وكأنه رجل جرَّ عربة لعشرة أميال للتو. حلق إليه لوِجَن وهو يترنح في صمت إيابًا وذهابًا، وسيفه يتدلى من يده.

- إذن هذا هو الفن، أليس كذلك؟

بدا صوته منخفضًا وبعيدًا جدًا.

مسح باياز العرق عن وجهه: «نوعًا ما. ودقيق جدًا. ومع ذلك، (وهو ينكر إحدى الجثث المتفحمة بحذائه) فالدقة تضيع على الشماليين. (ابتسم وفرك عينيه الغائرتين ونظر نحو الطريق) إلى أين ذهبت تلك الخيول بحق الجحيم؟».

سمع لوِجَن أنينًا خشنًا قادمًا من عند حصان الإصبع السوداء الساقط. ذهب نحوه، تعثر وسقط على ركبتيه، ثم نهض وتعثر مرة أخرى. كانت كتفه كتلة من الألم، وتخذلت ذراعه اليسرى، وتمزقت أصابعه ونزفت، لكن الإصبع السوداء كان أسوأ منه. أسوأ بكثير. اتكأ على مرفقيه، وساقاه مهشمتان تحت حصانه حتى الوركين، ويداه محترقتان ومنفتختان كخرق بالية. بدت نظرة اندهاش عميق على وجهه الملطخ بالدماء وهو يحاول، دون جدوى، جر نفسه من تحت الحصان.

همس، يحدق بفم مفتوح إلى بقايا يديه: «لقد قتلتنى بحق الجحيم، لقد انتهيت تمامًا. لن أعود أبدًا، وحتى لو استطعت، فلم؟ (وأطلق ضحكة يائسة) بيثود لم يعد بنصف رحمته السابقة. الأفضل أن تقتلني الآن، قبل أن يبدأ الألم. هذا أفضل لمصلحة الجميع».

ثم هوى واستلقى على الطريق.

نظر لوچن إلى باياز، لكن لم يبد منه أي أمل للمساعدة. قال الساحر بحدة، ناظرًا إلى الدائرة المحترقة من الجذوع: «لست بارعًا في الشفاء، أخبرتك أننا نميل إلى التخصص». أغمض عينيه وانحنى، واضعًا يديه على ركبتيه، وهو يتنفس بصعوبة.

تذكر لوچن أرضية قاعة بيثود، والأميران يضحكان ويطعنانه بالسخرية. تمت، ووقف رافعًا سيفه: «حسنًا، حسنًا».

ابتسم الإصبع السوداء: «كنت محققًا، يا تسع أصابع. لم يكن ينبغي لي أن أركع لبيثود مطلقًا. اللعنة عليه وعلى المخيف. كان الأفضل أن أموت في الجبال، أقاتل حتى آخر رمق. ربما كان في ذلك شيء من الكرامة. كنت قد اكتفيت فحسب. يمكنك رؤية ذلك، صحيح؟».

- أستطيع أن أرى ذلك، أنا نفسي قد اكتفيت.

قال الإصبع السوداء وهو يحدق بعيدًا إلى السماء الرمادية: «شيء من الكرامة، لقد اكتفيت فحسب. أعتقد أنني استحققت هذا. العدل عدل. (رفع ذقنه) حسنًا إذن. أنه الأمر يا فتى. (رفع لوچن السيف) أنا سعيد أنه أنت يا تسع أصابع، (همس الإصبع السوداء عبر أسنانه المطبقة) مع أن ذلك لن ينفع كثيرًا».

- أنا لست كذلك.

وهوى لوچن بالنصل لأسفل.

كانت الجذوع المتفحمة لا تزال تنفث الدخان، تتلوى أعمدته في الهواء، لكن كل شيء بات باردًا الآن. كان الطعم في فم لوچن مالحًا. ربما عض لسانه في وقت ما. أو ربما كان دم أحد آخر. رمى السيف على الأرض، فارتطم وقعع ناثراً قطرات حمراء على التراب. تطلع كواي حوله بذهول للحظة، ثم انحنى وتقيأ في الطريق. حدق لوچن إلى جثة الإصبع السوداء مقطوعة الرأس: «كان رجلًا جيدًا. أفضل مني».

قال باياز وهو ينحني بصعوبة ليلتقط السيف: «التاريخ ممتلئ برجال طيبين ماتوا. (مسح النصل على معطف الإصبع السوداء، ثم ضَيَّقَ عينيه نحو الطريق يحاول اختراق ضباب الدخان المتصاعد) علينا أن نتحرك. قد يكون هناك آخرون في طريقهم».

نظر لوجن إلى يديه الداميتين، يقلبهما ببطء مرارًا وتكرارًا. كانت يداها، بلا شك. ها هي الإصبع المفقودة، تمتم لنفسه: «لم يتغير شيء».

اعتدل باياز، ينفذ التراب عن ركبتيه: «منذ متى تغير شيء من قبل؟ (مد يده بالسيف نحو لوجن، بالمقبض نحوه) أظنك ما زلت بحاجة إليه».

حدق لوجن إلى النصل للحظة. كان نظيفًا، ورماديًا باهتًا، كما كان دائمًا. على عكسه هو، لم تظهر عليه حتى خدشة واحدة من الاستخدام العنيف الذي مر به ذلك اليوم. لم يُرد استعادته. قط.

لكن مع ذلك، أخذه.

الجزء الثاني

*”الحياة، هي في الواقع، ليست معركة بين
الجيد والسيئ، بل بين السيئ والأسوأ“.*

- جوزيف برودسكي

كيف تبدو الحرية

انغرزت مقدمة الجاروف في الأرض، مصدرة صوت احتكاك حاد بين المعدن والأرض. كان صوتًا مألوفًا للغاية. فلم يخترق الجاروف الأرض بعمق، رغم الجهد المبذول، فالتربة كانت صلبة وقاسية، وقد جففتها الشمس.

لكنها لم تكن لتدع القليل من التربة المتحجرة يثنيها.

حفرت الكثير من الحفر، وفي أرض أصعب للحفر من هذه.

بعد انتهاء القتال، إن كنت حيًا، ستبدأ بالحفر. تحفر قبورًا لرفاقك الذين سقطوا. دليل أخير على الاحترام، مهما كان ذلك قليلًا. تحفر بقدر ما تسمح لك به عزيمتك، تلقي بهم فيها، وتردم عليهم، ويتحللون ويُنسَوْنَ. هكذا كانت الأمور دائمًا.

رفعت كتفها لتلقي ملء الجاروف من التربة الرملية بعيدًا. تابعت عيناها حبات التراب والحجارة الصغيرة وهي تتناثر في الهواء، ثم تسقط على وجه أحد الجنود. عين واحدة كانت تحقق إليها معاتبة. أما الأخرى فقد اخترقتها أحد سهامها التي انكسرت في محجرها. كانت بعض الذبابات تحوم بكسل حول وجهه. لن يُدفن هذا الجندي، فالقبور مخصصة لأفراد جماعتها. هو وأصدقاؤه اللقطاء سيبقون في هذا العراء تحت الشمس الحارقة.

ففي النهاية، يجب أن تأكل النسور.

حف نصل الجاروف بالهواء، ثم انغرز مجددًا في التربة. تهاوت كتلة أخرى من التراب. استقامت ومسحت العرق عن وجهها. حدقت إلى السماء. توهجت الشمس فوقها تمامًا، تمتص ما تبقى من رطوبة في هذه الأرض الجافة، تجفف الدم الذي لطح الصخور. نظرت إلى القبرين بجانبها. تبقى

قبرٌ واحد. ستكمله، ثم تلقي التراب على هؤلاء الحمقى الثلاثة، وتستريح قليلاً، ثم ترحل.

سيأتي آخرون من أجلها قريباً بما يكفي.

غرزت الجاروف في الأرض، والتقطت قربة الماء الجلدية وانتزعت سدadtها. ابتلعت بضع جرعات دافئة، وسمحت لنفسها برفاهية سكب بعض الماء على يدها المتسخة، ورشّته على وجهها. على الأقل أنهى موت رفاقها تلك المشاحنات التي لا تنتهي من أجل الماء.

الآن، صار هناك ما يكفيها لتتجول به.

«ماء»... لهث جندي قرب الصخور. تفاجأت أنه لا يزال حيّاً. أخطأ سهمها موضع قلبه، لكنه نال منه مع ذلك، فقط بشكل أبطأ مما انتوت له.

تمكن من الزحف حتى وصل إلى الصخور، لكن أيام زحفه قد وُلّت. تغطت الحجارة المحيطة به بدم داكن. ستتولى الحرارة وذلك السهم إنهاء أمره قريباً، مهما كان قوياً.

لم تكن عطشى، لكن كان لديها ماء زائد ولن تستطيع حمله كله. أخذت جرعات أخرى، وتركت بعض الماء يتدفق من فمها إلى عنقها. هذر الماء تَرَفُّ نادر في هذه الأراضي الخبيثة. سقطت قطرات لامعة على الأرض الجافة، فحولتها إلى لون داكن. رشّت المزيد على وجهها، ولعقت شفّتيها، ثم نظرت نحو الجندي.

احتضن صدره بإحدى يديه حيث خرج السهم منه، وامتدت الأخرى نحوها بضعف. نعق: «الرحمة...».

- الرحمة؟ هاه! (دفعت السدادة مرة أخرى إلى القربة، وألقته بجوار القبر) ألا تعرف من أنا؟

وأمسكت بمقبض المجرفة، فغرزت طرف نصلها في الأرض مرة أخرى.

- فيرؤو مالچين! (جاء الصوت من مكان ما خلفها) أنا أعرف من أنت!

تطور غير مرحب به على الإطلاق.

أرجحت الجاروف مجدداً، وعمل ذهنها بسرعة. كان قوسها مرمياً على الأرض بعيداً عن متناول يدها بجوار أول قبر حفرت. ألقت حفنة التراب بعيداً، وارتعشت كتفها المتعرقتان قلقاً من الحضور غير المرئي. نظرت

نحو الجندي المحتضر فوجدته يحدق إلى نقطة خلفها أعطتها فكرة جيدة عن مكان وقوف الوافد الجديد.

غرزت رأس الجاروف في الأرض مرة أخرى، ثم تركته وقفزت من الحفرة، وتدحرجت فوق التراب، وفي حركة واحدة التقطت قوسها، ولقمت سهمًا وسحبت الوتر بسلاستها المعتادة. كان رجلًا مسنًا يقف على بعد عشر خطوات. لم يتحرك نحوها، ولم يحمل أي سلاح. كان فقط واقفًا، ينظر إليها بابتسامة هادئة.

أطلقت السهم.

كانت فيرُو بالقوس والسهم من أمهر ما يمكن أن يصل إليه رام من دقة. ويمكن للجنود العشرة الموتى أن يشهدوا على ذلك، لو كانوا قادرين. ستة منهم انغرزت سهامها في أجسادهم، وفي تلك المعركة لم تخطئ ولا مرة. لا تتذكر أنها أخطأت قط من مثل هذه المسافة القريبة، مهما كان مدى سرعة التصويب والإطلاق. قتلت رجلًا من مسافات أبعد بعشر مرات من ذلك الرجل العجوز المبتسم الآن.

لكن هذه المرة أخطأت.

بدا السهم وكأنه انحرف في الهواء. ربما به ريشة معيوبة، لكن ذلك لم يكن طبيعيًا على أي حال. لم يجفل الرجل العجوز، لم تهتز منه شعرة واحدة. فقط ظل واقفًا، مبتسمًا، باقياً مكانه تمامًا، ومرَّ السهم بوضع بوصات بالقرب منه، واختفى في سفح التل.

وهذا منح الجميع وقتًا للتفكير في الوضع.

هذا العجوز كان غريبًا. بشرته شديدة السواد كالفحم، ما يعني أنه جاء من أقصى الجنوب، عبر الصحراء الواسعة القاحلة. تلك رحلة لا يخوضها أحد بسهولة، ونادرًا ما رأت فيرُو من نجح في ذلك. كان طويل القامة، نحيلًا، له ذراعان ظاهرة أوتارهما، وعباءة بسيطة تلتف حوله. تكدست حول معصميه أساور غريبة، غطت نصف ساعديه، تلتمع بلون فاتح وداكن تحت أشعة الشمس القائلة.

كان شعره عبارة عن كتل من الخصل الرمادية المحيطة بوجهه، تدلى بعضها حتى وصل إلى خصره، وعلى فكه المدب كانت لحية رمادية خفيفة. كان لديه قربة ماء كبيرة ملفوفة حول صدره، وعدة أكياس جلدية معلقة من

حزام حول خصره. لا شيء آخر معه. لا سلاح لديه. وهذا هو أغرب ما في الأمر، لرجل يتجول في هذه الأراضي الخبيثة. لا أحد يأتي إلى هذا المكان المنسي إلا الهاربون، ومن يُرسل لمطاردتهم. وفي كلتا الحالتين، عليهم أن يكونوا مسلحين جيدًا.

لم يكن جنديًا من جوركول، ولم يكن من الحثالة القادمين للجائزة التي على رأسها. لم يكن لصًا، ولا عبدًا هاربًا. فمن يكون إذن؟ ولماذا هو هنا؟ لا بد أنه جاء لأجلها. ربما يكون واحدًا منهم: أكلاً.

من غيره سيجوب الأراضي الخبيثة بلا سلاح؟ لم تدرك أنهم يريدونها إلى هذه الدرجة.

ظل العجوز واقفًا بلا حراك، يبتسم نحوها. مدت يدها ببطء نحو سهم آخر، وكانت عيناه تتبعان حركتها دون أي قلق.

قال بصوت بطيء وعميق: «هذا ليس ضروريًا حقًا».

ألقت قوسها السهم. لم يتحرك العجوز. هزت كتفها وأخذت وقتها في التصويب. ظل العجوز مبتسمًا، بلا أدنى مبالاة. أطلقت السهم. ومجددًا، أخطأته ببضع بوصات، هذه المرة في الجهة الأخرى، وانطلق السهم نحو أسفل التل.

مرة قد تكون صدفة، ستعترف بذلك، لكن مرتين! هذا كان خطأ. إن كانت فيرو تعرف شيئًا واحدًا، وشيئًا واحدًا فقط، فمؤكد أنه القتل. كان يفترض بسهمها أن يخترق هذا الأحق العجوز، لينزف آخر قطرة من دمه على هذه التربة الصخرية. لكن الآن، فمجرد وقوفه هناك مبتسمًا، بدا وكأنه يقول لها: «أنت تعرفين أقل مما تظنين. أنا أعرف أكثر».

وهذا كان أمرًا مثير للحنق للغاية.

- من أنت أيها العجوز اللقيط؟

- اسمي يولواي.

- سيكفيك العجوز اللقيط!

ألقت بقوسها على الأرض، وتركت ذراعيها تسقطان بمحاذاة جسدها بحيث تخفي يدها اليمنى عن مجال رؤيته. لوت معصمها، وسقط خنجر مَقْوَس من كمها إلى كفها المفتوحة. هناك العديد من الطرق لقتل الرجل، وإذا فشلت إحداها، فعليك تجربة أخرى.

لم تكن فيرؤ ممن يستسلمون مع أول عثرة.

بدأ يولواي يتحرك نحوها ببطء، قدماه الحافيتان تخطوان بهدوء على الصخور، وأساوره تشخلل بنعومة. رأت غرابة الموقف بعد أن فكرت في الأمر. إن كان يصدر صوتًا في كل مرة يتحرك فيها، كيف تمكن من التسلل خلفها دون أن تشعر؟

- ماذا تريد؟

- أريد أن أساعدك.

واصل تقدمه حتى صار على مسافة ذراع منها، ثم توقف وابتسم لها. كانت فيرؤ سريعة كالحيّة بالخنجر، وأشد فتكًا مرتين، كما كان سيشهد آخر أولئك الجنود لو كان قادرًا. مرق نصلها ملتصعًا في الهواء وراءه كل قوتها وغضبها. لو كان واقفًا في المكان الذي ظنت أنه فيه، لتدلى رأسه على جسده. لكنه لم يكن هناك. كان يقف على بعد خطوة إلى اليسار.

اندفعت نحوه بصيحة قتالية، تطعنه بمقدمة الخنجر اللامعة في قلبه. لكنها طعنت الهواء فحسب. فقد عاد إلى مكانه السابق، واقفًا بلا حراك ومبتسمًا طوال الوقت. غريب جدًا. بدأت تدور حوله بحذر، قدمها المنتعلتان للصنادل تحفان في التراب، ويدها اليسرى تدور في الهواء أمامها، واليمنى تقبض بشدة على مقبض الخنجر. عليها أن تكون حذرة... فما كان أمامها هو سحر.

- لا داعي للغضب. أنا هنا للمساعدة.

هتفت إليه مرة أخرى: «اللعة على مساعدتك».

- لكنك في حاجة إليها، وبشدة. إنهم قادمون من أجلك يا فيرؤ. هناك جنود في التلال، العديد من الجنود.

- سأسبقهم.

- هناك الكثيرون. لا يمكنك أن تسبقهم جميعًا.

نظرت حولها إلى الجثث المثقوبة: «سأطعمهم للنسور».

- ليس هذه المرة. إنهم ليسوا وحدهم. لديهم مساعدة.

عند كلمة «مساعدة»، أصبح صوته العميق أكثر عمقًا.

عبست فيرؤ: «كهنة؟».

- نعم، وأكثر من ذلك. (اتسعت عيناه جدًّا. وهمس قائلاً) آكل. يريدون أخذك حية. يريد الإمبراطور أن يجعل منك عبرة. ينتوي وضعك للعرض.

شخرت: «فلينكح الإمبراطور».

- سمعت أنك فعلت ذلك بالفعل.

زمجرت ورفعت الخنجر مجددًا، لكنه لم يكن خنجرًا. كان في يدها أفعى تهس، أفعى قاتلة، فاغرة فمها لتلدغ. صرخت: «آغ!» وألقتها على الأرض، ودهست رأسها، لكنها دعست خنجرها بدلًا منها. انكسر النصل بصوت حاد. قال العجوز: «سيمسكون بك. سيمسكون بك، ويهشمون ساقيك بالمطارق في ساحة المدينة، حتى لا تهربي مجددًا. ثم سيطوفون بك في شوارع شافا، عارية، جالسة بالعكس على حمار، بعدما يحلقون شعرك، بينما يصطف الناس على الجانبين ليصرخوا في وجهك بالشتائم».

تجهمت في وجهه، لكن يولواي واصل حديثه دون توقف: «سيتركونك تموتين جوعًا في قفص أمام القصر، تحت الشمس الحارقة، بينما يسخر منك أهل جوركول، يبصقون عليك ويلقون عليك القاذورات عبر القضبان. وربما سيعطونك بولًا لتشربه، إن كنت محظوظة. وعندما تموتين أخيرًا، سيتركون جثتك تتعفن، وسيأكلك الذباب قطعة قطعة، وسيرى كل العبيد الآخرين كيف تبدو الحرية، ويقررون أنهم أفضل حالًا كما هم».

تململت فيرو من هذا الكلام. فليأتوا، وليأت معهم الأكل. لن تموت في قفص. ستذبح نفسها قبل أن يحدث ذلك. استدارت بوجه متجهم، والتقطت الجاروف وبدأت تحفر القبر الأخير بعنف. سرعان ما أصبح عميقًا بما يكفي. عميقًا بما يكفي لذلك الحثالة الذي سيتحلل داخله.

استدارت. كان يولواي جاثيًا بجانب الجندي المحتضر، يسقيه من قربة الماء التي يحملها على صدره.

صاحت: «اللعة!» وتحركت مسرعة، وأصابها قابضة حول مقبض الجاروف.

وقف العجوز عندما اقتربت. نعق الجندي ماذًا يده: «الرحمة».

صاحت: «سأمنحك الرحمة!» وغاص حد الجاروف في جمجمة الجندي.
ارتعش الجسم لبعض الوقت ثم سكن. التفتت إلى العجوز بنظرة انتصار.
نظر إليها بحزن. كان هناك شيء في عينيه. ربما شفقة.

- ماذا تريدان يا فيرُّو مالچين؟

- ماذا؟

- لمَ فعلتِ ذلك؟ (وأشار يولواي إلى الرجل الميت) ماذا تريدان؟

بصقت الرد: «الانتقام».

- منهم جميعًا؟ من أمة جوركول كلها؟ كل رجل وامرأة وطفل؟

- كلهم!

نظر الرجل العجوز حوله على الجثث: «إذن فلا بد أنك سعيدة جدًا بعمل
اليوم».

أجبرت نفسها على الابتسام: «نعم». لكنها لم تكن سعيدة للغاية. لم
تستطع أن تتذكر ما شعرت به. بدا الابتسام غريبًا، وغير مألوف، ومائلًا.

- وهل الانتقام هو كل ما تفكرين فيه، في كل دقيقة من كل يوم، هو
رغبتك الوحيدة؟

- نعم.

- أن تؤذيهم؟ أن تقتليهم؟ أن تنهي أمرهم؟

- نعم!

- ألا تريدان شيئًا لنفسك؟

توقفت: «ماذا؟»

- لنفسك. ماذا تريدان أنتِ؟

نظرت إلى العجوز بتشكك، لكن لم تجد ما ترد به عليه. هز يولواي رأسه
بأسى.

- يبدو لي، يا فيرُّو مالچين، أنك لا تزالين عبدة كما كنتِ دائمًا. أو كما
ستظلين أبدًا.

جلس متربّعًا على صخرة.

حدقت إليه للحظة، متحيرة. ثم تصاعد الغضب بداخلها مجددًا، ساخنًا ومطمئنًا.

- إن جئت لتساعدني، فيمكنك مساعدتي في دفنهم! وأشارت إلى الجثث الثلاث الملطخة بالدماء، المرصوصة بجانب القبور.

- أوه، لا. هذا عملك أنت.

أدارت ظهرها للعجوز وهي تلعن في سرها، وتوجهت نحو رفاقها السابقين. أمسكت بجثة شيبيد من تحت ذراعيه وجرتّها نحو القبر الأول فترك كعباه أثرين في التراب. عندما وصلت إلى الحفرة، ألقت بجثته داخلها. جاء دور ألوجاي. انساب فوقه سيل من التربة الجافة بعدما استقر في قاع القبر. التفتت إلى جثة نصار. قُتل بضربة سيف في منتصف وجهه. اعتقدت فيرو أنها حسّنت من شكله.

قال يولواي: «هذا يبدو شخصًا جيدًا».

- نصار. (وضحكت دون استمتاع) مغتصب، لص، جبان. (استجمعت بعض البلغم وبصقته في وجهه الميت. تناثرت بنعومة على جبهته) الأسوأ من بين الثلاثة. (نظرت إلى القبور) لكنهم كانوا جميعًا حثالة.

- صحبة لطيفة.

- المُطَارَدون لا يتمتعون برفاهية اختيار رفاقهم. (حدقت إلى وجه نصار الدامي) تأخذ ما يُعرض عليك.

- إن كنت تكرهينهم كثيرًا، فلم لا تتركينهم للنسور، كهؤلاء؟

ولوح يولواي بذراعه فوق الجنود المهزومين على الأرض.

- أنت تدفن من هو منك. (وركلت نصار في الحفرة، فتدحرج للأمام، وذراعه تتخبطان، وسقط وجهه في القبر للأسفل) هكذا هي الأمور دائمًا.

أمسكت بالجاروف وبدأت تهيل التراب المتحجر فوق ظهر نصار. عملت في صمت، والعرق يتجمع على وجهها ثم يتساقط على الأرض. بينما كان يولواي يراقبها كانت الحفر تمتلئ تدريجيًا. ثلاثة أكوام جديدة من التراب في هذه الأرض القاحلة. رمت الجاروف بعيدًا، فتقافز فوق إحدى الجثث وارتطم

بالحجارة. تبعثر سرب صغير من الذباب الأسود الغاضب عن الجثة، ثم عاد إليها.

التقطت فيرو قوسها وسهامها، وعلقتها على كتفها. أخذت قربة الماء، ووزنتها بعناية، ثم وضعتها على كتفها أيضًا. بعدها، بدأت تفتش جثث الجنود. أحدهم، يبدو أنه كان القائد، كان يحمل سيفًا جيدًا مقوسًا. لم يتمكن حتى من سحبه قبل أن يصاب في حلقه بأحد سهامها. استلته فيرو الآن، واختبرته ببضع حركات في الهواء. كان سيفًا جيدًا جدًا: متوازنًا بشكل ممتاز، وبينما نصله الطويل يلمع بحدّ حاد قاتل، كان مقبضه يعكس بريق الشمس. كان معه خنجر مُكَمَّل للسيف. أخذت الأسلحة وعلقتها في حزامها.

فتشت باقي الجثث، لكن لم يكن هناك الكثير لتأخذه. استخرجت سهامها من الجثث حيثما استطاعت. وجدت بعض العملات المعدنية، ورمتها بعيدًا. لن تزيدها إلا ثقلًا، فما الذي يمكنها شراؤه في هذه الأراضي الخبيثة؟ التراب؟ فلا يوجد غيره هناك، وهو مجاني.

كان لديهم بعض بقايا طعام، لكن لا تكفي حتى ليوم آخر. هذا يعني أن هناك آخرين، وربما كثيرون، وليسوا بعيدًا. كان يولواي صادقًا، لكن هذا لم يهمها.

استدارت وبدأت في السير جنوبًا، نزلت عن التل واتجهت نحو الصحراء الكبرى، تاركة العجوز خلفها فقال: «هذا هو الطريق الخطأ».

توقفت ونظرت نحوه في الشمس الساطعة. «ألن يأتي الجنود؟».

تألقت عينا يولواي: «هناك طرق عديدة للبقاء دون أن يلحظك أحد، حتى هنا في الأراضي الخبيثة».

نظرت إلى الشمال، إلى السهل الخالي من الملامح بالأسفل. تخرج نحو جوركول. لم يكن هناك تلة، أو شجرة، بالكاد شجيرة لأميال. لا يوجد مكان للاختباء.

- دون أن يلحظ أحد، حتى من قبل أكل؟

ضحك الرجل العجوز: «وخصوصًا من قبل هؤلاء الخنازير المتعجرفة. إنهم ليسوا نصف أذكاء كما تعتقدونهم. كيف تعتقدون أنني وصلت إلى هنا؟ جئت من خلالهم، بينهم، حولهم. أذهب حيث أشاء، وأخذ معي من أشاء».

ظلمت عينيها بيدها لتحجب عنها الشمس، ورنّت نحو الجنوب. امتدت الصحراء مسافة بعيدة بلا نهاية. بالكاد يمكن لفيرو أن تنجو هنا في البرية، بالكاد، لكن هناك، في تلك البوتقة المتقلبة من الرمال والحرارة القاسية؟ بدا أن العجوز قد قرأ أفكارها.

- هناك دائماً الرمال التي بلا نهاية. لقد عبرتها من قبل. يمكن القيام بذلك. لكن ليس من قبلك.

كان محقاً، اللعنة عليه. فيرو كانت نحيلة وصلبة مثل وتر قوس، لكن هذا يعني أنها ستدور في دوائر فترة أطول قبل أن تنهار على وجهها. كانت الصحراء أفضل من القفص أمام القصر كمكان للموت، لكن ليس بكثير. أرادت البقاء على قيد الحياة.

لا تزال هناك أمور عليها فعلها.

جلس العجوز هناك، متربّعاً، مبتسماً. ما الذي يريده؟ لم تثق فيرو بأحد، لكن لو كان ينوي تسليمها إلى الإمبراطور، لضربها على رأسها وهي تحفر، بدلاً من الإعلان عن قدومه. كان يمتلك السحر، وقد رأت ذلك بنفسها، وفرصة أفضل من لا شيء.

لكن ما الذي سيريده في المقابل؟ لم يقدم لها العالم شيئاً مجانياً من قبل، ولم تتوقع أن يبدأ بذلك الآن. ضيقت عينيها.

- ما الذي تريده مني، يا يولواي؟

ضحك العجوز. تلك الضحكة كانت تزداد إزعاجاً.

- دعينا نقول إنني سأقدم لك خدمة. وفي وقت لاحق، يمكنك أن تقدمي لي أخرى بالمقابل.

كان الرد خالياً من التفاصيل بشكل مقلق، لكن عندما تكون حياتك على المحك، عليك أن تأخذ ما يُعرض عليك. كرهت أن تضع نفسها تحت رحمة شخص آخر، لكن بدا أنه ليس لديها خيار.

ليس إذا أرادت أن تعيش حتى نهاية الأسبوع.

- ماذا سنفعل؟

- علينا أن ننتظر حلول الليل. (ألقى يولواي نظرة على الجثث المتناثرة حول الأرض، وجعد أنفه) لكن ربما ليس هنا.

هزت فيرُو كتفيها وجلست على القبر الأوسط. قالت: «هنا سيكفي، أود مشاهدة النصور وهي تأكل».

كانت سماء الليل صافية مرصعة بنجوم ساطعة، وقد انخفضت حرارة الهواء حتى بات باردًا تقريبًا. في السهل المظلم المترب أسفل التل، كانت النيران مشتعلة، بدا خط منحني منها وكأنه يطوّقهم على حافة الصحراء. هي، ويولواي، والجثث العشر وثلاثة قبور، كانوا محاصرين على التل. غداً، مع أول ضوء يتسلل فوق الأرض الجافة، سيزحف الجنود ببطء من عند تلك النيران نحو التلال. إن كانت فيرُو موجودة لدى وصولهم، فموتها محتوم، أو ما هو أسوأ: فستؤسّر. لن تقدر على قتال هذا العدد وحدها، حتى لو لم يكن هناك أكل بينهم.

كرهت أن تعترف بذلك، لكن حياتها كانت الآن بين يدي يولواي.

رفع رأسه نحو السماء المرصعة بالنجوم وضيق عينيه، وقال: «لقد حان الوقت».

هبطا على التل الصخري في الظلام، متجنبين الجلاميد والشجيرات شبه الميتة، غريبة الشكل، واتجها شمالاً نحو جوركول. فاجأها يولواي بتحركه السريع، وكادت فيرُو تركض للحاق به، عيناها مثبتتان على الأرض بحثاً عن موطن قدم بين الصخور الجافة. عندما وصلا أخيراً أسفل التل، رأت أنه قادها نحو الحافة اليسرى من الخط، حيث كانت أكثر عددًا.

همست وهي تمسك بكتفه: «انتظر (وأشارت إلى الجهة اليمنى، حيث كانت النيران أقل، فيكون التسلل أسهل عبرها) ماذا عن هذا الاتجاه؟».

لمحت أسنان يولواي البيضاء تلمع في ضوء النجوم.

- أوه، لا، فيرُو مالچين. هناك يوجد أغلب الجنود... وصديقنا الآخر. (لم يكن يولواي يحاول خفض صوته، مما جعلها تشعر بالتوتر) هذا هو المكان الذي يتوقعون أن تمرّي منه، لو قررت الذهاب شمالاً. لكنهم لا يتوقعون منك ذلك. يعتقدون أنك ستتوجهين جنوباً إلى الصحراء لتموتي، كما كنت ستفعلين بالضبط، لو لم أكن هنا.

استدار يولواي وتابع السير، وتحركت وراءه، منحنية نحو الأرض. مع اقترابهما من النيران، أدركت أن العجوز كان على حق. كان هناك جالسون حول بعض النيران، لكنهم متفرقون. أخذ يولواي يسير بثقة نحو أربع نيران على الطرف الأيسر، لم يكن منها إلا واحدة حولها رجال. لم يبذل أي جهد للبقاء منخفضاً، وبينما شخّلت أساوره برفق، كانت قدماه الحافيتان تصدران صوتاً واضحاً على الأرض الجافة. اقتربا بما يكفي لرؤية ملامح الرجال الثلاثة الجالسين حول النار. مؤكداً أن يولواي سيُكتشف في أي لحظة. هسهست لتلفت انتباهه، متيقنة أن أحدهم سيسمعها.

استدار يولواي، وبدا متحيراً في ضوء النيران الخافت وقال: «ماذا؟». تجهمت فيرو، منتظرة أن يقفز الجنود عليهم، لكنهم استمروا في حديثهم غير مباليين. نظر يولواي إليهم وقال: «لن يرونا، ولن يسمعونا أيضاً، إلا إذا بدأت بالصراخ في أذانهم. نحن آمنون». ثم واصل السير، محافظاً على مسافته من الجنود. تبعته فيرو، محافظة على خفض جسدها وصمتها، ولو من باب التعود.

مع اقتراب فيرو أكثر، بدأت تتبين كلمات محادثة الجنود. تباطأت وهي تصغي. توقفت. ثم بدأت تتحرك نحو النار. استدار يولواي، متسائلاً: «ماذا تفعلين؟».

نظرت فيرو إلى الرجال الثلاثة. أحدهم كان جندياً محنكاً، ضخماً وقوي البنية، والآخر نحيلاً يبدو مراوغاً، والثالث شاباً يبدو صادقاً، لا يبدو كجندي على الإطلاق. كانت أسلحتهم مرمية بجانبهم، في أغمادها، غير جاهزة للاستخدام. دارت حولهم بحذر، منصتة.

همس النحيل للشاب محاولاً إخافته: «يقولون إنها ليست على ما يرام في عقلها، يقولون إنها قتلت مئة رجل، أو أكثر. وإذا كنت حسن المظهر، تقطع فاكهتك وأنت حي، (ووضع النحيل يده بين فخذه) وتأكلها أمامك!».

قال الضخم: «آه، أغلق فمك، هي لن تقترب منا. (وأشار إلى المكان الذي تفرقت فيه النيران، وانخفض صوته إلى الهمس) إنها سوف تذهب إليه، إذا جاءت من هذا الاتجاه أصلاً».

قال الشاب: «حسناً، أتمنى ألا تفعل أبداً، عش ودع غيرك يعيش، كما أقول».

عبس الرجل النحيف: «وماذا عن كل الرجال الطيبين الذين قتلتهم؟ والنساء والأطفال أيضًا؟ ألم يكن لها أن تتركهم يعيشون؟» جرّت فيرّو على أسنانها. لم تقتل أطفالاً قط، على الأقل لم تتذكر أنها فعلت ذلك.

- حسناً، هذا مؤسف بالطبع. أنا لا أقول إنه لا ينبغي القبض عليها. (نظر الجندي الشاب حوله بعصبية) فقط ربما ليس من قبلنا.

ضحك الضخم على ذلك، لكن الرجل النحيف لم يبدُ مستمتعاً: «أنت جبان؟».

قال الشاب بغضب: «لا! لكني أعول زوجة وأسرة، ويمكنني الاستفادة من عدم التعرض للقتل هنا، هذا كل شيء. (ابتسم ابتسامة عريضة) نحن ننتظر طفلاً آخر. أتمنى أن يكون لدي ولد هذه المرة».

أوماً الضخم: «لقد كبر ابني الآن تقريباً. إنهم يتقدمون في السن بسرعة كبيرة».

حديثهم عن الأطفال والعائلات والآمال لم يزد فيرّو إلا غلياناً في صدرها. لماذا يُسمح لهم بحياة، بينما هي ليس لديها شيء؟ وهم وأمثالهم يأخذون كل شيء منها؟ سحبت الخنجر المُقوّس من غمده.

همس يولواي: «ماذا تفعلين، يا فيرّو؟».

التفت الشاب: «هل سمعت شيئاً؟».

ضحك الضخم: «أعتقد أنني سمعتك تتغوط على نفسك».

ضحك النحيف معه، وابتسم الشاب بخجل. تسللت فيرّو حتى صارت خلفه مباشرة. كانت على بُعد قدم أو اثنتين، أضاءتها النيران بوضوح، لكن لم يلتفت إليها أحد من الجنود. رفعت الخنجر.

صرخ يولواي: «فيرّو!». قفز الشاب واقفاً، ينظر عبر السهل المظلم، محدقاً، وحاجباه معقودان. نظر مباشرة نحو وجه فيرّو، لكن عينيه كانتا تركزان بعيداً خلفها. كانت تستطيع شمّ أنفاسه. التمع نصل الخنجر على بعد بوصة واحدة أو أقل من حلقه المشعث.

الآن. الآن هو الوقت المناسب. بإمكانها قتله سريعاً، ثم تقتل الاثنين الآخرين قبل أن يُنبّها آخرين. كانت تعرف أنها قادرة على ذلك. هم غير مستعدين، وهي جاهزة. الآن هو الوقت.

لكن يدها لم تتحرك.

سأل الجندي الكبير: «ماذا حل بك؟ لا يوجد شيء هناك».

قال الشاب، وما زال ينظر في وجهها مباشرة: «أكاد أقسم إنني سمعت شيئاً».

صرخ النحيف، وهو يقفز على قدميه ويشير: «انتظروا! ها هي! أمامكم تماماً».

تجمدت فيرو للحظة وهي تحقق إليه، ثم بدأ هو والرجل الكبير بالضحك. نظر الشاب بخجل، استدار وجلس مجدداً: «ظننت أنني سمعت شيئاً، هذا كل ما في الأمر».

قال الرجل الكبير: «لا يوجد أحد هناك»، بدأت فيرو تتراجع ببطء. شعرت بالغثيان، وامتلاً فمها ببصاق مريع، ورأسها ينبض. دفعت الخنجر إلى غمده مجدداً، واستدارت لتتربح مبتعدة، ويولواي يتبعها بصمت.

عندما خبت النيران وأصوات الحديث بعيداً، توقفت وسقطت على الأرض الصلبة. هبّت رياح باردة عبر السهل القاحل، حاملة معها غباراً لاسعاً في وجهها، لكنها بالكاد لاحظت. تلاشى الحقد والغضب مؤقتاً، لكنهما تركا فراغاً خلفهما، ولم يكن لديها ما تملأ به هذا الفراغ. شعرت بالبرد والفراغ والغثيان والوحدة. احتضنت نفسها، تتأرجح ببطء ذهاباً وإياباً، وأغمضت عينيها. لكن الظلام لم يحمل لها أي عزاء.

ثم شعرت بيد العجوز تضغط على كتفها.

في العادة، كانت ستبتعد عنه بعنف، ترميه أرضاً، وتقتله لو استطاعت. لكن فارقتها كل قوتها تماماً. نظرت إلى أعلى وهي ترمش: «لم يتبق مني أي شيء. ماذا أكون؟ (وضعت يداً على صدرها، لكنها بالكاد شعرت بها) لا يوجد شيء بداخلي».

- حسناً. من الغريب أن تقولوا هذا. (ابتسم يولواي ونظر إلى السماء المرصعة بالنجوم) كنت أفكر للتو أنه لربما هناك شيء بداخلك يستحق الإنقاذ.

عدالة الملك

أدرك چيزال، بمجرد أن وصل إلى ساحة المارشالات، أن هناك خطأ ما. لم يكن اجتماع المجلس المفتوح بنصف هذا الازدحام من قبل. ألقى نظرة عابرة على تجمعات الناس المتأنقين وهو يسرع جوارهم متأخرًا بعض الشيء ويلهث من تربيته الطويل. كانت الأصوات خافتة، والوجوه متوترة تنتظر في ترقب.

شق طريقه عبر الحشد نحو مجلس اللوردات، ناظرًا بريبة إلى الحراس المصطفين بجانب الأبواب المزخرفة بدوا على الأقل كما عهدهم، أقنعهم الثقيلة لا تكشف شيئًا. عبر غرفة الانتظار، والأعلام القماشية الزاهية ترفرف بفعل تيار الهواء، ثم انسل عبر الأبواب الداخلية ودخل إلى المساحة الشاسعة الباردة. كان صدى خطواته يتردد تحت القبة المذهبة وهو يسرع في الممر نحو الطاولة العالية. كان چالينهورم واقفًا تحت إحدى النوافذ الطويلة، وجهه مضاء بألوان زاهية من الزجاج الملطخ، عاقدًا حاجبيه وهو ينظر إلى مقعد به قضيب معدني عند قاعدته وُضع جانبًا على الأرض.

- ماذا يحدث هنا؟

رد چالينهورم بهمس مفعم بالإثارة: «ألم تسمع؟ أعلن هوف أنه ستكون هناك بعض الشؤون العظيمة التي يجب مناقشتها».

- ما هي؟ أنجلاند؟ الشماليون؟

هز الرجل الكبير رأسه: «لا أعرف، لكننا سنعرف قريبًا».

عبس چيزال: «أنا لا أحب المفاجآت. (استقرت عينه على المقعد الغامض) لم هذا؟».

في تلك اللحظة فُتِحت الأبواب الكبيرة وبدأ تيار من المستشارين يتدفق عبر الممر. الخليط المعتاد، كما خَمَّنَ چيزال، لكنهم بدّوا أكثر هدفاً هذه المرة. أبناء العائلات الأصغر، الممثلون المأجورون... حبس أنفاسه عندما رأى رجلاً طويل القامة في المقدمة، يرتدي ملابس فاخرة حتى وسط هذه المجموعة المهيبة، وبسلسلة ذهبية ثقيلة تتدلى على كتفيه، وعبوس ثقيل يرتسم على وجهه.

همس چيزال: «اللورد بروك نفسه».

أوما چالينهورم إلى رجل عجوز رزين خلف بروك مباشرة: «وهناك اللورد إيشر. وهيوجين وبارزين. إنه أمر كبير. لا بد أنه كذلك».

أخذ چيزال نفساً عميقاً وهو يشاهد أربعة من أقوى نبلاء الاتحاد يأخذون أماكنهم في الصف الأمامي. لم ير المجلس المفتوح بنصف هذا الحضور الكبير من قبل. بالكاد كان هناك مقعد شاغر على مقاعد المستشارين نصف الدائرية. وفوقهم، كانت الشرفة العامة حلقة متواصلة من الوجوه المتوترة.

دخل هوف بخطوات منزعجة من الأبواب وعبر الممر ولم يكن وحده. على يمينه سار رجل طويل، رشيق ومهيّب المظهر، يرتدي معطفاً أبيض ناصعاً وشعره أبيض كثيف. المقرئ الأعلى سولت. وعلى يساره سار رجل آخر، يتكىّ بثقل على عصا، منحنيًا قليلاً يرتدي رداء أسود وذهبيًا، بلحية رمادية طويلة. القاضي الأعلى ماروفيا. بالكاد استطاع چيزال تصديق ما تراه عيناه. ثلاثة من أعضاء المجلس المغلق هنا.

بينما أسرع چالينهورم لأخذ مكانه بدأ الكتابة في وضع دفاترهم وأوراقهم على الطاولة المصقولة. ألقى كبير أمناء البلاط نفسه وسطهم وطلب النبيذ على الفور. جلس رئيس جهاز الاستجواب الملكي على كرسي مرتفع بجانبه، على وجهه ابتسامة خفيفة. أما القاضي الأعلى ماروفيا فجلس ببطء على كرسي آخر، عابسًا طوال الوقت. ارتفعت همسات القلق في القاعة قليلاً، وبدأت وجوه الأعيان العظماء في الصف الأمامي شديدة التجهم والريبة. أخذ المُعلن مكانه أمام الطاولة، لم يكن المعتوه المعتاد ذا الزي المبهرج، بل رجل داكن البشرة، ملتج، له صدر عريض. رفع عصاه عاليًا، ثم ضرب بها البلاط بقوة تكاد توقظ الموتى، وهتف: «أدعو هذا الاجتماع لمجلس الاتحاد المفتوح للبدء!».

وتلاشت الضجة تدريجيًا.

قال كبير أمناء البلاط وهو يحرق بصرامة إلى المجلس من تحت حاجبيه الكثيفين: «ليس هناك سوى مسألة واحدة للنقاش هذا الصباح، وهي مسألة تتعلق بعدالة الملك. (كانت هناك غمغات متناثرة) مسألة تتعلق بالترخيص الملكي للتجارة في مدينة ويستبورت».

وتزايد الضجيج؛ همسات غاضبة، وتحرك المؤخرات النبيلة غير المرتاحة على مقاعدها، والخدش المألوف للريشات على الدفاتر الكبيرة. رأى جيزال حاجبي اللورد بروك ينعقدان، وجانبي فم اللورد هيوجين يتجهان لأسفل. لم يبد أنهم معجبون بما يتجه له هذا. استنشق كبير أمناء البلاط وأخذ جرعة كبيرة من النبيذ، في انتظار أن تموت الغمغة: «أنا لست أفضل من يتحدث في هذا الشأن، ولكن...».

صرخ اللورد إيشر بحدة: «بالفعل لا!»، وتحرك بمقعده في الصف الأمامي متجهماً.

ثبت هوف نظره على الرجل العجوز: «لذلك أدعو من هو كذلك! زميلي من المجلس المغلق، المقرئ الأعلى سولت».

هدر صوت المُعلن: «المجلس المفتوح يتعرف على المقرئ الأعلى سولت!»، بينما كان رئيس جهاز الاستجواب يشق طريقه بأناقة نازلاً درجات المنصة إلى الأرضية المبلطة، مبتسماً باستمتاع نحو الوجوه الغاضبة التي استدارت نحوه.

بدأ بصوت بطيء وموسيقي، يدفع كلماته إلى الفضاء بحركات ناعمة من يديه: «سادتي اللوردات، على مدى السنوات السبع الماضية، منذ انتصارنا المجيد في الحرب مع جوركول، أُصدِرَت رخصة ملكية حصرية لصالح نقابة البزازين الموقرة للتجارة في مدينة ويستبورت».

صاح اللورد هيوجين: «وقد أحسنوا استخدامها بشكل جيد!».

زمجر بارزين، وهو يضرب المقعد جانبه بقبضته السمينية: «مَكُونُوا من الفوز بالحرب!».

- عمل جيد!

علت الصيحات: «جيد!».

أوماً المقرئ الأعلى برأسه منتظراً أن تتلاشى الضوضاء قال وهو يسير فوق البلاط كراقص، وكلماته تُخدش فوق صفحات الكتب: «بالفعل، فعلوا

ذلك، سأكون آخر من ينكر ذلك. عملٌ جيد. (استدار فجأةً، وذيل معطفه الأبيض يرفرف، وارتسمت على وجهه تكشيرة وحشية، وصرخ بصوت عالٍ) عمل جيد في التهرب من ضرائب الملك! (انطلقت شهقة جماعية) عمل جيد في انتهاك قانون الملك! (جاءت شهقة أخرى، أعلى صوتًا) عمل جيد في خيانتهم العظمى!».

عمَّت الغرفة عاصفة من الاحتجاجات، ارتفعت فيها الأيدي ملوحة بالقبضات، وأُلقيت الأوراق على الأرض. حدقت وجوه غاضبة من الشرفة العامة، وأخرى محمرة تصرخ وتصيح من المقاعد أمام المنصة العالية. وقف جيزال مذهولًا، غير متأكد مما سمعه.

زأر اللورد بروك نحو المقرئ الأعلى: «كيف تجرؤ يا سولت!» وهو يصعد درجات المنصة، وعلى شفثيه ابتسامة باهتة.

صرخ اللورد هيوجين: «نطالب بالدليل! نطالب بالعدالة!».

جاءت صرخات من الخلف: «عدالة الملك!».

صاح إيشر، عندما بدأ الضجيج يتلاشى: «يجب أن تعطينا دليلًا!».

دفع المقرئ الأعلى رداءه الأبيض فتماوج القماش الفاخر حوله وهو يعود بسلاسة إلى كرسيه: «أوه، وهذه هي نيتنا بالفعل أيها اللورد إيشر!».

نُفِعَ المزلاج الثقيل لباب جانبي صغير إلى الخلف بصوت مدوّ تردد صداه. وظهرت أصوات التفات اللوردات ووكلائهم، وهم يلتفتون ويقومون ويُحدِّقون لمعرفة ما يحدث. مدَّ الناس في الشرفة العامة أعناقهم بحذر، يميلون بشكل خطر من فوق السور من تَلَهُّفِهِم للرؤية. ساد الصمت في القاعة. ابتلع جيزال ريقه. سُمِعَ صوت احتكاك ونقر وطرق قادم من وراء الباب، ثم خرج من الظلام موكب غريب ومخيف.

كان ساند دان جلوكتا يتقدمهم، يعرج كعادته ويستند بثقله على عصاه، لكنه كان رافع الرأس مبتسمًا وعلى وجهه الأجوف ابتسامة ملتوية معدومة الأسنان. وخلفه ثلاثة رجال يجرون أقدامهم، أيديهم وأقدامهم العارية مكبَّلة بالسلاسل، تشخل وتقعقع خطواتهم وهم يتقدّمون نحو المنصة. كانت رؤوسهم محلوقة تمامًا، يرتدون الخيش البُنِّي. زِيَّ التائبين عن خطاياهم. زِيَّ الْخَوْنَةِ الْمُعْتَرِفِينَ.

أول السجناء كان يلحق شفتيه، وعيناه تنتقلان هنا وهناك، شاحبًا من الرعب. الثاني، قصير البنية وأكثر ضخامة، كان يتعثّر في مشيته، يجرّ قدمه اليسرى خلفه، منحني الظهر وفمه مفتوح. وبينما كان چيزال يراقبه، رأى خيطًا رقيقًا من لعاب وردي يتدلى من شفته ويسقط على البلاط. أما الثالث، فكان شديد النحافة، عيناه كبيرتان تحيطهما هالات سوداء، يحرق حوله ببطء، يرمش وعيناه تتسعان دون أن يبدو عليه استيعاب أي شيء. تعرّف چيزال على الرجل خلف السجناء الثلاثة على الفور: الأمهق الضخم الذي التقاه تلك الليلة في الشارع. تملل چيزال في مكانه شاعرًا فجأة بالبرد وعدم الراحة.

الآن اتضح الغرض من المقعد. بينما جلس السجناء الثلاثة عليه متناقلين، انحنى الأمهق وأغلق أصفادهم حول القضيب في قاعدته. خيم الصمت التام على القاعة. واتجهت كل الأعين نحو المحقق الأعرج وسجنائه الثلاثة.

قال المقرئ الأعلى سولت، بابتسامة مفعمة بالغرور وهو يشعر بسيطرته الكاملة على الحضور: «بدأ تحقيقنا قبل بضعة أشهر، في مسألة بسيطة تتعلق ببعض الحسابات غير المنتظمة، لن أضيع وقتكم بالتفاصيل. (ابتسم تجاه بروك وإيشر وبارزين) أعلم أنكم جميعًا رجال مشغولون. من كان يتوقع حينها أن مسألة صغيرة كهذه ستقودنا إلى هنا؟ من كان ليظن أن جذور الخيانة يمكن أن تمتد لهذا العمق؟».

قال كبير أمناء البلاط بصبر نافذ، ينظر من فوق كأسه: «بالفعل. أيها المحقق جلوكتا، الكلمة لك».

ضرب المعلن عصاه على البلاط: «مجلس الاتحاد المفتوح يتعرف على المحقق ممتاز ساند دان جلوكتا!».

انتظر الأعرج بتهذيب حتى يتوقف احتكاك ريشات الكتبة، متكئًا على عصاه في منتصف القاعة، لا يبدو متأثرًا بأهمية هذه المناسبة. قال وهو يلتفت إلى أول سجنائه: «قُم وواجه المجلس المفتوح».

انتفض الرجل المذعور واقفًا، وسلاسله تشخل، ولحق شفتيه الشاحبتين، ينظر نحو وجوه اللوردات في الصف الأمامي. سأله جلوكتا: «ما اسمك؟».

- سالم ريوز.

شعر چيزال بغصة في حلقه. سالم ريوز؟! كان يعرف هذا الرجل! كان والده يتعامل معه في الماضي، وفي وقت من الأوقات كان يزور عزبتهم

بانتظام! أخذ چيزال يتفحص الخائن المرتعب، حليق الرأس، ورعبه يتزايد. استرجع في ذاكرته صورة التاجر الممتلئ، حسن الملبس، الذي كان مستعداً دوماً لإطلاق نكتة. نعم، إنه هو، لا شك في ذلك. التقت أعينهما للحظة، فسارع چيزال بالنظر بعيداً. كان والده يتحدث مع هذا الرجل في بهو منزلهم! ويصافحه! اتهامات الخيانة تشبه الأمراض، يمكنها الانتقال بين الموجودين في الغرفة نفسها! ثم عادت عيناه لا إرادياً إلى ذلك الوجه الغريب والمألوف بشكل مروّع. كيف يتجرأ هذا اللقيط ويكون خائناً؟

تابع جلوكتا: «أنت عضو في نقابة البرّازين المؤقّرة؟» ووضع لهجة ساخرة في كلمة «مؤقّرة».

تمتم ريوز: «كنت كذلك».

- ما هو دورك داخل النقابة؟ (حقق البرّاز الحليق إليه بياس. كرر جلوكتا السؤال بصوت حاد) دورك؟

صاح التاجر وهو يعتصر يديه: «لقد تأمرت للاحتيال على الملك! (سرت موجة من الصدمة في أرجاء القاعة. ابتلع چيزال بصاقه المر. رأى سولت يبتسم بخبث عبر القاعة نحو القاضي ماروفيا. كان وجه الرجل العجوز جامداً كالصخر، لكن قبضتيه كانتا مشدودتين بقوة على الطاولة أمامه) لقد ارتكبت الخيانة! من أجل المال! لقد هربتُ، ورشوتُ، وكذبتُ... وكلنا فعلنا ذلك!».

قال جلوكتا وهو يتطلع بخبث نحو الحضور: «كلهم فعلوا ذلك! وإذا كان لدى أي منكم شك في ذلك، فلدينا السجلات، ولدينا الوثائق، ولدينا الأرقام. هناك غرفة في دار الأسئلة ممتلئة بها. غرفة مكدسة بالأسرار، والجُرم، والأكاذيب. (ثم هز رأسه ببطء) أؤكد لكم أنها قراءة محزنة».

صرخ ريوز: «كنت مضطراً إلى فعل ذلك! لقد أجبروني! لم يكن لدي خيار!».

قطب المحقق الأعرج جبينه تجاه الجمهور: «بالطبع أجبروك. نحن ندرك أنك لم تكن إلا ابنة واحدة في هذا المنزل الشائن. لقد جرت محاولة لاغتيالك مؤخراً، أليس كذلك؟».

- لقد حاولوا قتلي!

- من الذي حاول؟

ناح «ريوز» بصوت متحشرج: «إنه هذا الرجل! (وأشار بإصبع مرتجفة إلى السجين بجانبه، وحاول الابتعاد عنه قدر ما سمحت له السلاسل التي تربط بينهما) إنه هو! هو!».

جلجلت السلاسل وهو يلوح بذراعه، وتناثر البصاق من فمه. تعالت أصوات الغضب مرة أخرى، وكانت أشد هذه المرة. شاهد «چيزال» رأس السجين في الوسط وهو يتهاوى، ويسقط إلى الجانب، لكن الأمهق الضخم أمسك به وأعادته إلى وضعه.

صرخ جلوكتا: «استيقظ، يا سيد كاربي!» رفع الرجل رأسه ببطء. وجهه غير مألوف، متورم بشكل غريب، منقور بندوب حب الشباب. لاحظ «چيزال» مشمئزاً أن أسنانه الأربع الأمامية كانت ناقصة، تماماً مثل جلوكتا.

- أنت من تالينس، أليس كذلك، في ستيريا؟ (أوماً الرجل ببطء، بغباء، كشخص شبه نائم) أنت تتقاضى أجراً مقابل القتل، أليس كذلك؟ (أوماً مرة أخرى) وقد استؤجرت لقتل عشرة من رعايا جلالة الملك، بينهم هذا الخائن المعترف، سالم ريوز؟ (تسربت قطرة دم ببطء من أنف الرجل، وبدأت عيناه تدوران للخلف. هزه الأمهق من كتفه، فعاد إلى وعيه، يومئ برأسه مترنخاً) ماذا حدث لبقية التسعة؟ (صمت) لقد قتلتهم، أليس كذلك؟

إيماءة أخرى، وصدر صوت طقطقة غريبة من حلق السجين.

تجهم «جلوكتا» ونظر ببطء إلى وجوه أعضاء المجلس المذهولة: «فيليم دان روب، موظف جمارك، ذُبح من الأذن للأذن. (ومرر إصبعه عبر عنقه وصرخت امرأة في الشرفة) سوليمو سكانيدي، تاجر، طُعن في ظهره أربع مرات. (ورفع أربع أصابع بشدة، ثم وضعها على معدته وكأنه يشعر بالغثيان) والقائمة اللعينة تستمر. كلهم قُتلوا لاشيء سوى المكسب الأكبر. من الذي استأجرك؟».

صاح القاتل: «هو»، وأدار وجهه المتورم لينظر نحو الرجل الهزيل ذي العينين الزجاجيتين، المتكئ على المقعد المجاور له، غافلاً عما يحيط به. عرج جلوكتا نحوه، وعصاه تنقر على البلاط: «ما اسمك؟».

ارتفع رأس السجين، وركزت عيناه على وجه المحقق الملتوي فوقه. أجاب على الفور بصوت حاد: «جوفريد هورنلاك!».

- هل أنت عضو رفيع في نقابة البزازين؟
- نبح، وعيناه ترتعشان بلا وعي نحو جلوكتا: «نعم!».
- في الواقع، أنت أحد نواب القِيَم كولت؟
- نعم!
- هل تأمرت مع بزازين آخرين للاحتيال على جلالة الملك؟ هل استأجرت قاتلاً لقتل عشرة من رعايا جلالته؟
- نعم! نعم!
- لماذا؟
- كنا قلقين من أنهم سيشون بما يعرفونه... يشون بما يعرفونه...
- حدقت عينا هورنلاك الخاويتان إلى إحدى النوافذ الملونة. توقف فمه عن الحركة ببطء. حثَّه المحقق: «يشون بما يعرفونه؟».
- عن أنشطة النقابة الخيانية! (أفشى البزاز) حول خياناتنا! عن أنشطة النقابة... الخيانة... الأنشطة..
- قاطعه جلوكتا بحدة: «هل كنت تتصرف بمفردك؟».
- لا! لا!
- ضرب المحقق عصاه أمامه وانحنى إلى الأمام وهسهس: «من أعطى الأوامر؟».
- صاح هورنلاك على الفور: «القِيَم كولت! هو من أصدر الأوامر! (شهق الجمهور. اتسعت ابتسامة المقرئ الأعلى سولت قليلاً) لقد كان القِيَم كولت! خدشت الريشات بلا رحمة) لقد كان كولت! هو من أعطى الأوامر! جميع الأوامر! القِيَم كولت!».
- شكراً لك يا سيد هورنلاك.
- القِيَم! أعطى الأوامر! القِيَم كولت! كولت! كولت!
- زمجر جلوكتا: «كفى!» فصمت سجينه. كانت الغرفة صامتة.
- رفع «سولت» ذراعه وأشار نحو السجناء الثلاثة: «ها هو دليلكم، يا سادتي اللوردات!».

صاح اللورد بروك وهو يقفز على قدميه: «هذا زيف! هذه إهانة!» لكن قلة من انضموا إليه في التأييد، ومن فعل كان تأييده فاترًا. لوحظ صمت اللورد هويجن الحذر، يتفحص جلد حذائه الفاخر باهتمام. أما بارزين فقد انكمش في مقعده، بدا وكأنه تقلص لنصف حجمه الذي كان عليه قبل لحظات. كان اللورد إيشر يتأمل الحائط، ويعبث بسلسلته الذهبية الثقيلة، بنظرة يملؤها الملل، وكأن مصير نقابة البرّازين لم يعد يثير اهتمامه.

توجه بروك بالنداء إلى القاضي الأعلى نفسه، الذي كان يجلس بلا حراك على كرسیه المرتفع إلى الطاولة العالية: «اللورد ماروفيا، أتوسل إليك! أنت رجل عاقل! لا تسمح بهذه.. المهزلة!».

ساد الصمت في القاعة، في انتظار رد العجوز. عبس وهو يمسح لحيته الطويلة. ألقى نظرة نحو سولت الذي كان يبتسم بخبث. ثم تنحج وقال: «أشعر بآلمك، أيها اللورد بروك، أشعر به فعلاً، لكن يبدو أن اليوم ليس للرجال العقلاء. لقد فحص المجلس المغلق القضية وأبدى اقتناعه الكامل. يداي مقيدتان».

حرك بروك شفتيه، متذوقاً طعم الهزيمة: «هذه ليست عدالة!» (صرخ، ملتفتاً إلى زملائه) من الواضح أن هؤلاء الرجال قد عُذّبوا!!».

التوى فم سولت بازدياء: «وكيف تريدنا أن نتعامل مع الخونة والمجرمين؟ (صاح بصوت حاد) هل سترفع الدرع لهم، ليختبئوا خلفها أيها اللورد بروك؟ (وضرب الطاولة بقوة، كأنها قد تكون مذنبه بالخيانة العظمى هي الأخرى) أما أنا، فلن أسمح بأن يُسلّم هذا الوطن العظيم إلى أعدائه! لا في الخارج، ولا في الداخل!».

جاءت صرخة من الشرفة العامة: «يسقط البرّازون!».

- العدالة الصارمة للخونة!

صرخ رجل سمين بالقرب من المؤخرة: «عدالة الملك!» وسادت موجة من الغضب والموافقة في القاعة، ودعوات إلى اتخاذ إجراءات قاسية وعقوبات صارمة.

نظر بروك حوله بحثاً عن حلفائه في الصف الأمامي، لكنه لم يجد أيّاً منهم. ضرب بقبضتيه، وصرخ مشيراً إلى السجناء الثلاثة: «هذه ليست عدالة! هذا ليس دليلاً!».

صرخ هوف: «جلالة الملك لا يتفق! ولا يحتاج إلى إذنك! (رافعاً وثيقة كبيرة) بموجب مرسوم ملكي، تُحل نقابة البرّازين، ويُلغى ترخيصها! ستراجع لجنة التجارة والاقتصاد التابعة لجلالته خلال الأشهر القادمة طلبات حقوق التجارة مع مدينة ويستبورت. وحتى يُعثر على مرشحين مناسبين، ستُدير الطرق التجارية أيادٍ قادرة ووفية. أيادي جهاز الاستجواب الملكي».

أحنى المقرئ الأعلى سولت رأسه بتواضع، غير مكترث بالصيحات الغاضبة من ممثلي المجلس والجمهور على حد سواء.

تابع كبير أمناء البلاط: «أيها المحقق جلوكتا! المجلس المفتوح يشرك على تفانيك، ويطلب منك خدمة أخيرة في هذه القضية. (مدّ هوف ورقة أصغر) هذا أمر بالقبض على القِيم كولت، يحمل توقيع الملك ذاته. نرجو أن تنفذه على الفور. (انحنى جلوكتا بصعوبة وأخذ الورقة من يد كبير أمناء البلاط الممدودة. التفت هوف نحو چالينهورم قائلاً) أنت!».

صاح الرجل الضخم وهو يتقدم بخطوات ثابتة: «الملازم چالينهورم، يا مولاي!».

قاطعه هوف بنفاد صبر: «أياً يكن. خذ عشرين من حرس الملك ورافق المحقق جلوكتا إلى مقر نقابة البرّازين. تأكد أن لا شيء ولا أحد يغادر المبنى دون أوامر منه!».

- في الحال، يا مولاي!

عَبَرَ چالينهورم القاعة وهول نحو المخرج ممسكاً بمقبض سيفه بيده لمنع من الارتطام بساقه، فيما تبعه جلوكتا وهو يعرج، مستنداً إلى عصاه التي كانت تنقر على الدرجات، وأمر بالقبض على القِيم كولت مجعداً في قبضته المشدودة. وفي هذه الأثناء، جرّ الأمهق الضخم السجناء ليوقفهم على أقدامهم، وقادهم وهم يشخلون ويتميلون نحو الباب الذي دخلوا منه.

صاح بروك في محاولة أخيرة: «كبير أمناء البلاط!» تساءل چيزال كم من المال قد جناه من نقابة البرّازين. وكم كان يأمل أن يجني بعد. مبلغ كبير جداً، على ما يبدو.

لكن هوف لم يتأثر: «بهذا نختم أعمالنا لهذا اليوم، يا سادتي!»، كان ماروقيا قد وقف قبل أن يُنهي كبير أمناء البلاط كلامه، متلهفاً للمغادرة. أغلقت الدفاتر الكبيرة بقوة، وحُسم مصير نقابة البرّازين الموقرة. امتلأ

الهواء بهمهمة متحمسة مرة أخرى، تصاعدت تدريجياً في حجمها، وسرعان ما انضمت إليها أصوات الخطى والضجيج مع بدء الممثلين في النهوض ومغادرة القاعة. بقي المقرئ الأعلى سولت جالساً، يراقب خصومه المهزومين وهم يغادرون الصف الأمامي على مضض. تلاقت عينا چيزال مع عيني سالم ريوز اليائستين للمرة الأخيرة وهو يُقتاد نحو الباب الصغير، ثم شدَّ المنفذ فروست السلسلة، واختفى ريوز في الظلام خلفه.

في الخارج، كانت الساحة أكثر ازدحاماً من ذي قبل، والحشد الكثيف يزداد حماسة مع انتشار خبر حل نقابة البرّازين بين من لم يكونوا بالداخل. الناس يقفون مذهولين، أو يهرعون هنا وهناك: خائفين، ومتفاجئين، ومشوشين. رأى چيزال رجلاً يحدق إليه، يحدق إلى أي شخص، وجهه شاحب، ويداه ترتجفان. ربما كان أحد أعضاء النقابة، أو شخصاً متورطاً معهم بعمق، بعمق كافٍ ليهلك معهم. كان هناك الكثير من أمثاله.

شعر چيزال بوخزة مفاجئة. كانت آردي ويست مستندة بشكل غير مبالٍ إلى الحجارة على بُعد خطوات. لم يلتقيا منذ فترة، منذ انفجارها الغاضب وهي ثملة، وفوجئ بسعادته لرؤيتها. أخبر نفسه أن عقابها ربما قد طال بما فيه الكفاية. الجميع يستحق الفرصة للاعتذار. أسرع نحوها بابتسامة عريضة على شفتيه. ثم لاحظ من كان معها.

تمتم في سره: «ذلك اللقيط الصغير!».

كان الملازم برينت يتحدث بحرية مرتدياً زيّه الرخيص، مائلاً نحو آردي أكثر مما رآه چيزال لائقاً، مُظهرًا طباعه المليئة بإيماءات مبالغة بأذرع.. كانت هي تومئ برأسها وتبتسم، ثم تلقي رأسها إلى الخلف وتضحك، وتضرب الملازم على صدره بلطف. ضحك برينت أيضاً، ذلك الوغد الصغير القبيح. ضحكا معاً. ولسبب ما شعر چيزال بوخزة غضب حادة.

صاح برنت، وهو لا يزال يضحك: «چيزال، كيف حالك!».

اقترب منه: «اسمي النقيب لوثر! (وبصق قائلاً) وكيف حالي ليس من شأنك! أليس لديك عمل تقوم به؟».

ظل فم برينت مفتوحًا ببلاهة للحظة، ثم انعقد حاجباه في عبوس مرير وتمتم: «نعم، سيدي»، ثم استدار ومضى مبتعدًا بخطوات غاضبة. راقبه چيزال وهو يذهب بنفور أشد من المعتاد.

قالت آردي: «يا للسلوك الجذَّاب، هل هذه هي أخلاقك أمام السيدات؟».

- لا يمكنني الجزم. لماذا؟ هل كانت هناك إحداهن تشاهدني؟

استدار لينظر إليها، ورأى للحظة، تلك الابتسامة المتعجرفة على وجهها. تعبير لئيم إلى حد ما، وكأنها استمتعت بانفجاره. تساءل في لحظة عبثية إن كانت قد رتبت اللقاء، إن كانت قد وضعت نفسها وذلك الأحمق في هذا المكان حيث يستطيع چيزال رؤيتهما، على أمل أن تشعل غيرته... ثم ابتسمت له وضحكت، وشعر بغضبه يتلاشى. بدت رائعة في نظره، سمراء ونابضة بالحياة تحت ضوء الشمس، تضحك بصوت عالٍ دون أن تكثرث بمن قد يسمعها. رائعة حقًا. بل أفضل من أي وقت مضى. هذا لقاء عابر لا أكثر، ماذا يمكن أن يكون غير ذلك؟ ثبتت عينيها الداكنتين عليه، فتلاشت شكوكه. سألته: «هل كان عليك أن تكون قاسيًا عليه هكذا؟».

عدَّل چيزال فكه: «إنه متعطرس تافه، ربما ليس أكثر من ابن غير شرعي لرجل ثري. لا نسب، ولا مال، ولا أخلاق...».

- أفضل مني في ثلاثتهم.

لعن چيزال فمه الكبير. بدلًا من أن ينتزع منها اعتذارًا، أصبح هو من يحتاج إلى تقديم واحد. بحث يائسًا عن مخرج من هذا الفخ الذي صنعه بيديه. فتذمَّر: «أوه، لكنه غبي تمامًا!».

- حسنًا، (وُسَّرَ چيزال عندما رأى أحد طرفي فم آردي يلتوي بابتسامة ماكرة) هو كذلك فعلاً. هلا تمشيينا؟

تأبطت ذراعه قبل أن تتاح له فرصة الإجابة، وبدأت تقوده نحو طريق الملوك. سمح لها چيزال بأن تقوده بين الخائفين والغاضبين والمتحمسين.

سألته: «هل هذا صحيح؟».

- هل ماذا صحيح؟

- هل انتهى البَرَّازون؟

- يبدو كذلك. كان صديقك القديم ساند دان جلوكتا في خضم الأمر. قدم أداءً رائعاً، بالنسبة إلى أعرج.
- نظرت آردي إلى أسفل على الأرض: «من الحكمة ألا تجعله خصماً لك، سواء كان أعرج أم لا».
- نعم. (استرجع چیزال عيني سالم ريوز المذعورتين، وهو يحدق إليه بئاس وهو يختفي في ظلام الممر.) نعم بالفعل.
- ساد الصمت بينهما وهما يتجولان في الشارع، لكنه كان صمتاً مريحاً. أحب السير معها. لم يعد مهماً سواء اعتذر أحدهما أم لا. ربما كانت محقة بشأن المباراة، ولو قليلاً. بدا أن آردي قرأت أفكاره فسألته: «كيف أحوال التبارز؟».
- ليست سيئة. كيف أحوال الشرب؟
- رفعت حاجباً داكناً: «بأحسن ما يرام. لو كان هناك مسابقة سنوية لذلك، لكنت جذبت انتباه العامة سريعاً».
- ضحك چیزال، وهو ينظر إليها وهي تسير بجانبه، فابتسمت له. كم هي ذكية، وحاذقة، وجسورة. وجميلة للغاية. تساءل چیزال إن كانت هناك امرأة مثلاً من قبل. فكَّر بداخله، فقط لو كانت من نسب نبيل، ولديها بعض المال. الكثير من المال.

وسائل الهرب

- افتحوا الباب باسم جلالة الملك!

هدر صوت الملازم چالينهورم للمرة الثالثة، وهو يدق على الخشب بقبضته الضخمة. ذلك الأحمق الضخم. لماذا يميل الضخام لامتلاك عقول صغيرة؟ ربما يعتمدون على قوتهم الجسدية أكثر من اللازم، فتجف عقولهم كالبرقوق المجفف تحت الشمس.

كان مقر نقابة البزازين مبنى مثيّرًا للإعجاب في ساحة مزدحمة بالقرب من الأجيوننت. تجمع حشد كبير من المتفرجين حول جلوكتا ومرافقيه المسلحين: فضوليون، خائفون، مبهورون، تزداد أعدادهم باستمرار. يبدو أنهم يشمون رائحة الدم. كانت ساق جلوكتا تنبض من الألم بسبب الجهد الذي بذله للوصول إلى هنا بسرعة، لكنه شك في أن التجار قد أخذوا على حين غرة تمامًا. ألقي نظرة سريعة غير صبورة على الحراس المدرعين، على المنفذين المقنعين، على عيني فروست القاسيتين، وعلى الضابط الشاب الذي يواصل الضرب على الباب..

- افتح...-

كفى من هذه الحماسة. قال جلوكتا بحدة: «أعتقد أنهم سمعوك أيها الملازم، لكنهم اختاروا عدم الرد. هل تفضل بكسر الباب؟».

- ماذا؟ (حدق چالينهورم إليه، ثم نظر إلى الأبواب المزدوجة الثقيلة، المثبتة بإحكام) كيف سأ..؟

اندفع المنفذ فروست بجوارهم. كان هناك صدع يصم الأذان وتمزق في الخشب عندما اصطدمت كتفه القوية بأحد الأبواب، فانتزعه من مفصلاته وقذف به داخل الغرفة..

تمتم جلوكتا وهو يخطو عبر الممر: «هكذا»، والشظايا لا تزال تستقر. تبعه چالينهورم يبدو في حالة ذهول، وعشرات الجنود المدرعين يتدافعون خلفه.

سد موظف غاضب الممر أمامهم: «لا يمكنك فقط... أوف!» صرخ عندما دفعه فروست بعيدًا عن الطريق واصطدم وجهه بالحائط.

صاح جلوكتا: «اعتقلوا هذا الرجل!»، ولوّح بعصاه نحو الموظف المذهول. أمسكه أحد الجنود بقسوة بقبضتيه المدرعتين ودفعه متعثراً إلى الخارج. تدفق المنفذون عبر الأبواب المحطمة، والعصي الثقيلة في أيديهم، وأعينهم القاسية تلتصق فوق أقنعتهم. صاح جلوكتا من فوق كتفه: «اعتقلوا الجميع!»، وهو يعرج بأسرع ما يمكنه عبر الممر وراء ظهر فروست العريض إلى أعماق المبنى.

رأى جلوكتا في باب مفتوح تاجرًا يرتدي أثوابًا ملونة، يغطي العرق وجهه وهو يلقي بوثائق في نار مشتعلة. صرخ جلوكتا: «أمسكوا به!». قفز زوجان من المنفذين إلى الغرفة وبدأ بضرب الرجل بعصيهما. سقط صارخًا، قلب طاولة، مطيحًا بكومة من الدفاتر. تطايرت الأوراق المتناثرة وبقايا الرماد المحترقة في الهواء مع ارتفاع العصي وسقوطها.

هرع جلوكتا بأسرع ما يمكنه، وسط أصوات التحطم والصراخ التي تنتشر في أرجاء المبنى من حوله. امتلأ المكان برائحة الدخان، والعرق، والخوف. الحراس على جميع الأبواب، لكن ربما يملك كولت وسيلة هروب سرية. إنه مكر. لنأمل ألا نكون قد تأخرنا. اللعنة على هذه الساق! ألا نكون قد تأخرنا... لهث جلوكتا وتلوى من الألم، عندما أمسكه شخص ما من معطفه وصرخ: «ساعدني! أنا بريء!»، وجهه المتورم ملطخ بالدم. قبضت أصابعه على ملابس جلوكتا، تهدد بإسقاطه إلى الأرض.

صاح جلوكتا: «أبعدوه عني!» وضربه بعصاه بضعف، وأصابعه تتشبث بالحائط في محاولات للبقاء واقفًا. قفز أحد المنفذين للأمام وضرب الرجل على ظهره بعصاه.

تأوه التاجر عندما ارتفعت العصا مرة أخرى: «أنا أعترف!»، ثم هوت على رأسه. أمسك المنفذ بجسد الرجل المتراخي من تحت ذراعيه وسحبه نحو الباب. تابع جلوكتا سيره، وخلف كتفه الملازم چالينهورم بعينين مفتوحتين

على اتساعهما. وصلا إلى درجات عريضة، نظر إليها جلوكتا بحقد. أعدائي
القدامى، دائماً يَصِلُون قبلي. كافح ليصعد قدر ما يستطيع، مشيراً بيده الحرة
نحو المنقذ فروست ليتقدم. جُرَّ تاجر مذهول من أمامهما، يصرخ بشيء ما
عن حقوقه، وكعباه يضربان الدرج.

انزلق جلوكتا وكاد يسقط على وجهه، لكن شخصاً أمسكه من مرفقه
وأبقاه واقفاً. كان چالينهورم، وعلامات الحيرة لا تزال بادية على وجهه
المثقل والصادق. إنن فللرجال الضخام فوائدهم رغم كل شيء. ساعده
الضابط الشاب على صعود بقية الدرجات. لم يكن لدى جلوكتا طاقة ليرفض
مساعدته. ولم أعترض؟ على الإنسان أن يعرف حدوده. لا شرف في السقوط
على وجهك. وأنا أعرف ذلك جيداً.

في أعلى الدرج كانت هناك قاعة استقبال كبيرة، مزينة بفخامة، بها
سجادة سمكية وقطع معلقة ملونة على الجدران. وقف حارسان أمام باب
كبير، سيوفهما مسلولة، يرتديان زي نقابة البرّازين. كان فروست يواجههما،
ويده مضمومتان في قبضتين بيضاوين. استل چالينهورم سيفه حين وصل
إلى قمة الدرج، وتقدم ليقف بجانب الأمهق. اضطر جلوكتا إلى الابتسام.
المعذب الأبكم وزهرة الفروسية. تحالف غير متوقع.

- لدي مذكرة بحق كولت، موقّعة من الملك نفسه. (أمسك جلوكتا بالورقة
حتى يتمكن الحراس من رؤيتها) لقد انتهى البرّازون. لن تحققوا شيئاً
بالوقوف في طريقنا. ضعوا سيوفكم! أعطيكم كلمتي، لن تتعرضوا
للأذى!

نظر الحارسان مترددين إلى بعضهما بعضاً. اقترب چالينهورم قليلاً
وصاح: «ضعوهم!».

انحنى أحد الرجال ودفع سيفه على البلاط: «حسنًا!». ثبته فروست تحت
إحدى قدميه.

صاح جلوكتا إلى الآخر: «وأنت! الآن!»، أطاع الحارس الأمر وألقى سيفه
على الأرض ورفع يديه. بعدها بلحظة، اصطدمت قبضة فروست بطرف فكه،
فأفقدته الوعي وصدمه بالحائط.

صاح الحارس الأول: «لكن».. أمسكه فروست من قميصه وألقى به أسفل الدرج. كان يتقلب مرارًا وتكرارًا، ويتخبط على الدرجات، وهوى أسفل الدرج، ورقد ساكنًا. أنا أعرف شعور ذلك.

وقف جالينهورم بلا حراك يرمش بعينه، وسيفه لا يزال مرفوعًا: «اعتقدت أنك قلت...».

- لا تهتم بذلك. فروست، ابحث عن طريقة أخرى للدخول.
- ته.

خطا الأمهق في الممر. أمهله جلوكتا لحظة، ثم تقدم وحاول فتح الباب. دار المقبض، مما أثار دهشته، وفتح الباب. مكتبة سر من قرأ كانت الغرفة تجسيدًا للبذخ، حجمها يكاد يماثل حظيرة. السقف العالي محفور ومغطى بورق الذهب، وظهور الكتب على الأرفف مرصعة بالأحجار الكريمة، والأثاث الضخم مصقول حتى بدا كالمرآة. كل شيء كان مبالغًا فيه: ضخماً، مزخرفاً، وباهظ الثمن. ولكن من يحتاج إلى الذوق حين يمتلك المال؟ كانت هناك عدة نوافذ كبيرة بتصميم حديث، بألواح زجاجية كبيرة والقليل من الرصاص بينها، تعرض مشهداً رائعاً للمدينة والخليج والسفن الراسية فيه. جلس القِيم كولت مبتسماً خلف مكتبة الضخم المغطى بالذهب أمام النافذة الوسطى، مرتدياً أثوابه الرسمية الباهرة، وجزء من جسده مظلل بخزانة هائلة، محفور على أبوابها شعار نقابة البرازين الموقرة.

إنن لم يهرب بعد. لقد أمسكت به. لقد.. رأى حبلاً مربوطاً حول ساق الخزانة الغليظة. تتبع جلوكتا مسار الحبل بعينه وهو يتلوى على الأرض. كان الطرف الآخر مربوطاً حول عنق القِيم. آه. إنن فلديه وسيلة للهروب، رغم كل شيء.

ضحك كولت ضحكة عصبية حادة: «المحقق جلوكتا! يا له من شرف أن التقيك أخيراً! لقد سمعت الكثير عن تحقيقاتك!»، كانت أصابعه ترتعش وهو يتحسس العقدة على الحبل، متأكداً من أنها مربوطة بإحكام.

- هل ياقتك ضيقة قليلاً، أيها القِيم؟ ربما عليك خلعها؟

أخرج ضحكة قصيرة تشبه الصرير: «أوه، لا أعتقد ذلك! لا أنوي الإجابة عن أي من أسئلتك، شكرًا».

من زاوية عينه، رأى جلوكتا بابًا جانبيًا ينفتح ببطء. ظهرت يد بيضاء ضخمة، أصابعها تلتف ببطء حول إطار الباب. فروست. لا يزال هناك أمل في الإمساك به، إذن. عليّ أن أبقيه يتحدث.

- لم يعد هناك أسئلة تحتاج إلى إجابة عنها. نحن نعرف كل شيء.
ضحك القِيم: «هل تعرف حقًا؟».

دخل الأملق الغرفة بصمت، ملتصقًا بظلال الجدار، مختفيًا عن كولت بكتلة الخزانة.

- نحن نعرف بأمر كيلاين. عن ترتيبكم الصغير.

- ذلك الأبله! لم يكن بيننا أي اتفاق! كان أكثر شرفًا من أن يُشترى! لم يأخذ حتى مارك واحدًا مني! (إنن فكيف.. ابتسم كولت ابتسامة مريضة، وقال وهو يضحك مجددًا) سكرتير سولت. تحت أنفه، وتحت أنفك أيضًا، أيها الأعرج!

أحمق، أحمق، السكرتير كان يحمل الرسائل، ورأى الاعتراف، وكان يعرف كل شيء! لم أثق قط بذلك المتملق الحقيق. إذن فكيلاين كان وفيًا.
هز جلوكتا كتفيه: «كلنا نرتكب الأخطاء».

أطلق القِيم سخرية مُحترقة: «أخطاء؟ كل ما فعلته هو ارتكاب الأخطاء، أيها الغبي! العالم ليس كما تظن! أنت حتى لا تعرف في أي جانب تقف! أنت لا تعرف حتى ما هي الجوانب!».

- أنا في جانب الملك، وأنت لست كذلك. وهذا كل ما أحتاج إلى معرفته.
وصل فروست عند الخزانة، وضغط نفسه عليها، وعيناه الورديتان تحدقان بتركيز، تحاولان رؤية ما خلف الزاوية دون أن يُرى. المزيد قليلًا، أبعد قليلًا...
- أنت لا تعرف شيئًا، أيها الأعرج! بعض الأمور الصغيرة المتعلقة بالضرائب، وبعض الرشاوى التافهة، هذا هو كل ما نحن متهمون به!
- وأمر بسيط مثل تسع جرائم قتل.

صرخ كولت: «لم يكن لدينا خيار! لم يكن لدينا أي خيارات! علينا أن ندفع للمصرفيين! لقد أقرضونا المال، وكان علينا أن نسدد! كنا ندفع لهم لسنوات! فالينت وبالك، مصاصو الدماء! أعطيناهم كل شيء، لكنهم دائمًا يريدون المزيد!».

فالينت وبالك؟ مصرفيون؟ ألقى جلوكتا نظرة حوله على الفخامة المبالغ فيها: «يبدو أنك تتدبر أمورك جيداً».

- يبدو! يبدو! كله غبار! كلها أكاذيب! المصرفيون يمتلكون كل شيء! يمتلكوننا جميعاً! نحن مدينون لهم بالآلاف! ملايين! (ضحك كولد لنفسه) لكن لا أظن أنهم سيحصلون على شيء الآن، أليس كذلك؟
- لا. لا أظن أنهم سيحصلون على شيء.

انحنى كولد فوق المكتب، والحبل يتدلى ويحتك بسطحه الجلدي: «أتريد المجرمين، يا جلوكتا؟ أتريد الخونة؟ أعداء الملك والدولة؟ ابحث في المجلس المغلق. ابحث في دار الأسئلة. ابحث في الجامعة. ابحث في البنوك، يا جلوكتا!».

رأى فروست يقترب من الخزانة، لم يعد يبعد سوى أربع خطوات. اتسعت عيناه كولد ونهض من كرسيه فجأة. صرخ جلوكتا: «أمسك به!».

قفز فروست للأمام، وانقضَّ عبر المكتب، وأمسك بحافة رداء كولد الرسمي المتطايرة، بينما استدار القِيم بجسده وألقى بنفسه نحو النافذة. قبضنا عليه!

كان هناك صوت قطع مثير للاشمئزاز عندما تمرَّق ثوبه في قبضة فروست البيضاء. تجمد كولد مكانه للحظة، فيما تحطم كل ذلك الزجاج الباهظ حوله، شظايا وفتات يلمع في الهواء، ثم اختفى. انشدَّ الحبل بقوة.

هسهس فروست وهو يحرق إلى النافذة المحطمة: «ثثث!».

قال چالينهورم وهو فاغر الفاه: «لقد قفز!».

«هذا واضح». عرج جلوكتا نحو المكتب وأخذ قطعة القماش الممزقة من يد فروست. من قرب، لم تكن فاخرة على الإطلاق: ألوان زاهية لكنها سيئة النسيج.

تمتم جلوكتا لنفسه: «من كان يظن؟ رديئة الجودة». عرج نحو النافذة ونظر عبر الفتحة المحطمة. كان رئيس نقابة البزازين الموقرة يتأرجح ببطء على ارتفاع عشرين قدماً، وثوبه المذهب الممزق يرفرف حوله في النسيم. ملابس رخيصة ونوافذ باهظة. لو كانت القماشة أقوى، لأمسكناه. لو كان الزجاج يحوي مزيداً من الرصاص، لأمسكناه. الحيوانات تتوقف على مثل هذه الفرص. بدأ حشد مرعوب يتجمع بالفعل بالأسفل في الشارع: يشيرون،

ويثرثرون، ويحدقون إلى الجثة المعلقة. صرخت امرأة. من الخوف، أم من الإثارة؟ الأصوات تتشابه.

- أيها الملازم، هل تتكرم وتذهب لتفريق هذا الحشد؟ ليمكننا إنزال صديقنا وأخذه معنا. (نظر إليه چالينهورم بجمود) حيًّا أو ميتًّا، يجب تنفيذ أمر الملك.

- نعم، بالطبع.

مسح الضابط عريض المنكبين العرق عن جبينه، وتوجه إلى الباب بخطى مترددة.

استدار جلوكتا مرة أخرى نحو النافذة وحدق إلى الجثة المتأرجحة ببطء. ترددت كلمات القَيِّم كولت الأخيرة في ذهنه: ابحث في المجلس المغلق. ابحث في دار الأسئلة. ابحث في الجامعة. ابحث في البنوك، يا جلوكتا!

ثلاث علامات

سقط ويست على مؤخرته، وانزلق أحد سيوفه من يده واندفع على طول الحجارة المرصوفة. صرخ المارشال فاروز: «إصابة! إصابة مؤكدة! أحسنت القتال يا چيزال، أحسنت القتال!».

بدأ ويست يضجر من الخسارة. كان أقوى من چيزال، وأطول، ويملك مدى أفضل، لكن ذلك الوغد المتغطرس كان سريعًا. سريعًا جدًا، ويزداد سرعة. صار يعرف كل حيل ويست تقريبًا، وإذا استمر في التحسن بهذا المعدل فسوف يهزمه في كل مرة قريبًا. وكان چيزال يعرف ذلك أيضًا. ارتسمت على وجهه ابتسامة مزعجة مفعمة بالغرور وهو يمد يده لويست ويساعده على النهوض من الأرض.

ضرب فاروز عصاه على ساقه مبتهجًا: «لقد بدأنا نحرز تقدمًا الآن! ربما لدينا بطل بيننا، أليس كذلك أيها الرائد؟».

قال ويست: «من المحتمل جدًا، سيدي»، وفرك مرفقه المتورم والموجوع من سقوطه. نظر بطرف عينه إلى چيزال، الذي كان يستمتع بثناء المارشال.

- لكن يجب ألا نتراخي!

قال چيزال بحماس: «لا يا سيدي!».

قال فاروز: «بالتأكيد لا، الرائد ويست مبارز ماهر بالطبع، ومن حسن حظك أن يكون شريكك، ولكن، حسنًا، (وابتسم لويست) المبارزة رياضة الشباب، أليس كذلك أيها الرائد؟».

تمتم ويست: «بالطبع، سيدي، رياضة الشباب».

- أتوقع أن يكون بريمر دان جورست خصمًا من نوع مختلف، وكذلك الآخرون في مسابقة هذا العام. ربما أقل دهاءً من المحاربين

المخضرمين، لكنه يملك حيوية الشباب أكثر، أليس كذلك يا ويست؟
(كان ويست، في الثلاثين من عمره، ما زال يشعر بشيء من حيوية
الشباب، لكن لم يكن هناك جدوى من الجدل. كان يعرف أنه لم يكن
يومًا أفضل مبارز في العالم) لقد أحرزنا تقدمًا كبيرًا هذا الشهر، تقدمًا
كبيرًا. لديك فرصة، إذا حافظت على تركيزك. فرصة حقيقية! أحسنت!
سأراكما غدًا.

ثم رحل المارشال العجوز خارجًا من الفناء المضاء بالشمس.
سار ويست نحو سيفه الذي أسقطه، حيث كان مستلقيًا على الحجارة
بجانب الجدار. كان جانبه لا يزال يؤلمه من السقوط، واضطر إلى الانحناء
بصعوبة لالتقاطه. تمتم وهو يستقيم، محاولًا إخفاء انزعاجه قدر الإمكان:
«عليّ أن أغادر الآن».

- عمل مهم؟
- لقد طلب المارشال بور رؤيتي.
- هل ستقوم الحرب إذن؟
- ربما. لا أعرف. (ونظر ويست چيزال من أعلى لأسفل. كان يتجنب عين
ويست لسبب ما) وأنت؟ ما الذي يدور في ذهنك لليوم؟
عبث چيزال بسيفه: «ارر، لا لم أخطط لشيء... ليس حقًا». نظر إلى أعلى
خلسة. بالنسبة إلى لاعب ورق جيد كهذا، كان كاذبًا مفضوحًا.
شعر ويست بالقلق: «آردي لن تكون جزءًا من مخططك لشيء، أليس
كذلك؟».

- ارر...
تحول القلق إلى نبض بارد: «حسنًا؟».
انفعل چيزال: «ربما، حسنًا... نعم».
تحرك ويست ليعارض الرجل الأصغر: «چيزال، (سمع نفسه يتحدث ببطء
عبر أسنانه) أمل ألا تكون تخطط لمضاجعة أختي».
- انظر هنا...

احتدم الغضب داخله. قبض ويست على كتفي چيزال بكلتا يديه: «لا، أنت
من يجب أن ينظر! (زمجر غاضبًا) لن أسمح لك بالعبث معها، أفهم؟ لقد

تأذت من قبل، ولن أسمح لأحد بأن يؤذيها مرة أخرى! لا أنت ولا أي شخص آخر! لن أسمح بذلك! إنها ليست إحدى ألعابك، هل تسمعني؟».

قال چيزال، وقد شحب وجهه فجأة: «حسنًا، حسنًا! ليس لدي أي نوايا تجاهها! نحن مجرد صديقين، هذا كل شيء. أنا معجب بها! إنها لا تعرف أحدًا هنا... يمكنك الوثوق بي... لا يوجد أي ضرر في ذلك! آه! اتركني!».

أدرك ويست أنه كان يضغط على ذراعي چيزال بكل قوته. كيف حدث ذلك؟ كان ينوي فقط أن يتحدث بهدوء، وإذا به يذهب بعيدًا جدًا. تأذت من قبل... اللعنة! ما كان يجب أن يقول ذلك! فكَّ قبضته فجأة وتراجع، محاولًا ابتلاع غضبه: «لا أريدك أن تراها بعد الآن، هل تفهمني؟».

قال چيزال: «انتظر لحظة يا ويست، من أنت لت...».

بدأ غضب ويست يخفق مرة أخرى: «چيزال، (زمجر) أنا صديقك، لذا أطلب منك. (تحرك نحوه، وأصبح أقرب من أي وقت مضى) وأنا شقيقها، لذا أحذرك. ابتعد عنها! لن يأتي من هذا أي خير!».

انكمش چيزال مرة أخرى على الحائط: «حسنًا... حسنًا! إنها أختك!».

استدار ويست وسار نحو الممر، يحك مؤخرة عنقه ورأسه ينبض بالصداع.

عندما وصل إلى مكتب اللورد المارشال بور، وجده جالسًا يحدق من النافذة. كان رجلًا ضخماً، متجهماً، ذا لحية كثيفة بنية، يرتدي زيًا بسيطًا. تساءل ويست عن مدى سوء الأخبار. إذا كان تعبير وجه المارشال يعكس الحقيقة، فلا شك أنها أخبار سيئة جدًا.

نظر بور بحدة من تحت حاجبيه الكثيفين: «الرائد ويست، شكرًا لقدومك».

- بالطبع، سيدي.

لاحظ ويست ثلاثة صناديق خشبية بدائية الصنع على طاولة بجانب الجدار. لاحظ بور نظرته إليها.

قال بغضب: «هدايا من صديقنا في الشمال، بيثود».

- هدايا؟

عبس المارشال وامتنص أسنانه: «موجهة للملك، على ما يبدو. لماذا لا تلقي نظرة على ما أرسله لنا أيها الرائد؟».

سار ويست نحو الطاولة، مد يده بحذر وفتح غطاء أحد الصناديق. انبعثت رائحة كريهة، أشبه برائحة لحم متعفن للغاية، لكن لم يكن بداخل الصندوق سوى بعض التراب البُنِّي. فتح الصندوق التالي. كانت الرائحة أسوأ. المزيد من التراب البُنِّي مكتكلاً في الداخل، وبعض الشعر، خصلات من شعر أشقر. ابتلع ريقه ونظر إلى اللورد المارشال العابس: «هل هذا كل شيء، سيدي؟». شخر بور: «يا ليت. الباقي كان علينا دفنه».

- دفن؟

التقط المارشال ورقة من مكتبه: «النقيب سيلبر، النقيب هوس، العقيد أرينهورم. أتعني هذه الأسماء أي شيء لك؟».

شعر ويست بالغثيان. تلك الرائحة. ذكرته بجوركول بطريقة ما، بساحة المعركة. تمت وهو يحدق إلى الصناديق الثلاثة: «العقيد أرينهورم، أعرفه بالسمعة. إنه قائد الحامية في دونبريك».

صحَّح له بور: «كان كذلك، أما الآخرون فكانا يقودان مواقع صغيرة بالقرب، على الحدود».

تمتم ويست: «الحدود؟» لكنه خَمَّن ما سيقوله.

- رؤوسهم، أيها الرائد. الشماليون أرسلوا لنا رؤوسهم. (ابتلع ويست ريقه وهو ينظر إلى الشعر الأصفر الملتصق بداخل الصندوق) ثلاث إشارات، أخبرونا، عندما يحين الوقت. (نهض بور من كرسيه ووقف ينظر عبر النافذة) المواقع كانت عديمة الأهمية: مبان خشبية في الغالب، وجدار من الأسوار، وخنادق وما شابه، وعدد قليل من الجنود. لا أهمية استراتيجية تُذكر. أما دونبريك فشيء آخر.

قال ويست بصوت خافت: «إنها تسيطر على معابر وايتفلو، وهي أفضل مخارج أنجلاند».

- أو مدخلها. نقطة حيوية. أنفق على تحصينها وقت وموارد كبيرة. أحدث التصاميم، وأمهر المهندسين. حامية من ثلاثمئة رجل، مع مخزون من الأسلحة والطعام يكفي لتحمل الحصار لعام كامل. كانت تعتبر منيعة، حجر الزاوية في خططنا للدفاع عن الحدود. (عبس بور، وظهرت تجاعيد عميقة على جبهته) سقطت.

بدأ رأس ويست يؤلمه مرة أخرى: «متى، سيدي؟».

- السؤال فعلاً هو متى. لا بد أنه قبل أسبوعين على الأقل، لكي تصل إلينا هذه «الهدايا». (قال بور بمرارة) يعتقدون أنني انهزامي، لكنني أعتقد أن الشماليين طلقاء، وأنهم قد اجتاحوا بالفعل نصف شمال أنجلاند الآن. مجموعة تعدين أو اثنتان، عدة مستعمرات عقابية، لا شيء حتى ذو أهمية كبيرة الآن، لا مدن تذكر، لكنهم قادمون، يا ويست، وبسرعة، كن واثقاً من ذلك. أنت لا ترسل الرؤوس إلى عدوك ثم تنتظر رده بأدب.

- ما الذي يُفعل؟

- القليل جداً! أنجلاند في حالة فوضى، بالطبع. الحاكم اللورد ميد يحشد كل رجل يستطيع حشده، مصمماً على أن يخرج لمواجهة بيثود بنفسه، الأحمق. تقارير مختلفة تُعلم بوجود الشماليين في كل مكان، بأعداد تتراوح بين ألف ومئة ألف رجل. الموانئ مكتظة بالمدنيين اليائسين للهرب، والشائعات تنتشر عن جواسيس وقتلة طلقاء في البلاد، والجماهير تبحث عن المواطنين من أصل شمالي لتضربهم أو تسرقهم، أو أسوأ. ببساطة، إنها فوضى. وفي هذه الأثناء، نحن نجلس هنا على مؤخراتنا السمينه، وننتظر.

- ولكن... ألم نُحذّر؟ ألم نكن نعلم؟

- بالطبع! (صرخ بور رافعاً يده العريضة في الهواء) لكن لم يأخذ أحد الأمر على محمل الجد، هل تصدق! همجي لعين ملون يطعن نفسه على أرضية المجلس المفتوح، يتحدانا أمام الملك، ولا يُفعل شيء! حكومة لجان! كلُّ يبحث عن مصلحته! لا شيء يحدث سوى رد الفعل، لا استعداد! (سعل المارشال وتجشأ، وبصق على الأرض) تبّاً! تبّاً لعسر الهضم هذا!

جلس مرة أخرى في كرسيه، يدلك معدته بأسف.

لم يعرف ويست ماذا يقول وتمتم: «كيف نتقدم؟».

- جاءت أوامر بالتوجه شمالاً فوراً هذا يعني بمجرد أن يتكرم أحدهم بإمدادي بالرجال والأسلحة. الملك، وهذا يعني ذلك السكير هوف، أمرني بإخضاع هؤلاء الشماليين. اثنا عشر فوجاً من حرس الملك الخاص؛ سبعة من المشاة وخمسة من الفرسان، وستُعزّز بمن يمكن تجنيدهم من عند النبلاء، وكل ما لم يبدهه أهل أنجلاند حتى وصولنا.

استعدل ويست جلسته بقلق: «هذه ستكون قوة طاغية».

تمتم المارشال: «هاه، الأفضل أن تكون كذلك. فهي كل ما لدينا تقريبًا، وذلك ما يقلقني. (عبس ويست) داجوسكا، أيها الرائد. لا يمكننا قتال الجوركوليين الشماليين في وقت واحد».

- لكن سيدي، بالتأكيد لن يخاطر الجوركوليون بحرب أخرى بهذه السرعة؟ كنت أظن أن ذلك كله مجرد أقاويل؟

- أمل ذلك، أمل ذلك. (دفع بور بعض الأوراق على مكتبه بلا مبالاة) لكن هذا الإمبراطور الجديد، عثمان، ليس كما كنا نتوقع. كان الابن الأصغر، لكنه عندما عرف ب وفاة والده... قتل جميع إخوته خنقًا. والبعض يقول إنه خنقهم بنفسه. يسمونه عثمان الدُّشْت. عثمان عديم الرحمة. لقد أعلن بالفعل بنيته في استعادة داجوسكا. أقاويل، ربما. وربما لا. (زَمَّ بور شفتيه) يقولون إن لديه جواسيس في كل مكان. ربما بدأ بالفعل يتعلم عن مشكلاتنا في أنجلاند، وربما الآن يستعد لاستغلال ضعفنا. علينا أن ننهي أمر هؤلاء الشماليين بسرعة. بسرعة كبيرة. اثنا عشر فوجًا ومجندون من عند النبلاء. ولهذا السبب فالوقت لا يمكن أن يكون أسوأ.

- سيدي؟

- هذا الأمر مع البَرَّازين. أمر سيئ. بعض كبار النبلاء تكبَّدوا خسائر فادحة. بروك، وإيشر، وبارزين، وغيرهم. والآن يتباطئون في إرسال المجندين. من يدري ماذا سيرسلون إلينا، أو متى؟ على الأرجح حفنة من المتسولين الجائعين العُزْل، ذريعة للتخلص من بقايا الفقراء في أراضيهم. حشد عديم الفائدة من الأفواه الإضافية التي يجب إطعامها، وكسوتها، وتسليحها، ونحن نعاني نقصًا شديدًا في الضباط الأكفاء.

- لدي بعض الرجال الجيدين في كتيبتي.

ارتعش بور بنفاد صبر: «رجال جيّدون، نعم! رجال صادقون ومتحمسون، لكنهم عديمو الخبرة! معظم من حارب في الجنوب لم يستمتع بذلك. تركوا الجيش، ولا نية لديهم في العودة. هل رأيت مدى صغر سن الضباط في هذه الأيام؟ أصبحنا مدرسة للتعليم النهائي! والآن، سمو الأمير أبدى اهتمامه

بتولي قيادة. لا يعرف حتى أي طرف من السيف يُمسك به، لكنه عازم على
المجد ولا أستطيع رفض طلبه!». -

الأمير رينو؟

صاح بور: «ليته كان رينو! رينو قد يكون له نفع على الأقل! أتحدث
عن لاديسلا! يتولى قيادة فرقة! رجل ينفق ألف مارك شهرياً على الملابس!
افتقاره للانضباط معروف! سمعت أنه تحرش بأكثر من خادمة في القصر،
لكن المقرئ الأعلى كان يسكت الفتيات».

قال ويست رغم أنه سمع الشائعة بنفسه من قبل: «هذا غير معقول».

- ولي العهد في ميدان المعركة، والملك يعاني تدهور صحته؟ فكرة
سخيفة! (نهض بور، وتجشأ وتألّم) تبّاً لهذه المعدة! (سار نحو النافذة
متجهماً وهو ينظر إلى الأجريونت. قال بهدوء) يظنون أن الأمر سيحل
بسهولة، المجلس المغلق. مغامرة صغيرة في أنجلاند، تنتهي قبل
بداية سقوط الثلج. رغم الصدمة مع دونبريك. لا يتعلمون أبداً. قالوا
الشيء نفسه عن حربنا مع الجوركوليين، وتلك كادت تقضي علينا.
هؤلاء الشماليون ليسوا البدائيين الذين يظنونهم. لقد قاتلت مع مرتزقة
شماليين في ستاريكلاند: رجال قساة اعتادوا الحياة القاسية، نشؤوا
على الحرب، لا يعرفون الخوف ولا يتراجعون، خبراء في القتال في
القلل، والغابات، وفي البرد. لا يتبعون قواعدنا، ولا حتى يفهمونها.
سيجلبون عنفاً ووحشية لميدان المعركة تجعل الجوركوليين يحمرون
خجلاً. (استدار بور بعيداً عن النافذة ونظر إلى ويست) لقد ولدت في
أنجلاند، أليس كذلك، أيها الرائد؟

- بلى يا سيدي، في الجنوب، بالقرب من أوستنهورم. كانت مزرعة عائلتي
هناك، قبل وفاة والدي.. (وخمد صوته).

- لقد نشأت هناك؟

- نعم.

- أتعرف الأرض إذن؟

عبس ويست: «في تلك المنطقة يا سيدي، لكنني لم أعد إلى هناك منذ...».

- هل تعرف هؤلاء الشماليين؟

- البعض. لا يزال هناك الكثيرون يعيشون في أنجلاند.

- هل نتحدث لغتهم؟
- نعم، قليلًا، لكنهم يتكلمون العديد من...
- هذا جيد. أنا أجمع طاقمًا من الرجال الجيدين الذين يمكنني الاعتماد عليهم لتنفيذ أوامري، والتأكد من أن جيشنا هذا لن ينهار حتى قبل أن يقابل العدو.
- بالطبع يا سيدي. (وبدأ ويست بعصف عقله) النقيب لوثر ضابط مقتدر وذكي، والملازم چالينهورم.
- صاح بور وهو يلوح بيده في حالة من الإحباط: «باه! أعرف لوثر، إنه فتى بليد! النوع ذو الأعين المتألقة الذي أتحدث عنه هو أنت! أنت من أحتاج إليه يا ويست».
- أنا؟
- نعم أنت! لقد قدم المارشال فاروز، الجندي الأكثر شهرة في الاتحاد، تقريرًا رائعًا عنك. يقول إنك الضابط الأكثر التزامًا ومثابرة واجتهادًا. الصفات التي أحتاج إليها بالضبط! قاتلت في جوركول وأنت ملازم، تحت قيادة العقيد جلوكتا، أليس كذلك؟
- ابتلع ويست: «حسنًا، نعم».
- ومن المعروف أيضًا أنك كنت في الموجة الأولى في اقتحام أولريوخ.
- حسنًا، كنت من بين الأوائل...
- لقد قدت الرجال في الميدان، وشجاعتك الشخصية لا أدنى شك فيها! لا داعي لأن تكون متواضعًا، أيها الرائد، أنت الرجل المناسب لي! (جلس بور وابتسم، واثقًا من أنه أوضح وجهة نظره. تجشأ مرة أخرى وهو يرفع يده) معذرة... عسر الهضم للعين!
- سيدي، هلأ أتحدث بصراحة؟
- أنا لست من حاشية الملك، يا ويست. عليك أن تتحدث بصراحة دائمًا معي. هذا أمر أطلبه!
- الالتحاق بطاقم اللورد المارشال، سيدي، يجب أن تفهم. أنا ابن رجل محترم، لكن من العامة. وبصفتي قائد كتيبة، أجد بالفعل صعوبة في اكتساب احترام الضباط الأصاغر. الرجال الذين سأضطر إلى إعطائهم

الأوامر إن كنت في طاقمك، سيدي، رجال كبار ذوو نسب نبيل.. (توقف، وقد بدأ يغضب. نظر المارشال إليه ببرود) لن يسمحوا بذلك! انعقد حاجبا بور: «لن يسمحوا بذلك؟».

- كبرياؤهم لن تسمح، سيدي، إنهم...

- تباً لكبريائهم! (انحنى بور للأمام، وعيناه الداكنتان مثبتتان على وجه ويست) والآن استمع إلي، واستمع جيداً. الأوقات تتغير. لست بحاجة إلى رجال ذوي نسب نبيل. أحتاج إلى رجال يستطيعون التخطيط، والتنظيم، وإعطاء الأوامر، وتنفيذها. لن يكون هناك مكان في جيشي لمن لا يستطيع تنفيذ ما يؤمر به، لا يهمني مدى نبلمهم. كعضو في طاقمي، فأنت تمثلني، ولن أسمح بتجاهلي أو التقليل مني. (فجأة تجشأ بور وضرب الطاولة بقبضته) سأؤكد من تحقق ذلك! (وهدر صوته) الأوقات تتغير! قد لا يشعرون بذلك بعد، لكنهم سيشعرون قريباً!

حقوق ويست إلى وجهه بغباء. وأكمل: «على أي حال، (ولوَّح بور بيده بلا مبالاة) أنا لا أتشاور معك، أنا أبلغك. هذه مهمتك الجديدة. ملكك بحاجة إليك، وبلدك بحاجة إليك، وهذا هو كل شيء. لديك خمسة أيام لتسليم قيادة كتيتك». ثم عاد اللورد المارشال إلى أوراقه.

تمتم ويست: «نعم، سيدي».

أغلق الباب خلفه بأصابع متخدلة، وسار ببطء في الممر، يحدق إلى الأرض. الحرب. الحرب في الشمال. سقوط دونبريك، والشماليون يجوبون أنجلاند. الضباط يسرعون من حوله. احتك أحدهم به، لكنه بالكاد لاحظ. هناك أناس في خطر، في خطر الموت! ربما أناس يعرفهم، جيران من وطنه. هناك معارك تدور الآن، داخل حدود الاتحاد! حَكْ فُكْهُ. هذه الحرب قد تكون رهيبة. أسوأ حتى من حرب جوركول، وهو سيكون في قلبها. مكان في طاقم اللورد المارشال؟ هو؟ كولم ويست؟ رجل من العامة؟ بالكاد يستطيع تصديق ذلك.

شعر ويست بتوهج من الرضا خفي ومشوب بالذنب. فهذا التعيين بالتحديد هو ما كان يعمل من أجله كالحيوان طوال هذه السنوات. إذا أدَّى عمله بشكل جيد، فمن يدري إلى أين قد يصل؟ نعم، هذه الحرب كانت شيئاً سيئاً، شيئاً رهيباً بلا شك. لكنه شعر بابتسامة ترتسم على وجهه. شيء رهيب. ولكن ربما تكون هي ما سيصنعه.

متجر الأزياء المسرحية

بينما كانت الأرضية الخشبية تصرُّ وتخلخل تحت قدميه، وأقمشة الأشرطة ترفرف بهدوء، كانت طيور البحر تصرخ وتنشق في الهواء المالح فوقه. تتمم لوجن: «لم أكن أظن أنني سأرى شيئاً كهذا».

أخذت المدينة شكل هلال أبيض ضخم، يمتد حول الخليج الأزرق العريض، تزحف عبر عدة جسور تبدو صغيرة من بعيد، حتى الجزر الصخرية في البحر. ظهرت حدائق خضراء هنا وهناك وسط فوضى من المباني، فيما تلالأت الأنهار والقنوات الرمادية الرقيقة تحت أشعة الشمس. كما كانت هناك أسوار أيضاً، ترصعت بأبراج، أحاطت أطراف المدينة البعيدة تَحُطُّ فوضى البيوت بفخر. فغر لوجن فاه مدهوشاً، وعيناه تتحركان هنا وهناك، عاجزتين عن استيعاب المشهد بأكمله.

همس باياز: «أدوا، مركز العالم. يسميها الشعراء مدينة الأبراج البيضاء. جميلة، أليست كذلك، من بعيد؟ (مال المجوسيُّ نحوه) لكن صدقني، رائحتها كريهة عندما تقترب منها».

انتصبت قلعة هائلة من داخل المدينة، جدرانها البيضاء الساطعة تعلو فوق حصيرة المباني المحيطة، فيما انعكست أشعة الشمس على القباب اللامعة بها. لم يتخيل لوجن قط وجود شيء قد يصنعه البشر بهذا العظمة، هذا الشموخ، وهذه القوة. برز برج واحد على وجه الخصوص عالياً، عالياً فوق جميع الأبراج الأخرى، مجموعة من الأعمدة السوداء الناعمة التي بدت وكأنها تحمل السماء نفسها...

همس: «وبيثود يريد شن الحرب على هذا؟ لا بد أنه مجنون».

أوماً باياز نحو المدينة: «ربما. بيثود، رغم كل إسرافه وكبريائه، يفهم الاتحاد جيداً. كلهم يغارون من بعضهم بعضاً. قد يكون اتحاداً بالاسم، لكنهم يتصارعون فيما بينهم بكل شراسة. العامة يتشاجرون على التوافه. الكبار يخوضون حروباً سرية من أجل السلطة والثروة، ويطلقون عليها حكومة. حروب بالكلمات، والخدع، والمكائد، ومع ذلك ليست أقل دموية من غيرها. الضحايا كثيرون. (وتنهذ المجوسيُّ) خلف تلك الجدران يصرخون ويتجادلون ويستمررون في طعن ظهور بعضهم بعضاً. الخلافات القديمة لا تُحل، بل تزدهر، وتنمو جذورها، ومع مرور السنين تتعمق تلك الجذور. لقد كان الحال هكذا دائماً. إنهم ليسوا مثلك، لوِجِن. الرجل هنا يمكنه أن يبتسم، ويتملك، ويناديك صديقاً، ويقدم لك الهدايا بيد ويطعنك بالأخرى. ستجد هذا المكان غريباً».

شعر لوِجِن أن هذا المكان هو أغرب ما رآه في حياته. لم يكن له نهاية. ومع انزلاق قاربهما إلى الخليج، بدت المدينة أكثر اتساعاً من أي وقت مضى. غابة من المباني البيضاء، تتناثر فيها النوافذ الداكنة، تحيط بهما من كل جانب، تغطي التلال بالأسطح والأبراج، تتزاحم معاً، متراسة الجدران بعضها على بعض، تعتصر نحو الماء على طول الساحل.

تتسابق السفن والقوارب بأنواعها المختلفة في الخليج، أشرعتها تنتفخ، والبجارة يصرخون وسط ضجيج الرذاذ، يسرعون على أسطح السفن، ويتسلقون الحبال. بعضها كان أصغر حتى من قاربهما الصغير ذي الشراعين. وبعضها كان أكبر بكثير. بينما حلق لوِجِن بذهول، كانت سفينة ضخمة تشق الماء باتجاههما، والرذاذ اللامع يتطاير من مقدمتها. جبل من الخشب، يطفو بسحر ما في مياه البحر. مرت السفينة، تاركة قاربهما يتأرجح خلفها، لكن كانت هناك المزيد، المزيد من السفن، مربوطة إلى الأرصفة التي لا تُحصى على طول الشاطئ.

رفع لوِجِن يده ليحجب الشمس الساطعة عن عينيه، وبدأ يلمح الناس على الأرصفة الممتدة. بدأ يسمعهم أيضاً، ضجيج خافت من أصوات تصرخ وعربات تتن وحمولات تتساقط على الأرض. كان هناك مئات من الشخوص الصغيرة، تتنقل بين السفن والمباني كالنمل الأسود. همس: «كم يعيشون هنا؟».

هز باياز كتفيه: «الآلاف. مئات الآلاف. أناس من كل أراضي حلقة العالم. يوجد شماليون هنا، وكانتيكيون ذوو بشرة داكنة من جوركول وما وراءها. أشخاص من الإمبراطورية القديمة، بعيدًا إلى الغرب، وتجار مدن ستيريا الحرة. وآخرون أيضًا من أماكن أبعد: الجزر الألف، وسلجوق البعيدة، وثوند، حيث يعبدون الشمس. هناك أناس أكثر مما يمكن حصرهم، يعيشون، ويموتون، ويعملون، ويتكاثرون، ويتسلقون فوق بعضهم بعضًا. مرحبًا بك، (وفرد باياز ذراعيه على آخرهما ليحوي المدينة الرهيبة، الجميلة، التي لا نهاية لها) في الحضارة!».

- مئات الآلاف.

حاول لوچن استيعاب ذلك. مئات... الآلاف. هل يمكن أن يكون هناك هذا العدد من البشر في العالم؟ حدق إلى المدينة من حوله، متسائلًا، وهو يفرك عينيه المتألمتين. كيف يبدو مئة ألف شخص؟
بعد ساعة، عرف الإجابة.

لم يشعر لوچن بهذا الاختناق من قبل إلا في المعركة، محاطًا، مضغوطًا بين الآخرين. كان الأمر أشبه بمعركة هنا على الأرصفة: الصرخات، الغضب، الزحام، الخوف والارتباك. معركة لا رحمة فيها، ولا نهاية لها، ولا منتصر. اعتاد لوچن السماء المفتوحة، الهواء من حوله، ورفقته الخاصة. حتى على الطريق، عندما ركب باياز وكواي بالقرب منه، شعر بالضيق. أما الآن، فقد كان الناس في كل مكان، يتدافعون، يتزاحمون، يصرخون. المئات! الآلاف! مئات الآلاف! هل يمكن أن يكونوا كلهم بشرًا؟ بشرًا مثله، لديهم أفكار ومشاعر وأحلام؟ وجوه ظهرت واختفت سريعًا؛ مكفهرة، قلقّة، عابسة، تختفي في دوامة محمومة من الألوان. ابتلع لوچن ريقه، وأغمض عينيه. حلقه كان جافًا بشكل مؤلم. رأسه يدور. لا بد أن هذه هي الجحيم. علم أنه يستحق أن يكون هنا، لكنه لم يتذكر أنه مات.

همس بيأس: «مالاكوس! (استدار المتدرب ونظر حوله) توقف لحظة! (سحب لوچن ياقة قميصه، محاولًا استنشاق بعض الهواء) لا أستطيع التنفس!».

ابتسم كواي: «ربما بسبب الرائحة».

قد يكون كذلك. فرائحة الأرصفة كانت أشبه بالجحيم، بلا شك. رائحة أسماك متعفنة، توابل مُمرضة، فواكه متحللة، روث حديث، عرق متصبب من الخيول والبغال والناس، كلها امتزجت وتكاثرت تحت الشمس الحارقة لتصبح أسوأ بكثير من أي رائحة واحدة بمفردها.

«تحرك!» دفعته كتف بقوة جانبًا ثم اختفى. اتكأ لوّجِن على حائط متسخ ومسح العرق عن وجهه.

كان باياز يبتسم: «ليست مثل الشمال الواسع والقاحل، أليس كذلك، يا تسع أصابع؟».

«لا». نظر لوّجِن إلى الناس المتحركين من حوله: الخيول، والعربات، والوجوه التي لا تنتهي. مر به رجل وهو يحدّق إليه بريبة. صبي أشار إليه وصاح بشيء ما. امرأة تحمل سلة ابتعدت عنه بخوف، تحدّق إليه وهي تسرع في مشيتها. الآن وقد أتيحت له لحظة للتفكير، أدرك أنهم جميعًا ينظرون إليه، ويشيرون إليه، ويحدّقون، ولم يبدوا سعداء.

انحنى لوّجِن نحو مالاكوس وقال: «يخافونني ويكرهونني في جميع أنحاء الشمال. لا يعجبني ذلك، لكنني أعرف السبب. (حدقت إليه مجموعة من البحّارة المتجهمين بأعين قاسية، يتهايمسون فيما بينهم. تابعهم بحيرة حتى اختفوا خلف عربة متهدجة) لماذا يكرهونني هنا؟».

تمتم باياز، متجهّمًا وهو ينظر إلى الحشود: «لقد تحرك بيثود بسرعة، حربه مع الاتحاد قد بدأت بالفعل. أخشى أننا لن نجد الشمال يحظى بشعبية كبيرة في أدوا».

- كيف يعرفون أنني من الشمال؟

رفع مالاكوس حاجبه: «أنت تبرز قليلًا».

تقلص لوّجِن وهو يرى شايبين يمران ضاحكين بجانبه: «فعلًا؟ وسط كل هذا؟».

- كعضادة بوابة ضخمة، مشوهة، وقذرة.

نظر لوّجِن إلى نفسه: «آه. فهمت».

بعيداً عن الأرصفة، بدأت الحشود تتناقص، والهواء يصبح أنقى، والضوضاء تتلاشى تدريجياً. لا تزال الشوارع تعج بالحياة، تفوح منها الروائح، وتضج بالأصوات، لكن على الأقل استطاع لوّجن التقاط أنفاسه.

مروا من ساحات مرصوفة واسعة، مزينة بالنباتات والتمائيل، حيث تعلقت لافتات خشبية ملونة فوق الأبواب، سمك أزرق، خنازير وردية، عناقيد عنب أرجوانية، أرغفة خبز بنية. كانت هناك طاولات وكراسي تحت أشعة الشمس، يجلس عليها الناس يأكلون من أوانٍ مسطحة، ويشربون من أكواب زجاجية خضراء. عبروا أزقة ضيقة، حيث كانت المباني الخشبية والجصية المتهالكة تميل فوقهم، تكاد تلتقي من الأعلى، تاركة شريطاً رفيعاً من السماء الزرقاء. تجولوا في شوارع واسعة مرصوفة بالحجارة، مكتظة بالناس ومصفوفة على جانبيها مبانٍ بيضاء هائلة. كان لوّجن يرمش وينظر بذهول إلى كل شيء.

لم يشعر لوّجن يوماً بالضيق الكامل في أي برية، مهما كانت ضبابية، أو في أي غابة، مهما كانت كثيفة، كما شعر هنا. لم يكن لديه أدنى فكرة عن اتجاه القارب الآن، رغم أنهم تركوه قبل نصف ساعة فقط. كانت الشمس مخفية خلف المباني الشاهقة وكل شيء بدا متشابهاً. كان خائفاً من أن يفقد أثر باياز وكواي وسط الحشود، ويضل طريقه للأبد. أسرع خلف رأس الساحر الأصلع، يتبعه إلى ساحة مفتوحة. طريق عظيم، أكبر من أي طريق رأوه حتى الآن، تحيطه من خلف أسوار عالية وأسيجة قصور بيضاء من كلا الجانبين، تصطف على جوانبه أشجار عتيقة.

كان الناس هنا مختلفين. ملابسهم زاهية، مبالغ فيها، مقصوفة بأشكال غريبة لا تخدم أي غرض. النساء بالكاد بدوّن كأشخاص عاديين، صاحبات، نحيلات، ملتفات في أقمشة لامعة، يلوحن على أنفسهن في الشمس الحارقة بقطع قماش ممدودة على عصي.

صرخ في باياز: «أين نحن؟» إذا أجاب الساحر بأنهم على القمر، فلن يتفاجأ لوّجن.

- هذا هو الطريق الأوسط، أحد الطرق الرئيسية في المدينة! إنه يقطع وسط المدينة تمامًا حتى الأجرىونت!

- الأجرىونت؟

- قلعة، قصر، ثكنة، مقر الحكومة. مدينة داخل المدينة. قلب الاتحاد. هذا هو المكان الذي سنذهب إليه.
- نحن؟ (حدقت مجموعة من الشباب العابس مرتابين إلى لوجن في أثناء مروره جوارهم) هل سيسمحون لنا بالدخول؟
- أوه نعم. لكن ذلك لن يعجبهم.

شق لوجن طريقه بصعوبة وسط الحشود. في كل مكان كانت الشمس تلتمع على ألواح النوافذ الزجاجية، المئات منها. كانت لدى مدينة كارليون بعض النوافذ الزجاجية في أفخم المباني، على الأقل قبل أن ينهبوا المدينة. وبعدها، كان قد تبقى القليل من أي شيء. كان الكلبى يعشق صوت تحطم الزجاج. كان يطعن النوافذ برمحه، وابتسامة كبيرة تعلو وجهه، مبتهجاً بتحطم الزجاج وصوت تكسّره.

لكن ذلك لم يكن الأسوأ. منح بيثود المدينة لرجاله لمدة ثلاثة أيام. كانت هذه عادته، وكانوا يحبونه لذلك. خسر لوجن إصبعه في المعركة قبل ذلك بيوم، وكووا الجرح بالحديد الساخن. كان ينبض بالألم، والألم جعله متوحشاً. وكأنه كان بحاجة إلى عذر للعنف في ذلك الوقت. تذكر رائحة الدم، والعرق، والدخان. أصوات الصراخ، والتحطم، والضحك.

«أرجوك»... تعثر لوجن وكاد يسقط. كان هناك شيء يتشبّث بساقه. امرأة، جالسة على الأرض بجانب الجدار. كانت ملابسها متسخة ومهلهلة، ووجهها شاحباً، ومنكمشاً من الجوع. كانت تحمل شيئاً في ذراعيها. حزمة من الخرق البالية. طفل. «أرجوك»... لم تقل شيئاً آخر. الناس يضحكون ويتحدثون ويتدافعون حولهما، وكأنهما غير موجودين. «أرجوك»...

تمتم لوجن: «ليس لدي شيء»، لم يبعد أكثر من خمس خطوات عن رجل يعتمر قبعة طويلة، جالساً على طاولة، يضحك مع صديقه بينما يتناول طبقاً من اللحم والخضار الساخن. نظر لوجن إلى الطبق، ثم إلى المرأة الجائعة. أمسكه باياز من مرفقه وكان يسحبه بعيداً: «لوجن! هيا بنا!».

- ولكن ألا ينبغي لنا...
- ألم تلاحظ؟ إنهم في كل مكان! الملك يحتاج إلى المال، لذلك يضغط على النبلاء. النبلاء يضغطون على مستأجريهم، والمستأجرون يضغطون على الفلاحين. بعضهم من كبار السن، والضعفاء، والأبناء

والبنات الزائدين، يُعتَصرون لأسفل. هناك الكثير من الأفواه التي لا يمكن إطعامها. المحظوظون يصنعون لصوصًا أو عاهرات، أما الباقي فينتهي بهم الأمر بالتسول.

- لكن...

«أفسحوا الطريق!» تعثر لوِجِن على الحائط وانضغط عليه، ومالاكوس وباياز بجانبه. تفرق الحشد ومرت مجموعة طويلة من الرجال، يقودهم حراس مدرعون. بعضهم كان شابًا، مجرد فتیان، وبعضهم عجوزًا جدًا. جميعهم كانوا متسخين ومهلهلين، وقليل منهم بدا بصحة جيدة. كان بعضهم يعرج بوضوح، يجر أقدامه بأفضل ما يستطيع. أحدهم، بالقرب من المقدمة، كان بذراع واحدة فقط. أحد المارة، يرتدي سترة قرمزية رائعة، بينما وضع قطعة قماش على أنفه المتجدد كان المتسولون يمرون.

همس لوِجِن لباياز: «من هؤلاء؟ مجرمون؟».

ضحك المجوسيّ: «جنود».

حذق لوِجِن إليهم؛ قذرون، يسعلون، يعرجون، بعضهم بلا أحذية: «جنود؟ هؤلاء؟».

- أجل. سيذهبون لمحاربة بيثود.

فرك لوِجِن صدغيه: «أرسلت عشيرة ذات مرة أضعف محارب لديها، رجل يدعى فورلي الأضعف، ليقاتلني في مبارزة. كان ذلك إشارة لاستسلامهم. لماذا يرسل هذا الاتحاد أضعف جنوده؟ (هز رأسه بتجهم) لن يهزموا بيثود بمثل هؤلاء».

أشار باياز إلى مجموعة أخرى، أصغر: «سيرسلون آخرين. وهؤلاء أيضًا جنود».

«هؤلاء؟» كانوا مجموعة من الشبان طوال القامة، يرتدون بدلات مبهجة من القماش الأحمر أو الأخضر الصارخ، بعضهم يعتمر قبعات ضخمة. على الأقل حملوا سيوفًا، نوعًا ما، لكنهم بالكاد بدوا كرجال مقاتلين. ربما كنساء مقاتلات. عبس لوِجِن، ينقل بصره بين المجموعتين. المتسولون القذرون، والفتيان المتأنقون. صعب عليه أن يحدد أيهما كان الأغرب.

فتح الباب ورن جرس صغير في أثناء دخول لوِجِن خلف باياز من المدخل المقوس المنخفض، ومالاكوس خلفهما. كان المتجر معتمًا مقارنة بالشارع

المضيء، واستغرق الأمر لحظة لتعتاد عيناه الظلام. استندت ألواح خشبية على الجدار، مغطاة برسومات طفولية لمبانٍ وغابات وجبال. تعلقت ملابس غريبة على الحوامل بجانبها؛ أثواب طويلة، وفساتين براقة، ودروع، وقبعات، وخوذ ضخمة، وخواتم وجواهر، وحتى تاج ثقيل. كما كانت هناك أرفف تحمل أسلحة؛ سيوف ورماح مزخرفة بشكل ثمين. اقترب لوجن منها عابسًا. كانت كلها مزيفة. لا شيء حقيقي. الأسلحة مصنوعة من خشب مطلي، والتاج من قصدير متقشر، والجواهر من زجاج ملون.

- ما هذا المكان؟

كان باياز يحدق إلى الأثواب القريبة من الجدار: «متجر الأزياء المسرحية».

- متجر ماذا؟

- أهل هذه المدينة يعشقون المشاهد. الكوميديا، الدراما، المسرح بكل أنواعه. هذا المحل يوفر تجهيزات لعرض المسرحيات.

لمس لوجن سيفًا خشبيًا: «للقصص؟ يبدو أن البعض لديهم وقت فراغ أكثر مما ينبغي».

خرج رجل صغير ممتلئ من باب في آخر المتجر، ينظر إلى باياز، ومالاكوس، ولوجن بريبة: «هل يمكنني مساعدتكم، أيها السادة؟».

- بالطبع. (تقدم باياز، وتحولت لهجته بسهولة إلى العامية) نحن نعد لمسرحية، ونحتاج إلى بعض الأزياء. سمعنا أنكم أفضل متجر للأزياء المسرحية في كل أدوا.

ابتسم صاحب المتجر بتوتر، متفحصًا وجوههم المتعبة وملابسهم المتسخة من السفر: «صحيح، صحيح، لكن... الجودة كلفتها باهظة، أيها السادة».

- المال ليس مشكلة.

وأخرج باياز كيسًا منتفخًا وألقاه بلا مبالاة على المنضدة. انفتح الكيس، وتدرجت عملات ذهبية ثقيلة على الخشب.

تألقت عينا صاحب المتجر بنار داخلية: «بالطبع! ماذا تريدون تحديدًا؟».

- أحتاج إلى رداء مذهل، يناسب ساحرًا عظيمًا أو مجوسيًا أو ما شابه. شيء يحمل طابعًا سحريًا غامضًا بالتأكيد. ثم نحتاج إلى شيء مشابه،

لكن أقل إبهارًا، يلائم متدربًا. وأخيرًا، نحتاج إلى زِيٍّ لمقاتل قوي، أمير من الشمال البعيد. أعتقد شيئًا به فراء سيكون مناسبًا.

- هذا بسيط وواضح. سأرى ما لدينا.

اختفى صاحب المتجر عبر الباب خلف المنضدة.

سأل لوجِن: «ما كل هذا الهراء؟».

ابتسم الساحر وقال: «يولد الناس هنا في طبقات. العامة ليقاتلوا، ويزرعوا الأرض، ويقوموا بالأعمال. وهناك الأشراف للتجارة والبناء والتفكير. وهناك النبلاء ليملكوا الأرض ويخضعوا الآخرين. وهناك الملوك.. (ألقى بياض نظرة على التاج المعدني). لا أذكر بالضبط لماذا. في الشمال، يمكنك الصعود بقدر ما تأخذك كفاءتك. فقط انظر إلى صديقنا المشترك، بيتود. لكن هنا، يولد الرجل في مكانه ويتوقع منه أن يبقى فيه. يجب أن نبدو وكأننا من مكانة رفيعة حقًا، إن أردنا أن نؤخذ على محمل الجد. بملابسنا هذه، لن نتمكن حتى من تجاوز بوابات الأجيوننت».

قاطعه دخول صاحب المتجر من الباب، وذراعه محملتان بأقمشة زاهية: «رداء سحري، يناسب الأعظم بين السحرة! استُخدم العام الماضي لشخصية جوفينز في مهرجان الربيع لإنتاج مسرحية نهاية الإمبراطورية. وإن سُمح لي فهو من أفضل أعمال».

أمسك بياض برقعة القماش القرمزية اللامعة، رافعًا إياها نحو الضوء الخافت، متأملًا إياها بإعجاب. كانت الرموز السحرية والحروف الغامضة ورموز الشمس والقمر والنجوم تتلألأ بخيوط فضية.

مرر مالاكوس يده على قماش ثوبه البراق السخيف: «أظن أنك لم تكن لتسخر مني بهذه السرعة، لو كنت ظهرت عند نار مخيمك مرتديًا هذا، هاه يا لوجِن؟».

جفل لوجِن: «أظن أنني كنت سأفعل».

- وهنا لدينا بُرْدَة بربري رائعة (ورفع سترة من الجلد الأسود على الطاولة، مزينة بزخارف من النحاس اللامع، ومطعمة بشرائط من السلاسل المعدنية الدقيقة. وأشار إلى العباءة المصنوعة من الفرو) هذا فرو سمور حقيقي!

كانت قطعة ملابس مثيرة للسخرية، عديمة النفع للدفع أو الحماية.

عقد لوّجَن ذراعيه فوق معطفه القديم: «أتظن أنني سأرتدي هذا؟».

ابتلع صاحب المتجر ريقه بتوتر. قال باياز: «عليك أن تسامح صديقي. إنه ممثّل يتبع الموضة الجديدة. يؤمن بفقدان نفسه تمامًا في دوره».

قال الرجل بصوت مرتجف، متفحصًا لوّجَن من أعلى لأسفل: «حقًا؟ أهل الشمال... أظن أنهم... موضوعيون».

- بالتأكيد. أعلن لك أن السيد تسع أصابع هو الأفضل فيما يفعله. (نكز الساحر العجوز لوّجَن في ضلوعه) الأفضل على الإطلاق. لقد رأيت ذلك بعيني.

بدا صاحب المتجر بعيدًا كل البعد عن الاقتناع: «إذا كنت تقول ذلك. هل لي أن أسأل ما الذي ستقدمونه على المسرح؟».

- أوه، إنها قطعة جديدة. (ونقر باياز بإصبعه على جانب رأسه الأصلع) ما زلت أعمل على التفاصيل.

- حقًا؟

- بالفعل. أقرب إلى مشهد منه إلى مسرحية كاملة. (ألقي نظرة على الرداء، معجبًا بتألُّو الرموز السحرية تحت الضوء) مشهد يعود فيه باياز، أول المجوس، إلى مقعده أخيرًا في المجلس المغلق.

أوماً صاحب المتجر بفهم: «آه، قطعة سياسية إذًا. هجو لاذع، ربما؟ هل ستكون كوميدية، أم ذات نبرة درامية؟».

ألقي باياز نظرة جانبية على لوّجَن: «هذا ما سنراه».

البرابرة عند البوابة

اندفع چيزال عبر الممر بجانب الخندق، قدماه تضربان الأحجار المرصوفة البالية، والجدار الأبيض العظيم يمر يمينه بلا نهاية، والبرج تلو الآخر، وهو يكمل جولته اليومية حول الأجيوننت. منذ أن قلل من شربه، تحسنت لياقته بشكل ملحوظ. لم تنقطع أنفاسه كما سبق. كان الوقت متأخرًا، والشوارع شبه خالية. كان هناك عدد قليل من المارة الذين يرمقونه بنظرات عابرة أو يلقون كلمة تشجيع، لكنه بالكاد لاحظهم. كانت عيناه مثبتتين على الماء المتلألئ في الخندق، وذهنه شاردًا في مكان آخر.

آردي. أي مكان آخر سيكون فيه؟ لقد ظنَّ ذلك اليوم الذي حذَّره فيه ويست من الاقتراب منها، وبعد أن توقف عن رؤيتها، أن أفكاره ستذهب لأمر آخر ونساء أخريات. حاول الانكباب على المباراة بتحمس، وحاول إظهار اهتمامه بواجباته كضابط، لكنه وجد نفسه غير قادر على التركيز، وأصبحت النساء الأخريات بالنسبة إليه كائنات باهتة، مسطحة، ومملة. الجري الطويل والتمارين الرتيبة بالعارضة والقضيب منحت عقله المساحة للشroud. وما زاد الأمر سوءًا رتابة الحياة العسكرية في زمن السلم: يقرأ أوراقًا مملة، أو يحرس أشياء لا تستحق. فكان انتباهه يشرد حتمًا، ثم تظهر هي.

آردي في زي الفلاحين البسيط، متوردة ومتعرقّة من العمل الشاق في الحقول. آردي في ثياب أميرة راقية، تتلألأ بالجواهر. آردي تستحم في برك الغابات، وهو يراقبها من بين الشجيرات. آردي المتحفظة والخجولة، تنظر إليه بخجل من تحت رموشها. آردي بائعة هوى على أرصفة الميناء، تلوح له من وراء باب قدر. كانت الأحلام متنوعة إلى ما لا نهاية، لكنها جميعًا تنتهي بالطريقة ذاتها.

أكمل چيزال دورته التي تستغرق ساعة حول الأجيوننت، واندفع عبر الجسر وعاد من البوابة الجنوبية.

تجاهل الحراس كعادته اليومية، وركض عبر النفق وصعد المنحدر الطويل إلى داخل القلعة، ثم توجه نحو الفناء حيث كان المارشال فاروز ينتظره. كل هذا بينما كانت آردي تهمس له في ذهنه.

كان وكأنه لا يملك شيئاً آخر يفكر فيه. المسابقة كانت قريبة الآن، قريبة جداً. قريباً سيخوض المعركة أمام الجماهير المهللة، بين أسرته وأصدقائه. قد تبني سمعته... أو تفرقها. كان ينبغي أن يقضي الليالي مستيقظاً، متوتراً ومتعرقاً، قلقاً بلا توقف بشأن الحركات، والتدريبات، والسيوف. ومع ذلك، لم يكن هذا ما يشغل تفكيره عندما يستلقي في الفراش.

ثم هناك الحرب. من السهل النسيان هنا في الأزقة الأجيوننت المشمسة، أن أنجلاند قد غُزيت من جحافل البرابرة الذين يسيل لعابهم. قريباً سيذهب شمالاً ليقود سَرِيَّتِهِ في المعركة. تلك بالتأكيد فكرة تكفي لشغل عقل أي رجل. أليست الحرب مسألة حياة وموت؟ قد يُصاب، أو يُشوَّه، أو حتى يُقتل. حاول چيزال استحضار وجه فينريس المخيف المرتعش الموشوم. جحافل من المتوحشين الصارخين ينقضون على الأجيوننت. إنها حقاً مسألة رهيبة، خطيرة ومخيفة.

هممم.

آردي جاءت من أنجلاند. ماذا لو، لنقل، وقعت في أيدي رجال الشمال؟ بالطبع سيهرع چيزال لإنقاذها. لن تُصاب بأذى. حسناً، ليس كثيراً. ربما تتمزق ملابسها قليلاً؟ لا شك أنها ستكون خائفة، شاكراً. سيكون عليه أن يواسيها، بالطبع. ربما يُغمى عليها؟ قد يضطر إلى حملها، رأسها يستند إلى كتفه. قد يضطر إلى أن يضعها أرضاً ويفك ملابسها. قد تلمس شفتاه شفتيها، فقط تلامس خفيف، قد تتباعد شفتاها قليلاً، ثم...

تعثَّر چيزال في الطريق. كان هناك تضخم ممتع يصعد بين ساقيه، ممتع لكنه لا يتناسب مع الجري السريع. كان يقترب من الساحة الآن، وهذا الوضع لن يصلح البتة في تدريب المبارزة. نظر حوله بياس بحثاً عن شيء يشغله، وكاد يختنق عندما رأى ما لم يتوقعه. الرائد ويست كان يقف بجانب الجدار، مرتدياً ملابس المبارزة، يراقبه وهو يقترب بتعبير صارم على غير المعتاد. لوهلة، تساءل چيزال إن كان صديقه قد عرف بما كان يفكر فيه. ابتلع ريقه

بارتباك، وشعر بالدماء تتدفق إلى وجهه. لا يمكن أن يعرف ويست، لا يمكن.
لكنه بدا غاضباً بشيء ما.
زمجر: «لوثار».

«ويست». حذق چيزال إلى حذائه. علاقتهما لم تكن جيدة منذ أن انضم ويست إلى طاقم اللورد المارشال بور. حاول چيزال أن يكون سعيداً من أجله، لكنه لم يستطع أن يتخلص من شعوره بأنه كان أكثر استحقاقاً لهذا المنصب. كان يتمتع بنسب ممتاز في النهاية، سواء كانت لديه الخبرة الميدانية أم لا. ثم هناك أردي، التي ظلت تتسلل بينهما، مع تلك التحذيرات غير الضرورية والمزعجة. الجميع يعلم أن ويست كان أول من اخترق حصار أولريوخ، والجميع يعلم أنه يمتلك مزاجاً حاداً. كان ذلك يبدو لچيزال مثيراً في السابق، إلى أن اختبره بنفسه.

- فاروز ينتظرك. (فك ويست ذراعيه وتوجه نحو الممر) ولن يكون وحده.

- ليس وحده؟

- يشعر المارشال أنك بحاجة إلى التعود على الجمهور.

عبس چيزال: «أنا مدهوش من أن أي شخص سيهتم في الظروف الحالية، بوجود الحرب وكل شيء».

- ستتفاجأ. القتال والمبارزة وكل الأشياء العسكرية هي المسيطرة إلى حد كبير. الجميع يحمل سيوفاً هذه الأيام، حتى لو لم يستلوا واحداً في حياتهم. هناك حمى مطلقة بشأن المسابقة، صدقني.

رمش چيزال وهو يدخل الساحة المضيئة. أقيمت مدرجات مؤقتة على عجل بمحاذاة أحد الجدران، وامتلاّت بالناس من أولها إلى آخرها، عددهم يتجاوز الستين.

صاح المارشال فاروز: «وها هو قد وصل!». تبع ذلك تصفيق مهذب. شعر چيزال بابتسامة ترتسم على وجهه؛ كان هناك بعض الشخصيات المهمة جداً بين الحضور. لمح القاضي الأعلى ماروقيا، يمرر يده على لحيته الطويلة. اللورد إشر على مقربة منه، يبدو عليه الملل بعض الشيء. وولي العهد لاديسلا بشخصه، كان متكئاً في الصف الأول، متألقاً في قميص من حلقات الدروع الرفيعة، ويصفق بحماس. اضطر الجالسون في الصفوف الخلفية إلى الميل

لأحد الأجانب حتى يتمكنوا من الرؤية من وراء الريشة الكبيرة المتأرجحة في قبعته المهولة.

ناوله فاروز سيوفه، مبتسمًا. همس له بحدة: «إياك أن تجعلني أبدو أحمق!». سعل چيزال بتوتر، نظر نحو الصفوف المترتبة. وهوى قلبه فجأة. كان المحقق جلوكتا يحدق إليه بابتسامته الخالية من الأسنان، وعلى الصف الذي يليه، كانت تجلس آردي ويست. كانت تعابير وجهها مختلفة تمامًا عما كان يتخيلها في أحلامه؛ مزيج متكافئ من العبوس والالتهام والملل. جال ببصره سريعًا نحو الجدار المقابل، لائمًا نفسه داخليًا على جبنه. يبدو أنه لم يعد قادرًا على مواجهة نظرات أحد هذه الأيام.

أعلن المارشال بصوت مدوّ: «سيُخاض هذا النزال بسيوف نصف حادة! الفوز لأفضل ثلاث لمسات!» كان ويست قد أخرج سيوفه بالفعل وبدأ يتجه نحو الدائرة، المحددة بالطباشير الأبيض على العشب المقصوص بعناية. شعر چيزال بدقات قلبه المتسارعة وهو يحاول متوترًا إخراج سيوفه من أغمادها، مدرّكًا بحدة لكل الأعين الموجهة نحوه. أخذ مكانه المقابل لويست، يضع قدميه بحذر في العشب. رفع ويست سيوفه، وفعل چيزال الشيء نفسه. واجها بعضهما للحظة، بلا حركة.

صاح فاروز: «ابدأ!».

اتضح سريعًا أن ويست لم ينتو التهاون معه البتة. اندفع نحوه بشراسة غير معتادة، مهاجمًا چيزال بسلسلة من الضربات القوية، تصطدم سيوفهما وتحتك ببعضها بسرعة. تراجع چيزال، غير مرتاح تحت أنظار كل هؤلاء الحاضرين، بعضهم من الشخصيات المهمة، لكن بعدما دفعه ويست نحو حافة الدائرة، بدأت أعصابه تهدأ، وسيطرت تدريباته عليه. تفادى الهجوم، مفسحًا لنفسه مجالًا، يصد الضربات من اليسار واليمين، يراوغ ويرقص بسرعة لا يمكن للحاق بها.

اختفت الحشود، حتى آردي لم تعد موجودة. تحركت السيوف من تلقاء نفسها، جيئةً وذهابًا، صعودًا وهبوطًا. لم يكن بحاجة إلى النظر إليها. ركز انتباهه على عيني ويست، يراقب تحركاتهما بين الأرض والسيوف وقدمي چيزال المتراقصتين، محاولًا تخمين نواياه.

شعر بالهجمة قبل أن تبدأ. قام بحركة وهمية إلى جهة ثم استدار نحو الجهة الأخرى، ملتفًا خلف ويست بانسيابية وهو يتعثّر للأمام. فكان سهلًا عليه أن يضع قدمه على مؤخرة سروال خصمه ويدفعه خارج الدائرة. صاح المارشال فاروز: «لمسة!».

تعالى موج من الضحك حينما سقط الرائد على وجهه. ضحك ولي العهد بصوت عالٍ وقبعته المزخرفة تتمايل يمينًا ويسارًا من شدة المرح: «لمسة على المؤخرة!»، «نقطة لصالح النقيب لوثار!»، لم يعد ويست يبدو مهيبًا كما كان، ووجهه مغرور في التراب. انحنى چيزال قليلًا للجمهور، وغامر بابتسامة في اتجاه آردي وهو ينهض. شعر بخيبة أمل عندما رأى أنها لم تكن حتى تنظر إليه. كانت تراقب أخاها وهو يكافح في التراب، بابتسامة باهتة، قاسية.

نهض ويست ببطء على قدميه. تمتع عبر أسنانه المطبقة بشدة وهو يعود إلى الدائرة: «لمسة جيدة». أخذ چيزال مكانه مجددًا، بالكاد قادر على كبت ابتسامته.

صاح فاروز: «ابدأ!».

هاجم ويست مجددًا بقوة، لكن چيزال بدأ يشعر بالانسجام مع المباراة الآن. علا صوت الجمهور وخفت وهو يتراقص هنا وهناك. بدأ بإضافة بعض الحركات الاستعراضية إلى تحركاته، وكان الحضور يردون بتعجب، بينما تعلق أصوات «آه» و «أوه» كان يصد هجمات ويست بخفة. لم يسبق له أن بارز بهذه البراعة، أو تحرك بهذه الانسيابية. بدأ الرجل الأكبر يتعب، وقوة ضرباته تتراجع. تصادمت سيوفهما الطويلة معًا، واحتكت. لوى چيزال معصمه الأيمن بمهارة، وانتزع السيف من يد ويست، ثم تقدم للأمام وضربه بسيفه الأيسر.

- آه!

تألم ويست وهو يُسقط سيفه القصير، ويتراجع قافزًا ممسكًا بذراعه. تساقطت بعض قطرات الدم على الأرض.

صاح فاروز: «اثنان - لا شيء!».

قفز ولي العهد واقفًا، وسقطت قبعته، مبتهجًا عند رؤية الدم، وصرخ: «رائع! ممتاز!». وانضم إليه الآخرون على أقدامهم، يصفقون بحماسة. غمر

چيزال شعور بالاعتزاز، ابتسامته عريضة، وكل عضلة في جسده ترتجف بالسعادة. أدرك الآن لماذا كان يتدرب طوال هذه المدة.

تمتم ويست، وقطرات من الدم تسيل على ساعده: «أحسن القتال يا چيزال، لقد أصبحت أكثر مهارة مني».

ابتسم چيزال: «أعتذر عن الجرح»، لكنه لم يكن آسفًا حقًا.

تمتم ويست: «هذا لا شيء، مجرد خدش». ومضى مبتعدًا، عابسًا يمسك بمعصمه. لم يهتم أحد كثيرًا بخروجه، وبخاصة چيزال. الفعاليات الرياضية كلها تدور حول الفائزين.

أول من نهض من المدرجات ليقدم تهانيه هو اللورد ماروفيا. قال بابتسامة دافئة وهو ينظر إلى چيزال: «يا له من شاب واعد، لكن هل تظن أنه يستطيع هزيمة بريمر دان جورست؟».

ربت فاروز على كتف چيزال بحنان أبوي: «أنا واثق أنه يمكنه هزيمة أي شخص، في اليوم المناسب».

- هم. هل رأيت جورست يبارز؟

- لا، لكن سمعت أنه مثير للإعجاب.

- أوه، بلا شك؛ إنه شيطان. (رفع القاضي العالي حاجبيه الكثيفين) أترقب رؤيتهما يتواجهان. هل فكرت يومًا في العمل بالقانون، أيها النقيب لوثار؟

تفاجأ چيزال: «أر، لا، مولاي، أعني... أنا جندي».

- بالطبع أنت كذلك. لكن المعارك وما شابهها قد تدمر الأعصاب. إن غيرت رأيك يومًا، ربما أجد لك مكانًا. أنا في حاجة دائمًا إلى الرجال الواعدين.

- ارر، شكرًا.

- حتى موعد المسابقة إذن. حظًا موفقًا، أيها النقيب.

ألقي بالكلمة وابتعد ببطء في تلميح باعتقاده أن چيزال سيحتاج إلى الكثير من الحظ. كان ولي العهد لاديسلا أكثر تفاؤلًا، وصاح: «أنت رجلي، يا لوثار! (وطعن الهواء بأصابعه كأنها سيوف مبارزة) سأضاعف رهاني عليك!».

انحنى چيزال بخنوع: «كرمك غامر سموك».

- أنت رجلي! جندي! رجل المبارزة يجب أن يقاتل من أجل وطنه، أليس كذلك، فاروز؟ لماذا لا يكون جورست جندياً؟

رد اللورد المارشال برفق: «أعتقد أنه كذلك، سموك، إنه من أقارب اللورد بروك، ويخدم كحارس شخصي له».

بدا الأمير مرتبكاً للحظة: «أوه. (لكن سرعان ما استعاد حيويته) لكنك أنت رجلي! (صاح مرة أخرى في وجه چيزال، وهو يطعن بأصابعه، وريشة قبعته تتمايل) أنت رجلي المناسب لي!»، ثم رقص مبتعداً نحو الممر المقوس، تتلألاً دروعه الزخرفية.

- أداء رائع.

استدار چيزال سريعاً، وأخذ خطوة متعثرة للوراء. كان جلوكتا يحدق إليه من خارج مجال بصره، بابتسامة لثيمة. بالنسبة إلى أعرج، كان له موهبة غريبة في التسلسل خلف الرجال: «يا له من حدث سعيد للجميع أنك لم تتخل عن المبارزة في النهاية».

رد چيزال بحدة، بنبرة باردة: «لم أفكر يوماً في ذلك».

مص جلوكتا لثته: «كما تقول أيها النقيب».

- كما قلت.

استدار چيزال بازدرءاً، آملاً ألا يضطر إلى التحدث إلى هذا الرجل البغيض مرة أخرى. لكنه وجد نفسه يحدق مباشرة إلى وجه آردي، لا تبعد عنه أكثر من قدم.

تمتم متلعثماً: «أوه»، وتراجع خطوة أخرى.

قالت بهدوء: «چيزال، لم أرك منذ فترة».

نظر حوله بعصبية «أر».... جلوكتا كان يبتعد متثاقلاً. ويست كان قد رحل منذ وقت طويل. فاروز كان منشغلاً بالحديث مع اللورد إشر وآخرين في الساحة. كانا غير ملاحظين. كان عليه أن يتحدث إليها. عليه أن يخبرها بوضوح أنه لا يمكنه رؤيتها بعد الآن. كان مدينًا لها بذلك على الأقل: «أر....».

- ليس لديك شيء لتقوله لي؟

- أر..

استدار على عقبيه بسرعة ومضى مبتعدًا، وكثفاه ترتجفان بالعار.

بدا له أن سأم نوبة الحراسة عند البوابة الجنوبية، بعد كل تلك الإثارة غير المتوقعة، سيكون رحمه له. تطلع چيزال للوقوف خاملاً بلا أي عمل، يراقب الناس يدخلون ويخرجون من الأجيونت، ويستمتع لثرثرة الملازم كاسبا الفارغة. على الأقل، هذا ما كان يتطلع إليه حتى وصل إلى هناك.

تجمع كاسبا ومجموعة الجنود المدرعين المعتادة حول البوابات الخارجية، حيث يعبر الجسر القديم فوق الخندق بين بُرْجِي البوابة الحصينة الهائلين المطليين باللون الأبيض. بينما كان چيزال يسير عبر النفق الطويل نحو نهايته، لاحظ وجود شخص معهم. كان رجلًا صغيرًا، يبدو مرهقًا، ويرتدي نظارات. تعرف چيزال عليه بشكل غامض. كان يُدعى مورو، أحد أتباع كبير أمناء البلاط. لم يكن هناك سبب يدعو للوجود هنا.

- النقيب لوثار، يا للمصادفة السعيدة!

قفز چيزال من مكانه. إنه ذلك المجنون، سالفور، جلس متربعا على الأرض خلفه، ساندًا ظهره إلى جدار بوابة الحصن الصلد.

سأل چيزال بحدة: «ما الذي يفعله هنا؟».

فتح كاسبا فمه ليتكلم، لكن سالفور سبقه: «لا تهتم لأمرى أيها النقيب، أنا أنتظر سيدي فحسب».

- سيدك؟

كره چيزال مجرد التفكير فيمن قد يكون ذاك المخبول الذي سيخدمه هذا المخبول.

- نعم. يجب أن يصل قريبًا. (عبس سالفور وهو ينظر إلى الشمس) لقد تأخر بالفعل بعض الشيء، إن أردت الحقيقة.

- حقًا؟

- نعم. (ابتسم المجنون مرة أخرى ابتسامة ودية) لكنه سيأتي يا چيزال، يمكنك أن تعتمد على ذلك.

أن يتحدث معه باسمه الأول كان أمرًا غير مقبول. بالكاد كان يعرف هذا الرجل، وما يعرفه عنه لم يعجبه. فتح فمه ليعبر عن غضبه، لكن سالفور قفز فجأة، ملتقطًا عصاه عن الجدار ونظف نفسه بيده.

قال وهو ينظر عبر الخندق: «ها قد جاؤوا!». تبع چيزال عيني ذلك المجنون بعينه.

كان رجلاً مسناً مهيباً يسير بخطى واثقة عبر الجسر، يرفع رأسه الأصلع بفخر، وعباءة رائعة متألقة بالأحمر والفضي ترفرف حوله في النسيم. يتبعه شاب هزيل المظهر، رأسه منحني قليلاً كما لو كان مبهوراً بالرجل الأكبر سناً، ويحمل عصا طويلة أمامه على راحتي يديه المرفوعتين. وخلفهما سار رجل ضخمة الجثة، يرتدي عباءة ثقيلة من الفراء، أطول منهما بنصف رأس على الأقل. تتمم چيزال: «ما هذا»...، وخمد كلامه. بدا وكأنه تعرف على الرجل المسن من مكان ما. ربما كان أحد اللوردات من المجلس المفتوح؟ أو سفيراً أجنبياً؟ مؤكداً أنه يحمل هالة من العظمة. اعتصر چيزال ذهنه ليتذكر وهم يقتربون، لكنه لم يستطع تحديد من هو.

توقف الرجل المسن أمام بوابة الحراسة، ومسح بعينه چيزال وكاسبا ومورو والحراس بنظرات متوهجة من عينيه الخضراوين اللامعتين، وقال: «يورو». تقدم سالفور وانحنى انحناء شديدة. همس باحترام عميق: «سيدي باياز». وهنا تذكر چيزال. هذا هو ما جعله يتعرف على الرجل. كان يشبه تمثال باياز في طريق الملوك. التمثال الذي مرَّ به چيزال عدد مرات لا تُحصى في أثناء الجري. ربما كان أكثر سمناً بقليل، لكن تلك الملامح: الصرامة، الحكمة، والسيطرة العفوية، كانت هي نفسها. عبس چيزال. لأن يدعى هذا الرجل بذلك الاسم؟ لم يعجبه الأمر. ولم يعجبه شكل الشاب النحيل الذي يحمل العصا أيضاً. أما الرفيق الآخر للعجوز، فقد نال إعجاباً أقل منهم كذلك.

كان ويست غالباً يخبر چيزال أن الشماليين الذين يُشاهدون في أدوا، الذين عادة ما يكونون مهلهلين يتسكعون في الأرصفة أو في حالة سُكْر قدرة عند المصارف، لا يمثلون شعبهم بأي حال. أولئك الذين يعيشون بحرية في الشمال البعيد، يقاتلون ويتخاصمون ويحتفلون، ويفعلون ما يفعله الشماليون، كانوا من طراز مختلف تماماً. كان چيزال يتخيلهم دائماً قوماً طويلي القامة، شرسين، وسيمين، وفيهم لمسة من الرومانسية. أقوياء، لكن يتميزون بالرشاقة. وحشيين، لكن نبلاء. متوحشين، لكن مكرين. ذلك النوع من الرجال الذين تتعلق أعينهم دائماً بالأفق البعيد.

هذا الرجل لم يكن أحدهم.

لم يسبق لچيزال أن رأى في حياته رجلاً يبدو أكثر وحشية. حتى فينريس المخيف بدا متحضرًا عنه. كان وجهه كبشرة ظهر أحد جُلَد، واهترأ بندوب متقاطعة.

انحنى أنفه قليلًا مشيرًا إلى أحد الجانبين، وشُقَّت أذنه بقطع كبير، وإحدهما كانت أعلى قليلًا من الأخرى، وأحيطت بندبة على شكل هلال. في الواقع فوجهه بدا بالكامل مضروبًا، ومشوَّهاً، وغير متناسق، كوجه مصارع شارك في نزالات أكثر من اللازم، وتعبيره كان أقرب لمن تلقى الكثير من اللكمات. كان يحدق إلى البوابة الحصينة بغم مفتوح وجبهة مجمعة، بنظرة حيوان لا يفقه شيئًا.

كان يرتدي عباءة طويلة من الفرو، وسترة جلدية مطعمة بالذهب، لكن هذا البذخ البربري لم يزد من مظهره إلا وحشية. ولا يمكن تفويت السيف الطويل والثقيل المتدلي على حزامه. حكَّ الرجل الشمالي ندبة وردية كبيرة على خده المغطى بالشعر القصير، ولاحظ چيزال أن إحدى أصابعه كانت مفقودة، وكأن المزيد من الأدلة على حياة العنف والوحشية كان ضروريًا.

هل يسمح لهذا الرجل المتوحش بالدخول إلى أجريونت، وهم في حالة حرب مع رجال الشمال؟ كان ذلك خارج النقاش! لكن مورو قد تسلل بالفعل إلى الأمام، قال مورو وهو ينحني متملقًا تجاه الرجل العجوز: «كبير أمناء البلاط بانتظاركم، أيها السادة، إذا تفضلتم باتباعي...».

أمسك چيزال بالسكرتير من ذراعه وسحبه جانبًا: «لحظة واحدة. وهو أيضًا؟» (سأله بذهول، مشيرًا برأسه نحو الرجل المتوحش بالعباءة) نحن في حالة حرب، كما تعلم!.

- اللورد هوف كان واضحًا جدًّا! (حرر مورو ذراعه، والتمعت نظاراته) أبقه هنا إن أردت، لكن سيكون عليك أن تشرح ذلك لكبير أمناء البلاط! ابتلع چيزال ريقه. لم تكن فكرة التحدث إلى كبير أمناء البلاط مُغرية على الإطلاق. نظر إلى الرجل العجوز، لكنه لم يستطع أن يطيل النظر إلى عينيه. كانت تحيط به هالة من الغموض، هالة توحى بأنه يعلم شيئًا لا يمكن لأحد آخر تخمينه، وكان ذلك مربكًا للغاية.

صاح چيزال، متحدثًا ببطء ووضوح قدر الإمكان: «عليكم.. أن.. تتركوا... أسلحتكم... هنا!».

- بكل سرور.

سحب الرجل الشمالي سيفه من حزامه ومدّه نحوه. كان ثقيلاً في يديّ
چيزال: سلاح كبير، بسيط، يبدو وحشياً. تبعه بسكين طويل، ثم ركع وسحب
آخر من حذائه. أخرج ثالثاً من أسفل ظهره، ثم أخرج نصلاً رقيقاً من داخل
كمه، مكوّماً إياهم في ذراعيّ چيزال الممدودتين. ابتسم الرجل الشمالي
ابتسامة عريضة، وكان منظره بغيضاً حقاً، الندوب المتعرجة تلتوي وتنتفخ،
مما جعل وجهه أكثر التواء من قبل.

زمجر بصوت عميق كصوت طحن الأحجار: «لا يمكن أن تمتلك الكثير من
السكاكين»، لم يضحك أحد، لكنه لم يهتم على ما يبدو.

سأل الرجل العجوز: «هل نذهب؟».

قال مورو وهو يستدير ليقودهم: «على الفور».

ألقي چيزال الأسلحة في يديّ كاسبا: «سأرافقكم».

تذمر مورو: «هذا ليس ضرورياً، أيها النقيب!».

- أصر على ذلك.

بمجرد أن يُسَلَّم الشمالي إلى كبير أمناء البلاط، يمكنه أن يقتل من يشاء:
ستكون تلك مشكلة أحد آخر. لكن حتى تلك اللحظة، قد يُلقى اللوم على
چيزال إذا تسبّب بأي فوضى، ولن يسمح لنفسه بتحمل ذلك.

تراجع الحراس جانباً، ومرت المسيرة الغربية عبر البوابة. تقدم مورو
أولاً، يهمس بتملّقات لا قيمة لها نحو الرجل العجوز بزيّه الفاخر. تبعه
الشاب الشاحب، ثم سالفور. ورافقهم الشمالي ذو الأصابع التسع في الخلف
بخطوات متناقلة.

تبعه چيزال، وإبهامه مثبت على حزامه بالقرب من قبضة سيفه ليكون
جاهزاً في أي لحظة، يراقب الوحشي باهتمام بحثاً عن أي تحركات مفاجئة.
بعد مدة قصيرة من السير، اضطر چيزال إلى الاعتراف بأن الرجل لم يُظهر
أي نية للقتل. في الواقع، بدا أكثر فضولاً وحيرة وإحراجاً بعض الشيء. كان
يتباطأ أحياناً، ينظر إلى المباني حوله، يهز رأسه، يحك وجهه، ويتمتم لنفسه.
وكان يثير الفزع في المارة أحياناً بابتسامته، لكنه لم يُظهر تهديداً أكبر، وبدأ
چيزال يسترخي، على الأقل حتى وصلوا إلى ساحة المارشالات.

توقف الرجل الشمالي فجأة. تلمّس چيزال سيفه بارتباك، لكن عيني الوحشي كانتا مثبتتين إلى الأمام، تحدقان إلى نافورة قريبة. تقدم نحوها ببطء، ثم رفع إصبعه السميكة بحذر ولامس الرذاذ المتلألئ. رش الماء على وجهه فتراجع مترنحًا، وكاد أن يُوقع چيزال أرضًا.

همس الرجل الشمالي بدهشة: «نبح؟ ولكن كيف؟».

يا للرحمة. الرجل كان كطفل، طفل يبلغ طوله ستة أقدام ونصف بوجه يشبه لوح الجزار. صاح چيزال وهو يضرب بقدمه على الأرض: «هناك أنايبب! تحت... الأرض!».

- أنايبب.

كرر الرجل البدائي بصوت خافت، محدقًا إلى الماء المتدفق.

كان الآخرون قد تقدموا مبتعدين باتجاه المبنى الكبير حيث تقع مكاتب هوف. بدأ چيزال يبتعد عن النافورة على أمل أن يجذب الرجل المتوحش الساذج معه. ولحسن حظه، تبعه الرجل، يهز رأسه ويتمتم بكلمة «أنايبب» مرارًا وتكرارًا.

دخلوا لظلام غرفة الانتظار الباردة الخاصة بكبير أمناء البلاط. كان هناك أشخاص جالسون على المقاعد المحيطة بالجدران، بعضهم يبدو وكأنهم ينتظرون منذ فترة طويلة. بينما رمقهم الجميع بنظرات فضولية كان مورو يقود المجموعة الغريبة مباشرة إلى مكاتب هوف. بينما فتح السكرتير ذو النظارات الأبواب الثقيلة المزدوجة ووقف جانبًا، دخل أولاً الرجل العجوز الأصلع، ثم تبعه الرجل النحيل بالعصا، ثم المجنون سالفور، وأخيرًا الرجل البدائي ذو الأصابع التسع.

حاول چيزال أن يتبعهم، لكن مورو وقف في المدخل وسد طريقه وقال بابتسامة رفيعة: «شكرًا جزيلاً على مساعدتك، أيها النقيب، يمكنك العودة إلى البوابة». حاول چيزال أن يطل فوق كتف مورو إلى الغرفة التي في الداخل. رأى كبير أمناء البلاط جالسًا خلف طاولة طويلة، عابسًا. إلى جانبه كان المقرئ الأعلى سولت، بوجهه الصارم المرتاب. وكان هناك أيضًا القاضي الأعلى ماروفيا، بابتسامة على وجهه المجعد. ثلاثة من أعضاء المجلس المغلق.

ثم أغلق مورو الباب في وجهه.

التالي

قال جلوكتا، كما لو كان أمرًا عابرًا فحسب: «لاحظت أن لديك سكرتيرًا جديدًا».

ابتسم المقرئ الأعلى.

- بالتأكيد. القديم لم يعجبني. كان لديه لسان غير منضبط، لعلمك. (توقف جلوكتا، وكأس نبيذه في منتصف الطريق إلى فمه. تابع سولت بلا مبالاة، كما لو كان أمرًا معروفًا لدى الجميع) كان ينقل أسرارنا إلى البزازين. كنت على علم بذلك لبعض الوقت. لا داعي للقلق، فهو لم يعرف شيئًا قط لم أرد أن يعرفه.

إن... كنت تعرف من هو خائننا. كنت تعرف طوال الوقت. قلب عقل جلوكتا أحداث الأسابيع القليلة الماضية، وفككها وأعاد تجميعها معًا في هذا الضوء الجديد، وجربها بطرق مختلفة حتى تناسبت، وكافح طوال الوقت لإخفاء تفاجئه. تركت اعترافات ريزو حيث كنت تعلم أن سكرتيرك سيراهها. كنت تعلم أن البزازين سيكتشفون من هو على القائمة، وخمنت ما سيفعلونه، عالمًا أن ذلك لن يؤدي إلا لإعطائك المجرفة التي ستدفعهم بها. في هذه الأثناء، وجهت شكوكي نحو كياالين وأنت تعرف من هو مصدر التسريب طوال الوقت. كل ما حدث كان وفقًا لمخططك وبمنتهى الدقة. كان المقرئ الأعلى ينظر إليه بابتسامة علية. وأراهن أنك تخمن ما أفكر فيه الآن. لقد كنت جزءًا من هذه اللعبة مثل ذلك الدودة السكرتير الباكي. كتم جلوكتا ضحكته. من حسن حظي أنني كنت قطعة على الجانب الصحيح. لم أشك في شيء مطلقًا.

- لقد خاننا مقابل مبلغ صغير من المال مخيب للآمال، (تابع سولت وقد التوت شفته من الاشمئزاز) أعتقد أن كولت كان سيعطيه عشرة

أضعاف المبلغ، لو كان لديه فقط الذكاء ليطلب. جيل الشباب ليس لديه طموح حقًا. إنهم يعتقدون أنهم يمتلكون ذكاءً أكثر مما لديهم بكثير. حذق إلى جلوكتا بعينيه الزرقاوين الباردتين. أنا لست بعيدًا عن جيل الشباب. وقد خشعت عن حق.

- هل عوقبَ سكرتيرتك؟

وضع المقرئ الأعلى كأسه على الطاولة بعناية، بالكاد أحدثت قاعدتها صوتًا على الخشب: «نعم بالطبع، وبأشد الطرق. لا داعي للتفكير فيه أكثر من ذلك. أراهن على ذلك. جثة وُجدت طافية قرب الأرصفة.. يجب أن أعترف بدهشتي عندما حدّدت الرئيس كايلين كمصدر لتسريبتنا. الرجل كان من الحرس القديم. بالطبع لديه بعض التساهلات في التفاوضي عن أمور تافهة، لكن أن يخون جهاز الاستجواب؟ أن يبيع أسرارنا للبرّازين؟ (شخر سولت) مستحيل. لقد سمحت لكراهيكت الشخصية أن تعمي بصيرتك».

تمتم جلوكتا: «بدا أنه الاحتمال الوحيد»، لكنه ندم على الفور. أحرق، أحرق. الخطأ قد وقع. من الأفضل أن تصمت الآن.

طقطق المقرئ الأعلى بلسانه باستنكار عميق: «بدا؟ لا، لا، لا، أيها المحقق. كلمة 'بدا' لا تكفي لنا. في المستقبل، نريد الحقائق فقط، لو سمحت. لكن لا تشعر بالسوء، أنا سمحتُ لك باتباع حدسك، وكما تبين، فخطؤك جعل موقفنا أقوى بكثير. لقد أعفَى كايلين من منصبه». جثة وُجدت طافية... والرئيس جويل في طريقه من أنجلاند لتولي منصب رئيس أدوا».

جويل؟ قادم هنا؟ ذلك اللقيط، الرئيس الجديد لأدوا؟ لم يستطع جلوكتا منع شفّتيه من الالتواء.

- لستما أعز الأصدقاء، أليس كذلك يا جلوكتا؟

- إنه سجان، وليس محققًا. لا يهتم بالذنب أو البراءة. لا يهتم بالحقيقة. إنه يعذب لأجل المتعة.

- أوه، لا يا جلوكتا. أخبرني أنك لا تشعر بأي متعة عندما يكشف سجانوك أسرارهم؟ عندما يخبرونك بالأسماء؟ عندما يوقعون على الاعترافات؟

- لا أجد متعة فيها. لا أجد متعة في أي شيء.

- ومع ذلك، فأنت تؤدّيه بكل براعة. على أي حال، فجويل قادم، وبغض النظر عما تعتقده بشأنه، فهو واحد منا. رجل كفاء وموثوق، مكرس لخدمة التاج والدولة. لقد كان أحد تلاميذي، كما تعلم.

- حقًا؟

- نعم. كان يشغل منصبك.. لذا هناك مستقبل له بعد كل شيء! (ضحك المقرئ الأعلى من نكته الخاصة. وابتسم جلوكتا ابتسامة باهتة) على كل حال، لقد سارت الأمور على ما يرام، ويجب أن تُهنأ على دورك في ذلك. عمل جيد.

جيد بما يكفي لأظل على قيد الحياة، على الأقل. رفع سولت كأسه وتبادلا نخبًا خاليًا من البهجة، وهما يتبادلان النظرات المريبة فوق حواف كأسيهما. تنحنج جلوكتا: «أشار القِيم كولت إلى أمر مثير للاهتمام قبل وفاته المؤسفة».

- استمر.

- كان لدى البرّازين شريك في مخططاتهم. ربما شريك كبير. بنك.

- هاه. انزع التاجر وستجد دائمًا مصرفيًا وراءه. ما أمره إذن؟

- أعتقد أن هؤلاء المصرفيين كانوا على علم بكل شيء. التهريب، الاحتيال، وحتى القتل. أظن أنهم شجعوا على ذلك، وربما أمروا به، لكي يضمنوا عائداً جيداً على قروضهم. هل أبدأ التحقيق، سموكم؟

- أي بنك؟

- فالينت وبالك.

بدا أن المقرئ الأعلى يفكر للحظة، ناظرًا إلى جلوكتا بعينيه الزرقاوين القاسيتين. هل يعلم بالفعل عن هؤلاء المصرفيين؟ هل يعرف أكثر مني بكثير؟ ماذا قال كولت؟ أتريد خونة يا جلوكتا؟ ابحث في دار الأسئلة...

رد سولت بحزم: «لا، هؤلاء المصرفيون بالذات لهم صلات قوية. والكثيرون يدينون لهم، ومن دون كولت سيكون من الصعب إثبات أي شيء. حصلنا على ما نحتاج إليه من التجار، ولدي مهمة أكثر إلحاحًا لك».

نظر جلوكتا إلى الأعلى. مهمة أخرى؟: «كنت أتطلع لاستجواب السجناء الذين اعتقلناهم في مبنى النقابة، سماحتك، قد يكون أن...».

قاطعه المقرئ الأعلى بيده المغطاة بالقفاز: «لا. تلك المسألة قد تستمر لشهور. سأترك جويل يتولى أمرها. (عبس قليلاً) إلا إذا كان لديك اعتراض؟».
إذًا فأنا أحرث الحقل، وأزرع البذور، وأسقي المحصول، ثم يأتي جويل ليحصد الثمار؟ يا للعدالة. انحنى برأسه بتواضع: «بالطبع لا، سماحتك».

- جيد. ربما تكون على علم بالزوار غير العاديين الذين استقبلناهم بالأمس.

الزوار؟ عانى جلوكتا طوال الأسبوع الماضي من آلام ظهره. بالكاد تمكن بالأمس من مغادرة فراشه لمشاهدة ذلك الأبله لوثار في المبارزة، لكنه لم يخرج من غرفته الصغيرة، غير قادر على الحركة. قال ببساطة: «لم ألحظ».

- باياز، أول المجوس.

ارتسمت على شفتي جلوكتا ابتسامته الباهتة المعتادة، لكن المقرئ الأعلى لم يكن يمزح.

- أنت تمزح بالطبع.

- يا ليت.

- أهو دجال، سماحتك؟

- وماذا غير ذلك؟ لكنه دجال غير عادي. ذكي، ومعقول، وماكر. الخداع مُتقن إلى حد بعيد.

- هل تحدثت معه؟

- نعم. إنه مقنع بشكل ملحوظ. يعرف أشياء، أشياء لا ينبغي أن يعرفها. لا يمكن تجاهله ببساطة. من يكون هذا الرجل؟ فهو يملك تمويلًا جيدًا ومصادر موثوقة للمعلومات. (عبس المقرئ الأعلى) لديه بعض الهمج الهاربين من الشمال معه.

عقد جلوكتا حاجبيه: «شمالي؟ هذا لا يشبه أسلوبهم. يبدو لي أنهم يفضلون الأساليب المباشرة».

- تمامًا كما فكرت.

- جاسوس للإمبراطور إذن؟ الجوركوليون؟

- ربما. الكانتكيون يحبون الدسائس، لكنهم عادة ما يفضلون العمل في الظل. هذه المسرحيات لا تحمل بصمتهم. أظن أن الإجابة قد تكون أقرب للوطن.

- النبلاء، سماحتكم؟ بروك؟ إشر؟ هيوجن؟

تأمل سولت: «ربما، ربما فهم غاضبون بما فيه الكفاية. أو ربما صديقنا القديم، القاضي الأعلى. بدا مبتهجا قليلا أكثر من اللازم حول كل هذا. إنه يدبر شيئاً، أستطيع الشعور بذلك».

النبلاء، القاضي الأعلى، الشماليون، الجوركوليون، قد يكون أيًا منهم، أو لا أحد منهم، لكن لماذا؟: «لا أفهم، أيها المقرئ الأعلى. إن كانوا مجرد جواسيس، لماذا كل هذا العناء؟ أليس هناك طرق أسهل للتسلل إلى الأجيوننت؟».

- هذه هي النقطة. (ارتسم على وجه سولت عبوس مرير لم يسبق لجلوكتا أن رآه) هناك مقعد شاغر في المجلس المغلق، لطالما كان كذلك. تقليد لا طائل منه، مسألة بروتوكول، كرسي مخصص لشخصية أسطورية، مئة منذ مئات السنين. لم يخطر ببال أحد أن يأتي للمطالبة به.

- لكنه فعل؟

- نعم! لقد طالبه! (وقف المقرئ الأعلى على قدميه وسار حول الطاولة) هذا الجاسوس، هذا الكاذب من مكان مجهول، مُطَّلِع على أدق خبايا حكومتنا! لكنه يملك بعض الوثائق القديمة، لذا يتعين علينا أن ندحضه! هل يمكنك تصديق ذلك؟

لم يصدق جلوكتا. لكن لا يبدو أن هناك فائدة من قوله.

واصل سولت: «طلبت مهلة للتحقيق، لكن المجلس المغلق لن ينتظر إلى الأبد. لدينا أسبوع أو أسبوعان فقط لفضح هذا المدعي قبل أن يتسبب في أي ضرر. وفي هذه الأثناء، هو ورفاقه يقيمون في جناح فاخر في برج السلاسل، وليس هناك ما يمنعهم من التجول في الأجيوننت، وإثارة ما يحلو لهم من الفوضى!». ربما هناك ما يمكننا فعله...

- برج السلاسل مرتفع جداً. ربما إذا سقط أحدهم...

- لا. ليس الآن. لقد تجاوزنا حدودنا بالفعل في بعض الأوساط. علينا أن نتعامل بحذر، على الأقل في الوقت الراهن.

- هناك دائماً خيار الاستجواب. لو اعتقلناهم، يمكنني معرفة من يعملون لصالحه...

- نتعامل بحذر، قلت! أريدك أن تحقق في أمر هذا المجوسي يا جلوكتا، هو ورفاقه. اكتشف من يكونون، ومن أين جاؤوا، وماذا يريدون. والأهم من ذلك، اكتشف من وراءهم، ولماذا. يجب أن نفصح هذا المدعي قبل أن يُلحق أي ضرر. وبعد ذلك يمكنك استخدام أي وسيلة تراها مناسبة. استدار سولت متجهاً نحو النافذة.

نهض جلوكتا بصعوبة وألم من كرسية: «كيف أبدأ؟».

صاح المقرئ الأعلى بضجر: «اتبعهم! راقبهم! انظر من يلتقون، وماذا يفعلون. أنت المحقق، يا جلوكتا! (وبحدة، دون أن يلتفت) حَقِّق!».

أفضل من الموت

قال الضابط وهو يحدق إليهم بريية: «نحن نبحث عن امرأة. جارية هاربة، قاتلة. خطرة جدًا».

سأل يولواي، وقد تجعد جبينه مرتبكًا: «امرأة يا سيدي؟ خطرة يا سيدي؟».

ولوح الضابط بيده بنفاد صبر: «نعم امرأة! طويلة القامة، لديها ندبة، وشعرها قصير. مسلحة جيدًا، وعلى الأرجح، معها قوس. (وقفت فيرو هناك، طويلة ولديها ندبة، وشعرها قصير، والقوس فوق كتفها، تنظر إلى الأرض المتربة) إنها مطلوبة من أعلى السلطات! لصة وقاتلة لعدة مرات!».

أعطى يولواي ابتسامة متواضعة وفرد يديه: «لم نرَ مثل هذه المرأة يا سيدي. أنا وابني غير مسلحين، كما ترون». نظرت فيرو إلى أسفل بغير ارتياح لنصل السيف المقوس المعلق في حزامها، الذي يلتصق في الشمس الساطعة. ويبدو أن الضابط لم يلحظه. صفع بيده على ذبابة في أثناء ثرثرة يولواي: «لا أحد منا يعرف كيف يستخدم شيئًا مثل القوس، وأكد لك ذلك. نحن نثق في الرب ليحمينا يا سيدي، وفي جنود الإمبراطور الذين لا مثيل لهم».

شخر الضابط: «أنت حكيم جدًا، أيها العجوز. ما هو عملك هنا؟».

- أنا تاجر، في طريقي إلى داجوسكا لشراء التوابل، (وانحنى بخنوع) بعد إذكك الكريم.

- ألتاجر مع الورديين؟ ذلك الاتحاد اللعين! (بصق الضابط في الغبار) على الرجل أن يكسب لقمة عيشه، على ما أعتقد، حتى وإن كان ذلك ولو بشكل مخز. تاجر ما استطعت، سوف يختفي الورديون قريبًا،

وسيعودون إلى المحيط! (ملأ صدره بكل فخر) لقد أقسم الملك عثمان

الدشت على ذلك! ما رأيك في ذلك أيها العجوز؟

قال يولواي وهو ينحني مرة أخرى: «أوه، سيكون يومًا عظيمًا، يومًا عظيمًا، ليجلبه الرب لنا قريبًا يا سيدي!».

نظر الضابط نحو فيرو من أعلى إلى أسفل: «ابنك يبدو فتى قويًا. ربما سيصبح جنديًا». (تقدم نحوها وأمسك ذراعها العارية) هذه ذراع قوية. أود أن أقول إن تلك الذراع يمكنها أن تشد وتر القوس بشكل جيد إذا تعلمت. ماذا تقول يا فتى؟ عمل رجولي، القتال من أجل مجد ربك وإمبراطورك! أفضل من التنقيب على الفقات! ارتعش جسد فيرو حيث لامست أصابعه بشرتها. تسللت يدها الأخرى نحو خنجرها.

قال يولواي سريعًا: «آه، وُلِدَ ابني... بسيط العقل. نادرًا ما يتكلم».

- آه. هذا مؤسف. قد يأتي وقت نحتاج فيه إلى كل رجل. هم همجيون، لكن هؤلاء الورديين يجيدون القتال. (استدار الضابط بعيدًا، فعبست فيرو من خلفه) حسنًا، يمكنكما الذهاب!

لَوَّح لهم بيده. تبعتهم أعين جنوده المسترخين في ظل النخيل على جانب الطريق، وهم يمرون، لكن دون اكتراث كبير.

أبقت فيرو على صمتها حتى تلاشى المعسكر بعيدًا خلفهم، ثم التفتت بغضب نحو يولواي: «داجوسكا؟».

قال الرجل العجوز، محدقًا عبر السهل الجاف: «في البداية، ثم شمالًا».

- شمالًا؟

- سنعبر بحر الدائري إلى أدوا.

- نعبّر البحر؟ (توقفت في الطريق) لن أذهب إلى هناك!

- هل عليك أن تُصعّبي الأمور دائمًا يا فيرو؟ أنت سعيدة هنا في جوركول؟

- هؤلاء الشماليون مجانين، الجميع يعلم ذلك! الورديون، الاتحاد، أو أيًا كانوا. مجانين! ليس لديهم رب!

رفع يولواي حاجبًا: «لم أعلم أنك تهتمي بالرب لهذا الحد يا فيرو».

- على الأقل أعلم أن هناك ربًّا! (صرخت، مشيرة إلى السماء) هؤلاء الورديون لا يفكرون مثلنا، مثل الناس الحقيقيين! لا شأن لنا بهم! أفضل البقاء بين الجوركوليين! علاوة على ذلك، لدي حسابات لأصفيها هنا.

- حسابات مع من؟ أستقتلين عثمان؟
عبست: «ربما سأفعل».

- همم. (استدار يولواي وتابع سيره على الطريق) إنهم يبحثون عنك يا فيرُّو، في حال لم تلاحظي. لن تتحركي عشر خطوات دون مساعدتي. ما زالوا يحتفظون بذلك القفص من أجلك، أتذكرينه؟ ذلك الذي أمام القصر؟ إنهم يتلهفون لملئه. (جَزَّت فيرُّو على أسنانها) عثمان هو الإمبراطور الآن. يسمونه الدُّشت. العظيم! عديم الرحمة! أعظم إمبراطور منذ مئة عام، كما يقولون. تقتلين الإمبراطور! (ضحك يولواي لنفسه) أنتِ شخصية بحق. شخصية مميزة.

عبست فيرُّو وهي تتبع العجوز لأعلى التل. لِمَ تسعى لأن تكون شخصية مميزة. كان يولواي قادرًا على جعل الجنود يرون ما يشاء، وكانت تلك حيلة ذكية، لكنها لن تذهب إلى الشمال مهما حدث. ما شأنها بهؤلاء الورديين عديمي الرب؟

كان يولواي ما زال يضحك وهو يسير بجانبها: «تقتلين الإمبراطور. (هز رأسه) سيضطر إلى انتظارك حتى تعودِي. أنتِ تدينين لي، تتذكرين؟». أمسكته فيرُّو من ذراعه النحيلة: «لا أذكر أنك قلت أي شيء عن عبور البحر!».

- ولا أذكر أنك سألتِ يا مالچين، والأفضل أنك لم تسألي! (نزع أصابعها بلطف عن ذراعه) كان من الممكن أن تكوني جثة تجف في الصحراء بدلًا من تدمرك في أذني، وأنت بصحة جيدة؛ فُكَّرِي في ذلك لبعض الوقت. أسكتها ذلك مؤقتًا. تابعت السير بصمت، عابسة وهي تنظر عبر المشهد الجاف، وصوت صندلها يتردد فوق التراب الجاف على الطريق. ألقت نظرة جانبية على الرجل العجوز. لقد أنقذ حياتها بحيِّله، ولا يمكن إنكار ذلك. لكن فلتلَعَن إذا ذهبت إلى الشمال.

كانت القلعة مخفية في خليج صخري، لكن من موقعهم المرتفع على الجرف وتحت الشمس الحارقة خلفهم، استطاعت فيرُو رؤية شكلها بوضوح. سور عالٍ يحيط صفوفًا مرتبة من المباني، تكفي لتشكيل بلدة صغيرة. إلى جانبها، ممتدة نحو المياه، كانت هناك أرصفة طويلة، ترسو عليها سفن. سفن ضخمة.

أبراج من الخشب، حصون عائمة. لم ترَ فيرُو سفنًا بنصف هذا الحجم من قبل. شكلت صواريخها غابة داكنة أمام المياه اللامعة وراؤها. رست عشر سفن تحتهم، وشقت سفينتان أخريان الأمواج ببطء في الخليج البعيد، انتفخت أشرعتها الضخمة، وتحرك أشخاص صغار على سطحها وبين الحبال المتشابكة أعلاها.

تمتم يولواي: «أرى اثنتي عشرة سفينة، لكن عينيك أكثر حدة».

نظرت فيرُو عبر المياه. على الشاطئ المنحني، ربما على بُعد عشرين ميلًا، رأت حصنًا آخر، وأرصفة أخرى، فقالت: «هناك المزيد، ثمان أو تسع، وهن أكبر حجمًا».

- أكبر من هذه؟

- أكبر بكثير.

تمتم يولواي لنفسه: «بحق أنفاس الرب! لم يبنِ الجوركوليون سفنًا بهذا الحجم من قبل، لا بنصف هذا الحجم، ولا بنصف هذا العدد. لا يوجد خشب في الجنوب يكفي لبناء أسطول كهذا. لا بد أنهم اشتروها من الشمال، من الستيريين ربما».

لم تكثرث فيرُو كثيرًا بالقوارب أو الخشب أو الشمال: «وماذا في ذلك؟».

- بأسطول بهذا الحجم، سيصبح الجوركوليون قوة بحرية لا يستهان بها. سيتمكنهم احتلال داجوسكا من الخليج، بل وغزو ويستبورت أيضًا. أسماء بلا معنى لأماكن بعيدة.

- وماذا في ذلك؟

- أنت لا تفهمين يا فيرو. يجب أن أحوذ الآخرين. علينا أن نسرع، هيا! دفع نفسه عن الأرض وسارع عائدًا نحو الطريق.

نخرت فيرو. وتابعت مشاهدة تلك الأحواض الخشبية الكبيرة وهي تتحرك ذهابًا وإيابًا في الخليج لبرهة أخرى، ثم نهضت وتبعت يولواي. السفن الكبيرة أو الصغيرة لا تعني لها شيئًا. بإمكان الجوركوليين أن يستعبدوا كل الورديين في العالم، إذا عني ذلك أن يتركوا البشر الحقيقيين وشأنهم.

- ابتعدوا عن الطريق!

دفع الجندي حصانه نحوهم، رافعًا سوطه.

- ألف عذر، سيدي!

تدلل يولواي وجثا على الأرض، ثم زحف إلى العشب بجانب الطريق، وهو يسحب فيرو المترددة من مرفقها. وقفت فيرو بين الأعشاب، تراقب الموكب وهو يتقدم ببطء. أجساد نحيلة، مهترئة، قدرة، شاحبة، أياديهم مقيدة بإحكام، وأعينهم الجوفاء مثبتة على الأرض. رجال ونساء، من كل الأعمار، حتى الأطفال. مئة منهم أو أكثر. كان ستة من الحراس يمتطون خيولهم بجانبهم، مستريحين في سروجهم العالية، والسياط ملفوفة في أيديهم.

- إنهم عبيد. (لعلت فيرو شفيتها الجافتين).

قال يولواي، وهو يعبس نحو الموكب البائس: «تمرد أهل منطقة قدير، لم يعودوا يرغبون في أن يكونوا جزءًا من أمة جوركول المجيدة، واعتقدوا أن موت الإمبراطور فرصتهم للانسحاب. يبدو أنهم كانوا مخطئين. الإمبراطور الجديد أكثر قسوة حتى من السابق، أليس كذلك، فيرو؟ لقد فشل تمردهم بالفعل. يبدو أن صديقك عثمان قد أخذهم كعبيد عقابًا لهم».

راقبت فيرو فتاة هزيلة تعرج ببطء، تجر أقدامها الحافية في التراب. عمرها ثلاث عشرة سنة؟ من الصعب معرفة ذلك بالضبط. كان وجهها قذرًا وخاليًا من الحياة. جرح متقيح على جبينها، وآخر على ظهر ذراعها. آثار سياط. ابتلعت فيرو، وهي تراقب الفتاة تجر قدميها. تعثر رجل مسن أمامها ووقع على وجهه في الطريق، مما تسبب في توقف الموكب بأكمله.

صرخ أحد الجنود، وهو يدفع حصانه للأمام: «تحرك! قف على قدميك! (كان الرجل العجوز يكافح في التراب) تحرك!».

فرقع سوط الجندي، تاركًا علامة حمراء طويلة على ظهر الرجل الهزيل. ارتعشت فيرو وجفلت من الصوت، وبدأ ظهرها يوخزها. حيث كانت الندوب. وكأنها هي من ضرب بالسوط.

لا أحد يجلد فيرو مالجين ويعيش. ليس بعد الآن. أسقطت القوس عن كتفها.

همس يولواي وهو يمسك بذراعها: «تمالكى نفسك، فيرو! لا شيء يمكنك فعله من أجلهم!».

انحنى الفتاة لمساعدة العبد العجوز على الوقوف. ارتفع السوط مجددًا، وضربهما معًا، وصدر صوت ألم. هل كان من الفتاة أم الرجل؟ أم كان من فيرو نفسها؟

هزّت يد يولواي بعيدًا، وأمسكت بسهم. زمجرت: «أستطيع قتل هذا الوغد!». استدار رأس الجندي نحوهم بفضول. أمسك يولواي يدها بشدة.

همس: «وماذا بعد ذلك؟ بعد أن تقتلي الستة جميعًا، ماذا بعد؟ هل لديك طعام وماء لمئة عبد؟ هل أخفيتهم جيدًا؟ وماذا سيحدث عندما يُفتقد الموكب؟ وعندما يُعثر على الحراس مذبحين؟ ماذا بعد، أيتها القاتلة؟ هل ستخبئين مئة عبد هنا؟ لأنني لن أستطيع!».

حدقت فيرو إلى عيني يولواي السوداوين، أسنانها تطحن معًا، وأنفاسها تتسارع من أنفها. فكرت فيما إذا كان عليها محاولة قتله مجددًا. لا.

كان محققًا، اللعنة عليه. ببطء، دفعت غضبها بعيدًا، قدر المستطاع. أعادت السهم إلى مكانه، واستدارت نحو الموكب. راقبت العبد العجوز يتعثر، والفتاة خلفه، والغضب يأكل أحشاءها كما يفعل الجوع.

صاح الجندي وهو يدفع حصانه باتجاههم: «أنت هناك!».

همس يولواي: «انظري ما فعلت الآن! (ثم انحنى للحارس، يبتسم ويتمسح) أعذر، سيدي، ابني هو...».

نظر الجندي نحو فيرو من فوق سرجه: «أغلق فمك، أيها العجوز! حسنًا، أيها الفتى، هل تعجبك؟».

همست من بين أسنانها المطبقة: «ماذا؟».

ضحك الجندي: «لا داعي للخجل، رأيتك تنظر إليها. (ثم التفت نحو الموكب) أوقفوهم!». تعثر العبيد وتوقفوا. مال الجندي من فوق سرجه وأمسك بالفتاة الهزيلة من تحت ذراعها، وسحبها بقسوة خارج الموكب.

قال، وهو يجذبها نحو فيرو: «إنها جيدة، صغيرة بعض الشيء، لكنها جاهزة. نظّفها وستصبح جيدة، لديها عرجة بسيطة لكنها ستشفى، كنا نقودهم بقسوة. أسنانها جيدة... أريهم أسنانك، أيتها العاهرة! (فتحت الفتاة شفتيها المشققتين ببطء) أسنانها جيدة. ماذا قلت يا فتى؟ عشر عملات ذهبية مقابلها! إنه سعر جيد!».

وقفت فيرو هناك، تحقق. نظرت الفتاة إليها بعينين كبيرتين ميتين. قال الجندي وهو ينحني من فوق سرجه: «انظر، إنها تستحق ضعف ذلك، وليس في الأمر خطورة! عندما نصل إلى شافا، سأقول لهم إنها ماتت هنا في التراب. لن يتعجب أحد من ذلك، فهذا يحدث طوال الوقت! أنا أحصل على عشرة، وأنت توفر عشرة! الجميع يربح!».

الجميع يربح. حدثت فيرو إلى الجندي. خلع خوذته، ومسح جبينه بظهر يده. همس يولواي: «اهدئي يا فيرو».

صاح الجندي: «حسنًا، ثمانية! لديها ابتسامة لطيفة! أريهم ابتسامتك، أيتها العاهرة! (اهتز طرف فم الفتاة قليلًا) ها، رأيت؟ ثمانية، وأنت تسرقني!». طبقت فيرو قبضتها، وانغرزت أظفارها في راحتيها. همس يولواي بنبرة تحذير في صوته: «اهدئي يا فيرو».

- بحق الرب، أنت بارع في المساومة أيها الفتى! سبعة، وهذا آخر عرض لي. سبعة، اللعنة! (لوح الجندي بخوذته في إحباط) استعملها برفق، وفي غضون خمس سنوات ستصبح أكثر قيمة! إنها استثمار!

كان وجه الجندي على بُعد أقدام قليلة فقط. استطاعت رؤية كل قطرة عرق صغيرة تتشكل على جبينه، وكل شعرة خشنة على خديه، وكل شائبة وجُرح وفتحات مسامه على جلده. استطاعت تقريبًا أن تشم رائحته.

العطشى بشدة قد يشربون البول، أو ماء البحر، أو حتى الزيت، مهما كان ضررها، لطالما اشتدت حاجتهم إلى الشرب. رأت فيرو ذلك يحدث كثيرًا في الأراضي القاحلة. تلك كانت حاجتها إلى قتل هذا الرجل الآن. أرادت أن تمزقه بيديها العاريتين، أن تخنقه حتى الموت، أن تنتزع وجهه بأسنانها. كانت رغبتها قوية جدًا بالكاد استطاعت مقاومتها.

همس يولواي: «اهدئي!».

سمعت فيرو نفسها تقول: «لا أستطيع تحمّل تكلفتها».

اعتمر الجندي خوذته: «كان بإمكانك قول ذلك من البداية، أيها الفتى، وتوفر عليَّ العناء! على أي حال، لا ألومك على النظر. إنها جيدة. (مد يده مجددًا وأمسك الفتاة من تحت ذراعها، وسحبها نحو الآخرين. صاح من فوق كتفه) سيحصلون على عشرين مقابلها في شافا!».

تحرك الموكب مجددًا. ظلت فيرُو تراقب الفتاة حتى اختفت هي والعبيد وراء التل، يتعثرون، يعرجون، ويمضون ببطء نحو العبودية.

شعرت بالبرد الآن، البرد والفراغ. تمنّت لو أنها قتلت الحارس، مهما كان الثمن. ربما ليملاً قتله ذلك الفراغ، ولو لوقت قصير. هكذا كانت الأمور. قالت ببطء: «سرتُ في موكب مثل هذا».

تنهد يولواي طويلاً: «أعلم، فيرو، أعلم، ولكن القدر اختارك للنجاة. كوني ممتنة لذلك، إن كنتِ تستطيعين».

- كان يجب أن تدعني أقتله.

تمتم العجوز باستياء: «آه، أقسم، إنك ستقتلين العالم كله إن استطعت. هل يوجد بداخلك أي شيء غير القتل يا فيرُو؟».

تمتمت: «كان هناك، لكنهم يجلدونه فيك. يجلدونك حتى يتأكدوا من عدم وجود شيء داخلك». وقف يولواي ينظر إليها بنظرة شفقة. غريب، كيف لم تعد تلك النظرة تثير غضبها.

- أنا آسف يا فيرُو. آسف عليك وعليهم. (وخطا إلى الطريق مجددًا، يهز رأسه) لكنه أفضل من الموت.

بقيت فيرُو لوهلة، تراقب الغبار الذي يرتفع من الموكب البعيد.

همست لنفسها: «هما الشيء نفسه».

إبهام متقرح

اتكأ لوچن على الحاجز، وضيق عينيه بسبب شمس الصباح ونظر إلى المشهد. فعل الشيء نفسه، منذ زمن بعيد كما يبدو الآن، من شرفة غرفته في المكتبة. لم يكن المشهدان أكثر اختلافًا مما يمكن لهما. شروق الشمس فوق سطح المباني المتعرجة من ناحية، حار وساطع وممتلئ بالضوء البعيدة. والوادي البارد المغطى بالضباب من الناحية الأخرى، ناعم وفارغ وساكن كالموت. تذكر ذلك الصباح، وتذكر كيف شعر وكأنه شخص آخر حينها. وبالتأكيد شعر الآن بأنه شخص مختلف. شخص غبي. صغير، خائف، قبيح، ومشوش.

- لوچن. (خرج مالاكوس إلى الشرفة ليقف بجانبه، وابتسم للشمس وللمدينة التي يتلأأ خليجها الذي امتلأ بالسفن) جميل، أليس كذلك؟
- إذا كان هذا رأيك، لكنني لست متأكدًا من أنني أرى ذلك. كل هؤلاء الناس. (ارتعش لوچن متعرقًا) وضع غير مريح. إنه يخيفني.

- خائف؟ أنت؟

- دائمًا.

بالكاد استطاع لوچن النوم منذ وصولهم. لم يكن الجو مظلمًا بما يكفي هنا، ولم يكن هادئًا بما يكفي. كان حارًا جدًّا، مكتومًا جدًّا، كريه الرائحة جدًّا. قد يكون الأعداء مرعبين، لكن الأعداء يمكن مقاتلتهم، ويمكن وضع حد لهم. لوچن كان يستطيع فهم كراهيتهم. أما المدينة الغافلة، المهملة، المتدمرة، فلا مجال لمحاربتها. كانت تكره كل شيء.

- هذا ليس مكانًا لي. سأكون سعيدًا بالمغادرة.

- قد لا تغادر قريبًا.

أخذ لوچن نفسًا عميقًا: «أعلم. لهذا سأذهب لرؤية هذا الأجيوننت، وأكتشف ما يمكنني معرفته عنه. بعض الأشياء يجب الانتهاء من أمرها. الأفضل أن تقوم بها على أن تعيش خائفًا منها. هذا ما كان يقوله لي أبي».

- نصيحة جيدة. سأذهب معك.

- لن تذهب. (دخل باياز من الباب، يحدق بغضب إلى تلميذه) تقدمك في الأسابيع القليلة الماضية كان مخزيًا، حتى بالنسبة إليك. (تقدم إلى الخارج في الهواء الطلق) أقترح أنه بينما نحن بانتظار رغبة جلاله الملك، عليك أن تستغل الفرصة للدراسة. قد يطول الوقت قبل أن تأتي فرصة أخرى.

أسرع مالاكوس إلى الداخل دون أن ينظر خلفه. كان يعرف جيدًا ألا يتلصق عندما يكون سيده في مثل هذه الحالة المزاجية. فقد باياز كل روح الدعابة منذ وصولهم إلى الأجيوننت، ولم يبدُ أن تلك الروح ستعود قريبًا. لم يستطع لوچن أن يلومه، فقد عوملوا أشبه بالمساجين أكثر من كونهم ضيوفًا. لم يكن يعرف الكثير عن الآداب، لكنه استطاع أن يخمن معنى النظرات القاسية من الجميع، والحراس خارج الباب.

- لن تصدق كيف كبرت هذه المدينة، (زمجر باياز وهو يحدق إلى المدينة الممتدة) أتذكر أدوا عندما كانت مجرد تجمع من الأكواخ يلتف حول دار الصانع مثل الذباب حول قطعة روث طازجة. قبل أن يكون هناك الأجيوننت. قبل أن يكون هناك اتحاد حتى. لم يكونوا بهذا الغرور في تلك الأيام، وأكد لك. كانوا يعبدون الصانع كإله.

استجمع في فمه كتلة من البلغم وبصقها في الهواء، شاهدها لوچن وهي تعبر الخندق وتختفي بين المباني البيضاء في الأسفل. همس باياز: «أنا من أعطاهم هذا. (شعر لوچن بالإحساس المزعج الذي دائمًا ما يرافق غضب الساحر العجوز) أنا من منحهم الحرية، وهذا هو الشكر الذي أحصل عليه؟ ازدراء الكتبة، والخدم العجزة المتغطرسين؟».

بدأت رحلة الشك والجنون في أعماق الماضي تبدو كخلاص رحيم. اقترب لوچن من الباب ثم عاد إلى الغرفة خلفه.

إذا كانوا سجناء هنا، فقد مر لوچن بسجون أشد قسوة، عليه أن يعترف بذلك. كانت غرفة معيشتهم المستديرة، في رأيه على الأقل، تليق بملك:

كراسي ثقيلة من خشب داكن مزخرفة بنقوش دقيقة، وستائر سميكة على الجدران عليها غابات ومشاهد صيد. بيثود على الأرجح كان سيشعر وكأنه في بيته في مثل هذه الغرفة. أما لوجن، فقد شعر، كالأخرق، دائم الحذر من أن يكسر شيئاً. في وسط الغرفة كانت هناك جرة طويلة على طاولة، تزينت جوانبها برسوم زهور زاهية. نظر لوجن إليها بعين الشك وهو يتجه نحو السلم الطويل الذي ينزل إلى الأجرىونت.

وقف باياز في إطار الباب، ينظر إليه عابساً: «لوجن! احذر. قد يبدو المكان غريباً، لكن مع ذلك فالناس أغرب».

كانت المياه تغلي وتغرغر، تتدفق لأعلى في عمود ضيق من أنبوب معدني منحوت على شكل فم سمكة، ثم تتناثر عائدة إلى حوض حجري واسع. «نافورة» هكذا وصفها الشاب الفخور. «أنابيب تحت الأرض»، كما قال. تخيل لوجن جداول تحت قدميه مباشرة، تجري أسفل المكان، تغسل الأساسات. أشعرته الفكرة بدوار خفيف.

كانت الساحة شاسعة، كسهل واسع من الحجارة المسطحة، أحيطت بمنحدرات شاهقة من مبان بيضاء. منحدرات جوفاء، مغطاة بأعمدة ومنحوتات، متلائة بنوافذ طويلة، تزحف عليها الحشود. كان هناك شيء غريب يحدث اليوم. على أطراف الساحة البعيدة، كان يُبنى هيكل مائل ضخم من العوارض الخشبية. اكتظ فوقه جيش من العمال، يقطع ويضرب، يهوي على الأوتاد والمفصلات، يتبادل الصيحات الغاضبة. حولهم جبال من الألواح وجذوع الأشجار، وبراميل من المسامير، وأكوام من الأدوات، تكفي لبناء عشر قاعات عظيمة، أو أكثر. في بعض الأماكن، كان الهيكل قد ارتفع بالفعل عالياً عن الأرض، وحلقت أعمدته في الهواء مثل صواري سفن عظيمة، بارتفاع المباني العملاقة خلفها.

وقف لوجن، يضع يديه على وركيه، متأملاً الهيكل الخشبي الهائل، لكن غايته ظلت لغزاً. اقترب من رجل قصير عضلي يرتدي مئزراً جلدياً، منهمكاً في نشر لوح خشبي بقوة: «ما هذا؟».

لم يرفع الرجل حتى عينيه عن عمله: «ماذا؟».

- هذا. لماذا يُبنى؟

غاص المنشار في الخشب، ووقع الجزء المقطوع مرتطمًا بالأرض. حمل النجار بقية اللوح وألقاه على كومة قريبة. التفت ناظرًا إلى لوّجٍ بشك، ومسح العرق عن جبينه اللامع: «مدرجات ومقاعد. (حدّق لوّجٍ إليه بذهول. كيف يمكن لشيء أن يتدرج ويقعد في الوقت نفسه؟ صاح النجار في وجهه) للمسابقة!».

تراجع لوّجٍ ببطء. هراء. كلمات بلا معنى. استدار على الفور وأسرع بالابتعاد، متجنبًا الهياكل الخشبية الضخمة والرجال المتسلقين عليها.

اندفع إلى ممر واسع، وادّ عميق بين المباني البيضاء الشاهقة. واجهت فيه التماثيل بعضها على جانبي الطريق، أكبر بكثير من حجم البشر، عابسة فوق رؤوس المارة المتعجلين. بدا التمثال الأقرب مألوفًا بشكل غريب. مشى لوّجٍ نحوه، نظر إليه من أعلى إلى أسفل، ثم ابتسم لنفسه. لقد زاد وزن أول المجوس منذ أن نُحت هذا التمثال. ربما أكثر من اللازم بسبب طعام المكتبة الجيد. التفت لوّجٍ نحو رجل قصير يعتمر قبعة سوداء، ويمشي حاملًا كتابًا كبيرًا تحت ذراعه.

قال مشيرًا إلى التمثال: «هذا باياز، أحد أصدقائي». حدّق الرجل إليه ثم إلى التمثال، ثم عاد بنظره إليه، وانصرف مسرعًا.

استمرت التماثيل تصطف على جانبي الطريق. ملوك الاتحاد، حسب تخمين لوّجٍ، واقفون في صف على اليسار. بعضهم يحمل سيوفًا، وبعضهم مخطوطات أو سفنًا صغيرة. هناك كلب عند قدمي أحدهم، وحزمة من القمح تحت ذراع آخر، لكن بخلاف ذلك لم يكن هناك الكثير ليميّزهم. جميعهم يرتدون التيجان الطويلة نفسها وعلى وجوههم التعبير المتجهم ذاته. لن يخطر ببالك حين تراهم أنهم قد نطقوا يومًا بكلمة غبية، أو فعلوا شيئًا أحمق، أو اضطروا إلى قضاء حاجتهم في حياتهم كلها.

سمع لوّجٍ خطوات سريعة تقترب من خلفه، فالتفت في اللحظة المناسبة ليرى الشاب الفخور الذي قابله عند البوابة يهرول على طول الطريق، قميصه مشبع بالعرق. تساءل لوّجٍ إلى أين قد يتجه بهذه العجلة، لكنه أقسم ألا يركض للحاق به، ليس في هذا الطقس الحار. على أي حال، كان هناك الكثير من الألباز الأخرى التي تحتاج إلى تفسير.

انتهى الممر بمساحة خضراء شاسعة، كما لو أن أيادي عملاقة انتزعت هذا الجزء من الريف وألقته بين المباني الطويلة، لكنها لم تكن مثل أي ريف

رآه لوِجَن من قبل. العشب كان بساطًا أخضر ناعمًا ساطعًا قَصَّ قريبًا من الأرض. نمت الأزهار في صفوف ودوائر وخطوط مستقيمة من الألوان الزاهية. كانت هناك شجيرات وأشجار كثيفة، لكنها مقصوفة ومسيجة ومُهَنَدَمَة في أشكال غير طبيعية. كان هناك ماء أيضًا؛ جداول تتدفق فوق درجات حجرية، وبركة واسعة مسطحة تحيط بها أشجار حزينة المظهر.

تجول لوِجَن عبر هذه الخضرة المربعة، وأحذيته تطحن الحصى الرمادية الصغيرة تحتها. كان هناك الكثير من الناس متجمعين هنا، متلاصقين للاستمتاع بأشعة الشمس. يجلسون في قوارب على البحيرة المصغرة، يجدفون بلطف حولها دون وجهة محددة. كانوا يتمددون على المروج، يأكلون ويشربون ويتحدثون بصخب. بعضهم أشار نحو لوِجَن وهو يصرخ، أو يهمس، أو يبتعد متسللاً.

كانوا حشدًا غريبًا، وبخاصة النساء. بشرتهن شاحبة كالأشباح، والتففن في فساتين مزخرفة، شعرهن مرفوع ومكدس ومثبت بدبابيس وأمشاط وریش كبير غريب أو قبعات صغيرة لا فائدة منها. بدّون مثل تلك الجرة الكبيرة في الغرفة المستديرة؛ نحيلات وهشات للغاية فلا توجد لهن أي فائدة، وما زادهن سوءًا الزخرفة المفرطة. لكن قد مضى وقت طويل، فابتسم لهن بود، على أمل. بعضهن بدا مصدومًا، وبعضهن شهق رعبًا. تنهد لوِجَن. فننته القديمة ما زالت موجودة.

في ساحة واسعة أخرى، توقف لوِجَن لمشاهدة مجموعة من الجنود يتدربون. لم يكونوا شحاذين أو شبابًا مخنثين، بل رجالًا متينين يرتدون دروعًا ثقيلة، صدورهم وأرجلهم مغطاة بألواح لامعة كالمرآيا، وأكتافهم تحمل رماحًا طويلة. كانوا يقفون معًا، كل رجل يشبه الآخر تمامًا، في أربعة مربعات تضم كل منها نحو خمسين رجلًا، ثابتين كتماثيل الطريق.

عند صرخة من رجل قصير يرتدي سترة حمراء -رئيسهم، حسب تقدير لوِجَن- استدار الجمع كله، رفعوا رماحهم وبدؤوا في التقدم عبر الساحة، أحذيتهم الثقيلة تخطو بتناغم. كل رجل مثل الآخر، مسلح مثل الآخر، يتحرك مثل الآخر. كان مشهدًا رائعًا، كل هذا المعدن اللامع يتحرك بثبات في مربعات مشعرة، أطراف الرماح تتلأأ، مثل قنفذ عظيم مربع له مئتا قدم. قاتل بما يكفي في مساحة مسطحة واسعة، ضد عدو وهمي أمامهم مباشرة. لكن تساءل لوِجَن كيف سيفعلون ذلك على صخور مكسرة، تحت المطر المنهمر،

في غابة متشابكة؟! هؤلاء الرجال سيتعبون بسرعة في تلك الدروع الثقيلة، وإذا كُسرت مربعاتهم، ماذا سيفعلون؟ رجال اعتادوا دائماً وجود آخرين بجانبهم؟ هل يمكنهم القتال وحدهم؟

تابع لوجن سيره، عبر أفنية واسعة وحدائق مرتبة، متجاوزاً نوافير متدفقة وتماثيل شامخة، نازلاً في ممرات نظيفة وشوارع فسيحة. تجول صعوداً وهبوطاً في سلالم ضيقة، وعبر جسور فوق جداول، فوق طرقات، وفوق جسور أخرى. رأى حراساً بملابس رسمية رائعة متنوعة، يحرسون مئات البوابات والجدران والأبواب المختلفة، وكلهم يرمقونه بنظرة شك عميقة. ارتفعت الشمس في السماء، وانزلقت المباني البيضاء الشاهقة بجانبه حتى أرهقته قدماه وتاه نصفه، وأصاب رقبته ألم من كثرة النظر إلى أعلى.

الشيء الوحيد الثابت كان البرج الضخم الذي لاح عالياً، عالياً فوق كل شيء، جاعلاً أعظم المباني يبدو تافهاً. كان يظهر دوماً من طرف العين، يتلصص من فوق أسطح المباني في المدى. سحبته خطواته ببطء نحو ذلك البرج، حتى وصل إلى ركن مهمل من القلعة تحت ظله مباشرة.

وجد مقعداً قديماً بجانب مرج متآكل قرب بناء عظيم متهاك، مغطى بالطحالب واللبلاب، تدلى سقفه شديد الانحدار في المنتصف وفقدت بعض بلاطاته. انطرح عليه، ينفخ خديه، وحدق عابساً إلى ذلك الشكل الهائل خلف الجدران، مرتسماً بوضوح على خلفية السماء الزرقاء، جبل من صنع الإنسان من الحجارة الجافة القاسية الميتة. لم ينمُ شيء على تلك الكتلة الجاثمة، حتى الطحالب لم تتشبث بالشقوق بين الكتل الضخمة. «دار الصانع»، هكذا وصفه باياز. لم تكن تشبه أي دار رآها لوجن من قبل. لم يكن هناك سقف فوقها، ولا أبواب أو نوافذ في تلك الجدران العارية. مجرد مجموعة من الطبقات الصخرية الحادة. ما الحاجة إلى بناء شيء بهذه الضخامة؟ ومن هو هذا الصانع على أي حال؟ هل هذا كل ما صنعه؟ دار ضخمة لا فائدة لها؟

- هل تمنع إن جلست؟

كانت هناك امرأة تنظر إلى لوجن، امرأة يمكن أن يُطلق عليها اسم امرأة أكثر من تلك الكائنات الغريبة الشبيهة في الحديقة. امرأة جميلة ترتدي ثوباً أبيض، يحيط وجهها شعر داكن.

- هل أمانع؟ لا. إنه أمر غريب، لكن لا أحد آخر يريد أن يجلس معي.

- جلست في نهاية المقعد الأخرى، تستند بذقنها على يديها، مرفقاها على ركبتيها، تحقق بلا اهتمام إلى البرج الضخم.
- ربما كانوا خائفين منك.
- شاهد لوچن رجلاً يمر مسرعاً وهو يحمل رزمة من الأوراق تحت ذراعه، يحدد إليه بعينين واسعتين.
- بدأت أظن الشيء نفسه.
- تبدو خطرًا بعض الشيء.
- الكلمة التي تبحثين عنها هي: قبيح.
- عادةً ما أجد الكلمات التي أبحث عنها، وأنا أقول خطرًا.
- حسنًا، المظاهر قد تخدع.
- رفعت حاجبها، ونظرت إليه ببطء من أعلى لأسفل..
- إذن فلا بد أنك رجل سلام.
- همم... ليس تمامًا. (تبادلًا النظر بطرف أعينهما. لم تبدُ خائفة، أو محتقرة، أو حتى مهتمة) لماذا لا تخافين؟
- أنا من أنجلاند، أعرف قومك. إلى جانب ذلك، (وأسندت رأسها على ظهر المقعد) لا أحد آخر يريد التحدث معي. أنا يائسة.
- حدد لوچن إلى جذع إصبعه الوسطى، وحركها ذهابًا وإيابًا قدر استطاعته: «لا بد أن تكوني كذلك. أنا لوچن».
- هذا جيد لك. أنا لا أحد.
- كل أحد هو أحد ما.
- ليس أنا. أنا لا شيء. أنا غير مرئية.
- عبس لوچن وهو يراقبها، مستلقية على المقعد تحت الشمس، ملتفة بجانبها نحوه، عنقها الطويل الناعم ممدود، وصدرها يرتفع وينخفض بلطف. قال: «أنا أراك».
- أدارت رأسها لتتنظر إليه: «أنت... رجل مهذب».

قهقهه لوِجِن ضاحكًا. لقد وُصف بالكثير من الأشياء في حياته، لكن لم يُدعَ بهذا من قبل. لم تشاركه الشابة الضحك. تمتمت لنفسها: «أنا لا أنتمي إلى هذا المكان».

- ولا أنا.

- لا. لكن هذا هو منزلي. (وقفت عن المقعد) وداعًا يا لوِجِن.

- وداعًا، أيتها اللأحد.

راقبها وهي تستدير وتبتعد ببطء، هز رأسه. لقد كان باياز محققًا. كان المكان غريبًا، لكن الناس كانوا أكثر غرابة.

استيقظ لوِجِن بفزع مؤلم، فتح عينيه وتلَّفت حوله بذهول. ظلام. ليس ظلامًا دامسًا بالطبع، فتوهج المدينة لا يتوقف قط. ظن أنه سمع شيئًا، لكن لم يكن هناك شيء الآن. كان الجو حارًا. حارًا ومقيدًا وخانقًا، حتى مع النسيم الرطب القادم من النافذة المفتوحة. تنهد، ورمى الأغطية المبللة حول خصره، ثم مسح العرق عن صدره ومسحه على الحائط خلفه. أزعجه الضوء وأثقل جفونه. لكن ذلك لم يكن أسوأ مشكلاته. قل شيئًا واحدًا عن لوِجِن الأصابع التسع، قل إنه يحتاج إلى التبول.

للأسف، لم يكن بإمكانك أن تتبول في إناء هنا. لديهم شيء خاص، مثل رف خشبي مسطح به ثقب، في غرفة صغيرة. حذق لوِجِن إلى ذلك الثقب عندما وصلوا لأول مرة، متسائلًا عن الغرض منه. بدا عميقًا، ورائحته كريهة. شرح له مالاكوس ما هو. اخترع تافه وهمجي. عليك أن تجلس هناك، على الخشب الصلب، في وجود نسيم مزعج ينفخ في ثمارك. لكن هذا هو ما تعنيه الحضارة، حسب فهم لوِجِن. أناس شاغرون ليس لديهم ما يفعلونه، يخترعون طرقًا لتصعيب الأمور السهلة.

نهض من الفراش بصعوبة، وشق طريقه نحو الباب حيث تذكر مكانه، انحنى لتلمس يده الهواء أمامه. الضوء كان كثيرًا لدرجة أعاقَت نومه، لكنه ليس كافيًا ليرى شيئًا فعليًا. تمتم لنفسه: «تبًا للحضارة»، وحاول فتح مزلاج الباب، يحرك قدميه الحافيتين بحذر إلى الغرفة الدائرية الكبيرة في وسط غرفهم.

كانت الغرفة باردة، باردة جدًا. أنعشه الهواء البارد على جلده العاري بعد حرارة غرفته المرهقة. لماذا لم يَنَمْ هنا بدلًا من الفرن في غرفته المجاورة؟ ضيق عينيه وهو ينظر إلى الجدران المظلمة، جلد وجهه مشدود بألم النوم غير المكتمل، محاولًا تمييز الباب الذي يؤدي إلى «رف التبول». ببعض الحظ، قد يدخل غرفة باياز سهوًا ويتبول على أول المجوس في أثناء نومه. ذلك سيكون كافيًا لتحلية مزاج الساحر.

خطا خطوة إلى الأمام. سمع صوتًا مكتومًا وارتطامًا حين اصطدمت ساقه بركن الطاولة. لعن بصوت خافت، ممسكًا بساقه الموجوعة، ثم تذكر الجرة. اندفع وأمسك بها من الحافة قبل أن تسقط. بدأت عيناه تتأقلمان مع الضوء الخافت، وأصبح بإمكانه تمييز الزهور المرسومة على السطح البارد اللامع. تحرك لإعادتها إلى الطاولة، لكن خطر بباله. لماذا يذهب إلى أبعد من ذلك بينما لديه إناء مناسب تمامًا هنا؟ نظر بحذر حول الغرفة، ثم وضع الجرة في الوضعية المناسبة.. ثم تجمد.

لم يكن وحده.

هناك هيئة شخص طويل ونحيل، غامضة في الضوء الخافت. بالكاد استطاع رؤية الشعر الطويل يتمايل بلطف في النسيم القادم من النافذة المفتوحة. حاول أن يبذل جهدًا ليرى الوجه في الظلام، لكنه لم يستطع.

- لوَجِن.

صوت امرأة، ناعم ومنخفض. لم يعجبه الصوت على الإطلاق. كان الجو باردًا في الغرفة، باردًا جدًا. قبض على الجرة بحزم.

همهم: «من أنت؟». صوته بدا عاليًا في السكون الميت. هل كان يحلم؟ هز رأسه، وضغط على الجرة في يده. كل شيء كان يبدو حقيقيًا. بشكل مروع.

- لوَجِن.

تحركت المرأة نحوه بصمت. أضاء الضوء الخافت من النافذة بجانب وجهها. خد أبيض، تجويف عين مظلم، زاوية فم، ثم غرقت مجددًا في الظلام. كان هناك شيء مألوف. حاول لوَجِن أن يتذكر وهو يتراجع، عيناه مثبتتان على ظلها، محاولًا إبقاء الطاولة بينهما.

- ماذا تريدان؟

شعر بشيء بارد في صدره، شعور سيئ. علِمَ أنه عليه الصراخ لطلب المساعدة، إيقاظ الآخرين، لكن بطريقة ما أراد أن يعرف من هي. عليه أن يعرف. الهواء كان متجمدًا، كاد لوَجِن يرى أنفاسه تتصاعد أمام وجهه. كانت زوجته ميتة، كان يعلم ذلك، ماتت وبردت وعادت إلى الوحل، منذ زمن طويل وبعيد. لقد رأى القرية، محروقة إلى رماد، ملأى بالجثث. زوجته كانت ميتة. ومع ذلك...

همس: «ثيلفي؟».

- لوَجِن.

إنه صوتها! صوتها! تدلى فمه من الصدمة. مدت يدها نحوه عبر ضوء النافذة. يد شاحبة، أصابع شاحبة، أظفار طويلة وبيضاء. كان الجو في الغرفة جليديًا، باردًا حتى العظم: «لوَجِن!».

- أنتِ ميتة!

رفع الجرة، مستعدًا لتحطيمها على رأسها. كانت اليد تقترب، أصابعها تفتح على وسعها.

فجأة، أضاءت الغرفة كأنها النهار. بل أكثر إشراقًا. ضوء ساطع وحارق. تحولت الخطوط المظلمة للأبواب والأثاث إلى حواف بيضاء قاسية وظلال سوداء كثيفة. أغلق لوَجِن عينيه بقوة، وحجبها بذراعه، وتراجع وهو يلهث، مستندًا إلى الجدار. دَوَّى صوت هائل مثل انهيار صخري، تَمَزَّق وَتَحَطَّم كَأَن شجرة عظيمة قد سقطت، مع رائحة احتراق خشب كريهة. فتح لوَجِن إحدى عينيه بحذر، ونظر من بين أصابعه.

كانت الغرفة مختلفة تمامًا. مظلمة مرة أخرى، لكن أقل ظلامًا مما كانت عليه. تسلل ضوء من خلال فجوة كبيرة متعرجة الحواف في الحائط حيث كانت النافذة. اختفى كرسيان، والثالث تأرجح على ثلاث أرجل، حوافه المكسورة تتوهج بخفوت، مثل أغصان اشتعلت فيها النار لفترة طويلة. الطاولة، التي كانت تقف بجانبه قبل لحظة، كانت مشطورة إلى نصفين على الجانب الآخر من الغرفة. جزء من السقف قد تمزق من العوارض، والأرضية مغطاة بقطع من الحجر والجص، وقطع خشب وزجاج محطم. لم يكن هناك أي أثر للمرأة الغريبة.

تقدم باياز بحذر عبر الحطام نحو الفجوة الكبيرة في الحائط، قميص نومه يرفرف حول ساقيه القويتين، وأطل إلى الخارج في الليل: «لقد ذهبت».

- ذهبت؟ (حذق لوچن إلى الحفرة المتصاعدة) كانت تعرف اسمي.

تعثر الساحر في طريقه إلى آخر كرسي سليم، وألقى بنفسه فيه كمن أنهك تمامًا.

- ربما كان آكلًا، أرسله خالول.

سأل لوچن وهو يشعر بالحيرة: «آكل؟ ممّن؟».

مسح باياز العرق عن وجهه: «قلت إنك لا تريد أن تعرف».

- هذا صحيح.

لم يستطع لوچن إنكار ذلك. حكّ ذقنه، وحذق إلى الجزء المتعرج من سماء الليل، متسائلًا إذا كان الوقت المناسب لتغيير رأيه. لكن قبل أن ينتهي من الفكرة، كان الألوان قد فات. دق الباب بعنف. قال باياز: «افتح الباب، من فضلك».

تحرك لوچن عبر الحطام وفتح المزلاج. دفع حارس غاضب الباب بكتفه، في يده مصباح، وفي اليد الأخرى سيف مسلول.

- هناك ضجيج! (أنار الحطام بمصباحه، متفحصًا حافة الجص الممزقة، الحجارة المكسورة، السماء الليلية الخاوية خلفهما. وتمتم) اللعنة.

تمتم لوچن: «كان لدينا زائر غير مدعو».

- ارر... عليّ أن أخبر... أحدًا ما.

بدا الحارس مشوشًا تمامًا. تعثر وكاد يسقط على عارضة خشبية ساقطة وهو يتراجع نحو الباب. سمع لوچن خطواته تتلاشى بسرعة نحو الدرج.

- ما هو الآكل؟

لم يأت أي رد. كان الساحر نائمًا، عيناه مغلقتان، على وجهه عبوس عميق، وصدره يرتفع وينخفض ببطء. نظر لوچن إلى أسفل. تفاجأ لرؤية الجرة بين يديه، جميلة ورقيقة، متشبثة بيده اليمنى بإحكام. بعناية، مسح بقعة على الأرض ووضع الجرة بين الحطام.

أحد الأبواب ارتطم بقوة، فقفز قلب لوچن من مكانه. كان مالاكوس، عيناه واسعتان وملامحه مدهشة، شعره يقف على جميع الاتجاهات.

- ما الذي حدث هنا. (اتجه نحو الحفرة، وأطل بحذر إلى الخارج) اللعنة!
- مالاكوس، ما هو الأكل؟
- التفت كواي بسرعة نحو لوجن، وانطبعت على وجهه صورة من الرعب.
- همس: «إنه محظور، أن تأكل لحم البشر».

مكتبة

t.me/soramnqraa

أسئلة

حَسَرَ جلوكتا فمه بأكبر كمية من العصيدة، آملاً أن ينهي نصف وجبة قبل أن يبدأ غثيانته بالظهور. ابتلع، وسعل، وارتجف. دفع الوعاء بعيداً وكأن وجوده قريباً يثير غضبه. وهو ما كان بالفعل. تمتم قائلاً: «يُفضل أن يكون ذلك مهمّاً يا سيفيرارد».

مسح المنفَذ شعره الدهني للخلف بيد واحدة: «يعتمد على ما تعنيه بالمهم. الأمر يتعلق بأصدقائنا السحريين».

- آه، أول المجوس ورفاقه الجسورون. ماذا عنهم؟

- حدثت بعض الفوضى في غرفهم الليلة الماضية. يقولون إن شخصاً ما اقتحمها. كان هناك شجار ما. يبدو أن بعض الأضرار قد وقعت.

- شخص ما؟ شجار ما؟ بعض الأضرار؟ (هز جلوكتا رأسه مستنكراً) يبدو؟ يبدو لا تكفينا يا سيفيرارد.

- حسناً، هذا هو كل ما لدينا هذه المرة. الحارس كان غامضاً في التفاصيل. بدا قلقاً جداً، إن سألتني. (غاص سيفيرارد في كرسيه أكثر، رافعاً كتفيه حتى أذنيه) يجب أن يذهب أحد ما للتحقق من الأمر، الأفضل أن يكون نحن. يمكنك أن تلقي نظرة عليهم عن قرب. ربما تطرح بعض الأسئلة.

- أين هم؟

- ستحب هذا. في برج السلاسل.

قطَّب جلوكتا جبينه وهو يمتص بقايا العصيدة من لثته الفارغة. طبعاً. وأراهن أنهم في القمة، الكثير من الدرج: «أي شيء آخر؟».

- الشماليُّ كان يتجوَّل بالأمس، سار في دوائر حول نصف الأجيونوت. بالطبع راقبناه. (شمَّ سيفيرارد وضبط قناعه) لقيط قبيح.
- آه، الشماليُّ الشهير. هل ارتكب أي فظائع؟ اغتصاب، وقتل، وإشعال النيران في المباني، هذا النوع من الأمور؟
- ليس كثيرًا، صراحةً. صباحًا مملًا للجميع. تجول وحدِّق إلى الأشياء. تحدث إلى بضعة أشخاص.
- هل نعرف أيًا منهم؟
- لا أحد مهم. أحد النجارين الذين يعملون على المدرجات للمسابقة. موظف في طريق الملوك. وفتاة ما قرب الجامعة. تحدث معها لبعض الوقت.
- فتاة؟
- ابترسمت عينا سيفيرارد: «صحيح، وكانت جذابة أيضًا. ماذا كان اسمها؟ تأكدت من معرفته. أخوها يعمل في حرس الملك... ويست، شيء ما ويست...».
- أردي.
- هذا هو! أتعرفها؟
- هم. (لعق جلوكتا لثته الفارغة، أتذكر، سألتني كيف حالي) عن ماذا تحدثا؟
- رفع المنفَّذ حاجبيه: «على الأرجح لا شيء مهم. لكنها من أنجلاند، ولم تكن في المدينة طويلاً. قد يكون هناك صلة. هل تريدني أن أحضرها؟ يمكننا معرفة الأمر بسرعة».
- انفعل جلوكتا: «لا! لا. لا داعي. كان أخوها صديقًا لي في الماضي».
- كان صديقًا.
- لا أحد يلمسها، سيفيرارد، فهمت؟
- هز المنفَّذ كتفيه: «كما تقول، أيها المحقق. كما تقول».
- أجل.
- ساد الصمت للحظة. بدا في صوت سيفيرارد شيء من الحسرة: «إذن فقد انتهينا من أمر نقابة البرَّازين، أليس كذلك؟».
- يبدو كذلك. لقد انتهوا. لم يتبقَّ سوى تنظيف بعض الفوضى.

- تنظيف مريح، على الأرجح.

قال جلوكتا بمرارة: «على الأرجح، لكن صاحب السماحة يعتقد أن مواهبنا ستُستخدم في مكان آخر. كمراقبة السحرة المزيفين. أمل ألا تكون قد خسرت أملاكك الصغيرة عند الميناء».

هز سيفيرارد كتفيه مرة أخرى: «لن أُنفاجأ إن احتجت أنت إلى مكان بعيد عن الأعين المتطفلة مرة أخرى قريبًا. سيكون هناك، مقابل السعر المناسب. فقط من المؤسف ترك العمل نصف منجز».

صحيح. توقف جلوكتا لوهلة، يفكر. هذا خطر. أمر المقرئ الأعلى ألا نتجاوز ذلك. عصيانه خطر جدًّا، ومع ذلك أشعر بشيء ما. يُزعجني ترك نهاية مفتوحة، مهما قال صاحب السماحة: «قد يكون هناك شيء آخر».

- حقًّا؟

- نعم، ولكن اجعل الأمر سرّيًّا. هل تعرف شيئًا عن البنوك؟

- مبانٍ ضخمة. يقرضون الناس المال.

ارتسمت على وجه جلوكتا ابتسامة باهتة: «لم أكن أعلم بخبرتك المهولة. هناك بنك معين يهمني. اسمه فالينت وبالك».

- لم أسمع به، لكن يمكنني أن أبحث.

- فقط اجعل الأمر سرّيًّا يا سيفيرارد، هل تفهمني؟ يجب ألا يعرف أحد عن هذا. أعني ذلك.

- السرية هي ما أتميز به، أيها الزعيم. اسأل أي شخص. السرية. هذا أنا. معروف بذلك.

- من الأفضل أن تكون كذلك يا سيفيرارد. من الأفضل أن تكون. وإلا فقد نخسر رؤوسنا.

جلس جلوكتا محشورًا في نافذة صغيرة، مسندًا ظهره إلى الحجارة وساقه اليسرى ممدودة أمامه كفرن ملتهب ينبض بالألم. كان يتوقع الألم بالطبع، في كل لحظة من كل يوم. لكن هذا شيء خاص نوعًا ما.

كل نفس كان أنينًا مرتجفًا عبر فكين متصلبين. كل حركة، مهما كانت صغيرة، كانت مهمة شاقة. تذكر كيف كان المارشال فاروز يجعله يركض صعودًا ونزولًا على هذه الدرجات عندما كان يتدرب للمسابقة، منذ سنوات.

كنت أتسلقها ثلاث درجات في كل مرة، صعودًا وهبوطًا دون تفكير. انظر إلى حالي الآن. من كان ليظن أن الأمور ستصل إلى هذا؟

كان جسده المرتعش يتصبب عرقًا، وعيناها تحترقان بالدموع، وأنفه المتوهج يسيل بالمخاط. كل هذا الماء يتدفق مني، ومع ذلك أشعر بالعطش الشديد. أين المنطق في ذلك؟ أين المنطق في أي شيء؟ ماذا لو مر أحدهم ورآني بهذا الحال؟ جلد جهاز الاستجواب المرعب، مرمي على مؤخرته في نافذة، بالكاد قادر على الحركة؟ هل سأجبر ابتسامة غير مبالية على هذا القناع المتصلب من الألم؟ هل سأتظاهر أن كل شيء على ما يرام؟ وأنني غالبًا ما آتي إلى هنا لأستلقي بجانب الدرج؟ أم سأبكي وأصرخ وأتوسل للمساعدة؟ لكن لم يمر أحد. ظل مستلقيًا هناك، محشورًا في ذلك المكان الضيق، على بعد ثلاثة أرباع الطريق من قمة برج السلاسل، ورأسه مستند على الحجارة الباردة، وركبته المرتعشتان مشدودتان أمامه. ساند دان جلوكتا، المبارز البارع، ضابط الفرسان الفاتن، أي مستقبل مجيد قد ينتظره؟ كان هناك وقت كنت أستطيع الركض لساعات. الركض دون أن أتعب أبدًا. شعر بقطرة من العرق تنساب على ظهره. لماذا أفعل هذا؟ لماذا بحق الجحيم قد يفعل أي شخص هذا؟ أستطيع التوقف اليوم. أستطيع العودة إلى أُمي. ولكن ماذا بعد ذلك؟ ماذا بعد ذلك؟

- أيها المحقق، سعيد بوجودك هنا. (هذا جيد لك، أيها اللقيط. أنا لست كذلك. استند جلوكتا إلى الحائط عند قمة الدرج، وجزَّ بأسنانه القليلة على لثته) إنهم بالداخل، الفوضى كبيرة. (ارتعشت يد جلوكتا، واهتزت رأس عصاه ضد الحجارة. كان رأسه يدور، والحارس أمامه يبدو ضبابيًا وخافتًا من خلف جفنيه المرتعشين) هل أنت بخير؟

انحنى الحارس نحوه بذراع ممدودة.

رفع جلوكتا رأسه: «افتح الباب اللعين، أيها الأحمق!».

قفز الرجل متراجعًا، وهرع إلى الباب ليفتحه. كل جزء في جسد جلوكتا كان يتوق للاستسلام والسقوط على وجهه، لكنه أجبر نفسه على الوقوف منتصبًا. أجبر قدمه على التحرك واحدة تلو الأخرى، أجبر أنفاسه على الانتظام، أجبر كتفيه على التراجع للخلف ورفع رأسه عاليًا، وتقدم متعرجًا

متجاوزًا الحارس، وكل جزء في جسده يغني بالألم. ما رآه وراء الأبواب كاد يحطم واجهته من الثبات.

بالأمس كانت هذه واحدة من أفخم الغرف في الأجيوننت. كانت مخصصة لأشرف الضيوف وأهم الشخصيات الأجنبية. بالأمس. تمزقت فجوة كبيرة في أحد الجدران حيث كان ينبغي أن تكون النافذة، وسطعت السماء منها بعد ظلام الدرج. انهار جزء من السقف، أخشاب مكسورة وقطع من الجص متدلّية في الغرفة. تغطت الأرضية بقطع من الحجارة، وشظايا زجاج، وقطع ممزقة من القماش الملون. تحطم الأثاث العتيق لشظايا متناثرة، واحترقت حوافه واسودت كما لو بفعل نار. لم ينجُ سوى كرسي واحد، ونصف طاولة، وجرة تزيين طويلة، كانت بطريقة غريبة سليمة في وسط هذه الفوضى.

في وسط هذا الدمار الباهظ الثمن، وقف شاب يبدو عليه الارتباك والمرض. رفع بصره نحو جلوكتا وهو يشق طريقه عبر الركاب عند الباب، ولسانه يتحرك بقلق فوق شفّتيه، وكأنه على وشك الانهيار. لا يمكن لأحد أن يبدو أكثر من ذلك احتيلاً.

- اه، صباح الخير؟

تلاعبت أصابع الشاب بتوتر على رداءه، الذي كان ثقيلاً ومزيناً برموز غامضة. ألا يبدو غير مرتاح فيه؟ إن كان هذا الرجل تلميذ الساحر، فأنا إمبراطور جوركول!

- أنا جلوكتا، من جهاز استجواب جلالته. أرسلت للتحقيق في هذه... الحادثة المؤسفة. كنت أتوقع شخصاً أكبر سناً.

- أه، نعم، آسف، أنا مالاكوس كواي، (تلعثم الشاب) تلميذ العظيم باياز، أول المجوس، العظيم في الفن الأعلى والمتعلم في الحكمة العميق...

اركعوا، اركعوا أمامي! أنا إمبراطور جوركول العظيم! قاطعه جلوكتا بفضاضة: «مالاكوس.. كواي. هل أنت من الإمبراطورية القديمة؟».

- نعم، (أشرق وجه الشاب قليلاً) هل تعرف...

- لا. مطلقاً. (شحب وجهه مرة أخرى) هل كنت هنا الليلة الماضية؟

- أه، نعم، كنت نائماً في الغرفة المجاورة. للأسف، لم أر شيئاً.

حدق جلوكتا إليه، بنظرة ثابتة لا ترمش، يحاول فهمه. سعل التلميذ ونظر إلى الأرض، وكأنه يتساءل من أين يبدأ في تنظيف الفوضى. هل يمكن لهذا

التافه أن يملك ما يُشعر المقرئ الأعلى بالقلق؟ ممثل بائس. كل تصرفاته تفوح بالخداع.

- ولكن شخصًا ما رأى شيئًا، أليس كذلك؟
- حسنًا، آه، ربما السيد تسع أصابع، أعتقد...
- تسع أصابع؟
- نعم، رفيقنا الشمالي. أشرق وجه الشاب. محارب ذو شهرة عظيمة، بطل، أمير بين قومه...
- أنت من الإمبراطورية القديمة. وهو رجل شمالي. يا لكم من فرقة كوزموبوليتانية.
- حسنًا، نعم، هاها، أعتقد أننا كذلك...
- أين الأصابع التسع الآن؟
- ما زال نائمًا على ما أظن، آه، يمكنني إيقاظه...
- هل تتلطف وتفعل ذلك؟ (ضرب جلوكتا الأرض بعصاه) لقد كان صعودًا متعبًا، ولا أرغب في العودة لاحقًا.
- لا، بالطبع، آسف.

أسرع الشاب نحو أحد الأبواب، وبينما استدار جلوكتا متظاهرًا بفحص الجرح الهائل في الجدار كان يتلوى من الألم ويعض شفتيه كي لا يصرخ كطفل مريض. أمسك بالحجارة المكسورة عند حافة الثقب بيده الحرة، ضاغطًا عليها بأقصى ما يستطيع.

بعد مرور التشنج، بدأ في إيلاء المزيد من الاهتمام للدمار. حتى على هذا الارتفاع، كان الجدار سميكًا، قرابة أربعة أقدام، مبنياً بشكل متين من الحجارة الملتصقة بالملاط، ومغطى بكتل حجرية مقطوعة. كان الأمر يتطلب حجرًا من منجنيق هائل ليحدث هذا الخرق، أو فريقًا من العمال الأقوياء يعملون ليل نهار لأسبوع كامل. لا شك أن مُعدّة حصار عملاقة أو فريقًا من العمال كان سيلفت انتباه الحراس. فكيف حدث ذلك؟ مرر جلوكتا يده فوق الحجارة المتشقة. سمع شائعات ذات مرة أنهم يستخدمون في الجنوب البعيد نوعًا من المسحوق المتفجر. هل من الممكن أن تحدث كمية قليلة من هذا المسحوق؟

فُتِحَ الباب واستدار جلوكتا ليرى رجلًا كبيرًا ينحني ليتجاوز عتبة الباب العلوية المنخفضة، وهو يزرر قميصه بيدين بطيئتين وثقيلتين. نوع من البطء المدروس، وكأنه يستطيع التحرك بسرعة لكنه لا يرى فائدة في ذلك. شعره كان كتلة متشابكة، وتغطى وجهه المتورم بندوب قبيحة. الإصبع الوسطى من يده اليسرى كانت مفقودة. ومن هنا جاء اسم الأصابع التسع. يا لفكرة الخلاقة!

- تنام لوقت متأخر؟

أوماً الرجل الشمالي: «مدينتكم حارة جدًا بالنسبة لي... تُبقيني مستيقظًا في الليل وتجعلني ناعسًا في النهار».

كانت ساق جلوكتا تنبض بالألم، وظهره يئن، ورقبته متصلبة كغصن يابس. بالكاد يستطيع إخفاء عذابه. كان مستعدًا لفعل أي شيء ليتمدد على ذلك الكرسي السليم الوحيد ويصرخ بأعلى صوته. لكن يجب عليّ أن أقف هنا وأتبادل الحديث مع هؤلاء الدجالين.

- أيمكنك أن تشرح لي ماذا حدث هنا؟

هز الأصابع التسع كتفيه: «أردت أن أتبول في الليل. رأيت شخصًا في الغرفة».

يبدو أنه لا يجد صعوبة في اللغة العامية، حتى لو كانت كلماته بالكاد لائقة.

- هل رأيت من كان هذا الشخص؟

- لا. كانت امرأة، هذا كل ما رأيته.

حرك كتفيه، ووضح عليه الشعور بعدم الراحة.

- امرأة، حقًا؟ يبدو أن هذه القصة تزداد سخافة مع مرور الوقت. هل هناك أي شيء آخر؟ هل يمكننا تضيق البحث ليشمل أقل من نصف السكان؟

- كان الجو باردًا. بارد جدًا.

- بارد؟

بالطبع، ولم لا؟ في واحدة من أكثر الليالي حرارة في السنة. حرق جلوكتا إلى عيني الشمالي لفترة طويلة، والشمالي بدوره بادلته النظر. عينان زرقاوان

باردتان، غائرتان. ليستا عيني أحرق. قد يبدو مثل القرد، لكنه لا يتحدث كواحد. يفكر قبل أن يتحدث، ثم يقول أقل مما يعرف. هذا رجل خطر.

- ما هو عملك في المدينة، يا سيد تسع أصابع؟

- جئت مع باياز. إذا كنت تريد معرفة ما يفعله، يمكنك سؤاله. بصراحة، لا أعلم.

- هل يدفع لك إذن؟

- لا.

- أنت تكّن له الولاء إذن؟

- ليس تمامًا.

- ولكنك خادمه؟

- لا. ليس حقًا. (حك الشمالي ذقنه الشعثاء ببطء) لا أعلم ما أنا.

أنت كاذب كبير وقبيح، هذا ما أنت عليه. لكن كيف يمكنني إثبات ذلك؟ لوّح جلوكتا بعصاه مشيرًا إلى الغرفة المحطمة: «كيف تسبب دخيلك في كل هذا الدمار؟».

- باياز هو من فعل ذلك.

- هو؟ كيف؟

- بالفن، كما يسميه.

- الفن؟

قال المتدرب بصوت متحلق، وكأنه ينطق بحكمة عظيمة: «السحر الأساسي هو قوة جامحة وخطيرة، لأنه يأتي من الجانب الآخر، ولمس العالم السفلي محفوف بالمخاطر. يمزج المجوسي السحر بالمعرفة، وبالتالي ينتج الفن العالي، ولكن مثل الحداد...».

قطع جلوكتا حديث الشاب الأحمق بحدة: «الجانب الآخر؟ العالم السفلي؟ هل تعني الجحيم؟ السحر؟ هل تعرف أي سحر، يا سيد تسع أصابع؟».

- أنا؟ (وضحك الشمالي) لا. (فكر للحظة، ثم أضاف، كما لو كان قد تذكّر شيئاً) لكنني أستطيع التحدث إلى الأرواح.

- الأرواح، أهذا صحيح؟ يا إلهي. ربما يمكنهم أن يخبرونا من كان هذا المتسلل؟

- لا أعتقد ذلك. (هزَّ الأصابع التسع رأسه بحزن، إما أنه لم يلتقط السخرية وإما اختار تجاهلها) لا يوجد أرواح مستيقظة هنا. إنهم نائمون منذ وقت طويل.

- آه، بالطبع. لقد تخطينا موعد نوم الأرواح. أشعر بالسأم من هذا الهراء. أنت من عند بيثود، أليس كذلك؟

- يمكنك قول ذلك. (وهنا تفاجأ جلوكتا، فأقصى ما توقَّعه هو شهقة شديدة منه أو محاولة إخفاء سريعة، لكنه حصل على اعتراف صريح بدلاً من ذلك. لم يرمش الأصابع التسع حتى) كنت بطلاً له.

- بطلاً؟

- خضتُ له عشر مبارزات.

بحث جلوكتا عن الكلمات: «هل فزت بها؟».

- كنت محظوظاً.

- أنت تدرك بالطبع أن بيثود قد غزا الاتحاد؟

- أدرك ذلك. (تنهد الأصابع التسع) كان يجب أن أقتل هذا الوغد منذ وقت بعيد، لكنني كنت شاباً وغبياً. الآن أشك أنني سأحصل على فرصة أخرى، لكن هذه هي الحياة. عليك أن تكون... ما الكلمة المناسبة؟ قال كواي: «واقعيّاً».

قطَّب جلوكتا جبينه. قبل لحظات كان على وشك أن يفهم كل هذا الهراء، لكن اللحظة انسلت بعيداً وأصبح كل شيء أقل منطقية من ذي قبل. حدَّق إلى الأصابع التسع، لكن لم يحمل وجهه المملوء بالندوب أي إجابات، فقط المزيد من الأسئلة. يتحدث إلى الأرواح؟ بطل بيثود ولكنه عدوه؟ هاجمته امرأة غامضة في منتصف الليل؟ ولا يعرف حتى لماذا هو هنا؟ الكاذب الذكي يخبر بعض الحقيقة، لكن هذا يكذب كثيراً لدرجة أنني لا أعرف من أين أبدأ.

- آه، لدينا ضيف!

دخل رجل مسن إلى الغرفة، عريض الجسد وممتلئ بلحية رمادية قصيرة، وهو يفرك بقطعة قماش رأسه الأصلع بنشاط. إذن فهذا هو باياز؟ جلس على الكرسي الوحيد السليم في الغرفة، يتحرك دون أي رشاقة قد تتوقعها من شخصية تاريخية مهمة.

- يجب أن أعذر. كنت أستمع بالحمام. حمام جميل جدًا. اغتسلت كل يوم منذ وصولنا إلى الأجيوننت. لقد أصبحت قذرًا للغاية بسبب رحلتنا، فلم أفوت الفرصة للعودة إلى النظافة.

فرك الرجل العجوز رأسه الأصلع مرة أخرى بصوت منخفض.

قارن جلوكتا ملامحه في رأسه بتمثال باياز في طريق الملوك. لا شيء مميز في الشبه. نصف ما كان يبدو عليه من هيبة، وقصير القامة بشكل ملحوظ. أعطني ساعة وسأجد خمسة مسنين يبدون أكثر إقناعًا. ولو أتيح لي استخدام الموس على المقرئ الأعلى سولت، لجعلته يشبهه بشكل أفضل من ذلك. نظر جلوكتا إلى رأسه اللامع. أتراه يستخدم الموس كل صباح؟
سأل المدعو باياز: «ومن أنت؟».

- المحقق جلوكتا.

- آه، أحد محققي جلالته. يُشرفنا وجودك!
- أوه لا، الشرف لي أنا. فأنت، في النهاية، باياز الأسطوري، أول المجوس. حدّق الرجل العجوز إليه بعينيه الخضراوين الحادتين: «أسطوري قد تكون مبالغة، لكن أنا باياز».

- رفيقك، السيد تسع أصابع، كان يحكي لي أحداث الليلة الماضية. قصة ملونة. يدّعي أنك تسببت... في كل هذا.

شخر الرجل العجوز: «لست معتادًا استقبال الضيوف غير المدعوين».
- أرى ذلك.

- للأسف، تضرر الجناح. من خبرتي، بعض المواقف تتطلب التصرف بسرعة وحسم. أما البقايا المتناثرة فيمكن جمعها لاحقًا..

- بالطبع. اعذر جهلي، سيد باياز، ولكن كيف، تحديدًا، حدث هذا الدمار؟
ابتسم الرجل العجوز: «تفهم بالطبع أننا لا نشارك أسرار جماعتنا مع أي أحد، وللأسف لديّ متدرب بالفعل».

وأشار إلى الشاب الذي لم يكن مقنعًا لأحد.

- لقد التقينا. إذن ربما تشرح لي بكلمات بسيطة، ليتسنى لي الفهم؟

- ستسميه سحرًا.

- سحر؟ أفهم.

- بالفعل. هذا ما يشتهر به المجوس في النهاية.

- هم. لا أظنك ستكون كريماً بما يكفي لتقديم عرض توضيحي من أجلي؟

- أوه لا! (قهقهه الساحر المزعوم بارتياح) أنا لا أقدم العروض الترفيهية. هذا العجوز محير بقدر الشمالي. بينما الأول يتحدث بالكاد، الآخر يتحدث كثيراً ولا يقول شيئاً.

- أعترف أنني في حيرة حول كيفية دخول هذا المتسلل. (نظر جلوكتا حول الغرفة، متفحصاً وسائل الدخول المحتملة) الحراس لم يروا شيئاً، وهذا يترك النافذة.

تقدم بحذر إلى الفجوة ونظر إلى الخارج. كانت هناك شرفة صغيرة، لكن لم يتبق منها سوى شظايا حجرية. عدا ذلك فالجدار ناعم ومستقيم حتى المياه المتلاثلة في الأسفل، على مسافة بعيدة.

- هذا تسلق صعب للغاية، خصوصاً إن كنت ترتدي فستاناً. ألا ترى ذلك؟ كيف تظن أن هذه المرأة تمكنت من ذلك؟

شخر الرجل العجوز: «هل تريد مني أن أقوم بعملك نيابةً عنك؟ ربما تسلّقت عبر مجرى الصرف! (بدا الشمالي مشمئزاً من هذه الفكرة) لماذا لا تقبض عليها وتساءلها؟ أليس هذا هو سبب وجودك هنا؟».

سريع الانفعال وفتيله قصير، وممثل بارع. تصرفاته توحى بالبراءة المجروحة بشكل مقنع، يكاد يقنعني بهذا الهراء. يكاد لكن ليس تمامًا.

- وهنا تكمن المشكلة. لا يوجد أي أثر لهذا المتسلل الغامض. لم يُعثر على جثة. بعض الأخشاب، قطع صغيرة من الأثاث، تناثرت الحجارة من الجدار في الشوارع بالأسفل. لكن لا شيء عن أي متسلل، من أي جنس.

حدق الرجل العجوز إليه، وبدأت تجاعيد وجهه تتقلص في عبوس قاسٍ: «ربما احترق الجسد حتى تلاشى. ربما تمزقت إلى أجزاء صغيرة جداً لا تُرى بالعين، أو تبخر في الهواء. السحر ليس دقيقاً دائماً، ولا متوقعاً، حتى في يد متمرس ماهر. يمكن لمثل هذه الأمور أن تحدث بسهولة. وبخاصة عندما أشعر بالانزعاج».

قال جلوكتا، محاولاً الحفاظ على هدوئه: «أخشى أنني مضطر إلى المخاطرة بإزعاجك. خطر لي أنك، لست باياز، أول المجوس».

تقارب حاجبا الرجل العجوز الكثيفان: «حقاً؟».

- عليّ على الأقل أن أضع في الحساب احتمالية (ساد صمت متوتر في الغرفة) أنك محتال.

صرخ المدعو بالساحر: «محتال؟».

انخفض رأس الشاب الشاحب وتراجع بصمت نحو الحائط. شعر جلوكتا فجأة بأنه وحيد في وسط تلك الدائرة الملأى بالركام، وحيد وغير متأكد من نفسه بشكل متزايد، لكنه تشجع وواصل الكلام: «لقد خطر لي أن هذا الحدث بأكمله قد دُبر من أجلنا. عرض مريح يلائم قدراتك السحرية».

همس العجوز الأصلع، بدا صوته عالياً بشكل غير طبيعي: «مريح؟ مريح، تقول؟ سيكون من المريح أن أستمتع بالنوم الليلة دون انقطاع. سيكون من المريح أن أكون الآن جالساً في مقعدي القديم في المجلس المغلق. سيكون من المريح أن يأخذ الناس كلمتي كقانون، كما فعلوا من قبل، دون طرح الكثير من الأسئلة السخيفة!».

فجأة ازداد الشبه بالتمثال الموجود في طريق الملوك. ها هو الآن: عبوس القيادة، والسخرية المُحتقرة، وتهديد الغضب الرهيب. بدت كلمات العجوز كأنها تضغط على جلوكتا كوزن رهيب فوقه، تسلبه أنفاسه، تهدد بسحقه على ركبتيه، تهشم جمجمته وتترك وراءها شظايا من الشك. نظر جلوكتا إلى الثقب الواسع في الجدار. مسحوق؟ منجنيق؟ عمال؟ أليس هناك تفسير أبسط؟ بدا العالم من حوله يتغير، كما حدث في مكتب المقرئ الأعلى قبل أيام، عقله يحاول جمع القطع وتفكيكها. ماذا لو كانوا ببساطة يقولون الحقيقة؟ ماذا لو...

لا! أجبر جلوكتا الفكرة على الخروج من عقله. رفع رأسه وألقى نظرة ساخرة على الرجل العجوز. ممثل مسن برأس مخلوق وأسلوب مقنع، لا أكثر.

- إذا كنت من تدّعيه فعلاً، فليس لديك ما تخشاه من أسئلتي أو من إجابتك عنها.

ابتسم الرجل العجوز، وفجأة تلاشى الضغط الغريب: «على الأقل شجاعتك الأدبية أيها المحقق منعشة. لا شك أنك ستبذل قصارى جهدك لإثبات نظريتك.

أتمنى لك التوفيق. كما قلت، لا شيء لدي لأخشاه. أطلب منك فقط أن تجد دليلاً على هذا الاحتيال قبل أن تزعجنا مجددًا».

انحنى جلوكتا بصلابة وقال وهو يتجه نحو الباب: «سأحاول القيام بذلك».

- هناك شيء آخر! (كان العجوز ينظر نحو الثقب المفتوح في الجدار)
هل سيكون من الممكن العثور على غرف أخرى؟ الرياح هنا باردة بعض الشيء.

- سأبحث في الأمر.

- جيد. ربما مكان به عدد أقل من الدرجات. هذه الدرجات اللعينة تثير الجحيم في ركبتني هذه الأيام.

بالفعل. على الأقل هنا نتفق. ألقي جلوكتا نظرة أخيرة على ثلاثتهم. بادل العجوز الأصلع النظر، ووجهه كالجدار الفارغ. نظر إليه الشاب النحيف بقلق ثم ابتعد سريعاً. الرجل الشمالي لا يزال يحدق عابساً باتجاه باب المرحاض. دجالون، محتالون، جواسيس. لكن كيف يمكنني إثبات ذلك؟

- يومكم سعيد، أيها السادة.

ثم شق طريقه نحو الدرج بأكبر قدر من الكرامة يستطيع استجماعه.

نبل

كحت چيزال آخر الشعيرات الشقراء عن جانب فكّه، وغسل موس الحلاقة في الوعاء. ثم مسحه بقطعة قماش، وأغلقه بعناية قبل أن يضعه على الطاولة، مُعجبًا بلمعان ضوء الشمس على مقبضه المصنوع من عرق اللؤلؤ.

مسح وجهه، ثم -لحظته المفضلة في يومه- التحديق بنفسه في المرأة. كانت مرآة جيدة، مستوردة حديثًا من فيسيرين، هدية من والده: بيساوية الشكل، زجاجها نقي وناعم، مُحاطة بإطار من الخشب الداكن المنحوت بفخامة. إطار يليق برجل وسيم كالرجل الذي كان ينظر بسعادة إلى انعكاسه. في الواقع وصفه بالوسيم لم يوفّه حقه.

قال چيزال لنفسه مبتسمًا: «أنت جميل بحق، أليس كذلك؟»، ومرار أصابعه على جلد فكّه الأملس. يا له من فك! كثيرًا ما قيل له إنه أفضل ملامحه، لا يعني ذلك أنه يوجد أي عيب في ملامحه الأخرى بالطبع.. استدّار إلى اليمين، ثم إلى اليسار، ليتأمل ذقنه المبهّر بشكل أفضل. ليس مشعرًا جدًّا ليببدو وحشيًا، ولا أملس ليببدو أنثويًا أو ضعيفًا. فكُّ رجولي بلا شك، مع شق بسيط في الذقن، يعكس القوة والسلطة، لكنه يحمل أيضًا لمسة من الحساسية والتأمل. هل وُجد فكُّ كهذا من قبل؟ ربما ملك أو بطل أسطوري امتلك فكًّا يكاد يضاهيه. فك نبيل بلا شك، لا يمكن أن يملكه رجل عادي.

لا بد أنه جاء من ناحية والدته، حسب ظن چيزال. فوالده امتلك ذقنًا ضعيفًا، وكذلك إخوته، إذا فكر في الأمر. لا بد أن تشعر بالأسف نحوهم قليلًا، فقد أخذ كل الجمال في عائلته.

تمتم بسعادة لنفسه: «وأغلب الموهبة أيضًا». ثم ابتعد عن المرأة على مضض، واتجه إلى غرفة المعيشة، مرتديًا قميصه وهو يغلق أزراره. كان عليه

أن يبدو في أفضل هيئة اليوم. مجرد التفكير في ذلك جعل شعورًا خفيفًا من التوتر يتسلل إلى معدته، يصعد عبر حنجرتة، ويستقر في حلقه.

بحلول هذا الوقت، ستكون البوابات مفتوحة. سيتدفق طوفان مستمر من الناس إلى الأجيوننت، ويأخذون أماكنهم على المقاعد الخشبية الكبيرة في ساحة المارشالات. الآلاف منهم. كل من كان لديه متسابق، والأكثر ممن لم يكن لديهم. بدؤوا يتجمعون بالفعل: يصرخون، ويتدافعون، يتحمسون، ينتظرون... من أجله هو. سعل چیزال وحاول إبعاد هذه الفكرة عن ذهنه. لقد أبقي نفسه مستيقظًا معها لمدة نصف الليل بالفعل.

انتقل إلى الطاولة حيث كانت صينية الإفطار موضوعة. التقط أحد النقائق بين أطراف أصابعه دون تركيز، وأخذ قضمة من نهايتها، ومضغها دون استساغة. تجعد أنفه وألقى بها مرة أخرى في الطبق. لم يكن لديه شهية هذا الصباح. كان يمسح أصابعه على القماش عندما لاحظ شيئًا ملقى على الأرض بجوار الباب، قصاصة من الورق. انحنى والتقطها وفتحها. سطر واحد مكتوب بخط أنيق ودقيق:

قابلني الليلة عند تمثال

هارود العظيم بالقرب من الزوايا الأربع.

— آ.

تمتم غير مصدق: «تبًا»، وقرأ السطر مرارًا وتكرارًا. طوى الورقة وأغلقها، ونظر بعصبية إلى أرجاء الغرفة. لم يكن بوسع چیزال أن يفكر إلا في حرف «آ» واحد. لقد دفعها إلى مؤخرة تفكيره في اليومين الماضيين، وقضى وقت فراغه كله في التدريب. بلا شك فهذا أعاد إليه كل شيء رغمًا عنه.

فتح الورقة وقرأ السطر مرة أخرى: «تبًا!» قابلني الليلة؟ لم يستطع الهرب من شعور تدفق الرضا الخفيف من ذلك، وتحول ببطء إلى وهج واضح من المتعة. تجعد فمه في ابتسامة بلهاء. اجتماعات سرية في الظلام؟ وخزه جلده من الإثارة لهذا الاحتمال. لكن الأسرار لا تظهر منفردة، وماذا لو اكتشف شقيقها ذلك؟ جلبت هذه الفكرة اندفاعًا جديدًا لأعصابه. أخذ قصاصة الورق

بكلتا يديه، مستعداً لتمزيقها إلى نصفين، لكنه في اللحظة الأخيرة طواها، ووضعها في جيبه.

وبينما كان چيزال يشق طريقه عبر النفق، سمع صوت الجمهور. مهمة غريبة ومجوفة، وكأنها تنبعث من الحجارة. بالطبع كان قد سمعها من قبل، كمتفرج في مسابقة العام الماضي، لكنها لم تجعله يتصبب عرقاً أو تجعل أمعاه ترتبك حينها. أن تكون جزءاً من الجمهور شيء، وأن تكون جزءاً من العرض شيء آخر تماماً.

بينما توقف للحظة وأغمض عينيه، مسنداً ظهره إلى الجدار، كان صوت الجمهور يتدفق في أذنيه. حاول أن يأخذ نفساً عميقاً ليهدي نفسه.

- لا تقلق، أعرف تماماً ما تشعر به. (شعر چيزال بيد ويست المطمئنة على كتفه) كاد الخوف يغلبني وأهرب أول مرة، لكن صدقني، سيختفي كل ذلك بمجرد أن تُسَلَّ السيوف.

تمتم چيزال: «نعم، بالطبع». لم يظن أن ويست عرف فعلاً ما شعر به. الرجل قد يكون خاض عدة مسابقات من قبل، لكن تشكك چيزال أنه قد فكر في لقاء سري مع أخت أعز أصدقائه في الليلة نفسها. تساءل لو علم ويست بمحتوى الرسالة التي في جيبه هل سيكون باللطف نفسه. لا يرجح ذلك.

- الأفضل أن نتحرك. لا نريد أن يبدووا من دوننا.

أخذ چيزال نفساً عميقاً أخيراً: «لا»، وفتح عينيه وزفر بقوة. ثم دفع نفسه بعيداً عن الجدار وتقدم بسرعة في النفق. اجتاحه فجأة شعور بالذعر؛ أين سيوفه؟ نظر حوله بجنون، ثم أطلق زفرة طويلة. لقد كانت في يده.

كان هناك حشد كبير في القاعة عند نهاية النفق: مدربون، مساعدون، أصدقاء، أفراد العائلة ومتطفلون. لكن المتسابقين كان يمكن تمييزهم بسهولة؛ خمسة عشر شاباً يمسكون سيوفهم بإحكام. شعور الخوف كان ملموساً، ومُعدياً. وفي كل اتجاه نظر إليه چيزال، رأى وجوهاً شاحبة، جباهاً متعرقه، وعيوناً قلقة تنتقل في المكان. لم يساعد صوت الجمهور خارج الأبواب المغلقة في نهاية القاعة، ارتفع وهبط مثل بحر هائج.

رجل واحد لم يبد عليه الانزعاج من الحدث مطلقاً، وقف يستند إلى الجدار وحده، ورفع قدمًا واحدة على الجص ورأسه مائل للخلف، ينظر بازدرء إلى الحاضرين بعينين بالكاد مفتوحتين. معظم المتسابقين كانوا نحيفين، ومتوترين، ورياضيين. أما هو فكان العكس تمامًا. رجل ضخم، ثقيل، ذو رأس حليق بزغب داكن. كان عنقه سميكًا، وذقنه عريضًا - ذقن رجل من العامة، كما ظن چیزال - لكنه رجل عامي ضخم وقوي ذو نزعة قاسية. ربما ظن چیزال أنه خادم لأحدهم لولا أنه كان يمسك بسيفين متدليين من يده.

همس ويست في أذن چیزال: «جورست».

- همم، يبدو أشبه بعامل أكثر منه مبارزًا.

- ربما، لكن المظاهر خادعة.

خفت صوت الجمهور ببطء، كذلك الهمسات المتوترة داخل القاعة. رفع ويست حاجبيه وهمس: «خطاب الملك».

- أصدقائي! أبناء بلدي! مواطنو الاتحاد!

جاء صوته جهوريًا، مسموعًا بوضوح حتى عبر الأبواب الثقيلة.

شخر ويست ساخرًا: «هوف، حتى هنا يأخذ مكان الملك. لم لا يضع التاج وينتهي من الأمر؟».

دوى صوت اللورد هوف: «قبل شهر من اليوم، طرح زملائي في المجلس المغلق سؤالًا.. هل ينبغي إقامة المسابقة هذا العام؟ (ارتفعت أصوات الهتاف والصيحات الغاضبة من الجمهور. صاح هوف) سؤال مشروع! لأننا في حالة حرب! صراع مميت في الشمال! الحريات التي نعتز بها، تلك الحريات التي تجعلنا موضع حسد العالم، نمط حياتنا ذاته، يهددها المتوحشون!».

أحد الكتبة تجول في القاعة، ليفصل المتسابقين عن عائلاتهم، ومدربيهم، وأصدقائهم. قال ويست: «حظًا سعيدًا، (وصفع چیزال على كتفه) أراك في الخارج». كان قم چیزال جافًا، ولم يستطع إلا أن يهز رأسه موافقًا.

علا صوت هوف خلف الأبواب: «وهؤلاء من طرحوا السؤال كانوا رجالًا شجعانًا! حكماء! وطنيين جميعًا! زملائي الأقوياء في المجلس المغلق! فهمت لم قد يعتقدون أن المسابقة يجب ألا تُقام هذا العام! (ثم توقف طويلًا) لكنني قلت لهم، لا!».

اندلع هتاف جنوني من الجمهور. صرخ الحشد. «لا! لا!» وُجَّهَ چيزال إلى طابور المتسابقين الآخرين، اثنان جنباً إلى جنب، في ثمانية أزواج. كان يتفحص سيوفه بلا وعي في أثناء مواصلة كبير أمناء البلاط خطبته، رغم أنه قد فحصها عشرين مرة من قبل.

- قلت لهم، لا! هل نسمح لهؤلاء الهمج، هؤلاء الحيوانات القادمة من الشمال المتجمد، أن يطنوا طريقتنا في الحياة؟ هل نسمح لمنارة الحرية تلك، وسط ظلام العالم، أن تنطفئ؟ قلت لهم، لا! حريتنا ليست للبيع بأي ثمن! فلتثقوا يا أصدقائي، يا أبناء بلدي، يا مواطني الاتحاد، فلتثقوا أننا.. سننتصر في هذه الحرب!

ارتفعت موجة جديدة من الهتاف المؤيد. بلع چيزال ريقه ونظر حوله بقلق. وقف بريمر دان جورست بجانبه، وذاك الوغد الضخم تجرأ حتى على أن يغمز له، مبتسماً كما لو لم يكن لديه أدنى اهتمام بالعالم. همس چيزال لنفسه: «أيها الأحقق اللعين»، حريصاً على عدم تحريك شفتيه.

- وهكذا، يا أصدقائي، وهكذا، (تعالت صيحات هوف الختامية) ما أروع هذه المناسبة، ونحن نقف على شفا الخطر، للاحتفال بمهارة وقوة وبسالة بعض من أشجع أبناء أمتنا! يا مواطني الاتحاد، أقدم لكم متسابقكم!

انفتحت الأبواب، واندفع صوت الحشد إلى القاعة مثل عاصفة مدوية، مرتفعاً بشكل يصم الآذان. بدأ الزوجان الأولان من المبارزين بالسير عبر الممر المقوس المضيء، ثم الزوجان التاليان، ثم اللذان يليانهما. كان چيزال متأكداً أنه سيتجمد في مكانه، يحدق بلا حراك كالأرنب المذعور، لكن عندما حان دوره، تحركت قدماه بخطى واثقة بجانب جورست، وكعبا حذاءه اللامعان يصدحان على البلاط وهو يعبر الباب العالي.

كانت ساحة المارشالات قد تحولت تماماً. من جميع الجهات، امتدت المدرجات العظيمة، ممتلئة بجماهير هائلة تغلي بالحماس. سار المتسابقون في وادٍ عميق بين المدرجات الشاهقة لوسط هذا الميدان العظيم، الذي ارتفعت فيه العوارض والدعائم والأعمدة الخشبية على الجانبين فبدا كغابة مظلمة. وأمامهم على مسافة بعيدة، وُضع ميدان المبارزة، حلقة صغيرة من العشب الأصفر الجاف وسط بحر من الوجوه.

بالقرب من المقدمة، مَيَّزَ چيزال الأغنياء والنبلاء. مرتدين أبهى حللهم، ويحجبون أعينهم عن الشمس الساطعة، وبدوا غير مكثرئين بالعرض أمامهم. أما في الخلف، وعلى ارتفاع أعلى، أصبحت الأشكال أقل وضوحًا والملابس أقل فخامة. الأغلبية الساحقة من الجمهور كانت مجرد نقاط ملونة مبعثرة حول حافة المدرج البعيدة الشاهقة، لكن العامة عَوَّضُوا بَعْدَهُمْ بحماستهم؛ كانوا يهتفون، يصيحون، يقفون على أطراف أصابعهم ويرفعون أذرعهم في الهواء. وفوقهم، علت قَمَمُ المباني الشاهقة المطلة على الساحة كجزر وسط المحيط، وامتلات نوافذها وحواجز شرفها بالمشاهدين صغار الحجم.

تأمل چيزال هذا العرض الهائل من البشر. جزء منه أدرك أن فمه كان مفتوحًا، لكن ذلك الجزء كان صغيرًا جدًا حتى يُغْلِقَهُ. شعر بالغثيان. عِلِمَ أَنَّهُ كان ينبغي له أن يأكل شيئًا ما، لكن فات الأوان الآن. ماذا لو تقيأ هنا، أمام نصف العالم؟ شعر باندفاعة من الهلع الأعمى مجددًا. أين سيوفه؟ أين هي؟ في يده. في يده. كان الجمهور يهتف ويصيح ويئن بأصوات متنوعة.

بدأ المتسابقون بالابتعاد عن الدائرة. لن يشاركوا جميعهم في القتال اليوم، معظمهم سيكتفون بالمشاهدة. كما لو كان هناك حاجة إلى مزيد من المتفرجين. بدؤوا في التوجه نحو المقاعد الأمامية، لكن چيزال لم يكن معهم، ويا للأسف. توجه نحو السقيفات المخصصة للمتسابقين الذين يستعدون للقتال.

جلس بجانب ويست متخبطًا، وأغلق عينيه ومسح جبينه المتعرق في أثناء هتاف الجمهور. كل شيء كان ساطعًا جدًا، صاخبًا جدًا، ومربكًا بشكل لا يحتمل. المارشال فاروز كان قريبًا، يميل إلى جانب السقيفة ليصرخ في أذن شخص ما. حدَّقَ چيزال عبر الساحة إلى شاغلي المقصورة الملكية في الجهة المقابلة، باحثًا بيأس عن أي إلهاء.

همس ويست في أذن چيزال: «يبدو أن جلالة الملك مستمتع بالعرض».

- همم.

الحقيقة أن الملك بدا أنه قد غرق بالفعل في نوم عميق بالفعل، وتاجه مائل على رأسه. تساءل چيزال بلا مبالاة عما سيحدث إذا سقط التاج.

كان ولي العهد، الأمير لاديسلا، موجودًا هناك، يرتدي أبهى الملابس كعادته، يبتسم ابتسامة عريضة وكأن كل هذا المشهد أقيم من أجله. أما شقيقه

الأصغر، الأمير راينولت، فكان مظهره مختلفًا تمامًا؛ بسيطًا وجادًا، يعبس بقلق تجاه والده شبه الواعي. جلست والدتهما، الملكة، بجانبهما، منتصبة الظهر ورأسها مرفوع، متظاهرة بجدية أن جلالة زوجها كان مستيقظًا، وأن تاجه ليس في خطر من السقوط في حجرها فجأة وبألم. بين الملكة واللورد هوف، لفتت انتباه چيزال امرأة شابة، جميلة جدًا جدًا. كانت ترتدي ملابس أعلى حتى من ملابس لاديسلا، إن كان ذلك ممكنًا، وعقدًا ضخمًا من الألماس حول عنقها، يلتمع بشدة في الشمس.

سأل چيزال: «من هذه المرأة؟».

همس ويست: «آه، الأميرة تيريز، ابنة الدوق الأكبر أورسو، اللورد حاكم تالينز. إنها واحدة من أجمل النساء المعروفة، ويبدو أن الشائعات لم تبالغ هذه المرة».

- ظننت أنه لا يأتي شيء جيد من تالينز.

- هكذا يُقال، لكن أعتقد أنها قد تكون الاستثناء، أليس كذلك؟ (لم يكن چيزال مقتنعًا تمامًا. كانت رائعة الجمال، بلا شك، لكن هناك نظرة باردة متعالية في عينيها) أعتقد أن الملكة تنوي أن تزوجه للأمير لاديسلا.

وبينما كان چيزال يراقب، مال ولي العهد فوق والدته ليمطر الأميرة ببعض الثرثرة التافهة، ثم انفجر في ضحك صاخب على نكتته الخاصة، ضاربًا ركبته بفرح. ابتسمت الأميرة بابتسامة باردة، تشع احتقارًا ظاهرًا حتى من هذه المسافة. لكن لم يبدُ أن لاديسلا قد لاحظ تمامًا، وسرعان ما تحول انتباه چيزال. كان رجل طويل القامة يرتدي معطفًا أحمر يتجه بخطوات بطيئة نحو الدائرة. الحكم.

همس ويست: «حان الوقت».

رفع الحكم ذراعه بحركة مسرحية، ممددًا إصبعين، واستدار ببطء حول نفسه، منتظرًا أن يهدأ الضجيج. ثم صاح بصوت عالٍ: «اليوم ستشهدون مبارزتين بالسيف! (ثم رفع يده الأخرى، ممددًا ثلاث أصابع، وسط تصفيق الجمهور) كل منهما تتكون من أفضل ثلاث لمسات! (ثم رفع ذراعيه معًا) أربعة رجال سيتقاتلون أمامكم! اثنان منهم سيعودون إلى ديارهم... خالي

الوفاض. (أنزل الحكم إحدى ذراعيه وهز رأسه بحزن، وتنهى الجمهور بأسى) لكن اثنين سيتأهلان إلى الجولة التالية!».

فهتف الجمهور بصخب مؤيد. سأل المارشال فاروز وهو يميل فوق كتف چيزال: «مستعد؟».

يا له من سؤال غبي لعين. ماذا لو لم يكن مستعداً؟ هل سيلغون كل شيء؟ آسف يا جماعة، لست مستعداً؟ نراكم العام المقبل؟ لكن كل ما استطاع چيزال أن يقوله كان: «هممف».

صرخ الحكم: «لقد حان الوقت! (واستدار ببطء في وسط الساحة) لأول نزال لنا!».

صاح فاروز: «السترة!».

تلثم چيزال: «آه». وتعثّر مع الأضرار وخلع سترته، ورفع أكمام قميصه بطريقة ميكانيكية. ألقى نظرة جانبية ورأى خصمه يستعد بالطريقة نفسها. شاب طويل ونحيف، ذو ذراعين طويلتين وعينين ضعيفتين وباهتتين قليلاً. لم يبد خصماً مرعباً بأي حال. لاحظ چيزال أن يدي خصمه كانتا ترتجفان قليلاً وهو يتناول سيوفه من مساعده.

- تدرب على يد سيب دان فيسن، ومن مدينة روستود في ستاريكلاند. (توقف الحكم ليترك أكبر تأثير).. كورتيس دان برويا!

جاءت موجة من التصفيق الحماسي. شخر چيزال ساخراً. هؤلاء الحمقى سيفصفون لأي أحد.

وقف الشاب الطويل من مقعده وسار نحو الدائرة بخطى حازمة، سيوفه تتلأأ تحت أشعة الشمس. بينما كرر الحكم، «برويا!» اتخذ ذلك الأحمق الطويل مكانه. أخرج ويست سيوف چيزال من أغمدتها. صوت النصال المعدني أشعر چيزال بالغثيان مرة أخرى.

أشار الحكم مرة أخرى نحو سقيفة المتسابقين: «ومنافسه اليوم! ضابط في حرس الملك، تدرب على يد اللورد المارشال فاروز! (جاء تصفيق متفرق، وابتسم الجندي العجوز بسعادة) من مدينة لوثار في ميديرلاند، لكنه مقيم هنا في الأجيروننت... النقيب چيزال دان لوثار!».

ارتفعت موجة أخرى من التصفيق، أعلى بكثير مما تلقاه برويا. ترددت بعض الصرخات الحادة فوق الصخب. وأرقام يُصاح بها على شكل رهانات. شعر چيزال بموجة جديدة من الغثيان وهو ينهض ببطء.

قال ويست: «حظاً موفقاً». وناوله سيوفه المستعدة، مقابضها إليه.

صاح فاروز: «لا يحتاج إلى الحظ! هذا البرويا لا شيء! فقط راقب مدى ذراعيه! اضغط عليه، چيزال، اضغط عليه!».

استغرق الأبد حتى يصل إلى تلك الدائرة من العشب الجاف القصير، وصوت الجمهور يرتفع في أذنيه، لكن صوت نبضات قلبه كانت أعلى. كان يُدير مقابض سيوفه مراراً في راحتي يديه المتعرقتين. «لوثارا» كرر الحكم بابتسامة عريضة وهو يراقب اقتراب چيزال.

ومضت واختفت في ذهنه أسئلة تافهة لا صلة لها بأي شيء. هل كانت آردي تشاهده في الجمهور، تتساءل إن كان سيلتقيها تلك الليلة؟ هل سيُقتل في الحرب؟ كيف جلبوا العشب إلى ساحة المارشالات؟ نظر إلى برويا. هل كان يشعر بالطريقة نفسها؟ أصبح الجمهور هادئاً الآن، هادئاً جداً. ضغط الصمت على صدر چيزال وهو يأخذ مكانه في الدائرة، وداست قدماه على الأرض الجافة. هزَّ برويا كتفيه، وحرك رأسه، ورفع سيوفه. شعر چيزال بحاجة ملحة إلى التبول. ماذا لو تبول الآن؟ بقعة داكنة كبيرة تنتشر على بنطاله. الرجل الذي تبول على نفسه في المسابقة. لن يتخطى حدثاً كذلك أبداً، حتى لو عاش مئة عام.

دوى صوت الحكم: «أبدأ!».

لكن لم يحدث شيء. وقف الرجلان متقابلين، السيوف جاهزة. شعر چيزال برغبة في حك حاجبه. أراد ذلك، لكن كيف؟ لعق خصمه شفتيه، ثم خطا بحذر إلى اليسار. فعل چيزال الشيء نفسه. بدأ يطوفان حول بعضهما بحذر، وأحذيتهما تطحن العشب الجاف برفق: يقتربان من بعضهما ببطء، ببطء شديد. ومع اقترابهما، انكمش عالم چيزال إلى المسافة بين نؤابتي سيوفهما الطويلة. الآن كانت مجرد خطوة. الآن قدم. الآن ست بوصات فقط تفصل بينهما. كان ذهن چيزال بالكامل يتركز على هذين الطرفين المتلألئين. ثلاث بوصات. هجم برويا بضعف للأمام، فأبعد چيزال الضربة دون أن يفكر.

رنت السيوف بلطف معًا، وكأنها إشارة متفق عليها مع كل شخص في الساحة، وبدأ الصراخ مجددًا، أصوات متفرقة في البداية: «اقض عليه، لوثار!». - نعم! اطعن! اطعن!

لكن سرعان ما تحول الهتاف إلى بحر غاضب، يصعد ويهبط مع حركاتهما داخل الدائرة.

كلما رأى چيزال أكثر من هذا الأحمق الطويل، قلَّ خوفه. بدأت أعصابه تهدأ. طعن برويا مرة أخرى كالأخرق، ولم يكن على چيزال أن يتحرك كثيرًا. هجم برويا بضربة ضعيفة، فتصدى لها چيزال دون عناء. هجم برويا بقوة، لكنه فقد توازنه وتمادى في حركته. خطا چيزال حوله وطعنه في ضلوعه بطرف سيفه الطويل. كان الأمر سهلًا للغاية.

صاح الحكم: «نقطة لصالح لوثار!»، وهتفت الجماهير بحرارة. ابتسم چيزال لنفسه، مستمتعًا بتقدير الجمهور. كان فاروز محققًا، هذا الأحمق لم يكن يستحق القلق. ضربة واحدة أخرى وسيكون في الجولة التالية.

عاد إلى مكانه، وفعل برويا الشيء نفسه، وهو يفرك ضلوعه بإحدى يديه وينظر إلى چيزال بنظرة حاقدة من تحت حاجبيه. لم يكن چيزال متأثرًا. النظرات الغاضبة لا فائدة منها إذا كنت لا تستطيع القتال.

- ابدأ!

تقاربا بسرعة هذه المرة، وتبادلا بضع ضربات.

لم يستطع چيزال تصديق مدى بطء خصمه، وكأن سيوفه يزن كلُّ منها طنًا. تخطى برويا في الهواء بسيفه الطويل، محاولًا استخدام مداه لحصار چيزال، لكنه بالكاد استخدم سيفه القصير بعد، ولم يُنسق بين الاثنين على الإطلاق. الأسوأ من ذلك، بدا أنه يفقد أنفاسه، رغم أن المباراة بالكاد استمرت لدقيقتين. هل تدرب هذا الفلاح الأخرق على الإطلاق؟ أم أنهم جلبوه فقط لإكمال العدد، كخادم انتزع من الشارع؟ قفز چيزال مبتعدًا، وتراقص حول خصمه. تبعه برويا بتثاقل، عنيد لكنه غير كفء. بدأ الأمر يصبح محرجًا. لا أحد يستمتع بمباراة غير متكافئة، وكانت رعونة هذا الأحمق تحرم چيزال من فرصة التألق.

صرخ چيزال: «أوه، هيا!». انفجر الضحك في المدرجات. جزَّ برويا على أسنانه وتقدم بكل ما أوتي من قوة، لكن ذلك لم يكن كثيرًا. تصدى چيزال

لمحاولاته الضعيفة، وتفادى ضرباته، وبينما انساب فوق الدائرة كان خصمه المتخبط يتبعه دائماً بخطوات ثلاث متأخرة. لم يكن هناك أي دقة، ولا سرعة، ولا تفكير. قبل بضع دقائق، كان جيزال نصف خائف من فكرة المباراة مع هذا الأحمق الطويل. الآن، كاد يشعر بالملل.

صاح فجأة: «هاه!» وانتقل فجأة إلى الهجوم بضربات شرسة على خصمه جعلته يتراجع متعثراً. انتعش الجمهور وهتفوا بحماس. بدأ جيزال يطعن ويطعن مرة أخرى. حاول برويا التصدي بيأس، فاقداً توازنه، متراجعاً، تصدى بضربة أخيرة قبل أن يتعثر، ذراعه تتخبطان في الهواء، سيفه القصير طار من يده، وسقط خارج الدائرة على مؤخرته.

اجتاحت المدرجات موجة من الضحك، ولم يستطع جيزال إلا أن ينضم إليها. لقد بدا الأحمق المسكين مضحكاً، مقلوباً على ظهره وساقاه في الهواء مثل سلحفاة مقلوبة.

صاح الحكم: «الكابتن لوثار يفوز! اثنان مقابل لا شيء!». بينما تحول الضحك إلى صيحات استهجان تدرج برويا على الأرض. بدا على وشك البكاء، هذا الأحمق المسكين. تقدّم جيزال وعرض عليه يده، لكنه لم يستطع أن يمحو الابتسامة الساخرة عن وجهه تماماً. تجاهل خصمه المهزوم المساعدة بوضوح، ورفع نفسه عن الأرض، ناظراً إليه بنصف كراهية ونصف ألم.

هز جيزال كتفيه بلطف: «ليست غلطتي أنك سيئ».

سأل كاسبا: «المزيد؟» ومد الزجاجاة بيد مرتعشة، وعيناه مضببتان بالشراب.

- لا شكراً.

دفع جيزال الزجاجاة بلطف قبل أن يسكب كاسبا المزيد. بدا الأخير مشوشاً للحظة، ثم التفت إلى چالينهورم: «المزيد؟».

قال: «دائماً». دفع الضخم كوبه عبر الطاولة الخشنة بطريقة توحى بأنه «غير مخمور»، رغم وضوح العكس. أخفض كاسبا الزجاجاة نحو الكوب، محدقاً إليه كأنه بعيد جداً. راقب جيزال عنق الزجاجاة وهو يرتجف في الهواء، ثم يرتطم بحافة الكوب. كان انسكاب النبيذ حتمية مؤلمة لمن يشاهدها. انساب النبيذ عبر الطاولة وطرطش على حجر چالينهورم.

تذمر الرجل الضخم: «أنت ثمل!»، وترنح واقفًا، يمسح نفسه بيديه الثقيلتين المتعثرتين، وقلب كرسيه في العملية. نظر بعض رواد الحانة إلى طاولتهم بازدراء ظاهر.

ضحك كاسبا بخفة: «دائمًا!».

رفع ويست رأسه قليلًا عن كأسه: «أنتما ثملان».

بحث چالينهورم عن كرسيه: «ليس ذنبنا. إنه هو!».

وأشار بإصبع مرتعشة نحو چيزال. تلعثم كاسبا: «لقد فاز! أنت فزت، أليس كذلك؟ والآن علينا أن نحتفل! (تمنى چيزال لو لم يحتفلوا بهذا القدر. لقد أصبح الأمر مسرحًا) ابنة عمي أريس كانت هناك، رأت كل شيء. كانت معجبة جدًا. (ألقي كاسبا ذراعه حول كتف چيزال) أعتقد أنها مفتونة بك... مفتو... مفتو (بينما حاول أن يلفظ الكلمة كان يرشق چيزال بأنفاسه النتنة) إنها غنية جدًا، تعلم؟ غنية جدًا بالفعل».

جعد چيزال أنفه. لم يكن لديه أدنى اهتمام بابنة العم البلهاء الشاحبة تلك، مهما كان غناها، كما أن رائحة أنفاس كاسبا مقززة.

- حسنًا... جميل.

تخلص من ذراع الملازم ودفعه بعيدًا، دون رفق. سأل برنت بصوت أعلى مما يجب، وكأنه الوحيد المتحمس للانطلاق: «إذن، متى سنبدأ على هذا العمل في الشمال؟ أمل قريبًا، ونعود قبل الشتاء، أليس كذلك، أيها الرائد؟».

زمجر ويست، عابسًا لنفسه: «هاه! سنكون محظوظين لو غادرنا قبل الشتاء، بالمعدل الذي نسير به».

بدا برنت مصدومًا: «حسنًا، أنا واثق أننا سنلقن هؤلاء الهمج درسًا، وقتما نصل».

صاح كاسبا: «سنلقنهم درسًا!».

أومأ چالينهورم موافقًا: «أجل».

لم يكن ويست في المزاج المناسب: «لن أكون واثقًا جدًا لهذا الحد. هل رأيت حال بعض المجندين؟ بالكاد يستطيعون المشي فما بالك بالقتال. إنه أمر مخز».

أزاح چالينهورم كل ذلك بتلويحة غاضبة من يده: «إنهم ليسوا إلا همجًا، كلهم! سنطرحهم أرضًا، مثلما فعل چيزال بذلك الأحق اليوم، أليس كذلك، چيزال؟ ونعود قبل الشتاء، الجميع يقول ذلك!». .

سأله ويست وهو يميل عبر الطاولة: «هل تعرف الأرض هناك؟ غابات، جبال، أنهار، تمتد بلا نهاية. مساحة القتال ضيقة، وطرق السير نادرة. عليك أن تصل إلى الرجل قبل أن تبدأ في تلقيه درسًا. نعود قبل الشتاء؟ ربما الشتاء التالي، هذا إن عدنا أصلًا». .

فتح برنت عينيه عن آخرهما، مذعورًا: «لا يمكنك أن تعني ذلك!». .

تنهد ويست وهز رأسه: «لا... لا، أنت محق. بالتأكيد سيسير كل شيء على ما يرام. المجد والترقيات للجميع وسنعود قبل الشتاء. أنصحك بأخذ معطف، تحسبًا». .

سادت المجموعة لحظة من الصمت الثقيل. وارتسم على وجه ويست ذلك العبوس الحاد الذي لا يبشر بأي مرح من جانبه الليلة. بدت على برنت وچالينهورم علامات الحيرة والتجهم. وحده كاسبًا ظل محافظًا على مرجه، وقد كان مسترخيًا على كرسيه، عيناه نصف مغمضتين، غير مدرك لما حوله. يا لها من احتفالية. .

شعر چيزال بالتعب والانزعاج والقلق. قلق من المسابقة، قلق من الحرب. وقلق من آردي. ما زالت الرسالة مطوية في جيبه. ألقى نظرة جانبية على ويست، ثم أدار وجهه بعيدًا بسرعة. تبًا، لقد كان يشعر بالذنب. لم يسبق له أن شعر بالذنب من قبل، ولم يعجبه هذا الإحساس على الإطلاق. إن لم يلتقيها، فسيشعر بالذنب لتركها وحدها. وإن فعل، فسيشعر بالذنب لانتهاك وعده لويست. يا له من مأزق. أخذ يقضم أظفاره. ما شأن هذه العائلة اللعينة بحق الجحيم؟ .

قال ويست فجأة، بنبرة حادة: «حسنًا، عليّ الذهاب. سأبدأ مبكرًا غدًا». .

تمتم برنت: «همم». .

قال چالينهورم: «صحيح». .

نظر ويست مباشرة إلى عيني چيزال: «هل يمكنكني التحدث معك؟». .

كانت تعابيره جادة، بل غاضبة حتى. تسارعت نبضات قلب چيزال. ماذا لو اكتشف ويست أمر الرسالة؟ ماذا لو أخبرته أردي؟ استدار الرائد مبتعدًا، متوجهاً نحو ركن هادئ. بحث چيزال يائسًا عن مخرج. ناداه ويست: «چيزال!».

- نعم، نعم.

وقف بتردد شديد وتبع صديقه، محاولاً أن يبتسم ابتسامة بريئة قدر الإمكان. ربما كان الأمر يتعلق بشيء آخر. لا علاقة له بأردي. أرجوك، دع الأمر يتعلق بشيء آخر.

- لا أريد أن يعرف أحد عن هذا. (نظر ويست حوله ليتأكد من عدم مراقبتهم من أحد. ابتلع چيزال ريقه. في أي لحظة الآن، سيتلقى لكمة في وجهه. على الأقل لكمة واحدة. لم يتعرض للكمة في وجهه من قبل، ليس كما ينبغي. صفعته فتاة بقوة مرة، لكن هذا شيء آخر تمامًا. استعد بأفضل ما يمكنه، شد أسنانه قليلاً، وانكمش قليلاً) لقد حدد بور الموعد. أمامنا أربعة أسابيع.

حذق چيزال إلى وجهه: «ماذا؟».

- أربعة أسابيع حتى الإبحار.

- الإبحار؟

- إلى أنجلاند، چيزال!

- أوه، نعم... أنجلاند، بالطبع! قلت أربعة أسابيع؟

- اعتقدت أنه يجب أن تعرف، بما أنك منشغل بالمسابقة، حتى يكون لديك الوقت للاستعداد. لكن لا تخبر أحداً.

مسح جبينه المتعرق: «نعم، بالطبع».

- هل أنت بخير؟ تبدو شاحباً.

- أنا بخير، بخير. (أخذ نفساً عميقاً) كل هذه الإثارة، كما تعلم، المباراة وكل شيء.

- لا تقلق، كان أداؤك جيداً اليوم. (ربت ويست على كتفه) لكن لا يزال أمامك الكثير لتفعله. ثلاث مباريات أخرى قبل أن تستطيع تسمية

نفسك بطلًا، وكلُّ منها أصعب من التي قبلها. لا تتكاسل، چيزال، ولا
تثمل كثيرًا!

أنهى كلامه وهو يتجه نحو الباب. تنهد چيزال طويلًا من الارتياح وهو
يعود إلى الطاولة حيث كان الآخرون جالسين. أنفه ما زال سليمًا.

بدأ برنت بالفعل في التذمر، بعدما أدرك أن ويست لن يعود. سأل وهو
يعبس ويشير بإبهامه نحو الباب: «ما كل هذا؟ أعني، ألا يُفترض أنه البطل
العظيم وكل هذا، لكن، أعني!».

حدق چيزال إليه: «ماذا تعني؟».

- حسنًا، الكلام بهذه الطريقة! إنه... إنه انهزامي! (كان الشراب يمدّه
بالشجاعة الآن، وبدأ يسترسل في حديثه) إنه... حسنًا، أعني... إنه كلام
جبان!

قال چيزال بحدة: «انظر هنا، برنت، لقد خاض ثلاث معارك ضارية، وكان
أول من اقتحم حصار أورليوخ! قد لا يكون ذا نسب نبيل، لكنه رجل شجاع
بحق! بالإضافة إلى ذلك، يعرف فنون الجندية، ويعرف المارشال بير، ويعرف
أنجلاند! ماذا تعرف أنت، برنت؟ (التوت شفتا چيزال بازدرآء) إلا الخسارة في
الورق وإفراغ زجاجة النبيذ؟».

ضحك چالينهورم بعصبية، محاولًا تهدئة الوضع: «هذا كل ما يحتاج
الرجل إلى معرفته في رأيي، (وصاح موجهًا كلامه للـأحد بعينه) المزيد من
النبيذ!».

جلس چيزال على كرسيه. إذا كانت الجلسة كثيبة قبل رحيل ويست،
فقد أصبحت أشد كآبة الآن. تجهم برنت، وتمايل چالينهورم على كرسيه،
أما كاسباً فقد غط في نوم عميق، تمدد على سطح الطاولة المبتلة، وصوت
تنفسه كصوت ارتشاف هادئ.

أفرغ چيزال كأسه من النبيذ، وحدق إلى الوجوه غير المبشرة حوله.
اللعنة، كان يشعر بالملل. اكتشف للتو أن حديث السكارى ليس ممتعًا إلا
للسكارى. يمكن لبضع كؤوس من النبيذ أن تحدث الفرق بين كون الرجل
رفيقًا مرحًا أو أحمق لا يُطاق. تساءل إن كان هو نفسه حين يسكر مزعجًا
مثل كاسباً، أو چالينهورم، أو برنت.

ابتسم چيزال ببرود وهو ينظر إلى ذلك البائس المتجهم. فكر داخل نفسه، لو كان ملكًا، لعاقب الحوار السيئ بالموت، أو على الأقل بالسجن الطويل. وقف عن كرسیه. حدّق چالينهورم إليه: «ماذا تفعل؟».

قال چيزال بحدّة: «الأفضل أن أحصل على بعض الراحة، لديّ تدريب غدًا». كان أقصى ما استطاع فعله ألا يفر هاربًا من المكان.

- لكنك فزت! ألن تحتفل؟

- الجولة الأولى فقط. لا يزال أمامي ثلاثة رجال لهزيمتهم، وكلهم سيكونون أفضل من ذلك الأحمق اليوم.

أخذ چيزال معطفه عن ظهر الكرسي وارتداه.

تمتم چالينهورم: «كما تشاء»، ثم ارتشف بصوت عالٍ من كأسه.

رفع كاسبا رأسه عن الطاولة للحظة، وقد التصق شعره من جانب واحد برأسه من النيذ المسكوب: «هل ستغادر سريعًا هكذا؟».

قال چيزال: «همم»، واستدار وخرج.

كانت الرياح في الشارع باردة. زادت من شعوره بالصحو، صحو مؤلم. كان بحاجة ماسة إلى صحبة ذكية، لكن أين سيجدها في هذا الوقت من الليل؟ لم يكن هناك سوى مكان واحد يتبادر إلى ذهنه.

أخرج الرسالة من جيبه وقرأها تحت الضوء الخافت المنبعث من نوافذ الحانة، مرة أخيرة. إن أسرع فقد يجدها تنتظر. بدأ يمشي ببطء نحو «الأركان الأربعة». فقط للتحدث، هذا كل ما في الأمر. كان بحاجة إلى شخص يتحدث معه.

لا. أجبر نفسه على التوقف. هل يمكنه حقًا التظاهر أنه أراد أن يكون صديقها؟ الصداقة بين رجل وامرأة هي مجرد اسم لسعي أحدهما خلف الآخر لفترة طويلة دون أن يصل إلى شيء. لم يكن مهتمًا بهذا النوع من العلاقات. ماذا إذن؟ الزواج؟ بفتاة بلا نسب ولا مال؟ فكرة لا يمكن تصورها! تخيل إحضار آردي إلى منزله لتقابل عائلته: «هذه زوجتي الجديدة يا أبي! زوجة؟ وما هي العلاقات التي لديها؟»، ارتعش چيزال لمجرد التفكير في ذلك.

لكن ماذا لو استطاعا إيجاد حل وسط، حيث يشعر الجميع بالارتياح؟ بدأت قدماه تتحركان ببطء. ليس صداقة، وليس زواجًا، بل ربما ترتيب أكثر

مرونة؟ بدأ يمشي مسرعًا باتجاه «الأركان الأربعة». يمكنهما الالتقاء سرًا، يتحدثان، يضحكان، وربما في مكان ما يوجد به سرير.

لا. لا. توقف چيزال مرة أخرى وضرب جانب رأسه في استياء. لا يمكن أن يسمح لهذا أن يحدث، حتى لو افترض أنها ستقبل. ضع ويست جانبًا، ولكن ماذا لو علم الآخرون؟ لن يضر ذلك بسمعته بالطبع، ولكن سمعتها؟ ستكون مدمرة. مدمرة تمامًا. اقشعر جسده عند التفكير في ذلك. إنها لا تستحق ذلك، بالطبع. لن يكون من العدل أن يقال إنها مشكلتها. لا، هذا غير كافٍ. فقط ليستمتع قليلًا؟ أنانية مفرطة. اندهش لأنه لم يدرك ذلك من قبل.

إذًا، وصل إلى الاستنتاج نفسه الذي توصل إليه عشر مرات هذا اليوم: لن يأتي أي خير من رؤيتها. على أي حال، سيرحلون قريبًا إلى الحرب، وسيضع ذلك حدًا لتلك الترهات. العودة إلى السرير إذن، والتدريب طوال اليوم غدًا. التدريب والتدريب حتى يخرج المارشال فاروز صورتها من ذهنه ضربًا. أخذ نفسًا عميقًا، رفع كتفيه، واستدار متجهًا نحو الأجيوننت.

تمثال هارود العظيم ظهر من الظلام على قاعدة رخامية تكاد تكون بطول چيزال، بدا كبيرًا وضخمًا بشكل لا يتناسب مع هذه الساحة الصغيرة والهادئة بالقرب من «الأركان الأربعة». كان چيزال يقفز من ظلال إلى أخرى في طريقه، يتجنب الناس، ويحاول أن يكون غير ملحوظ. لم يكن هناك الكثير من الناس حوله على أي حال. لقد كان الوقت متأخرًا، ومن المرجح أن آردي قد فقدت الأمل في انتظاره منذ وقت طويل، إن كانت قد جاءت من الأساس.

تسلل حول التمثال بحذر، محدقًا إلى الظلال، وهو يشعر كالأحمق تمامًا. لقد مرَّ عبر هذه الساحة عدة مرات من قبل دون أن يفكر فيها مرتين. ألم تكن مكانًا عامًا في نهاية المطاف؟ لديه الحق في الوجود هنا مثل أي شخص آخر، لكن مع ذلك، شعر وكأنه لص.

الساحة كانت خالية. كان ذلك أمرًا جيدًا. الأفضل للجميع. لا شيء يكسبه، وكل شيء ليخسره. فلماذا إذًا شعر بهذه الخيبة الشديدة؟ حذق إلى وجه هارود، المغلق في عبوس حجري، كما يعتاد النحاتون أن يصوروا العظماء بحق. كان له فك قوي وجميل، يكاد يكون مساويًا لفك چيزال نفسه.

- استيقظ!

همس صوتٌ بجانبه. أطلق چيزال صرخةً أشبه بصرخة فتاة، وتراجع بسرعة، متعثرًا، ولولا أنه تمسك بقدم هارود الضخمة، لسقط. كان خلفه شخص مظلم، شخص مغطى بعباءة.

ضحكت: «لا داعي أن تبلبل نفسك». كانت آردي. دفعت غطاء رأسها إلى الخلف. انعكست أشعة الضوء من نافذة على الجزء السفلي من وجهها، مما أبرز ابتسامتها المائلة: «إنه أنا فقط».

تمتم چيزال بتوتر: «لم أرك»، وترك قبضته الممسكة بقدم التمثال الحجرية الضخمة محاولاً أن يبدو مسترخياً. اعترف إنها بداية سيئة. لم يكن لديه موهبة لهذه الأمور السرية. أما آردي، بدت مرتاحة تمامًا، مما جعله يتساءل عما إذا كانت قد فعلت ذلك من قبل.

قالت: «كانت رؤيتك صعبة مؤخرًا».

تلعثم: «حسنًا، اه، (نبض قلبه بسرعة من المفاجأة) كنتُ مشغولاً، كما تعلمين، بالمسابقة وكل ذلك...».

- آه، المسابقة المهمة للغاية. لقد رأيتك تقاتل اليوم.

- حقًا؟

- كان أداؤك رائعًا.

- أوه، شكرًا، أنا...

- أخي قال شيئًا، أليس كذلك؟

- ماذا، عن المباراة؟

- لا، يا غبي. عني.

توقف چيزال للحظة، يحاول أن يجد أفضل طريقة للرد: «حسنًا هو...».

- هل تخاف منه؟

- لا! (صمت) حسنًا، نعم.

- لكنك جئت على أي حال. أعتقد أنه عليّ الشعور بالإطراء. (بدأت تدور حوله ببطء، تنظر إليه من قدميه إلى رأسه، ثم تعود بنظرها إلى أسفل) لقد أخذت وقتك. لقد تأخر الوقت. عليّ أن أعود قريبًا.

كان هناك شيء في طريقة نظرها إليه لم تساعد في تهدئة قلبه المضطرب، بل بالعكس تمامًا. كان عليه أن يخبرها أنه لا يمكنه رؤيتها مجددًا. كان ذلك الشيء الخطأ فعله. لكليهما. لن يأتي خيرٌ من هذا... لا خير...

كان يتنفس بسرعة، متوترًا ومتحمسًا، غير قادر على إبعاد عينيه عن وجهها المغطى بالظلال. كان عليه أن يخبرها، الآن. أليس هذا سبب قدومه؟ فتح فمه ليتحدث، لكن بدت كل الحجج بعيدة الآن، وكأنها تخص زمانًا آخر وأشخاصًا آخرين، غير ملموسة وخفيفة كالهواء.

بدأ: «أردي...».

«هم؟» تقدمت نحوه، رأسها مائل إلى أحد الأجناب. حاول چيزال أن يتحرك بعيدًا، لكن التمثال كان خلفه. اقتربت أكثر، شفتاها مفتوحتان قليلًا، وعيناها مثبتتان على فمه. ما الخطأ في هذا على أي حال؟

اقتربت أكثر، ووجهها مرفوع نحوه. استطاع أن يشمّها... امتلأ رأسه بعطرها. شعر بنفسها الدافئ على وجنته. ما الذي يمكن أن يكون خطأ في هذا؟

لمست أصابعها الباردة بشرته، لمست جانب وجهه، تتبع خطً فكه، تتخلل شعره وتجذب رأسه نحوها. شفتاها لامستا وجنته، ناعمتان ودافئتان، ثم ذقنه، ثم فمه. مصّت شفّتيه برفق. ضغطت بجسدها عليه، ويدها الأخرى زحفت إلى ظهره. داعب لسانها لثته، أسنانه، لسانه، وأصدرت من حلقها أصواتًا خافتة. وربما هو أيضًا، لم يكن متأكدًا حقًا. كان جسده كله يرتجف، ساخنًا وباردًا في آن واحد، وعقله تركّز في شفّتيه. كان لو أنه لم يقبل فتاة من قبل. ما الخطأ في هذا؟

عضّت شفّتيه بلطف، تقريبًا لحد الألم، لكنه ليس تمامًا.

فتح عينيه، يلهث، مرتعشًا، ضعيفًا في ركبتيه. كانت تنظر إليه. رأى عينيها تلمعان في الظلام، تراقبه بعناية، تدرسه.

- أردي...

- ماذا؟

- متى يمكنني رؤيتك مجددًا؟ (كان حلقه جافًا، وصوته أجش. نظرت إلى الأرض بابتسامة صغيرة، ابتسامة قاسية، وكأنها كشفت خداعه، وربحت منه ثروة. لم يهتم) متى؟

- أوه، سأخبرك. (كان عليه أن يقبلها مرة أخرى. اللعنة على العواقب. اللعنة على ويست. اللعنة على كل شيء. انحنى نحوها، وأغمض عينيه) لا، لا، لا. (دفعت فمه بعيدًا عن شفيتها) كان يجب أن تأتي في وقت أقرب.

ابتعدت عنه واستدارت، والابتسامة ما زالت على شفيتها، وبدأت تسير ببطء بعيدًا. بقي يراقبها، صامتًا، متجمّدًا، مأخوذًا، ظهره مستند إلى القاعدة الباردة للتمثال. لم يشعر هكذا من قبل. أبدًا.

نظرت إليه مرة واحدة فقط، كما لو كانت تتحقق من أنه لا يزال يراقبها. انقبض صدره، وكاد يشعر بألم لمجرد أنها نظرت إليه، ثم استدارت واختفت عند الزاوية.

بقي واقفًا للحظة، وعيناه مفتوحتان عن آخرهما، يلتقط أنفاسه. ثم هبت نسمة باردة عبر الساحة، وعاد العالم إلى ضغطه عليه. المباراة، الحرب، صديقه ويست، التزاماته. قبلة واحدة، كانت كل شيء. قبلة واحدة، تسرّب عزمه كالبول المتسرب من وعاء مكسور. تلفت حوله، فجأة شعر بالذنب، والارتباك، والخوف. ماذا فعل هنا؟

قال: «تبًا».

عمل مظلم

تطلق الحرائق روائح متنوعة. فالشجرة الحية، المملأى بالعصارة، عند احتراقها تفوح برائحة مختلفة عن الشجرة الميتة، الجافة والذابلة. ورائحة الخنزير والإنسان المحترقان تكادان تكونان واحدة، لكن هذا موضوع آخر. أما الرائحة التي شمها الكلبى الآن، فكانت لرائحة بيت. كان يعرفها تمام المعرفة، رائحة خبرها أكثر مما رغب. البيوت لا تحترق وحدها غالبًا. عادةً يكون هناك عنف خلفها. وهذا يعني وجود رجال، على الأرجح مستعدون للقتال. لذا تسلل بحذر شديد بين الأشجار، وانزلق على بطنه نحو الحافة، وتطلع من بين الشجيرات.

رأها الآن بوضوح. عمود من الدخان الأسود، يرتفع قرب النهر. بيت صغير، لا يزال يصدر الدخان، لكنه احترق بالكامل فلم يبق منه سوى الجدران الحجرية المنخفضة. كانت هناك حظيرة أيضًا، لكن لم يتبق منها سوى كومة من العصي المتفحمة والتراب الأسود. بضع أشجار، وبقعة من الأرض المحروثة. المعيشة هنا في أقصى الشمال كانت قاسية بما يكفي في أفضل الأحوال. الجو بارد جدًا لزراعة أي شيء سوى بعض الجذور القليلة، وربما تربية بعض الأغنام. خنزير أو اثنان إن كنت محظوظًا.

هز الكلبى رأسه. من يرغب في حرق أناس فقراء بهذا القدر؟ من يرغب في سرقة قطعة أرض صعبة كهذه؟ بعض الرجال يحبون الحرق، كما خمن. دفع نفسه إلى الخارج قليلًا، يبحث يمينًا ويسارًا في الوادي عن أي أثر لمن فعل هذا، لكن لم يكن هناك سوى بعض الأغنام الهزيلة المنتشرة على جانبي الوادي، ولم يرَ شيئًا آخر يتحرك. تراجع مرة أخرى إلى داخل الشجيرات.

غرق قلبه وهو يتسلل عائداً إلى المخيم. أصوات مرتفعة، وشجار، كما هو الحال دائمًا. لوهلة، فكر في أن يواصل السير ويتجاوزهم، كان قد سئم من

الجدال الذي لا ينتهي. لكنه قرر في النهاية أنه لا يمكن للكشاف الجيد أن يترك رفاقه وراءه.

ملاً صوت تال دورو العميق المكان: «لماذا لا تغلق فمك يا ضو؟ أردت الذهاب جنوباً، وعندما ذهبنا جنوباً، لم تتوقف عن التذمر بشأن الجبال! والآن خرجنا من الجبال، تشكو من بطنك الفارغ ليلاً ونهاراً! لقد سئمت منك أيها الكلب تذمرك!».

ثم جاء صوت الضو الأسود الغاضب: «ولماذا تحصل أنت على ضعف الطعام؟ فقط لأنك خنزير سمين؟».

- أيها الوجد الصغير! سأحطّمك مثل الدودة!

- سأنحر عنقك وأنت نائم، يا كومة اللحم! عندها سنأكل كلنا حتى نشبع! على الأقل سنتخلص من شخيرك اللعين! أعرف الآن لماذا سُمّوك الرأس العاصف، أيها الخنزير الصاخب!

سمع الكلبّي ثريتريز يزمجر بصوت عالٍ يكفي لإيقاظ الموتى: «أغلقا أفواهكما كلاكما! لقد سئمت من هذا!».

رأهم الآن، الخمسة. تال دورو والضو الأسود، يتشابكان غضباً مع بعضهما، وثريرتريز بينهما يرفع يديه في محاولة للتهديّة، وفورلي جالس يراقب فقط، وجهه يبدو عليه الحزن، وجههم، لم يكن حتى يراقب، انشغل فقط بتفقد سهامه.

همس الكلبّي: «هاي!»، والتفتوا جميعاً لينظروا نحوه.

قال جهم: «إنه الكلبّي»، بالكاد رفع عينيه عن سهامه. لم يكن من السهل فهم هذا الرجل. لا يتكلم على الإطلاق لأيام، ثم عندما يتكلم، يقول ما يراه الجميع بالفعل.

كان فورلي حريصاً دائماً على تهديّة الفتية، فهو يعلم جيداً كم من الوقت قد يمر قبل أن يقتلوا بعضهم دون وجوده. سأل: «ماذا وجدت أيها الكلبّي؟». همس وهو يخرج من بين الأشجار: «هل تصدق، وجدت خمسة أغبياء لعينين في الغابة! استطعت سماعهم عن بعد ميل! وهم رجال مُسمّون، هل تصدق؟ رجال يجب أن يكونوا أكثر حكمة! يتشاجرون كحالهم دائماً! خمسة أغبياء لعينين».

رفع ثريتريز يده: «حسنًا يا كلبِي. كان يجب أن نكون أذكى (وحدّق إلى تال والضوء. تبادلًا النظرات الغاضبة، لكنهما لم يقلوا شيئًا آخر) ماذا وجدت؟».

- هناك قتال يجري هنا في مكان قريب، أو شيء من هذا القبيل. رأيت مزرعة محترقة.

سأل تال: «محترقة، تقول؟».

- أجل.

تجهم ثريتريز: «خُذْنَا إليها إذن».

لم يكن الكلبِي قد رأى هذا المشهد من أعلى بين الأشجار. لم يكن ليتمكّن من ذلك، فالدخان كان كثيفًا، والمسافة بعيدة. لكنه رآه الآن عن قرب، وجعله يشعر بالغثيان. الجميع رأوه.

قال فورلي وهو ينظر إلى الشجرة: «هذا عمل مظلم هنا، عمل مظلم بالتأكيد».

تمتم الكلبِي: «أجل»، لم يستطع أن يجد ما يقوله أكثر من ذلك. صرّ الغصن والعجوز يتأرجح منه ببطء، قدماء العاريتان تتدليان قريبًا من الأرض. ربما حاول القتال، فقد أصيب بسهمين. المرأة كانت شابة للغاية لتكون زوجته، ربما ابنته. خمن الكلبِي أن الطفلين الصغيرين كانا طفليها. تتم: «من ذا الذي يشنق طفلًا؟».

قال تال: «أستطيع تصور بعض النفوس السوداء يمكنها ذلك».

بصق الضوء على العشب وزمجر: «تقصدني؟ (وبدأ الشجار بينهما مرة أخرى كالمطرقة على السندان) أحرقت بعض المزارع، وقرية أو اثنتين أيضًا، لكن كان لذلك أسباب، كان ذلك في الحرب. تركت الأطفال على قيد الحياة».

قال تال: «سمعت شيئًا مختلفًا»، أغلق الكلبِي عينيه وتنهّد.

نبح الضوء: «تظن أنني أهتم البتة لما سمعته؟ ربما كان اسمي أظلم مما أستحق، أيها الأحقق الضخم!».

- أعرف ما تستحقه، أيها اللعين!

زجرهما ثريتريز: «يكفي! (ونظر بغضب نحو الشجرة) أما لديكما أي احترام؟ الكلبِيُّ محق. لقد خرجنا من الجبال، والمشكلات تتراكم. لن تتسببا بمزيد من هذه المشاحنات. لا مزيد. الصمت والبرد من الآن فصاعدًا، كوقت الشتاء. نحن رجال مُسَمُّون ولدينا مهام رجال علينا إنجازها».

أوماً الكلبِيُّ، سعيدًا بسماع بعض العقل أخيرًا. قال: «هناك قتال بالقرب من هنا، لا بد من ذلك».

قال جهم: «أوه»، كان صعبًا تحديد ما إذا كان موافقًا حقًا أم لا. كانت عينا ثريتريز ما تزالان مثبتتين على الأجساد المتأرجحة: «أنت محق. علينا أن نركز أذهاننا الآن على هذا. على هذا ولا شيء آخر. سنتتبع المجموعة التي فعلت هذا، ونرى من هم، ولماذا يقاتلون. لن نفعل شيئًا حتى نعرف من يقاتل من».

قال الضوُّ: «من فعل هذا يقاتل لصالح بيثود، يمكنك أن تعرف ذلك بمجرد النظر».

- سنرى. تال والضوُّ، أنزلا هؤلاء وادفناهم. ربما يعيد ذلك العمل بعض الرشد لكما. (تبادل الاثنان نظرات غاضبة، لكن ثريتريز لم يعرهما انتباهًا) أيها الكلبِيُّ، اذهب وتعبَّ هؤلاء الذين فعلوا هذا. تعقبهم، وسنزورهم الليلة. زيارة مثل تلك التي قدموها لهؤلاء الناس هنا. قال الكلبِيُّ، متحمسًا للبدء: «أجل، سنزورهم».

لم يستطع الكلبِيُّ فهم الأمر. لو كان هؤلاء في قتال، خائفين من أن يُكشف أمرهم من قبل عدو، لما تركوا آثارهم واضحة بهذا الشكل. لقد تبعهم بسهولة شديدة، خمسة رجال حسب تقديره. لا بد أنهم غادروا المزرعة المحترقة بكل أريحية، ونزلوا عبر الوادي بجانب النهر ودخلوا الغابة. كانت آثارهم واضحة جدًا لدرجة أن الكلبِيُّ كان يشعر بالقلق أحيانًا، ظنًا منه أن هناك خدعة، وأنهم يراقبونه من بين الأشجار، ينتظرون الفرصة لشنقه من غصن شجرة. لكن بدا أنهم لم يكونوا كذلك، لأنه لحق بهم قبيل حلول الليل.

أول ما شعر به كان رائحة اللحم، لحم الضأن المشوي. ثم سمع أصواتهم، يتحدثون، ويصرخون، ويضحكون، دون أدنى محاولة للبقاء صامتين،

كانت أصواتهم يمكن سماعها حتى مع صوت النهر الجاري جوارهم. ثم رآهم، جالسين حول نار كبيرة في فسحة مفتوحة، وجثة الخروف المسلوخة مثبتة على سيخ فوق النار، بلا شك أخذوها من المزارعين. انحنى الكلب في الأدغال، ثابتاً وصامتاً كما ينبغي له. عدّ خمسة رجال، أو أربعة وفتى لم يتجاوز الرابعة عشرة. كانوا جالسين فحسب، دون أي حراسة، ولا حذر. لم يستطع استيعاب الأمر.

همس عندما عاد إلى البقية: «إنهم جالسون فقط، جالسون فقط. لا حراسة، لا شيء».

سأل فورلي: «جالسون فقط؟».

- أجل. خمسة منهم. جالسون ويضحكون. لا يعجبني هذا.

قال ثريتريز: «ولا أنا، لكن ما رأيناه في تلك المزرعة لا يعجبني أكثر».

هسّ الضو: «أسلحة! الأسلحة، لا بد أن نعهدها».

لأول مرة، اتفق تال معه: «الأسلحة، أيها الزعيم. لنلقنهم درساً».

حتى فورلي لم يعترض على القتال هذه المرة، لكن ثريتريز فكر في الأمر قليلاً، أخذ وقته دون عجلة. ثم أوماً برأسه: «الأسلحة إذا».

الضو الأسود لا يرى في الظلام إن لم يرغب في ذلك. ولن يسمع أيضاً، لكن الكلب عرف أنه هناك وهو يتسلل بين الأشجار. أن تقا تل بجانب رجل بما يكفي، تصل إلى نوع من الفهم له. تتعلم كيف يفكر وتبدأ في التفكير بالطريقة نفسها. الضو كان هناك.

كان للكلب مهمة. استطاع رؤية ظل الرجل الذي على اليمين، ظهره كان كتلة سوداء أمام النيران. لم يضيع الكثير من التفكير في الآخرين بعد. لم يفكر في شيء سوى مهمته. عندما تنوي الهجوم، أو ينوي لك زعيمك، فإنك تهجم حتى النهاية، ولا تلتفت حتى تنجز المهمة. الوقت الذي تقضيه في التفكير هو الوقت الذي ستقتل فيه. لو جن علمه ذلك، وقد تبني هذه الفكرة تماماً. هذا هو ما يجب أن يكون.

تسلل الكلب نحو هدفه، أقرب فأقرب، يشعر بدفع النيران على وجهه، ويشعر بصلابة السكين في يده. بحق الموتى، كان بحاجة إلى التبول، كما

حدث دائماً. لم يتبقَّ سوى خطوة واحدة بينه وبين مهمته الآن. الفتى كان مواجهًا له، لو أنه رفع رأسه سريعًا من طعامه لرآه قادمًا، لكنه كان مشغولًا جدًا بالأكل.

صرخ أحدهم «جارغ!». هذا يعني أن الضوء قد وصل إليه، وهذا يعني أنه انتهى. قفز الكلبى إلى الأمام وطعن هدفه في جانب رقبته. ارتفع الرجل للحظة، ممسكًا بحنجرتة المقطوعة، تعثر للأمام وسقط. قفز أحد الآخرين واقفًا، وأسقط ساق خروفيه نصف الممضوعة على الأرض، ثم اخترقه سهم في صدره. جهم، كان هناك بجانب النهر. بدا الرجل مصدومًا للحظة، ثم سقط على ركبتيه، وجهه ملتوٍ من الألم.

لم يتبقَّ سوى اثنين، والفتى كان لا يزال جالسًا هناك، يحدق إلى الكلبى وفمه نصف مفتوح، وقطعة لحم تتدلى منه. وقف آخرهم، يتنفس بسرعة، وفي يده سكين طويل، لا بد أنه كان يستخدمها للأكل.

زأر ثريتريز: «أسقط السكين!» رأى الكلبى الزعيم الآن، وهو يتقدم نحوهم، انعكاس ضوء النار على حافة درعه المستديرة الكبيرة. كان الرجل يمزغ شفتيه، وبينما عيناه تنتقلان من الكلبى إلى الضوء كانا يتحركان ببطء على جانبيه. ثم رأى الرأس العاصف، يظهر من بين الظلال في الأشجار، يبدو ضخماً جدًا ليكون إنسانًا، وسيفه الضخم يلتمع فوق كتفه. كان هذا كافيًا له. ألقى بسكينه في التراب.

قفز الضوء إلى الأمام، أمسك بمعصميه وربطهما خلف ظهره بإحكام، ثم دفعه على ركبتيه بجانب النار. فعل الكلبى الشيء نفسه مع الفتى، أسنانه مطبقة بقوة، دون أن يقول كلمة. انتهى الأمر كله في لحظة، بهدوء وبرودة كما قال ثريتريز. كان هناك دم على يدي الكلبى، لكن تلك كانت المهمة ولا يمكن تجنب ذلك. اقترب البقية الآن. جاء جهم يترنح عبر النهر، ملقيًا قوسه على كتفه. ركل الرجل الذي أصابه بسهم وهو يمر بجانبه، لكن الجثة لم تتحرك.

قال جهم: «ميت»، كان فورلي في الخلف، يتطلع إلى الأسيرين. حدق الضوء إلى الرجل الذي ربطه، حدق إليه بحدة.

قال بصوت بدا فيه الرضا: «أعرف هذا الرجل، أنت جروا الجلّاف، أليس كذلك؟ يا لها من مصادفة! لقد كنت أفكر بك منذ فترة».

حدق الجَلَّاف إلى الأرض بعبوس. بدا من النوع القاسي، النوع الذي قد يشنق المزارعين إذا وجد أحدهم.

- نعم، أنا الجَلَّاف. لا داعي لأن أسأل عن أسمائكم! عندما يعلمون أنكم قتلتم بعض محصلي ضرائب الملك، ستكونون رجالاً ميتين!

- يسمونني الضوُّ الأسود.

رفع الجَلَّاف رأسه، وفمه مفتوح على مصراعيه همس: «اللعة».

حدق الفتى الجالس بجانبه إليه بعينين واسعتين: «الضوُّ الأسود؟ ماذا؟ ليس الضوُّ الأسود نفسه الذي... أوه اللعة».

أوماً الضوُّ ببطء، وبدأت تنتشر تلك الابتسامة القاتلة على وجهه: «جروا الجَلَّاف. لديك الكثير لتدفع ثمنه. كنت في عقلي، والآن أنت في عيني. (وربت على خده) وفي يدي أيضاً. يا لها من مصادفة سعيدة».

ابتعد الجَلَّاف قدر ما سمح له قيده: «ظننت أنك في الجحيم أيها الضوُّ الأسود اللعين!».

- ظننت كذلك، لكنني كنت فقط شمال الجبال. لدينا بعض الأسئلة لك، أيها الجَلَّاف، قبل أن تنال ما تستحقه. من هو هذا الملك؟ ولمن تجمع الضرائب؟

- اللعة على أسئلتك!

ضربه ثريتريز بقوة على جانب رأسه، حيث لم يكن يراه. وعندما استدار لينظر، ضربه الضوُّ على الجانب الآخر. اهتز رأسه ذهاباً وإياباً حتى أصبح مستعداً للكلام.

سأل ثريتريز: «ما هو القتال؟».

بصق الجَلَّاف من بين أسنانه المكسورة: «نحن لا نقاتل! ستموتون مثل الكلاب! أنتم لا تعرفون ماذا حدث، أليس كذلك؟».

عبس الكلبى، لم يعجبه ما سمعه. بدا أن الأمور قد تغيرت في غيابهم، ولم يروا أي تغيير للأفضل. قال ثريتريز: «أنا من يسأل الأسئلة هنا، ركِّز بعقلك الصغير على إجاباتها فحسب. من لا يزال يقاتل؟ من رفض الركوع لبيثود؟».

ضحك الجَلَّاف، حتى وهو مقيد: «لا يوجد أحد الآن! القتال انتهى! بيثود هو الملك الآن. ملك كل الشمال! الجميع يركع له...».

دمدم تال دورو، وهو ينحني: «ليس نحن، وماذا عن العجوز يول؟».

- ميت!

- ماذا عن سيذينج أو راتلنك؟

- ميت وميت، أيها الحمقى! القتال الوحيد الآن هو في الجنوب! بيثود ذهب إلى الحرب مع الاتحاد! نعم! ونحن سنلقنهم درسًا أيضًا!

لم يكن الكلبُ متأكدًا إن كان يصدق ذلك. ملك؟ لم يكن هناك ملك في الشمال من قبل. لم تكن هناك حاجة إلى واحد، وبيثود كان آخر من سيختاره. وشَنَّ حرب على الاتحاد؟ كان ذلك جنونًا، بالتأكيد. هناك دائمًا المزيد من الجنوبيين.

سأل الكلبُ: «إذا لم يكن يوجد قتال هنا، لماذا القتل إذًا؟».

- تبًا لك!

- صفعه تال بقوة على وجهه، فسقط الجَلَّاف على ظهره. ركل الضوُّ الرجل، ثم سحبه ليجلس مستقيمًا مرة أخرى.

سأل تال: «لماذا قتلتهم؟».

صرخ الجَلَّاف، والدم يتساقط من أنفه: «للضرائب!».

سأل الكلبُ: «ضرائب؟» كانت الكلمة غريبة عليه، بالكاد عرف معناها.

- لم يدفعوا!

سأل الضوُّ: «ضرائب لمن؟».

- لبيثود، من تظن؟ أخذ كل هذه الأراضي، وقسَّم العشائر واستولى عليها لنفسه! والناس مدينون له! ونحن نجتمع!

سأل الكلبُ، يشعر بالغثيان في أحشائه: «ضرائب، أليس كذلك؟ تلك موضة جنوبية لعينة بلا شك! وإن لم يتمكنوا من الدفع؟ تشنقهم، أليس كذلك؟».

- إذا لم يدفعوا، نفعل بهم ما يسرنا!

- ما يسركم؟ (أمسكه تال من رقبته، وضغط بيده الكبيرة حتى كادت عينا الجَلَّاف تخرجان من محجريهما) ما يسركم؟ هل يسركم أن تشنقوهم؟

قال الضوُّ وهو يُبْعِدُ أصابع تال الضخمة ويدفعه للخلف برفق: «حسنًا، أيها الرأس العاصف، حسنًا، أيها الكبير، هذه ليست لك، قتل رجل وهو مقيد. (أخرج فأسه وربت على صدره) هذا العمل هو ما تحضرون لأجله رجالًا مثلي».

كان الجَلَّاف قد تجاوز خنقه الآن: «الرأس العاصف؟ (سعل وهو ينظر إليهم) أنتم جميعًا هنا، أليس كذلك! ثريتريز وجههم، وهذا هو الأضعف! إذا أنتم لا تركعون، أليس كذلك؟ أحسنتم أيها اللعناء! (تهكم الجَلَّاف) وأين الأصابع التسع؟ أين التسع الدموية؟».

استدار الضوُّ، يجري إبهامه على حافة فأسه: «عاد إلى الوحل، وستلحق به. لقد سمعنا ما يكفي».

صرخ الجَلَّاف، وهو يكافح ضد قيوده: «دعني أقف، أيها اللعين! أنت لست أفضل مني، أيها الضوُّ الأسود! لقد قتلت أكثر من الطاعون! دعني أقف وأعطني سيفًا! هيا! هل تخاف من مواجهتي، أيها الجبان؟ خائف من منحي فرصة نزيهة، أليس كذلك؟».

زمجر الضوُّ: «تسميني جبانًا؟ أنت الذي قتلت الأطفال للتسلية؟ كان لديك سيف وأسقطته. تلك كانت فرصتك، وكان يجب أن تأخذها. أمثالك لا يستحقون فرصة أخرى. إن كان لديك شيء يستحق أن يُسمع، فمن الأفضل أن تقول له الآن».

صرخ الجَلَّاف: «تبًّا لك! تبًّا لكم جميعًا...».

ضربه فأس الضوُّ بقوة بين عينيه، وطرحه أرضًا على ظهره. ركل قليلًا ثم انتهى كل شيء. لم يذرف أحد منهم دمعة على ذلك اللعين، حتى فورلي لم يصدر عنه أكثر من تقطيرة عندما غاص النصل في جمجمته. انحنى الضوُّ وبصق على جثته، والكلبيُّ لم يلمه.

كان الصبي مشكلة أكبر قليلًا. حرق إلى الجثة بعينين مفتوحتين على مصراعيهما، ثم رفع نظره إلى المجموعة.

قال: «أنتم هم، أليس كذلك؟ الذين هزمهم الأصابع التسع».

قال ثريتريز: «بلى، يا فتى، إنه نحن».

- سمعت قصصًا قصصًا عنكم. ماذا ستفعلون بي؟

تمتم الكلبيُّ لنفسه: «حسنًا، هذا هو السؤال، أليس كذلك».

خسارة أنه يعرف الإجابة بالفعل. قال ثريتريز: «لا يمكن أن يبقى معنا، لا يمكننا تحمل خطره ولا عبئه».

قال فورلي: «إنه مجرد فتى، يمكننا أن نطلق سراحه».

كانت الفكرة لطيفة، لكنها لم تكن تحمل قيمة كبيرة، وكلهم عرفوا ذلك. بدا الفتى متفائلًا، لكن تال وضع حدًا لذلك.

- لا يمكننا الوثوق به. ليس هنا. سيخبر أحدهم أننا عدنا، وسنصبح مطاردين. لا يمكننا المخاطرة. بالإضافة أنه كان له دور فيما حدث في المزرعة.

سأل الصبي: «لكن ماذا كان بوسعي أن أفعل؟ ما الخيار الذي كان لدي؟ أردت الذهاب إلى الجنوب! أردت القتال مع الاتحاد، وأن أحقق لنفسني اسمًا، لكنهم أرسلوني هنا، لجمع الضرائب. إن قال زعمي أن أفعل شيئًا، لا بد لي من فعله، أليس كذلك؟».

قال ثريتريز: «بالفعل، لا أحد يقول إنه كان بإمكانك فعل غير ذلك».

- لم أرد أي جزء من ذلك! قلت لهم أن يتركوا الصغار وشأنهم! لا بد أن تصدقوني!

نظر فورلي إلى حذائه: «نصدقك».

- ولكنكم ستقتلونني على أية حال، أليس كذلك؟

قضم الكلب شفته: «لا يمكننا أن نأخذك معنا، ولا يمكننا أن نتركك».

انخفض رأس الصبي: «لم أكن أريد أي جزء من هذا. هذا لا يبدو عادلاً».

قال ثريتريز: «إنه ليس كذلك، ليس عادلاً على الإطلاق. لكن هكذا هو الأمر».

اخترقت فأس الضوُّ الجزء الخلفي من جمجمة الفتى، فسقط على وجهه. ارتعش الكلب وأدار وجهه بعيدًا. كان يعلم أن الضوُّ فعلها هكذا حتى لا يضطروا إلى النظر إلى وجه الفتى. كانت فكرة جيدة على الأرجح، وأمل أن تساعد الآخرين، لكن سواء كان وجهه للأعلى أم للأسفل، كان الأمر سيان له. شعر بالغثيان نفسه الذي شعر به عند المزرعة.

لم يكن أسوأ يوم مر به، ولا حتى قريبًا منه. لكنه كان يومًا سيئًا.

راقبهم الكلبِيُّ يتقدمون في صفوف متراخية على الطريق من مكان آمن داخل الأشجار، حيث لا يستطيع أحد رؤيته. تأكد أيضًا من أن الرياح هبَّت بعيدًا عنه، لأنه صراحة، شعر أن رائحته بدأت تفوح. كانت مسيرة غريبة. من جهة، بدوا كمقاتلين زاهبين لجمع الأسلحة ثم إلى المعركة. ومن جهة أخرى، كان شكلهم كله خطأ. أسلحة قديمة في الغالب، ودروع مختلطة وغير متناسقة. يسرون بشكل مفكك وغير منظم. معظمهم أكبر من أن يكونوا في ذروة القتال، شعر رمادي ورؤوس صلعاء، وآخرون شباب جدًّا، بالكاد تجاوزوا سن المراهقة، بالكاد كانوا صبيانًا.

بدا للكلبي أن الأمور لم تعد منطقية في الشمال. فكر فيما قاله الجَلَّاف قبل أن يقتله الضوُّ. حرب مع الاتحاد. هل كان هؤلاء في طريقهم إلى حرب؟ إذا كان الأمر كذلك، فلا بد أن بيثود كان يكحت قعر الإناء. سأله فورلي عندما عاد إلى المخيم: «ما الأخبار أيها الكلبِيُّ؟ ماذا يحدث هناك في الأسفل؟».

- رجال. مسلحون، لكن ليس جيدًا. قرابة مئة منهم. أغلبهم كبار سن وشباب، يتجهون جنوبًا وغربًا.

وأشار الكلبِيُّ نحو نهاية الطريق. أوماً ثريتريز: «نحو أنجلاند. لقد انتوى بيثود الحرب مع الاتحاد بالفعل وهو يذهب بكل ما لديه حقًا. هذا الرجل لا يكفيه أي كم من الدماء. يأخذ كل رجل يستطيع حمل الرمح. (لم يكن ذلك مفاجئًا في حد ذاته. لم يكن بيثود قط ممن يتخذون أنصاف حلول. كان يرغب إما في كل شيء وإما لا شيء، ولا يهتم بمن يُقتل في المنتصف تمتم ثريتريز لنفسه) كل رجل، إذا جاءت «الشانكا» من فوق الجبال الآن».

نظر الكلبِيُّ حوله. وجوههم عابسة، قذرة، قلقة. علم ما يقصده ثريتريز، كلهم أدركوا ذلك. إذا جاءت «الشانكا» الآن، وليس هناك من يقاتلهم في الشمال، سيكون ما حدث في المزرعة مجرد البداية.

صرخ فورلي: «علينا أن نحذّر أحدًا! علينا أن نحذّره!».

هز ثريتريز رأسه: «سمعت ما قاله الجَلَّاف. يول قد مات، وراتلنك وسايتينج كذلك. كلهم ماتوا وبردوا، وعادوا إلى الوحل. بيثود الآن هو الملك، ملك الشماليين. (عبس الضوُّ الأسود وبصق في التراب) ابصق كما شئت يا ضوُّ، لكن الحقائق هي الحقائق. لا يوجد من نحذّره».

تمتم الكلبى، كارها أن يقولها: «لا أحد سوى بيثود نفسه».

قال فورلي، بنبرة يائسة، وهو ينظر حوله: «إذا علينا أن نخبره! قد يكون قاسي القلب، لكنه على الأقل رجل! إنه أفضل من الشانكا، أليس كذلك؟ علينا أن نخبر أحداً!».

نبح الضؤ: «هاه! هاه! أتظن أنه سيستمع لنا، أيها الأضعف؟ هل نسيت ما قاله لنا؟ لنا وللأصابع التسع أيضاً؟ لا تعودوا أبداً! هل نسيت كم اقترب من قتلنا؟ هل نسيت كم كان يكره كل واحد منا؟».

قال جهم: «يخاف».

تمتم ثريتريز: «يكرهنا ويخافنا، وهو محق في ذلك. لأننا أقوىاء. رجال مُسمُون. النوع الذي يتبعه الآخرون».

أوماً تال برأسه الضخم: «نعم، لن يكون هناك ترحيب بنا في كارليون، إلا إذا كان في نهاية رمح».

صرخ فورلي: «أنا لست قوياً! أنا الأضعف، والجميع يعرف ذلك! ليس لدى بيثود سبب ليخافني، ولا ليكرهني أيضاً. سأذهب أنا!».

نظر الكلبى إليه مدهوئاً. كلهم فعلوا. سأله الضؤ: «أنت؟».

- أجل، أنا! قد لا أكون مقاتلاً، لكنني لست جباناً أيضاً! سأذهب وأتحدث معه. ربما سيستمع.

وقف الكلبى يحدق. كان قد مر وقت طويل منذ أن حاول أحدهم إنهاء أزمة بالتحدث، لدرجة أنه نسي أن ذلك ممكن.

تمتم ثريتريز: «قد يستمع».

قال تال: «قد يستمع، ثم قد يقتلك أيضاً، أيها الأضعف!».

هز الكلبى رأسه: «إنها مخاطرة كبيرة».

- ربما، لكنها تستحق المحاولة، أليس كذلك؟

تبادلوا النظرات القلقة فيما بينهم. لم يكن هناك شك أن فورلي أظهر شجاعة، لكن الكلبى لم يكن مرتاحاً لهذا كخطة. بيثود كان خيطاً ضعيفاً لتعلق عليه آمالك. خيطاً ضعيفاً جداً.

لكن كما قال ثريتريز، لم يكن هناك أحد آخر.

كلمات وغبار

تهادى كورستر حول محيط الحلبة، شعره الذهبي الطويل يتراقص على كتفيه، يلوح للجمهور ويرسل القبلات للفتيات. بينما هتف الجمهور وصفّر وأطلق صيحات الإعجاب كان الشاب الرشيق يقوم بجولاته الاستعراضية. كان من أدوا، ضابطاً في حرس الملك. أحد المحليين، ويحظى بشعبية واسعة.

على مقربة، اتكأ بريمر دان جورست على الحاجز، يراقب خصمه بعينين شبه مغمضتين. بدت سيوفه ثقيلة بشكل غير معتاد، ضخمة ومتآكلة، وربما ثقلها قد يمنعها من أن تكون سريعة. جورست نفسه بدا أثقل مما ينبغي، أشبه بثور عريض العنق، أقرب إلى مصارع منه إلى مبارز. كان يبدو وكأنه الطرف الأضعف في هذا النزال. معظم الجمهور اعتقد ذلك. لكنني أعلم أفضل منهم.

صرخ أحد المراهنين بالأرقام بالقرب، يأخذ المال من الناس المتحمسين من حوله. معظم الرهانات كانت على كورستر. انحنى جلوكتا عن مقعده قائلاً: «ما هي الاحتمالات على جورست الآن؟».

سأل المراهن: «على جورست؟ تعادل».

- سأراهن بمئتي مارك.

- آسف يا صديقي، لا أستطيع تغطية ذلك.

- إذن مئة، على خمسة مقابل أربعة.

فكر المراهن للحظة، ناظرًا إلى السماء وهو يحسب الأرقام في رأسه: «حسنًا».

بينما جلس جلوكتا مجددًا يراقب الحكم وهو يقدّم المتنافسين، كان جورست يشمر عن أكمامه. ساعده كانتا كثيفتين كجذوع أشجار، نسائر

العضلات السمكية تتلوى تحت جلده وهو يحرك أصابعه القوية. أمال عنقه العريض يميناً ويساراً، ثم أخذ سيوفه من مساعده وأدى بعض الضربات التجريبية. لم ينتبه إليه الكثيرون في الحشد؛ كانوا مشغولين بتشجيع كورستر وهو يأخذ مكانه. لكن جلوكتا لاحظ. أسرع مما يبدو. أسرع بكثير. وتلك السيوف الثقيلة لم تعد تبدو حُرَقاء.

صرخ الحكم: «بريمر دان جورست!». وخطا الرجل الضخم نحو موقعه. التصفيق كان ضعيفاً بالفعل. لم يكن ليتخيل أحد هذا الثور المتناقل كمبارز. - ابدأ!

لم يكن الأمر جميلاً. منذ البداية، بدأ جورست يُلَوِّح بسيفه الطويل الثقيل بضربات عشوائية ضخمة، كأنه حطّاب بارع يقطع الأشجار، مطلقاً زئيراً عميقاً مع كل ضربة. كان المشهد غريباً. أحدهم في مباراة مبارزة، والآخر يبدو وكأنه يقاتل حتى الموت. عليك أن تلمسه فقط يا رجل، لا أن تشطره نصفين. لكن بينما كان جلوكتا يراقب، أدرك أن تلك الضربات العنيفة لم تكن بتلك العشوائية كما بدت. كانت مُحَكِّمة التوقيت، ودقيقة للغاية. ضحك كورستر وهو يتفادى الضربة الأولى، وابتسم وهو يتجنب الثالثة، لكن مع الضربة الخامسة كانت ابتسامته قد تلاشت. ويبدو أنها لن تعود.

لم يكن مشهداً جميلاً قط. لكن القوة لا يمكن إنكارها. انحنى كورستر يائساً تحت ضربة منحنية أخرى. كانت تلك قوية بما يكفي لانتزاع رأسه، حتى وإن كانت السيوف ثملة.

بذل محبوب الجماهير قصارى جهده لاستعادة زمام المبادرة، فبدأ يوجّه ضربات سريعة قدر المستطاع، لكن جورست تمكن من صدها بأريحية. زمجر وهو يصد الضربات بسيفه القصير بكفاءة، ثم زأر مرة أخرى وهو يوجه ضربة طويلة هادرة. تراجع جلوكتا متألماً في أثناء اصطدامها بسيف كورستر بصوت صليل مدوّ، فأثنت معصم الرجل بقوة وكاد السيف يُنتَزَع من يده. تراجع كورستر متألماً، ومتجهماً من الألم والصدمة.

الآن أدرك لماذا تبدو سيوف جورست متآكلة بهذا الشكل. حاول كورستر الهروب من دائرة الهجوم، لكن الرجل الضخم كان أسرع منه. أسرع منه بكثير. عرف جورست كل تحركاته الآن، وسبق خصمه في كل خطوة، وطارده بلا هوادة بالضربات المتتالية. لم يكن هناك مهرب.

ضربتان ثقيلتان دفعتا الضابط المسكين نحو حافة الحلبة، ثم هوت ضربة قاطعة منتزعة سيفه الطويل من يده وغرزته في الأرض يتمايل مكانه بقوة. تراجع كورستر للحظة، عيناه متسعتان، ويده الفارغة ترتجف، ثم كان جورست فوقه، يزار ويضرب خصمه الأعزل في ضلوعه بكتفه الثقيلة.

كاد جلوكتا يختنق من الضحك. لم أرَ مبارزًا يطير من قبل. دار كورستر نصف دورة في الهواء، صارخًا كفتاة وهو يهوي على الأرض، تراخت أطرافه، وانزلق بوجهه على الأرض، وأخيرًا استقر خارج الحلبة بعيدًا بثلاث خطوات كاملة من حيث ضربه جورست، يئن بضعف.

صُدم الجمهور، وكانوا صامتين ولا بد أن ضحك جلوكتا كان مسموعًا في آخر الصفوف. اندفع مدرب كورستر خارجًا من سقيفتهم وقلب تلميذه المصاب برفق. تحرك الشاب بصعوبة، وأنَّ وهو يمسك بأضلاعه. راقب جورست الموقف للحظة دون أي تعبير، ثم هز كتفيه وعاد إلى مكانه. استدار مدرب كورستر نحو الحكم وقال: «أعتذر لكن تلميذي لن يستطيع الاستمرار».

جلوكتا لم يستطع أن يمنع نفسه. كان عليه أن يغلق فمه بيديه. ارتجف جسده كله من الضحك. تسببت كل قهقهة بتشنج مؤلم في رقبته، لكنه لم يهتم. يبدو أن أغلب الحشد لم يجد العرض مسليًا للغاية. تزايدت الهمسات الغاضبة من حوله. تحولت التذمرات إلى صيحات استهجان وكورستر يُنقل خارج الحلبة، محمولًا بين مدربه ومساعدته، ثم تحولت صيحات الاستهجان إلى جوقة من الصرخات الغاضبة.

مسح جورست الجمهور بعينه شبه المغلقتين، ثم هز كتفيه مرة أخرى وعاد ببطء إلى سقيفته. كان جلوكتا ما زال يقهقه وهو يعرج خارج الساحة، ومحفظته أثقل بكثير مما كانت عليه عند وصوله. لم يستمتع بهذا القدر منذ سنوات.

تقع الجامعة في زاوية مهمة من الأجيوننت، مباشرة تحت ظل دار الصانع، حتى إن الطيور بدت عجوزة ومتعبة. مبنى ضخم متهالك، مغطى بنبات اللبلاب شبه الميت، وتصميمه ينتمي بوضوح إلى عصر سابق. كان يُقال إنه واحد من أقدم المباني في المدينة. وهو يبدو كذلك.

تدلت الأسطح في الوسط، بعضها على وشك الانهيار الكامل. الأبراج الدقيقة كانت تنفتحت، مهددة بالسقوط في الحداثق المهمة أسفلها. الطلاء على الجدران بدا مستنفذاً وملوثاً، وفي بعض الأماكن سقطت أجزاء كبيرة منه، كاشفة عن الأحجار العارية والملاط المتآكل تحتها. في إحدى البقع، انتشرت بقعة بنية كبيرة على الجدار من مكان أنبوب تصريف مكسور. كان هناك زمن كانت فيه دراسة العلوم تجذب بعضاً من أبرز رجال الاتحاد، عندما كان هذا المبنى من بين أفخم مباني المدينة. ويظن سولت أن جهاز الاستجواب أصبح قديم الطراز.

اصطف تمثالان على جانبي البوابة المتداعية. رجلان عجوزان، أحدهما يحمل مصباحاً، والآخر يشير إلى شيء في كتاب. الحكمة والتقدم أو هراء آخر من هذا القبيل. الرجل الذي كان يحمل الكتاب فقد أنفه منذ قرن من الزمن، والآخر كان مائلاً بزاوية غريبة، ماداً مصباحه كأنه يبحث عن شيء ليتمسك به.

رفع جلوكتا قبضته وطرق على الأبواب القديمة. ارتجت الأبواب وتحركت بشكل مبالغ فيه وكأنها ستنفصل عن مفاصلاتها في أي لحظة. انتظر جلوكتا. انتظر طويلاً.

فجأة، سُمعت جلبة أصوات المزاليج وهي تُفتح، وانفتح نصف الباب المائل لبضع بوصات. انحشر وجه عجوز في الفجوة ونظر إليه بعينين مغمضتين، مضاءً بوهج خافت من شمعة رقيقة في يده الذابلة. نظر بعينين مترهلتين من أعلى لأسفل: «نعم؟».

- المحقق جلوكتا.

- آه، من طرف المقرئ الأعلى؟

عبس جلوكتا متفاجئاً: «نعم، هذا صحيح». لا يبدو أنهم منعزلون عن العالم كما يبدو. يبدو أنه يعرف من أنا.

كانت مظلمة بالداخل بشكل مقلق. انتصب شمعدانان نحاسيان ضخمان على جانبي الباب، لكنهما تجردا من الشموع ولم يُلَمَّعا منذ وقت طويل، انعكس عليهما ضوء الشمعة الصغيرة الخاصة بالبوابة ضعيفاً. أُرِّ صوت العجوز بتقطع: «من هنا، يا سيدي»، وهو يتحرك متعثراً، منحنيًا إلى الأمام. حتى جلوكتا لم يجد صعوبة كبيرة في اللحاق به وهما يزحفان عبر الظلام.

تحركاً معاً عبر ممر مظلم. تكونت النوافذ القديمة على أحد الجانبين من ألواح زجاجية صغيرة قذرة بالكاد سمحت بدخول أي ضوء حتى في أكثر الأيام سطوعاً. مع حلول المساء لم تُدخِل أي ضوء على الإطلاق. تراقصت ألسنة لهب الشمعة الضعيفة على اللوحات المترية على الجدار المقابل، بها رجال شاحبون في أردية داكنة سوداء ورمادية، يحدقون بأعين واسعة من إطاراتهم المتآكلة، ممسكين بقوارير وتروس وبوصلة بأيديهم العجوزة.

سأل جلوكتا بعد مشيهم المتناقل في الظلمة لعدة دقائق: «إلى أين نحن ذاهبان؟».

أرَّ الحارس ناظرًا إليه بعينين مرهقتين: «المُتَمَرِّسون على العشاء».

كانت قاعة طعام الجامعة كهفًا واسعًا، ما أبعدها عن الظلام التام كان بضع شموع مترنحة. ومضت نار صغيرة في مدفأة ضخمة، ملقية بظلال متراقصة بين العوارض الخشبية. امتدت طاولة طويلة على طول القاعة، مصقولة بفعل سنوات طويلة من الاستخدام، محاطة بكراسي مهترئة. اتسعت القاعة بسهولة لثمانين شخصًا، لكن كان هناك خمسة فقط، مجتمعين عند أحد الأطراف، متكدسين حول المدفأة. نظروا جميعًا ونقرات عصا جلوكتا تتردد في أرجاء القاعة، متوقفين عن تناول طعامهم ومتأملين بفضول كبير. الرجل الجالس إلى رأس الطاولة نهض بسرعة، رافعًا طرف رداءه الأسود الطويل بيد واحدة.

أرَّ الحارس: «زائر»، ملوحًا بشمعته في اتجاه جلوكتا.

- آه، من طرف المقرئ الأعلى! أنا سيلبر، مدير الجامعة!

وصافح جلوكتا. نهض رفاقه جميعًا بسرعة مترنحين كما لو أن ضيف الشرف قد وصل لتوه. وقدم نفسه.

- المحقق جلوكتا.

نظر حوله إلى الرجال المسنين المتحمسين. عليَّ أن أعترف أن الاحترام أكثر مما كنت أتوقع. لكن اسم المقرئ الأعلى يفتح كل الأبواب.

تمتم أحد الرجال العجوزين: «جلوكتا، جلوكتا، يبدو أنني أتذكر جلوكتا من مكان ما». رد المدير مماًزحًا بنصف ضحكة: «أنت تتذكر كل شيء من مكان ما، لكنك لا تتذكر أين أبدأ، دعني أقدم لك الباقيين. (تجول بين العلماء الأربعة المرتدين أردية سوداء واحدًا تلو الآخر) ساوارزين، مُتَمَرِّس الكيمياء.

(رجل سمين مهمل، تلطخ رداؤه بحروق وبقع، وعلق في لحيته أكثر من قطعة طعام) دينكا، مُتَمَرِّس الفلزات. (الأصغر بينهم بفارق كبير، ولم يكن شابًا بأي حال من الأحوال، وكانت على فمه انحناءة متعجرفة) كايل، مُتَمَرِّس الميكانيكا. (لم يرَ جلوكتا في حياته رجلًا برأس كبير ووجه صغير لهذا الحد. أذناه هائلتان، ونبتت منهما شعرات رمادية) وكاندلاو، مُتَمَرِّس الأحياء. (رجل نحيل مثل طائر، له عنق طويل ونظارات مستقرة على منقاره المقوس، قال المدير مشيرًا إلى كرسي فارغ محشور بين اثنين من العلماء) رجاء انضم إلينا، أيها المحقق.

تملق له كايل بابتسامة رقيقة على فمه الصغير: «كأس من النبيذ إذن؟»، وانحنى بالفعل للأمام يصب بعضًا من النبيذ في كأس.
- حسنًا إذن.

تمتم كاندلاو، ناظرًا إلى جلوكتا من خلف نظارته اللامعة: «كنا نتناقش للتو في المزايا المختلفة لمجالات دراستنا المتنوعة». تنهد المدير بأسى: «كما هو الحال دائمًا».

تابع مُتَمَرِّس الأحياء: «الجسد البشري هو بالطبع المجال الوحيد الذي يستحق الدراسة الحقيقية، يجب على المرء أن يفهم الأسرار الداخلية قبل أن يوجّه انتباهه إلى العالم الخارجي. كلنا نملك أجسادًا، أيها المحقق. فوسائل علاجها وإيذاؤها لها أهمية قصوى لنا جميعًا. الجسد البشري هو مجال خبرتي».

تذمر كايل: «أجساد! أجساد! (وزمّ شفتيه الصغيرتين وعبث بالطعام في طبقه) نحن نحاول أن نأكل!».

- بالضبط! أنت تزعج المحقق بهذه الثثرة الشنيعة!

- أوه، أنا لا أنزعج بسهولة. (واقترب جلوكتا عبر الطاولة مبتسمًا، ليمنح مُتَمَرِّس الفلزات نظرة واضحة على أسنانه المفقودة) عملي في جهاز الاستجواب يتطلب معرفة أكثر من عابرة بالتشريح.

ساد صمت غير مريح، ثم أمسك ساوارزين بصحن اللحم وناولوه نحو جلوكتا. نظر الأخير إلى الشرائح الحمراء اللامعة على الصحن. لعق لثته الفارغة: «شكرًا، لا».

سأل مُتَمَرِّس الكيمياء محدقًا فوق اللحم بصوت خافت: «أهذا صحيح إذن؟ هل ستكون هناك أموال إضافية؟ الآن بعد أن حُلَّت مشكلة البرّازين؟». عبس جلوكتا. كان الجميع يحدقون إليه، منتظرين إجابته. تجمدت شوكة أحد المُتَمَرِّسين في منتصف الطريق إلى فمه. هذا هو الأمر إنَّذا، المال. لكن لماذا يتوقعون المال من المقرئ الأعلى؟ بدأت صينية اللحم الثقيلة تهتز. حسنًا... إن كان ذلك ما سيجعلهم يستمعون: «قد تتوفر الأموال، بناءً على النتائج بالطبع».

انتشرت همهمة خافتة حول الطاولة. وضعت يد مُتَمَرِّس الكيمياء المرتجفة الصحن بعناية: «لقد حققت نجاحات كبيرة مع الأحماض مؤخرًا». سخر مُتَمَرِّس الفلزات: «هاه! النتائج، المحقق طلب نتائج! سبائكي الجديدة ستكون أقوى من الفولاذ عندما تُتَقَّن!».

تنهد كايل، ناظرًا بعينه الصغيرتين نحو السقف: «دائمًا السبائك! لا أحد يقدّر أهمية التفكير الميكانيكي السليم!».

دار المتمرسون الآخرون نحوه بشراسة، لكن المدير تدخل أولاً: «أيها السادة، من فضلكم! المحقق ليس مهتمًا بخلافاتنا الصغيرة! الجميع سيحصل على الوقت الكافي لمناقشة آخر أعماله وإظهار مزاياها. هذه ليست مسابقة، أليس كذلك أيها المحقق؟». تحولت كل الأعين نحو جلوكتا. نظر ببطء إلى تلك الوجوه العجوزة المتلهفة، ولم يقل شيئًا.

- لقد طورت آلة لـ...

- أحماضي...

- سبائكي...

- أسرار الجسد البشري...

قاطع جلوكتا حديثهم: «في الواقع، المجال الذي... يمكنكم تسميته المواد المتفجرة، هو ما يثير اهتمامي حاليًا بشكل خاص...».

قفز مُتَمَرِّس الكيمياء من مقعده وصرخ: «هذا مجالي! (ناظرًا في انتصار إلى زملائه) لدي عينات! لدي أمثلة! تفضل معي، أيها المحقق!»، ثم رمى أدوات طعامه على طبقه وانطلق نحو أحد الأبواب.

كان مختبر ساوارزين تمامًا كما يمكن توقُّعه، حتى أدق التفاصيل. غرفة طويلة بسقف نصف برميلي مغطى في بعض الأماكن بدوائر وخطوط من السخام. غطت الأرفف معظم مساحة الجدران، وامتلأت بصناديق وجرار وزجاجات مملأة بمساحيق وسوائل وقضبان من معادن غريبة. لم يكن هناك ترتيب واضح لمواقع الحاويات المختلفة، ومعظمها بلا ملصقات. لا يبدو أن التنظيم له أولوية هنا.

كانت الطاولات في وسط الغرفة أكثر فوضوية، مغطاة بهياكل طويلة من الزجاج والنحاس البني القديم: أنابيب، قوارير، أطباق، ومصابيح، إحداها تشتعل بلهب مكشوف. كل شيء بدا وكأنه على وشك الانهيار في أي لحظة، ليغرق من يقف جانبه بسوائل سامة مغلقة.

كان مُتَمَرِّس الكيمياء يبحث وسط هذه الفوضى كخلد في وكره، تتمم نفسه وهو يجذب لحيته القذرة بيد واحدة: «الآن... مساحيق التفجير في مكان ما هنا...».

عرج جلوكتا خلفه لداخل الغرفة، ينظر حوله بحذر إلى شبكة الأنابيب التي تغطي كل سطح. جعد أنفه. كان المكان رائحة نفّاذة وكريهة.

صاح المُتَمَرِّس: «ها هو! (ولوَّح حاملاً جرة مغبرة نصف ممتلئة بحبيبات سوداء. أفرغ مساحة على إحدى الطاولات، دافعاً الزجاج والمعادن المتناثرة بعيداً بذراعه العضلية) هذه الأشياء نادرة جداً، أيها المحقق، نادرة جداً! (أخرج السدادة وسكب خطأً من المسحوق الأسود على الطاولة الخشبية) قليل من الرجال من أسعدهم الحظ برؤية عمل هذه المادة! قلة قليلة! وأنت على وشك أن تكون واحداً منهم!».

أخذ جلوكتا خطوة حذرة إلى الوراء، في ذهنه حجم الفجوة في جدار برج السلاسل: «هل نحن بأمان، من هذه المسافة؟».

تمتم ساوارزين: «بالتأكيد، (وأمسك بشمعة مشتعلة على امتداد ذراعه، ولمس طرف المسحوق بها) لا يوجد أي خطر...».

صدر صوت فرقعة حاد وانطلق وابل من الشرارات البيضاء. قفز مُتَمَرِّس الكيمياء للوراء، وكاد يصطدم بجلوكتا، وأسقط الشمعة المشتعلة على الأرض. تلتها فرقعة أخرى، بصوت أعلى، مع شرارات أكثر. ملأت المعمل

رائحة دخان كريهة. ثم وميض ساطع وانفجار مدوّ، ثم هدأت بصوت خافت، وهذا كان كل شيء.

لوح ساوارزين بكُمّ ردائه الطويل أمام وجهه يحاول طرد الدخان الكثيف الذي أغرق الغرفة في الظلام. سأل، قبل أن يدخل في نوبة من السعال: «مذهل، أليس كذلك، أيها المحقق؟».

ليس بالضبط. دهس جلوكتا على الشمعة المشتعلة تحت حذائه وتقدم نحو الطاولة. أزاح الرماد المتراكم بيده. كان هناك حرق أسود طويل على سطح الخشب، ولم يكن هناك أكثر من ذلك. الأبخرة الكريهة أثارت إعجابه أكثر، وقد بدأت بالفعل تتشبث بحلق جلوكتا. قال بصوت مبجوح: «بالتأكيد ينتج الكثير من الدخان».

سعل المُتمرّس بفخر: «نعم، وتفوح برائحة كريهة للغاية».

تأمل جلوكتا تلك العلامة السوداء على الطاولة: «إذا كان لديك كمية كافية من هذا المسحوق، هل يمكن استخدامه مثلًا لإحداث فجوة في جدار؟».

- ربما... إذا أمكن تجميع كمية كافية منه، من يدري ما يمكن فعله؟ على حد علمي، لم يحاول أحد ذلك من قبل.

- جدار، لنقل، بسُمك أربعة أقدام؟

عبس المُتمرّس: «ربما، لكنك ستحتاج إلى براميل من هذا المسحوق! براميل منه! لا يوجد هذا القدر في الاتحاد بأسره، والتكلفة ستكون باهظة حتى لو أمكن العثور عليه! عليك أن تفهم، أيها المحقق، أن المكونات تُستورد من جنوب كانتا البعيد، وهي نادرة حتى هناك. سأكون سعيدًا بدراسة الأمر بالطبع، لكنني سأحتاج إلى تمويل كبير...».

- شكرًا مجددًا على وقتك.

استدار جلوكتا وبدأ يعرج عبر الدخان المتلاشي باتجاه الباب.

صاح المُتمرّس بصوت مبجوح: «لقد حققت تقدمًا كبيرًا مع الأحماض مؤخرًا! يجب أن تراها أيضًا! أخبر المقرئ الأعلى.. تقدمًا كبيرًا!!».

ثم دخل في نوبة سعال أخرى، وأغلق جلوكتا الباب بإحكام خلفه.

مضيعة لوقتي. لا يمكن أن يكون باياز قد هرب براميل من هذا المسحوق إلى تلك الغرفة. وحتى لو كان، كم من الدخان والرائحة كان سيصدر؟ مضيعة لوقتي.

كان سيلبر ينتظر في الرواق بالخارج: «هل هناك شيء آخر يمكننا أن نعرضه عليك، أيها المحقق؟».

توقف جلوكتا للحظة: «هل هناك أحد هنا يعرف شيئاً عن السحر؟».

تشنجت عضلات فك المدير: «بالتأكيد تمزح. ربما...».

- قلت: السحر.

ضيّق سيلبر عينيه: «عليك أن تفهم أننا مؤسسة علمية. ممارسة ما يسمى بالسحر سيكون أمراً... غير لائق للغاية».

عبس جلوكتا في وجه الرجل. أنا لم أطلب أن تخرج عصاك السحرية، أيها الأحق. قال بحدة: «من منظور تاريخي، المجوس وما شابه. باياز!».

ارتخت ملامح سيلبر المشدودة قليلاً: «آه، من منظور تاريخي، فهمت.. مكتبتنا تحتوي على مجموعة واسعة من النصوص القديمة، بعضها يعود إلى الفترة التي كان فيها السحر يُعتبر... أقل غرابة».

- من يستطيع مساعدتي؟

رفع المدير حاجبيه: «أخشى أن مُتَمَرِّس التاريخ هو، آه، أشبه بقطعة أثرية».

- أحتاج إلى التحدث معه، لا إلى مبارزته.

- بالطبع، أيها المحقق، من هنا.

أمسك جلوكتا بمقبض باب قديم الطراز مرصع بالمسامير السوداء وبدأ يديره. شعر بسيلبر يمسك بذراعه.

صرخ، موجّهاً جلوكتا بعيداً عبر ممر جانبي: «لا! المكتبة من هنا».

بدا مُتَمَرِّس التاريخ وكأنه جزء من التاريخ السحيق نفسه. وجهه عبارة عن قناع من الجلد المترهل الممتلئ بالتجاعيد، شبه شفاف، وتخرج من رأسه شعيرات بيضاء متناثرة وغير مرتبة. كانت كمية شعره أقل بكثير مما يجب،

لكن كل شعرة أطول بأربع مرات من المتوقع، مما جعل حاجبيه رقيقين، لكنهما يتشعبان في كل الاتجاهات كشوارب قط. فمه كان مترهلاً، ضعيفاً، وعديم الأسنان، ويده كانتا كقفازات ذابلة، لكن حجمها أكبر من يده بعدة درجات. الشيء الوحيد الذي ظهر عليه أي أثر للحياة كانت عينيه، تنظران نحو جلوكتا والمدير وهما يقتربان.

تمتم العجوز، وكأنه يخاطب غراباً أسود كبيراً جاثماً على مكتبه: «زوار، أليس كذلك؟».

صاح المدير، منحنٍ نحو أذن الرجل العجوز: «هذا هو المحقق جلوكتا!».

- جلوكتا؟

- من طرف المقرئ الأعلى!

حدّق مُتمرّس التاريخ إلى أعلى بعينه القديمتين: «حقاً؟».

همس سيلبر: «إنه يعاني ضعفاً في السمع، لكن لا أحد يعرف هذه الكتب كما يعرف هو. (ثم توقف للحظة، ناظراً إلى الأكوام التي لا تنتهي من الكتب، وتختفي في الظلام) لا أحد يعرف هذه الكتب على الإطلاق».

قال جلوكتا: «شكراً». أوماً المدير وتوجه نحو الدرج. خطا جلوكتا نحو العجوز، فقفز الغراب عن الطاولة، ناثرًا ريشه، وخفق في الهواء بعنف حول السقف. تراجع جلوكتا متألماً. كنت متأكداً أن هذا الشيء اللعين محنط. راقبه بريبة حتى هدا الغراب واستقر على أحد الأرفف، جالساً بلا حراك، يحدق إليه بعينه الخرزيتين الصفراوين.

جلس جلوكتا على كرسي، وقال: «أحتاج إلى معلومات عن باياز».

تمتم العجوز: «باياز، أول حرف في الأبجدية القديمة بالطبع».

- لم أكن أعرف ذلك.

- العالم ممتلئ بما لا تعرفه، أيها الشاب. (نطق الطائر بصوت حاد، صوته مزعج وسط الصمت المملوء بالغبار) مملوء بما لا تعرفه.

- إذن فلنبدأ تعليمي. أحتاج أن أعرف عن باياز الرجل. أول المجوس.

- باياز. الاسم الذي منحه له جوفينز العظيم لتلميذه الأول. حرف واحد، واسم واحد. أول تلميذ، وأول حرف في الأبجدية، فهمت؟

- تقريباً. هل هو موجود حقاً؟

عقد العجوز حاجبيه: «بلا شك. ألم يكن لديك معلم وأنت شاب؟».

- كان لدي، لسوء الحظ.

- ألم يعلمك التاريخ؟

- لقد حاول، لكن عقلي كان مشغولاً بالمبارزة والفتيات.

- آه. فقدت اهتمامي بتلك الأمور منذ زمن بعيد.

- وأنا كذلك. دعنا نعد إلى باياز.

تنهد العجوز: «منذ زمن بعيد، قبل وجود الاتحاد، تكونت ميدرلاند من ممالك صغيرة، غالباً ما كانت في حالة حرب مع بعضها بعضاً، تتساقط وتنهض بمرور السنين. واحدة من تلك الممالك حكمها رجل يُدعى هارود، الذي أصبح فيما بعد هارود العظيم. أفترض أنك سمعت به؟».

- بالطبع.

- دخل باياز إلى قاعة عرش هارود، ووعده بأنه سيجعله ملكاً لكل ميدرلاند إذا اتبع توجيهاته. هارود، كونه شاباً متهوراً، لم يصدقه، لكن باياز كسر الطاولة الطويلة بفنه.

- السحر، أليس كذلك؟

- هذا ما تقوله القصة. «هارود» انبهر...

- مفهوم.

- ووافق على قبول نصيحة الساحر...

- التي كانت؟

- أن يجعل عاصمته هنا، في أدوا. أن يصنع السلام مع بعض الجيران، ويخوض الحرب مع آخرين، ومتى وكيف يفعل ذلك. (نظر العجوز إلى جلوكتا) هل أنا من يروي هذه القصة أم أنت؟

- أنت. وأنت تستغرق وقتاً طويلاً في ذلك.

- كان باياز عند وعده. بمرور الوقت، توحدت ميدرلاند، وأصبح هارود أول ملك أعظم لها، وولد الاتحاد.

- ثم ماذا؟

- عمل باياز مستشارًا رئيسيًا لهارود. قوانيننا، وهيكلكمومتنا، وكل ذلك، يُقال إنها من ابتكاراته، ولم تتغير كثيرًا منذ تلك الأيام القديمة. هو من أسس المجالس، المفتوح والمغلق، وهو من أنشأ جهاز الاستجواب. وعند وفاة هارود، غادر باياز الاتحاد، ووعده بالعودة يومًا ما.

- فهمت. كم من هذا تعتقد أنه صحيح؟

- من الصعب القول. مجوسي؟ ساحر؟ مشعوذ؟ (نظر العجوز إلى لهب الشمعة المتراقص) قد تبدو هذه الشمعة سحرًا لأحد البدائيين. إنه خط رفيع بين السحر والخداع، أليس كذلك؟ لكن باياز كان ذكيًا حاذقًا في زمانه، وهذا أمر مؤكد.

- كل هذا عديم الفائدة. وماذا عمًا قبل ذلك؟

- قبل ماذا؟

- قبل الاتحاد. قبل هارود.

هز العجوز كتفيه: «الاحتفاظ بالسجلات لم يكن أولوية في العصور المظلمة. كان العالم كله في حالة فوضى بعد الحرب بين چوفينز وأخيه كانيدياس...».

- كانيدياس؟ الصانع الأعظم؟

- نعم.

كانيدياس، الذي يحدق من جدران غرفتي الصغيرة في القبو أسفل منزل سيفيرارد. چوفينز الميت، وتلاميذه المجوس الأحد عشر، يسرون للانتقام له. أنا أعرف هذه الحكاية.

تمتم جلوكتا: «كانيدياس، (وتذكر تلك الصورة المظلمة مع اللهب خلفها) الصانع الأعظم. هل كان حقيقياً؟».

- من الصعب القول. هو في مكان ما بين الأسطورة والتاريخ، على ما أعتقد. لا بد أن هناك بعض الحقيقة في الأمر. فأحد ما بنى ذلك البرج الضخم، أليس كذلك؟

- برج؟

- دار الصانع! (أشار العجوز إلى الغرفة حولهم) ويقولون إنه بنى كل هذا أيضًا.

- ماذا؟ هذه المكتبة؟

ضحك العجوز: «كل الأجيونت، أو على الأقل الصخرة التي قامت عليها. الجامعة أيضًا. هو من بناها، وعُيِّن أول مُتَمَرِّس ليساعده في أعماله، أيًا كانت هي، للبحث في طبيعة الأشياء. نحن هنا تلاميذ الصانع، نعم، رغم أنني أشك بأن أحدًا يعرف ذلك في الطابق العلوي. هو رحل، لكن العمل مستمر، أليس كذلك؟».

- نوعًا ما. إلى أين ذهب؟

- هاه. مات. صديقك باياز قتله.

- رفع جلوكتا حاجبًا: «هل فعل حقًا؟».

- هذا ما تقوله القصة. ألم تقرأ سقوط الصانع الأعظم؟

- ذلك الهراء؟ اعتقدت أنها اختلاقات.

- وهي كذلك. هراء مثير، لكنه مستند إلى كتابات من ذلك الوقت.

- كتابات؟ هل هناك شيء منها بقي؟

- ضيق العجوز عينيه: «بعضها».

- بعضها؟ هل لديك شيء منها هنا؟

- واحدة على وجه الخصوص.

- ثبت جلوكتا نظراته على العجوز: «أحضرها لي».

فرد متمرس التاريخ الورقة القديمة بحذر على الطاولة فتفقت بصوت هش. كانت الرقعة صفراء ومتجعدة، وحوافها خشنة بفعل الزمن، مكتوبة بخط كثيف غريب، عليها حروف غريبة، لا يمكن لجلوكتا أن يفهمها على الإطلاق.

- سأل جلوكتا: «بأي لغة كُتِبَتْ؟».

- باللغة القديمة. قلائل من يستطيعون قراءتها الآن. (أشار الرجل العجوز إلى السطر الأول) هذا يقول: حكاية سقوط كانيدياس، الثالث من ثلاث.

- الثالث من ثلاث؟

- من ثلاث لفائف، على ما أعتقد.

- وأين الاثنان الأخريان؟

- ضائعتان.

- همم. (نظر جلوكتا إلى الظلام الذي يغمر رفوف الكتب الممتدة بلا نهاية. من المعجزة أن أي شيء يُعثر عليه هنا) وماذا تقول هذه اللقافة؟
حدق أمين المكتبة العجوز إلى الكتابة الغريبة، المضاءة بشكل ضعيف
بوساطة شمعة واهنة، وبدأت إصبعه المرتجفة تتبع الحروف، شفتاه تتحركان
بصمت: «عظيم هو غضبهم».

- ماذا؟

- تلك هي بداية النص. عظيم هو غضبهم. (بدأ يقرأ ببطء) طارد المجوس
كانيدياس، وهزموا أتباعه. حطموا حصنه، ودمروا مبانيه وقتلوا خدمه.
وأصيب الصانع نفسه بجروح بالغة في معركته مع أخيه جوفينز،
واختبأ في داره. (فرد المُتمرّس المزيد من الرقعة) على مدى اثني عشر
يومًا واثنتي عشرة ليلة، ألقى السحرة غضبهم على البوابات، لكنهم لم
يتمكنوا من اختراقها. ثم وجد باياز طريقًا إلى الداخل. (مسح المُتمرّس
يده على الرقعة في إحباط. الرطوبة أو شيء ما طمس الحروف في هذا
القسم) لا أستطيع قراءة هذا.. شيء يتعلق بابنة الصانع؟

- هل أنت متأكد؟

انفعل العجوز: «لا! هناك قسم كامل مفقود!».

- تجاهله إذن! ما هو التالي الذي يمكنك التأكد منه؟

- لنر... تبعه باياز إلى السطح وألقاه من هناك. (سعل العجوز بقوة)
سقط الصانع محترقًا، وتهشم على الجسر بالأسفل. بحث السحرة في
كل مكان عن البذرة لكنهم لم يعثروا عليها.

سأل جلوكتا في حيرة: «البذرة؟».

- هذا هو كل المكتوب.

- ما معنى هذا بحق الجحيم؟

ارتخى العجوز في كرسيه، مستمتعًا بفرصة الحديث النادرة عن مجال
خبرته: «نهاية عصر الأساطير، وبداية عصر العقل. باياز والمجوس يمثلون
النظام. أما الصانع فهو شخصية أشبه بالإله: يمثل الخرافة والجهل، لا أعلم.

لا بد أن هناك بعض الحقيقة في القصة. فرغم كل شيء، شخص ما قد بنى ذلك البرج الضخم، أليس كذلك؟».

وأزَّ بضحكة مبجوحة.

لم يكلف جلوكتا نفسه عناء الإشارة لأن المُتمرَّس ألقى النكتة نفسها قبل بضع دقائق. ولم تكن مضحكة حينها. التكرار، لعنة الشيخوخة: «ماذا عن هذه البذرة؟».

- السحر، الأسرار، القوة؟ كلها استعارات.

لن أدهش المقرئ الأعلى بالاستعارات، وخصوصًا السيئ منها: «ألا يوجد شيء آخر؟».

- ما زال بها القليل، لنرَ (نظر مجددًا إلى الرموز) وتهشم على الجسر بالأسفل، وبحثوا عن البذرة.

- نعم، نعم.

- الصبر، أيها المحقق. (تتبع إصبعه الواهنة الحروف) أغلقوا دار الصانع. ودفنوا القتلى، كانيدياس وابنته بينهم. هذا كل شيء. (حدق إلى الصفحة، وإصبعه تحوم فوق الحروف الأخيرة) وأخذ باياز المفتاح. هذا كل شيء.

ارتفع حاجبا جلوكتا: «ماذا؟ ماذا كان ذلك الجزء الأخير؟».

- أغلقوا الأبواب، ودفنوا القتلى، وأخذ باياز المفتاح.

- المفتاح؟ مفتاح دار الصانع؟

حدق المأمور التاريخي إلى الصفحة مرة أخرى: «هذا هو ما كُتب».

ليس هناك مفتاح. هذا البرج مغلق منذ قرون، الجميع يعرف ذلك. مؤكد أن محتالنا لا يملك مفتاحًا. بدأ جلوكتا يبتسم ببطء. الأمر ضعيف، ضعيف للغاية، لكن في السياق المناسب، والإطار المناسب، قد يكون كافيًا. سيُسَر المقرئ الأعلى بذلك.

سحب جلوكتا المخطوطة القديمة وبدأ بلفها: «سأخذ هذه».

اتسعت عينا المُتمرَّس رعبًا: «ماذا؟ لا يمكنك! (نهض عن كرسیه متعثرًا، بصعوبة أكبر من تلك التي قد ينهض بها جلوكتا. وحلق الغراب حوله قريبًا

من السقف، يصرخ بغضب، لكن جلوكتا تجاهلها كليهما) لا يمكنك أخذها!
إنها لا تُعوّض!». .

تنفس العجوز بصعوبة يحاول يائسًا أن يسترد المخطوطة.

فتح جلوكتا ذراعيه على اتساعهما: «أوقفني! لم لا تفعل؟ أود أن أرى ذلك!
هل تتخيل؟ نحن العُرج، نتخبط بين الرفوف، وطائر يتبرز علينا، ومنتازع
على هذه الورقة القديمة؟ (ضحك لنفسه) لن يكون ذلك لائقًا جدًّا، أليس
كذلك؟».

تهاوى مُتمرّس التاريخ منهكًا على كرسيه، يتنفس بصعوبة. همس: «لم
يعد أحد يهتم بالماضي الآن، لا يرون أنه لا مستقبل من دون الماضي».
يا لها من كلمات عميقة. دس جلوكتا المخطوطة الملفوفة في معطفه
واستدار ليغادر.

- من سيعتني بالماضي عندما أرحل؟

قال جلوكتا وهو يسير نحو الدرج: «من يهتم؟ ما دمت لست أنا؟!».

المواهب المدهشة للأخ لونجفوت

أيقظت الهتافات لوجن كل صباح لمدة أسبوع. بدأت مبكرًا صاحبة كمعركة قريبة وانتزعته من نومه. ظن في البداية أنها معركة، لكنه أدرك الآن أنها مجرد رياضتهم الغبية. جلب إغلاق النافذة بعض الراحة من الضوضاء، لكن الحرارة أصبحت لا تُحتمل سريعًا. إما أن ينام قليلًا وإما ألا ينام مطلقًا. لذا ترك النافذة مفتوحة.

فرك لوجن عينيه وهو يلعن، وجرَّ نفسه من سريره. يوم آخر حار وممل في مدينة الأبراج البيضاء. على الطريق، في البرية، كان يستيقظ على الفور منتبهاً، ولكن هنا اختلفت الأمور. الملل والحرارة جعلاه بطيئاً وخاملاً. ترنَّح عبر العتبة إلى غرفة المعيشة، متثائباً بشدة ويفرك فكه بيد واحدة. ثم توقف. كان هناك شخص في الداخل، غريب. يقف عند النافذة، يغمره ضوء الشمس ويداه معقودتان خلفه. رجل صغير الحجم، نحيل، أصلع وبملايس غريبة تبدو متهاكة من السفر؛ أقمشة باهتة فضفاضة ملتفة حول جسده مرارًا وتكرارًا.

قبل أن يتمكن لوجن من الكلام، استدار الرجل وقفز نحوه بخفة وسأل: «وأنت تكون؟» كان وجهه المبتسم مسمراً بشدة وممتلئاً بالتجاعيد، كجلد حذاء مفضل قديم، جعل من المستحيل تخمين عمره. كان يمكن أن يكون عمره أي شيء بين الخامسة والعشرين والخمسين.

تمتم لوجن: «تسع أصابع» وتراجع بحذر نحو الحائط.

- تسع أصابع، نعم. (تقدَّم الرجل الصغير وأمسك بيد لوجن بكلتا يديه، ضاغطاً عليها بشدة) إنه لشرف وامتياز عظيم، (وقال وهو يغلق عينيه وينحني برأسه) أن أقابلك!

- هل سمعت عني؟

- مع الأسف لا، ولكن كل مخلوقات الرب تستحق أعمق احترام. (أحنى رأسه مرة أخرى) أنا الأخ لونجفوت، مسافر من جماعة الملاحين اللامعة. هناك أراضٍ قليلة تحت الشمس لم تطئها قدمي. (أشار إلى حذائه المهترئ ثم فتح ذراعيه على آخرهما) من جبال ثوند إلى صحاري شامير، ومن سهول الإمبراطورية القديمة إلى مياه الجزر الألف الفضية، كل العالم هو بيتي! حقًا!

كان يتحدث بلهجة الشماليين بطلاقة، ربما أفضل من لوّجن نفسه: «والشمال أيضًا؟».

- زيارة واحدة وجيزة في شبابي. وجدت المناخ قاسيًا بعض الشيء.

- لكنك تتحدث اللغة بشكل جيد.

- هناك لغات قليلة لا يمكنني التحدث بها، فمهارتي اللغوية هي واحدة من مواهبي العديدة البارزة. (ابتسم الرجل وأضاف) لقد أنعم الرب عليّ حقًا.

تساءل لوّجن إن كان هذا مزاحًا معقدًا: «ما الذي أتى بك إلى هنا؟».

لمعت عيناه الداكنتان: «لقد استُدعيت!».

- استُدعيت؟

- بالفعل، لقد استُدعيت! من باياز، أول المجوس! لقد استُدعيت، وقد

أتيت! هذه هي طريقي! لقد قُدِّمت مساهمة سخية لصندوق الجماعة

مقابل مواهبي المدهشة، لكنني كنت سآتي من دونها. حقًا. من دونها!

- حقًا؟

- بالفعل!

ابتعد الرجل الصغير وبدأ في التجوال في الغرفة بخطى سريعة، يفرك يديه معًا: «خاطب تحدي هذه المهمة كبرياء الجماعة بقدر ما خاطب جشعها الموثق جيدًا! وكنت أنا! أنا الذي اختير، من بين جميع الملاحين في حلقة العالم، لهذه المهمة! أنا، الأخ لونجفوت! أنا، وليس سواي! من في مكانتي، وبسمعتي، يمكن أن يقاوم مثل هذا التحدي؟».

توقف أمام لوّجن ونظر إليه كما لو كان ينتظر إجابة لسؤاله: «ارر...».

صاح لونجفوت منطلقاً في دورة أخرى حول الغرفة: «لست أنا! لم أقاومه! لماذا أفعل؟ هذه ليست طريقتي! السفر إلى حافة العالم؟ يا للقصة التي ستصبحها! يا للإلهام الذي ستوحي به للآخرين! يا له من...».

سأل لوچن بارتياح: «حافة العالم؟».

- أعلم! (وصفق الغريب على ذراعه) كلانا متحمس بالقدر نفسه!

خرج باياز من غرفته: «لا بد أن هذا هو ملاحنا».

- أنا هو. الأخ لونجفوت، في خدمتك. وأنت، أفترض، لست سوى رب عملي اللامع، باياز، أول المجوس.

- أنا هو.

- إنه لشرف وامتياز عظيم! (صاح لونجفوت وهو يندفع إلى الأمام ممسكاً بيد المجوسيّ) أن أتعرف إليك!

- وأنا كذلك. أمل أن رحلتك كانت ممتعة.

- الرحلات دائماً ممتعة لي! دائماً! إنما الوقت بينها هو ما أجده صعباً. نعم حقاً! (عبس باياز ونظر إلى لوچن، فلم يستطع سوى أن يهز كتفيه) هل لي أن أسأل كم من الوقت سنستغرق قبل أن نبدأ رحلتنا؟ فأنا متحمس جداً للانطلاق!

- قريباً على ما أمل، سيصل آخر أفراد بعثتنا. سنحتاج إلى استئجار سفينة.

- بالطبع! سيكون من دواعي سروري الخاص أن أفعل ذلك! ماذا أخبر النقيب عن وجهتنا؟

- غرباً عبر بحر الدائرة، إلى ستاريكسا، ثم إلى كالسيس في الإمبراطورية القديمة. (ابتسم الرجل الصغير وانحنى باحترام) هل توافق؟

- أوافق، ولكن السفن نادراً ما تمر بكالسيس الآن. الحروب التي لا تنتهي في الإمبراطورية القديمة جعلت المياه هناك خطيرة. القراصنة، للأسف، منتشرون. قد يكون من الصعب العثور على قبطان يرغب في الإبحار.

- هذا سيساعد.

وألقي باياز بمحفظته المنتفخة كالعادة على الطاولة.

- بالفعل سيساعد.

- تأكد من أن السفينة سريعة. لا أرغب في إضاعة يوم بمجرد أن نكون مستعدين.

قال الملاح، ملتقطاً كيس العملات الثقيل: «يمكنك الاعتماد على ذلك. الإبحار في سفن بطيئة ليست طريقتي! لا! سأجد لك أسرع سفينة في أدوا كلها! نعم! ستحلّق كزفير الرب! ستنتطلق فوق الأمواج مثل...».

- سريعة فحسب ستكفي.

انحنى الرجل الصغير برأسه: «وموعد المغادرة؟».

- خلال الشهر. (نظر باياز إلى لوجن) لماذا لا تذهب معه؟

- هاه؟

صاح الملاح: «نعم! سنذهب معاً!».

أمسك لوجن من مرفقه وبدأ في جذبته نحو الباب.

نادى باياز من الخلف: «أتوقع بعض الباقي، أيها الأخ لونجفوت!».

التفت الملاح عند الباب: «سيكون هناك باقٍ، يمكنك الاعتماد على ذلك. عين خبيرة بالقيمة، براعة في المساومة، وهدف لا يلين في التفاوض! هذه ثلاث فقط، (وابتسم ابتسامة عريضة) من مواهبى الرائعة!».

- إنها مدينة رائعة، أدوا هذه. حقاً. قليل من المدن تضاهيها. شافا، ربما، أكبر حجماً، لكنها مغبرة جداً. لا يمكن لأحد إنكار أن ويستبورت وداجوسكا لهما مناظر رائعة. يعتقد البعض أن أوسبريا، بجانب سفوح الجبال، هي أجمل مدينة في العالم، لكن لا بد من الاعتراف أن قلب الأخ لونجفوت، ينتمي إلى تالينز العظيمة. هل زرتها، يا سيد تسع أصابع؟ هل رأيت تلك المدينة النبيلة؟

- إر...

انشغل لوجن بمحاولة اللحاق بالرجل الصغير، متجنباً سيل الناس الذي لا ينتهي.

توقف لونجفوت فجأة لدرجة أن لوجن كاد يصطدم به. التفت الملاح، ورفع يديه، ونظر بعيداً: «تالينز عند غروب الشمس، كما ترى من البحر! لقد شاهدت العديد من الأمور الرائعة، صدقني، لكنني أعلن أن هذا هو أجمل

منظر في العالم بأسره. كيف ينعكس بريق الشمس على القنوات الكثيرة، على قباب قلعة الدوق الأكبر اللامعة، على قصور أمراء التجار الأنيقة! أين ينتهي البحر المتلألئ وأين تبدأ المدينة المتلألئة؟ آه! تالينز! (استدار واندفع مرة أخرى، فهرع لوجن وراءه) ولكن أدوا هذه مكان جميل، بلا شك، وتنمو كل عام. تغيرت الأمور كثيرًا هنا منذ زيارتي الأخيرة، حقًا تغيرت. كان هناك فقط نبلاء وعامة. كان النبلاء يملكون الأراضي، لذا كان لديهم المال، وبالتالي القوة. هاه. الأمر بسيط، أليس كذلك؟».

- حسنًا...

وجد لوجن صعوبة في الرؤية أبعد من ظهر لونجفوت.

- لكن الآن لديهم التجارة، والكثير منها. التجار، المصرفيون، وما إلى ذلك. في كل مكان. جيوش منهم. الآن يمكن للعامة أن يصبحوا أثرياء، أترى؟ والعامي الغني لديه قوة. هل هو عامي الآن أم نبيل؟ أم أنه شيء آخر؟ ها. أصبح الأمر معقدًا فجأة، أليس كذلك؟

- إر...

- الكثير من الثروة. الكثير من المال. ولكن أيضًا الكثير من الفقر، أليس كذلك؟ الكثير من المتسولين، الكثير من الفقراء. بالكاد الأمر أصبح صحيًا، أن يكون هناك كل هذا الغنى وكل هذا الفقر، متجاورين هكذا، لكنه مكان رائع على أي حال، وينمو باستمرار.

تمتم لوجن وكتف أحد المارة تصطدم به: «أجده مزدحمًا للغاية، وحارًا جدًا».

- باه! مزدحم؟ هل تسمي هذا مزدحمًا؟ عليك أن ترى المعبد العظيم في شافا في صلاة الصباح! أو الساحة الكبرى أمام قصر الإمبراطور عندما يُعرض العبيد الجدد للبيع! وحار؟ أتسمي هذا حارًا؟ في السفابين، في جنوب جوركول البعيد، يشتد الحر خلال أشهر الصيف لدرجة أنك تستطيع طهي بيضة على عتبة دارك. حقًا! من هنا.

انعطف وسط الحشود المارة نحو زقاق ضيق: «هذا الطريق أسرع!».

أمسك لوجن بذراعه: «هناك؟ (أطل في العتمة) أنت متأكد؟».

سأل لونجفوت، وقد بدا عليه الذهول فجأة: «أتشك في ذلك؟ هل يمكن أن تشك في ذلك؟ من بين جميع مواهبي الرائعة، فإن مهارتي في الملاحة هي

الأهم! إنها لتلك الموهبة، قبل كل شيء، قدّم أول المجوس مساهمته السخية لصندوق النظام! هل يمكن أن تكون... لكن انتظر. (ورفع يده وابتسم مجددًا، ثم نقر على صدر لوچن بإصبعه) أنت لا تعرف الأخ لونجفوت. ليس بعد. أرى أنك متيقظ وحذر، وهي صفات حسنة في مكانها. لا يمكنني أن أتوقع منك أن تكون لديك ثقة لا تتزعزع في قدراتي. لا! لن يكون ذلك عادلاً. والظلم ليس من الصفات المحمودة. لا! الظلم ليس طريقتي».

- كنت أقصد...

صاح لونجفوت: «سوف أقنعك! بالفعل سأفعل! ستثق بكلمتي قبل كلمتك. نعم! هذا الطريق هو الأسرع!». وبينما اندفع للأمام بخفة عبر الزقاق المظلم بسرعة مذهلة، كافح لوچن للحاق به رغم أن ساقيه أطول بقرابة نصف قدم. نادى الملاح من فوق كتفه: «آه، الشوارع الخلفية! (وهم يمرون في ممرات مظلمة قذرة، والمباني تضيق من حولهم أكثر فأكثر) الشوارع الخلفية، أليس كذلك؟ (ازدادت الأزقة ضيقًا وظلمة واتساحًا. التفت الرجل الصغير إلى اليسار واليمين، دون أن يتوقف لحظة للتفكير في مساره) هل تشم ذلك؟ هل تشم ذلك، يا سيد تسع أصابع؟ إنها رائحة.. (فرك أصابعه بحثًا عن الكلمات) رائحة... الغموض! المغامرة!».

بالنسبة إلى لوچن، كانت الرائحة أشبه بالفضلات. كان هناك رجل مستلق على وجهه في مجرى المياه، ربما مخمور حتى الثمالة، أو ربما ميت بالفعل. عرج آخرون ووجوههم منهكة، أو وقفوا في مجموعات مهددة في المداخل، يتبادلون زجاجات الخمر. كانت هناك نساء أيضًا.

- أربع ماركات وسأمنحك البركة، أيها الشمالي! (نادت إحداهن لوچن وهم يمرون) بركة لن تنساها قريبًا! ثلاث ماركات إذن!

همس لونجفوت، وهزّ رأسه: «عاهرات، ورخيصات أيضًا. هل تحب النساء؟».

- حسنًا...

- يجب أن تزور النّهب، يا صديقي! النّهب على شواطئ البحر الجنوبي! يمكنك شراء جارية سرير هناك. حقًا! يكلفون ثروة، لكنهم يدرّبون هؤلاء الفتيات لسنوات!

سأل لوچن مستغربًا: «يمكنك شراء فتاة؟».

- إنهم يدربونهن لسنوات، حقًا. إنها صناعة كاملة هناك. تريدهن محترفات؟ أليس كذلك؟ هؤلاء الفتيات يتمتعن بمهارات لا تصدّق! أو زُر سيباني! هناك أماكن في تلك المدينة، أوف! النساء جميلات، كل واحدة منهن! حقًا! كالأميرات! ونظيفات.

تمتم وهو ينظر إلى واحدة من النساء الشعثاوات على جانب الطريق. لم يكن قليل من الأوساخ يزعج لوجن. والمهارة والجمال بدوا أمرين معقدين جدًّا له. فتاة واحدة لفتت انتباهه وهم يمرون، تستند إلى إطار باب بذراع مرفوعة. تراقبهم بابتسامة باهتة. وجدها لوجن جميلة، بطريقة يائسة، أجمل منه على أي حال، وكان قد مر وقت طويل. عليك أن تكون واقعيًّا بشأن هذه الأمور.

توقف لوجن في الشارع. تمتم: «باياز أراد بعض الباقي؟».

- نعم. كان محدّدًا جدًّا بشأن هذا الأمر.

- إذن فهناك مال زائد؟

رفع لونجفوت حاجبًا واحدًا: «حسنًا، ربما، دعني أرى...».

أخرج كيس النقود بحركة استعراضية وفتحه، باحثًا بداخله. كان هناك صوت رنين عملات عالٍ.

- هل تعتقد أن هذه فكرة جيدة؟

نظر لوجن بحذر حوله. التفتت إليهم عدة وجوه.

سأل الملاح: «ما الأمر؟»، وهو ما زال يعبث بالكيس. أخرج بعض العملات، ممسكًا بها نحو الضوء ومتأملًا فيها، ثم ضغطها في كف لوجن.

- الغموض ليس إحدى مواهبك، أليس كذلك؟

بدأ بعض الرجال بمظهر رثٍّ في الزقاق يتحركون ببطء نحوهم، اثنان من الأمام، وواحد من الخلف. ضحك لونجفوت: «لا أبدًا! لا أبدًا! أنا رجل صريح، هذه هي طريقتي! نعم حقًا! أنا... آه. (بدأ يلاحظ الأشكال المريبة التي تقترب منهم) آه. هذا مؤسف. يا للأسف».

استدار لوجن نحو الفتاة: «هل تمنعين إن... (أغلق الباب في وجهه بقوة. وبدأت الأبواب الأخرى في الشارع تغلق أيضًا) تبًا. كيف موقفك من القتال؟».

تمتم الملاح: «منحني الرب العديد من المواهب الرائعة، لكن القتال ليس واحدًا منها».

كان لدى أحدهم حَوْلٌ في عينه، قال وهو يقترب: «هذا كيس كبير لرجل صغير».

تمتم لونجفوت: «حسنًا، آه...»، وتراجع خلف كتف لوجن.

قال الآخر: «عبء ثقيل على رجل صغير مثلك ليحملة، لماذا لا تساعدك في حمله؟».

لم يكن أي منهما يحمل سلاحًا ظاهرًا، لكن من حركة أيديهما، عرف لوجن أنها حملا. خلفه كان هناك رجل ثالث أيضًا، شعر به يتقدم نحوهم. قريب. أقرب من الآخرين. إذا تعامل مع هذا أولًا، الذي خلفه، قد تكون هناك فرصة جيدة. لم يكن بإمكانه المخاطرة بالنظر حوله، فهذا سيفسد المفاجأة. عليه أن يعتمد على الحظ، كما هو الحال دائمًا.

قبض لوجن على أسنانه وأطلق مرفقه إلى الخلف. اصطدم بفك الرجل خلفه بصوت ثقيل، وأمسك لوجن معصمه بيده الأخرى، وكان ذلك محظوظًا، لأنه حمل سكينًا جاهزًا. ضربه لوجن بمرفقه مرة أخرى في فمه، وبينما انتزع النصل من أصابعه المرتخية كان يسقط على الأرض، اصطدم رأسه بالحجارة القذرة. استدار بسرعة، متوقعًا طعنة في ظهره، لكن الرجلين الآخرين لم يتحركا بسرعة. كان لكل منهما سكينه الخاص، واتخذ أحدهما نصف خطوة نحوه، لكنه توقف عندما رأى أن لوجن يحمل سكينًا جاهزًا للقتال.

كان سلاحًا بائسًا، ست بوصات من الحديد الصديء دون حتى قبضة عرضية، لكنه كان أفضل من لا شيء. أفضل بكثير. لَوْح به في الهواء أمامه، فقط للتأكد من أن الجميع يراه. شعر بأنه أفضل. تحسّنت فرصه.

قال لوجن: «حسنًا إذن، من التالي؟».

تحرك الاثنان ليتخذ كل منهما موقعًا على جانبه، يزنون سكاكينهم في أيديهم، لكن لم يكن يبدو أنهم في عجلة كبيرة للهجوم.

همس الأحوال: «يمكننا هزيمته!» لكن صديقه لم يكن يبدو واثقًا.

فتح لوجن قبضته، مظهرًا العملات التي أعطاهما إياه لونجفوت: «أو، يمكنكم أخذ هذا. وتدعوننا وشأننا. هذا ما أستطيع أن أفرط فيه. (لوح

بالسكين مرة أخرى، ليضيف وزنًا لكلماته) هذا هو قدركم بالنسبة لي.. هذا، لا أكثر. ما قراركم؟».

بصق الأحول على الأرض. همس مرة أخرى: «يمكننا هزيمته! اذهب أنت أولاً!».

صاح الآخر: «اذهب أنت، أيها الوغد!».

قال لوچن: «خذ ما أعرضه عليك فقط، ثم لن يضطر أحدٌ منا إلى الذهاب». أن الرجل الذي ضربه لوچن بمرفقه وتقلّب على الأرض، وكان مصيره كافيًا ليحسم لهم الأمر: «حسنًا، أيها الشمالي اللعين، حسنًا، سنأخذها!».

ابتسم لوچن. فكر في رمي العملات على الأحول وأن يطعنه في أثناء انشغاله بجمعها. هذا ما كان ليفعله في شبابه، لكنه قرر عكس ذلك. لماذا يكلف نفسه العناء؟ بدلًا من ذلك، فتح أصابعه وألقى المال في الشارع خلفه، متراجعًا نحو أقرب جدار. دار هو واللصوص حول بعضهم بحذر، كل خطوة تقربهم من العملات وتقربه هو من الهروب. سرعان ما تبادلوا المواقع، وتراجع لوچن نحو نهاية الشارع، ما زال ممسكًا بالسكين أمامه. عندما كانوا على بعد عشر خطوات، انحنى الرجلان وبدأ في جمع العملات المتناثرة من الأرض.

همس لوچن لنفسه وهو يسرع خطاه: «ما زلت حيًّا».

كان ذلك حظًا، كما يعرف. الأحق فقط من يظن أن نهايته لا يمكن أن تكون في معركة صغيرة، مهما كان قويًّا. كان محظوظًا أنه أصاب الرجل خلفه بشكل صحيح. محظوظًا أن الاثنين الآخرين كانا بطيئين. لكنه دائمًا ما كان محظوظًا في القتال. محظوظًا بالخروج حيًّا. ليس محظوظًا بالدخول في القتال. لكنه شعر بأنه أحسن عملًا في هذا اليوم. سعيد أنه لم يقتل أحدًا. شعر بيد تربت على ظهره، فاستدار بسرعة، والسكين جاهز.

رفع لونغفوت يديه: «إنه أنا فحسب! (نسي لوچن تقريبًا وجود الملاح هناك. لا بد أنه بقي خلفه طوال الوقت، صامتًا تمامًا) أحسنت، يا سيد تسع أصابع، أحسنت! حقًا! أرى أن لديك بعض المواهب الخاصة بك! أنا متحمس للسفر معك، نعم حقًا! (صرخ، وهو يتحرك بعيدًا) الميناء من هذا الاتجاه!».

ألقى لوجن نظرة أخيرة على الرجلين، لكنهما ما زالا يجمعان العملات من الأرض، فألقى السكين بعيدًا وهرع للحاق بلونجفوت: «ألا يقاتل الملاحون أبدًا؟».

- بعضنا يقاتل، نعم، بأيدي فارغة وأسلحة من كل الأنواع. بعضنا قاتل ماهر، ولكن ليس أنا. لا. هذه ليس طريقتي.

- أبدًا؟

- أبدًا. مهاراتي تكمن في أماكن أخرى.

- كنت أظن أن رحلاتك قد تجلب لك الكثير من المخاطر.

قال لونجفوت بحيوية: «بالفعل، بالفعل. هذا هو الوقت الذي تظهر فيه فائدة موهبتي الرائعة في الاختباء».

نوعها يقاوم كل شيء

ليل. برد. عصفت الرياح المالحة بقمة التل، وكانت ملابس فيرو رقيقة وممزقة. احتضنت ذراعيها ورفعت كتفيها، حدقت عابسة نحو البحر. باتت داجوسكا مجرد سحابة بعيدة من الثقوب المضيئة المتجمعة حول صخرة حادة بين الخليج الكبير المنحني والمحيط المتلألئ. ميزت عيناها أشكال الأسوار والأبراج الغامضة والصغيرة، سوداء تحت السماء المظلمة، وعنق اليايسة الضيق الجاف يربط المدينة بالأرض. كادت تكون جزيرة. بينهما وبين داجوسكا كانت هناك نيران. معسكرات على طول الطرق. معسكرات كثيرة.

همس يولواي، جالسًا على صخرة بجانبها: «داجوسكا، شظية صغيرة من الاتحاد، مغروزة في جوركول مثل شوكة. شوكة في كبرياء الإمبراطور». تمتمت فيرو وهي تزيد من انحناء كتفيها: «هاه».

- المدينة مراقبة. جنود كثيرون. أكثر من أي وقت مضى. قد يكون من الصعب خداع هذا العدد الكبير.

تمتمت بأمل: «ربما يجب أن نعود».

تجاهلها العجوز: «هم هنا أيضًا. أكثر من واحد».

- أكلون؟

- يجب أن أقترّب. أجد طريقًا للدخول. انتظريني هنا. (توقف منتظرًا ردها) هل ستنتظرين؟

همست بغضب: «حسنًا! حسنًا، سأنتظر!».

انزلق يولواي عن صخرته واختفى في المنحدر، تحرّك بخفة على الأرض الناعمة، يكاد يكون غير مرئي في ظلام الليل. عندما تلاشى صوت أساوره

المتناغم في الليل، استدارت مبتعدة عن المدينة، أخذت نفساً عميقاً، وهرولت على المنحدر جنوباً، عائدة إلى جوركول.

فيرو تستطيع أن تركض. سريعة كالرياح، لساعات طويلة. قضت الكثير من الوقت في الجري. عندما وصلت إلى أسفل التل، ركضت بسرعة، وطارت قدماها على الأرض المكشوفة، وخرجت أنفاسها سريعة وعنيفة. سمعت صوت الماء قريباً، فانزلقت عن الضفة وغاصت في مياه النهر الضحلة بطيئة الحركة. استمرت في التقدم، متعثرة في المياه الباردة حتى وصلت إلى ركبتيها.

فليحاول العجوز اللقيط تتبَّعي الآن.

بعد فترة، جمعت أسلحتها في حزمة ورفعته فوق رأسها وهي تسبح عبر النهر، تقاوم التيار بذراع واحدة. خرجت من الجهة الأخرى وركضت على طول الضفة، تمسح وجهها المبلل بالماء.

مر الوقت ببطء، وبدأ الضوء يتسلل إلى السماء. كان الصباح يقترب. النهر يهمس بجانبها، وصوت صندلها ينبض بإيقاع سريع على العشب المتناثر. تركت النهر خلفها، واستمرت في الجري عبر المناظر الطبيعية المسطحة، التي تحولت الآن من الأسود إلى الرمادي. ظهر لها تجمع من الأشجار المتفرقة. اضطجعت بين جذوعها وانزلقت بين الدغل، وأنفاسها تتلاحق. ارتجفت في الضوء الباهت، قلبها ينبض في صدرها. كان الصمت يحيط بالأشجار. جيد. أخرجت بعض الخبز وقطعة من اللحم من ملابسها، مبتلة من السباحة لكنها لا تزال صالحة للأكل. ابتسمت. لقد ادخرت نصف ما أعطاه لها يولواي الأيام القليلة الماضية.

ضحكت فيرو بينها وبين نفسها وهي تمضغ بصعوبة: «أيها العجوز الغبي، ظن أنه يستطيع التفوق على فيرو مالجين، أليس كذلك؟».

كانت عطشى بشدة. لا يوجد حل لهذا الآن، يمكنها العثور على ماء لاحقاً. لكنها كانت متعبة، متعبة جداً. حتى فيرو تتعب. ستستريح هنا للحظة، فقط للحظة. تستعيد قوتها في ساقبها، ثم تواصل... لكنها انزعجت من الفكرة. يمكنها التفكير في الوجهة لاحقاً. أي مكان يناسب الانتقام. نعم.

زحفت عبر الشجيرات، واستندت بظهرها إلى إحدى الأشجار. أغلقت عينيها ببطء، رغمًا عنها. فقط استراحة للحظة الآن. الانتقام لاحقاً.

تمت: «العجوز اللقيط». وسقط رأسها جانبًا.

- أخي!

استيقظت فيرو فجأة، وارتطم رأسها بالشجرة. كان الضوء ساطعًا، ساطعًا جدًا. يوم مشرق وحار آخر. كم من الوقت كانت نائمة؟

- أخي! (صوت امرأة، ليس بعيدًا) أين أنت؟

- هنا!

تجمدت فيرو، توترت عضلاتها كلها. صوت رجل، عميق وقوي وقريب. سمعت حوافر الخيول، تتحرك ببطء، عدة خيول قريبة.

- ماذا تفعل، يا أخي؟

صاح الرجل مرة أخرى: «إنها قريبة! (ضاق حلق فيرو) أستطيع شم رائحتها! (بدأت تبحث في الشجيرات عن أسلحتها، دفعت السيف والسكين في حزامها، وأخفت السكين الآخر تحت كمها الممزق) أستطيع أن أذوقها، أختي! إنها قريبة جدًا!».

اقترب صوت المرأة أكثر: «لكن أين؟ هل تظن أنها تستطيع سماعنا؟».

ضحك الرجل: «ربما تستطيع! هل أنت هناك، يا مالجين؟ (ألقت جعبتها على كتفها والتقطت قوسها، غنّى) نحن ننتظرك.. (اقترب أكثر، كان الآن خلف الأشجار مباشرة) اخرجي يا مالجين، اخرجي وألقي التحية».

اندفعت بعيدًا، مختربة الشجيرات، تركض عبر الأرض المفتوحة بسرعة يائسة.

صرخت المرأة من ورائها: «ها هي! انظر إليها كيف تجري!».

صاح الرجل: «أمسكي بها إذن!».

امتدت السهول العشبية القاحلة أمامها بلا انقطاع. لا مكان للهرب. استدارت فجأة بزمجرة، ولقمت سهمًا في وتر قوسها. اندفع نحوها أربعة فرسان، جنود جوركوليون، تلمع الشمس على خوذاتهم العالية ورؤوس رماحهم القاسية. خلفهم، على مسافة أبعد، كان هناك فارسان آخران: رجل وامرأة.

صاح أحد الفرسان: «قفي! باسم الإمبراطور!».

- اللعنة على الإمبراطور الخاص بك!

انطلق سهم فيرو الأول واخترق عنق أول الجنود، فسقط عن السرج متخبطاً بصوت غرغرة مصدومة، وسقط رمحه من يده.

صاحت المرأة: «تصويب جيد!» أصاب السهم الثاني الجندي التالي في صدره، وخفف درعه من الإصابة، لكنه لم يمنع السهم من الغوص بما يكفي لقتله. صرخ، وأسقط سيفه في العشب، ماسكاً السهم وهو يتلوى على السرج. الثالث لم يُصدِر أي صوت حتى. أصابه السهم في فمه من مسافة لا تزيد على عشر خطوات. اخترق رأسه وأسقط خوذته، لكن الجندي الرابع وصل إليها. بينما أُلقت القوس على الأرض وتدحرجت بعيداً كان الجندي يهاجمها برمحه، ثم سحبت السيف من حزامها وبصقت على العشب.

صاحت المرأة وهي تدفع حصانها للأمام بلا مبالاة: «حية! نريدها حية!». أدار الجندي حصانه، واقترب بحذر نحو فيرو. كان رجلاً ضخماً، بذقن كثيف عليه شعر داكن. قال: «أمل أن تكوني قد تصالحت مع الرب، أيتها الفتاة».

- تَبّاً لك!

ابتعدت عن الطريق، تتفادى ضرباته، تتحرك، تبقى ملتصقة بالأرض. طعن الجندي برمحه نحوها، يحاول إبقاءها على مسافة منه، وحوافر حصانه تضرب الأرض، وتركل الغبار في وجه فيرو.

سمعت المرأة تصرخ من خلفها: «اطعنها!».

صاح شقيقها وسط ضحكاته: «نعم، اطعنها! لكن ليس بقوة! نريدها حية!».

انطلق الجندي بحصانه نحوها. انحنت فيرو وتدحرجت أمام أرجل الحصان الراكلة. انطلق الرمح نحوها وأصاب ذراعها بجرح. أرجحت السيف بكل قوتها.

اخترق النصل المنحني فجوة بين صفائح درع الجندي، وبتر ساقه أسفل الركبة، وفتح جرحاً كبيراً في جانب الحصان. صرخ الرجل والحيوان معاً، وسقطا على الأرض. سال الدم الداكن عبر التراب.

قالت المرأة بنبرة تحمل خيبة أمل طفيفة: «لقد أصابته!».

ضحك شقيقها: «قف، يا رجل! انهض وهاجمها! ما تزال هناك فرصة!».

كان الجندي يتلوى على الأرض، لكن سيف فيرو أنهى صراخه باختراق وجهه. الجندي الثاني كان ما زال على السرج، وجهه يتلوى وهو يلهث أنفاسه الأخيرة، ممسكًا بالرمح الدامي. حصانه خفض رأسه وبدأ في تناول العشب الجاف عند حوافره.

قالت المرأة: «انتهت منهم جميعًا».

تنهد شقيقها بعمق: «أعلم. هل يجب أن أقوم بكل شيء بنفسى؟».

نظرت فيرو إليهما وهي تدفع السيف الملطخ بالدماء في حزامها. كانا يجلسان بلا مبالاة فوق خيولهما على مقربة، الشمس الساطعة خلفهما، الابتسامات ترتسم على وجهيهما الوسمين والقاسيين. كانا يرتديان مثل اللوردات، الحرير يرفرف حولهما في الرياح، مثقلان بالجواهر، لكن لم يكن أيُّ منهما مسلحًا. أسرع فيرو بحثًا عن قوسها.

قالت المرأة وهي تفحص أظفارها: «احذر، يا أخي، إنها تقاتل جيدًا».

- مثل الشيطان! لكنها ليست نذًا لي، لا تخافي. (قفز عن السرج) إذن، يا مالجين، هلاً.. (اخترق السهم صدره حتى ظهر من الناحية الأخرى بصوت ارتطام أجوف).. بدأنا؟

ارتعش السهم، والتمع رأسه خلف الرجل، جافة بلا دم. بدأ يمشي نحوها. أصاب السهم التالي كتفه، لكنه لم يفعل سوى جعله يركض بسرعة أكبر، متجهًا نحوها بخطوات هائلة. ألقت فيرو القوس، تحاول الوصول إلى سيفها، لكنها كانت بطيئة جدًا. ضربها بذراعه الممتدة على صدرها بقوة رهيبة، وألقاها على الأرض.

صاحت المرأة، تصفق بيديها بفرح: «أحسن، يا أخي! أحسنت!».

تدحرجت فيرو وهي تسعل في التراب. رأت الرجل يراقبها وهي تكافح للنهوض، أمسكت السيف بكلتا يديها. أرجحت السيف بقوة في انحناء كبيرة فوق رأسها. غاص السيف عميقًا في الأرض. بطريقة ما، كان قد تحرك جانبًا بالفعل. انطلقت قدم من العدم وغاصت في بطنها. انحنى بلا حول ولا قوة، الهواء يخرج من جسدها. أصابعها ارتعشت، وظل السيف عالقًا في الأرض، ركباتها تترنحان.

«والآن....» شيء سحق أنفها. انهارت ساقاها وسقطت على الأرض بقوة. تدرجت ببطء على ركبتيها، العالم يدور من حولها. كان هناك دم على وجهها. رمشت بعينيها وهزت رأسها، تحاول إيقاف دوران العالم. تقدم الرجل نحوها، مائلاً، غير واضح. سحب السهم من صدره وألقاه بعيداً. لم يكن هناك دم، فقط غبار، غبار يتطاير في الهواء.

أكل. لا بد أنه واحد منهم.

ترنحت فيرو وهي تقف، سحبت السكين من حزامها. حاولت طعنه، أخطأت. حاولت مجدداً، وأخطأت مرة أخرى. رأسها كان يدور. صرخت وهي تضربه بكل قوتها.

أمسك معصمها بيده. بين وجهيهما أقل من قدم واحدة. كانت بشرته مثالية، ملساء، مثل زجاج داكن. بدا شاباً، وكأنه طفل تقريباً، لكن عينيه كانتا قديمتين. عيان قاسيتان. كان يراقبها بفضول، وكأنه صبي عثر على خنفساء مثيرة للاهتمام: «إنها لا تستسلم، أليس كذلك، أختي؟».

- شرسة جداً! الرسول سيكون مسروراً بها!

شم الرجل رائحة فيرو وجعد أنفه: «أغخ. الأفضل أن تُغسل أولاً».

ضربته برأسها في وجهه. تراجع رأسه إلى الخلف لكنه ضحك فقط. أمسك بحلقها بيده الأخرى، ودفعها بعيداً بطول ذراعه. حاولت أن تخدش وجهه لكن ذراعه كانت طويلة جداً، لم تصل إليها. فكك أصابعها من مقبض السكين. قبضته حديدية حول عنقها. لم تستطع التنفس. كشرت عن أسنانها، تكافح، تصرخ، تتلوى. كل ذلك بلا جدوى.

- حية، يا أخي! نريدها حية!

تمتم الرجل: «حية، لكن غير سالمة».

ضحكت المرأة. ارتفعت قدما فيرو عن الأرض، تركل الهواء. شعرت بإحدى أصابعها تنكسر وسقط السكين على العشب. ازدادت قبضته ضيقاً حول عنقها، وهي تحاول خمشها بأظفارها المكسورة. بلا جدوى. بدأ العالم المشرق يظلم.

سمعت المرأة تضحك، من بعيد. ظهر وجهه في الظلام، ويد تربت على خد فيرو. أصابعها ناعمة، دافئة، وحنونة.

همست المرأة: «اهدئي يا طفليتي، (كانت عيناها داكنتين وعميقتين. شعرت فيرو بأنفاسها، دافئة وعطرة على وجهها) أنت مجروحة، عليك أن ترتاحي. اهدئي الآن... نامي. (ثقلت ساقا فيرو كالرصاص. ركلت بضعف، للمرة الأخيرة، ثم ارتخى جسدها. هدأت نبضات قلبها) استريح الآن. (بدأت جفون فيرو تتثاقل، وبدأ وجه المرأة الجميل يتلاشى) نامي. (عضت فيرو على لسانها بقوة، وامتلأ فمها بطعم مالح) كوني هادئة».

بصقت فيرو دمًا على وجه المرأة.

صاحت المرأة باشمئزاز، وهي تمسح الدم من عينيها: «آه! إنها تقاومني!».

جاء صوت الرجل من خلف أذن فيرو: «نوعها يقاوم كل شيء».

همست المرأة بغضب: «اسمعيني جيدًا، أيتها العاهرة! (وأمسكت فك فيرو بأصابع حديدية، وجذبت وجهها يمينًا ويسارًا) ستأتين معنا! معنا! بطريقة أو بأخرى! هل تسمعينني؟».

- لن تذهب إلى أي مكان.

جاء صوت آخر، عميق وهادئ. بدا مألوفًا. رمشت فيرو، وهزت رأسها بتثاقل. استدارت المرأة، تنظر إلى رجل عجوز يقف على مسافة ليست بعيدة. يولواي. كانت أساوره ترن بلطف وهو يمشي بخفة على العشب: «هل ما زلت على قيد الحياة، يا فيرو؟».

تمتمت بصوت مبجوح: «غغ...».

استهزأت المرأة بيولواي: «من أنت أيها العجوز اللقيط؟».

تنهد يولواي: «أنا عجوز لقيط».

صرخ الرجل: «ارحل عن هنا، أيها الكلب! نحن من عند الرسول، من عند خالول نفسه!».

- وهي ستأتي معنا!

بدت ملامح الحزن على وجه يولواي: «ألا يمكنني أن أغير رأيكما؟».

ضحكا معًا. صرخ الرجل: «أحمق! رأينا لن يتغير أبدًا!» أطلق ذراع فيرو، وأخذ خطوة حذرة إلى الأمام، وجذبها معه.

قال يولواي وهو يهز رأسه: «يا للأسف، كنت لأطلب منكما نقل تحياتي إلى خالول».

سخرت المرأة: «الرسول لا يتعامل مع أمثالك، أيها المتسول!».

- قد أفاجئك. نعرف بعضنا جيدًا منذ زمن بعيد.

سخرت المرأة: «سأرسل تحياتك إلى سيدنا إذن، مع خبر موتك الحديث!».

لوت فيرو معصمها، وشعرت بالسكين يسقط في راحة يدها.

- أوه، سيستمع خالول بهذا الخبر، لكنه لن يتلقاه بعد. أنتما الاثنان قد

لعنتما نفسيكما. لقد خرقتما القانون الثاني. أكلتما لحم البشر، ولذا

فهناك حساب.

سخرت المرأة: «أيها الأحمق العجوز! قوانينك لا تنطبق علينا!».

هز يولواي رأسه ببطء: «كلمة إيوز تحكم الجميع. لا استثناءات. لن

يخرج أي منكما من هذا المكان حيًا». بدأ الهواء حول الرجل العجوز يتلألأ،

يلتف، ويغيم. أطلقت المرأة صوتًا مبوحًا وسقطت فجأة على الأرض، أكثر

من مجرد سقوط، كانت تذوب، تنكمش، وثوبها الحريري الداكن يتدلى حول

جسدها المتهاوي.

- أختي!

ترك الرجل ذراع فيرو، وقفز نحو يولواي، ذراعه ممدودتان. لكنه لم يخطُ

سوى خطوة واحدة قبل أن يطلق صرخة حادة ويسقط على ركبتيه، ممسكًا

رأسه. بالكاد تمكنت فيرو من تثبيت قدميها المتعثرتين، وأمسكت شعره

بيدها المكسورة وغرزت السكين في عنقه. انفجرت سحابة من الغبار في

الهواء. نافورة من الغبار. بدأت ألسنة اللهب تتلألأ حول فمه، محرقة شفتيه

حتى اسودتا، ولسعت الحرارة أصابعها. أسقطت نفسها فوقه، تسحبه إلى

الأرض، وهي تختنق، وتلهث. فتح النصل بطنه، وحك أضلاعه، وانكسر داخل

صدره. ألسنة نار وغبار. واصلت طعن الجسد بوحشية، بالسكين المكسور،

طويلاً بعد أن توقف عن الحركة.

شعرت بيد على كتفها: «لقد مات، يا فيرو. كلاهما مات». أدركت أنها

محقة. كان الرجل مستلقيًا على ظهره، يحدق إلى السماء، وجهه محروق

حول أنفه وفمه، والغبار يتطاير من جراحه المفتحة.

كان صوتها مكسورًا في حلقها: «لقد قتلتته».

- لا، يا فيرو. أنا من فعل ذلك. كانا آكلي صغار، ضعفاء وحمقى. ومع

ذلك، كنتِ محظوظة لأنهم أرادوا القبض عليك فقط.

تمت: «أنا محظوظة»، وبصقت لعابًا مخلوطًا بالدم على جثة الأكل. أسقطت السكين المكسور، وزحفت مبتعدة على أربعة قوائم. كان جسد المرأة ملقى بجانبها، إذا كان يمكن تسميته جسدًا. كتلة من اللحم معجونة الشكل. رأت شعراً طويلاً، وعيناً، وشفاهاً.

تمت بفم ملطخ بالدماء: «ماذا فعلت؟».

- هي حوّلت عظامها إلى ماء. وهو أحرقته من الداخل. الماء لأحدهم، والنار للآخر. أيّ ما ينفع لجنسهم.

تقلبت فيرو على العشب، ونظرت إلى السماء الساطعة. رفعت يدها أمام وجهها، وهزتها. تدلت إحدى أصابعها وتأرجحت ذهاباً وإياباً.

ظهر وجه يولواي فوقها، يحدق إليها: «هل يؤلمك؟».

همست، وهي تترك ذراعها تسقط على الأرض: «لا، لا يؤلم أبداً. (نظرت إلى يولواي وهي ترمش بعينيها) لماذا لا يؤلم أبداً؟».

عبس الرجل العجوز: «لن يتوقفوا عن البحث عنك، يا فيرو. هل ترين الآن لماذا عليك أن تأتي معي؟».

أومأت ببطء. كان الجهد هائلاً. همست: «أرى، أرى...».

بدأ العالم يظلم مرة أخرى.

مكتبة

t.me/soramnqraa

هي.. لا تحبني

صرخ چيزال «أه!»، غاصت ذبابة سيف فيليو بقوة في كتفه. تراجع مترنحًا، يتألم ويلعن، ومبارز ستيريا يبتسم له ويلوح بسلاحه.

صاح الحكم: «لمسة للسيد فيليو! تعادل بنقطتين!». وانطلقت تصفيقات متفرقة وفيليو يعود إلى سقيفة المتسابقين بابتسامة مزعجة على وجهه. تمتم چيزال لنفسه وهو يتبعه: «أيها الوغد الماكر». كان يجب أن يتوقع تلك الهجمة. لقد تهاون معه، وهو يعلم ذلك.

تمتم فاروز وهو يرى چيزال يرتمي على كرسيه يلهث بصعوبة: «تعادل بنقطتين؟ تعادل؟ مع هذا النكرة؟ إنه ليس حتى من الاتحاد!».

فَضَّلَ چيزال ألا يشير لأن ويستبورت باتت جزءًا من الاتحاد في هذه الأيام. عرف ما يقصده فاروز، والجميع في الساحة كذلك أيضًا. فكل ما يهم أن الرجل كان غريبًا. التقط القماش من يد ويست الممدودة ومسح وجهه المبلل بالعرق. خمس لمسات تعني مباراة طويلة، لكن لم يظهر على فيليو أي تعب. كان يقفز على أصابع قدميه عندما نظر چيزال نحوه، يهز رأسه مستجيبًا للنصائح الصاخبة التي يصيح بها مدربه الستيرياني.

همس ويست وهو يناول چيزال زجاجة الماء: «يمكنك هزيمته! يمكنك هزيمته، وبعدها ستكون في النهائي». النهائي. وهذا يعني جورست. لم يكن چيزال متأكدًا تمامًا من أنه يريد مواجهة ذلك.

لكن فاروز لم يكن لديه شكوك. زمجر المارشال وچيزال يرتشف من الزجاجة، ويتمضمض بها في فمه: «اهزمه فقط! اهزمه!». بصق چيزال نصف الماء في الدلو وابتلع الباقي. اهزمه فقط. قول سهل، لكن هذا الستيرياني كان خبيثًا.

قال ويست مجددًا، وهو يدلك كتف چيزال: «يمكنك فعلها! لقد وصلت إلى هذه المرحلة!».

حدّق المارشال فاروز إلى عينيّ چيزال: «اقتله! اقتله فقط! هل أنت نكرة، أيها النقيب لوثار؟ هل أضعت وقتي عليك؟ أم أنك شخص له أهمية؟ ها؟ الآن وقت القرار!».

نادى الحكم: «أيها السادة، من فضلكم! اللسة الحاسمة!».

زفر چيزال بقوة، وتناول أسلحته من يد ويست، ونهض على قدميه. كان يسمع مدرب فيليو يهتف له عبر ضجيج الحشد المتزايد. صاح فاروز مرة أخيرة: «اقتله فقط!»، ثم انطلق چيزال نحو الحلبة.

اللسة الحاسمة. حاسمة بكل المقاييس. هل سيكون في النهائي أم لا؟ هل سيكون أحدًا ما أم لا؟ لكنه كان متعبًا، متعبًا جدًا. كان يبارز بلا توقف لقراءة نصف ساعة، في الحر، وهذا يستنزف قواه. كان يتصبب عرقًا مرة أخرى. شعر به يتساقط من وجهه في قطرات كبيرة.

تحرك نحو علامته. قطعة صغيرة من الطباشير على عشب جاف. وقف فيليو ينتظره، ما زال مبتسمًا، ينتظر انتصاره. الحقير الصغير. إذا استطاع جورست تحطيم الآخرين في الحلبة، فمؤكد چيزال يمكنه سحق وجه هذا المغرور على الرصيف. اعتصر مقابض أسلحته وركز على تلك الابتسامة المقززة. تمنى للحظة لو لم تكن الأسلحة ثلثة، حتى خطر له أنه قد يكون هو من يُطعن.

- ابدأ!

عبث چيزال بأوراق اللعب بين يديه، يقلبها هكذا أو ذاك دون أي اكتراث بالرموز التي عليها، ودون أن يهمه إن كانت مخفية عن أعين الآخرين أم لا.

قال كاسبًا: «سأزيد عشرة»، وهو يدفع بعض القطع النقدية عبر الطاولة بنظرة توحى... بشيء ما على الأرجح، لكن چيزال لم يهتم بما توحى به. كان عقله في مكان آخر تمامًا. مرت لحظات طويلة من الصمت.

تذمر چالينهورم: «دورك في المراهنة، چيزال».

- دوري؟ آه، أمم... (نظر سريعاً إلى الرموز التي بدت بلا معنى، غير قادر على أخذ الأمر بجدية) أمم، حسناً... أنا أنسحب.

ألقي بالأوراق على الطاولة. خسر اليوم، وبشدة، لأول مرة منذ فترة لم يعد يتذكرها. ربما لأول مرة على الإطلاق. انشغل بالتفكير في آردي: كيف سيمكنه أن يضاجعها دون التسبب في أذى دائم لأي منهما، وخصوصاً دون أن يُقتل على يد ويست. ولسوء الحظ، لم يقترب من إجابة بعد.

جمع كاسبا القطع النقدية بابتسامة عريضة على وجهه في انتصار غير متوقع: «لقد كانت معركة جيدة اليوم، چيزال. كانت صعبة، لكنك انتصرت في النهاية، هاه؟».

تمتم چيزال وهو يلتقط غليونه عن الطاولة: «أمم».

- أقسم، ظننت أنه سيهزمك في لحظة ما، ولكن بعد ذلك، (وطرق أصابعه أمام وجه برينت) بهذه البساطة! أطحت به أرضاً. الجمهور أحب ذلك! ضحكت كثيراً حتى كدت أبطل نفسي، أقسم!

سأل چالينهورم: «هل تعتقد أنك تستطيع هزيمة جورست؟».

- أمم.

اكتفى چيزال بهز كتفيه، وأشعل غليونه واتكأ في كرسيه، ناظرًا إلى السماء الرمادية وهو يمتص الدخان من الغليون.

قال برينت: «تبدو هادئاً جداً حيال الأمر كله».

- أمم.

تبادل الضباط الثلاثة النظرات، محبطين من فشل الحديث الذي اختاروه. اختار كاسبا موضوعاً آخر: «هل رأيت الأميرة تيريز بعد؟»، تنهد برينت وچالينهورم وزفروا بإعجاب، وبدؤوا في التعبير عن تقديرهم الساذج للمرأة.

- هل رأيناها؟ وهل هناك من لم يرها؟

- يطلقون عليها جوهرة تالينز!

- الشائعات لم تكذب بشأنها!

- سمعت أن زواجها بالأمير لاديسلا أصبح محسومًا.

- محظوظ هو!

وهكذا استمروا.

بقي چيزال جالسًا في كرسيه، ينفث الدخان نحو السماء. لم يكن متأكدًا كثيرًا بشأن تيريز، مما رآه منها حتى الآن. جميلة من بعيد، بلا شك، لكنه تخيل أن وجهها سيكون أشبه بالزجاج عند لمسه: باردًا، وصلبًا وهشًا. لا شيء مثل وجه أردي.

استمر چالينهورم بالثرثرة: «ومع ذلك، يجب أن أعترف، كاسبا، أن قلبي لا يزال مع ابنة عمك أريس. سأفضل فتاة اتحاد في أي يوم عن هؤلاء الأجنيات». تمتم چيزال: «تعني تفضل مالها»، ورأسه ما زال مائلًا للخلف.

احتجَّ الرجل الضخم: «كلا! إنها سيدة بكل معنى الكلمة! رقيقة، خجولة، ذات نسب عالٍ. آه!». ابتسم چيزال لنفسه؛ إذا كانت تيريز زجاجًا باردًا، فإن أريس سمكة ميتة. تخيل أن تقبيلها سيكون أشبه بتقبيل خرقة قديمة: رخو وممل. لم تكن لتستطيع التقبيل كما تفعل أردي. لا أحد يمكنه ذلك.

ثرثر برينت: «حسنًا، كلاهما جميلتان، بلا شك، نساء رائعات يحلم المرء بهن، إذا كانت الأحلام هي كل ما تبحث عنه...»، اقترب برينت متأمرًا، بابتسامة متحيرة، وكأنه يحمل سرًا مثيرًا. اقترب الرجلان الآخران بكرسييهما، لكن چيزال بقي مكانه، غير مهتم بسماع أي شيء عن أي عاهرة يضاجعها ذلك الأحمق.

تمتم برينت: «هل قابلتُم أخت ويست؟ (تبيست عضلات چيزال كلها) ليست بمستوى الاثنتين بالطبع، لكنها جميلة بشكل عادي... وأعتقد أنها ستكون راغبة». لعق برينت شفثيه ونكز بكوعه أضلاع چالينهورم. ضحك الرجل الضخم بخجل كما لو كان صبيًا يستمع إلى نكتة قذرة.

ضحك كاسبا: «أجل، تبدو لي من النوع الراغب». وضع چيزال غليونه على الطاولة، ولاحظ أن يده ترتعش قليلًا والأخرى كانت تقبض على ذراع الكرسي بقوة حتى ابيضت مفاصله.

قال برينت: «أؤكد، لو لم أعتقد أن الرائد سيطعنني بسيفه، لأغريتُ لطعن شقيقته بسيفي، هاه؟»، ضحك چالينهورم ضحكة مكتومة. بينما شعر چيزال أن إحدى عينيه ترتعش كان برينت يوجه ابتسامته نحو وجهه: «ماذا تظن، چيزال؟ ألم تقابلها؟».

- ماذا أظن؟ (بينما بدا صوته آتياً من مكان بعيد جداً كان يحدق إلى تلك الوجوه الثلاثة المبتسمة) أظن أنه عليك أن تراقب فمك، يا بن العاهرة اللعينة.

وقف الآن، وأسنانهُ مطبقة بإحكام حتى شعر وكأنها قد تتشقق. تلاشت ابتساماتهم بسرعة. شعر بيد كاسبا على ذراعه: «هيا، لم يقصد...».

انتزع چيزال ذراعه بعيداً، وأمسك بحافة الطاولة وقلبها. تناثرت العملات المعدنية، والأوراق، والزجاجات، والكؤوس في الهواء وسقطت على العشب. كان سيفه في يده الأخرى، ولحسن الحظ كان لا يزال في غمده. انحنى فوق برينت، يرش لعابه في وجهه: «اسمعني جيداً، أيها الحقير! (زمجر) إذا سمعت شيئاً آخر كهذا، أي شيء، فلا تقلق بشأن ويست! (ضغط بمقبض سيفه على صدر برينت) سأسلخك كالدجاجة اللعينة!».

حدق الثلاثة إليه، أفواههم مفتوحة، مصدومين من استعراض العنف المفاجئ هذا، چيزال نفسه كان مصدوماً. قال چالينهورم: «لكن...».

صرخ چيزال: «ماذا؟ (وملاً قبضته بستره الرجل الضخم وسحبه لنصف المسافة خارج كرسيه) ماذا قلت بحق السماء؟».

همس الرجل، رافعاً يديه: «لا شيء، لا شيء». تركه چيزال. بدأ الغضب يتلاشى بسرعة. فكر بالاعتذار، لكن حينما رأى وجه برينت الشاحب، لم يستطع أن يفكر إلا في عبارة: «تبدو لي من النوع الراغب».

زمجر مجدداً: «كالدجاجة اللعينة!» ثم استدار وغادر. في منتصف الطريق نحو الممر المقوس أدرك أنه نسي معطفه، لكنه لم يستطع العودة لأخذه الآن. وصل إلى ظلمة النفق، خطأ بضع خطوات ثم انهار على الحائط، يتنفس بصعوبة ويرتجف كما لو كان قد ركض لعشرة أميال. أدرك الآن ما يعنيه فقدان المرء لأعصابه، وبلا خطأ. لم يعرف حتى أنه هكذا، لكن الآن لم يعد لديه أي شك.

- ما الذي حدث بحق السماء؟

تردد صوت برينت المصدوم لأذنيه من آخر النفق، بالكاد مسموعاً فوق صوت نبضات قلبه. كان عليه أن يحبس أنفاسه ليسمع.

بدا چالينهورم أكثر اندهاشًا: «فلأعلن إن كنت أعرف، (كان هناك صوت ارتطام وهمهمة في أثناء إعادة الطاولة إلى وضعها الطبيعي) لم أكن أعلم أنه يمتلك مثل هذا المزاج».

قال كاسبا بتردد: «أعتقد أن لديه الكثير ليفكر فيه، مع المسابقة وكل شيء...».

قاطعها برينت: «هذا ليس عذرًا!».

- لكنهما مقربان، أليس كذلك؟ هو وويست؟ بما أنهما يتدربان معًا في المباراة وكل ذلك، ربما يعرف أخته أو شيء من هذا القبيل... لا أدري! سمع چيزال صوت برينت يقول: «هناك تفسير آخر، (توتر صوته وكأنه على وشك إلقاء نكتة) ربما هو واقع في حبها!». انفجر الثلاثة في الضحك. كانت نكتة جيدة بالطبع. النقيب چيزال دان لوثار، واقع في الحب، ومع فتاة مكانتها أدنى بكثير من مكانته. يا لها من فكرة سخيفة! يا لها من فكرة عبثية! يا لها من نكتة!

وضع چيزال رأسه بين يديه: «اللعنة». لم يشعر برغبة في الضحك. كيف بحق السماء فعلت هذا به؟ كيف؟ ماذا كان بها؟ كانت جميلة، بالطبع، وذكية ومرحة وكل تلك الأشياء، لكن هذا لم يكن تفسيرًا كافيًا. همس لنفسه: «لا أستطيع أن أراها مرة أخرى، لن أفعل!»، وضرب الحائط بيده. كانت عزيمة حديدية. هكذا كان دائمًا.

حتى تصل الرسالة التالية تحت بابيه.

تأوه وصفع جانب رأسه. لماذا يشعر هكذا؟ لماذا... لم يستطع حتى أن يتجرأ على التفكير في الكلمة... لماذا هو معجب بها هكذا؟ ثم خطر له. أدرك السبب.

هو لا يعجبها.

ابتساماتها الساخرة تلك. نظراتها الجانبية التي التقطها أحيانًا. تلك النكات الحساسة أكثر مما ينبغي. ناهيك بمظاهر الاحتقار الصريح بين الحين والآخر. كانت تحب ماله، ربما. تحب مكانته في العالم، بالطبع. تحب مظهره، بلا شك. لكن، في جوهرها، كانت المرأة تحتقره.

وهذا شعور لم يعرفه من قبل. لطالما افترض أن الجميع يحبونه، ولم يكن لديه سبب حقيقي يشككه في كونه رجلًا ممتازًا، يستحق أعلى درجات

الاحترام. لكن أردى لم تكن تحبه، لقد أدرك ذلك الآن، وهذا جعله يفكر. بعيدًا عن الفك المربع، بالطبع، والمال والملابس، ماذا كان هناك لتحبه؟ عاملته بالازدراء الذي يعلم أنه يستحقه. ولم يكتفِ منه. تمتمّ چيزال لنفسه: «أغرب شيء، (واستند بكسل ويأس إلى جدار النفق) أغرب شيء». تلك الحقيقة جعلته يريد تغيير رأيها.

البذرة

- كيف حالك، ساند؟

فتح العقيد جلوكتا عينيه. كانت الغرفة مظلمة. اللعنة، لقد تأخر! صاح: «اللعنة! (ودفع الأغطية وهو ينهض من السرير) لقد تأخرت!». أمسك سروال الزي الرسمي، ودفع ساقيه فيه بصعوبة، محاولاً ضبط الحزام بيدين مرتجفتين.

كان صوت والدته نصف مهدئ، نصف متعجّل: «لا تقلق بشأن ذلك، ساند! أين البذرة؟».

عقد جلوكتا حاجبيه وهو يزرر قميصه: «ليس لدي وقت لهذا الهراء، أمي! لماذا تظنين دائماً أنك تعرفين ما هو الأفضل لي؟ (نظر حوله بحثاً عن سيفه، لكنه لم يجده) نحن في حالة حرب، كما تعلمين!».

- نحن كذلك بالفعل.

رفع العقيد نظره، متفاجئاً. كان صوت المقرئ الأعلى سولت: «حربان. واحدة تُخاض بالحديد والنار، وأخرى تحت السطح، حرب قديمة، طال صنعها لسنوات طويلة».

عبس جلوكتا. كيف يخطئ بحق السماء بين ذلك الثرثار العجوز ووالدته؟ وما الذي فعله في غرفة جلوكتا على أي حال؟ جالساً على الكرسي عند أسفل السرير، يهذي عن حروب قديمة؟

زمجر العقيد جلوكتا: «ماذا تفعل بحق السماء في غرفتي؟ وماذا فعلت بسيفي؟».

- أين البذرة؟

صوت امرأة الآن، لكنه لم يكن صوت والدته. صوت شخص آخر. لم يتعرف عليه. حاول أن يرى من الجالس على الكرسي، لكن الظلال كانت عميقة جدًا لتبين ملامح واضحة.

سأل جلوكتا بصرامة: «من أنت؟».

- من كنت؟ أم ماذا أصبحت؟ (تحركت هيئة الشخص في الكرسي ونهضت ببطء، بسلاسة، من مقعدها) كنتُ امرأة صبورة، لكنني لم أعد امرأة بعد الآن، وقد أنهكتني السنوات الطاحنة الطويلة. ارتعش صوت جلوكتا، ضعيفًا وهزيلًا وهو يتراجع للخلف: «ماذا تريد؟».

تحركت الشخصية، عبرت شعاع الضوء القادم من النافذة. شكل امرأة، رشيقة ونحيلة، لكن الظلال التصقت بوجهها. تسلل إليه شعور مفاجئ بالخوف، فتراجع متعثرًا حتى اصطدم بالحائط، رافعًا ذراعه لإبعاد المرأة عنه.

- أريد البذرة. (امتدت يد شاحبة وأمسكت بذراعه الممدودة. لمستها رقيقة، لكنها باردة. باردة كالحجر. ارتجف جلوكتا، شفق، وأغمض عينيه بشدة) أحتاج إليها. لا يمكنك أن تتخيل حاجتي إليها. أين هي؟ بدأت الأصابع تبحث في ثيابه، سريعة وماهرة، تبحث في جيوبه، قميصه، تلامس بشرته. باردة. باردة كالزجاج.

أطلق جلوكتا صوتًا حادًا، نصف مشلول من الخوف: «البذرة؟».

- أنت تعرف ما أقصده، أيها الرجل المحطم. أين هي؟ همس: «لقد سقط الصانع...». الكلمات تتدفق منه دون أن يعرف من أين أتت.

- أعرف ذلك.

- ... يحترق، يحترق!

- رأيته.

كان الوجه قريبًا بما يكفي ليشعر بأنفاسها على بشرته. باردة. باردة كالصقيع.

- ... تهشم على الجسر في الأسفل.

- أتذكر ذلك.

- بحثوا عن البذرة..

همس الصوت، مُلِحًا في أذنه: «نعم... أين هي؟»، شيء ما لامس وجهه، وخذده، وجفنه، ناعم ولزج. لسان. بارد. بارد كالثلج. زحفت القشعريرة على جلده.

- لا أعرف! لم يتمكنوا من العثور عليها!

- لم يتمكنوا؟ (أطبقت الأصابع على عنقه، تضغط، تسحق، تختنق أنفاسه. باردة. باردة كالحديد، وقاسية مثله) أتظن أنك تعرف الألم، أيها الرجل المكسور؟ أنت لا تعرف شيئًا! (صفرت الأنفاس الباردة في أذنه، والأصابع الباردة تعتصر، تعتصر) لكنني أستطيع أن أريك! أستطيع أن أريك!

صرخ جلوكتا، تقلب، وصارع. قاتل محاولًا النهوض، ووقف مترنحًا للحظة، انهارت ساقه وسقط في الفراغ. دارت الغرفة المظلمة من حوله، واصطدم بالأرض بصوت تحطم مريع، وذراعه منثنية تحته، وجبهته مرتطمة بالألواح.

حاول النهوض، متشبثًا بقدم السرير، يدفع نفسه نحو الحائط، يلهث من أجل الهواء، وعيناه الواسعتان تحدقان إلى الكرسي، لكنه بالكاد يستطيع النظر بسبب الخوف. اخترق ضوء القمر النافذة، اخترق الأغشية المبعثرة وأضاء الخشب الكرسي المصقول. فراغ.

جال جلوكتا بنظره في باقي الغرفة، وعيناه تتكيفان مع الظلام، يبحث في كل زاوية مظلمة. لا شيء. فراغ. حلم.

ومع ارتخاء طرق دقات قلبه العنيفة، وتباطؤ أنفاسه المتقطعة، بدأ الألم يتسلل. رأسه ينبض، ساقه تصرخ، وذراعه تخفق بألم خفيف. تذوق الدم، عيناه تحرقانه، وأمعائوه تتقلص، تشعره بالدوار والغثيان. تأوه، وقام بخطوة مؤلمة نحو السرير، ثم انهار على الفراش المضاء بضوء القمر، منهكًا، مبللًا بالعرق البارد.

كان هناك طرق عاجل على الباب: «سيدي؟ هل أنت بخير؟»، صوت بارنام. تكرر الطرق مرة أخرى. لا فائدة. الباب مغلق. مغلق دائمًا، لكن لا أظن أنني سأتحرك. سيضطر فروست إلى كسره. لكن الباب انفتح، وغطى جلوكتا عينيه من وهج المصباح المفاجئ الذي يحمله الخادم العجوز.

- هل أنت بخير؟

تمتم جلوكتا: «لقد سقطت، ذراعي...».

جلس الخادم العجوز على السرير، ممسكًا بيد جلوكتا بلطف ورافعًا قميص نومه. تأوه جلوكتا، وطقطق بارنام بلسانه. كان على ساعده أثر وردي كبير، بدأ بالفعل في الانتفاخ والاحمرار.

قال الخادم: «لا أعتقد أنها مكسورة، لكن يجب أن أحضر الجراح، احتياطيًا».

لوح جلوكتا بيده السليمة: «نعم، نعم. أحضره».

راقب جلوكتا الخادم العجوز وهو يسرع، مقوس الظهر، خارج الغرفة، وسمعه يخطو عبر الممر الضيق بالخارج، متجهًا نحو السلام الضيقة. سمع الباب الأمامي يغلق بصوت عالٍ. ثم حل الصمت.

نظر إلى اللقافة التي أخذها من متمرّس التاريخ، ما زالت ملفوفة بإحكام على الخزانة، تنتظر تسليمها إلى المقرر الأعلى سولت. سقط الصانع محترقًا. تهشم على الجسر بالأسفل. غريب كيف تتسلل أجزاء من الواقع إلى أحلام المرء. ذلك الشمالي اللعين والدخيل لديه. امرأة، وبرد. هذا ما أثارني.

فرك جلوكتا ذراعه بلطف، ضاغطًا على الجلد المتألم بأطراف أصابعه. لا شيء. مجرد حلم. ومع ذلك، كان هناك شيء يزعجه. نظر نحو الباب. المفتاح ما زال في القفل، يلمع بلون برتقالي تحت ضوء المصباح. ليس مغلقًا، ومع ذلك لا بد أنني أغلقته. لا بد أنني فعلت. أفعل ذلك دائمًا. نظر جلوكتا إلى الكرسي الفارغ. ماذا قال ذلك المتدرب الأحمق؟ السحر يأتي من الجانب الآخر. العالم السفلي. الجحيم.

في تلك اللحظة، بعد ذلك الحلم، لم يعد يبدو تصديق ذلك صعبًا. عاد الخوف يتسلل إليه، الآن بعد أن أصبح وحيدًا. مد يده السليمة نحو الكرسي. احتاج إلى وقت طويل حتى يصل إليه، مرتجفًا، مهتزًا. لامست أصابعه

الخشب. بارد، لكن ليس باردًا جدًا. ليس باردًا. لا يوجد شيء هناك. سحب يده ببطء، محتضناً ذراعه النابضة. لا شيء. فراغ. مجرد حلم.

- ما الذي حدث لك بحق الجحيم؟

مَصَّ جلوكتا لثته بامتعاظ: «سقطت عن السرير». خدش معصمه بلا مبالاة فوق الضمادة. كان الألم لا يطاق حتى آخر لحظة مضت، لكن المشهد أمامه أزاح الألم لنهاية عقله. كان يمكن أن أصبح في وضع أسوأ. أسوأ بكثير: «ليس مشهدًا جميلًا. على الإطلاق».

- معك محق تمامًا. (ظهر الاشمئزاز على سيفيرارد رغم تغطية نصف وجهه) كدت أتقيأ عندما رأيته لأول مرة. أنا!

حدق جلوكتا إلى الأسفل، عابسًا، في المَجْزرة المروعة أمامه، مستندًا بيده إلى جذع شجرة ودافعًا بعض السرخسيات جانبًا بطرف عصاه ليحصل على رؤية أوضح.

- هل نحن متأكدون أنه رجل؟

- قد تكون امرأة. إنسان على كل حال. هذه قدم.

- آه، بالفعل هي كذلك. كيف عُثِرَ عليه؟

- هو من وجده (أومأ سيفيرارد برأسه نحو بستانني جالس على الأرض، وجهه شاحب وعيناه شاردتان، وإلى جانبه على العشب بركة صغيرة من القياء الجاف) هنا وسط الأشجار، مخبأً بين الشجيرات. يبدو أن من قتلها حاول إخفاءها، لكن ليس منذ فترة طويلة. إنها طازجة. (بالفعل، لا توجد رائحة قوية، ولم يصل إليها سوى ذبابتين. طازجة جدًا، ربما حتى من الليلة الماضية) ربما لم تكن تُكتشف لأيام لولا أن أحدهم طلب تقليد هذه الأشجار. تحجب الضوء أو ما شابه. هل رأيت شيئًا مثل هذا من قبل؟

هَزَّ جلوكتا كتفيه: «مرة في إنجلترا، قبل أن تأتي. حاول أحد المحكومين الفرار. قطع بضعة أميال، ثم استسلم للبرد. احتفى دب بجثته. كان مشهدًا فوضويًا، لكن ليس بمثل سوء هذا».

- لا أعتقد أن أحدًا مات من البرد الليلة الماضية. كان الجو حارًا كالجحيم.
قال جلوكتا: «ممم، لو كانت الجحيم حارة. لطالما فكرت أنها قد تكون
باردة. باردة كالثلج. ليس لدينا دببة كثيرة في الأجيوننت على أي حال. هل
لدينا أي معلومات عن هوية هذا... (لوح بعصاه نحو الجثة)... الشخص؟»
- لا شيء.

- هل هناك أحد مفقود؟ أبلغ عن فقدانه؟

- لم أسمع عن شيء مشابه.

- إذا فليس لدينا أدنى فكرة حتى عن هوية الضحية؟ لماذا نهتم بهذا؟
أليس لدينا مجوسيٌّ مزيف لمراقبته؟

- هذا هو الأمر. موقع مبيتهم الجديد هناك تمامًا. (أشار سيفيرارد
بإصبعه المغطاة بالقفاز نحو مبنى على بعد عشرين خطوة فقط)
كنت أراقبهم عندما اكتُشِفَ هذا.

رفع جلوكتا حاجبًا: «أرى. وتشتبّه في وجود صلة ما، أليس كذلك؟ (هز
المنفذ كتفيه) متسللون غامضون في منتصف الليل، جرائم قتل مروعة على
عتبة بابهم؟ زوارنا يجذبون المتاعب مثلما يجتذب الروث الذباب».

قال سيفيرارد، وهو يبعد ذبابة بيده المغطاة بالقفاز: «هه، نظرت في
الأمر الآخر أيضًا. مصرفيوك. فالينت وبالك».

نظر جلوكتا إلى الأعلى: «حقًا؟ وماذا وجدت؟».

- ليس الكثير. بيت قديم. قديم جدًا ويحظى بالاحترام. أوراقهم النقدية
تساوي ذهبًا بين التجار. لديهم مكاتب في جميع أنحاء ميدرلاند،
أنجلاند، ستاريكلاند، وفي ويستبورت وداجوسكا. حتى خارج الاتحاد.
أناس أقوياء، بكل المقاييس. وأعتقد أن مختلف الناس يدينون لهم
بالمال. لكن الغريب، لا يبدو أن أحدًا قد قابل شخصًا باسم فالينت
أو بالك. من يدري مع البنوك، هاه؟ يحبون الأسرار. هل تريد مني أن
أبحث أكثر؟

قد يكون الأمر خطيرًا. خطيرًا جدًا. إذا حفرنا عميقًا أكثر، فقد نحفر قبورنا:
«لا. من الأفضل أن نتركه. في الوقت الحالي. لكن أبقي أذنك مفتوحتين».

- أذناي مفتوحتان دائمًا، يا زعيم. إذا من تتوقع أن يفوز في المسابقة؟

رمق جلوكتا المنفَّذ بنظرة: «كيف يمكنك التفكير في هذا بوجود ذلك أمامك؟».

هز المنفَّذ كتفيه: «كلامي لن يؤذيها بشيء، أليس كذلك؟ (نظر جلوكتا مرة أخرى إلى الجثة المشوهة. أفترض أنه لن يؤذيهم) إذاً هيا، لا بد أنك تعرف، لوثار أم جورست؟».

- جورست. آمل أن يشطر الوغد نصفين.
- حقاً؟ يقول الناس إنه ثور أخرق. مجرد محظوظ.
- حسناً، أنا أقول إنه عبقرى، خلال عامين، سيبارز الجميع بأسلوبه، إن كنت ستسمي ذلك مبارزة. تذكر كلماتي.
- جورست، إذا؟ ربما سأضع رهاناً صغيراً.
- افعل ذلك. لكن في الوقت الحالي، عليك أن تجمع هذه الفوضى وتأخذها إلى الجامعة. اطلب من فروست المساعدة، ف لديه معدة قوية.
- الجامعة؟
- لا يمكننا تركها هنا. قد تصاب إحدى السيدات الأنثىات بصدمة نفسية وهي تنتزه في الحديقة. (قهقهه سيفيرارد) وربما أعرف من يمكنه أن يلقي بعض الضوء على هذا اللغز الصغير.

- أحضرت لنا اكتشافاً مثيراً للاهتمام للغاية، أيها المحقق. (توقف مُتمرس الأحياء عن عمله وحدق إلى جلوكتا، وإحدى عينيه متضخمة خلف عدسة مكبرة ولامعة) اكتشاف مذهل حقاً.

تمتم، وعاد إلى الجثة بأدواته: يرفع، يدفع، يلوي، ويحدق إلى اللحم اللامع. تفحص جلوكتا المختبر من حوله، التوت شفته باستياء. اصطففت جِرار بأحجام مختلفة على جدارين من الأربعة، ممتلئة بقطع لحم مخلة تطفو في سائل. تعرّف جلوكتا على بعضها كأجزاء من جسم الإنسان، والبعض الآخر لم يكن كذلك. حتى هو شعر بعدم الارتياح وسط هذا العرض المروع. أتساءل كيف حصل كانديلاو على كل هذا؟ هل مصير زواره التمزيق، والطفو في جِرار مختلفة؟ ربما سأكون عينة مثيرة للاهتمام؟

- مذهل. (فك المُتَمَرِّس رباط نظارته قليلاً ووضعها على رأسه، ودعك الحلقة الوردية حول عينه) ماذا يمكنك أن تخبرني عن الجثة؟
- عقد جلوكتا حاجبيه: «جئت هنا لأعرف ما يمكنك أن تخبرني أنت عنها».
- ضم كانديلاو شفتيه: «بالطبع، بالطبع. حسنًا، بالنسبة إلى جنس صديقنا التعيس، أمم»... وخمد صوته.
- حسنًا؟
- ها ها، حسنًا، أمم، الأعضاء التي تسمح بتحديد الجنس بسهولة هي... (وأشار إلى اللحم على الطاولة، المضاعة بشدة تحت المصابيح الساطعة)... مفقودة.
- وهذا هو مجمل تحقيقك؟
- حسنًا، هناك أمور أخرى: الإصبع الثالثة لدى الرجل عادة ما تكون أطول من الأولى، لكن ليس بالضرورة بالنسبة إلى المرأة، ولكن، هاه، فالبقايا لدينا لا تملك كل الأصابع للحكم على ذلك. لذلك، فيما يتعلق بالجنس، فمن دون الأصابع نحن في مأزق!
- ضحك بتوتر من مزحته. لم يضحك جلوكتا.
- شاب أم عجوز؟
- حسنًا، أمم، مرة أخرى أخشى أن هذا صعب تحديده. الأسنان هنا في حالة جيدة، وهاء، الجلد المتبقي يبدو متسقًا مع شخص أصغر سنًا، لكن، أمم، هذا مجرد، هاه...!
- إذن، ماذا يمكنك أن تخبرني عن الضحية؟
- أمم، حسنًا... لا شيء. (وابتسم باعتذار) لكنني اكتشفت بعض الأمور المثيرة للاهتمام عن سبب الوفاة!
- حقًا؟
- أوه، نعم، انظر إلى هذا! (أَفْضَلُ أَلَا أَفْعَلُ. اقترب جلوكتا بحذر من الطاولة، ناظرًا إلى البقعة التي أشار إليها العجوز) ترى هنا؟ شكل هذا الجرح؟
- كان المُتَمَرِّس يضغط على قطعة من نسيج غسروفي.
- لا، لا أرى شيئًا.

يبدو لي أن كل شيء هنا عبارة عن جرح واحد هائل.
مال الرجل العجوز نحوه، عيناه متسعتان: «إنه بشري».
- نحن نعلم أنها بشرية! هذه قدم!
- لا! لا! هذه العلامات هنا... إنها عضات بشرية!
عقد جلوكتا حاجبيه: «عضات... بشرية؟».

- بالتأكيد!

ابتسم كانديلاو ابتسامة مشرقة لا تليق أبدًا مع المشهد حوله. ولا أظن مع الموضوع: «هذا الشخص قُتل عن طريق العض حتى الموت بواسطة شخص آخر، وعلى الأرجح، (وأشار بانتصار إلى الفوضى على طاولته) وباعتبار طبيعة الرفات المتبقية، فهو أكل جزئيًا».

حدق جلوكتا إلى الرجل العجوز للحظة. أكل؟ أكل؟ لماذا يؤدي كل سؤال إلى عشرة أسئلة أخرى: «أهذا ما تريدني أن أخبر به المقرئ الأعلى؟».
ضحك المُتمرّس بتوتر: «حسنًا، هذه هي الحقائق كما أراها».

- شخص مجهول، ربما رجل، وربما امرأة، إما شاب وإما عجوز، تعرض للهجوم في الحديقة من قبل معتد غير معروف، وقُتل بالعض على بعد مئتي خطوة من قصر الملك، وأكل جزئيًا؟
- أمم..

ألقي كانديلاو نظرة قلق نحو المدخل. التفت جلوكتا لينظر، وعبس. هناك شخص جديد في الغرفة، لم يسمعه يدخل. امرأة تقف في الظلال على أطراف الضوء الساطع من المصباح، وذراعاها متشابكتان. امرأة طويلة ذات شعر أحمر شائك وقناع أسود على وجهها، تحدق إلى جلوكتا والمُتمرّس بعينين ضيقتين. منفذة. لكنني لا أعرفها، والنساء نادرات في جهاز الاستجواب. كنت أظن ذلك..

- مساء الخير! مساء الخير!

دخل رجل بخطوات سريعة عبر الباب؛ نحيف، أصلع، يرتدي معطفًا أسود طويلًا وعلى وجهه ابتسامة مصطنعة. رجل مألوف بشكل غير مريح. جويل، اللعنة عليه. وصل رئيس أدوا الجديد، أخيرًا. أخبار عظيمة. خرخر صوته: «المحقق جلوكتا، من دواعي سروري الشديد أن أراك مجددًا!».

- وأنا كذلك، أيها الرئيس جويل. أيها اللقيط.

كان في ظهر الرئيس المبتسم شخصان آخران، ما جعل الغرفة الصغيرة تبدو مكتظة. أحدهما كان كانتيكياً ذا بشرة داكنة وجسم قوي، ولديه قرط ذهبي كبير في أذنه، والآخر عملاقاً شمالياً بوجه كصخرة مسطحة. كاد ينحني ليدخل من الباب. كلاهما مقنع ورداؤهما أسود من الرأس إلى أخمص القدمين، مثل جميع المنفذين.

ضحك جويل: «هذه هي المنفذة فيتاري، (وأشار إلى المرأة ذات الشعر الأحمر التي كانت تتجول حول الجرار، تتفحص محتوياتها واحدة تلو الأخرى، تدفع الزجاج لتجعل العينات تهتز) وهذان هما المنفذ حليم، (مرّ الجنوبي بجانب جويل ودخل الغرفة، وعيناه مشغولتان تتفحصان كل زاوية) والمنفذ باير. (حدق العملاق الشمالي إلى جلوكتا من أعلى قرب السقف) يسمونه في بلده فالق الحجر، هل تصدق ذلك؟ لكنني لا أعتقد أن ذلك سيليق هنا، أليس كذلك، جلوكتا؟ المنفذ فالق الحجر، هل يمكنك تخيل ذلك؟».

ضحك بهدوء لنفسه، وهز رأسه. أهذا هو جهاز الاستجواب؟ لم أعلم أن السيرك وصل إلى المدينة. أتساءل إن كانوا يقفون على أكتاف بعضهم أو يقفزون عبر الأطواق المشتعلة؟

قال جلوكتا: «مجموعة متنوعة بشكل مميز».

ضحك جويل: «أوه نعم، التقطتهم من كل مكان ذهبت إليه، أليس كذلك أصدقائي؟ (هزت المرأة كتفيها وهي تتجول حول الجرار. انحنى الجنوبي برأسه. أما الشمالي العملاق، فظل واقفاً في مكانه) من كل مكان ذهبت إليه! (ضحك جويل، وكأن الجميع شاركوه الضحك) ولدي المزيد غيرهم! لقد كانت رحلة ممتعة، وأكد لكم! (مسح دمعة من عينه وهو يتجه نحو الطاولة في وسط الغرفة. بدا كل شيء كمصدر للترفيه بالنسبة إليه، حتى الجثة على الطاولة) ولكن ما هذا؟ جثة، إن لم أكن مخطئاً! (نظر جويل فجأة إلى الأعلى، وعيناه تتلألآن) جثة؟ وفاة داخل المدينة؟ بصفتي رئيس أدوا، بالطبع هذا يقع ضمن نطاق عملي، أليس كذلك؟».

انحنى جلوكتا: «بالطبع. لم أكن أعلم أنك قد وصلت أيها الرئيس جويل. أيضاً، شعرت أن الظروف غير العادية لهذه...».

- غير عادية؟ لا أرى شيئاً غير عادي.

توقف جلوكتا، ما اللعبة التي يلعبها هذا الأحمق الضاحك؟: «بالتأكيد ستوافق أن العنف هنا... استثنائي».

هزّ جويل بكتفيه بحركة مبالغ فيها: «كلاب».

سأل جلوكتا، غير قادر على ترك هذه العبارة تمر: «كلاب؟ كلاب منزلية أصيبت بالجنون، تعتقد؟ أم كلاب برية تسلقت الجدران؟».

ابتسم الرئيس فقط: «أيهما تفضل أيها المحقق. أيهما تفضل».

- أخشى أن هذا لا يمكن أن يكون من فعل الكلاب، (بدأ مُتَمَرِّس الأحياء بالشرح بأسلوبه المتعجرف) كما أوضحت للتو للمحقق جلوكتا... هذه العلامات هنا، وعلى الجلد هنا، هل ترى؟ هذه عضات بشرية، بلا شك.. ابتعدت المرأة عن الجرار مقتربة نحو كانديلاو، ومالت نحوه حتى أصبح قناع وجهها على بعد بوصات فقط من أنفه المعقوف. توقف عن الكلام ببطء. همست: «كلاب»، ثم نبحت في وجهه.

قفز المُتَمَرِّس إلى الخلف: «حسنًا، أعتقد أنني ربما قد أكون مخطئًا... بالطبع... وتراجع ليصطدم بصدر الشمالي العملاق، الذي تحرك بسرعة مفاجئة ليقف خلفه مباشرة. استدار كانديلاو ببطء، محدقًا إلى أعلى بعينين واسعتين.

قال العملاق بنبرة متعالية: «كلاب».

همهم الجنوبي بلهجته الغليظة: «كلاب، كلاب، كلاب».

صرخ كانديلاو: «بالطبع، كلاب، بالطبع، يا لي من أحمق!».

صرخ جويل ببهجة رافعًا يديه في الهواء: «كلاب! حلّ اللغز!» ولدهشة جلوكتا، بدأ اثنان من المنفّذين الثلاثة في التصفيق بأدب. بقيت المرأة صامتة. لم أعتقد أنني سأفتقد الرئيس كالين، لكن فجأة اجتاحتني مشاعر النوستالجيا.

استدار جويل ببطء، وانحنى بعمق: «أول يوم لي هنا، وها أنا أتحمس للعمل! يمكنك دفن هذه، (قال مشيرًا إلى الجثة وهو يبتسم ابتسامة عريضة نحو المُتَمَرِّس المرتبك) الأفضل دفنها، أليس كذلك؟ (نظر إلى العملاق) تعود إلى الوحل، كما تقولون في بلدكم!».

لم يظهر المنفذ الشمالي أي علامة على أنه سمعه. وقف الكانتيكي هناك، يدير الحلقة في أذنه ذهابًا وإيابًا. أما المرأة، فكانت تتفحص الجثة على الطاولة، تشم رائحتها من خلال القناع. مُتمرّس الأحياء كان محشورًا عند جواره، يتصبّب عرقًا.

كفى من هذا العرض الإيمائي. لدي عمل يجب أن أقوم به.

قال جلوكتا، وهو يعرج بصعوبة نحو الباب: «حسنًا، حلّ اللغز إذن. لم تعودوا بحاجة إليّ بعد الآن».

استدار الرئيس جويل نحوه، وقد اختفى مزاجه المرح فجأة. هسهس وعيناه الصغيرتان تكادان تخرجان من رأسه: «لا! نحن لا... نحتاج إليك... بعد الآن!».

لا تراهن أبدًا ضد مجوسيّ

جلس لوجن تحت الشمس الحارقة، منكبًا فوق مقعده، يتصبب عرقًا. لم تكن تلك الملابس السخيفة تساعد في تخفيف العرق، ولا في أي شيء آخر. فالبردة لم تُصمَّم للجلوس، والجلد المتصلب انغرز في فاكهته بألم كلما حاول الحركة.

تمتم بغضب، وهو يشده للمرة العشرين: «اللعة على هذا الشيء». لم يبدو كواي أكثر راحة في ثوبه السحري؛ زاد التماع الرموز الذهبية والفضية من شحوب ومرض وجهه ومن توتر وجحوظ عينيه. بالكاد نطق بكلمة طوال الصباح. من بين الثلاثة، بدا أن باياز هو الوحيد الذي يستمتع بوقته، مبتسمًا للجماهير المتدفقة على المدرجات، وضوء الشمس يلتمع على رأسه المسمرّ. برزوا بين الحشد المتزاحم مثل ثمار متعفنة، ولم تكن شعبيتهم أفضل حظًا. رغم اكتظاظ المدرجات بالمشاهدين الملصقين كتفًا إلى كتف، فكانت هناك مساحة صغيرة مثيرة للقلق حولهم يتجنبون الجلوس فيها..

كان أذى الضجيج أكثر تأثيرًا من الحر والازدحام. ضجت أذنا لوجن بالصخب. بالكاد تمكن من مقاومة رغبته في وضع يديه على أذنيه والارتواء تحت المقعد. انحنى باياز نحوه، كان عليه أن يصرخ رغم أن فمه بالكاد على بعد ست بوصات من أذن لوجن: «هل كانت مبارزاتك تشبه هذا؟».

- آهه.

حتى عندما قاتل راد ثريتريز، وتجمعت معظم قوات بيثود في نصف دائرة لمشاهدة المعركة، يصرخون ويهتفون ويطرقون بأسلحتهم على دروعهم، وعندما كانت جدران الأوفريث مكتظة بالمشاهدين، لم يكن الجمهور بنصف هذا العدد ولا بنصف هذا الضجيج. لم يشهده وهو يقتل شاما عديم القلب سوى ثلاثين رجلًا، قتله ثم ذبحه مثل الخنزير. جفل لوجن وانكمش

بكتفيه عندما تذكر ذلك. كان يقطع ويقطع، ويلعق الدم من أصابعه، والكلبي ينظر إليه برعب وبيثود يضحك ويهتف له. استطاع تذوق الدم في فمه الآن، فارتعش ومسح فمه.

كان عدد الناس أقل بكثير، ومع ذلك كانت المخاطر أعلى بكثير. حياة المقاتلين، كبداية، وملكية الأراضي، والقرى، والمدن، ومستقبل قبائل بأكملها. عندما قاتل تال دورو، بالكاد شاهد المعركة مئة شخص، لكن ربما كان مصير الشمال كله معلقاً على نصف الساعة الدامية تلك. لو خسر حينها، لو قتله الرأس العاصف، هل كان سيبقى الحال كما هو؟ لو دفنه الضو الأسود أو هاردينج الجهم في الوحل، هل كان بيثود سيرتدي سلسلة ذهبية الآن ويطلق على نفسه ملكاً؟ هل سيكون هذا الاتحاد في حرب مع الشمال؟ مجرد التفكير في ذلك تسبب في ألم أشد برأسه.

سأله باياز: «هل أنت بخير؟».

تمتم لوجن: «ممم»، لكنه كان يرتجف رغم الحر. ما الذي جاء لأجله كل هؤلاء الناس؟ للترفيه فقط. قلة هم من كانوا سيجدون معارك لوجن مسلية، ربما باستثناء بيثود. قلة غيره. تمتم لنفسه: «هذه ليست مثل معاركي».

سأل باياز: «ماذا قلت؟».

- لا شيء.

- أوه. (ابتسم العجوز للجمهور حوله، يحك لحيته الرمادية القصيرة) من تعتقد أنه سيفوز؟

لم يهتم لوجن حقاً، لكنه اعتبر أن أي إلهاء عن ذكرياته سيكون موضع ترحيب. نظر إلى السقيفات حيث كان المقاتلان يستعدان، بالقرب من مكان جلوسه. كان أحدهما الشاب الوسيم المتعجرف الذي التقوه عند البوابة. أما الآخر فكان ضخم البنية، ذا عنق غليظ، ويبدو متململاً.

هز لوجن كتفيه: «لا أعرف شيئاً عن هذا النوع من القتال».

- ماذا؟ أنت؟ التسع الدموية؟ البطل الذي قاتل وفاز بعشرة تحديات؟ أكثر الرجال رهبة في الشمال؟ أليس لديك رأي؟ ألا تتشابه المبارزات الفردية في كل مكان؟

جفل لوجن ولعق شفثيه. التسع الدموية. كان ذلك في الماضي، لكنه ليس بعيداً بما يكفي. ما زال يتذوق طعم المعدن في فمه، طعم الملح، طعم الدم.

لمس إنسان بالسيف وتقطيعه به ليسا الشيء نفسه، لكنه تفحص المقاتلين مرة أخرى. الشاب المتعجرف رفع أكاماه، لمس أصابع قدميه، وأدار جسده بهذا الاتجاه وذلك، ثم لوح بذراعيه في دوائر سريعة، يشاهده جندي عجوز صارم يرتدي زيًا أحمر نظيفًا. سلمه رجل طويل القامة وقلق المظهر سيفين رقيقين، أحدهما أطول من الآخر، ولوح بهما أمامه في الهواء بسرعة رائعة، فومضت نصاله.

أما خصمه، فوقف هناك متكئًا على جانب سور السقيفة الخشبي، وهو يمد عنقه الشبيه بعنق الثور من جانب لآخر دون عجلة، ناظرًا حوله بعينين كسولتين.

سأل لوجن: «من كل منهما؟».

- الأحمق المتعطر من البوابة هو لوثار. أما الذي يبدو نصف نائم فهو جورست.

كان واضحًا من فضله الجمهور. سُمع اسم لوثار مرارًا وسط الصخب، وصيحات التصفيق والترحيب تصاحب كل حركة لسيفيه الرفيعين. بدا سريعًا، وماهرًا، وذكيًا، لكن استرخاءة ذلك الرجل الضخم كان بها شيء قاتل، شيء مظلّم في عينيه الثقلتين بالجفون. سيفُ لوجن مقاتلة لوثار، على الرغم من سرعته: «أراهن على جورست».

تألقت عينا باياز: «جورست، حقًا؟ ما رأيك في رهان صغير؟».

سمع لوجن شهقة حادة من كواي. همس المتدرب: «لا تراهن أبدًا ضد مجوسي».

لم يهم الأمر كثيرًا بالنسبة إلى لوجن: «وماذا أملك لأراهن به؟».

هز باياز كتفيه: «حسنًا، من أجل الشرف فحسب؟».

- إذا أردت.

لم يكن لدى لوجن الكثير من الشرف في الأساس، وما لديه لم يهمه فقدانه.

- بريمر دان جورست!

اختنق التصفيق المنفرق بصيحات الاستهجان والصفير المتزايد عندما توجه الثور الضخم ببطء نحو مكانه، عيناه نصف مغمضتين تنظران إلى

الأرض، والسيوف الثقيلة الكبيرة تتدلى من يديه الثقيلتين. بين شعره القصير وياقة قميصه، حيث يفترض أن يكون عنقه، لم يكن هناك سوى طية سميكة من العضلات.

تمتم چيزال لنفسه وهو يراقبه يمضي: «لقيط قبيح.. لقيط قبيح أحمر». لكن لعناته كانت تفتقر إلى القناعة، حتى لنفسه. لقد شاهد هذا الرجل يقاتل ثلاث مرات، ويدمر ثلاثة خصوم جيدين. أحدهم لم يغادر سريره حتى بعد أسبوع كامل. قضى چيزال الأيام القليلة الماضية يتدرب خصيصاً لمواجهة أسلوب جورست المتوحش: بينما فاروز وويست يلوحان بمقابض مقشّات كبيرة نحوه كان يتفادها هنا وهناك. أكثر من مرة أصابته إحداها، ولا تزال كدماتها تؤلمه. مكتبة سُر من قرأ

نطق الحكم بحزن: «جورست؟»، محاولاً جاهداً انتزاع بعض التصفيق من الجمهور، لكنهم بلا استجابة. بل قد زادت صيحات الاستهجان، وانضمت إليها صيحات السخرية والتهكم بينما كان جورست يأخذ مكانه.

- أيها الثور الغبي!

- عد إلى مزرعتك واسحب محراثاً!

- بريمر الوحش!

وما شابه ذلك.

امتد الجمهور للخلف، والخلف، وإلى الخلف حتى اختفوا في الأفق. كان الجميع هناك. بدا وكأن كل من في العالم قد حضر. كل عامي في المدينة على الأطراف البعيدة. وكل سيد وجرفي وتاجر ملؤوا المقاعد الوسطى. كل رجل نبيل أو امرأة نبيلة في الأجيوننت بالأمام، بدءاً بأبناء خامس جيل للنبلأ حتى كبار أعيان المجالس المفتوح والمغلق. حتى الصندوق الملكي قد امتلأ: الملكة، الأميران، اللورد هوف، الأميرة تيريز. بدا أن الملك مستيقظ هذه المرة، وهو شرف نادر، وعينه الجاحظتان تحدقان بدهشة. في مكان ما هناك كان والد چيزال وإخوته وأصدقائه وزملاؤه الضباط، كل معارفه تقريباً. أمل أن تكون آردي تشاهده أيضاً.

في المجمل، كان جمهوراً هائلاً.

صاح الحكم: «چيزال دان لوثار!». ارتفعت همهمة الحشد عديمة المعنى بعاصفة من التشجيع، موجة رعدية من الموافقة. تردد صدى الصيحات والتهتافات حول الساحة، مما جعل رأس چيزال ينبض بالألم.

- هيا لوثار!

- لوثار!

- اقتل اللعين!

وما شابه ذلك.

همس له المارشال فاروز في أذنه: «هيا، چيزال، (وصفحه على ظهره دافعاً إياه برفق نحو الدائرة) وحظاً موفقاً!».

سار چيزال كأنه في غيبوبة، وضربات الجماهير تضرب أذنيه حتى إن رأسه بدا وكأنه سينفجر. مرت في ذهنه تدريبات الأشهر الماضية. الجري، السباحة، العمل بالقضيب الثقيل. التبارز، العارضة، الحركات المتكررة التي لا تنتهي. العقاب، الدراسة، العرق والألم. كل ذلك فقط لكي يقف هنا. سبع لمسات. أول من يصل إلى أربع نقاط. كل شيء انتهى لهذه اللحظة.

أخذ مكانه مقابل جورست، وحقق إلى عينيه المثقلتين بالجفون اللتين بادلتاه النظر ببرود وهدوء، اللتين كادتتا تنظران من خلاله كأنه غير موجود. أزعجه ذلك، فدفع الأفكار من رأسه ورفع ذقنه النبيل عالياً. لن يترك، بل لن يسمح لهذا الغبي أن يهزمه. سيظهر لكل هؤلاء دمه النبيل ومهارته وشجاعته. هو چيزال دان لوثار. هو سيفوز. كانت حقيقة لا تقبل الجدل. كان يعرف ذلك.

- ابدأ!

أصابته الضربة الأولى بصدمة، محطمة ثقته واتزانه، وكادت تحطم معصمه. كان قد شاهد جورست يبارز، بالطبع، إن أمكن تسمية ذلك بالمبارزة، لذا علم أن الرجل سيبدأ الهجوم بعنف، لكن لا شيء هياً لهذه اللمسة الأولى المدمرة. شفق الجمهور معه وهو يترنح إلى الخلف. كل خطئه المدروسة بعناية، وكل النصائح التي صاغها له فاروز بعناية فائقة، تبخرت في الهواء. تألم من الصدمة والوجع، وذراعه لا تزال ترتج من قوة تلك الضربة الهائلة، وأذناه لا تزالان ترنان من صوتها الصاخب، وفمه مفتوح، وركبته ترتعشان.

تلك لم تكن بداية مبشرة على الإطلاق، لكن الضربة التالية جاءت بسرعة بعد الأولى، هوت بقوة أكبر. قفز چيزال جانباً وانزلق مبتعداً، محاولاً أن يفسح لنفسه مجالاً ويكسب بعض الوقت. وقتاً ليبتكر خطة ما، حيلة ما، لوقف سيل المعدن المتأرجح بلا رحمة. لكن لم يكن جورست على وشك أن يمنحه أي وقت. فكان قد بدأ بالفعل في إطلاق زئير مكتوم آخر، وسيفه الطويل بدأ حركته المقوسة التي لا دفاع ضدها.

تجنب چيزال الضربات حينما استطاع، واعترض حين لم يستطع، وكان معصماه يؤلماناه بالفعل من وطأة العقاب المستمر. في البداية، أمل أن يرهق جورست. لا يمكن لأحد أن يلوح بتلك القطع الحديدية الكبيرة طويلاً بهذه الطريقة. ظن أن وتيرة جورست العنيفة ستنهكه قريباً، وسيبدأ بالتباطؤ، وتفقد السيوف الثقيلة سميتها. حينها، سيقا تل چيزال بثبات، ويهزم خصمه، ويكسب الجولة. الجماهير ستزلزل الأجيونوت بصيحاتهم. قصة كلاسيكية عن الانتصار أمام الصعاب.

لكن جورست لم يتعب. الرجل كان أشبه بآلة. بعد مرور بضع دقائق، لم يظهر أي إشارة على تعب في عينيه المثقلتين بالجفون. بالكاد أظهر أي مشاعر يمكن لچيزال تمييزها في اللحظات النادرة التي تجرأ فيها على إبعاد عينيه عن السيوف اللامعة. دار السيف الطويل الكبير ودار ودار في دوائر وحشية، وظهر السيف القصير دائماً لصد أي محاولة بائسة من چيزال بين الحين والآخر، دون هوان أو تراجع ولو لبوصة واحدة. لم تتناقص قوة الضربات، وخرجت زمجرات جورست من حلقة بالحدة نفسها. لم يكن هناك ما يستحق التشجيع، وهمهم الجمهور بغضب. بدأت ساقا چيزال تشعران بالتباطؤ، والعرق يتصبب من جبهته، وإحكام قبضته على سيوفه ينفلت.

رأى الضربة قادمة من بعيد، لكنه لم يستطع فعل أي شيء حيالها. أخذ يتراجع حتى نفذت الدائرة من الداخل. كان قد اعترض وضرب حتى فقد الإحساس في أصابعه. هذه المرة، عندما رفع ذراعه المتعبة وسُمع صوت اصطدام المعدن بالمعدن، انزلقت قدمه المتعبة وسقط صائحاً خارج الحلبة، متعثراً على جانبه، وسيفه القصير ترك أصابعه المرتعشة يدور بعيداً. اصطدم وجهه بالأرض وامتلاً فمه بالرمال. كانت سقطة مؤلمة ومحرجة، لكنه لم يصب بخيبة أمل كبيرة من شدة تعبهِ وإنهاكه، بل كاد يشعر بالراحة أن العقاب قد انتهى، ولو للحظة.

صاح الحكم: «نقطة لجورست!» تصفيق خفيف متقطع تحت وابل من صيحات الاستهجان، لكن بالكاد لاحظته جورست، وهو يعود مترنحًا إلى مكانه، رأسه إلى الأسفل، مستعدًا لبدء الجولة التالية.

تدحرج چيزال ببطء على يديه وركبتيه، مدد يديه المتألمتين وأخذ وقته في النهوض. كان بحاجة إلى لحظة ليلتقط أنفاسه ويستعد، ليفكر في استراتيجية ما. وقف جورست منتظرًا: كبيرًا، صامتًا، ثابتًا. مسح چيزال الرمل عن قميصه، وعقله يعمل بسرعة. كيف يهزمه؟ كيف عاد بحذر إلى مكانه، رافعًا سيوفه.

- ابدأ!

هذه المرة هجم عليه جورست بقوة أكبر، يضرب وكأنه يحصد القمح، ما جعل چيزال يقفز حول الدائرة. مرت ضربة بالقرب من جانبه الأيسر لدرجة أنه شعر بهواء اندفاعها على خده. الضربة التالية لم تبتعد عنها لكن على يمينه. ثم أطلق جورست ضربة جانبية باتجاه رأسه، ورأى چيزال ثغرة. انخفض تحت الضربة، واثقًا أن النصل لامس شعر رأسه. بينما اقترب من جورست كان السيف الطويل الثقيل يبتعد، يكاد يصيب الحكم في وجهه مع ارتداده، تاركًا الجانب الأيمن لجورست مكشوفًا تمامًا.

اندفع چيزال نحو ذلك اللعين الضخم، متأكدًا أنه قد نجح أخيرًا، متيقنًا بالتعادل معه. لكن جورست اعترض الطعنة بسيفه القصير وأجبرها على الانحراف قليلًا، واصطدم حاجز المقبض العرضي للسيفين ببعضهما ثم تشابكا معًا. ضرب چيزال بسيفه القصير بغضب، لكن بطريقة ما تمكن جورست من صد الضربة أيضًا، فرفع السيف الآخر في الوقت المناسب، مقيدًا نصل چيزال بالقرب من صدره.

تشابكت السيوف الأربعة معًا للحظة، اصطكت المقابض ببعض، لا تفصل وجهيهما إلا بضع بوصات. زمجر چيزال كالكلب، كاشفًا عن أسنانه، وعضلات وجهه متصلبة كالقناع. أما ملامح جورست الثقيلة فلم تظهر سوى القليل من الجهد. بدا وكأنه منشغل بمهمة رتيبة ومثيرة للاشمئزاز قليلًا، كرجل يتبول، يريد الانتهاء بأسرع وقت.

التحمت نصالهما للحظة، وبذل چيزال كل ذرة من قوته، شدَّ كل عضلة مدربة لديه، ضغطت ساقاه على الأرض، تلوت معدته مع تحرك ذراعيه، ودفعت ذراعاها يديه، ويداه تقبضان على مقابض سيفيه كأنهما تتشبثان

بالموت نفسه. كل عضلة، كل وتر، كل عصب. علم أنه في موقع أفضل، الرجل الضخم فاقد للتوازن، لو استطاع فقط أن يدفعه خطوة إلى الخلف... ولو بوصة واحدة...

في تلك اللحظة، كانت سيوفهما متشابكة، ثم انخفض جورست بكتفه، ونخر، وقذف بچيزال بعيدًا كما يقذف طفل بلعبة تملل منها.

تدحرج چيزال للوراء، فمه مفتوح وعيناه مفتوحتان من الدهشة، وقدماه تضربان الأرض في محاولة يائسة للبقاء واقفًا. سمع جورست يزمجر مرة أخرى، وضد حين رأى السيف الطويل الثقيل ينحني في الهواء باتجاهه. لم يكن في وضع يسمح له بالتفادي، ولم يكن هناك وقت على أي حال. رفع ذراعه اليسرى بشكل غريزي، لكن النصل الغليظ انتزع سيفه القصير كما لو كان قشة في مهب الريح واصطدم بضلوعه، مفرغًا أنفاسه في صرخة ألم ترددت في أنحاء الساحة الصامتة. انهارت ساقاه تحته وسقط على العشب، أطرافه تراخت وهو يتنفس كمنفاخ ممزق.

هذه المرة لم يكن هناك حتى لحظة تصفيق. زار الجماهير بكراهيتهن، هدروا وصاحوا ضد جورست بأعلى ما يستطيعون وهو عائد إلى سقيفته: «تَبًّا لك يا جورست، أيها البلطجي!».

- انهض لوثار! واجهه!

- عُد إلى بيتك، أيها الوحش!

- أيها المتوحش اللعين!

تحولت صيحات الاستهجان إلى تشجيعات فاترة عندما قام چيزال بصعوبة عن العشب، وجانبه الأيسر كله ينبض بالألم. كان سيصرخ من شدة الألم لو كان لديه هواء متبق في رئتيه. رغم كل جهده، وكل تدريبه، كان مغلوبًا تمامًا، وكان يعرف ذلك. مجرد التفكير في تكرار هذا المشهد العام المقبل جعله يشعر بالغثيان. حاول أن يبدو غير مكترث وهو يترنح عائدًا إلى سقيفته، لكنه لم يستطع منع انهيار ثقله على كرسيه عند وصوله، ملقيًا بسيوفه المفلولة على الأرض وهو يلهث طلبًا للهواء.

انحنى ويست فوقه ورفع قميصه ليتفحص الأضرار. نظر چيزال بحذر إلى أسفل، نصف متوقع أن يرى ثقبًا كبيرًا في جنبه، لكن لم يكن هناك سوى كدمة حمراء قبيحة على ضلوعه، مع بعض التورم حولها.

سأل المارشال فاروز، وهو ينظر فوق كتف ويست: «هل هناك كسور؟». بينما حاول چيزال أن يكتم دموعه كان الرائد يتحسس جنبه: «لا أظن ذلك، لكن تبًّا له! (ألقى ويست منشقة بغضب) هل تسمي هذا رياضة نبيلة؟ ألا توجد قاعدة ضد هذه السيوف الثقيلة؟».

هز فاروز رأسه بوجه عابس: «يجب أن تكون جميعها بالطول نفسه، لكن لا توجد قاعدة للوزن. أعني، من قد يرغب في سيوف ثقيلة؟».

قال ويست بانفعال: «الآن نعرف، أليس كذلك! هل أنت متأكد أننا لا يجب أن نوقف هذا قبل أن يقطع ذلك الوغد رأسه؟».

تجاهله فاروز. قال المارشال العجوز، منحنيًا ليتحدث لچيزال وجهًا لوجه: «اسمعي جيدًا، إنها سبع لمسات! أول من يصل إلى أربع يفوز! ما زال هناك وقت!».

وقت لأي شيء؟ لشطر چيزال إلى نصفين، سواء كانت السيوف حادة أو غير حادة؟ لهث چيزال: «إنه قوي جدًا!».

- قوي جدًا؟ لا أحد أقوى منك! (لكن حتى فاروز بدا غير مقتنع تمامًا) لا يزال هناك وقت! يمكنك أن تهزمه! (شد العجوز شاربيه) يمكنك أن تهزمه!

لكن چيزال لاحظ أنه لم يقترح كيف سيفعل ذلك.

خشي جلوكتا أن يختنق من شدة ضحكه المتشنج. حاول أن يفكر في شيء يفضل على مشاهدة چيزال دان لوثار يُحطَّم داخل دائرة المبارزة، لكنه فشل. كان الشاب يتألم وبالكاد اعترض أي ضربة، ولم يكن يُحرك جانبه الأيسر جيدًا منذ تلك الضربة التي تلقاها في ضلوعه، وجلوكتا كاد يشعر بألمه. يا إلهي، كم هو شعور لطيف أن تشعر بألم شخص آخر للمرة الأولى. بينما كانت الجماهير منطوية، صامته وغاضبة، كان جورست يطارد مفضلهم بضربات الوحشية، في حين اختنق جلوكتا من الضحك مطبقًا على لثتيه.

لوثار كان سريعًا وجذابًا، وتحرك بشكل جيد عندما رأى السيوف تأتي نحوه. مقاتل كفء. جيد بما يكفي للفوز بمسابقة، بلا شك، في عام بمبارزين ضعفاء. قدماه سريعتان ويداها سريعتان، لكن عقله ليس حادًا كما يجب. إنه سهل توقعه.

جورست كان شيئاً مختلفاً تماماً. بدا وكأنه يُلَوَّح بسيفيه الكبيرين دون تفكير، لكن جلوكتا عرف أفضل من ذلك. لديه طريقة جديدة تماماً للقيام بالأمور. كانت المبارزة كلها طعنات في أيامي، بحلول مسابقة العام المقبل سيبدأ الجميع بالتقطيع بهذه السيوف الثقيلة. تساءل جلوكتا بخفة إن كان بإمكانه هزيمة جورست في أيامه الخوالي. كان سيصبح نزالاً يستحق المشاهدة على أي حال، أفضل بكثير من هذه المواجهة غير المتكافئة.

تفادى جورست بضع طعنات ضعيفة بسهولة، ثم تجهم جلوكتا وزمجر الجمهور عندما بالكاد تمكن لوثار من صد ضربة ضخمة أخرى، قوة الضربة كادت أن ترفعه عن قدميه. لم يكن لديه وسيلة لتجنب الضربة التالية، محاصراً على حافة الدائرة، واضطر إلى القفز إلى الرمال.

صاح الحكم: «ثلاث مقابل لا شيء!».

اهتز جلوكتا من شدة الضحك وهو يشاهد لوثار يضرب الأرض غضباً، مما أرسل رذاذاً من الرمل، ووجهه لوحة من الشفقة الذاتية الشاحبة. يا إلهي، أيها النقيب لوثار، ستصبح أربعاً مقابل لا شيء. هزيمة ساحقة. إحراج تام. ربما سيتعلم هذا الحقيير المتذمر بعض التواضع. بعض الرجال يصبحون أفضل بعد تلقيهم ضرباً جيداً. فقط انظر إلي، أليس كذلك؟

- ابدأ!

بدأت اللمسة الرابعة تماماً كما انتهت الثالثة. لوثار يتلقى الضربات بلا توقف. كان جلوكتا يرى بوضوح، الرجل نفدت أفكاره. ذراعه اليسرى كانت تتحرك ببطء وبألم، وقدماه بدتا ثقيلتين. ضربة أخرى قوية اصطدمت بسيفه الطويل، مما جعله يترنح نحو حافة الدائرة، غير متوازن ويلتقط أنفاسه بصعوبة. جورست كان يحتاج فقط إلى الضغط قليلاً أكثر. وشيء ما يخبرني أنه ليس من النوع الذي يتهاون عندما يكون متقدماً. أمسك جلوكتا بعصاه، وأوقف نفسه ببطء. كان بإمكان أي شخص أن يرى أن كل شيء قد انتهى، وهو لا يتمنى احتجازه في زحام مغادرة الجماهير المحبطة.

مرق سيف جورست الثقيل في الهواء. الضربة الأخيرة، بلا شك. كان الخيار الوحيد للوثار هو محاولة الصد وتلقي الضربة التي ستدفعه خارج الدائرة. أو ربما ستشق رأسه. لنأمل ذلك. ابتسم جلوكتا، يغادر وبدأ يستدير ليغادر.

لكن بزاوية عينه، رأى الضربة تخطئ بشكل ما. رمش جورست واصطدم سيفه الثقيل بالأرض، ثم زمجر عندما تلقى ضربة على ساقه من لوثار بضربة من يده اليسرى. تلك أول مرة تظهر له أي عاطفة طوال اليوم. بعد صمت قصير غير مصدق، وبلا قدرة على إخفاء الدهشة في صوته، صاح الحكم: «نقطة للوثار!».

تمتم جلوكتا لنفسه: «لا»، وانفجر الجمهور حوله في تصفيق وهتاف صاخبين. لا. لقد خاض مئات المواجهات في شبابه، وشاهد آلافاً أخرى، لكنه لم يرَ شيئاً كهذا من قبل. لم يرَ أحداً يتحرك بهذه السرعة. كان يعلم أن لوثار مبارز جيد. لكن لا يوجد أحد جيد لهذه الدرجة. قطب جبينه وهو يشاهد المتسابقين يخرجون من استراحتهم الثانية ويأخذون أماكنهم. - ابدأ!

كان لوثار قد تحول تماماً. هاجم جورست بطعنات سريعة وغاضبة، لم يعطه وقتاً لبدء هجومه. الآن، كان الرجل الضخم هو الذي بدا وكأنه قد وصل إلى أقصى حدوده: يحاول الصد والتجنب والبقاء بعيداً عن متناول خصمه. كان الأمر كما لو أنهم استبدلوا لوثار القديم في أثناء الاستراحة وأحضروا رجلاً مختلفاً تماماً: أخاً توأماً أقوى، أسرع، وأكثر ثقة بكثير.

ال جماهير التي حُرمت لفترة طويلة من شيء تشجعه، كانت تصرخ وتهتف كما لو أنها ستمزق حناجرها. لكن جلوكتا لم يشاركهم حماسهم. هناك خطأ ما هنا. شيء غير صحيح. نظر حوله إلى الوجوه القريبة، لكن لم يكن هناك من لاحظ شيئاً غريباً. الجميع كانوا يرون ما يريدون رؤيته: لوثار يلقي الوحش القبيح درساً قاسياً ومستحقاً. جالت عيناه عبر المدرجات، لا يعرف تماماً ما الذي يبحث عنه.

ذلك المسمى باياز. جالس قرب المقدمة، منحنيًا للأمام، يحدق إلى المقاتلين الاثنين بتركيز ثابت، ومعه متدربه والشمالي ذو الندوب بجانبه. لم يلاحظ أحد آخر ذلك، الجميع كانوا مشغولين للمبارزين أمامهم، لكن جلوكتا لاحظ. فرك عينيه ونظر مجدداً. هناك شيء خاطئ.

زمجر لوجن: «قل شيئاً واحداً عن أول المجوس، قل إنه لقيط غشاش».

ارتسمت ابتسامة صغيرة عند زاوية فم باياز وهو يمسح العرق عن جبهته: «ومن قال إنه ليس كذلك؟».

لوثار كان في ورطة مرة أخرى. ورطة كبيرة. كل مرة صد إحدى تلك الضربات الثقيلة، ارتدت سيوفه للخلف أكثر، ويبدو أن قبضته أصبحت أكثر تراخياً. في كل مرة يتفادى ضربة، كان يقترب أكثر لحافة الدائرة الصفراء.

ثم، وعندما تبدو النهاية مؤكدة، يلمح لوّجن من زاوية عينه الهواء يتلألأ فوق كتفي باياز، كما حدث في الطريق جنوباً عندما احترقت الأشجار، وشعر بذلك الشعور الغريب الذي شد أحشاءه.

فجأة، بدا أن لوثار وجد طاقة جديدة. استقبل الضربة الكبرى التالية بمقبض سيفه القصير. قبل لحظة، كانت تلك الضربة لتقذف بسيفه من يده بسهولة. الآن ثَبَّتَه للحظة، ثم دفعه بعيداً بصيحة، مفقداً خصمه توازنه وانقض للأمام نحوه.

تمتم لوّجن وهو يهز رأسه: «لو ضُيِّطت تغش في مبارزة شمالية، لشقوا صليباً لعيناً في بطنك وجذبوا أمعاءك للخارج».

تمتم باياز من بين أسنانه المشدودة، دون أن يرفع عينيه عن المقاتلين: «لحسن حظي، أننا لم نعد في الشمال». تجمع العرق على جلد رأسه الصلعاء مرة أخرى، وتدفق على وجهه في قطرات كبيرة. شُدَّت قبضتاه وارتجفتا من شدة الجهد.

هاجم لوثار بشراسة، مرة تلو الأخرى، والتمعت سيوفه كوميض خاطف. زمجر جورست وحاول صد الضربات، لكن لوثار أصبح الآن أسرع وأقوى منه بكثير. دفعه بلا رحمة عبر الدائرة كما يطارد كلب هائج بقرة.

تمتم لوّجن مرة أخرى: «اللعنة على هذا الغش»، وترك وميض سيف لوثار خطاً أحمر لامعاً على خد جورست. تناثرت بضع قطرات من الدم نحو الجمهور على يسار لوّجن، وانفجروا في صيحات تشجيع صاخبة. كان ذلك، للحظة، يحمل ظلاً من مبارزات لوّجن. بالكاد سُمعت صيحة الحكم: «تعاذل بثلاث نقاط». عبس جورست قليلاً ولمس وجهه بيده.

بالكاد استطاع لوّجن سماع همس كواي فوق الضجيج: «لا تراهن أبداً ضد مجوسي».

علم چيزال أنه جيد، لكنه لم يحلم قط أن يكون بهذا المستوى. كان حادًا كالقط، رشيقًا كالذبابة، قويًا كالدب. لم تعد ضلوعه تؤلمه، لم يعد معصماه يؤلمانه، كل الإرهاق اختفى، كل الشكوك تلاشت. أصبح بلا خوف، لا مثيل له، لا يُقهر. هدر التصفيق حوله، ومع ذلك استطاع سماع كل كلمة، ورؤية كل تفصيل في كل وجه في الحشد. كان قلبه يضخ نارًا في عروقه بدلًا من الدم، وكانت رثته تشهدان السحاب نفسه.

لم يكلف نفسه عناء الجلوس خلال الاستراحة، لشدة رغبته في العودة إلى الدائرة. كان الكرسي إهانة له. لم يستمع لما يقوله فاروز وويست. لم يكونا ذوي أهمية. أشخاص صغار، بعيدون جدًا. كانوا ينظرون إليه بدهشة، كما ينبغي لهم.

كان أعظم مبارز على الإطلاق.

لم يعرف ذلك الأعرج جلوكتا كم كان محققًا. ما على چيزال إلا أن يحاول فحسب، وسيمكنه الحصول على جل ما يريد. ضحك وهو يرقص عائداً إلى مكانه. بينما سمع الجماهير تهتف ضحك. ابتسم لجورست وهو يعود إلى الدائرة. كل شيء كان كما ينبغي. ما زالت عيناه نصف مغمضتين، كسولتين فوق الجرح الصغير الأحمر الذي تركه چيزال على خده، لكن كان هناك شيء آخر الآن: أثر للصدمة، للحذر، للاحترام. كما ينبغي أن يكون.

لم يكن هناك شيء لا يستطيع چيزال فعله. كان لا يُهزم. كان لا يُوقف. كان...

- ابدأ!

... ضائعًا تمامًا. اخترق الألم جانبه وجعله يلهث. فجأة، أصبح خائفًا، مرهقًا، ضعيفًا مرة أخرى. زمجر جورست وأطلق ضرباته الوحشية، تصادمت السيوف في يدي چيزال وجعلته يقفز كالأرنب المذعور. اختفت السيطرة، واختفى الترقب، والجرأة، وكان هجوم جورست أكثر وحشية من أي وقت مضى. شعر چيزال بارتعاشة يائسة عندما تمزق سيفه الطويل من بين أصابعه المرتجفة، طار في الهواء واصطدم بالحاجز. سقط چيزال على ركبتيه. الجمهور شهِق. لقد انتهى كل شيء...

...لكنه لم ينتهِ. الضربة كانت تنحني نحوه. الضربة الأخيرة. بدت وكأنها تنجرف ببطء، ببطء، وكأنها تمر عبر العسل. ابتسم چيزال. كان من السهل

عليه صدها بسيفه القصير. القوة تدفقت مرة أخرى. قفز واقفًا، دفع جورست بيده الفارغة، وأزاح ضربة أخرى، ثم أخرى، وكان سيفه الواحد يؤدي عمل سيفين مع وقت كافٍ. كانت الساحة في صمت مهيب إلا من صوت تصادم السيوف السريع. يمينًا ويسارًا، التمع النصل القصير يمينًا ويسارًا، أسرع مما يمكن لعينه تتبعها، أسرع مما يمكن لعقله أن يفكر بها، وكأنها هي ما تجذبه خلفها..

هناك صوت صرير حاد عندما انتزع سيف لوثار القصير سيف جورست الطويل المفلول من يده، ثم آخر حينما طار السيف القصير من يده الأخرى بالطريقة نفسها. للحظة، عمّ الصمت. وقف الرجل الضخم، منزوع السلاح وعلى حافة الدائرة، ينظر إلى چيزال. كانت الجماهير صامتة تمامًا. ثم رفع چيزال سيفه القصير ببطء، فجأة بدا وكأنه يزن طنًا، ونكز جورست برفق في أضلاعه.

قال الرجل الضخم بهدوء، رافعًا حاجبيه: «هاه».

ثم انفجرت الجماهير في تصفيق يصم الآذان. تزايد الضجيج و تزايد، يغرق چيزال في موجات. الآن بعد أن انتهت المعركة، شعر وكأنه قد استنفد تمامًا. أغمض عينيه وهو يترنح، وأسقط سيفه من بين أصابعه المتشنجة وسقط على ركبتيه. كان مرهقًا إلى درجة لا توصف. وكأنه قد استهلك طاقة أسبوع كامل في لحظات قليلة. حتى الركوع كان مجهودًا لم يكن متأكدًا من قدرته على الاستمرار فيه طويلًا، وإن سقط، لم يكن متأكدًا أنه سيستطيع النهوض مجددًا.

لكنه شعر بعدها بيدين قويتين تمسكانه من تحت ذراعيه، وشعر بنفسه يُرفع عن الأرض. ارتفع صوت الجماهير أكثر وأكثر وهو يُرفع في الهواء. فتح عينيه؛ ألوان ضبابية واهية تومض أمامه وهو يُدار حوله. كان رأسه يطن من الصوت. كان مرفوعًا على كتفي أحدهم. رأس حليق. جورست. الرجل الضخم رفعه، كما يرفع الأب طفله، ليعرضه على الجماهير، مبتسمًا له بابتسامة عريضة، قبيحة. ابتسم چيزال رغماً عن نفسه. كانت لحظة غريبة، بلا شك.

صرخ الحكم بلا جدوى: «لوثار يفوز!» (بالكاد كان مسموعًا وسط الضجيج) لوثار يفوز!..

تحولت هتافات الجماهير إلى ترديد ثابت: «لوثار! لوثار! لوثار!» كانت الساحة تهتز من الهتافات. دار رأس چيزال من شدة الحماس. كان الأمر أشبه بالثمالة. ثمالة الانتصار. ثمالة على النفس.

أخفضه جورست مرة أخرى إلى الدائرة مع تلاشي هتافات الجماهير تدريجياً. قال وهو يبتسم ابتسامة واسعة: «لقد هزمتني، (كان صوته غريباً، ناعماً وعالياً، يكاد يشبه صوت امرأة) بعدل وإنصاف. أود أن أكون أول من يهنئك. (وأوماً برأسه الكبير وابتسم مجدداً، وفرك الجرح تحت عينه دون أي مرارة. قال، وهو يمد يده) لقد استحققتة».

ابتسم چيزال ابتسامة لازعة: «شكراً لك». وصافح يد الرجل الضخمة بسرعة وبأدنى قدر من الاهتمام، ثم استدار نحو سقيفته. بالطبع كان يستحقه، ولن يسمح لذلك اللعين بأن يسرق مجده ولو للحظة واحدة.

هتف المارشال فاروز بحماس: «أداء شجاع، يا فتى، أداء شجاع! (وبينما هو يربت على كتفه كان چيزال يتعثر عائداً إلى كرسيه على ساقين واهنتين) كنت أعلم أنك تستطيع فعلها!».

ابتسم ويست وهو يناوله المنشقة: «سيتحدثون عن هذا لسنوات».

احتشد المهنئون حوله، يقدمون تهانيمهم، ينحنون فوق الحاجز. دوامة من الوجوه المبتسمة، ومن بينها وجه والده، يلتمع بالفخر: «كنت أعلم أنك تستطيع فعلها، چيزال! لم أشك فيك للحظة! لقد جلبت الشرف لعائلتنا!». لاحظ چيزال أن شقيقه الأكبر لم يبدو سعيداً بذلك، كان لديه ذلك التعبير المعتاد البليد، المملوء بالحسد، حتى في لحظة انتصار چيزال. اللقيط اللعين الحقود. ألا يمكنه أن يكون سعيداً لأخيه ليوم واحد فقط؟

- هل أستطيع تهنئة الفائز أنا أيضاً؟

جاء الصوت من خلفه. كان ذلك العجوز، الرجل من البوابة، الذي دعاه سالفور بـ «سيده». الرجل الذي استخدم اسم باياز. كان العرق يتصبب من جمجمته الصلعاء، الكثير منه. كان وجهه شاحباً، وعيناه غائرتين. وكأنه هو من خاض سبع لمسات مع جورست: «أحسننت يا صديقي الشاب، أداء يكاد يكون... سحرياً».

تمتم چيزال: «شكراً لك، (لم يكن متأكداً تماماً من هو هذا الرجل العجوز، أو ماذا يريد، لكنه لم يكن يثق به تماماً) أنا آسف، لكن يجب أن...».

- بالطبع. سنتحدث لاحقًا.

قالها بنبرة حاسمة مقلقة، كما لو أن الأمر قد رُتب بالفعل. ثم استدار واختفى بسلسلة وسط الحشود. ظل والد چيزال يحدق إلى أثره، وقد شحب وجهه فجأة، كما لو أنه رأى شبحًا.

- هل تعرفه يا أبي؟

أمسك فاروز بذراعه بحماس: «چيزال! تعال! الملك يرغب في تهنئتك!». سحبه بعيدًا عن عائلته باتجاه الدائرة. ارتفعت بعض التصفيفات مجددًا وهم يعبرون معًا عبر العشب الجاف، مكان انتصار چيزال. وضع اللورد مارشال ذراعه الأبوية حول كتفه، مبتسمًا للجماهير كما لو كان التصفيق كله من أجله. بدا أن الجميع يريدون جزءًا من مجده، لكن چيزال استطاع أن يزيح الرجل العجوز وهو يصعد درجات الصندوق الملكي.

كان الأمير رينولت، أصغر أبناء الملك، أول من استقبله. كان متواضعًا في ملبسه، صادقًا ويبدو عليه التفكير العميق، بالكاد بدا كأمرير علي الإطلاق، صاح بصوت عالٍ وسط ضجيج الجماهير: «أحسن! (بدا سعيدًا حقًا بانتصار چيزال) أحسن فعلًا!»، كان شقيقه الأكبر أكثر حماسًا.

صاح ولي العهد الأمير لاديسلا: «لا يصدق! (والتمعت أزرار سترته الذهبية البيضاء في ضوء الشمس) رائع! مذهل! لا مثيل له! لم أشاهد شيئًا كهذا من قبل!». ابتسم چيزال وانحنى بتواضع وهو يمر، محنيًا كتفيه عندما صفعه ولي العهد على ظهره بقوة أكثر مما ينبغي: «كنت أعلم دائمًا أنك ستفعلها! كنت دائمًا رجلي المفضل!».

نظرت الأميرة تيريز، الابنة الوحيدة للدوق الأكبر أورسو من تالينز، إلى چيزال، وهو يمر بابتسامة ضعيفة مزدرية، تصفق بمهل بإصبعين على راحتها في محاكاة فاترة للتصفيق.. كان ذقنها مرتفعًا بشكل مؤلم، كما لو كان مجرد النظر إليها شرفًا لا يمكنه أبدًا تقديره بالكامل، ولا يستحقه بالتأكيد.

وهكذا وصل أخيرًا إلى المقعد العالي لجوسلاف الخامس، الملك الأعلى للاتحاد. كانت رأسه مائلًا إلى الجانب، مكبوسًا تحت التاج المتلألئ. أصابعه الشاحبة المائلة إلى البياض تتلوى على عباءته القرمزية الحريرية كأنها ديدان بيضاء. عيناه مغمضتان، صدره يرتفع وينخفض ببطء، يصاحبه

تلعثم خفيف ويخرج اللعاب من شفثيه المتهدلتين منساباً على ذقنه، لينضم إلى العرق المتصبب على وجنتيه المتورمتين فيزيدان دكانة ياقة ثوبه العالية بالرطوبة.

حقاً كان چیزال في حضرة العظمة.

تمتم اللورد هوف: «جلالتك». لم يستجب رأس الدولة. كانت الملكة، زوجته، تراقب من مكانها، منتصبة بشكل مؤلم، وابتسامة جامدة بلا تعبير مرسومة على وجهها المكسو جيداً بالبودرة.

لم يعرف چیزال أين ينظر، فاستقر نظره على حذائه المترب. سعل كبير أمناء البلاط بصوت عالٍ. ارتعشت عضلة تحت دهون الملك المتعركة، لكنه لم يستيقظ. تملل هوف، ونظر حوله ليتأكد من أن أحداً لم يكن يراقب من كثب، ثم طعن أضلاع الملك بإصبعه.

قفز الملك، جفناه يفتحان فجأة على اتساعهما، وجنتاه المترهلتان ترتعشان، ناظرًا إلى چیزال بعينين ملتهبتين حمراوي الأطراف.

- جلالتك، هذا هو النقيب...

صاح الملك: «رينولت! ابني!».

ابتلع چیزال ريقه بعصية، محاولاً الحفاظ على ابتسامة ثابتة. كان العجوز الخرف قد خلط بينه وبين ابنه الأصغر. والأسوأ من ذلك، أن الأمير الحقيقي كان واقفاً على بعد خطوات قليلة. ارتجفت ابتسامة الملكة الخشبية قليلاً. شفتا الأميرة تيريز المثالية التوتا بازدراء. سعل كبير أمناء البلاط بصوت محرج: «أمم، لا، جلالتك، هذا هو...».

لكن فات الأوان. دون سابق إنذار، نهض الملك بصعوبة من كرسیه واحتضن چیزال بحماس، تاجه الثقيل ينزلق على جانب رأسه، وكادت إحدى نهاياته المدببة المرصعة بالجواهر تنفقا عين چیزال. انفتح فم اللورد هوف بصمت. حلق الأميران، غير مصدقين. أما چیزال، فلم يستطع سوى إصدار صوت غرغرة عاجزة.

تمتم الملك بصوت متهدج وقد اختنقت كلماته بالعواطف: «ابني، رينولت، أنا سعيد بعودتك! عندما أرحل، سيحتاج لاديسلا إلى مساعدتك. إنه ضعيف جداً، والتاج ثقيل جداً! كان يلائمك أكثر دائماً! إنه ثقل كبير جداً!»، وبكى على كتف چیزال.

كان الأمر ككابوس فظيع. كان لاديسلا ورينولت الحقيقيان يحدقان ببلاهة إلى بعضهما، ثم يعودان للنظر إلى والدهما، وكأنهما يشعران بالغثيان. كانت تيريز تحديق إلى والد زوجها المستقبلي بازدراء غير مخفي. من السيئ إلى الأسوأ بكثير. ماذا يفعل المرء في مثل هذا الموقف؟ هل هناك بروتوكول لما يحدث الآن؟ ربت چيزال على ظهر الملك السمين بشكل محرج. ماذا كان يمكن أن يفعل غير ذلك؟ يدفع العجوز المخرف على مؤخرته أمام نصف رعاياه؟ كاد أن يفعل ذلك.

لحسن الحظ، اعتقدت الجماهير أن عناق الملك هو تأييد صريح لمهارات چيزال في المبارزة، وغطت كلماته بصيحة جديدة من الهتافات. لم يسمع أحد خارج الصندوق الملكي ما قاله. لقد فاتهم جميعاً المعنى الحقيقي لأكثر اللحظات إحراجاً في حياة چيزال.

الجمهور المثالي

وقف المقررئ الأعلى سولت بجوار نافذته الكبيرة عندما وصل جلوكتا، طويلاً ومهيئاً كعادته، يرتدي معطفه الأبيض النظيف، ينظر عبر أبراج الجامعة نحو دار الصانع. كانت نسمة لطيفة تعبر الغرفة الدائرية الكبيرة، تحرّك شعر الرجل العجوز الأبيض وتثير الأوراق الكثيرة على مكتبه الضخم، فتصدر صوتاً خافتاً.

التفت عندما جر جلوكتا قدميه لداخل الغرفة. قال ببساطة: «أيها المحقق». ومد يده المغطاة بقفاز أبيض، وحجر خاتمه الرسمي الكبير يلتقط ضوء الشمس الساطع من النافذة المفتوحة وملتمعاً بنار أرجوانية.

أجاب جلوكتا وهو يقبض على يده ومال لتقبيل الخاتم، متألماً وعصاه ترتجف وهو يحاول الحفاظ على وقوفه: «تحت الأمر والطاعة، سماحتكم». تبّاً لهذا العجوز، يخفض يده أكثر كل مرة، فقط ليشاهدني أتعذب.

جلس سولت برشاقة في كرسيه الطويل، واضعاً مرفقيه على سطح الطاولة وأصابعه متشابكة أمامه. لم يكن لدى جلوكتا إلا أن يقف وينتظر، وساقه تشتعل من التسلق المعتاد داخل دار الأسئلة، والعرق يتسلل إلى فروة رأسه، منتظراً دعوة الجلوس.

تمتم المقررئ الأعلى: «تفضل بالجلوس، (ثم بينما انتظر تأوه جلوكتا وهو يجلس على أحد الكراسي الصغيرة حول الطاولة المستديرة) أخبرني الآن، هل وصلت تحقيقاتك إلى أي نتائج؟».

- البعض. كان هناك اضطراب في غرف زوارنا الليلة الماضية. يدعون أن...

- شخر سولت: «محاولة واضحة لإضفاء مصداقية على هذه القصة البشعة. السحر! هل اكتشفت كيف اختَرَق الجدار فعلاً؟».
- ربما كان السحر؟ للأسف لا، أيها المقرئ الأعلى.
- هذا مؤسف. كيفية تنفيذ هذه الحيلة قد تكون مفيدة لنا. ومع ذلك. (تنهد سولت كما لو أنه يتوقع نتائج أفضل) لا يمكن الحصول على كل شيء. هل تحدثت إلى هؤلاء... الأشخاص؟
- نعم. باياز هذا، إذا جاز لي استخدام الاسم، متحدث بارع للغاية. لكن من دون أي وسيلة إقناع سوى الأسئلة، لم أستطع الحصول منه على شيء. أما صديقه الشمالي، فهو أيضاً يحتاج إلى دراسة.
- ظهر تجعد واحد على جبين سولت الأملس: «هل تشتبه في وجود صلة مع ذلك الهمجي بيثود؟».
- ربما.
- ربما؟ (كررها المقرئ الأعلى بمرارة، وكأن الكلمة نفسها سُمِّ) ماذا بعد؟
- انضم شخص جديد إلى المجموعة.
- أعلم. الملاح.
- لماذا أزعج نفسي؟ نعم، سماحتك، الملاح.
- حظاً سعيداً لهم. هؤلاء المنجمون الشحيحون دائماً أكثر صخباً مما يستحقون. يتحدثون عن الرب وما إلى ذلك. برابرة طماعون.
- بلا شك. أكثر صخباً مما يستحقون، أيها المقرئ الأعلى، لكن سبب استعانتهم به سيكون مثيراً للمعرفة.
- ولماذا استعانوا به؟
- توقف جلوكتا للحظة: «لا أعلم».
- شخر سولت: «همم، ماذا بعد؟».
- بعد زيارتهم الليلية، نُقل أصدقائنا إلى غرف بجوار الحديقة. وقعت جريمة قتل بشعة قبل بضع ليالٍ، على بعد عشرين خطوة فقط من نوافذهم.

- تحدّث إليّ الرئيس جويل عن هذا. قال إنه لا داعي للقلق، وإنه لا توجد صلة بزوارنا. تركت الأمر في يده. (نظر إلى جلوكتا بريبة) هل أخطأت في قراري؟

- يا إلهي، سؤال يجب عدم التأخر في الإجابة عنه. بالطبع لا، أيها المقرئ الأعلى. (انحنى جلوكتا باحترام عميق) إذا كان الرئيس راضيًا، فأنا كذلك.

- همم. إذن ما تخبرني به هو أنه، في النهاية، ليس لدينا شيء.
- ليس تمامًا لا شيء. هناك هذه.

وأخرج جلوكتا اللفافة العتيقة من جيب معطفه ومدها.

ظهرت نظرة فضول خفيف على وجه سولت وهو يأخذها ويفردها على الطاولة، ناظرًا إلى الرموز غير المفهومة: «ما هذه؟».

- هه. إذن لا تعرف كل شيء. أعتقد أنه يمكنك القول إنه قطعة من التاريخ. رواية عن كيف هزم باياز الصانع الأعظم.

- قطعة من التاريخ. (نقر سولت بإصبعه على سطح الطاولة بتفكير) وكيف تساعدنا هذه؟

- بل تقصد كيف تساعدك أنت. وفقًا لهذه الرواية، كان صديقنا باياز هو من أغلق دار الصانع. (أشار جلوكتا إلى الشكل المهيّب خلف النافذة) أغلقه... وأخذ المفتاح.

- مفتاح؟ هذا البرج مغلق دائمًا. دائمًا. حسب علمي، لا يوجد حتى ثقب مفتاح.

- هذا ما فكرت به بالضبط، سماحتكم.

بدأ سولت يبتسم ببطء: «همم، القصص كلها في طريقة سردها، أليس كذلك؟ صديقنا باياز يعرف ذلك جيدًا، بلا شك. سيستخدم قصصنا ضدنا، لكن الآن نغير الأدوار معه. يعجبني هذا التناقض. (أخذ اللفافة مرة أخرى) هل هي أصلية؟».

- هل يهم؟

- بالطبع لا.

نهض سولت برشاقة من كرسية وتوجه ببطء نحو النافذة، يطرق اللقافة الملفوفة بأصابعه. وقف هناك لبعض الوقت، ناظرًا إلى الخارج. وعندما استدار، كان قد ارتسم على وجهه تعبير عميق من الرضا.

- يخطر لي أن هناك وليمة غداً مساءً، احتفالاً ببطل المباراة الجديد، النقيب لوثار. تلك الدودة المحتالة الصغيرة. سيحضرها العظماء والنبلاء: الملكة، الأميران، معظم المجلس المغلق، عدة نبلاء بارزين. ناهيك بالملك نفسه. وصلنا لمرحلة أن حضوره على العشاء لم يعد يستحق حتى الذكر. سيكون الجمهور المثالي لكشفنا الصغير، ألا تعتقد؟

أحني جلوكتا رأسه بحذر: «بالطبع، أيها المقرئ الأعلى. الجمهور المثالي». بشرط أن ينجح الأمر. قد يكون الفشل أمام هذا الجمهور محرّجاً.

لكن سولت كان غارقاً في خيالات انتصاره بالفعل: «التجمع المثالي، وهناك وقت كافٍ لإجراء الترتيبات اللازمة. أرسل رسولاً إلى صديقنا أول المجوس وأخبره أنه هو ورفاقه لحضور العشاء غداً مساءً بكل احترام. أثق أنك ستحضر كذلك؟».

أنا؟ انحنى جلوكتا مجدداً: «لن أفوت ذلك لأي سبب، سماحتكم».

- جيد. أحضر منقذك معك. قد يصبح أصدقاؤنا عنيفين عندما يدركون أن اللعبة انتهت. من يدري ما قد يفعله برابرة مثلهم؟

وبإيماء ملحوظة بالكاد من يده المغطاة بالقفاز، أشار المقرئ الأعلى لانتهاؤ المقابلة. كل تلك الدرجات، فقط لأجل هذا؟

كان سولت ينظر إلى اللقافة من فوق أنفه عندما وصل جلوكتا أخيراً إلى العتبة. تمت: «الجمهور المثالي»، وهو يغلق الباب الثقيل خلفه.

في الشمال، يتناول رجال زعيم القبيلة العشاء معه كل ليلة في قاعته. كانت النساء يجلبن الطعام في أوعية خشبية. كنت تطعن قطع اللحم بالسكين وتقطعها بالسكين نفسه، ثم تحشو القطع في فمك بأصابعك. وإذا وجدت عظمًا أو غضروفًا، كنت تلقي به على القش للكلاب. الطاولة، إن وجدت، كانت عبارة عن بضعة ألواح خشبية متباينة، ملطخة وملأى بالخدوش والجروح من طعن السكاكين. جلس رجال القبيلة على مقاعد طويلة، وربما كان هناك

كرسي أو اثنان للرجال المُسمَّين. كانت الأجواء مظلمة، وبخاصة في فصول الشتاء الطويلة، وملأى بالدخان من نار المدخنة وجليون الشاجا. كان هناك غالبًا غناء، وصراخ لإهانات ودية، وأحيانًا صراخ لإهانات عدوانية، ودائمًا الكثير من الشرب. القاعدة الوحيدة أن تنتظر حتى يبدأ الزعيم.

لم يكن لدى لوجن أي فكرة عن القواعد هنا، لكنه خمن أنها كثيرة.

جلس الضيوف حول ثلاث طاوالت طويلة مرتبة على شكل حدوة حصان، قرابة ستين شخصًا أو أكثر. كل شخص لديه كرسيه الخاص، وكان سطح الطاوالت الخشبي الداكن مصقولًا إلى درجة عالية، بحيث إن لوجن تمكن من رؤية انعكاس ضبابي لوجهه بفضل مئات الشموع المنتشرة حول الجدران وعلى الطاوالت. كان لكل ضيف ثلاثة سكاكين ثلثة على الأقل، وأشياء أخرى مبعثرة أمامهم لم يكن لوجن يعرف كيفية استخدامها، بما في ذلك دائرة كبيرة مسطحة من المعدن اللامع.

لم يكن هناك صراخ ولا غناء، فقط همهمة منخفضة مثل خلية نحل، حيث تبادل الناس الهمس فيما بينهم، ينحنون نحو بعضهم كما لو كانوا يتبادلون الأسرار. كانت الملابس غريبة أكثر من أي وقت مضى. الرجال المسنون يرتدون عباءات ثقيلة باللون الأسود والأحمر والذهبي، مزينة بفرو لامع، رغم الحرارة.

الشباب يرتدون سترات ضيقة بألوان زاهية مثل القرمزي والأخضر والأزرق، مزينة بحبال وعقد ذهبية وخيوط فضية. النساء كنَّ معلقات بسلاسل وخواتم من الذهب اللامع والجواهر البراقة، يرتدين فساتين غريبة من أقمشة زاهية، واسعة بشكل مبالغ فيه في أماكن، وضيقة بشكل مؤلم في أماكن أخرى، وتترك أجزاء أخرى مكشوفة تمامًا بشكل مشنت.

حتى الخدم كانوا يرتدون مثل النبلاء، يتنقلون خلف الطاوالت بصمت، يميلون للأمام ليملئوا الكؤوس بالنبيذ الحلو الخفيف. كان لوجن قد شرب قدرًا كبيرًا منه بالفعل، وأصبحت الغرفة المضاعة أكثر بريقًا.

المشكلة كانت في نقص الطعام. لم يأكل منذ الصباح، وكان بطنه يقرقر. راقب الجرار الملأى بالنباتات الموضوعة على الطاوالت أمام الضيوف. كانت تحتوي على أزهار مشرقة، ولم تبدُ له كطعام، لكنهم يأكلون أشياء غريبة في هذا البلد.

لم يكن هناك بديل سوى المحاولة. خطف إحدى النباتات الطويلة من الجرة، كانت قطعة طويلة من نبات أخضر مع زهرة صفراء في نهايتها. قضم قليلاً من أسفل الساق. بلا طعم أو ماء، لكنها على الأقل كانت مقرمشة. أخذ لقمة أكبر وراح يمضغها من دون استمتاع.

- لا أعتقد أنها للأكل.

استدار لوّجِن باندهاش إليه، تفاجأ لسماع اللغة الشمالية هنا، وتفاجأ أن أحدهم تحدث إليه أصلاً. كان المجاور له رجلاً طويلاً نحيفاً بوجه حاد وخطوط بارزة، ومال نحوه بابتسامة محرّجة. تعرف عليه لوّجِن بشكل غامض. كان في لعبة السيوف، الذي حمل النصال للشاب عند البوابة.

تمتم لوّجِن وفمه مملوء بالنبات: «آه»، كان طعم الشيء يزداد سوءاً مع مرور الوقت. قال بعدما ابتلع اللقمة بصعوبة: «عذراً، لا أعرف الكثير عن هذه الأشياء».

- بصراحة، ولا أنا. كيف كان طعمها؟

- مثل الروث.

أمسك لوّجِن الزهرة نصف المأكولة بين أصابعه بتردد. كان البلاط نظيفاً تماماً. لم يكن من اللائق أن يرمي الشيء تحت الطاولة. لم يكن هناك أي كلاب على أي حال، وحتى لو كانت موجودة، شك في أنها ستأكل الشيء. الكلب كان سيملك من الحكمة أكثر مما امتلك هو. أسقطه على الطبق المعدني ومسح أصابعه على صدره، آملاً ألا يكون أحد قد لاحظ.

قال الرجل، وهو يمد يده: «اسمي ويست، أنا من أنجلاند».

أمسك لوّجِن يده وضغط عليها: «الأصابع التسع. من برين، من الشمال البعيد بعد الأماكن العالية».

- تسع أصابع؟ (لَوْح لوّجِن بإصبعه المبتورة نحوه، فأومأ الرجل برأسه) آه، فهمت. (ابتسم وكأنه تذكر شيئاً مضحكاً) سمعت أغنية مرة في أنجلاند عن رجل بتسع أصابع. ما كان اسمه؟ التسع الدموية! نعم، هذا هو! (شعر لوّجِن بابتسامته تتلاشى) إحدى تلك الأغاني الشمالية، تعرف نوعها، كلها عنف. كان يقطع الرؤوس بالعشرات، التسع الدموية هذا، ويحرق المدن، ويخلط الدم مع الجعة وما شابه. هذا ليس أنت، أليس كذلك؟

كان الرجل يمزح. ضحك لوچن بتوتر: «لا، لا، لم أسمع به قط». ولحسن الحظ، انتقل ويست لموضوع آخر.

- أخبرني، تبدو وكأنك قد خضت بعض المعارك في وقتك.

- لقد خضت بعض المواجهات.

كان من العبث إنكار ذلك.

- هل تعرف ذلك الذي يلقب بملك الشماليين؟ هذا الرجل بيثود؟

ألقي لوچن نظرة جانبية: «أعرفه».

- هل حاربت ضده في الحروب؟

عبس لوچن. بدا أن طعم النبتة المر لا يزال عالقًا في فمه. التقط كوبه وأخذ جرعة: «أسوأ من ذلك، (قال ببطء وهو يضع الكوب) حاربت من أجله».

بدا أن رده زاد من فضول الرجل أكثر: «إذن تعرف تكتيكاته، وجنوده، وأساليبه في الحرب؟ (أومأ لوچن) ماذا يمكنك أن تخبرني عنه؟».

- إنه خصم ماكر وقاسٍ للغاية، بلا رحمة ولا وازع. لا تسئ فهمي، فأنا

أكره الرجل، لكن لم يظهر قائد حرب مثله منذ أيام سكارلينج عاري الرأس. لديه ما يحترمه الرجال، أو يهابونه، أو على الأقل يطيعونه

من أجله. يدفع رجاله بقوة ليصل إلى ساحة المعركة أولاً ويختار الأرض التي يقاتل عليها، لكنهم يتقدمون بشدة لأجله لأنه يحقق

لهم الانتصارات. يتحلى بالحدز عندما يتطلب ذلك، والشجاعة عندما يتطلب، لكنه لا يغفل أي تفصيل. يستمتع بكل خدع الحرب: في نصب

الفخاخ والكمائن، في القيام بحملات وهمية وخداعية، وفي شن غارات مفاجئة على من هم غير مستعدين. ابحث عنه حيث تتوقعه أقل، وتوقع

أن يكون أقوى حيث يبدو أضعف. توقعه يكر عندما يبدو أنه يفر. معظم الرجال يخافونه، ومن لا يفعلون فهم حمقى.

أمسك لوچن بالزهرة من الطبق وبدأ يفرطها إلى قطع: «جيشه موزعة

حول زعماء العشائر، بعضهم قادة حرب أقوىاء وحدهم. معظم مقاتليه عبيد مزارعون، يُجنّدون بالقوة، بتسليح خفيف كالرماح أو الأقواس، ويتحركون

بسرعة في مجموعات متفرقة. في الماضي، كانوا سيئي التدريب، يؤخّذون من مزارعهم لفترة قصيرة فقط، لكن الحروب استمرت طويلًا حتى أصبح

كثير منهم مقاتلين أشداء ولا يظهرهم رحمة تُذكر».

بدأ في ترتيب قطع النبات، متخيلًا أنها مجموعات من الرجال، والطبق كان تلاً: «كل زعيم يحتفظ بمقاتلين خاصين به أيضًا، محاربين محليين، مسلحين ومدربين جيدًا، ماهرين بالفأس والسيف والرمح، ومنضبطين. بعضهم يملكون الخيول، لكن بيثود يحتفظ بها بعيدًا عن الأنظار، ينتظر اللحظة المناسبة للهجوم أو المطاردة. (نزع بتلات الزهرة الصفراء وجعلها فرسانًا مختبئين على الأجانب) وأخيرًا، هناك الرجال المعروفون، الرجال المسمون، أولئك المحاربون الذين نالوا احترامًا كبيرًا في المعركة. قد يقودون مجموعات من المحاربين في الميدان، أو يعملون ككشافة أو غزاة، وأحيانًا بعيدًا في مؤخرة العدو».

أدرك أن الطبق أصبح مغطى بفوضى من قطع النبات، فمسحها سريعًا عن الطاولة: «هذا هو تقليد الحرب في الشمال، لكن بيثود دائمًا ما كان يحب الأفكار الجديدة. لقد قرأ الكتب، ودرس أساليب القتال الأخرى، وتحدث كثيرًا عن شراء الأقواس الثقيلة، والدروع القوية، والخيول الحربية من تجار الجنوب، وعن صنع جيش يُخشى في جميع أنحاء العالم».

أدرك لوِجن فجأة أنه تحدث باستمرار لفترة طويلة. لم يكن قد قال هذا العدد من الكلمات مجتمعة منذ سنوات، لكن ويست كان يحرق إليه بتركيز شديد: «أنت تتحدث كمن يعرف عمله».

- حسنًا، لقد ذكرت موضوعًا قد يُعتبر أنني عالم به.

- ما النصيحة التي تعطيها لرجل سيضطر إلى محاربة بيثود؟

عبس لوِجن: «كن حذرًا. وراقب ظهره».

لم يكن چیزال مستمتعًا. في البداية، بدت الفكرة رائعة بالطبع، تمامًا كما حلم دائمًا: احتفال على شرفه، حضره الكثير من كبار شخصيات الاتحاد. بلا شك، كان هذا مجرد بداية حياته الجديدة الرائعة كبطل المسابقة. الأشياء العظيمة التي تنبأ بها الجميع، لا، وعدوه بها، كانت على وشك الوصول، على أهبة السقوط مثل ثمرة ناضجة من الشجرة لتستقر في حضنه. الترقيات والمجد كانا على وشك اللحاق به. ربما سيعينونه رائدًا الليلة، وسيذهب إلى الحرب في أنجلاند كقائد لكتيبة كاملة.

لكن، بشكل غريب، بدا أن معظم الضيوف مهتمون بشؤونهم الخاصة أكثر من أي شيء آخر. كانوا يتحدثون فيما بينهم عن قضايا الحكومة، وأعمال البيوت التجارية، والمسائل المتعلقة بالأراضي والألقاب والسياسة. بالكاد ذُكرت المباراة، ومهارته الاستثنائية فيها، ولم يكن هناك أي ترقية فورية في الأفق. كان عليه فقط أن يجلس هناك، ويبتسم، ويقبل التهاني الفاترة من غرباء في ملابس فاخرة، بالكاد نظروا إليه في عينيه. كان بإمكان دمية شمعية أن تؤدي الدور نفسه. كان عليه أن يعترف بأن إعجاب العامة في الساحة كان أكثر إرضاءً بكثير. على الأقل، بدوا وكأنهم يقصدون ما يقولونه.

ومع ذلك، لم يكن قد دخل من قبل إلى مجمع القصر، وهو حصن داخل حصن الأجيوننت، حيث سُمح لقلّة قليلة بالدخول. الآن، كان جالسًا إلى طاولة الشرف في قاعة طعام الملك نفسها، رغم أن جيزال لم يشك أن جلالته يتناول معظم وجباته مستلقيًا على السرير، وعلى الأرجح يُطعم بملقعة.

كان هناك مسرح مدمج في الجدار في طرف الغرفة المقابل. سمع جيزال مرة أن أوستوس، الملك الطفل، كان لديه مهرجون يقدمون عروضًا له في كل وجبة. أما مورليك المجنون، فكان يعدم الناس هناك في أثناء تناول عشاءه. أما الملك كاسامير، كما يُقال، فقد جاء بممّثلين لألد أعدائه ليطلقوا عليه الإهانات من ذلك المسرح في أثناء تناوله إفطاره كل صباح، ليبقي كراهيته لهم متقدة. الآن، كانت الستائر مغلقة. لذا، كان على جيزال أن يبحث عن تسليته في مكان آخر، ولم يكن هناك ما يثير الاهتمام.

ما زال المارشال فاروز يثرثر في أذنه. كان على الأقل مهتمًا بالمبارزة. للأسف، لم يتحدث عن شيء آخر: «لم أرَ شيئًا كهذا. المدينة بأكملها تتحدث عنه. أكثر نزال رائع شاهده أي شخص! أقسم إنك أفضل مما كان عليه ساند دان جلوكتا في شبابه، ولم أعتقد أنني سأرى أحدًا مثله مجددًا! لم أحلم قط أنك تستطيع القتال بهذه الطريقة، جيزال، لم أكن أتخيل ذلك على الإطلاق!». تتمم جيزال: «هم».

كان الأمير الوريث لاديسلا وزوجته المستقبلية تيريز من تالينس يشكلان زوجين باهرين عند قمة الطاولة، بجانب الملك النائم. كانا غير مباليين بما يجري حولهما، ولكن ليس بالطريقة التي قد يتوقعها المرء من عاشقين شابين. كانا يتجادلان بحدة بأصوات خافتة بالكاد، في حين تظاهر جيرانهما بجهد واضح بعدم الإصغاء لكل كلمة.

تذمر لادسلا: «... حسنًا، سأذهب إلى الحرب قريبًا في أنجلاند، لذا لن تضطري إلى تحملي لفترة أطول! قد أُقتل! ربما سيجعلك ذلك سعيدة يا صاحبة السمو؟».

ردت تيريز بلهجة ستيريا التي تقطر سُمًا: «أرجوك لا تُمُت من أجلي، ولكن إذا كان لا بد لك، فلا مانع. أظنني سأتعلم كيف أتحمل الحزن».

أحد الجالسين قريبا صرّف انتباهه على الضربة قوية على الطاولة: «تبا لهؤلاء العامة! إن الفلاحين في ستاريكلاند يرفعون السلاح! كلاب كسالي، يرفضون العمل!».

تمتم جاره: «إنها الضرائب هذه المرة، ضرائب الحرب هذه قد أثارتهم. هل سمعت عن هذا الشخص الذي يسمونه الدباغ؟ فلاح وضيع، ينادي بالثورة علنًا! سمعت أن أحد جبابرة الملك تعرض لهجوم من حشد، على بعد ميل واحد فقط من أسوار كيلن. أقول أحد جبابرة الملك! على بعد ميل واحد فقط من أسوار المدينة».

- لقد جلبنا هذا على أنفسنا! (كان وجه المتحدث بعيدًا عن الأنظار، لكن جيزال تعرف عليه من أطراف ثوبه المطرزة بالذهب. ماروفيا، القاضي الأعلى) تعامل مع الرجل كأنه كلب، وسيعضك في النهاية، هذه حقيقة بسيطة. دورنا كحكام ونبلأ هو أن نحترم الرجل البسيط ونحميه، بدلًا من قهره واحتقاره.

- لم أتحدث عن الاحتقار، يا لورد ماروفيا، ولا عن القهر، فقط عن أن يدفعوا ما يستحق علينا بصفتنا ملاك أراضيهم، وبالتالي، بصفتنا متفوقين عليهم طبيعيًا.

وفي هذه الأثناء، لم يتوقف المارشال فاروز لحظة عن الكلام: «كان مشهدًا رائعًا، أليس كذلك؟ الطريقة التي هزمت بها خصمك، سيف واحد ضد اثنين! (لَوْح الجندي العجوز بيده في الهواء) المدينة كلها تتحدث عنك. أنت مُقَدَّر لأشياء عظيمة الآن يا فتى، تذكر كلامي. مقدر لأشياء عظيمة. سأكون ملعونًا إن لم تجلس على مقعدي في المجلس المغلق يومًا ما!».

لقد كان ذلك أكثر مما يحتمل. تحمل جيزال الرجل طوال تلك الأشهر. كان قد تخيل بطريقة ما أنه إذا فاز، سينتهي كل هذا، لكنه يبدو أنه سيخيب أمله في هذا الأمر، كما في أمور أخرى كثيرة. كان الأمر غريبًا، لكن جيزال لم

يدرك من قبل تمامًا كم كان المارشال فاروز عجوزًا مملًا وأبله. لكنه يدرك ذلك الآن، وبلا شك.

لإضافة المزيد من خيبة أمله، هناك العديد من الأشخاص الجالسين حول الطاولات ممن لم يكن يُسمح لهم أبدًا بالحضور لو اختار هو الضيوف. يمكنه أن يتجاوز عن سولت، المقرئ الأعلى لجهاز الاستجواب، لأنه عضو في المجلس المغلق وبلا شك شخصية قوية، لكن لم يستطع چيزال أن يفهم لماذا قد يجلب معه ذلك اللعين جلوكتا. بدا الأعرج أكثر مرضًا من المعتاد، وعيناه الغائرتان ترفان في دوائر داكنة. ولسبب ما توجه بين الحين والآخر بنظرات متجهمة ومريبة نحو چيزال، وكأنه يشتبه فيه بارتكاب جريمة ما. كان ذلك وقاحة فظيعة، لا سيما وأنه احتفال چيزال نفسه.

وما زاد الأمر سوءًا، في الطرف الآخر من الغرفة كان ذلك العجوز الأصلع، الذي قدّم نفسه باسم باياز. لم يفهم چيزال بعد معنى كلماته الغريبة التي هنأه بها بعد المسابقة، أو رد فعل والده تجاهه. وكان معه صديقه البشع، الهمجي ذو الأصابع التسع.

أما الرائد ويست، فقد كان لسوء حظه جالسًا بجوار ذلك الهمجي، لكنه تعامل مع الأمر بأفضل شكل ممكن، في الواقع، كان الاثنان منخرطين في حديث حيّ. قاطع الشمالي الحديث فجأة بضحكات عالية وطرق على الطاولة بقبضته الكبيرة، مما جعل الكؤوس ترتج. على الأقل كانا يستمتعان في حفله، فكر چيزال بمرارة، لكنه تمنى لو كان جالسًا معهما.

ومع ذلك، علم أنه يريد أن يصبح رجلًا مهمًا يومًا ما. أن يرتدي ملابس مزينة بكثير من الفراء، وسلسلة ذهبية ثقيلة تدل على منصبه. أن ينحني الناس أمامه ويظهروا له التبجيل. اتخذ هذا القرار منذ زمن طويل، وما زال يظن أنه يحب الفكرة. لكن عن قرب، بدت الأمور كلها زائفة ومملة للغاية. فضل كثيرًا أن يكون وحيدًا مع آردي، حتى وإن كان قد رآها الليلة الماضية. لم يكن هناك شيء ممل بشأنها.

صاح شخص ما على يسار چيزال: «الهمج يقتربون من أوستنهورم، هذا ما سمعته! اللورد ميد الحاكم يحشد جيشًا وأقسم على طردهم من أنجلاند!».

- هاه. ميد؟ ذلك الأحمق المتضخم الرأس لن يستطيع حتى إخراج فطيرة من طبق!

- لكنه كافٍ لهزيمة هؤلاء الحيوانات الشمالية، أليس كذلك؟ رجل واحد من الاتحاد يعادل عشرة من أمثالهم!

سمع چيزال صوت تيريز يرتفع بشكل مفاجئ، قاطعًا الضوضاء من حوله، وكان عاليًا بما يكفي ليسمعه كل من في الغرفة تقريبًا: «...بالطبع سأتزوج بمن يأمرني والدي، لكن ليس عليّ أن أحبه!». بدت شرسة جدًا في تلك اللحظة، حتى إن چيزال لم يكن ليتفاجأ لو أنها طعنت الأمير الوريث بالشوكة. شعر بشيء من الرضا لرؤية أنه ليس الوحيد الذي يعاني مع النساء. كان فاروز ما زال يثرثر: «... نعم، عرض رائع! الجميع يتحدثون عنه».

تحرك چيزال في مقعده باضطراب. إلى متى سيستمر هذا الهراء؟ شعر بالاختناق. نظر عبر الوجوه مرة أخرى، ووجد جلوكتا يحدق إليه بنظرة متجهمة مشبوهة على وجهه الشاحب. لم يكن چيزال يستطيع تحمل تلك النظرة طويلًا، سواء كان الحفل حفله أم لا. ما الذي لدى هذا الأعرج ضده على أي حال؟

ذلك اللعين. لقد غش. بطريقة ما. أعلم ذلك. كانت عينا جلوكتا تنتقلان ببطء عبر الطاولة المقابلة حتى وقعتا على باياز. كان المحتال العجوز جالسًا هناك، مرتاحًا تمامًا. وكان له دور في الأمر. لقد غشوا، معًا. بطريقة ما.

- سيداتي وسادتي! (خفتت الأصوات عندما نهض كبير أمناء البلاط ليتحدث إلى الحاضرين) أود أن أرحب بكم جميعًا، نيابة عن جلالته، في هذا الاجتماع المتواضع. (تحرك الملك نفسه قليلًا، ناظرًا حوله بفرار، ثم أغلق عينيه مرة أخرى) نحن مجتمعون، بالطبع، لتكريم النقيب چيزال دان لوثار، الذي أضيف اسمه مؤخرًا إلى قائمة الشرف الرفيعة: المبارزون الذين فازوا في مسابقة الصيف. (رُفعت بعض الكؤوس، وُسُمت تمتات ضعيفة بالموافقة) أتعرف على العديد من الفائزين الآخرين بين الحضور اليوم، الكثير منهم يشغلون مناصب عليا الآن: اللورد مارشال فاروز، القائد فالديس من نذر الملك، الرائد ويست هناك، الذي يعمل الآن مع المارشال بور بالطبع. حتى أنا كنت فائزًا في يوم من الأيام. (ابتسم ونظر إلى بطنه المتضخم) لكن كان ذلك منذ زمن بعيد، بالطبع.

مرت ضحكة مهذبة حول الغرفة. لاحظت أنني لم أحظَ بالذكر. ليس كل الفائزين يستحقون الغيرة، أليس كذلك؟

تابع كبير الأمناء: «الفائزون في المسابقة، غالبًا ما ينتقلون إلى مناصب عظيمة. أمل، ونتمنى جميعًا، أن يكون الأمر كذلك مع صديقنا الشاب، النقيب لوثران».

أمل أن يلقي حنفيه البطيء في آنجلاند، ذلك اللعين الغشاش. لكن جلوكتا بينما رفع كأسه مع الجميع لتحية الأحمق المغرور، جلس لوثران هناك، مستمتعًا بكل لحظة.

وأن أفكر، أنني جلست على هذا الكرسي بالذات، محاطًا بالتصفيق والحسد ورببات الظهر بعد فوزي في المسابقة. رجال مختلفون في ملابس فاخرة، وجوه مختلفة تتصبب عرقًا في الحر، لكن لم يتغير شيء كثيرًا. هل كانت ابتسامتي أقل غرورًا حقًا؟ بالطبع لا. بل ربما كنت أسوأ. ولكن على الأقل كنت أستحقه.

كانت التزامات اللورد هوف واضحة تمامًا؛ لم يتوقف عن رفع نخب حتى أفرغ كأسه تمامًا، ثم دفعها بقوة على الطاولة ومسح شفثيه بلسانه: «والآن، قبل أن يصل الطعام، هناك مفاجأة صغيرة أعدها زميلي المقرئ الأعلى سولت، تكريمًا لأحد ضيوفنا. أمل أن تجدوا فيها تسلية».

ثم جلس كبير الأمناء بجسده الضخم، ممسكًا بكأسه الفارغة طالبًا المزيد من النبيذ. التفت جلوكتا نحو سولت. مفاجأة، من المقرئ الأعلى؟ هذا خبر سيئ لشخص ما.

انفتحت الستائر الحمراء الثقيلة للمسرح ببطاء. كشفت عن رجل مسن مستلق على الأرض، ملابسه البيضاء ملطخة بدماء زاهية الألوان. خلفه لوحة كبيرة تُصوِّر مشهدًا لغابة تحت سماء مرصعة بالنجوم. ذُكِّرَ جلوكتا بمشهد جدارية الغرفة الدائرية، الغرفة التي أسفل الكومة المتهممة لسيفيرارد بجوار الميناء.

ظهر رجل مسن آخر من أجنحة المسرح: طويل ونحيف بملامح حادة ومميزة. رأسه حليق ولحيته البيضاء قصيرة، لكن جلوكتا تعرف عليه على الفور. يوسف ليستك، أحد أشهر ممثلي المدينة. استدار باندعاش مصطنع عندما رأى الجثة الدامية.

- آآه!

ناح ومد ذراعيه في تقليد مبالغ فيه للصدمة واليأس. كان صوته عظيمًا، لدرجة أن العوارض الخشبية فوق القاعة اهتزت. بعد أن تأكد من أنه قد نال الانتباه التام من الحاضرين، بينما بدأ ليستك يتلو دوره، ويداه تتحركان في الهواء، كانت تجتاح وجهه مشاعر عظيمة:

«ها هنا، أخيرًا، يرقد سيدي چوفينز،

بموته تموت كل آمال السلام،

خيانة كانيدياس أودت به،

رحيله هو مغيب الشمس

على عصر بأكمله».

مكتبة
t.me/soramnqraa

رفع الممثل العجوز رأسه إلى الورا، ورأى جلوكتا عينيهِ تتفرغان بالدموع. حيلة بارعة، البكاء عند الطلب هكذا. انحدرت دمعة واحدة ببطء على خده، وجلس الحضور مذهولين. التفت مرة أخرى نحو الجثة:

«هنا يقتل الأخ أخاه. لم يسجل الزمن

جريمة كهذه من قبل.

أكاد أتوقع أن النجوم تنطفئ،

أو أن الأرض تفتح فاهها وتتفجر

بلهب هائج!».

ألقي بنفسه على ركبتيه وضرب على صدره العجوز:

«يا للقدر المرير،

كنت لألحق بسيدي بفرح الآن،

لكن لا أستطيع!

فعندما يموت رجل عظيم،

علينا، نحن من بقوا في عالم ضيق،

أن نتحمل الألم

ونواصل الكفاح!».«

بينما رفع ليستك عينيه ببطء نحو الجمهور، ونهض ببطء، تحولت ملامحه
من الحزن العميق إلى التصميم القاسي:

«فبينما دار الصانع مقفل ومغلق،

كلُّه منحوت من صخر وفولاذ،

إن اضطررتُ إلى أن أنتظر حتى يصدأ الفولاذ،

أو أن أحطم الصخر بيدي العاريتين،

فسأحصل على انتقامي!».«

أضاءت عينا الممثل بنار الغضب وهو يلف عباءته بقوة ويسير خارج
المسرح وسط تصفيق حار. كانت نسخة مختصرة من مشهد مألوف، غالباً
ما يُؤدَّى، وإن كان نادراً ما تصبح بهذا الإتقان. تفاجأ جلوكتا من نفسه وهو
يصفق. عرض رائع حتى الآن. نبل، شغف، وقوة. أكثر إقناعاً بكثير من باياز
آخر زائف يمكنني تذكره. تراجع في مقعده، ومد ساقه اليسرى تحت الطاولة،
واستعد للاستمتاع بالعرض.

أما لوجن، فكان يشاهد العرض ووجهه معبرٌ عن الحيرة. خَمَّن أن هذا
أحد العروض التي تحدث عنها باياز، لكن فهمه للغة لم يكن جيداً بما يكفي
لالتقاط التفاصيل.

كانوا ينتقلون على خشبة المسرح، يتنهدون ويلوحون بأيديهم، مرتدين أزياء زاهية الألوان ويتحدثون بنوع من الترانيم. اثنان منهم كانا من المفترض أن يكونا ذوي بشرة داكنة، حسبما اعتقد، لكنهما كانا بوضوح رجلين شاحبين طلياً وجهيهما بالطلاء الأسود. في مشهد آخر، كان الرجل الذي يلعب دور باياز يهمس لامرأة خلف باب، متوسلاً لها أن تفتحه. لكن الباب كان مجرد قطعة خشب مرسومة ومثبتة وسط المسرح، والمرأة كانت صبيًا في ثوب. فكر لوچن؛ لكان من الأسهل أن يلتف حول قطعة الخشب ويتحدث إليه أو إليها مباشرة.

لكن لوچن كان متأكدًا من شيء واحد، باياز الحقيقي كان غاضبًا للغاية. شعر بتصاعد غضبه مع كل مشهد. بلغ الغضب ذروته عندما دفع الشرير في القصة، رجل كبير بيده قفاز وغطاء للعين، الصبي في الثوب من فوق بعض المتاريس الخشبية. كان واضحًا أن الصبي أو الفتاة يفترض أن يسقطا من ارتفاع شاهق، رغم أن لوچن سمعه يصطدم بشيء ناعم خلف المسرح.

تمتم باياز الحقيقي بغضب تحت أنفاسه: «كيف يجرؤون؟»، كان لوچن سيفادر الغرفة لو استطاع، لكنه اكتفى بدفع كرسيه نحو ويست، بعيدًا قدر الإمكان عن غضب المجوسي.

على المسرح، تصارع باياز المزيف مع العجوز الذي يرتدي القفاز وغطاء العين، رغم أن القتال تم بالدوران في دوائر والتحدث كثيرًا. في النهاية، تبع الشرير الفتى خارج خشبة المسرح، لكن ليس قبل أن ينتزع منه خصمه مفتاحًا ذهبيًا ضخماً.

تمتم باياز الحقيقي: «هناك تفاصيل أكثر هنا مما ورد في القصة الأصلية»، بينما رفع نظيره على المسرح المفتاح وألقى المزيد من الأبيات الشعرية. لم يكن لوچن قد فهم الكثير بحلول نهاية العرض، لكنه التقط آخر سطرين قبل أن ينحني الممثل العجوز:

نلتمس عذرکم في نهاية قصتنا،

فلم تكن غایتنا الإساءة إلى أحد.

همس باياز الحقيقي من بين أسنانه المطبقة وابتسامة مصطنعة مصفقا بحماسة: «هراء بحق مؤخرتي العجوز!».

راقب جلوكتا ليستك وهو يتلقى تحياته الأخيرة في أثناء إغلاق الستائر، والمفتاح الذهبي ما زال يلتصق في يده. بينما نهض المقرئ الأعلى سولت من مقعده خفتت التصفيقات. قال مبتسما وهو ينظر حوله إلى الجمع المحتفي. - يسعدني كثيرا أنكم استمتعتم بتسليتنا الصغيرة. لا أشك أن الكثير منكم قد شاهد هذا العرض من قبل، لكن له أهمية خاصة هذا المساء. النقيب لوثار ليس الشخصية الوحيدة المحتفى بها في جمعنا الليلة، بل هناك ضيف شرف ثانٍ بيننا. إنه لا غيره، محور مسرحيتنا... باياز نفسه، أول المجوس!

وابتسم سولت وهو يشير بذراعه نحو العجوز المزيف على الجانب الآخر من القاعة. بينما كان هناك حفيف خفيف استدار كل الحاضرين من المقرئ الأعلى لينظروا إلى باياز.

ابتسم باياز مجدداً وقال: «مساء الخير». ضحك عدد من الشخصيات المهمة، ظانين أن هذا جزء آخر من العرض، لكن سولت لم يضحك معهم، وسرعان ما خفتت ضحكاتهم. ساد صمت ثقيل في القاعة. صمت قاتل، ربما. تابع سولت بصوت بارد: «أول المجوس. لقد كان معنا في الأجيوننت لعدة أسابيع الآن. هو وقليل من... الرفاق. (ألقى سولت نظرة سريعة إلى الشمالي المملوء بالندوب، ثم عاد إلى النظر إلى المجوسي المتظاهر) باياز. (نطق الاسم بحذر، كأنه يتركه يغرق في أذان المستمعين) الحرف الأول في الأبجدية القديمة. أول تلميذ لجوفينز، وأول حرف من الأبجدية، أليس كذلك، سيد باياز؟».

ابتسم العجوز بتكلف وسأل: «بالفعل أيها المقرئ الأعلى، هل كنت تراجع سجلاتي؟» مثير للإعجاب. حتى الآن، ورغم أنه يدرك أن اللعبة ستنتهي قريباً، لا يزال متمسكاً بدوره.

لكن سولت لم يتأثر. قال بجمود: «من واجبي أن أحقق بدقة في أي شخص قد يمثل تهديداً لملكي أو لبلدي».

- يا لوطنيتك المهيبة. لا شك أن تحقيقاتك كشفت أنني ما زلت عضوًا في المجلس المغلق، حتى وإن كان مقعدي فارغًا في الوقت الحالي. أعتقد أن اللقب المناسب للحديث معي سيكون اللورد باياز.

لم تتزحزح ابتسامة سولت الباردة ولو بقدر شعرة: «ومتى كانت آخر زيارتك لنا، يا لورد باياز؟ يبدو أن شخصًا له هذا التأثير العميق في تاريخنا كان ليظهر اهتمامًا أكبر على مر السنين. لماذا، إذا سمحت لي بالسؤال، لم تعد لزيارتنا منذ قرون طويلة، منذ عهد هارود العظيم؟» سؤال جيد. تمنيت لو خطر لي.

ابتسم باياز، ولم يظهر عليه القلق: «أوه، لكنني عدت بالفعل. خلال عهد الملك مورليك المجنون، وفي الحرب الأهلية التي تلت ذلك، كنت معلمًا لشاب يدعى أرنولت. فيما بعد، عندما اغتيل مورليك وأصبح أرنولت ملكًا بمساعدة المجلس المفتوح، خدمت بصفتي كبير أمناء بلاطه. كنت أدعى ببالوفيلد في تلك الأيام. عدت مرة أخرى في عهد الملك كاسامير. كان يناديني بلقب زولر، وقد شغلت وظيفتك، أيها المقرئ الأعلى».

بالكاد منع جلوكتا نفسه من أن يشهق بالاستياء، وسمع مثلها يتردد من المقاعد حوله. ليس لديه ذرة من الخجل، سأعترف له بذلك. ببالوفيلد، وزولر، اثنان من أكثر الخدم احترامًا في الاتحاد. كيف يجرو؟ ومع ذلك. تذكر جلوكتا صورة زولر في مكتب المقرئ الأعلى، والتمثال الذي يكرم ببالوفيلد في طريق الملوك. كلاهما أصلع، وكلاهما صارم، وكلاهما ملتج. لكن ما الذي أفكر فيه؟ الرائد ويست بدأ يفقد شعره من الأعلى. هل هذا يجعله ساحرًا أسطوريًا؟ غالبًا ما اختار هذا الدجال اثنين من أكثر الشخصيات صلحًا.

وفي هذه الأثناء، حاول سولت اتباع نهج مختلف: «أخبرني إذن، يا باياز: معروف أن هارود العظيم نفسه قد شك فيك عندما جئت إلى قاعته لأول مرة منذ تلك السنوات البعيدة. وكدليل على قوتك، كسرت طاولته الطويلة إلى نصفين. ربما يوجد بيننا بعض المتشككين الليلة. هل ستفكر في تقديم عرض مماثل لنا الآن؟».

كلما زادت برودة نبرة سولت، بدا أن العجوز المحتال أقل اهتمامًا. رفض هذا التحدي الأخير بكسل وهو يلوح بيده: «ما تتحدث عنه ليس شعوزة أو عرضًا على المسرح، أيها المقرئ الأعلى. هناك دائمًا مخاطر، وأثمان. إلى جانب ذلك، سيكون من المؤسف أن تُفسد وليمة النقيب لوثار فقط لأتمكن

من الاستعراض، ألا تعتقد؟ ناهيك بإهدار قطعة أثاث قديمة جميلة. أنا، على عكس كثيرين في هذه الأيام، أحمل احتراماً صحيحاً للماضي».

البعض ابتسم بتوتر وهم يشاهدون الرجلين العجوزين يتبادلان التعليقات اللاذعة كما لو كان الأمر مزحة معقدة، بينما أدرك الآخرون بشكل أفضل وعبسوا بشدة، يحاولون فهم ما يجري ومن الذي يسيطر على الموقف. لاحظ جلوكتا أن القاضي الأعلى ماروفيا استمتع بالمشهد بشكل واضح، كما لو أنه يعرف شيئاً لا يعرفه الآخرون. شعر جلوكتا بعدم الارتياح وهو يحول عينيه نحو الممثل الأصلع. الأمور لا تسير كما ينبغي. متى سيبدأ في التعرق؟ متى؟

وضع أحد الخدم طبقاً من الحساء الساخن أمام لوجن. لا شك أن الحساء كان معداً ليؤكل، لكن شهيته كانت قد تبخرت. قد لا يكون لوجن رجل بلاط، لكنه يستطيع تمييز بوادر عنف قادم عندما يراها. مع كل تبادل للكلمات بين الرجلين العجوزين، بينما كانت ابتساماتهما تتلاشى، وتصبح نبراتهما أشد حدة، بدا أن القاعة تضيق وتصبح أكثر قسوة. الجميع في الغرفة كانوا قلقين الآن. ويست، الشاب المغرور الذي فاز بتلك اللعبة بالسيف بسبب غش باياز، والأعرج المحموم الذي طرح جميع الأسئلة.

شعر لوجن بشعر مؤخرة عنقه يقف. هناك شخصان مختبئان في الباب القريب، يرتديان ملابس سوداء وأقنعة سوداء. حوّل لوجن نظره إلى المداخل الأخرى. حرس كل مدخل اثنان على الأقل من هؤلاء المقنعين، ولم يظن أنهم جاؤوا لجمع الأطباق.

لقد أتوا من أجله، من أجله ومن أجل باياز، استطاع الشعور بذلك. لا يرتدي أحد قناعاً إلا إذا كان لديه نية خبيثة. لم يكن بمقدوره التعامل مع نصف هذا العدد، لكنه مع ذلك سحب سكيناً من جوار طبقه وأخفاه خلف ذراعه. إذا حاولوا أخذه، فسوف يقاتل. لم يكن ذلك يحتاج إلى تفكير.

كان صوت باياز يزداد غضباً: «لقد قدمت لك كل الأدلة التي طلبتها، أيها المقرئ الأعلى!».

- أدلة! (بدأ الرجل الطويل المنادى بسولت يظهر استهزاءه) أنت تتعامل مع كلمات ووثائق مغبرة! هذا أقرب إلى عمل كاتب متذلل من كونه مادة للأساطير! قد يقول البعض إن مجوسياً بلا سحر ليس سوى

عجوز عابث! نحن في حالة حرب، ولا يمكننا أخذ أي مخاطرة! لقد ذكرت المقرئ الأعلى زولر. تفانيه في خدمة الحقيقة موثق جيدًا. أنا متأكد من أنك تتفهم تفاني. (انحنى سولت إلى الأمام، ضاربًا قبضتيه على الطاولة أمامه) أرنا السحر، باياز، أو أرنا المفتاح!

ابتلع لوچن ريقه. لم تعجبه مجريات الأمور، لكنه لم يفهم قواعد هذه اللعبة. لقد وضع ثقته في باياز، ولسبب ما، كان عليه أن يبقيا هناك. فات الألوان لتغيير الأجانب.

طالب سولت بغطرسه: «أليس لديك ما تقوله إذن؟ (جلس ببطء في كرسيه مرة أخرى، مبتسمًا من جديد. دارت نظراته نحو الممرات المقوسة، وشعر لوچن بحركة المقنعين وهم يتقدمون، جاهزين للانقضاض) هل انتهت كلماتك؟ هل انتهت حيلك؟».

قال باياز بهدوء: «توجد حيلة واحدة فقط».

ومد يده إلى ياقة ثوبه وسحب شيئًا من هناك، سلسلة طويلة ورفيعة. تقدم أحد الرجال المقنعين خطوة إلى الأمام، متوقعًا أن يرى سلاحًا، فشدد لوچن قبضته على مقبض السكين، ولكن عندما ظهرت السلسلة بالكامل، كان يتدلى منها قضيب من المعدن الداكن.

قال باياز وهو يرفعه نحو ضوء الشموع: «المفتاح. (بالكاد كان يلمع على الإطلاق) أقل بريقًا من المفتاح الذي في عرضكم، ربما، لكنه الشيء الحقيقي، وأكد لك ذلك. كانيدياس لم يكن يعمل بالذهب. لم يحب الأشياء الجميلة. كان يحب الأشياء التي تعمل».

تقلصت شفتا المقرئ الأعلى باحتقار: «هل تتوقع منا أن نصدق كلامك ببساطة؟».

- بالطبع لا. من وظيفتك أن تشك في الجميع، ويجب أن أقول إنك تؤدي هذه الوظيفة ببراعة. لكن الوقت تأخر الآن، لذلك سأنتظر حتى صباح الغد لفتح دار الصانع. (سقطت ملعقة على الأرض وارتطمت بالبلاط) ولا بد أن يكون هناك بعض الشهود بالطبع، للتأكد من أنني لا أحاول أي خداع. ماذا عن... (جالت عينا باياز الباردتان على طول الطاولة) المحقق جلوكتا، و... بطل المباراة الجديد، النقيب لوثار؟

تجههم الأعرج عندما ذُكِرَ اسمه. بدا لوثار في حيرة تامة. جلس المقرئ الأعلى، وقد استبدل بازدرائه جمودًا تامًا. نظر من وجه باياز المبتسم إلى ذلك القضيب المتأرجح من المعدن الداكن، ثم عاد بنظره. تحركت عيناه نحو أحد المداخل، ثم هز رأسه بهزة صغيرة. تراجع المقنعون بهدوء إلى الظلال. أرخى لوثر أسنانه المؤلمة، ثم أعاد السكين بهدوء إلى الطاولة. ابتسم باياز ابتسامة عريضة: «يا للأسف، يا سيد سولت، أنت حقًا شخص يصعب إرضاءه».

قال سولت بحدة: «أعتقد أن سماحتك هو اللقب المناسب».

- صحيح، صحيح. يجب أن أعترف، أنك لن تكون راضيًا حتى أكرر بعض الأثاث. لكنني أكره أن أسكب حساء الجميع، لذلك.

وبصوت فرقعة مفاجئ انهار كرسي المقرئ الأعلى تحت وزنه. أمسك بطرف المفرش وهو يهوي إلى الأرض في فوضى من الخشب المتناثر، مستلقيًا على الأرض ويتأوه. استيقظ الملك من نومه، وضيوفه رمشوا بأعينهم، وفتحوا أفواههم في دهشة. تجاهلهم باياز تمامًا.

قال، وهو يشرب بصوت عالٍ من ملعقته: «هذا الحساء رائع حقًا».

دار الصانع

كان يوماً عاصفًا، وبدا دار الصانع كثيبًا ومهيّبًا، كتلة ضخمة داكنة تقف شامخة في مواجهة السحب الممزقة. عصفت رياح باردة بين المباني وعبر ساحات الأجريونت، مما جعل أطراف معطف جلوكتا الأسود ترفرف حوله وهو يتهادى خلف النقيب لوثار والمحتمل أن يكون مجوسياً، وفي جواره الرجل الشمالي المشوه. كان يعلم أنهم مراقبون. مراقبون طوال الطريق. خلف النوافذ، في المداخل، على الأسطح. كان المنفذون في كل مكان، كان يشعر بأعينهم تراقبهم.

جلوكتا كان يتوقع، ونصفه يأمل، أن يختفي باياز ورفاقه خلال الليل، لكنهم لم يفعلوا. بدا العجوز الأصلع مرتاحاً كما لو كان على وشك فتح قبو للفواكه، وهذا لم يرق جلوكتا. متى ينتهي الخداع؟ متى يرفع يديه ويعترف أن الأمر كله مجرد لعبة؟ هل سيكون ذلك عند وصولنا إلى الجامعة؟ أم عند عبور الجسر؟ أم عندما نقف أمام بوابة دار الصانع نفسها ومفتاحه لا يناسب القفل؟ لكن فكرة كانت تتسلل إلى مؤخرة عقله: ماذا لو لم ينته الأمر؟ ماذا لو فُتح الباب؟ ماذا لو كان حقاً ما يدّعيه؟

باياز كان يثرثر بلا توقف مع لوثار وهما يتقدمان عبر الفناء الخالي باتجاه الجامعة، بالهدوء نفسه الذي تمتع به جدُّ مع حفيده المفضل، وكل كلمة بالملل نفسه: «...بالطبع، المدينة الآن أكبر بكثير مما كانت عليه عندما زرتها آخر مرة. تلك المنطقة التي تسمونها المزارع الثلاث التي تعج بالنشاط والحركة. أتذكر عندما كانت تلك المنطقة بأكملها تتكون من ثلاث مزارع فقط! نعم، بالفعل! وكانت خارج أسوار المدينة بكثير!..».

قال لوثار: «أمم...».

- وأما عن مقر نقابة العطّارين الجديد، فلم أرَ مثل هذا البذخ في حياتي.

دار عقل جلوكتا سريعًا وهو يعرج خلفهما، يبحث عن المعاني الخفية في بحر الثرثرة، ويحاول الإمساك بالنظام وسط الفوضى. الأسئلة تتوالى: لماذا اختارني شاهدًا؟ لماذا ليس المقرئ الأعلى نفسه؟ هل يظن هذا الباياز أنني سهل الخداع؟ ولماذا لوثار؟ لأنه فاز في المسابقة؟ وكيف فاز؟ هل هو جزء من هذه الخدعة؟ لكن إذا كان لوثار مشاركًا في خطة مأكرة، فلم يظهر أي إشارة على ذلك. لم يرَ جلوكتا أي تلميح يوحي بأنه شيء آخر غير الشاب الأحمق المهووس بنفسه.

ثم نأتي لهذا اللغز. نظر جلوكتا بطرف عينه إلى الرجل الشمالي الضخم. لم تكن هناك أي علامات على نية قاتلة في وجهه المشوه، ولا أي إشارة على أن هناك شيئًا يحدث في رأسه على الإطلاق. هل هو غبي جدًا أم ذكي جدًا؟ هل ينبغي تجاهله أم الخوف منه؟ هل هو الخادم أم السيد؟ لم تكن هناك إجابات عن أيٍّ من هذه الأسئلة. بعد.

قال باياز عندما توقفوا أمام باب الجامعة، رافعًا حاجبه وهو ينظر إلى التماثيل المائلة المغطاة بالقذارة: «حسنًا، هذا المكان ليس سوى ظل لما كان عليه سابقًا». طرق الباب الخشبي القديم بقوة، ولدهشة جلوكتا، فُتح الباب تقريبًا في الحال.

نق الحارس العجوز: «ننتظر وصولكم، (خطوا من حوله إلى الداخل وسط الظلمة. قال العجوز وهو يحاول إغلاق الباب المتصدع) سأريكم الطريق».

صاح باياز من فوق كتفه: «لا داعي، (وهو يتقدم بخطى واثقة في الممر المترب) أنا أعرف الطريق!». جلوكتا كان يكافح للحاق بهم، يتصبب عرقًا رغم البرد، وساقه تحترق مع كل خطوة. منحه الجهد الكبير لمجاراة خطوتهم الوقت ليتساءل كيف يمكن لذلك الأصلع اللعين أن يكون على دراية تامة بالمكان. لكنه كان على دراية بلا شك. كان يتنقل في الممرات كما لو كان قد قضى حياته كلها هناك، يضغط على لسانه تعبيرًا عن الاستياء من حالة المكان، ولم يتوقف عن الثرثرة.

- لم أرَ مثل هذا الغبار من قبل، أليس كذلك أيها النقيب لوثار؟ لن أستغرب إذا لم يُنظَّف هذا المكان منذ آخر مرة كنت هنا! لا أدري كيف يمكن للمرء أن يفكر في مثل هذه الظروف! لا أدري أبدًا....

قرونٌ من المتمرّسين الموتى والمنسيين كانوا يحدقون بنظرات كثيبة من لوحاتهم، كما لو كانوا مستائين من كل هذا الضجيج.

مروا بالممرات في الجامعة واحدًا تلو الآخر، مكان قديم، مغبر، مهجور، لا شيء فيه سوى اللوحات القذرة والكتب العتيقة. چيزال لم يكن لديه أدنى اهتمام بالكتب. كان قد قرأ بضعة كتب عن المبارزة والفروسية، وعدة عن الحملات العسكرية الشهيرة، وفتح غلاف تاريخ ضخماً عن الاتحاد في مكتبة والده ذات مرة، لكنه ملَّ بعد ثلاث أو أربع صفحات.

واصل باياز الحديث: «هنا قاتلنا خدام الصانع. أتذكر ذلك جيداً. كانوا يستغيثون بكانيدياس لينقذهم، لكنه لم ينزل إليهم. امتلأت تلك الأروقة بالدم، وصدحت بالصراخ، وغمرها الدخان في ذلك اليوم».

لم يكن لدى چيزال أدنى فكرة لماذا اختاره العجوز ليروي قصصه الطويلة هذه، ولا كيف يجب عليه أن يرد: «يبدو... عنيقاً».

هزَّ باياز رأسه: «وهو كذلك. ولا أفخر بهذا. لكن الرجال الطيبين يضطرون أحياناً إلى فعل أشياء عنيفة».

قال الرجل الشمالي فجأة: «أمم...». چيزال لم يكن يعلم حتى أنه كان يستمع.

- إلى جانب ذلك، كانت تلك حقبة مختلفة، حقبة عنيفة. فقط في الإمبراطورية القديمة كان الناس متقدمين على الهمجية. أما ميديرلاند، قلب الاتحاد، صدق أو لا تصدق، فقد كانت زربية، أرض خراب تعج بالقبائل البربرية المتحاربة. وكان المحظوظون منهم ينضمون إلى خدمة الصانع، أما البقية فكانوا متوحشين بوجوه مطلية، بلا كتابة، بلا علم، ولا شيء يميزهم بالكاد عن الحيوانات.

نظر چيزال بحذر إلى تسع أصابع. لم يكن من الصعب على الإطلاق تخيل حالة بربرية مع هذا الوحش الضخم إلى جانبه، لكن بدا من السخافة أن يكون موطنه الجميل قد أصبح في يوم من الأيام أرض خراب، وأنه منحدر من همج. هذا العجوز الأصلع إما كاذب ثرثار وإما مجنون، ولكن بعض الناس المهمين يأخذونه على محمل الجد. ورأى چيزال أنه من الأفضل دائماً أن يفعل ما يقوله الأشخاص المهمون.

تبع لوِجْن الآخرين إلى ساحة مهجورة محاطة من ثلاث جهات بمباني الجامعة المتداعية، ومن الجهة الرابعة بجدار الأجرىونت العالي. كان كل شيء مغطى بالطحالب القديمة، واللبلاب الكثيف، والشجيرات الجافة. رجل جالس على كرسي متهالك وسط الأعشاب، يراقبهم وهم يقتربون.

قال وهو ينهض بصعوبة: «كنت أتوقعكم، الركبتان اللعنتان، لم أعد كما كنت». كان رجلاً غير مميز، تجاوز منتصف العمر، يرتدي قميصاً رثاً ملطخاً في المقدمة.

قطب باياز جبينه: «أأنت كبير الحراس؟».

- نعم.

- وأين بقية رفاقك؟

- زوجتي تُعد الفطور، ولكن باستثنائها، حسناً، أنا الحراس بأكملهم. (قال بفرح، وهو يربت على بطنه) إنه بيض.

- ماذا؟

- للفطور. أحب البيض.

تمتم باياز وهو يبدو منزعاً قليلاً: «حسناً لك، في عهد الملك كاسامير، كان يُعين أشجع خمسين رجلاً من حرس الملك حراساً للدار، لحماية هذه البوابة. عُذ ذلك أعلى شرف».

قال الحارس الوحيد، وهو يمسك بقميصه المتسخ: «كان ذلك منذ زمن طويل، كانوا تسعة عندما كنت شاباً، لكنهم انتقلوا إلى أشياء أخرى أو ماتوا، ولم يُستبدلوا. لا أعلم من سيتولى الأمر بعدي. لم يكن هناك الكثير من المتقدمين».

- لقد فاجأتني (وتنحني باياز) يا كبير الحراس! أنا، باياز، أول المجوس، أطلب منك الإذن لصعود الدرج إلى البوابة الخامسة، وما بعدها إلى الجسر، وعبر الجسر إلى بوابة دار الصانع.

حدق الحارس الأكبر إليه بنظرة ضيقة: «هل أنت متأكد؟».

بدأ صبر باياز ينفد: «نعم، لماذا؟».

- أتذكر آخر شخص حاول ذلك، عندما كنت شاباً. رجل كبير، على ما أعتقد، مفكر من نوع ما. صعد تلك الدرجات مع عشرة رجال أقوياء،

بمطارق وأزاميل ومجارف، يخبرنا كيف سيفتح البيت ويخرج كنوزه وكل شيء. عادوا بعد خمس دقائق من دون أن يقولوا شيئاً، يبدون وكأنهم رأوا الموتى يسIRON.

تمتم لوثر: «ماذا حدث؟».

- لا أعرف، لكنهم لم يعودوا بأي كنوز، هذا مؤكد.

قال باياز: «بلا شك قصة مروعة، لكننا ذاهبون».

- هذا شأنكم.

واستدار الرجل العجوز مترنحاً عبر الساحة البائسة. صعدوا درجات ضيقة، متهاكة من كثرة الاستعمال، إلى نفق عبر جدار للأجريونت العالي، إلى بوابة ضيقة في الظلام.

بينما شعر لوجن بشعور غريب من القلق كانت الأقفال تُفتح. هز كتفيه محاولاً التخلص منه، وابتسم الحارس له: «يمكنك أن تشعر به بالفعل، أليس كذلك؟».

- تشعر بماذا؟

- زفير الصانع، كما يسمونه. (دفع الأبواب بلمسة ضعيفة منه. فتحت معاً، وتسرب الضوء إلى الظلام) زفير الصانع.

تهادت خطوات جلوكتا على الجسر، أسنانه مطبقة بقوة على لثته، مدرّكاً حجم الفراغ الذي تحته. كان جسراً مقوساً بسيطاً يمتد من أعلى جدار الأجريونت إلى بوابة دار الصانع. لطالما أعجب به من المدينة، على الجانب الآخر من البحيرة، متسائلاً كيف ظل قائماً طوال هذه السنوات. إنه شيء مذهل، رائع، جميل. لكنه لا يبدو جميلاً الآن. ليس أوسع من جسد رجل مستلق، ضيق للغاية ليكون مريحاً، ومع سقوط مرعب نحو الماء أدناه. والأسوأ من ذلك، أنه لا يحتوي على حاجز. ولا حتى درابزين خشبي. والنسيم اليوم منعش جداً.

بدا لوثر والأصابع التسع قلقين بما فيه الكفاية بسببه. ولديهما ساقان تعملان دون ألم. فقط باياز من عبر المسافة الطويلة دون أي قلق ظاهر، واثقاً كما لو كان يمشي على طريق ريفي.

كانوا يسIRON دائماً في ظل دار الصانع الهائل. كلما اقتربوا، بدا أكثر ضخامة، أدنى حواجزه كانت أعلى بكثير من جدار الأجيوننت. جبل أسود قاتم، يرتفع عمودياً من البحيرة أدناه، يحجب الشمس. شيء من عصر مختلف، بُني على مقياس مختلف.

ألقي جلوكتا نظرة خلفه باتجاه البوابة. هل لمح شيئاً بين الفتحات في الجدار أعلاه؟ هل هناك منفذ يراقبهم؟ سيرون العجوز يفشل في فتح الباب. سينتظرون ليأخذوه في طريق العودة. لكن حتى ذلك الحين، أنا عاجز. لم تكن فكرة مريحة.

وكان جلوكتا في حاجة ماسة إلى الراحة. كلما ترنح عبر الجسر، تزايد داخله خوف متسرب خفي. كان أكثر من مجرد خوف من الارتفاع، وأكثر من الصحبة الغريبة التي كان بصحبته، وأكثر من البرج الهائل الذي يلوح فوقه. كان خوفاً غريزياً، بلا سبب، رعباً بدائياً كابوسياً. مع كل خطوة متثاقلة، ازداد هذا الشعور. بات بإمكانه رؤية الباب الآن، مربعاً من المعدن الداكن، محفوراً في الحجر الأملس للبرج. دائرة من الحروف منقوشة في مركزه. لسبب ما، أشعرته تلك الحروف بالغثيان، لكنه جرَّ نفسه أقرب. كانت هناك دائرتان: حروف كبيرة وصغيرة، كتابة رفيعة لم يتعرف عليها. أمعاؤه كانت تتقلب. العديد من الدوائر: حروف وخطوط، معقدة جداً بحيث لا يمكن استيعابها. كانت تتراقص أمام عينيه الملهبتين الدامعتين. لم يستطع جلوكتا التقدم أكثر. وقف هناك، مستنداً على عصاه، يكافح بكل قوة إرادته كي لا يسقط على ركبتيه، أو يدير ظهره ويزحف بعيداً.

أما تسع أصابع فلم يكن حاله أفضل كثيراً، كان يتنفس بصعوبة من أنفه، وملامح الرعب والقرع الشديد على وجهه. لوثار كان في حال أسوأ بكثير: أسنانه مطبقة، وجهه شاحب ومرتجف. بينما هبط ببطء على ركبة واحدة، يلهث، تقدّم جلوكتا ببطء متجاوزاً إياه.

باياز لم يكن خائفاً على الإطلاق. اقترب مباشرة من الباب، وأخذ يمرر أصابعه فوق الرموز الأكبر: «أحد عشر حاجزاً، وأحد عشر حاجزاً معكوساً. (وتتبع بإصبعه دائرة الحروف الأصغر) وأحد عشر مضروبة في أحد عشر. (كانت إصبعه تتبع الخط الرفيع حولها. هل من الممكن أن يكون ذلك الخط مكوناً من حروف صغيرة أيضاً؟) من يعلم عدد المئات التي توجد هنا أيضاً؟ إنه حقاً سحر بالغ القوة!».

كان الشعور بالرهبة أقل قليلاً بسبب صوت لوثار وهو يتقيأ بصخب من فوق جانب الجسر. تمتم جلوكتا، محاولاً ابتلاع بعض من مرارته: «ماذا تقول؟».

ابتسم العجوز نحوه: «ألا تشعر بها، أيها المحقق؟ إنها تقول: ارحل. تقول: ابتعد. تقول... لن... يعبر... أحد. لكن الرسالة ليست لنا». مد يده في ياقته ليخرج قضيباً معدنيًا، من المعدن الداكن نفسه الذي صُنِعَ منه الباب. تمتم تسع أصابع من الخلف: «لا ينبغي لنا أن نكون هنا، هذا المكان ميت. يجب أن نغادر». لكن باياز لم يكن يستمع له.

سمعه جلوكتا يتمتم: «لقد تسرب السحر من العالم، وجميع إنجازات چوفينز في حالة خراب. (كان يقلب المفتاح بين يديه، ويرفعه ببطء) لكن أعمال الصانع باقية قوية كما كانت. لم تضعفها الأيام... ولن تضعفها أبدًا». لم يكن هناك حتى ثقب ظاهر، ولكن المفتاح انزلق ببطء داخل الباب. ببطء، ببطء، إلى وسط الدوائر. جلوكتا حبس أنفاسه. نقرة.

ولم يحدث شيء. لم يُفتح الباب. انتهى كل شيء إذًا. انتهت اللعبة. شعر جلوكتا بالارتياح يغمره وهو يدير ظهره باتجاه الأجيوننت، رافعاً يده ليشير إلى المنفذين الذين يقفون فوق الجدار. لست بحاجة إلى الماضي قدمًا. لست بحاجة إلى ذلك. ثم جاء صدى من أعماق الباب. نقرة.

شعر جلوكتا بعضلات وجهه ترتعش بالتزامن مع الصوت. هل تخيلت ذلك؟ تمنى ذلك بكل كيانه. نقرة.

مرة أخرى. لا خطأ. والآن، أمام عينيه المذهولتين، بدأت الدوائر في الباب تدور. خطا جلوكتا خطوة مذهولة إلى الخلف، وعصاه تحتك بالحجارة على الجسر. نقرة، نقرة.

لم يكن هناك أي علامة تشير إلى أن المعدن لم يكن قطعة واحدة، لا شقوق، ولا أخاديد، ولا آلية، ومع ذلك بدأت الدوائر تدور، كل واحدة بسرعتها الخاصة.

نقرة، نقرة، نقرة...

أسرع، وأسرع. شعر جلوكتا بالدوار. كانت الحلقة الداخلية، التي تحمل الحروف الأكبر، تدور ببطء. أما الخارجية، الأرفع، فكانت تدور بسرعة كبيرة لدرجة أنه لم يستطع متابعتها بعينه... نقرة، نقرة، نقرة، نقرة...

بينما تشكلت أشكال في العلامات كانت الرموز تمر ببعضها: خطوط، مربعات، مثلثات، معقدة بشكل لا يمكن تصوره، تتراقص أمام عينيه ثم تختفي مع استمرار الدوران.
نقرة.

وتوقفت الدوائر، مرتبة في نمط جديد. رفع باياز يده وسحب المفتاح من الباب. سُمع صوت هسيس خافت، بالكاد مسموع، كصوت ماء بعيد، وظهرت شقوق طويلة في الباب. انقسم النصفان ببطء وسلاسة. المسافة بينهما بدأت تتسع تدريجياً.
نقرة.

انزلقا إلى الجدران، حتى أصبح بعرض الكوبري المقوس نفسه. أصبح الباب مفتوحاً.

قال باياز بصوت خافت: «والآن هذه هي الحرفية».

لم تهب ريح كريهة، لم يكن هناك عفن أو تحلل، ولا علامة على مرور السنوات الطويلة، فقط نسمات من هواء بارد وجاف. ومع ذلك، كان الشعور وكأن تابوتاً قد فُتح.

عم الصمت سوى من الريح التي احتكت بالحجارة الداكنة، وأنفاس جلوكتا الجافة التي تجشأت في حلقة، وصوت المياه المتلاطمة البعيد أسفلهم. ذهب الرعب الغريب. لم يشعر إلا بقلق عميق وهو ينظر نحو الممر المقوس. لكنه ليس أسوأ من انتظاري خارج مكتب المقرئ الأعلى. استدار باياز، مبتسماً.

- مرت سنوات طويلة منذ أن أغلقت هذا المكان، وطوال تلك المدة لم يعبر أحد هذه العتبة. أنتم الثلاثة مُشْرِفون حقاً. (لم يشعر جلوكتا بأي شرف. شعر بالمرض) هناك مخاطر في الداخل. لا تلمسوا شيئاً، واتبعوني حيثما أقودكم. امشوا خلفي عن قرب، فالطرق ليست دائماً كما تبدو.

سأل جلوكتا: «ليست كما تبدو؟ كيف يكون ذلك؟».

هز الرجل العجوز كتفيه: «أنا مجرد الحارس، (وقال وهو يعيد المفتاح وسلسلة إلى داخل قميصه) لست البتة». ثم دخل في الظلال.

لم يكن شعور چيزال جيداً، على الإطلاق. لم يكن الأمر مجرد الغثيان المقزز الذي تسببت به الحروف على الأبواب بطريقة ما، بل كان أكثر من ذلك. كان شعوراً مفاجئاً بالصدمة والاشمئزاز، كما لو أنك رفعت كوباً لتشرب، متوقعاً أن يكون ماءً، لكنك وجدت شيئاً آخر بداخله. ربما بول في هذه الحالة. موجة المفاجأة البشعة نفسها، لكن تمتد لدقائق، لساعات. الأشياء التي كان قد استبعدوها سابقاً باعتبارها خرافات أو قصصاً قديمة، انكشفت فجأة كحقائق أمام عينيه. لقد أصبح العالم مختلفاً عما كان عليه في اليوم السابق، مكان غريب ومزعج، وكان يُفضّل بلا حدود أن يبقى كما كان.

لم يستطع فهم سبب وجوده هنا. بالكاد عرف چيزال شيئاً عن التاريخ. كانيدياس، وجوفينز، وحتى باياز، كانت مجرد أسماء من كتب قديمة مغبرة، سمعها في طفولته ولم تثر اهتمامه حتى آنذاك. كان الأمر مجرد حظ سيئ، كل ما في الأمر أنه فاز في المسابقة، وها هو الآن يتجول في برج قديم غريب. هذا كل ما في الأمر. مجرد برج قديم غريب.

قال باياز: «مرحباً بكم، في دار الصانع».

رفع چيزال بصره عن الأرض وفمه فاغر. كلمة دار لم تكن كافية لوصف اتساع المكان الباهت الذي وجد نفسه فيه. يمكنها أن تسع مجلس اللوردات بأكمله داخلها، مع مساحة فائضة. كانت الجدران مصنوعة من حجارة خشنة، غير مصقولة، بلا ملاط بينها، مكدسة بلا ترتيب، لكنها ترتفع بلا نهاية، إلى الأعلى، وأعلى. وفي وسط الغرفة، بعيداً في الأعلى، كان هناك شيء معلق. شيء ضخم ومثير للاهتمام.

ذكر چيزال بأدوات ملاحية، لكن على نطاق هائل. نظام من الحلقات المعدنية العملاقة، تتلأأ في الضوء الخافت، واحدة تدور حول الأخرى، وحلقات أصغر تدور فيما بينها، داخلها وحولها. ربما مئات منها، كلها محفورة بعلامات: ربما كتابات، أو مجرد خدوش بلا معنى. كرة سوداء كبيرة تتدلى في المركز.

بدأ باياز بالفعل في السير عبر الدائرة الواسعة للأرضية، المغطاة بخطوط معقدة محفورة في الحجر الداكن بمعدن لامع، وكانت خطواته يتردد صداها عاليًا فوق. تبعه چيزال بخطى مترددة. كان هناك شيء مخيف، شيء يبعث على الدوار، في التحرك عبر مساحة شاسعة كهذه.

قال باياز: «هذه هي ميديرلاند».

- ماذا؟

أشار الرجل العجوز إلى الأسفل. بدأت الخطوط المتعرجة من المعدن تأخذ معنى. سواحل، جبال، أنهار، البر والبحر. شكل ميديرلاند الذي كان واضحًا في ذهن چيزال من مئات الخرائط، ممددة تحت قدميه.

- حلقة العالم بأسره. (أشار باياز عبر الأرضية اللامتناهية) هناك أنجلاند، وما وراؤها الشمال. جوركول هناك. وهناك ستاريكلاند، والإمبراطورية القديمة، وهنا دول مدن ستيريا، وما وراؤها سولجوك وثوند البعيد. كانيدياس لاحظ أن أراضي العالم المعروف تشكل دائرة، ومركزها هنا، عند بيته، وحافتها الخارجية تمر عبر جزيرة شابوليان، بعيدًا في الغرب، وراء الإمبراطورية القديمة.

تمتم الرجل الشمالي، وهو يهز رأسه ببطء: «حافة العالم».

شخر جلوكتا ساخرًا: «يا للغطرسة، أن تعتبر موطنك مركز كل شيء».

نظر باياز حوله إلى اتساع الغرفة: «هاه. لم يكن الصانع ينقصه الغرور قط. ولا إخوته».

حدق چيزال إلى الأعلى بذهول. كانت الغرفة أعلى مما هي واسعة، وسقفها، إن كان لها سقف، ضائع في الظلال. كان هناك سياج حديدي يلتف حول الجدران الحجرية الخشنة، على ارتفاع عشرين خطوة تقريبًا. وفوقه، أعلى، كان هناك آخر، وآخر، وآخر، غامضة في الضوء الخافت. وكل هذا كان تحت ذلك الجهاز الغريب.

فجأة، قفز من مكانه. إنه يتحرك! كل شيء يتحرك! ببطء، بسلاسة، وبصمت، كانت الحلقات تتحرك، تدور، تلتف واحدة حول الأخرى. لم يستطع تخيل كيف تُشغَّل. ربما دوران المفتاح في القفل قد شغله... أم أنه كان يدور طوال هذه السنين؟

شعر بالدوار. بدا وكأن الآلية كلها تدور، تتحرك بسرعة أكبر فأكبر، حتى المعارض نفسها كانت تدور في اتجاهات معاكسة. التحديق إلى الأعلى لم يساعد في إحساسه بالدوار، فثبت عينيه المتألمتين على الأرض، على خريطة ميديرلاند تحت قدميه. شفق. كان ذلك أسوأ! الآن بدت الأرض كلها وكأنها تدور! الغرفة بأكملها كانت تدور حوله! المداخل المقوسة المؤدية للخارج تشابهت كلها، ربما دزينة منها أو أكثر. لم يعد بإمكانه أن يخمن من أي مدخل دخلوا. شعر بموجة من الذعر المريع. فقط تلك الكرة السوداء البعيدة في وسط الآلية كانت ثابتة. ركز عينيه المدمعتين عليها يائساً، وأجبر نفسه على التنفس ببطء.

تلاشى الإحساس تدريجياً. وعادت القاعة الشاسعة إلى السكون، تقريباً. كانت الحلقات لا تزال تتحرك، بالكاد ملحوظة، تمضي ببطء. ابتلع چيزال ريقه، وانحنى على كتفيه، وسارع للحاق بالآخرين ورأسه منخفض. صرخ باياز فجأة: «ليس من هنا!» صوته انفجر في الصمت الكثيف، ممزقاً ومتردداً، مرتداً آلاف المرات في الفضاء الواسع.

- ليس من هنا!

- ليس من هنا!

قفز چيزال إلى الخلف. الممر والمدخل المعتم وراؤه بدواً متطابقين مع المدخل الذي كان يسير فيه الآخرون، لكنه رأى الآن أنهم كانوا إلى يمينه. لقد ضل الاتجاه بطريقة ما.

همس الرجل العجوز: «قلتُ امشِ حيث أمشي!».

- ليس من هنا.

- ليس من هنا.

تلعثم چيزال: «آسف، (بدا صوته ضعيفاً وضئيلاً في الفضاء الشاسع) ظننت... كل شيء يبدو متشابهاً!».

وضع باياز يده المطمئنة على كتفه وجذبه برفق بعيداً: «لم أقصد إخافتك يا صديقي، لكن سيكون من المؤسف أن نفقد من هو واعد مثلك في هذه السن المبكرة». ابتلع چيزال ريقه وحدق إلى الممر المظلم، متسائلاً عما كان ينتظره هناك. قدم عقله العديد من الاحتمالات غير السارة.

استمر همس الأصداء له وهو يدير ظهره: «... ليس من هنا، ليس من هنا، ليس من هنا».

كره لوچن هذا المكان. كانت الحجارة باردة وميتة، والهواء كان ساكنًا وميتًا، حتى الأصوات التي أصدروها وهم يتحركون كانت مكتومة وعديمة الحياة. لم يكن الجو باردًا ولا حارًا، ومع ذلك كان العرق يتصبب من ظهره، ويشعر بوخز غامض من الخوف. كان يستدير فجأة كل بضع خطوات، بسبب شعور مفاجئ أنه مراقب، لكن لم يكن هناك أحد وراؤه. فقط الصبي لوثار والأعرج جلوكتا بدؤا قلقين ومرتبكين مثله.

تمتم باياز بهدوء: «لقد طاردناه في هذه الأروقة بالذات، كنا أحد عشر. جميع المجوس، معًا للمرة الأخيرة. كلنا عدا خالول. زاكاروس وكوانيل قاتلا الصانع هنا، وهُزم كل منهما. كانا محظوظين بالفرار بأرواحهما. أنسلمي وألسن المكسور لم يحالفهما الحظ. قتلها كانيدياس. فقدت في ذلك اليوم صديقين جيدين، شقيقين».

تحركوا حول شرفة ضيقة، مضاءة بستارة باهتة من الضوء. على جانب منها ترتفع الحجارة الملساء، وعلى الجانب الآخر تنحدر في الظلام، هاوية سوداء ممثلة بالظلال، بلا جانب بعيد، بلا قاع، بلا قمة. على الرغم من اتساع المكان، لم تكن هناك أصداء. لم يتحرك الهواء. لم تكن هناك حتى نسمة خفيفة. الهواء كان راكدًا، خانقًا مثل قبر.

تمتم جلوكتا، متجهماً وهو ينظر من فوق السياج: «ينبغي أن يكون هناك ماء في الأسفل، أليس كذلك؟ يجب أن يكون هناك شيء، أليس كذلك؟ (ضيق عينيه نحو الأعلى) أين السقف؟».

تذمر لوثار، واضعاً يده فوق أنفه: «هذا المكان نتن».

اتفق لوچن معه لأول مرة. كانت هذه الرائحة مألوفة لديه، فتكشفت شفتاه بشراسة: «رائحتها مثل مسطحي الرأس».

قال باياز: «نعم، الشانكا هم أيضًا من صنع الصانع».

- صنعه؟

- نعم. أخذ طين ومعدن وبقايا لحم وصنعهم.

حـدق لـوـجـن: «صنّـعـهـم؟».

- ليقاتلوا في حربـه. ضـدنا. ضـد المجوس. ضـد شـقـيـقـه چوفـينـز. هـنا، فـي هـذا المـكان، صـنـع أول شانكا وأطلقهم في العالم، لينموا، ويتكاثروا، ويدمروا. كان ذلك غايتهم. وبعد موت كانيدياس طاردناهم لسنوات طويلة، لكن لم نتمكن من الإمساك بهم جميعاً. دفعناهم إلى أركان العالم المظلمة، وهناك نموا وتكاثروا مجدداً، والآن يخرجون للنمو والتكاثر والتدمير، كما كان دائماً مقدراً لهم.

حـدق لـوـجـن إـلـيـه بـفـم مـفـتـوح.

لوثار ضحك وهز رأسه: «شانكا».

لم يكن مسطحو الرأس شيئاً يدعو للضحك. استدار لوجن فجأة، مغلقاً الشرفة الضيقة بجسده، متربصاً فوق لوثار في الضوء الخافت: «أمر مضحك؟».

- حسناً، أعني، الجميع يعرف أنه لا وجود لهم.

زمجر لوجن: «لقد قاتلتهم بيديّ، طوال حياتي. قتلوا زوجتي، وأطفالي، وأصدقائي. الشمال يعج بمسطحي الرأس. (انحنى نحوه) لذا لا تخبرني أنه لا وجود لهم».

لوثار شحب وجهه. نظر إلى جلوكتا طالباً الدعم، لكن المحقق كان قد ارتكز على الحائط، يفرك ساقه، وشفاهه الرفيعة مغلقة بإحكام، ووجهه الشاحب يتصبب بالعرق. صاح: «لا يعنيني وجودهم من عدمه!».

همس لوجن، دافعاً وجهه قريباً من لوثار: «هناك الكثير من الشانكا في العالم، ربما ستقابل بعضهم يوماً ما». ثم استدار وتوجه بسرعة نحو باياز، الذي كان قد اختفى بالفعل عبر قوس في نهاية الشرفة. لم يكن يريد أن يتخلف في هذا المكان.

قاعة أخرى، هائلة، مصفوفة بغابة صامته من الأعمدة على كلا الجانبين، ملأى بجموع من الظلال. الضوء كان يخترق عبر أعمدة من الأعلى، محفورة أشكال غريبة على أرضية الحجر، خطوط من الضوء والظلام، أشكال من

الأسود والأبيض. أشبه بكتابة. هل هناك رسالة هنا؟ لي؟ كان جلوكتا يرتجف. لو نظرت لحظة أطول، ربما كنت سأفهم...

مرّ لوثار، وألقى بظله على الأرض، فتكسرت الخطوط، واختفى الشعور. هز جلوكتا نفسه. أنا أفقد عقلي في هذا المكان الملعون. يجب أن أفكر بوضوح. فقط الحقائق يا جلوكتا، فقط الحقائق.

سأل: «من أين يأتي الضوء؟».

لوح باياز بيده: «من أعلى».

- هل هناك نوافذ؟

- ربما.

نقر عصا جلوكتا على الضوء، ونقر على الظلام، وسحبت حذاءه الأيسر خلفه: «هل يوجد شيء غير الممرات؟ ما الفائدة من كل هذا؟».

تظاهر باياز بالعمق: «من يمكنه فهم عقل الصانع؟ أو إدراك تصميمه العظيم؟»، بدا وكأنه يفتخر بعدم إعطاء أجوبة مباشرة.

كان المكان كله إهدارًا هائلًا للجهد كما بدا لجلوكتا: «كم واحد عاش هنا؟».

- منذ زمن بعيد، في أوقات أسعد، عدة مئات. كل أنواع الناس الذين خدموا كانيدياس، وساعدوه في أعماله. لكن الصانع كان متشككًا دائمًا، وحسودًا على أسراره. شيئًا فشيئًا طرد أتباعه إلى الأجيوننت، إلى الجامعة. وفي النهاية، عاش هنا ثلاثة فقط. كانيدياس نفسه، ومساعد جيريما، (وتوقف باياز للحظة) وابنته تولومبي.

- ابنة الصانع؟

صرخ العجوز: «وماذا في ذلك؟».

- لا شيء، لا شيء أبدًا. ومع ذلك، فقد انكشف الحجاب، ولو للحظة. غريب أنه يعرف هذا المكان جيدًا. متى عشت هنا؟ قطب باياز عميقًا: «هناك ما يسمى بكثرة الأسئلة».

راقبه جلوكتا وهو يمشي بعيدًا. كان سولت مخطئًا. المقرئ الأعلى، مع كل عظمتها، أخطأ في النهاية. لقد قلل هذا من شأن باياز، وقد كلفه ذلك. من يكون هذا الأصلع، هذا الرجل الحاد الطباع، الذي يجعل من أكثر الرجال نفوذًا

في الاتحاد مجرد أحرق متجول؟ وقوفه هنا، في أعماق هذا المكان الغريب،
لم يعد الجواب يبدو غريبًا.
أول المجوس.

- ها هو.

سأل لوچن: «ما هو؟» امتد الممر في كلا الاتجاهين، منحنيًا بلطف،
ليختفي في الظلام، جدرانه مبنية من كتل حجرية ضخمة، غير منقطعة على
كلا الجانبين.

لم يجب باياز. كان يمرر يديه بلطف على الحجارة، باحثًا عن شيء
ما: «نعم. هذا هو. (أخرج باياز المفتاح من تحت قميصه) قد ترغبون في
الاستعداد».

- لماذا؟

أدخل المجوس المفتاح في ثقب غير مرئي. فجأة، اختفت إحدى الكتل
التي تشكل الجدران، طائرةً إلى السقف بصوت تحطم مدوّ. ارتبك لوچن، يهز
رأسه. رأى لوثار منحنيًا إلى الأمام، ويداه مشدودتان فوق أذنيه. بدا الممر
بأكمله وكأنه يهتز من شدة الأصداء المتتابة، تستمر بلا نهاية.

قال باياز، رغم أن لوچن بالكاد كان يسمعه وسط الطنين في رأسه:
«انتظروا هنا. لا تلمسوا شيئًا. لا تذهبوا إلى أي مكان». خطا عبر الفتحة،
تاركًا المفتاح عالقًا في الجدار.

نظر لوچن خلفه. كان خيط من الضوء يتلأأ عبر ممر ضيق، وصوت
خافت كصوت تدفق نهر صغير يتردد من الداخل. شعر لوچن بفضول غريب
يجذبه. ألقى نظرة خاطفة على الآخرين. ربما كان باياز يقصدهم فقط أن
يبقوا مكانهم؟ انحنى وتسلسل عبر الباب.

ضيق عينيه أمام غرفة دائرية مشرقة. غمرها الضوء القادم من فوق، ضوء
ناصع، يكاد يؤلم العينين بعد الظلمة التي كانوا فيها. كانت الجدران المنحنية
مكونة من حجارة بيضاء ناصعة، تتدفق فوقها مياه صغيرة، تنساب حولها
لتتجمع في بركة دائرية أدناها. كان الهواء باردًا، رطبًا على بشرة لوچن. كان

هناك جسر ضيق يمتد من الممر، درجات تؤدي إلى عمود أبيض طويل، يرتفع من الماء. كان باياز يقف هناك، على قمته، يحدق إلى الأسفل في شيء ما.

تسلل لوچن خلف المجوسي، متنفسًا بخفة. كانت هناك كتلة من الحجر الأبيض تقف في الوسط، تتساقط عليها قطرات الماء من الأعلى. صوت منتظم: «تاب... تاب... تاب»، دائمًا في المكان نفسه. كان هناك شيئان مستلقيان في الطبقة الرقيقة من الماء. الأول كان صندوقًا مربعًا، مصنوعًا ببساطة من معدن داكن، يتسع لرأس رجل مثلًا. أما الشيء الآخر فكان غريبًا تمامًا.

ربما كان سلاحًا، كالفأس. مقبض طويل، مصنوع من أنابيب معدنية صغيرة، ملتوية حول بعضها مثل سيقان شجرة عنب قديمة. في أحد طرفيه كان هناك مقبض محفور، وفي الطرف الآخر قطعة مسطحة من المعدن، مثقوبة بثقوب صغيرة، مع خطاف طويل ونحيل ينحني من عنده. كان الضوء يتلألأ فوق سطحه الداكن، يتلألأ بقطرات من الرطوبة. غريب، جميل، مثير. على المقبض كان هناك حرف واحد يتلألأ بالفضة في المعدن الداكن. تعرف لوچن عليه من سيفه. علامة كانيدياس. عمل الصانع الأعظم.

سأل لوچن، وهو يمد يده نحوه: «ما هذا؟».

صرخ باياز، ضاربًا يد لوچن بعيدًا: «لا تلمسه! ألم أخبرك أن تنتظر؟».

تراجع لوچن خطوة مترددة. لم يرَ المجوسي قط بهذا القلق، لكنه لم يستطع أن يبعد عينيه عن هذا الشيء الغريب فوق الصخرة: «هل هو سلاح؟». تنفس باياز ببطء طويل: «أكثر الأسلحة فظاعة، يا صديقي. سلاح لا يمكن لأي فولاذ أو حجر أو سحر أن يحميك منه. لا تقترب منه حتى، أذكرك. هناك أخطار. سمّاه كانيدياس المُقسّم، واستخدمه لقتل شقيقه چوفينز، معلّمي. أخبرني ذات مرة أن له حدّين. واحد هنا، وواحد على الجانب الآخر».

تمتم لوچن: «ما معنى هذا بحق الجحيم؟» لم يرَ حتى حدًا واحدًا يستطيع القطع.

هز باياز كتفيه: «لو كنت أعلم، لكنت أنا الصانع الأعظم، بدلًا من أن أكون مجرد أول المجوس. (مد يده إلى الأمام ورفع الصندوق، متألمًا كأنه يحمل ثقلًا عظيمًا) هل يمكنك مساعدتي في هذا؟».

أمسك لوچن من أسفل الصندوق بيديه، وشهق. كان ثقيلًا كما لو كان كتلة صلبة من الحديد. تمتم: «ثقيل».

- كانيدياس صنعه ليكون قويًا. بقوة كل مهارته العظيمة. ليس لحماية محتوياته من العالم. (اقترب وقال بهمس) ولكن لحماية العالم من محتوياته.

تجهم لوجن وهو ينظر إلى الصندوق: «ما الذي بداخله؟».

تمتم باياز: «لا شيء، بعد».

حاول چيزال التفكير في أكثر ثلاثة أشخاص يكرههم في هذا العالم. برينت؟ كان مجرد أحمق متغطرس. جورست؟ لم يفعل سوى بذل جهده الضئيل ليهزم چيزال في مباراة مبارزة. فاروز؟ مجرد حمار عجوز متعجرف. لا. هؤلاء الثلاثة كانوا على رأس قائمته. العجوز المغرور بثرثرته الحمقاء وجو غموضه المختال. المتوحش الضخم ذو الندوب القبيحة والعبوس المهدد. الأعرج المتعالي بتعليقاته الساخرة وإدعائه بمعرفة كل شيء عن الحياة. الثلاثة مجتمعين، مع الهواء الراكد والظلام الدائم لهذا المكان الرهيب، كانوا كافيين لجعل چيزال يشعر بالغثيان مرة أخرى. الشيء الوحيد الذي يمكنه تخيله أسوأ من صحبته الحالية هو أن يكون بلا رفقة على الإطلاق. نظر إلى الظلال المحيطة به، وارتعش من الفكرة.

ومع ذلك، ارتفعت معنوياته قليلًا عندما استداروا حول الزاوية. كان هناك مربع صغير من ضوء النهار أمامهم. أسرع نحوه، متجاوزًا جلوكتا الذي كان يترنح على عصاه، وفمه يسيل لعابه بتلهف عند فكرة العودة إلى السماء المفتوحة.

أغمض چيزال عينيه بسعادة وهو يخطو إلى الهواء الطلق. ضربت الرياح الباردة وجهه، وتنفس بعمق، وكأنه قد خرج للتو من سجن مظلم كان محبوبًا فيه لأسابيع، وكأن الأيدي التي كانت تقبض على عنقه قد أطلقت للتو. سار إلى الأمام عبر مساحة مفتوحة واسعة، مرصوفة بحجارة مسطحة باهتة. كان تسع أصابع وباياز واقفين جنبًا إلى جنب أمام حاجز منخفض، وخلفهما...

ظهر الأجيوننت أمامه في الأسفل، خليط من الجدران البيضاء، والأسطح الرمادية، والنوافذ المتلائية، والحدائق الخضراء. لم يكونا بالقرب من قمة دار الصانع، بل فوق أحد أسطحه المنخفضة، فوق البوابة، ومع ذلك كانا على ارتفاع مرعب. تعرف چيزال على الجامعة المتداعية، والقبة البراقة لمجلس

اللوردات، والكتلة الصارمة لدار الأسئلة. كان بإمكانه رؤية ساحة المارشالات، وعاء من المقاعد الخشبية وسط المباني، وربما حتى الدائرة الصفراء الصغيرة لميدان المبارزة في مركزها. وخارج القلعة، المحاطة بجدارها الأبيض وخندقها المتلألئ، كانت المدينة تنتشر تحت السماء الرمادية القذرة، تمتد حتى البحر.

ضحك چيزال بعدم تصديق وبفرح. كان برج السلاسل مجرد سلم مقارنة بهذا. كان مرتفعًا جدًا فوق العالم لدرجة أن كل شيء بدا ساكنًا، متجمدًا في الزمن. شعر وكأنه ملك. لا رجل قد رأى هذا، ليس منذ مئات السنين. كان ضخماً، عظيمًا، وأكثر أهمية بكثير من الأشخاص الصغار الذين يعيشون ويعملون في المباني الصغيرة بالأسفل. استدار لينظر إلى جلوكتا، لكن العاجز لم يكن مبتسمًا. كان أكثر شحوبًا من المعتاد، يحدق إلى المدينة اللعبة بأسفل، وعينه اليسرى ترتعش بالقلق.

ضحك چيزال: «هل تخاف من المرتفعات؟».

التفت جلوكتا بوجهه الشاحب نحوه: «لم يكن هناك درجات. لم نصعد أي درجات لنصل إلى هنا! (بدأت ابتسامة چيزال تتلاشى) لا درجات، هل تفهم؟ كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ كيف؟ أخبرني!».

بلع چيزال ريقه وهو يفكر في الطريق الذي جاء منه. كان جلوكتا محققًا. لا درجات، لا منحدرات، لم يصعدا ولم ينزلا. ومع ذلك، ها هما هنا، عاليًا فوق أطول برج في الأجيروننت. شعر بالغثيان مجددًا. بدا المنظر الآن مذهلاً، مقززًا، فاحشًا. تراجع بخطوات غير مستقرة بعيدًا عن الحاجز. أراد العودة إلى المنزل.

- تبعته عبر الظلام وحدي، وواجهته هنا. كانيدياس. الصانع الأعظم. هنا قاتلته. النار والفولاذ واللحم. هنا وقفنا. ألقى بتولومي من فوق السطح أمام عيني. رأيت ذلك يحدث، لكنني لم أستطع إيقافه. ابنته نفسها. هل يمكنك أن تتخيل؟ لم يكن هناك من هو أقل استحقاءً لذلك منها. لم يكن هناك روح أكثر براءة منها.

عبس لوجن. لم يعرف ماذا يقول.

تمتم باياز بقبضتيه المشدودتين على الحاجز البارد: «هنا تصارعنا. هاجمته بالنار والفولاذ واللحم، وهو هاجمني. ألقيته أرضاً. سقط وهو يحترق وتحطم على الجسر للأسفل. وهكذا انتهى آخر أبناء إيوز من العالم، وضاعت الكثير من أسرارهم إلى الأبد. لقد دمروا بعضهم بعضاً، الأربعة جميعاً. يا للخسارة».

استدار باياز لينظر إلى لوجن: «لكن ذلك كان منذ زمن بعيد، أليس كذلك، يا صديقي؟ منذ زمن بعيد. (نفخ وجنتيه وانحنى على كتفيه) دعنا نغادر هذا المكان. إنه يبدو كقبر. إنه قبر. دعنا نغلقه مرة أخرى مع الذكريات التي يحتوي عليها. كل هذا في الماضي».

قال لوجن: «هاه. كان والذي يقول إن بذور الماضي تُثمر في الحاضر».

- وهي كذلك. (مد باياز يده ببطء، ولامست أصابعه المعدن للصندوق البارد والداكن في يدي لوجن) وهي كذلك. والدك كان رجلاً حكيماً.

اشتعلت ساق جلوكتا، وأصبح عموده الفقري الملتوي نهرًا ناريًا يمتد من مؤخرته إلى جمجمته. جفّ فمه مثل نشارة الخشب، وتغرق وجهه وارتعش، وهسهست أنفاسه من أنفه، لكنه واصل التقدم عبر الظلام، مبتعدًا عن القاعة الشاسعة ذات الكرة السوداء والآليات الغريبة فيها، متجهًا نحو الباب المفتوح. وإلى النور.

وقف هناك، ورأسه مائل إلى الخلف، على الجسر الضيق أمام البوابة الضيقة، يده ترتجف على مقبض عصاه، يرمش ويفرك عينيه، لاهثًا في الهواء الحر، ويشعر بالنسيم البارد على وجهه. من كان يظن أن تكون الرياح بهذا الجمال؟ ربما كان من الأفضل أنه لم تكن هناك درجات. ربما لم أكن لأتمكن من الخروج لو كانت موجودة...

لوثار كان بالفعل في منتصف الجسر عائدًا، مسرعًا وكأن شيطانًا يلاحقه. تسع أصابع لم يكن بعيدًا، يتنفس بصعوبة ويتمتع بشيء بلغته الشمالية مرارًا وتكرارًا. ربما كان يقول «ما زلت حيًا»، كما اعتقد جلوكتا. كانت يداه الكبيرتان مشدودتين حول الصندوق المعدني المربع، والأوتار بارزة وكأنه يحمل شيئًا بوزن السندان. كان هناك أكثر من مجرد إثبات نقطة في هذه الرحلة. ما الذي أخرجه من هناك؟ ما الذي يثقل عليهم بهذا الشكل؟ ألقى

جلوكتا نظرة إلى الظلام خلفه، وارتجف. لم يكن متأكدًا حتى مما إذا كان يريد أن يعرف.

خرج باياز من النفق إلى الهواء الطلق، يبدو متعجبًا كعادته. قال بصوت مبجوح: «إذًا، أيها المحقق، ما رأيك في رحلتك إلى دار الصانع؟».

كابوس ملتو، غريب ومريع. ربما كنت لأفضل العودة إلى سجون الإمبراطور لبضع ساعات. قال بصوت ساخط: «لا بأس بها في الصباح».

ضحك باياز، وهو يخرج قضيب المعدن الداكن من تحت قميصه: «أنا سعيد جدًا لأنك وجدتتها ممتعة، أخبرني، هل ما زلت تعتقد أنني كاذب؟ أم أن شكوكك قد زالت أخيرًا؟».

عبس جلوكتا وهو ينظر إلى المفتاح. ثم عبس وهو ينظر إلى الرجل العجوز. وأخيرًا عبس وهو يحدق إلى الظلام الساحق لدار الصانع. شكوكه تزداد مع كل لحظة تمر. إنها لا تزول أبدًا. بل تُغير شكلها فحسب. قال: «صدقًا، لم أعد أعلم ما أو من به».

- جيد. معرفة جهلك هي أول خطوة نحو التنوير. لكن بيني وبينك، أظن أنه يجب أن تجد شيئًا آخر لتخبر به المقرئ الأعلى. (شعر جلوكتا بجفنه يرتعش) من الأفضل أن تعبر الجسر، أيها المحقق، بينما أقفل المكان.

لم يعد السقوط في الماء البارد بالأسفل يبدو مخيفًا كثيرًا. إذا سقطت، على الأقل سأموت في النور. نظر جلوكتا خلفه مرة واحدة فقط، عندما سمع الأبواب تغلق بصوت ناعم، وتعود الدوائر إلى مكانها. كل شيء عاد كما كان قبل وصولنا. أدار ظهره بحذر، وهو يمتص لثته ليقاوم موجات الغثيان المألوفة، ولعن وعانى وهو يعرج ليعبر الجسر.

لوثار كان يطرق بوابات القلعة القديمة بيأس في نهاية الجسر، كاد يبكي عندما عرج جلوكتا مقتربًا منه: «افتحوا لنا! (كان صوت لوثار مشبعًا بالذعر) افتحوا لنا!»، أخيرًا، اهتز الباب وانفتح ليكشف عن حارس مذهول. يا للأسف. كنت متأكدًا أن النقيب لوثار سيدرف الدموع قريبًا. البطل الفخور الذي فاز في المسابقة، أشجع شاب في الاتحاد، زهرة الرجولة، يبكي على ركبتيه. ذلك المشهد كان سيجعل الرحلة تستحق العناء. اندفع لوثار عبر البوابة المفتوحة، وتبعه الأصابع التسع ببؤس، حاملًا الصندوق المعدني بين ذراعيه.

حذق الحارس بدهشة إلى جلوكتا وهو يقترب من البوابة: «عُدمت بهذه السرعة؟».

- أيها الأحمق العجوز. ماذا تعني بهذه السرعة؟

- أنا لم أُنهِ البيض بعد. لم تمضِ إلا نصف ساعة.

قهقهه جلوكتا ضاحكًا ضحكة جافة بلا مرح: «ربما نصف يوم. (لكنه عبس وهو ينظر إلى الفناء. كانت الظلال تقريبًا كما كانت حينما غادروا) لا يزال الصباح الباكر، ولكن كيف؟».

- أخبرني الصانع ذات مرة أن الوقت كله في العقل. (ارتجف جلوكتا وهو يلتفت. ظهر باياز خلفه، وهو يربت على جانب جمجمته الصلعاء بإصبعه السميكة) يمكن أن يكون الأمر أسوأ، صدقني. عندما تخرج قبل أن تدخل، حينها تبدأ في القلق حقًا.

ابتسم، وعيناه تلمعان في ضوء المدخل. هل يلعب دور الأحمق؟ أم يحاول أن يجعلني أبدو كالأحمق؟ في كلتا الحالتين، بدأت هذه الألعاب تصبح مرهقة. قال جلوكتا بحدة: «كفى من الألغاز، لماذا لا تخبرني ببساطة ما الذي تريده؟».

اتسعت ابتسامة أول المجوس، إذا كان كذلك حقًا: «أنا معجب بك، أيها المحقق، صدقني. لن أستغرب إذا كنت الرجل الصادق الوحيد المتبقي في هذا البلد اللعين. يجب أن نتحدث في وقت ما، أنت وأنا. حديث عمّا أريده، وعمّا تريده. (اختفت الابتسامة فجأة) لكن ليس اليوم».

ثم خطا عبر البوابة المفتوحة، تاركًا جلوكتا خلفه في الظلال.

كَلْبًا لَا أَحَد

تمتم ويست لنفسه بين أسنانه المطبقة: «لماذا أنا؟»، وهو يحدق عبر الجسر نحو بوابة الجنوب. لقد استغرق ذلك العبث في المرفأ وقتاً أطول مما كان متوقعاً، أطول بكثير، ولكن أليس كل شيء كذلك هذه الأيام؟ أحياناً شعر بأنه الرجل الوحيد في الاتحاد الذي يستعد حقاً للحرب، وكأن عليه تنظيم كل شيء بمفرده، حتى عد المسامير التي ستثبت حوافر الخيول. كان متأخراً بالفعل عن اجتماعه اليومي مع المارشال بور، وكان يعلم أن هناك مئة مهمة مستحيلة تنتظره اليوم. دائماً ما كانت هناك. أن ينغمس الآن في عرقلة لا طائل منها هنا عند بوابة الأجريونت كان آخر ما يحتاج إليه.

- لماذا بحق الجحيم يجب أن يكون أنا؟

بدأ رأسه يؤلمه مجدداً. ذلك النبض المألوف خلف عينيه. بدا وكأن الصداق يأتي في وقت أبكر كل يوم ويزداد سوءاً.

بسبب الحر في الأيام القليلة الماضية، سُمح للحراس أن يؤدوا نوبتهم دون ارتداء الدروع الكاملة. ويست خَمَّن أن اثنين منهم على الأقل يندمان على ذلك الآن. أحدهما كان مطوياً على الأرض قرب البوابة، يضغط بيديه على ما بين ساقيه ويئن بصوت عالٍ. وكان رقيبهم واقفاً منحنياً بجواره، والدم ينزف من أنفه ويسقط في قطرات حمراء داكنة على حجارة الجسر. أما الجنديان الآخران فقد كانا يشهران رمحيهما، ورأساهما موجهان نحو شاب نحيل داكن البشرة. وقف بجواره جنوبي آخر، رجل عجوز بشعر رمادي طويل، مسنداً إلى درابزين الجسر، يراقب المشهد بتعبير يملؤه الاستسلام العميق.

التفت الشاب بسرعة إلى الورا، وشعر ويست بوخزة من المفاجأة. إنها امرأة: شعرها الأسود مقصوص قصيراً بشكل فوضوي، يتطاير في أشواك دهنية. كان كم قميصها ممزقاً عند كتفها، وذراعها البنية الطويلة تبرز،

ممسكة بقبضة محكمة حول مقبض خنجر منحني. كانت شفرة الخنجر تلمع بسطح مرآوي حاد بشكل شرير، وهو الشيء الوحيد الذي بدا نظيفاً فيها. امتد ندب رمادي رفيع على طول الجانب الأيمن من وجهها، مروراً بحاجبيها الأسود، وعبر شفتيها العابستين. لكن ما أربك ويست حقاً كان عينيها: مائلتان قليلاً، ضيقتان بأعمق مشاعر العداء والشك، ولونهما أصفر. لقد رأى أنواعاً كثيرة من الكانتيكيين في وقته، حينما كان يحارب في جوركول خلال الحرب، لكنه لم يرَ أعيناً مثل هذه من قبل. لونها أصفر عميق، زاهٍ، ذهبي، مثل...

البول. هذه هي الرائحة عندما اقترب. بول، وأوساخ، وكثير من العرق القديم الحامض. تذكر تلك الرائحة جيداً من الحرب، رائحة الرجال الذين لم يستحموا منذ زمن طويل. قاوم ويست الرغبة في تجعيد أنفه والتنفس من فمه وهو يقترب، وكذلك رغبته في الابتعاد عنها وتجنب تلك الشفرة اللامعة. عليك أن تبدو واثقاً إذا أردت تهدئة موقف خطير، بغض النظر عن مشاعرك. من تجربته، إذا أظهرت سيطرة، كنت قد قطعت نصف الطريق نحو السيطرة الفعلية.

زمجر نحو الرقيب الملطخ بالدم: «ما الذي يحدث هنا بحق الجحيم؟». لم يكن بحاجة إلى التظاهر بالغضب، فقد كان يزداد تأخراً وغضباً كل ثانية.

- هؤلاء المتسولون القذرون أرادوا دخول الأجيوننت، سيدي! حاولت منعهم بالطبع، لكن لديهم خطابات!

- خطابات؟

نقر العجوز الغريب على كتف ويست وسلّمه ورقة مطوية، حوافها متسخة بعض الشيء. قرأها ويست وازداد عبوسه عمقاً مع كل كلمة: «إنها رسالة مرور موقعة من اللورد هوف بنفسه. يجب السماح لهم بالدخول».

- ولكن ليس وهم مسلحون، سيدي! قلت لهم إنهم لا يستطيعون الدخول مسلحين! (رفع الرقيب قوساً غريب الشكل مصنوعاً من خشب داكن في يده، وسيفاً منحنيّاً من تصميم جوركولي في اليد الأخرى) كان من الصعب بما فيه الكفاية إقناعها بالتخلي عن هذه الأسلحة، لكن عندما حاولت تفتيشها... هذه العاهرة الجوركولية.

هسهست المرأة بخبث وتقدمت خطوة سريعة، وتراجع الرقيب وحارساه متشابكين في مجموعة ضيقة بخوف واضح.

همس العجوز باللغة الكانتنيكية: «اهدئي يا فيرو، بحق الرب اهدئي». بصقت المرأة على حجارة الجسر وهمست بلعنة لم يفهمها ويست، وهي تلوح بالخنجر ذهابًا وإيابًا بطريقة توحى بأنها تعرف كيف تستخدمه، وأنها مستعدة تمامًا لذلك.

تمتم ويست لنفسه: «لماذا أنا؟». من الواضح أنه لن يتمكن من الذهاب إلى أي مكان قبل أن يحل هذه المشكلة. وكأنه لا يملك ما يكفيه من الهموم. أخذ نفسًا عميقًا وحاول أن يضع نفسه مكان المرأة المتسخة: غريبة، محاطة بأشخاص غرباء ذوي مظهر غريب يتحدثون كلمات لا تفهمها، يشهرون رماحًا ويحاولون تفتيشها. على الأرجح أنها تفكر الآن في مدى رائحة ويست الكريهة. ربما كانت تشعر بالتشتت والخوف أكثر مما كانت تشعر بالخطر. ولكنها تبدو خطيرة للغاية، وبالتأكيد لم تكن خائفة...

كان العجوز يبدو الأكثر عقلانية بين الاثنين، لذا التفت ويست إليه أولاً سألته بلغته الكانتنيكية الضعيفة: «هل أنتما من جوركول؟».

رفع العجوز عينيه المرهقتين نحو ويست: «لا. الجنوب ليس كله جوركوليين».

- إذن من قدير؟ أو تاور؟

- هل تعرف الجنوب؟

- قليلًا. لقد قاتلت هناك، في الحرب.

أشار العجوز برأسه نحو المرأة التي كانت تراقبهم بعينين مائلتين صفراوين ملأنتين بالشك: «هي من مكان يسمى مونتاز».

- لم أسمع به قط.

هز العجوز كتفيه الهزيلتين: «ولماذا قد تسمع به؟ بلدة صغيرة على البحر، بعيدًا شرق شافا، وراء الجبال. غزاها الجوركوليون منذ سنوات، وتشتت شعبها أو استُعبدوا. ويبدو أنها في مزاج سيئ منذ ذلك الحين».

عbst المرأة نحوهم، موجهة إحدى عينيها نحو الجنود.

- وأنت؟

- آه، أنا من الجنوب الأبعد، بعد كانتا، بعد الصحراء، بل بعد حلقة العالم.

لن تجد بلدي على خرائطك، يا صديقي. اسمي يولواي.

ومد يده الطويلة السوداء.

- كوليم ويست.

راقبتهما المرأة بقلق وهما يتصافحان.

- هذا الرجل يُدعى ويست، فيرو! لقد حارب الجوركولين! هل سيجعلك ذلك تثقين به؟

لم يبد أن يولوي حمل أملاً كبيراً لذلك، وبالفعل لم يتغير موقف المرأة، إذ بقيت كتفاها متوترتين وملتفة حول نفسها، وقبضتها على الخنجر لم تتراخ. وفي تلك اللحظة غير المناسبة تمامًا، تقدم أحد الجنود خطوة إلى الأمام، ملوحاً برمحه في الهواء، فزمجرت المرأة مرة أخرى وبصقت، وصرخت بلعنات لم يفهمها أحد.

سمع ويست نفسه يصيح في الحارس: «هذا يكفي! أبعدوا رماحكم اللعينة! (رمقه بأعين متفاجئة، فحاول تهدئة صوته بصعوبة) لا أعتقد أن هذا غزو شامل، أليس كذلك؟ أنزلوها!».

تردد الحراس، لكن رؤوس الرماح بدأت تبتعد ببطء عن المرأة. تقدم ويست نحوها بثبات، وهو يركز عينيه على عينيها بكل ما أوتي من سلطة. قال في نفسه: لا تُظهر خوفًا، لكن قلبه كان يخفق بشدة. مد كفه المفتوحة، كاد يقترب بما يكفي ليلمسها.

قال ويست بحزم بلغته الكانتيكية الضعيفة: «الخنجر. من فضلك. لن يؤذيك أحد، أعدك بذلك».

حدقت المرأة إلى وجهه بعينيها الصفراوين المائلتين، ثم نظرت إلى الحراس الذين ما زالوا يحملون رماحهم، ثم عادت إليه. أخذت وقتاً أكثر من كافٍ. وقف ويست هناك، فمه جاف، رأسه ينبض، وهو يتأخر أكثر فأكثر، يتصبب عرقاً تحت زيه الرسمي في الشمس الحارقة، محاولاً تجاهل رائحتها. مر الوقت ببطء.

صاح العجوز فجأة: «بحق الرب، فيرو! أنا عجوز! ارحمني شيبتي! قد لا يبقى لي سوى سنوات قليلة! أعطي الرجل الخنجر قبل أن أموت!».

هسهست زامة شفيتها: «سسسسس». للحظة مرت ببطء شديد، ارتفع الخنجر، ثم نزل مقبضه في يد ويست. ابتلع ويست ريقه الجاف بشيء من الارتياح. حتى اللحظة الأخيرة كان شبه متأكد أنها ستعطيه الطرف الحاد.

قال بنبرة أكثر هدوءًا مما كان يشعر به: «شكرًا لك. (ثم سلم الخنجر للرقيب) احفظ الأسلحة جيدًا ورافق ضيوفنا إلى الأجيوننت، وإذا أصيب أي شخص بضرر، وخصوصًا هي، سأحملك المسؤولية. هل فهمت؟».

رمى الرقيب بنظرة حادة للحظة ثم عبر البوابة إلى النفق قبل أن يسوء أي شيء آخر، تاركًا العجوز والمرأة الكريهة الرائحة خلفه. كان رأسه ينبض أكثر من ذي قبل. اللعنة، لقد تأخر.

تمتم لنفسه: «لماذا أنا بحق الجحيم؟».

- أخشى أن مستودعات الأسلحة قد أغلقت اليوم. (خرج كلام الرائد فالميير باحتقار، ناظرًا نحو ويست وكأنه شحاذ يطلب بضعة قروش) لقد أوفينا حصصنا قبل الموعد المحدد، ولن نشعل الأفران مرة أخرى هذا الأسبوع. ربما لو كنت وصلت في الوقت المناسب.

كان الخفقان في رأس ويست يزداد سوءًا. أجبر نفسه على التنفس ببطء، محاولًا الحفاظ على صوته هادئًا ومتزنًا. لا فائدة من فقدان الأعصاب. ليس هناك أي فائدة في ذلك.

قال ويست بصبر: «أفهم ذلك، أيها الرائد، لكن هناك حريقًا دائرة. العديد من الجنود الذين تلقيناهم بالكاد يمتلكون أسلحة، واللورد مارشال بور طلب إشعال الأفران لتزويدهم بالمعدات».

لم تكن هذه الحقيقة بالكامل، لكن منذ انضمامه إلى طاقم المارشال، تخلى ويست تقريبًا عن قول الحقيقة كاملة لأي أحد. لم تكن الحقيقة الطريق المناسب للحصول على أي شيء. اعتمد الآن على مزيج من التوسل، والتبجح، والأكاذيب الصريحة، والتهديدات المبطنة، وأصبح خبيرًا في تحديد أي تكتيك سيكون أكثر فاعلية مع كل رجل.

للأسف، لم يتمكن بعد من إيجاد الأسلوب المناسب مع الرائد فالميير، سيد مستودعات أسلحة الملك. بطريقة ما، جعل تساوي الرتب الأمور أكثر صعوبة: لم يكن بإمكانه التتمر على الرجل، ولم يستطع أيضًا إجبار نفسه على التوسل.

ومن حيث المكانة الاجتماعية فلم يكونا متساويين بأي حال من الأحوال. ينتمي فالميير إلى النبلاء القدامى، من عائلة قوية، ومتعجرف إلى أبعد حد. حتى إن چيزال دان لوثار بالمقارنة بدا متواضعًا وناكرًا للذات، وما زاد الطين بلة هو افتقاره التام لأي خبرة ميدانية؛ كان يتصرف بمزيد من الغطرسة ليعوض ذلك. بدت التعليمات الصادرة من ويست عنده، حتى لو كانت قادمة من المارشال بور مباشرة، كما لو أنها جاءت من راعي خنازير عفن.

ولم يكن اليوم استثناءً. قال فالميير بازدرء، مُشدِّدًا على اسم ويست باستهزاء: «لقد أوفينا بحصص هذا الشهر، أيها الرائد ويست، وبالتالي أُغْلِقَت الأفران. هذا كل ما في الأمر».

فرد ويست بنبرة حادة: «وهذا ما تريدني أن أقوله للورد مارشال؟».

استمر فالميير في ترديد عبارات بروتوكولية باستهتار: «تسليح الجنود هو مسؤولية اللوردات الذين يرسلونهم. لا أستطيع تحمل اللوم إن قصروا في واجباتهم. ببساطة، إنها ليست مشكلتنا، أيها الرائد ويست، ويمكنك إخبار اللورد مارشال بذلك».

هذا هو الحال دائمًا: مراسلات متبادلة لا نهاية لها، من مكاتب بور إلى أقسام التموين المختلفة، إلى قادة السرايا والكتائب والأفواج، إلى المخازن المتناثرة في الأجيوننت والمدينة، إلى مستودعات الأسلحة، الثكنات، الإسطبلات، إلى المرافئ حيث سيبدأ الجنود ومعداتهم في الصعود على متن السفن في غضون أيام قليلة، إلى أقسام أخرى ثم العودة إلى حيث بدأ. أميال من السير، ولا شيء يُنَجَز. في كل ليلة، كان يسقط في فراشه منهكًا مثل حجر، ليقوم بعد بضع ساعات ويعيد الكرة.

كقائد كتيبة، كانت مهنته قتال الأعداء بالحديد. أما كضابط في هيئة الأركان، فدوره بدا أشبه بقتال الجانب الآخر بالورق، أقرب إلى كاتب منه إلى جندي. شعر وكأنه رجل يحاول دفع حجر ضخم إلى قمة تلة. يبذل كل قوته، ولا يتقدم قيد أنملة، لكنه لا يستطيع التوقف عن الدفع خشية أن يسقط الحجر عليه ويدهسه. وفي الوقت نفسه، جلس الأوغاد المتغطرسون، الذين واجهوا الخطر نفسه، على السفوح جانبه يقولون: «حسنًا، إنه ليس حجري».

الآن، فهم ويست لماذا لم يكن هناك طعام كافٍ في الحرب ضد الجوركوليين، أو ملابس ليرتديها الجنود، أو عربات لنقل الإمدادات، أو خيول

لجر العربات، أو أي من الأمور الحيوية الأخرى التي كانت ضرورية ويمكن توقعها بسهولة.

لن يسمح ويست بحدوث ذلك بسبب إهمال منه. ولن يقبل أبدًا أن يرى رجاله يموتون بسبب نقص السلاح. حاول تهدئة نفسه مجددًا، لكن الألم في رأسه كان يزداد، وصوته أصبح يتهدج مع المجهود: «وماذا لو وجدنا أنفسنا عالقين في أنجلاند، مع حشد من الفلاحين العراة غير المسلحين؟ ماذا حينها، أيها الرائد فالميير؟ من سيتحمل المسؤولية؟ ليس أنت، على ما أظن! ستبقى هنا، مستمتعًا بأفرائك الباردة!».

علم ويست بمجرد أن قال ذلك أنه قد تجاوز الحدود، حيث انتفخ فالميير غضبًا: «كيف تجرؤ، يا سيد؟ هل تشك في شرفي الشخصي؟ عائلتي تعود إلى تسعة أجيال في خدمة الملك!».

فرك ويست عينيه، غير متأكد مما إذا كان يريد أن يضحك أو يبكي: «ليس لدي شك في شجاعتك، أؤكد لك، هذا ليس قصدي على الإطلاق». حاول أن يضع نفسه في مكان فالميير. ربما فضل هو الآخر أن يكون قائدًا للجنود بدلًا من الحدادين. ربما... لكن لا جدوى. كان الرجل حقيرًا، ويست كرهه: «هذه ليست مسألة شرفك، أيها الرائد، ولا شرف عائلتك. هذه مسألة جاهزيتنا للحرب!».

تجمدت عينا فالميير وهما تمثلتان ببرودة قاتلة: «مع من تظن أنك تتحدث هكذا، أيها العامي القذر؟ كل النفوذ الذي تملكه تدين به لبور، ومن يكون هو سوى فلاح من المقاطعات، ارتقى إلى رتبته بالحظ وحده؟ (رمش ويست بعينه. علم بالطبع ما يُقال عنه خلف ظهره، لكن سماعه بشكل مباشر كان شيئًا آخر) وماذا سيحدث لك عندما يذهب بور؟ أين ستكون حينها؟ من ستحتمي به؟ لا دماء، لا عائلة! (تجعدت شفتا فالميير بابتسامة ساخرة) باستثناء أختك بالطبع، ومما سمعت...».

وجد ويست نفسه يتحرك بسرعة، صارخًا بوحشية: «ماذا؟ ماذا قلت؟» لا بد أن تعبيره كان مروعًا حقًا، فقد رأى اللون يتلاشى من وجه فالميير.

- أنا... أنا...

- تظن أنني أحتاج إلى بور لأخوض معاركي، أيها الدودة الحقيرة الجبانة؟

قبل أن يدرك ذلك، كان قد تحرك مرة أخرى، وتراجع فالميير نحو الجدار، متعثرًا وهو ينحرف بجسده ويرفع ذراعه وكأنه يتوقع ضربة قادمة. كان أقصى ما استطاع ويست فعله أن يمنع نفسه من الإمساك بذلك الوغد الصغير وهزه بعنف حتى ينفصل رأسه عن جسده. كان رأسه ينبض بشدة، يخفق بقوة. شعر وكأن الضغط سيفجر عينيه من محجريهما. أخذ نفسًا طويلًا وبطيئًا من أنفه، وشد قبضتيه حتى شعر بالألم. هدأت نوبة الغضب تدريجيًا، لتعود إلى حدٍّ أدنى حيث لم تعد تسيطر على جسده. لكنها ظلت تخفق، تضغط على صدره.

قال بهدوء شديد: «إن كان لديك شيء لتقوله بخصوص أختي. فيمكنك قوله الآن. قلّه الآن. (وأنزل يده اليسرى ببطء لتستقر على مقبض سيفه) ويمكننا حلُّ الأمر خارج أسوار المدينة».

تراجع الرائد فالميير أكثر، بالكاد صوته كان مسموعًا: «لم أسمع شيئًا... لا شيء على الإطلاق».

- لا شيء على الإطلاق. (نظر ويست إلى وجهه الشاحب للحظة، ثم تراجع) والآن، هل ستكون لطيفًا بما يكفي لإعادة تشغيل الأفران؟ لدينا الكثير من العمل.

للحظة، رمش فالميير وهو مذهول: «بالطبع. سأطلب إشعالها فورًا». استدار ويست وخرج بخطوات غاضبة، وهو يعلم أن فالميير يحدق إلى ظهره بنظرات طاعنة، وعلم أنه جعل الموقف السيئ أسوأ. عدو آخر من أبناء الطبقة الرفيعة يضاف إلى قائمة الأعداء المتزايدة. وأكثر ما كان يستفزه هو أن الرجل كان محقًا. من دون بور، كان ويست قد انتهى. لم يكن لديه عائلة، باستثناء تلك الأخت. اللعنة، رأسه يؤلمه، تمتم لنفسه: «لماذا أنا؟ لماذا؟».

كان ما يزال هناك الكثير مما يجب القيام به اليوم، ما يكفي ليشكل عبئًا لعدة أيام من العمل، لكن لم يعد ويست يتحمل أكثر. كان رأسه يؤلمه بشدة لدرجة أنه بالكاد يستطيع الرؤية. كان يحتاج إلى أن يستلقي في الظلام، مع قطعة قماش مبللة على وجهه، ولو لساعة واحدة، بل حتى لدقيقة واحدة. تحسس جيوبه بحثًا عن مفتاحه، بينما يده الأخرى تضغط على عينيه

المتألمتين، وأسنانها مطبقة بإحكام. ثم سمع صوتاً من الجهة الأخرى للباب. صوت خفيف، رنين زجاج. آردي.

تمتم لنفسه: «لا.. ليس الآن! لماذا بحق الجحيم أعطاهم مفتاحاً؟». شاتماً بهدوء، رفع قبضته ليطلق الباب. يطرق بابه الخاص، هذا هو المكان الذي وصل إليه الآن. لكن قبضته لم تصل إلى الخشب. بدأت صورة مزعجة تتشكل في ذهنه. آردي ولوثار، عاريان ومتعرقان، يتلويان على سجاده. أدخل المفتاح بسرعة في القفل وفتح الباب بعنف.

كانت واقفة عند النافذة، وحدها، ولحسن حظه، مرتدية ملابسها بالكامل. لكنه كان أقل سعادة عندما رآها تملأ كأساً حتى الحافة من قنينة الخمر. رفعت حاجبها عندما اقتحم الغرفة.

- آه، إنه أنت.

زمجر ويست: «ومن تظنين أنه سيكون غيري؟ أليست هذه غرفتي؟».

- يبدو أن أحدهم ليس في أفضل حالاته هذا الصباح.

انسكبت بعض قطرات الخمر من كأسها على الطاولة. مسحتها بيدها ثم لعقت أصابعها، قبل أن تأخذ جرعة طويلة من الكأس. كل حركة منها كانت تستنفذه.

قطب ويست وأغلق الباب بقوة: «هل عليك أن تشربي كل هذا؟».

قالت بلا مبالاة كعادتها: «أفهم أن الفتاة الشابة يجب أن تكون لديها هواية مفيدة».

رغم كلماتها اللامبالية، شعر ويست من خلال ألمه أن هناك شيئاً غير عادي يحدث. كانت تنظر بشكل متكرر نحو المكتب، ثم تحركت نحوه. لكنه سبقها، وخطف ورقة من فوقه، كُتب عليها سطر واحد.

- ما هذا؟

- لا شيء! أعطني إياها!

أبعدها عنها بذراعه وقرأ:

المكان المعتاد، غداً في الليل

— آ.

شعر ويست بقشعريرة في جسده: «لا شيء؟ لا شيء؟». هز الورقة أمام وجهها. استدارت أردي عنه، وهزت رأسها كما لو كانت تصد ذبابة، ولم تقل شيئاً، لكنها شربت من كأسها بصوت مزعج. جزَّ ويست على أسنانه غضباً..

- إنها للوثر، أليس كذلك؟

- لم أقل ذلك.

- لا تحتاجين إلى ذلك.

تكوّمت الورقة في قبضته، التي اشتدت بياضاً من شدة التوتر. استدار نصف استدارة نحو الباب، كل عضلة في جسده متوترة ومترعشة. كان يبذل أقصى جهده ليمنع نفسه من الانطلاق فوراً لخنق ذلك الوغد، لكنه أجبر نفسه على التفكير للحظة.

چيزال قد خانه، وبطريقة بشعة. ذلك الحقيقير الجاحد. لكن لم يكن الأمر مفاجئاً؛ كان الرجل أحرق منذ البداية. إذا وضعت نببذك في كيس ورقي، فلا يجب أن تكون مصدوماً عندما يتسرب. لكن، چيزال لم يكن هو من كتب الرسائل. فما الفائدة من سحقه؟ سيكون هناك دوماً شباب فارغو الرؤوس مثله في هذا العالم.

- إلى أين تريدان الوصول بهذا يا أردي؟

جلست على الأريكة، وحدقت إليه ببرود من فوق حافة كأسها: «بماذا، يا أخي؟».

- أنت تعرفين بماذا!

- ألسنا شقيقين؟ ألا يمكننا أن نكون صريحين مع بعضنا؟ إذا كان لديك شيء لتقوله، فلتقله مباشرة! إلى أين تظن أنني ذاهبة؟

- أعتقد أنك تسيرين مباشرة نحو الخراب، بما أنك سألت! (قال وهو يحاول السيطرة على صوته بأقصى صعوبة) هذا الأمر مع لوثر خرج عن السيطرة. رسائل؟ رسائل؟ لقد حذرت، لكن يبدو أنه لم يكن المشكلة! ما الذي تفكرين فيه؟ هل تفكرين على الإطلاق؟ يجب أن يتوقف هذا، قبل أن يبدأ الناس في الحديث! (شعر بضغط خانق على صدره، تنفس بعمق، لكن صوته انفجر رغم ذلك) إنهم بالفعل يتحدثون! هذا يتوقف الآن! هل تسمعينني؟

- أسمعك، (قالت بلا مبالاة) لكن من يهتم بما يقولونه؟
- أنا أهتم! (كاد أن يصرخ) هل تعلمين كم أعمل بجد؟ هل تظنين أنني أحمق؟ تعرفين تمامًا ما تفعلينه يا أردي! (بدأ وجهها يكتسي بالعبوس، لكنه استمر في الحديث) ليس كما لو أن هذه هي المرة الأولى! هل يجب أن أذكرك؟ حظك مع الرجال لم يكن الأفضل تمامًا!
- ليس مع رجال عائلتي على الأقل! (الآن، كانت جالسة مستقيمة تمامًا، وجهها مشدود وشاحب من الغضب) وما الذي تعرفه عن حظي؟ بالكاد تحدثنا طوال عشر سنوات!
- نحن نتحدث الآن! (صرخ ويست وهو يقذف بالورقة المتكورة عبر الغرفة) هل فكرت كيف قد ينتهي هذا؟ ماذا لو حصلت عليه؟ هل فكرت في ذلك؟ هل تعتقدين أن عائلته ستستقبلك بصدر رحب كعروس خجول؟ في أفضل الأحوال، لن يتحدثوا معك أبدًا. وفي أسوأها، سيقطعون علاقتهم بكما! (أشار بيده المرتعشة نحو الباب) ألم تلاحظي أنه خنزير مغرور ومتعجرف؟ كلهم كذلك! كيف تعتقدين أنه سيتدبر أمره من دون مخصصاته؟ من دون أصدقائه في المناصب العالية؟ لن يعرف حتى من أين يبدأ! كيف يمكنكما أن تكونا سعيدين معًا؟ (رأسه كان على وشك الانفجار، لكنه استمر في الصراخ) وماذا سيحدث إذا، كما هو الأكثر احتمالًا، لم تستطعي الحصول عليه؟ ماذا حينها؟ ستكونين منتهية، هل فكرت في ذلك؟ لقد اقتربت بما فيه الكفاية من ذلك من قبل! وأنتِ من المفترض أن تكوني الذكية! أنتِ تجعلين من نفسك أضحوكة! (كاد أن يختنق من شدة الغضب) ومنا نحن الاثنين!
- شهقت أردي بغضب: «الآن تظهر الحقيقة! (كادت أن تصرخ في وجهه) لا أحد يهتم بي، لكن إذا كانت سمعتك في خطر...».
- يا لك من حمقاء غبية! (قذف بالقنينة عبر الغرفة. تحطمت على الحائط بالقرب من رأسها، وتناثرت شظايا الزجاج والنبذ على الجدران. جعله ذلك أكثر غضبًا) لماذا لا تنصتين؟
- عَبَرَ الغرفة في لحظة. بدا على أردي الدهشة للحظة، ثم كان هناك صوت طرقعة حادة، صوت قبضته تصطدم بوجهها وهي تحاول النهوض. لم تسقط بعيدًا. أمسكها قبل أن ترتطم بالأرض، ثم جذبها وألقى بها على الحائط.

- أنتِ ستكونين سبب نهايتنا!

ارتطم رأسها بالحائط مرة، مرتين، ثلاثاً. ثم أمسكت يده برقبتهـا. كان يضغط عليها بجسده بالكامل، أسنانه مكشّرة. أصدرت حنجرتها نخرًا خافتًا مع عصر أصابعه لعنقها.

- يا لكِ من... عاهرة... أنانية... عديمة الفائدة!

تشابك شعرها على وجهها. لم يستطع رؤية سوى شريحة ضيقة من بشرتها، زاوية من فمها، عين داكنة واحدة.

العين كانت تحرق إليه. بلا ألم. بلا خوف. فارغة، مسطحة، مثل عين جثة. عصر. نخر خافت. عصر.

عصر...

عاد وعي ويست فجأة يصحبه شعور بالغثيان. فتح أصابعه بسرعة، وسحب يده بعيدًا. بقيت أخته واقفة مستندة إلى الحائط. كاد يسمع صوت أنفاسها المتقطعة. أو ربما كان ذلك صوته هو؟ كان رأسه على وشك الانفجار. لا تزال العين تحرق إليه.

لا بد أنه تخيل ذلك. لا بد. في أي لحظة سيستيقظ، وينتهي الكابوس. مجرد حلم. ثم دفعت أردي شعرها بعيدًا عن وجهها...

بشرتها كانت بيضاء باهتة كالشمع، وقطرات الدم المنبثقة من أنفها بدت سوداء تقريبًا على خلفيتها الشاحبة. كانت العلامات الوردية على عنقها واضحة، آثار أصابعه. أصابع ويست. إذًا، كان ذلك حقيقياً.

تحركت معدته باشمئزاز. فتح فمه، لكن لم يخرج أي صوت. نظر إلى الدم على شفتيها، وشعر برغبة قوية في التقيؤ: «أردى. (شعر بالتقرز لدرجة أنه كاد يتقيأ وهو ينطق اسمها. طعم المرارة كان لا يزال في حلقه، لكن صوته لم يتوقف عن الخروج بغرغرة) أنا آسف... آسف جدًا... هل أنتِ بخير؟».

- مررت بما هو أسوأ.

رفعت إصبعها ببطء لتلمس شفتها، فامتد الدم عبر فمها.

- أردى. (مد يده نحوها، ثم سحبها بسرعة، خائفًا مما قد تفعله يده) أنا آسف.

- كان يأسف دائماً. ألا تتذكر؟ كان يحتضننا ويبيكي بعدها. دائماً يأسف.

لكنه لم يتوقف عن تكرارها. هل نسيت؟

شعر ويست بالغثيان، كاد يتقيأ مجدداً. لو أنها صرخت وبكت وضربته بقبضتيها، لكان سهلاً عليه تحمله. أي شيء إلا هذا. حاول ألا يفكر في الأمر أبداً، لكنه لم ينس. همس: «لا، أتذكر».

- هل تظن أنه توقف عندما رحلت؟ لقد ازداد سوءاً. لكنني كنت أختبئ

وحدي وقتها. كنت أحلم أنك ستعود، تعود وتنقذني. لكن عندما عدت،

لم يكن لفترة طويلة، ولم يكن الأمر كما كان بيننا، ولم تفعل شيئاً.

- آردي... لم أكن أعلم...

- كنت تعلم، لكنك رحلت. كان الأسهل ألا تفعل شيئاً. أن تتظاهر. أفهم

ذلك، وبالمناسبة، لا ألومك حتى. كان نوعاً من العزاء في ذلك الوقت أن

أعرف أنك هربت. يوم موته كان أسعد يوم في حياتي.

- كان والدنا...

- آه نعم. حظي العاثر. حظي السيئ مع الرجال. بكيت على قبره كابنة

مطبعة. بكيت وبكيت حتى ظن المعزون أنني فقدت عقلي. ثم بقيت

مستيقظة في فراشي حتى نام الجميع. تسللت خارج المنزل، وعدت

إلى القبر، وقفت هناك فترة... ثم تبولت عليه! رفعت ثوبي، وقرصت،

وتبولت عليه! وكل ما كنت أفكر فيه هو... أنني لن أكون كلباً لأحد بعد

الآن!

مسحت الدم من أنفها بظهر يدها: «كان يجب أن ترى كم كنت سعيدة

عندما أرسلت لي! قرأت الرسالة مراراً وتكراراً. الأحلام البائسة التي كانت

قد ماتت عادت إلى الحياة من جديد. الأمل، ها؟ يا لها من لعنة! إلى العيش

مع أخي. حامي. سيهتم بي، سيساعدني. الآن قد أتمكن من أن أعيش حياة!

لكنني وجدتك مختلفاً عما تذكرت. أصبحت رجلاً. في البداية تجاهلتنني، ثم

وعظمتني، ثم ضربتنني، والآن تقول إنك آسف. أنت ابن أبيك حقاً!».

أصدر ويست أنيناً. كانت كلماتها كأنها إبرة تُدفع في جمجمته. أقل مما

يستحق. كانت على حق. لقد خذلها. منذ زمن طويل، قبل اليوم بكثير. بينما

كان يلعب بالسيوف ويتملق الناس الذين يحترقونه، كانت هي من يعاني. كل

ما تطلبه الأمر هو بعض الجهد، لكنه لم يجرؤ على مواجهته. في كل لحظة قضاها معها، كان يشعر بالذنب، مثل حجر ثقيل في معدته، يثقله، لا يطاق. ابتعدت عن الحائط: «ربما سأذهب الآن لزيارة جيزال. قد يكون أكثر الرجال سطحية في المدينة، لكنني لا أعتقد أنه سيرفع يده عليَّ أبدًا، أليس كذلك؟».

دفعته جانبًا وتوجهت نحو الباب.

- آردي! (أمسك بذراعها) أرجوك... آردي... أنا آسف.

مدّت لسانها، لفّته في شكل أنبوب، وبصقت دمها على صدره. تناثر بهدوء على زيه الرسمي.

- هذا مقابل أسفك، أيها اللقيط.

أغلق الباب بعنف في وجهه.

كل رجل يعبد نفسه

حدّقت فيرو إلى الرجل الضخم ذي البشرة الوردية بعينين نصف مغمضتين، وهو بادلها التحديق. استمر هذا الحال لوقت طويل، ليس طوال الوقت، ولكن معظمه. التحديق. كانت جميع هذه الكائنات البيضاء الطرية قبيحة في نظرها، ولكن هذا الشخص كان شيئاً مميزاً. بشع.

كانت تعرف أنها تحمل ندوباً، وأن السنين في البرية والشمس والرياح قد أنهكتها، لكن بشرة وجه هذا الرجل الشاحبة بدت كدرع مُستعمل في المعركة؛ مقطّعاً، ومنقوراً، وممزقاً، ومُنعبجاً. كان من المدهش أن ترى العينين لا تزالان حيّتين في وجهٍ مُشوّهٍ إلى هذا الحد، لكنها كانت كذلك، وكانت تراقبها. قررت أنه خطير.

ليس فقط ضخماً، بل قوياً. قوة وحشية. ربما ضعف وزنها، وعنقه الغليظ ممتلئ بالعضلات. كان بإمكانها أن تشعر بالقوة تنبعث منه. لم تكن لتتفاجأ لو استطاع رفعها بيد واحدة، لكن ذلك لم يُقلقها كثيراً. عليه أن يمسك بها أولاً. الحجم والقوة يمكن أن يجعل الرجل بطيئاً. البطء والخطر لا يجتمعان.

الندوب لم تكن تُقلقها أيضاً. كانت تعني فقط أنه خاض الكثير من المعارك، لكنها لا تُفصح إن كان قد انتصر فيها. كانت أمور أخرى هي ما أقلقته. طريقة جلوسه ثابتاً ولكنه ليس مرتاحاً بالكامل. مستعد. صبور. الطريقة التي تتحرك بها عيناه، ماكرة، حذرة، منها إلى بقية الغرفة ثم عائدة إليها. عيانان داكنتان، تراقبان، تفكران، تقيسان. على ظهر يديه عروق سميقة، لكن أصابعه كانت طويلة، أصابع ذكية، خطوط من الأوساخ تحت

أظفاره. إصبع مفقودة. مجرد جذع أبيض. لم يعجبها أي شيء من هذا. رائحته تفوح بالخطر.

لم تود أن تقاتله بلا سلاح.

ولكنها سلّمت سكينها لذلك الوردى عند الجسر. كانت على وشك طعنه، لكن في اللحظة الأخيرة غيّرت رأيها. شيء في عينيه ذكّرهما بأروف، قبل أن يقطع الجوركوليون رأسه ويضعوه على رمح. حزينتان وهادئتان، وكأنه يفهمهما. وكأنها شخص، وليس شيئًا. في اللحظة الأخيرة، ورغماً عن إرادتها، سلّمت النصل. هي من سمحت لنفسها بأن تُقاد إلى هنا.

حمقاء!

كانت تندم على ذلك الآن، بمرارة، لكنها كانت ستقاتل بأي وسيلة إن اضطرت إلى ذلك. معظم الناس لا يدركون كم يعج العالم بالأسلحة. أشياء لترميها، أو ليُرْمى أعداؤهم عليها. أشياء لتكسرها أو تُستخدم كعصي. قطع قماش ملفوفة للخنق بها. تراب يُلقى في العين. وإن لم يكن هناك شيء، فستعض عنقه وتقتلعه بأسنانها. كُشِرَتْ عن أنيابها لترّيه ذلك، لكنه لم يُبد أي رد فعل. فقط جلس هناك، يراقب. صامت، ثابت، قبيح، وخطير. تمتمت لنفسها: «الورديون اللعناء».

أما النحيف، فعلى النقيض، فلم يبدُ خطرًا على الإطلاق. بدا مريضًا، بشعر طويل مثل شعر النساء. مضطرب ومرتبك، يلحق شفّتيه. يسترق النظر إليها بين الحين والآخر، لكنه يُشّيح بنظره بمجرد أن تكشّر في وجهه، ويبتلع ريقه، والعقدة النحيلة في عنقه تتلوى صعودًا ونزولًا. بدا خائفًا، لا يشكل تهديدًا، لكنها أبقتّه في زاوية عينها بينما تراقب الرجل الضخم. من الأفضل ألا تتجاهله تمامًا.

الحياة علمتها أن تتوقع المفاجآت.

لم يتبقّ سوى الرجل العجوز. لم تثق بأيّ من هؤلاء الورديين، لكن ثقتها في هذا الأصل كانت الأقل بين الجميع. هناك خطوط عميقة على وجهه، حول عينيه، حول أنفه. خطوط قاسية. عظام ثقيلة في وجنتيه. يدان كبيرتان سميكتان، شعر أبيض على ظفريهما. إذا اضطرت إلى قتل هؤلاء الثلاثة، ورغم الخطر البادي من الضخم، قررت أنها ستقتل هذا الأصل أولاً. حملت

عينيه نظرة النَّحَّاس، حذق إليها من أعلى لأسفل، يتفحصها. نظرة باردة، تحكم على قيمتها.
اللقيط.

بايان، كما ناداه يولواي، وكان الرجلان العجوزان يعرفان بعضهما جيداً على ما يبدو. قال الأصلح الوردي باللغة الكانتية، رغم أنه كان واضحاً عدم الصلة بينهما: «كيف هو الحال في إمبراطورية جوركول العظيمة؟». تنهد يولواي وقال: «مر عام واحد فقط منذ أن استولى على التاج، وقد قضى عثمان على آخر المتمردين، وأخضع جميع الحكام تماماً. بالفعل، بات الإمبراطور الشاب يُهاب أكثر من أبيه. يسميه جنوده عثمان الدُّشت، وبفخر. تكاد تكون كانتا بالكامل في قبضته. أصبح له السيادة مطلقة في البحر الجنوبي».

- باستثناء داجوسكا...

- صحيح، لكن عينيه موجهتان نحوها. جيوشه تزحف باتجاه شبه الجزيرة، وعملأه مشغولون دوماً خلف جدران داجوسكا العظيمة. الآن وقد اندلعت الحرب في الشمال، لن يطول الوقت قبل أن يشعر أن اللحظة قد حانت ليحاصر المدينة، وعندما يفعل، لا أعتقد أن المدينة ستصمد طويلاً في وجهه.

- هل أنت متأكد؟ الاتحاد ما زال يسيطر على البحار.

قطب يولواي حاجبيه وقال: «لقد رأينا السفن، يا أخي. سفن عظيمة كثيرة. الجوركوليون قد بنوا أسطولاً. أسطولاً قوياً، وبسريرة. لا بد أنهم بدؤوا ذلك قبل سنوات، في أثناء الحرب الأخيرة. أخشى أن الاتحاد لن يسيطر على البحار لفترة أطول».

- أسطول؟ كنت آمل أن يكون لدي بضع سنوات أخرى للاستعداد. (بدا الوردي الأصلح جاداً) خططي أصبحت أكثر إلحاحاً الآن.

شعرت فيرو بالملل من حديثهما. اعتادت دائماً التحرك، دائماً ما كانت تسابق الخطر بخطوة، وكانت تكره البقاء في مكان واحد. إن بقيت في مكان طويلاً، سيعثر عليك الجوركوليون. لم يعجبها أن تكون عرضاً لهؤلاء الورديين الفضوليين. بينما بدأت بالتجول في الغرفة كان الرجلان العجوزان يثرثران بلا توقف، تكسّر وتمتص أسنانها. كانت تؤرجح ذراعيها، تركل الألواح

المهترئة للأرض، تعبت بالأقمشة على الجدران، تتفحص ما تحتها، تمرر أصابعها على حواف الأثاث، تنقر بلسانها وتغلق أسنانها بصوت مسموع. مسببة القلق للجميع.

مرت بجانب الضخم الوردي القبيح الجالس على الكرسي، قريباً لدرجة أن يدها المتأرجحة كانت ستلمس بشرته المنقورة. فقط لتظهر له أنها لا تكثرث لحجمه أو ندوبه أو أي شيء آخر. ثم توجهت إلى الوردي النحيف، ذي الشعر الطويل. بلغ ريقه عندما اقتربت منه.

هسهست عليه: «سسسس». تتمم بشيء ما وتراجع مبتعداً، فتقدمت هي نحو النافذة المفتوحة مكانه. نظرت إلى الخارج، مولية ظهرها للغرفة. فقط لتثبت للورديين أنها لا تهتم بأي منهم.

كان هناك حدائق خارج النافذة. أشجار، نباتات، مساحات واسعة من العشب المنسق بعناية. مجموعات من الرجال والنساء الشاحبين البدينين يتسكعون في الشمس على العشب المقصوص بعناية، يهتممون الطعام بنهم. يشربون ويبتلعون. نظرت إليهم بازدراء. ورديون بدينون، قبيحون، كسالى، ليس لهم رب سوى الأكل والكسل. استهزأت: «حدائق».

كانت هناك حدائق في قصر عثمان. تراها من نافذة غرفتها الصغيرة. زنزانتها. قبل أن يصبح عثمان الدُّشت. عندما كان مجرد ابن الإمبراطور الأصغر. عندما كانت واحدة من عبيده الكثيرين. أسيرته. انحنت فيرو إلى الأمام وبصقت من النافذة. كانت تكره الحدائق.

كانت تكره المدن كلها. أماكن للعبودية، والخوف، والمهانة. جدرانها كانت جدران سجن. كلما غادرت هذا المكان الملعون أسرع، كانت أكثر سعادة. أو أقل تعاسة على الأقل. استدارت بعيداً عن النافذة، وعادت لتكشّر مرة أخرى. كانوا جميعاً ينظرون إليها.

كان أول من تحدث هو الذي يدعى باياز: «مؤكد، أنك اكتشفت شيئاً لافتاً، يا أخي. لا يمكنك أن تفوّتها وسط حشد، أليس كذلك؟ هل أنت متأكد أنها ما تبحث عنه؟».

نظر إليها يولواي للحظة وقال: «متأكد بقدر ما يمكنني أن أكون».

زمجرت فيرو: «أنا واقفة هنا»، لكن الوردى الأصلع استمر فى الحديث وكأنها لم تسمع.

- هل تشعر بالألم؟

- القليل جدًا. لقد قاتلت آكلًا على الطريق.

ضحك باياز بصوت خافت: «حقًا؟ كيف أذاها؟».

- كثيرًا، لكنها كانت تسير فى غصون يومين، وتعافت خلال أسبوع، بلا أي خدوش. هذا ليس طبيعياً.

- لقد رأينا كلانا العديد من الأمور غير الطبيعية فى أوقاتنا. يجب أن نكون متأكدين.

أدخل الأصلع يده فى جيبه. راقبته فيرو بحذر وهو يخرج قبضته، ووضعها على الطاولة. وعندما رفع يده، كان هناك حجران أملسان لامعان على الخشب. انحنى الرجل الأصلع إلى الأمام: «أخبريني، يا فيرو، أيهما الحجر الأزرق؟». حدقت إليه بشدة، ثم نظرت إلى الحجرين. لم يكن بينهما أي فرق. راقبوها جميعاً من كُتب الآن، فبدأت تحرك أسنانها معاً بقوة. وأشارت إلى الحجر الموجود على اليسار: «هذا».

ابتسم باياز وقال: «بالضبط الإجابة التي كنت أتمناها».

هزت فيرو كتفيها. محظوظة، فكرت، لقد حالفها الحظ فى اختيار الحجر الصحيح. ثم لاحظت النظرة على وجه الوردى الكبير، كان يقطب حاجبيه وينظر إلى الحجرين، وكأنه لا يفهم.

قال باياز: «كلاهما أحمر. (ثم أضاف) أنت لا ترين الألوان على الإطلاق، أليس كذلك يا فيرو؟».

إذاً، كان الأصلع الوردى قد خدعها. لم تكن متأكدة كيف عرف، لكنها كانت متأكدة أنها لا تحب ذلك. لا أحد يلعب بالخدع مع فيرو مالجين. بدأت تضحك. ضحكة خشنة، قبيحة، غير متقنة، كغرغرة.

ثم قفزت عبر الطاولة.

بدأت نظرة الدهشة تتشكل على وجه الوردى العجوز حين اصطدمت قبضتها بأنفه، فأصدر صوتاً مكتوماً، وكرسيه يميل للخلف وهو يتساقط على الأرض. تسلمت الطاولة لتهاجمه، لكن يولواي أمسك بساقها وسحبها للخلف.

كادت يداها المتشبثتان أن تصلا إلى عنق اللعين الأصلع، لكنها بدلًا من ذلك أسقطت الطاولة على جانبها، فانزلق الحَجَران عبر الألواح الخشبية.

حررت ساقها واندفعت نحو الوردى العجوز وهو يترنح محاولًا النهوض من الأرض، لكن يولواي أمسك بذراعها وسحبها مجددًا، وهو يصرخ طوال الوقت: «اهدئي!» تلقى ضربة بمرفقها على وجهه جرَّاء تدخله، فسقط مستندًا إلى الحائط وهي فوقه. كانت هي الأولى التي نهضت، مستعدة للانقضاض على اللعين الأصلع مرة أخرى.

لكن بحلول ذلك الوقت كان الوردى الكبير قد نهض أيضًا، وتقدم نحوها، مراقبًا إياها. ابتسمت فيرو، وقبضتاها مشدودتان على جانبيها. الآن سترى مدى خطورته حقًا.

خطا خطوة أخرى.

ثم مدَّ باياز ذراعه ليووقفه. كان يمسك بأنفه باليد الأخرى محاولًا وقف تدفق الدم. بدأ يضحك.

سعل قليلًا: «رائع! شديدة الشراسة، وسريعة جدًا أيضًا. دون شك، أنتِ ما نبحت عنه! أتمنى أن تقبلي اعتذارى، يا فيرو».

- ماذا؟

- على تصرفاتي الفظة. (مسح الدم عن شفته العليا) لم أستحق أقل من ذلك، لكن كان عليَّ أن أكون متأكدًا. أنا آسف. هل قبلتِ اعتذارى؟

بدا مختلفًا بطريقة ما، رغم أن شيئًا لم يتغير. ودود، مهذب، صادق. آسف. لكن لم يكن هذا كافيًا لكسب ثقتها. سيحتاج إلى أكثر من ذلك.

همست بغضب: «سنرى».

- هذا هو كل ما أطلبه. هذا، وأن تسمحى ليولواي وأنا أن نناقش بعض... الأمور. أمور من الأفضل مناقشتها على انفراد.

قال يولواي: «لا بأس، يا فيرو، إنهم أصدقاء. (لكنها كانت متأكدة من أنهم ليسوا أصدقاء لها، لكنها سمحت له بأن يقودها خارج الغرفة خلف الاثنين الورديين) فقط لا تحاولي قتل أي منهم».

كانت هذه الغرفة شبيهة بالغرفة الأخرى. لا بد أن هؤلاء الورديين أثرياء، رغم أن مظهرهم لا يوحي بذلك. مدفأة كبيرة من حجر داكن متعرق. وسائد،

وقماش ناعم يلف النافذة، مزين برسومات صغيرة من الزهور والطيور. كان هناك لوحة لرجل صارم يعتمر تاجًا، يحدّق إليها بغضب من الحائط. حدقت إليه بغضب مماثل. ترف.

كانت فيرو تكره الترف أكثر من كراهيتها للحدائق.

الترف يعني أن الأسر أصبح أكثر يقينًا من قضبان قفص. الأثاث الناعم يعني خطرًا أكثر من الأسلحة. الأرض القاسية والماء البارد هما كل ما تحتاج إليه. الأشياء الناعمة تجعلك ناعمًا، وهي لا تريد أن تكون كذلك.

كان هناك رجل آخر ينتظر في الداخل، يمشي ذهابًا وإيابًا ويداه خلف ظهره، وكأنه لا يحب البقاء واقفًا بلا حركة لفترة طويلة. لم يكن رديًا تمامًا، لون بشرته كان بين لون بشرتها ولونهم. رأسه مخلوق، مثل الكهنة. لم يعجبها ذلك.

كانت تكره الكهنة أكثر من أي شيء آخر.

رغم كل ملامحها الساخرة، أضاعت عيناه عندما رآها، وهرع نحوها. رجل غريب صغير الحجم، بملابس مهترئة من كثرة الترحال، لم يصل رأسه إلا إلى فم فيرو قال وهو يلوح بيديه في كل اتجاه: «أنا الأخ لونجفوت، من جماعة الملاحين العظيمة».

- محظوظٌ أنت.

أدارت كتفها نحوه، تحاول جاهدة أن تصغي لما يقوله الرجلان العجوزان خلف الباب، لكن لونجفوت لم يردعه ذلك.

- إنه حظ حقًا! نعم، نعم، بلا شك! لقد باركني الرب حقًا! أوكد لك أنه لم يكن هناك قط رجل مناسب لمهنته مثلي، الأخ لونجفوت، مناسب لعلم الملاحة النبيل! من الجبال المغطاة بالثلوج في أقصى الشمال، إلى الرمال المحروقة بالشمس في أقصى الجنوب، العالم بأسره هو بيتي، حقًا! (ابتسم لها بابتسامة مفعمة بالرضا عن النفس، فتجاهلته. الوردان، الكبير والنفيف، كانا يتحدثان على الجانب الآخر من الغرفة. كانا يتحدثان بلغة غريبة عليها، تبدو كصوت خنازير تنخر. ربما كانا يتحدثان عنها، لكنها لم تهتم. غادرا عبر باب آخر، تاركين إياها وحدها مع الكاهن الذي ما زال يثرثر) هناك قليل من الأم داخل حلقة العالم الغريبة عليّ، ومع ذلك لا أعرف من أين أنت. (انتظر متوقعًا إجابة، لكن

فيرو لم تقل شيئاً) هل تريدني مني أن أُخَمِّنَ إِذَا؟ إنه حقاً لغز. دعيني أرى... عينك لهما شكل أعين شعب سُلْجُوق البعيد، حيث ترتفع الجبال السوداء من البحر اللامع، نعم بالتأكيد، لكن بشرتك هي...»

- اخرس، أيها الحقيير.

توقف الرجل في منتصف جملة، وسعل قليلاً، ثم ابتعد عنها، تاركاً لها الفرصة للاستماع إلى الأصوات خلف الباب. ابتسمت فيرو لنفسها. كان الخشب سميكاً والأصوات مكتومة، لكن العجوزين لم يقدر على مكر أذنيها الحادثتين. كانا لا يزالان يتحدثان باللغة الكانتيكية. والآن، بعدما سكت هذا الملاح الأحمق، استطاعت أن تلتقط كل كلمة قالها يولواي.

- ... خالول يخرق القانون الثاني، لذا عليك أن تخرق القانون الأول؟ لا يعجبني هذا يا باياز! چوفينس لم يكن يسمح بهذا أبداً!

عبست فيرو. كان في صوت يولواي نبرة غريبة. خوف. القانون الثاني. كان قد ذكره عندما تحدث عن الأكلين، وتذكرت فيرو ذلك. إنه ممنوع أكل لحم البشر. سمعت صوت الوردی الأصلع بعده.

- القانون الأول هو مفارقة. كل السحر يأتي من الجانب الآخر، حتى سحرنا. في كل مرة تُغَيَّرُ فيها شيئاً، تلمس العالم السفلي. في كل مرة تصنع شيئاً، تستعير من الجانب الآخر، وهناك دائماً ثمن.

- لكن ثمن هذا قد يكون عالياً جداً! إنها شيء ملعون هذه البذرة، شيء مشؤوم. لا ينمو منها إلا الفوضى! أبناء إيوز، الذين كانوا عظماء في الحكمة والقوة، كانت هذه البذرة هي نهايتهم، جميعهم، بطرق مختلفة. هل أنت أكثر حكمة من چوفينس يا باياز؟ هل أنت أكثر دهاء من كانيدياس؟ هل أنت أقوى من جلوسترود؟

- لا هذا ولا ذاك يا أخي، لكن قل لي... كم عدد الأكلين الذين صنعهم خالول؟ صمت طويل: «لست متأكداً».

- كم عددهم؟

صمت آخر.

- ربما مئتان. ربما أكثر. الكهنة يجوبون الجنوب بحثاً عن ذوي المواهب. يصنعهم بسرعة أكبر الآن، لكن معظمهم شباب وضعفاء.

- متئان أو أكثر، وعددهم يزداد باستمرار. كثير منهم ضعفاء، لكن بينهم من يمكن أن يكون نداءً لي ولك. أولئك الذين كانوا تلاميذ خالول في الزمن القديم الذي يُدعى الريح الشرقية، وهاتان التوأمتان اللعينتان. تأوه يولواي: «فلتلعن هاتان العاهرتان!».
- ولا تنس مأمون، الذي تسببت أكاذيبه ببدء هذه الفوضى.
- المشكلة كانت متجذرة جيداً حتى قبل أن يولد، وأنت تعرف ذلك يا باياز. لكن مأمون كان في الأراضي الخبيثة. شعرت به قريباً. لقد أصبح قوياً جداً.
- أنت تعلم أنني على حق. وفي أثناء ذلك فعددنا بالكاد يزداد.
- كنت أظن أن كواي هذا، له مستقبل واعد؟
- نحتاج إلى مئة آخرين مثله وعشرين عامًا لتدريبهم. حينها ربما نقف على قدم المساواة. لا، يا أخي، لا. يجب أن نستخدم النار ضد النار.
- حتى لو أحرقتك النار وكل الخلق إلى رماد؟ دعني أذهب إلى ساركانت. ربما يستمع خالول إلى العقل...
- ضحك: «لقد استعبد نصف العالم! متى ستستيقظ يا يولواي؟ عندما يستعبد النصف الآخر؟ لا أستطيع أن أخسرك، يا أخي!».
- تذكر، يا باياز، أن هناك ما هو أسوأ من خالول. أسوأ بكثير. (خفض صوته واجتهدت فيرو لتسمع) رواية الأسرار يستمعون دائماً...
- كفى يا يولواي! الأفضل ألا تفكر في ذلك حتى!
- عبست فيرو. ما هذا الهراء؟ رواية الأسرار؟ أي أسرار هذه؟
- تذكر ما قاله لك چوفينس يا باياز. احذر من الكبرياء. لقد استخدمت الفن. أعلم ذلك. أرى ظله عليك.
- تباً لظلالك! أفعل ما يجب عليّ فعله! تذكر ما قاله لك چوفينس يا يولواي. لا يمكن أن تراقب للأبد. الوقت ينفد، ولن أراقب بعد الآن. أنا الأول. والقرار قراري.
- ألم أتبعك دائماً أينما قدتني؟ دائماً، حتى عندما كان ضميري يقول لي عكس ذلك؟
- وهل قدتك يوماً إلى الضلال؟

- هذا ما سنراه. أنت الأول، يا باياز، لكنك لست چوفينس. دوري هو التساؤل، وزاخاروس كان كذلك. لن يعجبه ذلك أكثر مني.

- لكن يجب أن يتم.

- لكن الآخرين سيدفعون الثمن، كما فعلوا دائمًا. هذا الشمالي، ذو الأصابع التسع، هل يستطيع التحدث مع الأرواح؟

- نعم.

عبست فيرو. الأرواح؟ الوردى ذو الأصابع التسع بالكاد بدا قادرًا على التحدث إلى بشر آخرين.

جاء صوت يولواي من خلف الباب.

- وإذا وجدتم البذرة، هل تنوي أن تحملها فيرو؟

- لديها الدم، ويجب أن يحملها أحد.

- كن حذرًا إذن، يا باياز. أعرفك جيدًا، ربما أكثر من أي شخص. أعطني كلمتك بأنك ستحميها، حتى بعد أن تخدم غايتك.

- سأحميها أكثر مما أحمي طفلي.

- احميها أفضل مما فعلت مع طفل الصانع، وسأكون راضيًا.

ساد صمت طويل. حركت فيرو فكها وهي تفكر فيما سمعت. چوفينس، كانيدياس، زاخاروس... لم تعن هذه الأسماء الغربية شيئًا لها. وما نوع البذرة التي قد تحرق كل الخلق إلى رماد؟ لم تكن تريد أي جزء من هذا الشيء، كانت متأكدة من ذلك. مكانها كان في الجنوب، تقاتل الجوركوليين بأسلحة تفهمها. فُتِحَ الباب، ودخل العجوزان. لم يكن لمظهرهما أن يصبح مختلفًا أكثر من ذلك. أحدهما ذو بشرة داكنة، طويل ونحيل ولديه شعر طويل، والآخر ذو بشرة بيضاء، ممتلئ الجسم وأصلع. نظرت إليهما بريبة. وكان الأبيض هو من تحدث أولاً.

- فيرو، لديّ عرض لك...

- لن أذهب معك، أيها الأحق الوردى العجوز.

مر ظل طفيف من الانزعاج على وجه الرجل الأصلع، لكنه تماسك سريعًا.

- لماذا؟ ما هو العمل المُلح الآخر لديك؟

لم يكن ذلك يحتاج إلى تفكير.

- الانتقام.

كلمتها المفضلة.

- آه. فهمت. أنتِ تكرهين الجوركوليين؟

- نعم.

- إنهم يدينون لكِ، لما فعلوه بكِ؟

- نعم.

- لأخذهم عائلتك، وشعبك، ووطنك؟

- نعم.

- لاستعبادك. (همس بالكلمة. نظرت إليه بغضب، تتساءل كيف عرف

الكثير عنها، وتتساءل ما إذا كان عليها مهاجمته مجدداً) لقد سرقوكِ،

يا فيرو، سرقوا منك كل شيء. سرقوا منك حياتك. لو كنتُ مكانك... لو

كنتُ قد عانيت كما عانيت... لما أشبعني امتلاء الجنوب بدمائهم. كنت

لأسعى أن يصبح كل جندي جوركولي جثة قبل أن أشعر بالرضا. كنت

لأسعى لحرق كل مدينة جوركولية تحترق قبل أن أشعر بالرضا. كنت

لأرى إمبراطورهم يتعفن في قفص أمام قصره قبل أن أشعر بالرضا!

همست فيرو: «نعم!» (وعلت الابتسامة الحادة وجهها. كان يتحدث بلغتها

الآن. لم يتحدث يولواي هكذا قط، ربما لم يكن هذا الوردي العجوز شيئاً كما

ظننت) أنت تفهم! لهذا يجب أن أذهب إلى الجنوب!«.

كان الوردي الأصلع هو من يبتسم الآن: «لا، يا فيرو. أنتِ لا تدركين الفرصة

التي أقدمها لكِ. الإمبراطور لا يحكم حقاً في كانتا. رغم قوته الظاهرة، فإنه

يرقص على أنغام آخر، يد خفية. يسمونه خالول».

- الرسول.

أوماً باياز: «إذا جُرحتِ، هل تكرهين السكين، أم اليد التي تمسك به؟

الإمبراطور والجوركوليون ليسوا سوى أدوات في يد خالول، يا فيرو. الأباطرة

يأتون ويذهبون، لكن الرسول هناك دائماً، خلفهم. يهمس. يقترح. يأمر. هو

من يدين لكِ».

- خالول... نعم.

لقد استخدم الآكلون ذلك الاسم. خالول. الرسول. كان قصر الإمبراطور مملوءًا بالكهنة، الجميع عرف ذلك. قصور الحكام أيضًا. الكهنة كانوا في كل مكان، ينتشرون كالحشرات. في المدن، في القرى، بين الجنود، دائمًا ينشرون أكاذيبهم. يهمسون. يقترحون. يأمرّون. كان يُولَوي مَقْطَبًا، غير راضٍ، لكن فيرو كانت تعرف أن الوردى العجوز كان محقا: «نعم، أرى ذلك!».

- ساعديني، وسأمنحك الانتقام، يا فيرو. الانتقام الحقيقي. ليس جنديًا ميتًا، أو عشرة، بل الآلاف. عشرات الآلاف! وربما حتى الإمبراطور نفسه، من يعلم؟ (هز كتفيه، وأدار ظهره لها جزئيًا) ومع ذلك، فلا يمكنني إجبارك. عودي إلى الأراضي الخبيثة، إذا شئتِ اختبئي، واهربي، وتخبطي في التراب كالفران. إن كان ذلك يشبعك. إن كان هذا هو مقياس انتقامك. الآكلون يريدونك الآن. أطفال خالول. ومن دوننا، سيلقون القبض عليك، عاجلاً أم آجلاً. مع ذلك، الخيار لك.

عبست فيرو. كل تلك السنوات في البرية، تقاتل وتكافح، وتهرب باستمرار، لم تحقق لها شيئًا. لم تحظْ بأي انتقام يستحق هذا الاسم. لولا يُولَوي، لكانت قد انتهت الآن. عظام بيضاء في الصحراء. لحم في بطون الأكلين. في قفص أمام قصر الإمبراطور.

تتعفن.

لم تستطع أن ترفض، وكانت تعلم ذلك، لكنها لم تحب الأمر. هذا العجوز عرف تمامًا ما يقدمه لها. كانت تكره أن تكون بلا خيار.

قالت: «سأفكر في الأمر».

مرة أخرى، مر ظل طفيف من الغضب على وجه الرجل الأصلع، لكنه سرعان ما أخفاه.

- فكري إذن، لكن ليس طويلاً. جنود الإمبراطور يتجمعون، والوقت قصير.

ثم تبع الآخرين خارج الغرفة، تاركًا إياها وحدها مع يُولَوي.

- لا أحب هؤلاء الورديين، (قالت بصوت عالٍ يكفي ليسمعهما العجوز في الممر، ثم أردفت بصوت أخفض) هل علينا أن نذهب معهم؟

- عليك ذلك. أما أنا، فيجب أن أعود إلى الجنوب.

- ماذا؟

- يجب أن يراقب أحد الجوركولين.

- لا!

بدأ يولواي يضحك: «مرتان حاولت فيهما قتلي. ومرة حاولت الهروب مني، لكن الآن عندما أغانر تريدين مني البقاء؟ أنت صعبة الفهم يا فيرو». قطبت جبينها وقالت: «هذا الأصل يقول إنه يستطيع أن يمنحني الانتقام. هل يكذب؟».

- لا.

- إذن يجب أن أذهب معه.

- أعلم. لهذا جلبتكِ إلى هنا.

لم تجد ما تقوله. نظرت إلى الأرض، لكن يولواي فاجأها عندما تقدم نحوها فجأة. رفعت يدها لتتوقع ضربة، لكنه بدلاً من ذلك وضع ذراعيه حولها وضغطها بقوة. شعور غريب. أن تكون قريبة من شخص آخر. دافئ. ثم ابتعد يولواي، واضعاً يده على كتفها: «سيرى في خطا الرب يا فيرو مالجين».

- هه. ليس لديهم إله هنا.

- بالأحرى، لديهم كثيرون.

- كثيرون؟

- ألم تلاحظي؟ هنا، كل رجل يعبد نفسه.

أومأت برأسها. بدا ذلك قريباً من الحقيقة: «كوني حذرة يا فيرو. واستمعي إلى باياز. هو الأول في جماعتي، وقليلون جداً من هم بحكمته».

- لا أثق به.

اقترب يولواي منها وهمس: «لم أخبركِ أن تثقي به». ثم ابتسم وأدار ظهره.

شاهدته وهو يمشي ببطء نحو الباب، ثم يخرج إلى الممر. سمعت خطوات قدميه العاريتين وهما تلامسان البلاط، وأساوره ترن بلطف. تاركاً إياها وحدها مع الترف، والحدائق، والورديين.

أصدقاء قدامى

طرق شديد على الباب، انتفض جلوكتا رافعاً رأسه، وعينه اليسرى بدأت ترتعش فجأة. من ذا الذي يطرق الباب في مثل هذا الوقت؟ فروست؟ سيفيرارد؟ أم شخص آخر؟ ربما الرئيس جويل، جاء ليزورني ومعه مهرجوه المشوهون؟ هل يمكن أن يكون المقرئ الأعلى قد ملَّ لعبته العرجاء بالفعل؟ بالكاد يمكن القول إن الوليمة سارت كما خُطط لها، وسماحته ليس معروفاً بالتسامح. العثور على جثة طافية قرب الأرصفة.

جاء الطرق مرة أخرى. طرق عالٍ، واثق، من النوع الذي يطالب بفتح الباب قبل أن يُكسر. صاح جلوكتا: «أنا قادم!» (صوته يرتعش قليلاً وهو يحاول النهوض من خلف مكتبه، ساقاه ترتجفان) أنا قادم!»، أمسك عصاه وتوجه بعرج إلى الباب الأمامي، أخذ نفساً عميقاً وتلعثم وهو يعبث بالقفل. لم يكن فروست، ولا سيفيرارد. ولا حتى جويل، أو أحد مساعديه الغريبين. كان أحداً آخر لم يتوقعه تماماً. رفع جلوكتا حاجباً، ثم استند إلى إطار الباب: «الرائد ويست، يا لها من مفاجأة».

أحياناً، حينما يلتقي الأصدقاء القدامى، يعود كل شيء كما كان من قبل. تُستأنف الصداقة كأن لم يكن هناك انقطاع. أحياناً، ولكن ليس الآن. تمتم ويست بتردد واستغراب وخرج: «المفتش جلوكتا. أعذر لإزعاجك في هذا الوقت المتأخر».

قال جلوكتا ببرود جليدي: «لا عليك».

كاد الرائد يجفل: «هلا أدخل».

- بالطبع.

أغلق جلوكتا الباب خلفه، ثم عرج وراء ويست إلى غرفة الطعام. جلس الرائد في أحد الكراسي، وجلس جلوكتا في كرسي آخر. بقيا جالسين لبرهة دون أن يتكلما. ما الذي يريده الآن بحق الجحيم، في هذا الوقت أو أي وقت آخر؟ تفحص جلوكتا وجه صديقه القديم على وهج ضوء النار والشمعة الواهنة. الآن وقد رآه عن قرب، أدرك أن ويست قد تغير. يبدو أكبر سنًا. خفَّ شعره عند الصدغين، وأحاط الشيب أذنيه. وشحب وجهه، وأنْهَكَ، وأصبح خاويًا بعض الشيء. يبدو قلقًا. منهارًا. على حافة الانهيار. نظر ويست بحذر إلى الغرفة المتواضعة، النار الضعيفة، الأثاث البسيط، ثم بسرعة إلى جلوكتا، ثم إلى الأرض. متوترًا، كأنه يحمل شيئًا يثقل ذهنه. يبدو غير مرتاح. كما ينبغي له.

لم يبدو مستعدًا لكسر الصمت، ففعلها جلوكتا بدلًا منه: «إذًا، مضى بعض الوقت، هاه؟ بخلاف تلك الليلة في المدينة، ولا يمكننا حقًا احتسابها، أليس كذلك؟».

علقت ذكرى ذلك اللقاء المؤسف بينهما للحظة مثل فسو، ثم تنحنح ويست: «تسع سنوات».

- تسع سنوات. تخيل ذلك. منذ أن وقفنا على التل، كأصدقاء قدامى، نطل على النهر. نحو الجسر، وكل أولئك الجوركوليين على الضفة الأخرى. يبدو وكأنه حياة أخرى، أليس كذلك؟ تسع سنوات. أذكر أنك كنت تتوسل إليّ ألا أنزل إلى هناك، لكنني لم أستمع. يا لي من أحمق، أليس كذلك؟ كنت أظن أنني أملنا الوحيد. كنت أظن أنني لا أقهر.

- لقد أنقذتَنا جميعًا في ذلك اليوم، أنقذتَ الجيش بأكمله.

- هل فعلت؟ يا له من أمر رائع. هل أجروا أن أقول إنني لو كنت مت على ذلك الجسر، لكان هناك تماثيل لي في كل مكان. لكن للأسف لم أمت. هذا مؤسف للجميع.

ارتبك ويست وتحرك في مقعده، بدا أكثر انزعاجًا. تمت: «بحثُ عنك بعدها...».

بحثَ عني؟ يا له من تصرفٍ نبيل. يا له من صديقٍ مخلص. لكن ذلك لم ينفعني بشيء، وأنا أُجر إلى العذاب بساقي المقطعة. وكان ذلك مجرد البداية.

- لم تأتِ لتتحدث عن الماضي يا ويست.

- لا... لا، لم آتِ لذلك. أتيتُ من أجل أختي.

توقف جلوكتا. لم يكن يتوقع هذا الجواب على الإطلاق: «أردي؟».

- أردي، نعم. سأغادر إلى أنجلاند قريبًا و... كنتُ أمل أن، ربما، تعنني

بها في أثناء غيابي. (ترددت نظرات ويست بخفة نحو جلوكتا) لطالما

كان لديك أسلوب مع النساء... ساند. (اغتمَّ جلوكتا لسماع اسمه الأول.

لم يعد أحد يناديه به. لا أحد سوى أُمِّي) كنت دائمًا تعرف ما تقول. هل

تذكر ولكن الأخوات الثلاث؟ ما كانت أسماؤهن؟ كن جميعهن معجبات

بك.

ابتسم ويست، لكن جلوكتا لم يستطع.

لقد تذكر، لكن الذكريات باتت باهتة الآن، عديمة اللون، ذابلة. ذكريات

رجل آخر. رجل ميت. حياتي بدأت في جوركول، في سجون الإمبراطور.

الذكريات منذ ذلك الحين أكثر واقعية. أتمدد في الفراش كالجثة في الظلام

بعد عودتي، أنتظر أصدقاء لم يأتوا قط. نظر إلى ويست، وكان يعلم أن نظرتة

باردة بشكل مرعب. هل تظن أنك ستكسبني بوجهك الصادق وحديثك عن

الماضي؟ ككلب ضال عاد أخيرًا إلى بيته؟ أنا أعلم أكثر من ذلك. رائحتك

تفوح يا ويست، تفوح بالخيانة. تلك الذكرى، على الأقل، لي وحدي.

اتكأ جلوكتا للوراء ببطء في كرسيه متم كما لو أنه يستذكر اسمًا عرفه

يومًا: «ساند دان جلوكتا. ما الذي حل به، يا ويست؟ تعرفه، ذلك الصديق، ذلك

الشاب المفعم بالحيوية، الوسيم، الفخور، الجريء؟ ذلك الذي كان له سحر

مع النساء؟ محبوب محترم من الجميع، ومقدر لأشياء عظيمة؟ أين ذهب؟».

نظر ويست إلى الوراء، مرتبًا غير واثق من نفسه، ولم يقل شيئًا.

اندفع جلوكتا نحوه، واضعًا يديه على الطاولة، وفتح شفثيه ليظهر فمه

التالف: «مات! لقد مات على الجسر! وماذا تبقى منه؟ حطام رجل باسمه!

شبح أعرج، متسلل، يتمسك بالحياة كما تتمسك رائحة البول بالمتسولين.

لا أصدقاء لهذا الباقي المقرز اللعين، وهو لا يريد أحدًا! اغرب عن وجهي يا

ويست! عد إلى فاروز، وإلى لوثار، وإلى بقية أولئك اللقطاء الفارغين! لا يوجد

أحد هنا تعرفه!».

ارتجفت شفتا جلوكتا ولفظ كلماته باشمئزاز. لم يكن متأكدًا من الذي يشعر بمزيد من الاشمئزاز تجاهه، ويست أم نفسه.

رمش الرائد، وتحركت عضلات فكه بصمت. نهض بتردد على قدميه: «أعتذر»، قال وهو يدير ظهره نحو الباب.

صاح جلوكتا، مما جعله يتوقف عند عتبة الباب: «أخبرني! البقية، تمسكوا بي ما دمتُ ذا نفع لهم، ما دمتُ في ارتقاء. كنت أعلم ذلك دائمًا. لم أستغرب كثيرًا عندما لم يرغبوا في التعامل معي بعد عودتي. لكنك أنت يا ويست، كنت أظنك صديقًا أفضل من ذلك، رجلًا أفضل. كنت أظنك على الأقل -وحدك- ستأتي لزيارتي. (هز كتفيه) أظنني كنت مخطئًا».

استدار جلوكتا بعيدًا، عابسًا باتجاه النار، منتظرًا صوت إغلاق الباب: «ألم تخبرك؟».

نظر جلوكتا إلى الخلف: «من؟».

- والدتك.

شخر: «أمي؟ تخبرني بماذا؟».

- لقد أتيت. مرتين. بمجرد أن علمت أنك عدت، جئت. والدتك منعتني عند بوابة عزبتكم. قالت إنك كنت مريضًا جدًا لا تستقبل الزوار، وإنك على أي حال لم تعد ترغب في أي علاقة بالجيش، ولا بي تحديدًا. عدت مرة أخرى بعد بضعة أشهر. ظننت أنني مدين لك بهذا القدر. تلك المرة أرسلوا لي خادمًا ليخبرني بالرحيل. سمعت لاحقًا أنك انضمت إلى جهاز الاستجواب وغادرت إلى آنجلاند. ونسيت أمرك... حتى التقينا... في تلك الليلة في المدينة.. وتلاشى صوت ويست.

استغرق الأمر بعض الوقت حتى تغلغل كلماته، وبحلول ذلك الوقت أدرك جلوكتا أن فمه كان مفتوحًا. الأمر بسيط جدًا. لا مؤامرة. لا شبكة خيانة. كاد يضحك على سذاجته. أمي هي من طردته عند البوابة، ولم أفكر قط في الشك بأن أحدًا قد جاء. لطالما كرهت ويست. صديق غير مناسب تمامًا، أقل بكثير من ابنها العزيز. لا شك أنها ألقت اللوم عليه فيما حدث لي. كان عليّ أن أستنتج، لكنني كنت مشغولًا بالغرق في الألم والمرارة. مشغولًا بدور المأسوي. ابتلع ريقه: «لقد أتيت؟».

هز ويست كتفيه: «هذا أقل ما تستحق».

حسنًا. ماذا يمكننا فعله غير أن نكون أفضل؟ رمش جلوكتا وأخذ نفسًا عميقًا: «أمم، أنا... أعذر. انس ما قلته، إن استطعت. من فضلك. اجلس. كنت نتحدث عن أختك».

- نعم. نعم. أختي. (عاد ويست إلى مقعده بتردد، ينظر إلى الأرض، وعاد ذلك التعبير القلق المملوء بالذنب إلى وجهه) سنغادر قريبًا إلى أنجلاند، ولا أعرف متى سأعود... أو حتى إن كنت سأعود، ربما... ستكون بلا أصدقاء في المدينة، و... حسنًا... أظن أنك التقيتها مرة، عندما جئت إلى بيتنا.

مكتبة

t.me/soramnqraa

- بالطبع، وفي الواقع بعد ذلك مؤخرًا.

- حقًا؟

- نعم. مع صديقنا المشترك، النقيب لوثار.

ازداد وجه ويست شحوبًا. هناك شيء يخفيه عني. لكن جلوكتا لم يكن راغبًا في تدمير صداقته الوحيدة قبل أن تتجدد بالكاد. ظل صامتًا، وبعد لحظة تابع الرائد حديثه: «كانت الحياة... صعبة عليها. كان بإمكانني فعل شيء. كان يجب أن أفعل شيئًا. (حدّق إلى الطاولة بأسى، وظهرت تشنجات قبيحة على وجهه. أعرف هذا الشعور. أحد مفضلاتي. كراهية الذات) لكنني اخترت الانشغال بأمور أخرى، وفعلت كل ما بوسعي لكي أنسى كل شيء، وتظاهرت بأن كل شيء على ما يرام. لقد عانت وأنا المذنب. (سعل، ثم بلع ريقه بصعوبة. وبدأت شفتاه ترتجفان، فغطى وجهه بيديه) إنه خطئي... إذا حدث لها شيء...».

اهتزت كتفاه بصمت، ورفع جلوكتا حاجبيه. بالطبع، كان معتادًا رؤية الرجال يبيكون في حضوره. لكن عادةً بعد أن أريهم أدواتي على الأقل.

- هيا يا كوليم، هذا ليس من طبعك. (مد يده ببطء عبر الطاولة، تردد للحظة، ثم ربت على كتف صديقه الباكي بشكل غير مريح) لقد ارتكبت بعض الأخطاء، لكن ألسنا جميعًا كذلك؟ إنها في الماضي، ولا يمكن تغييرها. لا يوجد شيء يمكن فعله الآن سوى أن نحاول أن نكون أفضل، أليس كذلك؟

ما هذا؟ هل يمكن أن يكون أنا من يتحدث؟ المفتش جلوكتا، معزي الملهوفين؟ لكن ويست بدا مطمئناً. رفع رأسه، ومسح أنفه السائل، ونظر إلى جلوكتا بأمل وعينين دامعتين: «أنت محق، بالطبع. يجب أن أصلح ما أفسدت. يجب أن أفعل! هل ستساعدني يا ساند؟ هل ستهتم بها في أثناء غيابي؟».

- سأفعل ما بوسعي لأجلها، كوليم، يمكنك الاعتماد علي. كنت فخوراً بأن أدعوك صديقي في الماضي و... أود أن أكون كذلك مرة أخرى. (غريب، لكن جلوكتا كاد يشعر بدمعة في عينه. أنا؟ هل هذا ممكن؟ المفتش جلوكتا، الصديق الموثوق؟ المفتش جلوكتا، حامي النساء الشابات؟ كاد أن يضحك بصوت عالٍ من هذه الفكرة، ومع ذلك ها هو هنا. لم يكن ليتصور أبداً أنه بحاجة إلى صديق، لكن كان شعوراً جيداً أن يكون له واحد من جديد) هوليت.

- ماذا؟

- الأخوات الثلاث، كان اسمهن هوليت. (بينما ضحك بصوت خافت، كانت الذاكرة تتسلل إليه بوضوح أكثر مما قبل) كن مولعات بالمبارزة. أحببنا. ربما بسبب العرق، من يعلم.

- أظن أنني قررت تعلم المبارزة بسببهن. (ضحك ويست، ثم تقلص وجهه وكأنه يحاول تذكر شيء ما) ماذا كان اسم ضابط الإمداد لدينا؟ كان مغرمًا بالصغرى، جن جنونه من الغيرة. ماذا كان اسم ذلك الرجل؟ رجل سمين.

لم يكن صعباً على جلوكتا أن يتذكر الاسم: «ريوز. سالم ريوز».

- ريوز، هذا هو! لقد نسيت أمره تماماً. ريوز! كان يستطيع ذلك الرجل أن يروي القصص أفضل من أي أحد آخر. كنا نجلس طوال الليل نستمع إليه، ونحن نضحك بلا توقف! ما الذي حل به؟

توقف جلوكتا للحظة: «أظن أنه ترك الجيش... ليصبح تاجرًا من نوع ما. (لوح بيده بلا مبالاة) سمعت أنه انتقل إلى الشمال».

عاد إلى الوحل

لم تكن كارليون كما يتذكرها الكلبُ، لكنه اعتاد تذكرها وهي تحترق. ذكرى كهذه تبقى معك. الأسطح تتهاوى، النوافذ تتشقق، حشود المقاتلين في كل مكان، ثملين من الألم والانتصار، ومن الشراب أيضًا؛ النهب والقتل وإشعال الحرائق، وباقي كل تلك الفظائع. صراخ النساء، صياح الرجال، رائحة الدخان والخوف تملأ الهواء. باختصار كانت مجزرة، وكان هو ولوجن في قلبها.

جاء بيثود وأطفأ الحرائق واستولى عليها. ثم بدأ في البناء. لم يمر كثيرًا حتى نفى لوجن والكلبُ والبقية، لكنه على ما يبدو قد استمر بالبناء يوميًا منذ ذلك يوم. أصبحت المدينة الآن ضعف حجمها السابق حتى قبل أن تحترق، تغطي التل بأكمله وكل المنحدر حتى النهر. أكبر من أوفريث. أكبر من أي مدينة رآها الكلبُ من قبل. من مكانه، أعلى الأشجار على الجانب الآخر من الوادي، لم يكن بوسعه رؤية الناس، لكن لا بد أن عددهم كبير جدًا هناك. ثلاثة طرق جديدة تخرج من البوابات. جسران جديدان كبيران. مبانٍ جديدة في كل مكان، والكثير منها كبير حيث كانت المباني الصغيرة. معظمها مبني من الحجر، بأسقف من الألواح الصخرية، وبعض النوافذ فيها زجاج حتى.

قال ثريتريز: «لقد كانوا مشغولين».

قال جَهم: «أسوار جديدة».

تمتم الكلبُ: «الكثير منهم». كانت الأسوار في كل مكان. كان هناك سور كبير حول المدينة، مع أبراج متقنة وكل شيء، وخندق كبير وراءه. وكان هناك سور أكبر حول قمة التل حيث كانت باحة سكارلينج. سور ضخمة. لم يستطع الكلبُ فهم كيف حصلوا على كل ذلك الحجر لبنائه. قال: «أكبر سور رأيته في حياتي».

هز ثريتريز رأسه: «لا يعجبني الأمر. إذا قُبِضَ على فورلي، فلن نستطيع إخراجه أبدًا».

- إذا قُبِضَ على فورلي، سيكون هناك خمسة منا، وسيبحثون عنا. هو ليس تهديدًا لأحد، لكن تهديد إخراجه سيكون أقل همومنا. سيتدبر أمره، كعادته. ربما سيعيش أكثر منا جميعًا.

تمتم ثريتريز: «لن يفاجئني ذلك، نحن في مهنة خطيرة».

انسلوا عائدين عبر الأدغال، عائدين إلى المخيم. كان الضوُّ الأسود هناك، يبدو أسوأ مزاجًا من المعتاد. تال دورو أيضًا، منهمك في خياطة ثقب في معطفه بإبرة، وجهه متجدد وهو يحاول بيديه الضخمتين التعامل مع تلك الشظية الصغيرة من المعدن. جلس فورلي بالقرب منه، ينظر إلى السماء من خلال الأوراق.

سأل الكلبِي: «كيف حالك يا فورلي؟».

- سيئ، لكن يجب أن تشعر بالخوف لتحظى بالشجاعة.

ابتسم الكلبِي له: «هذا ما سمعت أيضًا. أعتقد أننا أبطال إذن، أليس كذلك؟».

قال مبتسمًا: «لا بد أننا كذلك».

كان ثريتريز في غاية الجدية: «هل أنت متأكد من هذا يا فورلي؟ متأكد أنك تريد الدخول هناك؟ بمجرد دخولك، قد لا تستطيع الخروج، مهما كنت ماهرًا في الحديث».

- أنا متأكد. قد أكون مرعوبًا، لكنني ذاهب. أستطيع فعل المزيد هناك مما أستطيع فعله هنا. يجب أن يحذرهم أحد من الشانكا. أنت تعرف ذلك يا زعيم. من غيري هناك؟

أوماً العجوز برأسه ببطء، كما تشرق الشمس. يأخذ وقته، كعادته: «نعم. حسنًا. قل لهم إنني أنتظر هنا، عند الجسر القديم. قل لهم إنني وحدي. فقط في حال قرر بيتود أنك غير مرحب بك، تفهم؟».

- أفهم. أنت وحدك يا ثريتريز. نحن فقط من عبر الجبال.

تجمعوا جميعًا الآن، وابتسم فورلي لهم: «حسنًا، يا رفاق، لقد كانت رحلة، أليس كذلك؟».

تجههم الضؤُ: «اصمت، أيها الأضعف، بيثود ليس لديه شيء ضدك. ستعود».

- لكن في حال لم أعد. لقد كانت رحلة.

أوماً له الكلبُ بارتباك. كانت الوجوه المعتادة، المتسخة والملاى بالندوب، لكن أكثر عبوساً من أي وقت مضى. لم يكن أي منهم يحب تعريض أحدهم للخطر، لكن فورلي كان محقاً، كان يجب على أحدهم القيام بذلك، وكان هو الأنسب. أحياناً يكون الضعف درعاً أفضل من القوة، كما ظن الكلبُ. كان بيثود رجلاً شريراً، لكنه ذكي. الشانكا قادمون، وكان بحاجة إلى التحذير. نأمل أن يكون ممتناً لذلك.

ساروا معاً إلى حافة الأشجار، ينظرون نحو الطريق. كان يعبر الجسر القديم وينحدر إلى الوادي. من هناك إلى بوابات كارليون. إلى قلعة بيثود. أخذ فورلي نفساً عميقاً، وربت الكلبُ على كتفه: «حظاً سعيداً يا فورلي. حظاً سعيداً».

- ولكم أيضاً. (ضغط فورلي على يد الكلبِ للحظة) لكم جميعاً، أليس كذلك؟

ثم استدار وسار نحو الجسر، رافعاً رأسه.

صاح الضؤُ الأسود، مفاجئاً الجميع: «حظاً سعيداً يا فورلي!».

استدار الأضعف للحظة، واقفاً فوق الجسر، وابتسم. ثم اختفى.

أخذ ثريتريز نفساً عميقاً. وقال: «الأسلحة، تحسباً ألا يرغب بيثود في سماع العقل. وانتظروا الإشارة، حسناً؟».

بدا الانتظار طويلاً، مختبئين بين أوراق الشجر، متحفظين على الهدوء والثبات، يراقبون تلك الأسوار الجديدة. كان الكلبُ مستلقياً على بطنه، قوسه قريب منه، يراقب وينتظر، متسائلاً عن حال فورلي في الداخل. وقت طويل ومتوتر. ثم رأهم. مجموعة من الفرسان يخرجون من أقرب بوابة، يعبرون أحد الجسور الجديدة، يجتازون النهر. كان لديهم عربة في المؤخرة. لم يفهم الكلبُ سبب وجود عربة، ولم يعجبه الأمر. لم يظهر فورلي، ولم يكن متأكداً إن كان هذا شيئاً جيداً أم سيئاً.

تقدموا بسرعة، يحثون خيولهم على الصعود في الوادي، متجهين نحو الأشجار والجسر الحجري القديم الذي يعبر فوق الجدول. كانوا قادمين مباشرة نحو الكلبى. كان يسمع وقع الحوافر على الأرض. باتوا قريبين بما يكفي للعد الآن، والتدقيق فيهم. رماح ودروع جيدة، خوذات وسلاسل معدنية. عشرة منهم، واثنان آخران يجلسان على العربية، كل منهما على جانب السائق، يحملان شيئاً يشبه الأقواس الصغيرة المثبتة على كتل من الخشب. لم يفهم الكلبى ماهية هذه الأسلحة، ولم يعجبه عدم معرفته. فهو من كان ينبغي أن يفاجئهم، وليس العكس.

تزلق على بطنه عبر الشجيرات، عبر الجدول بسرعة، واتجه نحو حافة الأشجار، حيث يمكنه رؤية الجسر القديم بوضوح. كان ثريتريز وتال والضوء واقفين بالقرب من الجسر، فأشار إليهم. لم يستطع رؤية وجههم، فلا بد أنه كان بعيداً في الغابة. صنع علامة الفرسان، رفع قبضته ليشير إلى عشرة، ووضع يده على صدره ليقول إنهم مدرعون.

أمسك الضوء بسيفه وفأسه، وانطلق صاعداً كومة من الصخور المتكسرة العالية بجوار الجسر، محافظاً على انحنائه وصمته. أما تال، فانزلق على الضفة إلى النهر، ولحسن الحظ لم يكن أعمق من ركبتيه حينها، وألصق جسده الضخم على الجانب البعيد من الكوبري المقوس، ممسكاً بسيفه الطويل الكبير فوق الماء. أصاب ذلك الكلبى ببعض التوتر، فقد كان يرى تال بوضوح من مكانه. ومع ذلك، فإن الفرسان لن يروه أبداً إذا أتوا مباشرة عبر الطريق، لأنهم لن يتوقعوا سوى رجل واحد وحده، وأمل الكلبى ألا يتقدموا بحذر شديد. كان يأمل، لأنهم لو تفحصوا جيداً فستكون كارثة بكل معنى الكلمة.

راقب ثريتريز وهو يشد درعه على ذراعه، ويستل سيفه، ويمدد عنقه، ثم وقف وحيداً، كبيراً وثابتاً، يسد الطريق على جانب الجسر القريب، وكأنه وحيد في العالم.

سمع الكلبى وقع حوافر الخيل بوضوح الآن، وصوت عجلات العربية تتردد خارج الأشجار. أخرج بعض السهام وغرزها في الأرض، برؤوسها للأسفل، حيث يمكنه الوصول إليها بسرعة. بذل جهده ليبتلع خوفه. كانت أصابعه ترتجف طوال الوقت، لكن ذلك لا يهم. ستؤدي عملها جيداً حين يحين الوقت. همس لنفسه: «انتظر الإشارة، انتظر الإشارة».

لَقَمَ أحد سهامه في القوس وسحب الوتر لنصف مسافته، مصوبًا نحو الجسر. اللعنة، كان بحاجة ماسة إلى التبول.

ظهر أول رأس رمح فوق قمة التل، ثم توالى باقي الخوذات والصدور المدرعة ووجوه الخيول، شيئًا فشيئًا تقدموا نحو الجسر. كانت العربّة تتبعهم، يقودها سائقها وركابها المريبون، يجرها حصان ضخم كثيف الشعر.

رأى الفارس المتقدم ثريتريز الآن، ينتظره، فوق الجسر، فحثَّ فرسه على التقدم. تنفس الكلبى بسهولة أكبر عندما تبعته بقية المجموعة في كتلة واحدة، ملأى بالحماس. لا بد أن فورلي قال لهم كما أمر، كانوا يتوقعون رجلًا واحدًا فقط. بينما رأى الكلبى تال يتلصص من تحت الكوبري المقوس المغطى بالطحلب، كانت الخيول تعبر فوقه. بحق الموتى، كانت يداه ترتعشان. كان قلقًا من أن يطلق السهم نصف مشدود ويفسد كل شيء.

توقفت العربّة على الضفة الأخرى، ووقف الرجلان عليها ووجها أقواسهما الغربية نحو ثريتريز. صوب الكلبى بدقة نحو أحدهما، وسحب الخيط حتى نهايته. كان معظم الفرسان قد وصلوا الآن إلى الجسر، خيولهم مضطربة، غير مرتاحة لكونها مزدحمة بهذا الشكل. الفارس في المقدمة أوقف حصانه أمام ثريتريز، موجهاً رمحه نحوه. لكن العجوز لم يتراجع خطوة واحدة. لم يفعلها قط. كل ما فعله هو العبوس، مانعًا الفرسان من تجاوزه، وحاصرهم على الجسر.

سمع الكلبى قائدهم يقول: «حسنًا، حسنًا، راد ثريتريز. ظننا أنك ميت منذ زمن، أيها العجوز». كان يعرف الصوت. إنه أحد رجال بيتود، من زمن بعيد. كانوا يطلقون عليه خبيث كفاية.

قال ثريتريز، دون أن يتراجع شبرًا: «أظن أنني ما زلت أحتفظ بقتال أو اثنين في جعبتي».

ألقي خبيث كفاية نظرة حوله، يحاول التحديق إلى الأشجار، وكان واعيًا بما يكفي ليدرك أنه في وضع سيئ، لكنه لم يكن حذرًا بما فيه الكفاية: «أين بقية جماعتكم؟ أين ذلك الوغد الضو؟».

هز ثريتريز كتفيه: «أنا وحدي».

بالكاد استطاع الكلبى رؤية ابتسامة خبيث كفاية تحت خوذته: «إلى الوحل مجددًا، أليس كذلك؟ مؤسف. كنت أمل أن أكون أنا من يقتل ذلك الودع القذر».

جفل الكلبى، وهو يتوقع أن ينقض الضو من تلك الصخور في أي لحظة، لكن لم يظهر له أثر. لم يكن هذا وقته بعد. كان ينتظر الإشارة، ولو لمرة واحدة.

سأل ثريتريز: «أين بيثود؟».

- الملك لا يخرج لأمثالك! على أي حال، هو في آنجلاند، يركل مؤخرات الاتحاد. الأمير كالدري تولى الأمور في أثناء غيابه.

ضحك ثريتريز بسخرية: «أمير الآن، هاه؟ أتذكره وهو يرضع من ثدي أمه. بالكاد كان يستطيع فعل ذلك بشكل صحيح».

- الكثير تغير، أيها العجوز. أشياء كثيرة.

بحق الموتى، تمنى الكلبى لو ينتهون من الأمر بأي طريقة. بالكاد استطاع السيطرة على حاجته إلى التبول. كان يهمس لنفسه: «انتظر الإشارة»، فقط ليحافظ على ثبات يديه.

قال ثريتريز: «مسطحو الرأس في كل مكان، سيحلون جنوبًا بحلول الصيف القادم، وربما قبل ذلك. يجب أن نفعل شيئًا».

- حسنًا، لماذا لا تأتي معنا؟ يمكنك تحذير كالدري بنفسك. أحضرنا عربة لتوصيلك. رجل في مثل عمرك يجب ألا يمشي.

ضحك بعض الفرسان على ذلك، لكن ثريتريز لم يشاركهم الضحك.

قالها بصوت خشن: «أين فورلي؟ أين الأضعف؟».

ازداد الضحك بين الفرسان. قال خبيث كفاية: «أوه، هو قريب جدًا، قريب جدًا. لماذا لا تتركب العربة، وسنأخذك إليه مباشرة. حينها يمكننا جميعًا الجلوس والتحدث عن مسطحي الرأس، بهدوء وسلام».

لم يعجب الكلبى هذا الأمر. قط. كان لديه شعور سيئ. قال ثريتريز: «لا بد أنكم تظنونني نوعًا جديدًا من الحمقى، لن أذهب إلى أي مكان حتى أرى فورلي».

تجهم خبيث كفاية عند سماعه ذلك: «أنت لست بموضع إملاء أوامر علينا. قد كنت الرجل الكبير يومًا ما، لكنك لا شيء الآن، وهذه حقيقة. سلم سيفك واصعد إلى العربة اللعينة كما أمرتك، قبل أن أفقد أعصابي».

حاول أن يحرك حصانه للأمام مرة أخرى، لكن ثريتريز لم يتحرك قيد أنملة قال بغضب: «أين فورلي؟ وأريد إجابة صريحة، أو سأمزق أحشاءك». ابتسم خبيث كفاية وألقى نظرة على رفاقه، وابتسموا بدورهم: «حسنًا، أيها العجوز، ما دمت تطلب، كالدر أراد منا أن ننتظر هذه اللحظة، لكنني لا أستطيع تفويت رؤية وجهك الآن. الأضعف في العربة. على الأقل، معظم أجزائه». ثم ابتسم وأسقط شيئًا من فوق سرجه. كيس من القماش، وبداخله شيء ما. خمن الكلبى بالفعل ما هو. سقط الكيس بالقرب من قدمي ثريتريز، وتدحرج منه شيء ما. على وجه ثريتريز، عرف الكلبى أنه خمن بشكل صحيح. كان رأس فورلي.

حسنًا، كان هذا هو الأمر، بالطبع. اللعنة على الإشارة. اخترق السهم الأول للكلبى أحد الرجال على العربة، مباشرة في صدره، فصرخ وسقط إلى الخلف، وسحب السائق معه. كانت رمية موفقة، لكن لم يكن هناك وقت للتفكير في ذلك، فقد كان مشغولًا جدًا في التحضير لسهم آخر وهو يصرخ. لم يكن يعرف حتى بما كان يصرخ، كل ما يعرفه هو أنه كان يفعل. لا بد أن جهم رمى سهامه أيضًا، إذ إن أحد الرجال على الجسر أطلق صرخة وسقط عن حصانه واندفع إلى الجدول.

انحنى ثريتريز في وضعية دفاعية، مختبئًا خلف درعه، يتراجع ببطء بينما خبيث كفاية يحاول طعنه برمح، محرّكًا حصانه بعيدًا عن الجسر وعلى الطريق في جهتنا.

حاول الفارس خلفه الالتفاف حوله، متحمسًا لمغادرة الجسر، واقترب كثيرًا من الصخور.

صاح الضوُّ وهو ينقض من فوق الصخور عليهم: «أيها الأوغاد اللعناء! مصطدماً بالفارس. تدحرجا معًا، في فوضى من الأطراف والأسلحة، لكن الكلبى استطاع رؤية الضوُّ وهو يسيطر. ارتفعت فأسه وانخفضت مرتين بسرعة، ليترك فارسًا أقل يتوجب القلق بشأنه.

أطلق الكلبِيُّ سهمه الثاني، لكنه ذهب بعيدًا عن الهدف، فقد كان منشغلًا بالصراخ أكثر من التصويب، لكن السهم أصاب أحد الخيول في مؤخرته، وكان ذلك أفضل من أي شيء آخر. بدأ الحصان في الصعود والاضطراب، وسرعان ما بدأت جميع الخيول تدور وتصرخ، بينما يلعن الفرسان ويتخبطون حولها، الرماح تتطاير في كل الاتجاهات، والضجيج والفوضى في كل جانب.

وفي لحظة واحدة، شُطر الفارس الخلفي إلى نصفين، والدم يتناثر في كل مكان. تال الضخم كان قد جاء من النهر، والتف من خلفهم. لا توجد دروع تستطيع صد ضربة كهذه. العملاق زار ولوح بسيفه الضخم الملطخ بالدماء فوق رأسه مرة أخرى. الفارس التالي رفع درعه في الوقت المناسب، لكنه لم يكن ليفعل فرقًا. السيف مزق قطعة كبيرة من الدرع، وفتح رأسه وأطاح به من السرج. كانت الضربة قوية لدرجة أنها أسقطت الحصان نفسه أيضًا.

كان أحد الفرسان قد تمكن أخيرًا من إدارة حصانه، رافعًا رمحه ليطلعن تال من الجانب. قبل أن يتمكن من ذلك، نخر وارتعش وتقوس ظهره للخلف. استطاع الكلبِيُّ رؤية الريش المثبت في جانبه. جَهِم لا بد أنه أصابه بسهم، وسقط الفارس على الأرض. علقت قدمه في الركاب، وبقي معلقًا وهو يتأرجح. كان يئن ويحاول تصحيح وضعه، لكن حصانه كان يركض بجنون مع الآخرين، مما جعله يتراقص بطريقة مروعة، ورأسه يصطدم بجانب الجسر. أسقط رمحه في النهر، وحاول سحب نفسه للأعلى، ثم ركل الحصان كتفه نصف ركلة وأسقطه أرضًا. سقط تحت حوافر الخيول ولم يعد الكلبِيُّ يهتم لأمره.

كان الرامي الثاني لا يزال جالسًا على العربة. بدأ يتغلب على صدمته الآن، ووجّه قوسه الغريب نحو ثريتريز الذي كان لا يزال مختبئًا خلف درعه. أطلق الكلبِيُّ سهمًا نحوه، لكنه كان متسرعًا، وأخطأ السهم هدفه وأصاب السائق في كتفه، فأسقطه مرة أخرى في مؤخرة العربة.

رَنَ وتر القوس، وارتد ثريتريز خلف درعه. قلق الكلبِيُّ للحظة، لكنه رأى أن السهم قد اخترق الخشب السميك للدرع وتوقف قبل أن يصل إلى وجه ثريتريز مباشرة. كان السهم مغروزًا في الدرع، الريش يخرج من جهة، والطرف الحاد من الجهة الأخرى. فكر الكلبِيُّ: إنه قوس شرير حقًا.

سمع تال يزأر، وشاهد فارسًا آخر يطير إلى النهر. آخر سقط بسهم من جَهِم في ظهره. استدار الضوُّ وقطع الأرجل الخلفية لحصان خبيث كفاية

بسيفه، فتعثرت وانزلقت، وأطاحت بخبيث كفاية على الأرض. كان أواخر
الفرسان محصورين الآن. الضوُّ وثريريز في نهاية الجسر من جهة، وتال في
الجهة الأخرى، والخيول المرعوبة التي فقدت فرسانها منعتهم من الالتفاف
أو الهروب. كانوا عند رحمة جَهم في الغابة. ويبدو أن جَهم لم يكن في مزاج
رحيم، إذ لم يستغرق الأمر وقتًا طويلاً ليقتلهم واحدًا تلو الآخر.

حاول الرامي ذو القوس الغريب الهروب، قاذفًا قوسه بعيدًا، وقفز من
العربة. ركَز الكلبِيُّ جيدًا هذه المرة، وأصاب سهمه الرامي مباشرة بين كتفيه،
وأسقطه على وجهه قبل أن يتمكن من قطع أكثر من خطوات قليلة. حاول
الزحف، لكنه لم يذهب بعيدًا. ظهر السائق مرة أخرى، يتأوه وهو يمسك
السهم المغروز في كتفه. لم يكن الكلبِيُّ يقتل عادة الرجال الجرحى، لكنه
رأى أن اليوم استثناء مناسب. أصاب السهم السائق في فمه، وانتهى أمره
بذلك.

رأى الكلبِيُّ أحد الفرسان يعرج مبتعدًا، وقد غُرز أحد سهام جَهم في
ساقه. صوب عليه بسهمه الأخير، لكن ثريتريز وصل إليه أولاً وغرز سيفه في
ظهره. كان هناك آخر لا يزال يتحرك، يحاول النهوض على ركبتيه، فصوب
الكلبِيُّ نحوه، ولكن قبل أن يطلق سهمه، تقدم الضوُّ وقطع رأسه بضربة
واحدة. بينما الدم تنثر في كل مكان، كانت الخيول لا تزال تتجول مذعورة،
تصرخ وتنزلق على الحجارة الزلقة للجسر.

الآن تمكن الكلبِيُّ من رؤية خبيث كفاية، آخر من تبقى. يبدو أنه فقد
خوذته عندما سقط عن حصانه. كافح في الجدول، يحبو على يديه وركبتيه،
مثقلًا بوزن الدرع الذي يرتديه. أسقط درعه ورمحه محاولًا الإسراع في
الهروب، لكنه لم يدرك أنه كان يتجه مباشرة نحو الكلبِيِّ.

صرخ ثريتريز: «أمسكوه حيًّا!» انطلق تال عبر ضفة الجدول، لكنه كان
يتقدم ببطء، يتعثّر في الوحل الذي خلّفته العربة. «أمسكوه حيًّا!» كان الضوُّ
أيضًا يطارده، يشتم وهو يترنح في الماء. اقترب خبيث كفاية الآن. استطاع
الكلبِيُّ سماع أنفاسه اللاهثة المذعورة وهو يكافح في الجدول.

«آه!» صرخ عندما اخترق سهم الكلبِيِّ ساقه، أسفل درعه المعدني. انقلب
جانبًا على الضفة، والدم ينزف في الماء الموحد. بدأ يزحف على الأرض
المبتلة بجانب الجدول.

صرخ ثريتريز: «هذا يكفي يا كلبِي! حيًّا!».

انزلق الكلبِيُّ من بين الأشجار ونزل إلى ضفة الجدول، عبر الماء. أخرج خنجره. كان تال والضوُّ لا يزالان بعيدين قليلاً، يهرولان نحوه. تدرج خبيث كفاية في الوحل، وجهه متجه من الألم بسبب السهم المغروز في ساقه. رفع يديه مستسلمًا: «حسنًا، حسنًا، سأغرر...».

سأله الكلبِيُّ وهو ينظر إليه من أعلى: «ستفعل ماذا؟».

قال مجددًا: «سأغرر...»، وقد بدت عليه الدهشة الشديدة، وقد أمسك عنقه بيده. كان الدم يتدفق بين أصابعه، أسفل صدره المغطى بالدرع المبلل. وصل الضوُّ متخبطًا في الماء ووقف بجانبهم، ينظر إلى الأسفل. قال: «حسنًا، هذه نهايته».

صرخ ثريتريز، وهو يسرع نحوه: «لماذا فعلت ذلك؟».

تساءل الكلبِيُّ: «ماذا؟» (ثم نظر إلى خنجره. كان مغطى بالدم) آه». عندها أدرك أنه هو من قطع حلق خبيث كفاية.

قال ثريتريز: «كان بإمكاننا أن نسأله! كان يمكنه أن يحمل رسالة إلى كالدر، يخبره بمن فعل هذا، ولماذا!..».

تمتم تال دورو وهو يمسخ سيفه: «استيقظ يا زعيم، لم يعد هناك من يهتم بالتقاليد القديمة. بالإضافة إلى ذلك، سيلحقون بنا قريبًا. لا جدوى من إخبارهم بأكثر مما يجب».

رَبَّت الضوُّ على كتف الكلبِيِّ: «أحسننت صنعًا. رأس هذا الوغد سيكون كافيًا لإيصال الرسالة». لم يكن الكلبِيُّ واثقًا من أن موافقة الضوِّ هي ما كان يسعى إليه، لكنه أدرك أن الوقت قد فات الآن. احتاج الضوُّ إلى ضربتين حتى يفصل رأس خبيث كفاية. حمله من شعره، بلا اكتراث وكأنه يحمل كيسًا من اللفت. التقط رمحًا من الجدول في طريقه، وجد مكانًا مناسبًا له.

تمتم ثريتريز وهو يتوجه نحو الجسر: «الأمور لم تعد كما كانت»، حيث كان جَهِم بالفعل يتفقد الجثث.

تبعه الكلبِيُّ، يشاهد الضوِّ وهو يفرز رأس خبيث كفاية على الرمح، ثم يدفع الطرف غير الحاد في الأرض. خطا خطوة إلى الوراء، واضعًا يديه على وركيه، ليتأمل عمله. حرَّك الرمح قليلًا إلى اليمين، ثم إلى اليسار، حتى أصبح في الوضع المثالي. ابتسم نحو الكلبِيِّ.

قال: «مثالي».

سأل تال: «وماذا الآن، زعيم؟ ماذا نفعل الآن؟».

كان ثريتريز ينحني عند ضفة النهر، يغسل يديه الملطختين بالدماء في الماء.

سأل الضو: «ماذا نفعل؟».

وقف ثريتريز ببطء، ومسح يديه على معطفه، وأخذ وقته في التفكير: «جنوبًا. ندفن فورلي في الطريق. نأخذ هذه الخيول هنا، لأنهم سيلاحقونا الآن، ونتجه جنوبًا. تال، من الأفضل أن تفك ذلك الحصان الضخم من العربة، فهو الوحيد الذي يمكنه حملك».

سأل تال، وقد بدت عليه الحيرة: «جنوبًا؟ جنوبًا إلى أين؟».

- آنجلاند.

سأل الكلبى، وقد أدرك أنهم جميعًا يفكرون في الأمر: «آنجلاند؟ لماذا؟ ليس هناك قتال؟».

- بالطبع هناك قتال، ولهذا أريد الذهاب.

سأل الضو: «نحن؟ وما شأننا بالاتحاد؟».

قال ثريتريز: «لا، أيها الأحق، أفكر في القتال معهم».

سأل تال بشفتين متقلصتين: «مع الاتحاد؟ مع هؤلاء النسوة؟ هذا ليس قتالنا، يا زعيم».

- أي قتال ضد بيثود هو قتال لي الآن. أريد أن أراه ينتهي. (وحينما يقرر ثريتريز أمرًا، لم يسبق أن رأى الكلبى غيره، ليس مرة واحدة. سأل) من معي؟

كانوا جميعًا معه. بالطبع.

كان المطر يتساقط، رذاذًا خفيفًا يغمر العالم برطوبته. ناعم كقبلة فتاة، كما يقولون، رغم أن الكلبى بالكاد يتذكر كيف تكون واحدة من تلك. المطر. بدا ملائمًا للمناسبة بطريقة ما. كان الضو قد انتهى من تكديس التراب، وشمّ الهواء وعرز المجرفة في الأرض بجانب القبر.

كان المكان بعيدًا جدًا عن الطريق. بعيدًا بما يكفي ليمنع أي أحد من العثور على فورلي ونبشه. تجمعوا حول القبر، خمسة فقط الآن، ينظرون إلى الأسفل. مضى وقت طويل منذ أن كان لديهم أحد يدفنونونه بينهم. الشانكا قد

نالوا من لوجن بالطبع، ليس منذ وقت طويل، لكنهم لم يجدوا الجثة قط. قد يكون العدد بينهم نقص واحدًا، لكن الكلبى شعر أن ما هو مفقود أكثر بكثير. تجهم ثريتريز، وأخذ لحظة ليفكر فيما سيقوله. كان من حسن الحظ أنه كان الزعيم، وكان عليه إيجاد الكلمات، لأن الكلبى لم يعتقد أنه كان سيجد شيئًا ليقوله. بعد دقيقة، بدأ ثريتريز يتحدث ببطء، مثل تلاشي الضوء عند الغروب.

- كان هذا رجلًا ضعيفًا، هنا. الأضعف، وهذه حقيقة. هذا كان اسمه، أليس هذه مزحة؟ أن تسمي الرجل بالأضعف. أسوأ مقاتل يمكنهم العثور عليه ليستسلم لتسع أصابع. مقاتل ضعيف، بلا شك، لكن قلبه كان قويًا، هذا ما أقوله.

قال جهم: «أجل».

قال تال دورو: «قلب قوي».

تمتم الكلبى: «الأقوى». وشعر بشيء من الغصة في حلقه، إن كان صريحًا مع نفسه.

أومأ ثريتريز لنفسه: «يتطلب الأمر شجاعة لمواجهة الموت كما فعل. أن يمشي نحوه بلا شكوى. أن يطلبه. وليس من أجل نفسه، بل من أجل الآخرين، من لم يعرفهم حتى. (جزء ثريتريز على أسنانه وأخذ لحظته، ناظرًا نحو الأرض. فعلوا جميعهم ذلك) هذا كل ما لدي لأقوله. إلى الوحل تعود يا فورلي. نحن أصبحنا أفقر، والأرض أصبحت أغنى بك».

ركع الضو ووضع يده على التربة المقلوبة حديثًا وقال: «إلى الوحل تعود». وظن الكلبى للحظة أن هناك دمعة تتساقط من أنف الضو، لكنه كان يعرف أنها على الأرجح مجرد المطر. فهذا الضو الأسود بعد كل شيء. نهض ومشى بعيدًا برأسه منخفضًا، وتبعه الآخرون، واحدًا تلو الآخر، باتجاه الخيول.

قال الكلبى: «وداعًا يا فورلي، لا مزيد من الخوف».

وشعر الآن أنه هو الجبان الحقيقي في المجموعة.

بؤس

قطب چيزال جبينه. لقد تأخرت آردي. لم تكن تتأخر عادة. كانت موجودة دائماً عندما يصل، في أي مكان اتَّفَقَ عليه. لم يكن يحب أن ينتظرها، ولو للحظة. كان ينتظر رسائلها دائماً، وكان ذلك يثير ضيقه بالفعل. الوقوف هنا كالأبله جعله يشعر بمزيد من العبودية مما كان يشعر به أصلاً.

نظر عابساً نحو السماء الرمادية. كانت بضع قطرات من المطر تتساقط، لتضفي على مزاجه الكئيب انسجاماً. كان يشعر ببعضها بين الحين والآخر، وكأنها وخزات صغيرة على وجهه. رأى الدوائر التي تصنعها القطرات على سطح البحيرة الرمادي، والشرائط الشاحبة التي تتركها على خضرة الأشجار ورمادية المباني. أما الظل القائم لدار الصانع فقد أصبح ضبابياً بفعل المطر. نظر إلى ذلك المبنى بامتعاض خاص.

لم يعرف ما هو شعوره به الآن. كان كل شيء أشبه بكابوس محموم، وكأي كابوس، قرر ببساطة تجاهله والتظاهر بأنه لم يحدث. وكان يمكن أن ينجح في ذلك، لولا أن المبنى اللعين كان يلوح دائماً على أطراف بصره كلما خرج من الباب، يذكره بأن العالم مملوء بالألغاز التي لا يفهمها، وتغلي تحت السطح.

تمتم: «تباً، وتباً لذلك المجنون، باياز، أيضاً».

نظر عابساً عبر المروج المبتلة. المطر أبعد الناس عن الحديقة، فكانت أكثر فراغاً مما رآها منذ فترة طويلة. جلس رجلان تعيسان على المقاعد، يرثيان حالهما بصمت، بينما كان بعض المارة يسرعون في طريقهم من مكان إلى آخر. كان أحدهم يتجه نحوه الآن، ملتفًا بمعطف طويل.

اختفى عبوس چيزال. كانت هي، عرف ذلك فوراً. كانت قد غطت وجهها بغطاء الرأس. علم أن اليوم بارد، لكن هذا بدا مبالغاً فيه. لم يكن يظن أنها

من النوع الذي يزعجه القليل من المطر. لكنه سعد لرؤيتها. سعد جدًا. ابتسم وتقدم نحوها بخطوات سريعة. وعندما اقتربا بضع خطوات، أزال غطاء الرأس عنها.

شهوq چيزال مرتعبًا. كانت هناك كدمة كبيرة أرجوانية اللون على خدها، وحول عينها، وعند زاوية فمها! ظل واقفًا للحظة، متمنيًا، بسذاجة، لو كان هو من تعرض للإصابة بدلًا منها. كان الألم سيكون أخف. أدرك أنه وضع يده على فمه، وعيناه متسعتان كطفلة مذعورة رأَت عنكبوتًا في الحمام، لكنه لم يستطع التحكم في نفسه.

قطبت آردى جبينها: «ماذا؟ ألم تر كدمة من قبل؟».

- بلى، ولكن... هل أنت بخير؟

- بالطبع أنا بخير. (تجاوزته وهي تمشي على الممر. اضطر إلى الإسراع للحاق بها) لا شيء. لقد تعثرت فقط. أنا حمقاء. دائمًا كنت كذلك. طوال حياتي.

قالتها بمرارة، أو هكذا بدا له.

- هل هناك أي شيء يمكنني فعله؟

- وماذا يمكن أن تفعل؟ هل ستُقبَّلُها لتشعُرني بتحسُن؟

لو كانا وحدهما، لما كان ليமானح المحاولة، لكن عبوسها أوضح له رأيها في الفكرة. كان الأمر غريبًا: كان يجب أن تنفره الكدمات، لكنها لم تفعل. على العكس، شعر برغبة جارفة في أن يحتضنها، يمسد شعرها، يهمس لها بكلمات مهدئة. يا له من شعور بائس. ربما كانت ستصفعه لو حاول. وربما كان سيستحق ذلك. لم تكن بحاجة إلى مساعدته. علاوة على ذلك، لم يكن يستطيع لمسها. كان هناك أناس حولهم، اللعنة عليهم، أعين في كل مكان. لا تعلم أبدًا من قد يراك. مجرد التفكير في ذلك جعله يشعر بالقلق.

- آردى... ألا نخاطر؟ أعني، ماذا لو علم أخوك؟

شخرت: «انسَ أمره. لن يفعل شيئًا. لقد أخبرته أن يبتعد عن حياتي. (لم يستطع چيزال إلا أن يبتسم. تخيل أن تلك المحادثة كانت مشهدًا ممتعًا) على أي حال، سمعت أنكم سترحلون إلى أنجلاند مع المد القادم، ولم أستطع أن أدعك ترحل دون أن أودعك، أليس كذلك؟».

قال، وقد عاد إليه الرعب مرة أخرى: «لم أكن لأفعل ذلك! (مجرد سماعها لكلمة وداع كان مؤلماً) أعني، كنت سأدعهم يبحرون دوني قبل أن أرحل دون أن أودعك!». - هه.

سارا بصمت لبعض الوقت، يسيران بمحاذاة البحيرة، وأعينهما على الحصى. لم يكن هذا الوداع المر-الحلو الذي تخيله، بل كان مرًا فقط. مرًا بين جذوع بعض أشجار الصفصاف التي كانت أغصانها تلامس الماء أسفلها. كان المكان منعزلًا، محميًا من الأعين المتطفلة. شعر چيزال أنه لن يجد مكانًا أفضل مما هو فيه الآن لقول ما يريد. نظر إليها جانبًا وأخذ نفسًا عميقًا.

- آردي، لا أعرف كم من الوقت سنغيب. أعتقد أنه قد يكون شهرًا. (عض على شفته العليا). لم تخرج الكلمات كما أراد على الإطلاق. كان قد تدرب على هذا الخطاب عشرين مرة على الأقل، أمام المرأة، حتى أتقن تعابير الوجه المناسبة: الجدية، والثقة، والتوسل ببعض الشيء. أما الآن، فالكلمات خرجت على نحو أحمق (متسرع) أمل أن... أعني، ربما... أمل أن تنتظريني؟

- أظن أنني سأظل هنا. ليس لدي ما أفعله. لكن لا تقلق، سيكون لديك الكثير لتفكر فيه في آنجلاند: الحرب، الشرف، المجد وكل ذلك. ستنساني قريبًا.

صاح ممسكًا بذراعها: «لا! لن أنساك!».

سحب يده بسرعة، قلقًا من أن يراه أحد. على الأقل، كانت تنظر إليه الآن، ربما متفاجئة بعض الشيء من شدة إنكاره، ولكن ليس بقدر دهشته هو. رمقها چيزال بنظرة خاطفة. فتاة جميلة بلا شك، لكن بشرتها داكنة جدًا، مسمرة جدًا، ذكية أكثر من اللازم، ملابسها بسيطة بلا جواهر، وعليها كدمة قبيحة كبيرة على وجهها. بالكاد كانت ستثير الكثير من التعليقات في نادي الضباط. كيف لها أن تبدو له أجمل امرأة في العالم؟ كانت الأميرة تيريز مجرد كلب قدر مقارنة بها. اختفت الكلمات الذكية من ذهنه وتحذث دون تفكير، ناظرًا إليها مباشرة. ربما كان هذا هو شعور الصدق.

- انظري، آردي، أعلم أنك ترينني أحمق، وأعتقد أنني كذلك، لكنني لا أنوي أن أظل كذلك دائمًا. لا أعرف لماذا تنتظرين إليّ حتى، ولا أعرف

الكثير عن هذا النوع من الأمور، لكن... حسنًا... أفكر فيك طوال الوقت. لا أكاد أفكر في شيء آخر. (أخذ نفسًا آخر عميقًا) أعتقد. (نظر حوله مجددًا، ليتأكد من عدم وجود أحد يراقب) أعتقد أنني أحبك!

انفجرت بالضحك وقالت: «أنت حقًا أحق (يئس). تحطم تمامًا. لم يعد يستطيع التنفس من شدة خيبة الأمل. انكمش وجهه وانخفض رأسه وأخذ ينظر إلى الأرض. اغرورقت عيناه بالدموع. دموع حقيقية. يا له من مشهد بائس) لكنني سأنتظر. (فرحة. تضخمت في صدره وانفجرت في شهقة طفولية. كان عاجزًا. كان الأمر مثيرًا للسخرية، هذه القوة التي تملكها عليه. الفارق بين البؤس والسعادة كان في كلمة واحدة منها. ضحكت مجددًا) انظر إليك، أيها الأحق».

رفعت يدها ولمست وجهه، ومسحت دمعة عن خده بإبهامها. قالت: «سأنتظر»، وابتسمت له. تلك الابتسامة المائلة.

اختفى الناس، الحديقة، المدينة، العالم. ظل جيزال ينظر إلى آردي، لا يعرف كم من الوقت، محاولاً أن يطبع كل تفصيل من وجهها في ذاكرته. شعر، لسبب ما، أن ذكرى تلك الابتسامة ستكون ما يعينه على تجاوز الكثير.

عجت أحواض السفن بالنشاط، أكثر حتى من المعتاد. امتلأت أرصفة التحميل بالأشخاص، وامتلاء الهواء وضج بأصواتهم. تدفق الجنود والإمدادات بلا انقطاع عبر الممرات الزلقة إلى السفن. صناديق كانت تُرفع، وبراميل تُدحرج، ومئات من الخيول تُسحب وتُدفع وتُركل صعودًا، أعينها جاحظة، وأفواهها تتطاير منها الرغوة. الرجال يئنون ويتأوهون، يشدون الحبال المبتلة، يضغطون على العوارض المبتلة، يتصببون عرقًا ويصرخون في المطر المتناثر، يتزحلقون على الأسطح المبللة، يركضون هنا وهناك في فوضى ملحمة.

في كل مكان، الناس يتعانقون، يتبادلون القبلات، يلوحون لبعضهم بعضًا. زوجات يودعن أزواجهن، أمهات يودعن أبناءهن، أطفال يودعون آباءهم، كلهم مبتلون ومبعثرون على حد سواء. البعض كان يحاول أن يبدو متماسكًا، والبعض الآخر يبكي وينوح. آخرون لم يهتموا: مجرد متفرجين جاؤوا لمشاهدة الجنون.

لم يكن لكل ذلك أي معنى بالنسبة إلى چيزال، وهو يتكئ على الدرازين المهترئ للسفينة التي ستحملة إلى أنجلاند. كان غارقاً في كآبة شديدة، أنهه يسيل، وشعره ملتصق بفروة رأسه بسبب البلل. لم تكن أردي هناك، لكنها كانت حاضرة في كل مكان. كان يسمع صوتها فوق الضجيج، تنادي باسمه. كان يلمحها بطرف عينه، تنظر إليه، فتحتبس أنفاسه. كان يبتسم ويرفع يده ليُلوح، ثم يدرك أنها ليست هي. امرأة أخرى بشعر داكن، تبتسم لجندي آخر. تتراخي كتفاه من جديد. في كل مرة كان شعور الخيبة أشد إيلامًا.

أدرك الآن أنه ارتكب خطأ فادحًا. لماذا طلب منها الانتظار؟ الانتظار لماذا؟ لم يكن بإمكانه الزواج بها، كان ذلك أمرًا مستحيلًا. لكن مجرد فكرة أنها قد تنظر إلى رجل آخر جعلت معدته تنقلب. كان بائسًا.

الحب. كان يكره الاعتراف بذلك، لكنه اضطر إلى ذلك. كان دائمًا ينظر إلى مفهوم الحب بازدراء. كلمة حمقاء. كلمة يستخدمها الشعراء الرديئون، وتثرثر بها النساء الساذجات. شيء يوجد في القصص الطفولية، ولا علاقة له بالعالم الحقيقي، حيث العلاقات بين الرجال والنساء مسألة بسيطة تتعلق بالجنس والمال. ومع ذلك، ها هو الآن غارق في مستنقع من الخوف والذنب، الشهوة والارتباك، الفقد والألم. الحب. يا له من لعنة.

تمتم كاسبا بحنين: «أود رؤية أردي».

استدار چيزال لينظر إليه: «ماذا؟ ماذا قلت؟».

قال الملازم، رافعًا يديه: «مشهد يستحق الرؤية، هذا كل ما في الأمر». الجميع كان يتعامل معه بحذر منذ تلك اللعبة، وكأنهم يخشون أن ينفجر في أي لحظة.

عاد چيزال يائسًا للنظر إلى الحشود. كان هناك نوع من الفوضى في الأسفل. فارس على حصان شق طريقه عبر الحشود، يدفع حصانه المبتل بصرخات متكررة من «ابتعدوا!» حتى في المطر، كانت الأجنحة على خوذته تتلأأ. نذير الملك.

تمتم كاسبا: «أخبار سيئة لشخص ما».

أوماً چيزال: «يبدو أنها لنا». كان الفارس متجهًا مباشرة إلى سفينتهم، تاركًا وراءه سلسلة من الجنود والعمال المذهولين والغاضبين. نزل من

السرّج وسار بخطوات واثقة فوق الممر، ووجهه عابس، ودرّعه اللامعة مغطاة بالرطوبة وتصدر أصواتًا عند كل خطوة.

سأل: «النقيب لوثار؟».

قال چيزال: «نعم، سأذهب لإحضار العقيد».

- لا حاجة إلى ذلك. رسالتي موجهة إليك.

- إليّ؟

- القاضي الأعلى ماروفيا يطلب حضورك في مكتبه. فورًا. من الأفضل

أن تأخذ حصاني.

قطب چيزال جبينه. لم يعجبه هذا الأمر على الإطلاق. لم يكن هناك سبب

واضح في ذهنه لجعل نذير الملك ينقل رسالة إليه، إلا إذا كان ذلك بسبب

دخوله دار الصانع. لم يكن يريد أي علاقة بهذا الأمر مجددًا. أراد أن يكون

الماضي منسيًا، جنبًا إلى جنب مع باياز، وشماليه، وذلك الأعرج المقزز.

- القاضي الأعلى في انتظارك، أيها النقيب.

- نعم، بالطبع.

لم يكن هناك ما يمكن فعله.

- آه، النقيب لوثار! شرف لي أن أراك مجددًا! (لم يتفاجأ چيزال للقاء

المجنون سالفور، حتى هنا، خارج مكاتب القاضي الأعلى. لم يعد يبدو

مجنونًا حتى، بل مجرد جزء آخر من عالم فقد تمامًا صوابه. صاح)

شرف مطلق!

قال چيزال بفتور: «وأنا كذلك».

- كم أنا محظوظ بلقائك، ونحن على وشك الرحيل قريبًا! سيدي لديه

العديد من المهام لي. (تنهد بعمق) لا يوجد أدنى لحظة من السلام،

أليس كذلك؟

- بلى، أعرف ما تعنيه.

- لكن، يا له من شرف أن أراك، ومنتصرًا في المسابقة! لقد شاهدت كل

شيء، كان شرفًا لي أن أكون شاهدًا على ذلك. (ابتسم ابتسامة واسعة،

عيناه المختلفتان تلتمعان) وأن تفكر، كنت على وشك التخلي عنها. ها!
لكنك صمدت، كما قلت لك! نعم فعلت، والآن تجني الثمار! حافة العالم.
(همس برفق، وكأنه إذا قال الكلمات بصوت عالٍ سيستدعي الكارثة)
حافة العالم. هل يمكنك أن تتخيل؟ أنا أحسدك، حقًا.

رمش چيزال: «ماذا؟».

- ماذا؟ ها! يقول ماذا! أنت لا تعرف الخوف، سيدي! لا تعرف الخوف!
ثم انطلق سالفور عبر ساحة المارشالات المبتلة، يضحك بينه وبين نفسه.
كان چيزال مذهولًا لدرجة أنه لم يستطع حتى أن ينطق بكلمة لسببه بمجرد
أن خرج من مجال السمع.

قاده أحد كتبة ماروفيا العديدة عبر ممر خالٍ وصامت، باتجاه بابين
كبيرين. توقف أمامهما وطرق. وعند سماع الرد، أدار المقبض وفتح أحد
الأبواب، واقفًا جانبًا بأدب لچيزال ليمر.

قال بهدوء بعد أن انتظروا هناك لبعض الوقت: «يمكنك الدخول».

- نعم، نعم، بالطبع.

كانت القاعة الهائلة وراء الباب صامتة بشكل مخيف. الأثاث كان نادرًا
وغريبًا في تلك المساحة المكسوة بالألواح، وما كان موجودًا منها بدا ضخمًا،
وكانه مخصص لأشخاص أكبر بكثير من چيزال. جعله ذلك يشعر كأنه على
وشك محاكمته.

جلس القاضي الأعلى ماروفيا خلف طاولة ضخمة، سطحها اللامع يشبه
المرآة، يبتسم لچيزال بابتسامة لطيفة، وإن كانت تحمل لمحة من الشفقة.
جلس المارشال فاروز إلى يساره، يحدق إلى أسفل لانعكاسه الضبابي على
سطح الطاولة كالمنذب. لم يكن چيزال يعتقد أنه يمكن أن يشعر باكتئاب
أكثر مما كان عليه، لكنه أدرك خطأه عندما رأى العضو الثالث في المجموعة،
باياز، بابتسامته الملأى بالرضا. شعر بموجة من الذعر عندما أغلق الباب
خلفه، صوت المزلاج كان أشبه بصوت قفل زنزانة سجن.

نهض باياز من كرسيه واقترب من الطاولة: «النقيب لوثار، يسعدني أنك
انضمت إلينا. (أمسك العجوز بيد چيزال المبتلة بكلتا يديه وضغط عليها
بقوة، وقاده إلى داخل الغرفة) شكرًا على قدومك، شكرًا جزيلاً».

- أوه، بالطبع.

كما لو كان لديه خيار.

- حسنًا، لا شك أنك تتساءل عن سبب وجودك هنا. دعني أشرح. (تراجع باياز وجلس على حافة الطاولة، مثل عم ودود يخاطب طفلًا) أنا وعدد من الرفاق الشجعان -أناس مختارون، تفهم؟ أشخاص من النخبة- نشرع في رحلة عظيمة! رحلة ملحمية! مغامرة كبرى! ليس لدي شك في أنه، إذا نجحنا، ستكون هناك قصص تُروى عن هذا الأمر لسنوات عديدة. سنوات طويلة جدًا. (تجعد جبين باياز وهو يرفع حاجبيه الأبيضان) ما رأيك؟

- أوه. (نظر چيزال بعصبية إلى ماروفيا وفاروز، لكنهما لم يقدم أي تلميح عما يجري) إذا سمحتم لي؟

- بالطبع، چيزال، هل يمكنني مناداتك بچيزال؟

- نعم، حسنًا، أعتقد... بالطبع. الأمر هو... كنت أتساءل، ما علاقتي بكل هذا؟

ابتسم باياز: «ينقصنا رجل».

ساد صمت طويل وثقيل. قطرة ماء تسلت عبر فروة رأس چيزال، سالت من شعره، وانزلقت على أنفه، وسقطت على البلاط تحت قدميه. زحف الرعب ببطء عبر جسده، من معدته إلى أطراف أصابعه. تمتم بصوت مبجوح: «أنا؟».

- الطريق سيكون طويلًا وصعبًا، على الأرجح مملوءًا بالمخاطر. لدينا أعداء هناك، أنا وأنت. أعداء أكثر مما تتخيل. من يمكن أن يكون أكثر فائدة من مبارز ماهر مثلك؟ الفائز في المسابقة، لا أقل!

ابتلع چيزال ريقه: «أقدر العرض، حقًا، لكن أخشى أن أضطر إلى رفضه. مكاني مع الجيش، تفهم. (وتراجع خطوة للخلف بتردد) عليّ الذهاب إلى الشمال. سفينتي ستبحر قريبًا و...».

قال ماروفيا، وصوته الدافئ يوقف چيزال في مكانه: «أخشى أنها أبحرت بالفعل، أيها النقيب، لم يعد عليك أن تقلق بشأن ذلك. لن تذهب إلى أنجلاند».

- لكن، مولاي، وحدتي...

- ستجد قائدًا آخر، (ابتسم القاضي الأعلى، وكان فهمه وتعاطفه مؤلمين بقدر ما كانا صارمين) أفهم مشاعرك، حقًا، لكننا نعتبر هذا الأمر أكثر إلحاحًا. من المهم أن يُمثَّل الاتحاد في هذه المسألة.

تمتم فاروز بفتور: «أمر بالغ الأهمية»، رمش چيزال وهو ينظر إلى الرجال الثلاثة المسنين. لم يكن هناك مخرج. هل هذه هي مكافأته للفوز بالمسابقة؟ رحلة جنونية إلى مكان مجهول بصحبة رجل عجوز مجنون وجماعة من الهمج؟ كم تمنى الآن لو أنه لم يبدأ مبارزة قط! لو أنه لم يمكس بسيف في حياته! لكن التمني لا يفيد. لم يكن هناك طريق للعودة.

تمتم چيزال: «عليّ أن أخدم بلادي...».

ضحك باياز: «هناك طرق أخرى لخدمة بلدك، يا فتى، غير أن تكون جثة في كومة من الجثث، هناك في الشمال المتجمد. سنغادر غدًا».

- غدًا؟ لكن أشيائي...

قال العجوز وهو ينزل عن الطاولة ويصفع كتفه بحماس: «لا تقلق، أيها النقيب، كل شيء رُتب. أنزلت صناديقك من السفينة قبل أن تبخر. لديك هذا المساء لتعد بعض الأشياء لرحلتنا، لكن يجب أن نسافر خفافاً. أسلحة بالطبع، وملابس متينة للسفر. تأكد من إحضار حذاء جيد، أليس كذلك؟ لا نريد أن ترتدي زيك الرسمي، فقد يجذب نوعاً خاطئاً من الانتباه حيث سنذهب».

قال چيزال بيأس: «نعم، بالطبع، هل لي أن أسأل... إلى أين نحن ذاهبون؟».

التمعت عينا باياز: «إلى حافة العالم، يا فتى، حافة العالم! والعودة، بالطبع... هذا ما نأمله».

التسع الدموية

قل شيئاً واحداً عن لوِجِن الأصابع التسع، قل إنه سعيد. سيغادرون أخيراً. ما عدا حديث عابر عن الإمبراطورية القديمة وحافة العالم، لم يكن لديه أي فكرة عن وجهتهم، ولم يهتم. أي مكان غير هذا المكان الملعون سيكون كافياً، وكلما أسرعوا في الرحيل كان أفضل.

لم يبدُ أحدث أعضاء المجموعة أنه يشاركه معنوياته العالية. لوثار، الشاب المتغطرس من البوابة، الذي فاز بمباراة السيف بفضل غش باياز. بالكاد نطق بكلمتين منذ وصوله، فقط وقف جامداً، وجهه صارم وشاحب كالجص، ينظر عبر النافذة، ظهره مستقيم وكأن لديه رمحاً مغروزاً في مؤخرته لآخره.

تقدم لوِجِن نحوه بتثاقل. إذا كنت ستسافر مع رجل، وربما ستقاتل إلى جانبه، فالأفضل أن تتحدثا وتضحكا معاً إن أمكن. بهذه الطريقة يمكنك أن تفهمه، ثم تثق به. الثقة هي ما يربط المجموعة ببعضها، وفي البرية قد تكون الفارق بين الحياة والموت. بناء هذه الثقة يتطلب وقتاً وجهداً. رأى لوِجِن أن من الأفضل البدء مبكراً، وكان لديه اليوم ما يكفي من المزاج الجيد، فتوقف بجانب لوثار ونظر إلى الحديقة، محاولاً ابتكار نقطة مشتركة يغرس فيها بذور صداقة غير محتملة.

- موطنك جميل.

لم يعتقد ذلك حقاً، لكنه نفذ من الأفكار.

التفت لوثار من النافذة، نظر إلى لوِجِن بازدرء من رأسه حتى أخمص قدميه: «وماذا تعرف أنت عنه؟».

- أعتقد أن آراء الناس كلها لها القدر نفسه من الأهمية.

تهكم الشاب ببرود: «هه، إذن فيبدو أننا نختلف هنا». ثم عاد إلى النظر نحو المنظر.

أخذ لوچن نفساً عميقاً. الثقة قد تستغرق وقتاً. ترك لوثر واتجه نحو كواي بدلاً منه، لكن المتدرب كان بالكاد أكثر وعوداً: مستلقٍ على كرسي، متجهم بلا سبب.

جلس لوچن بجانبه: «ألسمت متحمساً للعودة إلى ديارك؟».

تمتم المتدرب بلا حماس: «الديار».

- نعم، الإمبراطورية القديمة... أو أيّاً كان.

- أنت لا تعرف كيف هو الوضع هناك.

قال لوچن: «يمكنك أن تخبرني»، أملاً في سماع شيء عن وديان هادئة، مدن، أنهار وما إلى ذلك.

- دموي. إنه دموي هناك، وبلا قوانين تحكمه، والحياة لا تساوي التراب.

دموية وبلا قوانين. كان لذلك صدی مزعج مألوف: «أليس هناك إمبراطور

أو شيء من هذا القبيل؟».

- هناك العديد، دائماً ما يحاربون بعضهم بعضاً، يشكلون تحالفات

تدوم أسبوعاً، أو يوماً، أو ساعة، قبل أن يسارعوا لغرز الخنجر في

ظهر بعض. عندما يسقط إمبراطور، يظهر آخر، وآخر، وآخر، وفي

الوقت ذاته، يجمع الياثسون والمعدمون قوتهم من النهب والقتل على

الأطراف. تتضاءل المدن، وتنهار العجائب العظيمة من الماضي، ولا

تُحصَد المحاصيل، ويعاني الناس الجوع. الدماء والخيانة، مئات

السنين منها. أصبحت العداوات عميقة ومعقدة لدرجة أن القليلين فقط

يمكنهم تحديد من يكره من، ولا أحد يستطيع أن يقول لماذا. لم تعد

هناك حاجة إلى الأسباب بعد الآن.

بذل لوچن جهداً أخيراً: «لا أحد يعلم. ربما قد تتحسن الأمور».

تمتم المتدرب: «لماذا؟ لماذا؟».

كان لوچن يبحث عن رد حين فتح أحد الأبواب فجأة. نظر باياز حوله

بعبوس: «أين مالجين؟».

ابتلع كواي ريقه: «غادرت».

- أرى أنها غادرت! اعتقدت أنني قلت لك أن تبقىها هنا!

تمتم المتدرب: «لم تقل لي كيف».

تجاهله معلمه: «ماذا حل بهذه المرأة اللعينة؟ علينا أن نغادر بحلول الظهر! مضت ثلاثة أيام منذ عرفتتها، وقد أوصلتني بالفعل إلى حافة الجنون! (جَزَّ على أسنانه وأخذ نفسًا عميقًا) ابحث عنها يا لوچن. ابحث عنها وأعدّها».

- وإذا لم ترغب في العودة؟

- لا أعلم، احملها! يمكنك اقتيادها هنا بالركل إذا لزم الأمر!

سهل القول، لكن لوچن لم يكن متحمسًا لتجربة ذلك. ومع ذلك، إذا كان يجب القيام بذلك ليتمكنوا من الرحيل، فالأفضل القيام به الآن. تنهد، نهض من كرسيه وتوجه نحو الباب.

ضغط لوچن نفسه في الظلال بجانب الجدار، يراقب.

تمتم لنفسه: «تَبًّا». بالطبع كان يجب أن يحدث هذا الآن، وهم على وشك المغادرة. كانت فيرو على بعد عشرين خطوة، تقف منتصبية بعبوس أعمق من المعتاد على وجهها الداكن. كان هناك ثلاثة رجال يحيطون بها. رجال ملثمون، يرتدون السواد. عصيهم مائلة بجانب أرجلهم، خلف ظهورهم، نصفها مخفي عن الأنظار، لكن لم يشك لوچن في نواياهم. كان بإمكانه سماع أحدهم يتحدث، هامسًا خلال قناعه، شيئًا ما عن القدوم بهدوء. جفل لذلك، فبالقدوم بهدوء لا يبدو من طباع فيرو.

تساءل إذا كان عليه أن يتسلل ليخبر الآخرين. لم يكن بإمكانه القول إنه يحب المرأة كثيرًا، ليس بما يكفي لأن يتعرض لت هشيم رأسه من أجلها. لكن إذا تركها هكذا، ثلاثة ضد واحد، فمن المحتمل أن تُهشَّم قبل عودته، مهما كانت قوتها، وسيأخذونها لمكان مجهول. وربما لن يخرج من هذه المدينة اللعينة حينها.

بدأ لوچن يحسب المسافة، يفكر في أفضل طريقة للهجوم عليهم، يزن فرصه، لكنه قضى وقتًا طويلًا في الانتظار دون فعل شيء، فكان ذهنه بطيئًا. كان لا يزال يفكر بالأمر عندما قفزت فيرو فجأة على أحدهم، تصرخ بأعلى

صوتها، لتطرحه أرضاً. سددت له لكمة شرستين في وجهه قبل أن يمسك بها الآخرون ويسحبوها للأعلى.

همس لوجن: «اللعة». الثلاثة كانوا يتصارعون، يتعثرون في الدرب، يصطدمون بالجدران ينخرون، ويلعنون، يركلون، ويلكمون، أطرافهم متشابكة وتتحرك في كل اتجاه. بدا الوقت لأي خطة ذكية قد نفذ. جزَّ لوجن على أسنانه وانطلق نحوهم.

بينما نهض الرجل الذي كان على الأرض على قدميه، يهز رأسه في محاولة لاستعادة تركيزه، كان الاثنان الآخران يحاولان السيطرة على فيرو. رفع أحدهم عصاه عاليًا، مستعدًا لضربها على رأسها. أطلق لوجن زئيرًا، فالتفت المقنع نحوه بذهول: «هاه؟».

لكن كتف لوجن ارتطمت بأضلاعه، رافعًا إياه عن الأرض وطارحًا إياه على ظهره. رأى شخصًا بزاوية عينه يحاول ضربه بعصا، لكنه صد الضربة ولم تحظ بقوة كافية. تلقاها على ذراعه، ثم اندفع نحو الرجل وضربه في قناعه بلكمتين قويتين بكلتا يديه. تراجع الرجل مترنحًا، ذراعه متدلّيتان، وبدأ بالسقوط. أمسك لوجن بمعطفه الأسود من الجانبين، ورفع في الهواء ثم ألقاه رأسًا على عقب نحو الحائط.

ارتد الرجل عن الحائط يغرغر وتكوم على حجارة الطريق. استدار لوجن، قبضتاه مشدودتان، لكن الآخر كان ممددًا على وجهه، وفيرو فوقه، ركبته مغروزة في ظهره، تمسك رأسه من شعره وتضرب وجهه في الأرض، تصرخ بلعنات غاضبة بلا معنى.

صاح لوجن وهو يمسكها من مرفقها ويسحبها بعيدًا عنه: «ماذا فعلت بحق الجحيم؟».

انترعت ذراعه من قبضته ووقفت هناك تلهث، قبضتاه مشدودتان، الدم يسيل من أنفها. زمجرت: «لا شيء».

تراجع لوجن خطوة حذرة: «لا شيء؟ ما هذا إذن؟».

قضمت الكلمات بلهجتها القاسية، ولفظتها في وجهه: «لا... أعرف». مسحت فمها المدمى بيدها، ثم تجمدت في مكانها. نظر لوجن خلفه. ثلاثة رجال مقنعين آخرين، يركضون باتجاههم عبر الدرب الضيق.

- اللعة.

- تحرك، يا وردي!

استدارت فيرو وبدأت تجري، وتبعها لوّجن. ماذا كان يمكنه أن يفعل غير ذلك؟ فركض. ركض المطاردين المروعين، والمرهقين، ترقبت كتفاه الضربة، وهو يلهث بصعوبة، أصوات خطوات المطاردين تتردد حوله.

تلاحقت الأبنية البيضاء العالية على الجانبين، نوافذ، أبواب، تماثيل، حدائق. وأشخاص أيضًا، يصيحون وهم يبتعدون عن الطريق أو يلتصقون بالجدران. لم يكن يعلم أين هو، ولا إلى أين يتجه.

خرج رجل من باب أمامه، يحمل كومة كبيرة من الأوراق بين ذراعيه. اصطدما معًا، ووقعا على الأرض، يتدحرجان في المزاريب، الأوراق تتطاير حولهما. حاول لوّجن أن ينهض، لكن ساقيه كانتا تحترقان من التعب. لم ير شيئًا! كانت هناك ورقة على وجهه. نزعها بعيدًا، شعر بشخص يمسكه من تحت ذراعه ويسحبه للأعلى.

- انهض، يا وردي! تحرك!

كانت فيرو. لم تكن تلهث حتى.

كانت رثًا لوّجن على وشك الانفجار وهو يكافح للحاق بها، لكنها كانت تبتعد بثبات، رأسها منخفض وقدماهما ترفرفان بخفة. بينما اندفعت عبر ممر مقوس أمامه، تبعها لوّجن جاهدًا، حذاؤه ينزلق بينما يدور حول الزاوية. كانت مساحة واسعة مظلمة، عوارض خشبية تمتد عاليًا كغابة غريبة من العوارض المربعة. أين هما بحق الجحيم؟

كان هناك ضوء ساطع أمامه، هواء مفتوح. انطلق نحوه وهو يرمش. فيرو كانت أمامه بقليل، تدور ببطء، تلهث. كانا في وسط دائرة من العشب، دائرة صغيرة.

عرف الآن أين كانا. الحلبة التي جلس فيها مع الحشود يشاهدون لعبة السيف. المقاعد الفارغة امتدت حولهما. كان هناك عمال نجارة يزحفون بينها، ينشرون ويطرقون. لقد فككوا بعض المقاعد في الخلف بالفعل، وبقيت الدعامات مرتفعة في الهواء مثل عظام قفص صدري عملاق. وضع يديه على ركبتيه المرتجفتين وانحنى، يلهث من شدة التعب، يبصق على الأرض.

- ماذا الآن؟

- من هنا. (استقام لوچن بصعوبة وتبعها مترنحًا، لكنها كانت بالفعل في طريق العودة) ليس من هذا الاتجاه!

رأى لوچن الرجال. وجوههم المقنعة بالسواد مجددًا. كانت المرأة التي في المقدمة طويلة، بشعر أحمر نافر. تقدمت نحو الدائرة بصمت على أطراف أصابعها، وأشارت بذراعها خلفها، موجهة الاثنين الآخرين إلى الجانبين، محاولة إحاطتهما.

نظر لوچن حوله بحثًا عن سلاح، لكنه لم يجد شيئًا، فقط المقاعد الفارغة والجدران البيضاء العالية من ورائها. كانت فيرو تتراجع نحوه، على بعد خطوات قليلة منه، وأمامها كان هناك اثنان آخران، يزحفون من بين السقائف، عصيهم في أيديهم. خمسة. خمسة مجتمعين.

قال: «اللعة».

- ما الذي أخرهم بحق الجحيم؟

زمجر باياز وهو يتجول في الغرفة. لم يرَ چیزال العجوز غاضبًا من قبل، ولسبب ما جعله ذلك يشعر بالتوتر. كلما اقترب منه، أراد چیزال أن يبتعد.

- سأخذ حمامًا، تبًا! قد تمر شهور قبل أن أحظى بواحد آخر. شهور!

خرج باياز من الغرفة وأغلق باب الحمام خلفه بعنف، تاركًا چیزال وحده مع المتدرب.

كانا على الأرجح قريبين في العمر، لكن لم يكن بينهما أي شيء مشترك كما رأى چیزال، فحذق إليه بازدراء غير خفي. كان شاحبًا، هزيلًا، من النوع البائس القارئ للكتب. يتذمر ويتحرك كأنه ظل. أمر مثير للشفقة. بل وقح. وقح جدًا. غلى الدم في عروق چیزال بصمت. من يظن هذا الوقح نفسه؟ ما الذي يغضبه لهذه الدرجة؟ لم يكن هو من سُلبت حياته.

ومع ذلك، إذا كان لا بد من تركه وحيدًا مع أحدهم، فقد يكون الأمر أسوأ. ربما كان سيصبح مع ذاك الأحمق الشمالي، بكلامه المتلعثم السخيف. أو تلك الساحرة الجوركولية، بعينها الصفراوين الشيطانيتين اللتين لا تكفان عن التحديق. ارتعد لمجرد التفكير في ذلك. قال باياز: «أناس من النخبة». كان سيضحك لو لم يكن على وشك البكاء.

ألقى جيزال بنفسه على الوسائد على كرسي ذي ظهر مرتفع، لكنه لم يجد فيه أي راحة. أصدقاؤه في طريقهم الآن إلى أنجلاند، وهو يفتقدهم بالفعل. ويست، كاسب، چالينهورم. حتى ذلك الوغد برينت. كانوا في طريقهم إلى الشرف، في طريقهم إلى الشهرة. ستكون الحملة قد انتهت طويلاً قبل أن يعود من الجحيم التي يأخذه إليها هذا العجوز المجنون، إذا عاد على الإطلاق. من يدري متى ستكون الحرب التالية، الفرصة التالية للمجد؟

كم كان يتمنى أن يذهب لمحاربة الشماليين. كم كان يتمنى أن يكون مع أردي. بدا وكأن دهرًا قد مر منذ أن كان سعيدًا. حياته بائسة. بائسة. استلقى بلا حراك في كرسيه، متسائلًا إن كان يمكن للأمور أن تصبح أسوأ.

زَار لوجن والعصا تهوي على ذراعه: «جارغ!»، ثم أخرى على كتفه، وواحدة على جنبه. تراجع متعثراً، نصف راکع، يدافع عن نفسه بأقصى ما يستطيع. كان يسمع صراخ فيرو خلفه في مكان ما، غاضب أو متألم، لم يستطع التمييز، كان مشغولاً جداً بتلقي الضربات.

سُددت ضربة قوية إلى جمجمته، كافية لتدفعه مترنحاً نحو المقاعد. سقط على وجهه، والصف الأمامي ارتطم ب صدره، طارداً الهواء من رثتيه. كان الدم يسيل من فروة رأسه، على يديه، وفي فمه. عيناه تدمعان من ضربة على أنفه، قبضتاه ممزقتان وداميتان، مثل ملابسه. استلقى هناك للحظة، يجمع ما تبقى له من قوة. كانت هناك عارضة خشبية سميكة ملقاة على الأرض خلف المقعد. أمسك بأحد طرفيها. كانت غير مثبتة فسحبها نحوه. اطمأن لوجود شيء ثقيل مثلها في يده.

أخذ نفساً عميقاً، مستجمعاً آخر جهد لديه. حرَّك ذراعيه وساقيه قليلاً، يختبرهم. لم يكن هناك شيء مكسور، ربما أنفه، لكنها لم تكن المرة الأولى. سمع خطوات تقترب من خلفه. خطوات بطيئة، وكأن صاحبها في غير عجلة. رفع نفسه ببطء، محاولاً أن يبدو مشوشاً. ثم أطلق زئيراً ودار فجأة، مارجحاً العارضة الخشبية فوق رأسه. كسر العارضة إلى نصفين فوق كتف الرجل المقنع بصوت انقسام شديد، فارتطم نصفها الآخر بعيداً. أطلق الرجل نواح مكتوم وسقط، عيناه مغمضتان بشدة، إحدى يديه تمسك بعنقه، والأخرى معلقة بلا حول، والعصا تسقط من بين أصابعه. رفع لوجن النصف

المتبقي من اللوح وضربه به على وجهه. ارتد رأسه للخلف وسقط على العشب، منتزعاً قناعه، والدماء تتفقع من تحته.

انفجر رأس لوچن بألم حاد وهو يهوي على ركبتيه. ضربه أحدهم على مؤخرة رأسه. بقوة. ظل مترنحاً للحظة، يحاول منع نفسه من السقوط على وجهه، ثم عاد كل شيء فجأة إلى تركيزه. كانت المرأة ذات الشعر الأحمر تقف فوقه، رافعة عصاها عاليًا.

اندفع لوچن للأعلى، ترنح نحوها، تشبث بذراعها، يسحبها جزئيًا ويتكئ عليها جزئيًا، أذناه ترنآن والعالم يدور بجنون. تمايلا معًا، يتشاجران على العصا كاثنتين من السكارى يتصارعان على زجاجة، ذهابًا وإيابًا في دائرة العشب. شعر بلكماتها تضربه في جنبه بيدها الأخرى. لكمات قوية، في الأضلاع مباشرة.

زمجر: «آرغ!»، لكن ذهنه بدأ يفيق، وهي كانت نصف وزنه. لوى ذراعها الممسكة بالعصا خلف ظهرها. ضربته مجددًا، لكمة على جانب وجهه أرتته النجوم للحظة، لكنه تمكن من الإمساك بمعصمها الآخر وثبتت ذراعها. طواها إلى الخلف فوق ركبتيه.

ركلت وتلوت، عيناها مغمضتان من شدة الغضب، لكن لوچن أمسك بها بإحكام. حرر يده اليمنى من الأطراف المتشابكة، رفع قبضته عاليًا وسدها إلى معدتها. أطلقت أنفاسًا متقطعة وإنهارت، عيناها جاحظتان. ألقى بها بعيدًا وبدأت تزحف قليلًا، سحبت قناعها وبدأت تتقيأ على العشب.

ترنح لوچن وهو يهتز، يهز رأسه وييصق الدم والتراب على العشب. باستثناء المرأة المتقيئة، كان هناك أربعة أشكال سوداء ملتوية على الأرض في الدائرة. بينما أحدهم كان يئن بصوت خافت كانت فيرو تركله مرارًا وتكرارًا. تغطى وجهها كاملاً بالدماء، لكنها كانت تبسم.

تمتم لوچن لنفسه: «ما زلت حيًا، ما زلت...». لكن المزيد كانوا قادمين من الممر المقوس. استدار ببطء، على وشك السقوط. المزيد. أربعة آخرون من الجهة الأخرى. لقد كانوا محاصرين.

- تحرك، يا وردي!

انطلقت فيرو أمامه وقفزت على المقعد الأول، ثم الثاني، ثم الثالث، تتنقل بينهم بخطوات واسعة. جنون. إلى أين ستذهب من هناك؟ كانت ذات

الشعر الأحمر قد توقفت عن التقيؤ، ترحف نحو عصاها الملقاة. البقية كانوا يقتربون بسرعة، أكثر من أي وقت مضى. كانت فيرو قد وصلت إلى ربع الطريق بالفعل، دون أن تُظهر أي علامات على التباطؤ، تقفز من مقعد إلى آخر، خشب المقاعد يصير تحت خطواتها.

«اللعة». انطلق لوجن خلفها. بعد اثني عشر مقعدًا، كانت ساقاه تحترقان مجددًا. استسلم عن محاولة القفز بينها وبدأ يتسلق بأي طريقة يستطيع. كان يتقلب فوق ظهور المقاعد ويرى الرجال المقنعين خلفه يتبعونه، يراقبونه، يشيرون وينادون، منتشرين بين المقاعد.

بدأ يتباطأ الآن. كل مقعد أصبح جبلًا. القناع الأقرب لم يكن سوى بضعة صفوف خلفه. تابع الصعود، أعلى فأعلى، يداه الداميتان تقبضان على الخشب، ركبته الداميتان تحتكان بالمقاعد، جمجمته تصدح بأنفاسه، جلده يتصبب عرقًا وخوفًا. فجأة كان الهواء أمامه خاليًا. توقف، يلهث، ذراعه تتأرجحان، يتمايل على حافة سقوط مخيف.

اقترب جدًا من أسطح الأبنية العالية، لكن معظم المقاعد الخلفية قد فُكَّكت، تاركة الأعمدة فقط؛ أعمدة منفردة عالية، وعوارض ضيقة بينها، ومساحات شاسعة وفارغة. رأى فيرو تقفز من عمود مرتفع إلى آخر، ثم تركض على لوح خشبي مهتز، غير مكترثة للفراغ الشاسع أسفلها. قفزت إلى سقف مسطح في النهاية البعيدة، فوقه بارتفاع شاهق. بدت وكأنها على مسافة بعيدة جدًا منه.

«اللعة». تمايل لوجن على العارضة القريبة، ذراعه ممدودتان للتوازن، قدماه تتحركان بخطى عجوز متثاقلة. قلبه كان يخفق كمطرقة حداد على السندان، وركبته ضعيفتان ومتأرجحتان من التسلق. حاول تجاهل الضجيج والصراخ خلفه، والتركيز فقط على السطح المتعرج للعارضة، لكنه لم يستطع النظر إلى الأسفل دون أن يرى شبكة العوارض الخشبية تحت قدميه، والأرض الحجرية البعيدة جدًا أسفلها.

تقدم بخطوات متعثرة على ممر خشبي ما زال سليمًا، ثم ركض إلى نهايته. سحب نفسه لأعلى على عارضة فوق رأسه، قفل ساقيه حولها وبدأ يجر نفسه على مؤخرته وهو يهمس لنفسه: «ما زلت حيًا، ما زلت...». وصل القناع الأقرب إلى الممر الخشبي، راكضًا نحوه.

انتهت العارضة عند قمة أحد الأعمدة العمودية. مربع خشبي عرضه قدم أو قدمان. ثم لا شيء. خطوتان من الهواء الفارغ. ثم مربع آخر عند قمة عمود شاهق آخر، ثم اللوح الذي يؤدي إلى السطح المسطح. كانت فيرو تنظر إليه من الحافة.

صرخت: «اقفز! اقفز أيها اللقيط الوردى!».

قفز. شعر بالريح تحيط به. قدمه اليسرى هبطت على المربع الخشبي، لكنه لم يتوقف. قدمه اليمنى لامست اللوح. التوى كاحله، وانثنت ركبته. اهتز العالم. قدمه اليسرى نزلت، نصفها على الخشب ونصفها خارجه. اهتز اللوح. كان في الهواء الفارغ، أطرافه تتخبط. بدا الأمر وكأنه يستمر لوقت طويل.

«آه!» ارتطمت الحافة بصدرة. قبضتاه أمسكتا بالحافة لكنه لم يعد لديه أي نفس. بدأ ينزلق ببطء، بوصة تلو أخرى. أولاً كان يرى السطح، ثم يديه، ثم لم يعد يرى سوى الحجارة أمام وجهه. همس: «النجدة»، لكن لم تأت نجدة.

كانت السقطة بعيدة جداً، عرف ذلك. بعيدة جداً، ولن يكون هناك ماء لينقذه هذه المرة. فقط حجارة صلبة، مسطحة، وقاتلة. سمع خشخشة. عبر القناع خلفه. سمع صراخاً، لكنه لم يكن مهماً الآن. انزلق للخلف أكثر، يداه تحاولان التشبث بالأسمنت المتفتت. همس: «النجدة»، لكن لم يكن هناك أحد ليساعده. فقط الأقنعة وفيرو، ولم يبدو أن أيًا منهم كان من النوع الذي يساعد.

سمع صوت ارتطام وصيحة يائسة. فيرو ركلت اللوح، وسقط القناع. الصرخة تلاشت، كأنها استمرت لوقت طويل، ثم انقطعت بصوت ارتطام بعيد. تهشمت جثة القناع على الأرض كالعجين، بعيداً في الأسفل، ولوجن عرف أنه على وشك اللحاق به. عليك أن تكون واقعياً بشأن هذه الأمور. لن يكون هناك نهر ينقذه هذه المرة. كانت أطراف أصابعه تنزلق ببطء، والملاط بدأ يتفكك. القتال، الركض، التسلق، كلها استنزفت قوته، والآن لم يعد هناك شيء متبقٍ. تساءل عن الصوت الذي سيصدره وهو يسقط عبر الهواء. همس بلا صوت: «النجدة».

أحاطت بمعصمه أصابع قوية. أصابع داكنة، قذرة. سمع زمجرة، وشعر بذراعه تُسحب بقوة. تأوه. عادت حافة الجدار إلى مجال رؤيته. رأى فيرو الآن، أسنانها مشدودة، عيناها شبه مغلقتين من شدة الجهد، عروقه بارزة على رقبتها، والندبة واضحة على وجهها الداكن. أمسك بالحافة بيده الأخرى، ورفع صدره فوقها، وتمكن من إجبار ركبته على الصعود.

سحبته فيرو باقي الطريق، فتدحرج على ظهره على الجانب الآخر، يلهث مثل سمكة ألقيت على اليابسة، محدقًا إلى السماء البيضاء. تتم لنفسه بعد لحظة: «ما زلت .. حيًا»، بالكاد يصدق. لم يكن ليفاجأ كثيرًا لو داست فيرو على يديه وأسقطته.

ظهرت فيرو فوقه، عيناها الصفراوان تحدقان إليه، أسنانها مكشوفة في شراسة: «أيها اللقيط الوردى الغبي الثقيل!».

استدارت مبتعدة، تهز رأسها، وتقدمت إلى الجدار لتبدأ تسلقه، تجر نفسها بسرعة نحو سقف منخفض فوقهما. تأوه لوجن وهو يراقبها. هل تتعب أبدًا؟ كانت ذراعاه متورمتين ومكدومتين، وجروح تغطي كل جسده. ساقاه تؤلمانه، وأنفه بدأ ينزف مجددًا. كل شيء يؤلمه. استدار ونظر إلى الأسفل. حديق قناع إليه من حافة المقاعد، على بعد عشرين خطوة. آخرون كانوا يركضون حول المكان، يبحثون عن طريق للصعود. في الأسفل، في الدائرة الصفراء من العشب، استطاع أن يرى شخصية نحيلة سوداء ذات شعر أحمر، تشير حولها، ثم ترفع رأسها نحوه، تصدر الأوامر.

سيجدون طريقًا للصعود عاجلاً أم آجلاً. كانت فيرو جالسة على قمة السقف فوقه، شكل مظلم متعرج أمام السماء الساطعة. صرخت: «ابقَ عندك إذا أردت!»، ثم استدارت واختفت.

تأوه لوجن وهو يقف بصعوبة، تأوه وهو يتعثّر نحو الجدار، وزفر وهو يبدأ في البحث عن موضع ليديه لتسلقه.

سأل الأخ لونجفوت بعصبية: «أين الجميع؟ أين صاحب عملي الموقر؟ أين السيد تسع أصابع؟ أين السيدة الفاتنة مالجين؟».

نظر چيزال حوله. كان المتدرب البائس غارقًا في كآبته الذاتية لدرجة تمنعه من الرد: «لا أدري بشأن الاثنين الآخرين، لكن باياز في الحمام».

- أقسم إنني لم أجد رجلًا مهووسًا بالاستحمام مثله. أمل ألا يتأخر الآخرون. كل شيء جاهز، كما تعلم! السفينة مستعدة، المؤن محملة. ليس من عاداتي التأخير. بالفعل ليس كذلك! يجب أن نلحق بالمد، وإلا سنعلق هنا حتى... (توقف الرجل الصغير فجأة، يحدق إلى چيزال بقلق

مفاجئ) تبدو قلقًا، يا صديقي الشاب. مضطربًا حقًا. هل يمكنني، أنا الأخ لونجفوت، أن أقدم لك أي مساعدة؟

كان لدى چيزال نصف نية أن يأمره بالاهتمام بشؤونه، لكنه اكتفى برد متضايق: «لا، لا».

- أراهن أن هناك امرأة في الأمر. هل أنا محق؟ (رفع چيزال نظره فجأة، متعجبًا كيف استطاع الرجل تخمين ذلك) زوجتك ربما؟
- لا! لست متزوجًا! الأمر ليس كذلك. إنه... حسنًا.. (تعثر في الكلمات، وفشل في التعبير عما يشعر به) ليس كذلك على الإطلاق!

قال الملاح بابتسامة ذات مغزى: «آه، آه، هو حب ممنوع إذن، حب سري؟ (شعر چيزال بالإحباط أكثر عندما أدرك أنه قد بدأ يحمر خجلًا) أنا محق، أرى ذلك! لا يوجد ثمرة أحلى من تلك التي لا يمكنك تذوقها، هاه، يا صديقي الشاب؟ ها؟ ها؟».

رفع حاجبيه بطريقة وجدها چيزال بغیضة للغاية. لم يهتم چيزال فعلًا، لكنه أراد تغيير الموضوع بأي وسيلة.

- أتساءل ما الذي يؤخر هذين الاثنين؟

- مالجين وتسع أصابع؟ هاه، (ضحك لونجفوت وهو يميل نحوه) ربما تورطا في حب سري مثل حبك؟ ربما تسلا إلى مكان ما، ليفعل ما يحدث تلقائيًا! (نكز چيزال في ضلوعه) تخيل، هذان الاثنان؟ سيكون ذلك شيئًا، هاه؟ هاه!

تجهم چيزال. كان يعرف أن الشمالي القبيح حيوان بالفعل، ومن القليل الذي رآه من تلك المرأة الشريرة، قد تكون أسوأ. كل ما استطاع تخيله يحدث تلقائيًا معهم هو العنف. كانت الفكرة مثيرة للاشمئزاز تمامًا. شعر بالندس لمجرد التفكير فيها.

بدت الأسطح وكأنها تمتد إلى الأبد. صعدا على واحد، نزلا على آخر. انسلا على القمم، زلقة على كل جانب، يقتربان من الحواف، يتخطيان قطع الجدران المتداعية. أحيانًا ينظر لوجن بعيدًا للحظة، فيصاب بدوار من مشهد الكتل المترصة من الأسقف الرطبة والبلاط المنقر والرصاص القديم، وصولًا إلى

جدار الأجيوننت البعيد، وربما حتى المدينة البعيدة بعدها. كان يمكن أن يكون مشهدًا مسالمًا لو لم تكن فيرو تتحرك بسرعة، واثقة الخطى، تلعن في وجهه وتجره خلفها، دون أن تعطيه أي وقت للتفكير في المنظر أو في السقوط المرعب الذي يمران به، أو في الأشكال السوداء التي لا شك أنها لا تزال تبحث عنهما في الأسفل.

كان أحد أكمامها قد تمزق إلى نصفه في أثناء القتال، تطاير حول معصمها وأعاق حركتها وهي تتسلق. زمجرت ومزقته من عند الكتف. ابتسم لوجن في نفسه وهو يتذكر الجهد الذي بذله باياز لإقناعها بتغيير ثيابها البالية القذرة بملابس جديدة. الآن أصبحت أقدر من أي وقت مضى، قميصها غارق في العرق، مغطى ببقع الدم والوحل الذي تجمّع على أسطح المباني. التفتت نحو كتفها ورأته يراقبها. همست له بغضب: «تحرك، يا وردي».

- أنت لا ترين الألوان، صحيح؟

تسلقت بلا اكتراث، متجاهلة كلامه، ملتفة حول مدخنة متصاعدة من الدخان، تزحف على بطنها عبر الألواح القذرة، تنزلق نحو حافة ضيقة بين سطحين. تبعها لوجن زاحفًا خلفها: «لا ترين الألوان أبدًا».

رمت الكلام من فوق كتفها: «وماذا في ذلك؟».

- لماذا تنادينني بالوردي إذن؟

نظرت حولها نحوه: «هل أنت وردي؟».

نظر لوجن إلى ساعديه. بعيدًا عن الكدمات المتناثرة، والخدوش الحمراء، والأوردة الزرقاء، كانا نوعًا ما ورديين. لا بد من الاعتراف بذلك. عبس.

- اعتقدت ذلك.

تسللت بعيدًا بين الأسطح، حتى نهاية المبنى، وألقت نظرة إلى الأسفل. تبعها لوجن، مال بحذر فوق الحافة. كان هناك بضعة أشخاص يتحركون في الممر أدناه. بعيد جدًا، ولا سبيل للنزول. عليهم العودة من حيث أتوا. كانت فيرو قد تحركت بالفعل خلفه.

اندفعت الرياح على جانب وجه لوجن. سمع صوت قدم فيرو تضرب الحافة، ثم كانت في الهواء. فغر فمه وهو يشاهدها تطير، ظهرها مقوس، ذراعاها وساقاها تتأرجح. هبطت على سطح مسطح، رصاصي اللون مغطى

بخطوط من الطحالب الخضراء، دارت مرة واحدة على الأرض ثم وقفت بسلاسة على قدميها.

لعق لوِجِن شفّتيه، وأشار إلى صدره. هزت رأسها. السطح المسطح كان على بعد عشرة أقدام بالأسفل، لكن كان هناك قرابة عشرين قدمًا من الهواء الفارغ بينه وبينه، وكان السقوط طويلًا. تراجع ببطء، يمنح نفسه مسافة كافية للركض. أخذ نفسين عميقين، وأغمض عينيّه للحظة.

سيكون الأمر مثاليًا، بطريقة ما، لو سقط. لا أغاني، ولا قصصًا. فقط بقعة دموية على الطريق في مكان ما. بدأ الركض. قدماه تقرعان على الحجر. الهواء يصفّر في فمه، يعبث بملابسه الممزقة. السطح المسطح اقترب بسرعة. هبط بصدمة اهتز لها جسده، دارت به مرة واحدة كما فعلت فيرو، ثم وقف بجانبها. كان لا يزال على قيد الحياة.

صاح: «هاه! ما رأيك في ذلك؟».

سمع صوت خشخشة، ثم طقطقة، ثم انهيار السقف تحت قدميه. أمسك بفيرو بيأس وهو يسقط، لكنها انزلت بعده عاجزة. تقلب في الهواء للحظة مروعة، يصرخ، يداه تتشبثان بالفراغ. ارتطم على ظهره.

سعل لوِجِن وسط غبار خانق، هز رأسه، وتحرك بألم. كان في غرفة مظلمة حالكة بعد السطوع في الخارج. كان الغبار يتساقط من الضوء الذي يخترق الثقب المهترئ في السقف أعلاهم. كان هناك شيء ناعم تحته. سرير. كان نصفه منهاريًا، مائلًا بزاوية، وثمة أغطية مغطاة بالجص المحطم. كان هناك شيء عبر ساقيه. فيرو. أطلق ضحكة غرغرت من حلقه. أخيرًا، في السرير مع امرأة. للأسف، لم يكن بالطريقة التي كان يأملها.

زمجرت: «أيها الوردِي الغبي اللعين! (وهي تزحف عنه متجهة إلى الباب، قطع الخشب والجص تنزلق عن ظهرها المترب. أمسكت بمقبض الباب) مغلق! إنه...».

اندفع لوِجِن بقوة، واقتلع الباب من مفاصله مفترشًا بالخارج في الممر. قفزت فيرو فوقه: «انهض، أيها الوردِي، انهض!» انشقت قطعة خشب قد تكون مفيدة عن طرف الباب، وبرز منها بضعة مسامير. أمسك بها لوِجِن في يده. نهض بصعوبة، وتعثّر في الممر لبضع خطوات، حتى وصل إلى مفترق

طرق. كان هناك ممر مظلم يمتد إلى كلا الجانبين. نوافذ صغيرة تلقي برقا حادة من الضوء على الحصير الداكن.

لم يكن هناك طريقة لمعرفة الاتجاه الذي سلكته فيرو. استدار نحو اليمين، باتجاه درج.

كان هناك شخص يتحرك بحذر في الممر المظلم نحوه. طويل ونحيل مثل عنكبوت أسود في الظلام، متوازن على أطراف أصابعه. انعكس ضوء خافت على شعرها الأحمر الساطع.

قال لوجن: «أنت مجدداً»، وهو يزن قطعة الخشب في يده.

- هذا صحيح. إنه أنا.

كان هناك صوت خشخشة، ولمع معدن في الظلام. شعر لوجن بأن قطعة الخشب تُنتزع من بين أصابعه ورأها تطير فوق كتف المرأة وترتطم بعيداً في الممر. أصبح غير مسلح مرة أخرى، لكنها لم تمنحه وقتاً طويلاً للقلق. كان هناك شيء في يدها، شيء يشبه السكين، وألقته نحوه. انحنى لتفاديه، فمر بجانب أذنه بصوت صغير. ثم حركت ذراعها الأخرى، وشعر بشيء يجرحه عبر وجهه، أسفل عينه مباشرة. تراجع متعثراً إلى الجدار، يحاول فهم نوع السحر الذي يواجهه.

تشابهت الأداة المعدنية في يدها بالصليب، بها ثلاث شفرات منحنية، بكل منها خطاف في نهايتها. كان مقبضها به حلقة متصلة بسلسلة تختفي داخل كمها.

اندفعت الأداة نحوه مجدداً، لتفوت وجهه ببوصة واحدة عندما انحنى، ثم ارتدت لتثير شرارات على الجدار قبل أن تعود بسلسلة إلى يدها. أسقطتها، تاركة إياها تتأرجح من سلسلتها، ترتطم بالأرض وتقفز باتجاهه مع تقدمها بحذر نحوه. حركت معصمها والأداة اندفعت نحوه مجدداً، خدشته عبر صدره وهو يحاول الابتعاد، لتنتثر قطرات من الدم على الجدار.

اندفع نحوها بذراعيه المفتوحتين، لكن لم يمسك بشيء. كان هناك خشخشة، وشعر بأن قدمه تُسحب من تحته، التوى كاحله بعنف، وبينما علق بالسلسلة كانت المرأة تلتف حوله. سقط على وجهه، وحاول النهوض. السلسلة زحفت تحت رقبته. بالكاد تمكن من وضع يده خلفها قبل أن تشتد.

كانت المرأة فوقه، شعر بركبتها تضغط على ظهره، وسمع أنفاسها تخرج من قناعها وهي تشد السلسلة أكثر فأكثر، فتغور في راحة يده.

نخر لوچن، يحاول الزحف على ركبتيه، مترنخًا على قدميه بصعوبة. المرأة كانت لا تزال على ظهره، كل وزنها يثقل عليه، تشد السلسلة بأقصى قوتها. كان يحاول ضربها بذراعه الحرة، لكنه لم يتمكن من الوصول إليها، لم يستطع التخلص منها، كانت ملتصقة به كمحار البرنقيل. بالكاد استطاع التنفس الآن. تمايل لبضع خطوات، ثم سقط إلى الوراء.

«أوغ»، همست المرأة في أذنه بينما وزنه يسحقها على الأرض. تراخت السلسلة بما يكفي ليتمكن لوچن من سحبها بعيدًا عنها والتملص منها. أصبح حرًا. تدحرج وأمسك بعنق المرأة بيده اليسرى، وبدأ في الضغط. ركضت بركبتيها عليه وضربته بقبضتيها، لكن وزنه كان مسلطًا عليها، وكانت ضرباتها ضعيفة. زمجرا وتأوها معًا، أصواتهما تشبه الحيوانات، ووجهاهما لا يفصلهما سوى بوصات. قطرات قليلة من الدم تساقطت من الجرح في وجهه وقطرت على قناعها. رفعت يدها وبدأت تعبت بوجهه، تدفع رأسه إلى الخلف. دفعت إحدى أصابعها إلى أنفه.

صرخ: «آرغ!»، والألم يخترق رأسه. تركها وتراجع، يده تمسك وجهه. زحفت مبتعدة وهي تسعل، ثم ركلتها في ضلوعه لتثنيه عن الانحناء، لكنه كان لا يزال ممسكًا بالسلسلة، فشدها بكل وزنه. ذراعها اندفعت للأمام وأطلقت صرخة، واندفعت مباشرة نحوه، ركبته تغوص في جانبها، ساحبة الهواء من رئتيها. أمسك بقميصها من الخلف، رفعها نصف رفعة عن الأرض، ثم ألقاها نحو الدرج.

تدحرجت وارتطمت بالدرجات المتعددة، واستقرت على جانبها قرب الأسفل. كان لوچن شبه مغرٍ بالنزول وإنهاء المهمة، لكنه لم يكن يملك الوقت. سيكون هناك المزيد مثلها. استدار وعاد يتعثر في الاتجاه الآخر، يلعن كاحله الملتيوي.

كانت الأصوات تتسلل إليه من كل جانب، تتردد في الممر القادم من مكان غير معروف. أصوات خشخشة وارتطام، صرخات ونحيب. حلق إلى الظلام، يعرج، جسده يتصبب عرقًا، يده على الجدار لتثبيت نفسه. انحنى حول الزاوية، محاولاً رؤية إن كان الطريق خاليًا. شعر بشيء بارد على رقبته. سكين.

همس صوت في أذنه: «ما زلت حيًّا؟ أنت لا تموت بسهولة، أليس كذلك، أيها الوردى؟».. فيرو. دفع ذراعها ببطء بعيدًا عنه.

- من أين حصلتِ على السكين؟

تمنّى لو كان معه واحد.

- هو أعطاني إياه. (كان هناك شكل مطروح في الظلال قرب الجدار، والحصير حوله مغطى بدماء داكنة) من هنا.

زحفت فيرو على طول الممر، متخفية في الظلام. لا يزال لوّجن يسمع الأصوات، أسفلهما، بجانبهما، تحيط بهما. تسللا إلى أسفل سلم، ثم خرجا إلى ممر باهت مُغطى بخشب داكن. تحركت فيرو من ظل إلى آخر، بسرعة. أما لوّجن، فلم يكن بوسعها سوى أن يعرج خلفها، يسحب ساقه، ويحاول ألا يصرخ كلما وضع وزنه عليها.

- هناك! إنهم هم!

ظهرت أشكال في الممر الباهت خلفهما. استدار ليركض، لكن فيرو مدت ذراعها. كان هناك المزيد قادمون من الاتجاه الآخر. على يساره كان هناك باب كبير، مفتوح قليلاً.

- إلى هنا!

دفع لوّجن نفسه عبر الباب، وتبعته فيرو بسرعة. كان هناك قطعة أثاث ثقيلة بجانب الباب، خزانة كبيرة مع رفوف في الأعلى، ملأى بالأطباق. أمسك لوّجن بأحد طرفيها وسحبها أمام الأبواب، سقطت بضعة أطباق وتهشمت على الأرض. ضغط ظهره ضد الخزانة. هذه ستمنعهم لبعض الوقت على الأقل.

كانت الغرفة كبيرة، بسقف مرتفع مقبب. نافذتان ضخمتان احتلتا معظم أحد الجدران المكسوّة بالخشب، مقابلها موقد حجري كبير. بينهما كانت طاولة طويلة، بها عشرة كراسي على كلا الجانبين، معدّة لتناول الطعام، مع أدوات المائدة والشمعدانات. غرفة طعام كبيرة، وكان هناك مدخل واحد فقط، أو مخرج.

سمع لوّجن صراخًا مكتومًا خلف الباب. الخزانة الكبيرة كانت تهتز خلف ظهره. سقط طبق آخر من رفها، ارتطم بكتفه وتحطم على الأرض الحجرية، متناثرة شظاياها على الأرض.

زمجرت فيرو بغضب: «خطة رائعة». انزلت قدما لوجن وهو يجهد لإبقاء الخزانة المتميلة في مكانها. اندفعت فيرو إلى أقرب نافذة، تعبت بإطاراتها المعدنية الصغيرة بأظفارها، لكنها لم تجد مخرجًا.

وقعت عينا لوجن على شيء. سيف ضخيم، معلق فوق الموقد كزينة. سلاح. دفع الخزانة دفعته الأخيرة، ثم اندفع نحو السيف، أمسك بالمقبض الطويل بكلتا يديه وانتزعه من مكانه. كان مفلولاً كمحراث، شفرته الثقيلة منقرة بالصدأ، لكنه ما زال صلبًا. ضربة منه قد لا تقطع رجلًا نصفين، لكنها بالتأكيد ستسقطه أرضًا. استدار في اللحظة المناسبة ليرى الخزانة تميل وتسقط، محطمة الأواني الفخارية على الأرض الحجرية.

انسابت أشكال سوداء إلى الغرفة، أشكال مقنعة. الأول حمل فأسًا شريرة المظهر، التالي سيفًا نصلها قصير. خلفهما كان ذو بشرة داكنة، تتدلى خواتم ذهبية من أذنيه، يمسك بخنجرين منحنيين في كل يد.

تلك الأسلحة لم تكن لإفقاد الرجل لوعيه إلا لو أرادوا طرد مخه خارج رأسه. كانوا قد تخلوا عن فكرة أخذ أسرى، وأصبحوا مستعدين للقتل. حسنًا، هذا أفضل بكثير، قال لوجن لنفسه. إذا كنت لتقول شيئًا واحدًا عن لوجن تسع أصابع وشيئًا واحدًا فقط، قل عنه إنه قاتل. نظر إلى الرجال المقنعين الذين يتسلقون الخزانة المقلوبة، وينتشرون بحذر على طول الجدار البعيد. ألقى نظرة على فيرو، شفتاها مشدودتان، والسكين في يدها، عيناها الصفراوان تتلألآن. أمسك بمقبض سيفه الثقيل والوحشي. أخيرًا، أداة مناسبة للمهمة.

اندفع نحو القناع الأقرب، يصرخ بأعلى صوته، ملوحًا بالسيف فوق رأسه. حاول الرجل أن يتجنب الضربة، لكن طرف النصل أصابه على كتفه وأطاح به متعثراً. اندفع آخر خلفه، يهاجم بفأسه، دافعًا لوجن للتراجع، متألماً وهو ينقل وزنه إلى كاحله المصاب.

حاول لوجن التلويح بالسيف الثقيل، لكن الأعداء كانوا كثيرين. أحدهم تسلق الطاولة، ووقف بينه وبين فيرو. شيء ما ضربه في ظهره، فترجع، استدار، انزلق، وضرب بشيء طري. أحدهم صرخ، لكن الفأس كانت تعود نحو لوجن مرة أخرى. أصبح كل شيء عبارة عن فوضى من الأقنعة والحديد، أسلحة تتصادم وتحتك، الشتائم والأنفاس تلهث.

ضرب لوجن بالسيف، لكنه كان متعبًا، منهكًا، يتألم. السيف كان ثقيلًا، ويزداد ثقلًا مع كل لحظة. تجنب القناع الضربة، والشفرة الصدئة ارتطمت

بالحائط، ممزقة جزءًا كبيرًا من الألواح الخشبية، مخترقة الجص وراءها، والصدمة كادت أن تسقط السيف من يديه.

زفر: «أوه»، عندما ركله الرجل في معدته. شيء ضربه في ساقه، وكاد أن يسقط. سمع أحدهم يصرخ خلفه، لكن بدا الصوت بعيدًا. صدره كان يؤلمه، فمه كان مريزًا. كان الدم يغطيه، يغطيه بالكامل. لم يعد يستطيع التنفس. القناع تقدم خطوة، وخطوة أخرى، مبتسمًا، يشم رائحة النصر. تراجع لوّجّن نحو الموقد، قدمه تنزلق، ساقطًا على أحد ركبتيه.

كل شيء ينتهي.

لم يعد يستطيع رفع السيف القديم. لم يتبقَّ أي قوة. لا شيء. الغرفة كانت تزداد ضبابية.

كل شيء ينتهي، لكن بعض الأشياء تبقى ساكنة، منسية.

شعر ببرودة في معدته، إحساس لم يشعر به منذ وقت طويل. همس: «لا، أنا حر منك». لكنه تأخر. تأخر جدًا...

... كان هناك دم عليه، لكن ذلك كان جيدًا. كان هناك دائمًا دم. لكنّه كان راکعًا، وهذا خطأ. التسع الدموية لا يركع لأحد. تحسّست أصابعه الشقوق بين حجارة الموقد، تحفر بينها كجذور أشجار عتيقة، تجره نحو الأعلى. ساقه ألّمته، فابتسم. الألم هو الوقود الذي يشعل النيران. تحرك شيء أمامه. رجال ملثمون. أعداء.

جثث إذن.

- أنت مصاب، أيها الشمالي! (تلاأت عينا أقربهم فوق قناعه، وشفرة فأسه اللامعة تتراقص في الهواء) هل ترغب في الاستسلام؟

- مصاب؟ (أطلق التسع الدموية ضحكة مدوية وهو يرمي برأسه إلى الخلف) سأريكم كيف تكون مصابًا!

انطلق للأمام، انساب تحت الفأس كأنه سمكة زلقة في النهر، يدور بسيفه الثقيل في قوس منخفض. ارتطم السيف بركبة الرجل، ولواها في الاتجاه المعاكس، واستمر بحصد الساق تلو الأخرى، ممزقًا إياها من تحتهم. أطلق الرجل صرخة مكتومة وهو يدور ويدور في الهواء، ساقاه المحطمتان

تتدليان. شيء ما انغرس في ظهر التسع الدموية، لكنه لم يشعر بألم. كانت تلك إشارة. رسالة بلغة سرية لا يفهمها إلا هو. تخبره بمكان الرجل الميت القادم. دار حول نفسه، والسيف يدور معه في شكل قوس مستاء لا رادع له. اخترق أمعاء أحدهم، طواه نصفين، انتزعه عن الأرض ورماه في الهواء. ارتطم بالجدار بجانب الموقد وتحطم على الأرض في زخات من الجص المتكسر.

انطلق سكين، صفر في الهواء، واستقر في كتف التسع الدموية مع صوت طقطقة رطبة. الرجل الأسود، الذي يحمل الحلقات في أذنيه. كان هو من ألقاه. كان يقف على الجانب الآخر من الطاولة، مبتسماً، راضياً عن رميته. خطأ فادح.

اندفع التسع الدموية نحوه. طار سكين آخر، ارتطم بالجدار. قفز فوق الطاولة والسيف يلاحقه.

تجنب الرجل الأسود الضربة الأولى العظيمة، والثانية كذلك. كان سريعاً وماكراً، لكن ليس بما فيه الكفاية. الضربة الثالثة أصابته في الجانب. عضه سريعة. مجرد قضمة. لكنها حطمت أضلاعه وأسقطته على ركبتيه وهو يصرخ. كانت الضربة الأخيرة أفضل، دائرة من الحديد واللحم شقت فمه ومزقت رأسه نصفين، لتتناثر الدماء على الجدران. انتزع التسع الدموية السكين من كتفه وألقاه على الأرض. الدم يتدفق من الجرح، يغمر قميصه ويترك بقعة حمراء دافئة وجميلة.

اختفى وذاب بعيداً، كأوراق شجرة تتساقط وتدور على الأرض. اندفع رجل آخر، يُلوّح بسيف قصير، لكنه أخطأ الهدف. قبل أن يتمكن من الدوران، كان التسع الدموية قد بدأ تحركه نحوه، يده اليسرى تلتف حول قبضتيه. كافح الرجل وقاوم، لكنه كان بلا فائدة. قبضة التسع الدموية كانت قوية كجذور الجبال، لا ترحم مثل المد والجزر: «يرسلون أمثالكم لقتالي؟ (بينما دمدم بينما كان يضغط على الرجل، يدور السيف القصير حتى أشار نحو صدره صرخ) إهانة لعينة!».

وطعنه بسيفه.

صرخ الرجل، وصرخ خلف قناعه، وضحك التسع الدموية ولف السيف. ربما كان سيسفّق عليه لوّجن، لكن لوّجن كان بعيداً، والتسع الدموية لم يكن لديه شفقة أكثر من الشتاء. أقل حتى. طعن، وقطع، وقطع، وابتسم، حتى

اختفت الصرخات وسقط الجسد على الأرض الباردة. كانت أصابعه زلقة بالدم، فمسحها على ملابسه، على ذراعيه، على وجهه... كما ينبغي أن تكون. الشخص الجالس بجانب الموقد كان مترنحًا، رأسه إلى الخلف، عيناه كالأحجار الرطبة تحدقان إلى السقف. جزء من الأرض الآن. حطم التسع الدموية وجهه بالسيف للتأكد. من الأفضل ألا يُترك مجال للشك.

الرجل الذي حمل الفأس كان يزحف نحو الباب، ساقاه ملتويتان وتزحفان خلفه على الحجارة، يلهث ويتأوه طوال الطريق.

- اصمت الآن.

اخترق نصل السيف الثقيل مؤخرة جمجمته ونثر دماؤه على الأرض. همس: «المزيد، (ودارت الغرفة حوله وهو يبحث عن قتلته التالية) المزيد! (صرخ، وضحك، وضحكت الجدران معه، وضحكت الجثث معه) أين بقيتكم؟».

رأى امرأة ذات بشرة داكنة، مع جرح نازف على وجهها وسكين في يدها. لم تكن تشبه الآخرين، لكنها ستفي بالغرض. ابتسم، وتقدم نحوها، رافعًا السيف بكلتا يديه. كانت تراقبه، تحافظ على مسافة بينها وبينه، عيناهما الصفراوان قاسيتان مثل ذئب. صوت ضعيف بداخله أخبره أنها في صفة. مؤسف.

سأل ظل ضخم عند المدخل: «شمالي، أليس كذلك؟».

- أجل، من يسأل؟

- فالق الحجر.

هذا الرجل كان كبيرًا، كبيرًا جدًا، وقويًا، وشرسًا. كان واضحًا عليه وهو يدفع الخزانة بقدمه الضخمة ويتقدم متخطيًا الأطباق المهشمة. لكن ذلك لم يكن يعني شيئًا للتسع الدموية، فهو مخلوق لتحطيم مثل هؤلاء الرجال. تال دورو الرأس العاصف كان أضخم. راد ثريتريز كان أشد بأسًا. الضو الأسود كان أكثر وحشية بمرتين. وقد كسرهم جميعًا، والكثيرون غيرهم. كلما كان الخصم أكبر وأقوى وأكثر وحشية، كان كسره أشد إيلامًا.

ضحك التسع الدموية: «مُتَبَرِّز الحجارة؟ وماذا في ذلك؟ ستصبح الجثة التالية ولا شيء أكثر! (رفع يده اليسرى، مغطاة بالدم الأحمر، ثلاث أصابع

متباعدة، مبتسمًا من خلال الفجوة حيث كانت الإصبع الوسطى ذات يوم)
يدعونني التسع الدموية».

انتزع فالق الحجر قناعه وألقاه على الأرض: «داه! كذاب! الكثير من
الرجال في الشمال فقدوا إصبعًا. لكنهم ليسوا التسع أصابع!».

- لا. هو أنا فحسب.

التوت ملامح الرجل الضخمة بالغضب: «أيها الكذاب الحقيّر! تظن أن
بإمكانك تخويف فالق الحجر باسم ليس لك؟ سأنت لك مؤخرة جديدة، أيها
الدودة! سأضع عليك الصليب الدامي! سأعيدك إلى الوحل، أيها الجبان الكذاب
اللعين!».

- تقتلني؟ (وضحك التسع الدموية بصوت أعلى من ذي قبل) أنا من
يقتل، أيها الأحمق!

انتهى الحديث. اندفع فالق الحجر نحوه بفأس في يد، وهراوة معدنية في
اليد الأخرى، أسلحة ثقيلة كبيرة، لكن كان يستخدمها بسرعة كافية. تأرجحت
الهراوة على الجانب، متسببة بثقب كبير في إحدى النوافذ. هوى الفأس، شطر
أحد ألواح الطاولة إلى نصفين، جعل الأطباق تقفز في الهواء، والشمعدانات
تتساقط. تراجع التسع الدموية برشاقة، ينتظر اللحظة المناسبة.

بينما مرت الهراوة على مسافة بوصة من كتفه، تدرج عبر الطاولة،
وشققت إحدى الأحجار الكبيرة على الأرض، وكسرتها إلى نصفين، متناثرة
شظايا في الهواء. زار فالق الحجر، وهو يلوح بأسلحته، محطماً كرسيًا إلى
نصفين، منتزعاً قطعة من الحجر من الموقد، مشطراً جدارًا بجروح كبيرة.
تعلق الفأس بالخشب للحظة، وسيف التسع الدموية لمع فوقه، فكسر مقبض
الفأس إلى شظايا متطايرة، تاركًا فالق الحجر يحمل عصا مكسورة في يده.
ألقاها بعيدًا ورفع المطرقة، واندفع بقوة أكبر، يلوح بها حوله بصرخات
غاضبة.

طار السيف فوقه، والتقطها سيف التسع الدموية أسفل رأسها مباشرة،
منتزعًا إياها من اليد الضخمة. دارت في الهواء وارتطمت بالجدار، لكن فالق
الحجر تقدم إلى الأمام، ناشرًا ذراعيه العريضتين. أصبح قريبًا جدًا لاستخدام
السيف الكبير الآن. بينما ابتسم فالق الحجر، أطبق بذراعيه الضخمتين حول

التسع الدموية، ضامًا إياه بإحكام، مثبتًا إياه صرخ وهو يعصره بعناق عظيم: «أمسكتك!».

خطأ فادح. الأفضل أن تعانق النار المشتعلة.

كراك!

اصطدمت جبهة التسع الدموية في فم الرجل. شعر بتراخي قبضة فalc الحجر قليلًا، فبدأ يتلوى، يحرك كتفيه، يصنع مساحة، يتحرك مثل مثل خلد في جحره. هز رأسه للخلف بأقصى ما يستطيع. ضربة ثانية كسرت أنف فalc الحجر المسطح. تأوه، وانخفضت ذراعه أكثر. الضربة الثالثة شطرت عظم وجنتيه. سقطت الذراعان. الضربة الرابعة حطمت فكه الثقيل. الآن كان التسع الدموية هو الذي يمسك به، مبتسمًا وهو يضرب جبهته على الوجه المهشم. نثار الخشب ينقر، طق، طق، طق. خمسة. ستة. سبعة. ثمانية. كان هناك إيقاع مرضٍ في تكسير عظام الوجه. تسعة، ثم ترك فalc الحجر يسقط. انحنى وسقط على الأرض، الدم يتدفق من وجهه المدمر.

- ما رأيك في هذا؟ (ضحك التسع الدموية، ومسح الدم عن عينيه، وركل جسد فalc الحجر عديم الحياة بضع مرات. كانت الغرفة تدور حوله، تدور وتسبح، ضاحكة، ضاحكة) ما رأيك... اللعنة... (تعثر، أغمض عينيه، يشعر بالنعاس، كنيران المعسكر الذابلة) لا... ليس بعد... (سقط على ركبتيه. ليس بعد. هناك المزيد لفعله، دائمًا المزيد) ليس بعد...

زمجر، لكن وقته قد انتهى...

... صرخ لوجن. سقط أرضًا. الألم في كل مكان. ساقاه، كتفه، رأسه. ظل يصرخ حتى احتبس الدم في حلقه، ثم سعل وتقيأ، وانقلب على الأرض، يحاول التشبث بالأرضية. العالم كان ضبابيًا، مشوشًا. غرغ دمًا وبصقه، ثم عاد ليصرخ من جديد.

أغلقت يد على فمه: «توقف عن الصراخ، يا وردي! هل تسمعنني الآن؟ (صوت، همس عجول في أذنه. صوت قاسٍ وغريب) توقف عن الصراخ أو سأتركك، فهمت؟ فرصة واحدة!».

ثم أبعدت يدها. زفر الهواء من بين أسنانه المطبقة في أنين عالي النبرة، لكنه لم يكن عاليًا جدًا.

يد قبضت على معصمه، وسحبت ذراعه. شفق وهو يشعر بتمدد كتفه، يُسحب فوق شيء صلب. عذاب: «انهض، أيها الوجد، لا أستطيع حملك! انهض، الآن! فرصة واحدة، فهمت؟».

رفعته ببطء، حاول أن يدفع بساقيه. كانت أنفاسه تصفر وتتقطع في حلقة، لكنه استطاع أن يفعلها. قدم يسرى، قدم اليمنى. سهل. انثنت ركبته، والألم طعن في ساقه. صرخ وسقط، يتلوى على الأرض. كان الأفضل أن يبقى ساكنًا. عيناه أغلقتا.

شيء صفعه بقوة على وجهه، ثم مرة أخرى. تأوه. شيء ما انزلق تحت إبطه، وبدأ يسحبه للأعلى.

- انهض، أيها الورد! انهض، أو أتركك. فرصة واحدة، هل تسمع؟ شهيق، زفير. قدم يسرى، قدم اليمنى.

تململ لونجفوت بقلق، يقرع أصابعه على ذراع كرسيه، ثم يعدها، يهز رأسه ويتذمر حول المد والجزر. بقي جيزال صامتًا، يأمل ضد الأمل أن يكون المتوحشان قد غرقا في الخندق، وأن تتلاشى المغامرة بأكملها إلى لا شيء. لا يزال هناك متسع من الوقت للوصول إلى أنجلاند. ربما لم يضع كل شيء.

سمع الباب يفتح خلفه، وتحطمت أحلامه. عاد الحزن ليحتضنه مرة أخرى، لكنه سرعان ما استبدلت به دهشة مرعبة عندما استدار.

وقف شكلان مهترئان في المدخل، مغطيان بالدم والقذارة. شياطين، بلا شك، خرجت من بوابة جهنمية. لعنت المرأة الجوركولية وهي تترنح داخل الغرفة. وضع الأصابع التسع ذراعه حول كتفيها، وتدلّت الأخرى، والدم ينزف من أصابعه، ورأسه متدلّ.

ترنحا معًا لخطوة أو اثنتين، ثم تعثرت قدم الشمالي في ساق كرسي وسقطا على الأرض. زمجرت المرأة، ودفعت ذراعه المرتخية بعيدًا، ونهضت على قدميها بصعوبة. تدحرج الأصابع التسع ببطء، متأوّهًا، وانفتح جرح عميق في كتفه، يتدفق الدم على السجادة. كان لونه أحمر، مثل لحم طازج

في محل جزارة. ابتلع چيزال ريقه، مرعوبًا ومنجذبًا في آن واحد. صرخ: «يا لزفير الرب!».

- لقد جاءوا من أجلنا.

- ماذا؟ من جاء؟

ظهرت امرأة حذرة عند إطار الباب، ذات شعر أحمر، ترتدي الأسود بالكامل، وعلى وجهها قناع. قال عقل چيزال المخدر «منقذة»، لكنه لم يستوعب سبب كدماتها العديدة، أو لماذا كانت تسير بعَرَج. تبعها رجل آخر، مسلح بسيف ثقيل.

قالت المرأة: «ستأتون معنا».

بصقت مالجين في وجهها: «اجعليني!». فوجئ چيزال برؤية سكين في يدها، مغطى بالدماء. يجب ألا تكون مسلحة! ليس هنا! أدرك، بغباء، أنه كان يرتدي سيفًا. بالطبع كان يرتديه. عبث بمقبض السيف وسحبه، بنية غامضة لضرب المرأة الجوركولية على مؤخرة رأسها بالجانب المسطح قبل أن تتسبب في المزيد من الضرر. إذا كان جهاز الاستجواب يريدها، فليأخذوها، والبقية معهم أيضًا. لكن، لسوء الحظ، أخطأت المنقذة فهمه.

همست المرأة ذات الشعر الأحمر، وهي تحقق إليه بعينين ضيقتين: «أسقطه».

قال چيزال، مستاءً للغاية من أنها قد تعتقد أنه في صف هؤلاء الأشرار: «لن أفعل!».

قال كواي: «ارر...».

تأوه الأصابع التسع: «آرغ» وأمسك السجادة بقبضته الدامية وجرها نحوه، مما جعل الطاولة تهتز على الأرض.

تسلل منقذ ثالث عبر الباب، حول المرأة ذات الشعر الأحمر، وكان يحمل مطرقة ثقيلة في يده المغطاة بالقفزات. سلاح غير مريح المظهر. لم يستطع چيزال إلا أن يتخيل التأثير الذي قد يحدثه على جمجمته إذا استخدم بغضب. لمس مقبض سيفه بتردد، متمنيًا بشدة أن يخبره أحدهم ماذا يفعل.

قالت المرأة مجددًا: «ستأتون معنا»، وتقدم رفيقاها ببطء نحو الغرفة.

تمتم لونجفوت: «يا إلهي»، مختبئًا خلف الطاولة.

ثم اصطدم باب الحمام بالجدار. وقف باياز هناك، عارياً تماماً، يتقطر بالماء والصابون. التقطت أنظاره البطيئة فيرو أولاً، وهي تعبس وسكينها خارج غمده، ثم لونجفوت وهو يختبئ خلف الطاولة، وچيزال مستلاً سيفه، وكواي واقفاً وفمه مفتوح، والتسع أصابع ممدداً في بركة من الدماء، وأخيراً الأشكال الثلاثة المقنعة بالأسود، بأسلحتهم جاهزة.

كانت هناك لحظة صمت مشحونة.

زأر باياز: «ما هذا بحق الجحيم؟»، وهو يتقدم إلى وسط الغرفة، الماء يتساقط من لحيته، عبر الشعر الأبيض الرمادي على صدره، وعلى فاكهته المتدلية. كان مشهداً غريباً للغاية. رجل عجوز عارٍ تماماً يواجه ثلاثة رجال مسلحين من جهاز الاستجواب. بدا الأمر مثيراً للسخرية، لكن لم يكن أحد يضحك. كان هناك شيء مرعب بشكل غريب بشأنه، حتى من دون ملابسه، وهو يقطر ماء. كان المنفذون هم من تحركوا إلى الخلف بخطى مرتبكة، خائفين حتى.

كررت المرأة: «ستأتون معنا»، ولكن تسرب لصوتها التشكك الواضح. تقدم أحد رفاقها بحذر نحو باياز.

شعر چيزال بشعور غريب في معدته. شدّ، وسحب، وإحساس فارغ ومُقرَف. كان يشبه الشعور الذي راوده عندما كان على الجسر، تحت ظل دار الصانع. لكن هذه المرة كان أسوأ. تحول وجه الساحر إلى صلابة رهيبة: «لقد نفد صبري».

مثل زجاجة تسقط من ارتفاع كبير، انفجر أقرب منفذ لأشلاء. لم يكن هناك صوت رعد مدوّ، بل مجرد صوت ارتطام طفيف. في لحظة كان يتحرك نحو العجوز، سيفه مرفوع، جسده كاملاً. وفي اللحظة التالية، تحول إلى آلاف الشظايا. تطايرت قطعة مجهولة المصدر منه مرتطمة بالحائط بجوار رأس چيزال، بللت الجدار بسائل لزج. سقط سيفه على الأرض وارتطم بالألواح الخشبية.

زمجر أول المجوس: «ماذا كنت تقولين؟».

ارتجفت ركبتا چيزال. فمه كان مفتوحاً، وشعر بدوار، وغثيان، وفراغ رهيب بداخله. كانت هناك بقع دماء على وجهه، لكنه لم يجرؤ على مسحها.

حذق إلى الرجل العجوز العاري، غير قادر على تصديق عينيه. بدا وكأنه شاهد أحرق مسناً يتحول في لحظة إلى قاتل وحشي، دون ذرة من التردد. وقفت المرأة ذات الشعر الأحمر للحظة، مغطاة بالدماء وبقايا اللحم والعظم، عيناها مفتوحتان كطبقيين، ثم بدأت تتحرك ببطء إلى الوراء نحو الباب. تبعها الآخر، يكاد يتعثّر في قدم تسع أصابع وهو يحاول الفرار بأقصى سرعة. لم يتحرك أي شخص آخر، كانوا كأنهم تماثيل. بينما سمع جيزال خطوات سريعة في الممر خارج الغرفة، هرب الاثنان لحياتهما. كاد يحسدهما. فقد بدا أن لديهما فرصة للهروب، أما هو فكان محاصراً في هذا الكابوس.

صرخ باياز: «علينا المغادرة الآن! (وهو يضغط على عينيه كما لو كان يتألم) حالما أرتدي بنطالي (ثم صاح خلفه) ساعده يا لونجفوت!».

لأول مرة، بدا الملاح عاجزاً عن الكلام. رمش، ثم نهض من خلف الطاولة، وانحنى فوق الشمالي المغشي عليه، ومزق قطعة من قميصه المتهرئ لاستخدامها كضمادة. توقف، عابساً، كما لو كان غير متأكد من أين يبدأ.

ابتلع جيزال ريقه. كان سيفه لا يزال في يده، لكنه بدا غير قادر على إيجاد القوة لإعادته إلى غمده. كانت بقايا المنفذ البائس مبعثرة في أنحاء الغرفة، عالقة بالجدران والسقف وعلى الناس. لم ير جيزال شخصاً يموت من قبل، ناهيك بموت بهذه الطريقة البشعة وغير الطبيعية. كان من المفترض أن يشعر بالذعر، لكنه شعر فقط بإحساس غامر بالارتياح. فجأة، بدت همومه السابقة أموراً تافهة للغاية.

فهو على الأقل، كان لا يزال حياً...!

مكتبة
t.me/soramnqraa

الأدوات التي لدينا

وقف جلوكتا في الممر الضيق، متكئاً على عصاه ينتظر. سمع صوتاً مرتفعاً خلف الباب: «قلت، لا زوّار!».

تنهد لنفسه. كان لديه العديد من الأشياء الأفضل ليقوم بها بدلاً من الوقوف هنا على ساقه المؤلمة، لكنه أعطى كلمته وقرر أن يفي بها. ممر ضيق وغير مميز في منزل غير مميز، مثل مئات المنازل الأخرى المماثلة. الحي بأكمله كان حديث البناء، صفوف من المنازل على الطراز الجديد: نصف خشبية، مكونة من ثلاثة طوابق، ربما مناسبة لعائلة وخادمين. مئات المنازل، تشبه بعضها بعضاً إلى حد بعيد. منازل لأصحاب الرفاهية. الأثرياء الجدد. العاميون الذين ارتقوا سريعاً، كما كان سولت يسميهم على الأرجح. مصرفيون، تجار، حرفيون، أصحاب متاجر، كتبة. ربما أحدها يكون منزلاً لأحد المزارعين الناجحين في المدينة، مثل هذا المنزل هنا.

توقفت الأصوات الآن. سمع جلوكتا حركة وبعض أصوات الزجاج، ثم فتح الباب قليلاً وظهرت الخادمة. فتاة بائسة ذات عينين كبيرتين مائيتين. كانت تبدو خائفة ومرتبكة. لا بأس، لقد اعتدت ذلك. يبدو أن الجميع يخافون ويرتبكون حول جهاز الاستجواب.

تمت الفتاة: «ستقابلك الآن». أوماً جلوكتا وتجاوزها ببطء إلى الغرفة المجاورة.

لديه ذكريات باهتة عن إقامته مع عائلة ويست لأسبوع أو اثنين في الصيف، في آنجلاند، قبل نحو اثني عشر عاماً، على الرغم من أنها بدت وكأنها مئة عام. يتذكر التبارز مع ويست في ساحة منزلهم، وكيف كانت تراقبه كل يوم فتاة سوداء الشعر ذات وجه جاد. يتذكر لقاءه مع الشابة في الحديقة منذ وقت ليس ببعيد، سألته عن حاله. كان في حالة ألم شديد آنذاك، بالكاد يرى

بوضوح، ووجهها كان غائماً في ذاكرته. لذا لم يكن جلوكتا متأكداً مما يجب أن يتوقعه، لكنه بالتأكيد لم يكن يتوقع تلك الكدمات. لقد صدم للحظة. رغم أنني أخفي ذلك جيداً.

أزرق، أرجواني، بني وأصفر، تحت عينها اليسرى، وجفنها السفلي منتفخ، وحول فمها أيضاً، وشفتها مشقوقة ومتقشرة. جلوكتا يعرف الكثير عن الكدمات، قلة من الرجال يعرفون أكثر منه عنها. وأنا لا أظن أنها حصلت على هذه الكدمات عن طريق الخطأ. لقد ضربها أحدهم، ومن شخص قاصد ذلك حقاً. نظر إلى تلك العلامات القبيحة، وفكر في صديقه القديم كوليم ويست، وهو يبكي في غرفة طعامه ويتوسل المساعدة، وربط بين الاثنين. مثير للاهتمام.

جلست هناك، طوال الوقت، تنظر إليه وذقنها مرفوع، والجانب الذي عليه أسوأ الكدمات مواجه له، وكأنها تتحداه أن يقول شيئاً. إنها لا تشبه أخاها كثيراً. لا تشبهه أبداً. لا أظن أنها ستنفجر في البكاء في غرفة طعامي، أو في أي مكان آخر.

سألته ببرود: «ما الذي يمكنني فعله لك، أيها المحقق؟»، التقط جلوكتا تلعثماً بسيطاً في نطقها كلمة «محقق». لقد كانت تشرب... رغم أنها أخفت ذلك جيداً. ليس بما يكفي لجعلها حمقاء. ضم جلوكتا شفتيه. لسبب ما، شعر أنه بحاجة إلى الحذر.

- لست هنا بصفتي المهنية. أخوك طلب مني...

قاطعت كلامه بفضاظة: «هل فعل؟ حقاً؟ هل أتيت لتتأكد من أنني لا أضاجع الرجل الخطأ، أليس كذلك؟».

انتظر جلوكتا لحظة، ليدرك مغزى الكلام جيداً، ثم بدأ يضحك بهدوء مع نفسه. آه، هذا رائع! لقد بدأت أحبها! قالت بحدة: «هل هناك ما يضحك؟».

قال جلوكتا: «اعذريني، (وهو يمسح عينه الدامعة بإصبعه) لكنني قضيت عامين في سجون الإمبراطور. لو كنت أعلم أنني سأبقى هناك نصف هذه المدة منذ البداية، لبذلت جهداً أكبر لقتل نفسي. سبعمئة يوم، تقريباً، في الظلام. أقرب ما يكون لجحيم يمكن أن يعيشها رجل. مغزى كلامي هو هذا.. إذا كنت تنوين إزعاجي، فستحتاجين إلى أكثر من مجرد كلمات قاسية».

ابتسم لها جلوكتا بابتسامته الأكثر تقززًا، الخالية من الأسنان. بدا أنها مجنونة. قليلون فقط من يمكنهم تحمل ذلك لفترة طويلة، لكنها لم تشح بنظرها للحظة. في الواقع، كانت تبتسم له في النهاية. ابتسامة مائلة خاصة بها، وجدها جلوكتا ساحرة على نحو ما. ربما بطريقة أخرى.

- الحقيقة هي أن أخاك طلب مني أن أهتم برفاهيتك في أثناء غيابه. بالنسبة إلي، فيمكنك أن تضاجعي من تشائين، رغم أن ملاحظتي العامة فيما يتعلق بسمعة الشابات، كلما قلت المضاجعة كان أفضل. والعكس صحيح بالنسبة إلى الشباب بالطبع. هذا لا يبدو عادلاً بالطبع، ولكن الحياة ظالمة بطرق كثيرة، وهذه بالكاد تستحق التعليق عليها بالمقارنة.

- هه. معك حق في ذلك.

- هذا جيد، إذا فنحن نتفهم بعضنا بعضًا إذن. أرى أنك أذيت وجهك. هزت كتفها: «لقد سقطت. أنا حمقاء».

- أعرف شعورك. أنا أحمق من ذلك النوع لدرجة أنني كسرت نصف أسناني وقطعت ساقي حتى أصبحت كتلة عديمة الفائدة. انظري إلي الآن، أعرج. إنه لأمر مدهش أين يمكن أن تأخذك الحماسة إن لم تُتدارك. علينا نحن الحمقى أن نبقى معًا، ألا تظنين ذلك؟

نظرت إليه بتفكير للحظة، وهي تمرر يدها على كدمات فكها. قالت: «نعم، أظن أنه ينبغي لنا ذلك».

جلست فيتاري، منفذة جويل، بتراخٍ على كرسي أمام جلوكتا خارج الأبواب الكبيرة المظلمة المؤدية إلى مكتب المقرئ الأعلى. كانت مستلقية عليه بشكل عشوائي، وكأنها أُلقيت فوقه، أطرافها الطويلة متدلّية، ورأسها مستند إلى الخلف. وعيناها تجولان بكسل في الغرفة من وقت لآخر تحت جفون مثقلة، وأحيانًا تتوقفان عند جلوكتا لفترات طويلة بشكل مهين. لكنها لم تحرك رأسها، ولم تحرك عضلة واحدة، وكأن أي جهد قد يكون مؤلمًا للغاية. وهو ما قد يكون بالفعل.

كان واضحًا أنها تورطت في اشتباك عنيف، يدًا بيد. امتلأت رقبتها من فوق ياقتها السوداء بكدمات متناثرة. وكان هناك المزيد حول قناعها الأسود، الكثير منها، وجرح طويل يعبر جبهتها. إحدى يديها المتدليتين كانت ملفوفة بضمادة كثيفة، في حين كانت مفاصل اليد الأخرى مخدوشة ومغطاة بالجروح المتقشرة. لقد تلقت أكثر من ضربة. كانت تقاتل بشراسة، ضد شخص لم يكن يلهو.

رن الجرس الصغير فجأة. قال السكرتير وهو يسرع من خلف مكتبه ليفتح الباب: «المحقق جلوكتا، سماحته سيقابلك الآن».

تنهد جلوكتا، وأطلق صوتًا مكتومًا وهو يستند على عصاه لينهض. قالت المرأة وهو يعرج مارًا بها: «حظًا سعيدًا».

- ماذا؟

بالكاد أومأت برأسها نحو مكتب المقرئ الأعلى: «إنه في مزاج سيئ للغاية اليوم».

عندما فتح الباب، خرج صوت سولت، ليتحول من همسات مكتومة إلى صراخ مدوّ. ارتد السكرتير إلى الخلف وكأنه تلقى صفعًا على وجهه.

صرخ المقرئ الأعلى من خلف الباب: «عشرون منفذًا! عشرون! كان ينبغي أن نحقق مع تلك العاهرة الآن، بدلًا من جلوسنا نلحق جراحنا! كم عدد المنفذين؟».

- عشرون، سماحة المقرئ الأعلى...

- عشرون! اللعنة! (أخذ جلوكتا نفسًا عميقًا وأقحم نفسه عبر الباب) وكم عدد القتلى؟

كان المقرئ الأعلى يسير بخطوات سريعة ذهابًا وإيابًا على الأرضية المبلطة في مكتبه الضخم الدائري، ملوحًا بذراعيه الطويلتين في الهواء. كان يرتدي الأبيض بالكامل، نظيفًا كما هو دائمًا. رغم أنني أعتقد أن هناك شعرة مشعثة قليلًا، أو ربما شعرتين. لا بد أنه في قمة غضبه.

- كم عددهم؟

تمتم الرئيس جويل وهو مطأطئ في كرسيه: «سبعة».

- ثلثهم! ثلثهم! وكم عدد الجرحى؟

- ثمانية.

- معظم البقية! ضد كم؟

- في المجمل، كان هناك ستة...

- حقًا؟ (ضرب المقرئ الأعلى بقبضتيه على الطاولة، منحنيًا فوق جويل الذي تضاعل في كرسيه) سمعت أنهم اثنان. اثنان! (صرخ وهو يدور حول الطاولة مرة أخرى) وكلاهما همجيان! سمعت عن اثنين! واحد أبيض والآخر أسود، والأسود امرأة! امرأة! (ركل الكرسي المجاور لجويل بعنف فتأرجح ذهابًا وإيابًا) والأسوأ من ذلك، أن هناك عددًا لا يُحصى من الشهود على هذه الفضيحة! ألم أطلب السرية؟ ما الجزء من كلمة سرية يتجاوز فهمك، جويل؟

- لكن أيها المقرئ الأعلى، الظروف لا يمكن...

- لا يمكن؟ (ارتفع صوت سولت درجة أخرى) لا يمكن؟ كيف تجرؤ أن تقول لي لا يمكن، يا جويل؟ طلبت السرية وأنت قدمت لي مجزرة دموية عبر نصف الأجيوننت، وفشلت في تحقيق هدفك أيضًا! نبدو كالأغبياء! بل أسوأ من ذلك، نبدو كالأغبياء الضعفاء! أعدائي في المجلس المغلق لن يهدروا أي وقت في استغلال هذه المهزلة لصالحهم. ماروفيا يثير المشكلات بالفعل، ذلك العجوز المزعج، يتذمر عن الحرية والمزيد من القيود وكل هذا الهراء! المحامون اللعناء! لو كان الأمر بيدهم، لما أنجزنا شيئًا! وأنت تمكّنهم من ذلك، يا جويل! أنا أتحايل، وأعتذر، وأحاول تلميع الأمور، لكن الروث يبقى روثًا، مهما سلطت عليها من ضوء! هل لديك أي فكرة عن الضرر الذي ألحقته؟ عن شهور العمل الشاق التي أفسدتها؟

- لكن، المقرئ الأعلى، ألم يغادروا الآن...

- سيعودون، أيها الأحمق! لم يتكبدوا كل هذا العناء لمجرد أن يرحل، أيها المغفل! نعم لقد رحلوا، أيها الغبي، وأخذوا الأجوبة معهم! من هم، ماذا يريدون، من يقف وراءهم! رحلوا؟ رحلوا؟ اللعنة عليك، يا جويل!

- أنا بائس، سماحتك.

- أنت أقل من بائس!

- لا يسعني إلا أن أعتذر.

زمجر سولت باشمئزاز: «أنت محظوظ أنك لا تعتذر وأنت على نار هادئة! اغرب عن وجهي الآن!».

ألقى جويل نظرة حقد عميق على جلوكتا وهو ينسحب من الغرفة. وداعاً، أيها الرئيس جويل، وداعاً. لا يمكن لغضب المقرئ الأعلى أن يقع على شخص أكثر استحقاقاً. لم يستطع جلوكتا كبت ابتسامة صغيرة وهو يراقب خروجه.

- هل تجد شيئاً مضحكاً؟

كان صوت سولت بارداً كالجليد وهو يمد يده المغطاة بالقفاز الأبيض، الحجر الأرجواني يلمع في إصبعه.

انحنى جلوكتا ليقبلها: «بالطبع لا، سماحتكم».

- جيد، لأنه لا يوجد ما يبعث على الضحك، هذا ما أستطيع قوله! مفاتيح؟ (بسخرية) قصص؟ مخطوطات؟ ما الذي جعلني أستمع لهرائك؟

- أعلم، سماحتكم، أعتذر.

انحنى جلوكتا بتواضع على الكرسي الذي كان جويل قد شغله للتو.

- تعتذر، أليس كذلك؟ الجميع يعتذر! وما فائدة ذلك لي! ما أحتاج إليه هو اعتذارات أقل ونجاحات أكثر! ولأفكر، أنه كان لدي آمال كبيرة بالنسبة لك! ومع ذلك، يجب أن نعمل بالأدوات المتاحة لنا. (ماذا تقصد؟ لكن جلوكتا لم يقل شيئاً) لدينا مشكلات. مشكلات خطيرة للغاية في الجنوب.

- الجنوب، أيها المقرئ الأعلى؟

- داجوسكا. الوضع هناك خطير. قوات الجوركوليين تتجمع على شبه الجزيرة. لقد تجاوز عددهم عدد حاميتنا بالفعل بعشرة لواحد، وكل قواتنا ملتزمة في الشمال. هناك ثلاثة أفواج من حرس الملك في أدوا، لكن مع خروج الفلاحين عن السيطرة في نصف مدرلاند، لا يمكن الاستغناء عنهم. كان الرئيس دافوست يطلعني برسائل أسبوعية. هو كان عيني، جلوكتا، هل تفهم؟ لقد اشتبه بوجود مؤامرة داخل المدينة. مؤامرة تهدف إلى تسليم داجوسكا إلى أيدي الجوركوليين. توقفت الرسائل منذ ثلاثة أسابيع، وعلمت أمس أن دافوست قد اختفى. اختفى! رئيس في جهاز الاستجواب! تبخر في الهواء! أصبحت أعمى الآن،

جلوكتا. أخطب في الظلام في وقت حرج للغاية! أحتاج إلى شخص
يمكنني الوثوق به هناك، هل تفهم؟
كان قلب جلوكتا ينبض بقوة: «أنا؟».
قال سولت باستهزاء: «أوه، أنت تتعلم. أنت الرئيس الجديد لداجوسكا».
- أنا؟

- تهانينا، لكن اعذرني إن أجلبنا الاحتفال لوقت أكثر هدوءاً! أنت، جلوكتا،
أنت! (انحنى المقرئ الأعلى نحوه) اذهب إلى داجوسكا وابحث. اكتشف
ما حدث لدافوست. نظف الحديقة هناك. اقتلع كل ما هو غير مخلص.
كل شيء وكل شخص. أشعل النار فيهم! أريد أن أعرف ما يجري، حتى
لو كان عليك تحميم حاكم المدينة حتى يتصبب دهنًا!
ابتلع جلوكتا ريقه: «تحميم حاكم المدينة؟».

قال سولت بغضب وهو ينحني أكثر: «هل أصبح لصوتي صدى في
الغرفة؟ اكتشف الفساد واقتلعه! أحرقه! كله، أينما كان! تول قيادة
دفاعات المدينة بنفسك إن لزم الأمر. لقد كنت جندياً! (مد يده ودفع ورقة
واحدة عبر الطاولة) هذا مرسوم ملكي، موقع من كل أعضاء المجلس المغلق
الاثني عشر. الاثني عشر جميعاً. لقد تعرقت دمًا للحصول عليه. داخل حدود
داجوسكا، سيكون لك الصلاحيات الكاملة».

نظر جلوكتا إلى الوثيقة. مجرد ورقة كريمية اللون، كتابة سوداء، ختم
أحمر ضخم في الأسفل. نحن الموقعين أدناه نمنح خادم جلالته الأمين،
الرئيس ساند دان جلوكتا، الصلاحيات والسلطات كافة... كُتِل عدة من
الكتابات الأنيقة، وأسفلها عمودان من الأسماء. بقع متعرجة، تجعيدات سائلة،
خربشات تكاد تكون غير قابلة للقراءة. هوف، سولت، ماروفيا، فاروز، هاليك،
بور، تورليكوم، والآخرين جميعاً. أسماء قوية. شعر جلوكتا بدوار وهو يلتقط
الوثيقة بيديه المرتجفتين. بدت ثقيلة.

- لا تدعها تصعد إلى رأسك! عليك أن تخطو بحذر. لا يمكننا تحمل المزيد
من الإحراج، لكن يجب إبقاء الجوركوليين خارجاً بأي ثمن، على الأقل
حتى تُحل الأمور في أنجلاند. بأي ثمن، هل تفهم؟

أتفهم. تكليف إلى مدينة محاطة بالأعداء وملأى بالخونة، حيث اختفى رئيس آخر في ظروف غامضة. أقرب إلى طعنة في الظهر من ترقية، لكن علينا أن نعمل بالأدوات المتاحة لنا.

- أفهم، سماحة المقرئ الأعلى.

- جيد. أبقيني مطلعًا باستمرار. أريد أن تغرقني رسائلك.

- بالطبع.

- لديك منفذان، صحيح؟

- نعم، سماحتك، فروست وسيفيرارد، وكلاهما...

- هذا لا يكفي! لن تتمكن من الوثوق بأي شخص هناك، ولا حتى جهاز الاستجواب. (بدا سولت وكأنه يفكر للحظة) وبخاصة جهاز الاستجواب. لقد اخترت ستة آخرين ممن أثبتت مهاراتهم، بمن فيهم المنفذة فيتاري.

- تلك المرأة، تراقبني من فوق كتفي؟ لكن، سماحة المقرئ...

- لا تقل لي لكن، جلوكتا! (هسهس سولت) لا تجرؤ على نطق لكن لي، ليس اليوم! إعاقتك ليست نصف ما يمكنها أن تكون! ليست حتى النصف، هل تفهم؟

أحنى جلوكتا رأسه: «أعتذر».

- أنت تفكر، أليس كذلك؟ أرى التروس تدور. تفكر أنك لا تريد أحد أتباع جويل في طريقك؟ حسنًا، قبل أن تعمل هي معه، كانت تعمل معي. ستيرية، من سيبانو. باردة كالثلج، وتلك أبردهم، أوكد لك. لذا لا داعي للقلق. ليس بشأن جويل على أي حال.

لا. فقط بشأنك، وهذا أسوأ بكثير.

- سأتشرف بوجودها. وسأكون حذرًا للغاية.

- تشرف بقدر ما شئت، فقط لا تخذلني! إن أفسدت الأمور، ستحتاج إلى أكثر من تلك الورقة لإنقاذك. هناك سفينة تنتظرك في الميناء. غادر الآن.

- بالطبع، سماحتكم.

استدار سولت وتوجه نحو النافذة. نهض جلوكتا بهدوء، وسحب كرسيه بهدوء، وزحف عبر الغرفة. كان المقرئ الأعلى لا يزال واقفاً، يداه متشابكتان خلفه، بينما جلوكتا يسحب الأبواب بعناية فائقة. لم يدرك أنه كان يحبس أنفاسه إلا بعد أن أغلقت الأبواب خلفه.

- كيف جرى الأمر؟

استدار جلوكتا فجأة، فأصدر عنقه صوت طقطقة مؤلماً.

عجيب كيف لم أعلم ألا أفعل ذلك. كانت المنفذة فيتاري ما زالت مستلقية على كرسيها، تنظر إليه بعينين متعبتين. لم يبدُ أنها تحركت طوال الوقت الذي كان فيه بالداخل. كيف جرى الأمر؟ مرر لسانه حول فمه، فوق لثته الخالية من الأسنان، مفكرًا في الأمر. هذا ما سيظهر لاحقًا. رد أخيرًا: «مثير للاهتمام، أنا ذاهب إلى داجوسكا».

- هذا ما سمعت.

بالفعل كان لدى المرأة لكنة ما، كما لاحظ الآن. نفحة خفيفة من المدن الحرة.

مكتبة

t.me/soramnqraa

- أفهم أنك ستأتين معي.

- أفهم أنني كذلك.

لكنها لم تتحرك.

- نحن في عجلة من أمرنا.

- أعلم. (مدت يدها نحوه) هل يمكنك مساعدتي على النهوض؟

رفع جلوكتا حاجبيه. أتساءل متى سُئلت هذا السؤال آخر مرة؟ فكر لوهلة أن يقول لا، لكنه في النهاية مد يده، فقط من باب التغيير. أغلقت أصابعها حول يده، وبدأت تسحب نفسها. كانت عيناها مغمضتين قليلاً، وبينما سمع أنفاسها تصفر كانت تفرد جسدها ببطء عن الكرسي. كان يؤلمه أن تستند عليه هكذا، في ذراعه، في ظهره. لكن الألم عندها أشد. خلف قناعها، كان شبه متأكد أن أسنانها كانت مطبقة بالألم. كانت تحرك أطرافها بحذر، واحدة تلو الأخرى، لا تدري أيها سيؤلمها وإلى أي مدى. اضطر جلوكتا إلى الابتسام. روتين أمارسه بنفسه كل صباح. من الغريب أن ترى شخصاً آخر يقوم به.

وأخيرًا، وقفت، تمسك يدها الملفوفة بالضمادات إلى جانب أضلاعها، سألت جلوكتا: «هل تستطيعين المشي؟».

- سأتحرك ببطء.

- ماذا حدث؟ كلاب؟

أصدرت ضحكة مقتضبة: «لا. رجل ضخم من الشمال ضربني حتى تغوطت على نفسي».

شخر جلوكتا ضاحكًا. حسنًا، على الأقل هي صريحة: «هل ننطلق؟».

نظرت إلى عصاه: «لا أظنك تملك واحدة أخرى، أليس كذلك؟».

- أخشى أنني لا أملك سوى هذه، ولا أستطيع المشي من دونها.

- أعرف شعورك.

ليس تمامًا. استدار جلوكتا وبدأ يعرج مبتعدًا عن مكتب المقرئ الأعلى. ليس تمامًا. كان يسمع المرأة تعرج خلفه. غريب أن يكون هناك من يحاول مجاراتي. زاد من سرعته، وكان يؤلمه ذلك. لكن الألم عندها أشد.

إلى الجنوب مجددًا إذن. لعق جلوكتا لثته الخالية من الأسنان. ليس مكانًا لذكريات سعيدة. لمواجهة الجوركوليين، بعد كل ما كلفني ذلك آخر مرة. لاجتثاث الخيانة في مدينة لا يمكن الوثوق فيها بأحد، وبخاصة أولئك الذين أرسلوا لمساعدتي. للصراع وسط الحرارة والغبار، في مهمة لن يشكرني أحد عليها يكاد يكون محكومًا عليها بالفشل. والفشل، على الأرجح، يعني الموت. شعر بخده يرتعش، وجفنه يرمش. على يد الجوركوليين؟ على يد المتآمرين ضد التاج؟ على يد سماحته، أو وكلائه؟ أم سأختفي ببساطة، كما حدث مع سلفي؟ هل كان هناك رجل من قبل لديه هذا التنوع من سبل الموت ليختار منها؟ ارتفع طرف فمه إلى أعلى. لا أطبق الانتظار للبدء.

السؤال نفسه تردد في رأسه مرارًا وتكرارًا، ولم يجد له إجابة.

لماذا أفعل هذا؟

لماذا؟

شكر

لأربعة أشخاص لولاهم لما تحقق هذا العمل...

برين أبركرومبي، التي أرهق عيناه في قراءته.
نيك أبركرومبي، الذي أرهق أذناه في سماع الحكايات منه.
روب أبركرومبي، الذي أرهق أصابعه في تقليب الصفحات.
ولو أبركرومبي، التي أرهقه أذرعته في مساندتي.

وأيضًا...

ماثيو آموس، لنصائحه الثابتة في أوقات التردد.
جيليان ريدفيرن، التي قرأت ما بعد البداية وأجبرتني على تغييره.
سايمون سباتتون، الذي اشترى العمل قبل أن يصل إلى نهايته.

النصل نفسه

لوجن الأصابع التسع البربري سيئ السمعة، نفذ حظه أخيراً وتورط في القتال الذي سيجعله البربري الميت. لم يترك سوى الأغاني السيئة، والأصدقاء الموق، والكثير من الأعداء السعداء.

النقيب **چزال دان** لوثار، الضابط النبيل الوسيم نموذج الأنانية والغرور، لا يحمل ذهنه سوى الانتصار في حلقات التبارز. لكن الحرب تستعر وفي ساحات قتال الشمال المتجمد، يحتدم القتال بقواعده الأكثر دموية.

المحقق **جلوكتا**، مبارز بطل، فأعرج، فجلاذ يعذب ضحاياه. لا يرجو سوى رؤية **چزال** عائداً في تابوت. يكره الجميع: فاقتلاع الخيانة من الاتحاد بانتزاع الاعتراف تلو الآخر لا يترك المجال للصدقات. هذا إذا استطاع البقاء حيًا لوقت كافٍ.

تطفو المؤامرات الدامية على السطح، وتنتظر الديون القديمة السداد، ويصبح الخط الفاصل بين البطل والمجرم حادًا لدرجة الإدماء.

رواية لا يمكن التنبؤ بأحداثها، أسرة، ومشحونة بروح الفكاهة السوداء، تفيض بشخصيات لا تُنسى. خيال ينبض بتفاصيل الحقيقة.



غلاف: محمود هشام

مكتبة
t.me/soramnqraa



www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
f aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb